النص الكامل لكتاب

إمتاع الأسماع

بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع

للمقريزي

تقي الدين أحمد بن علي

(٨٤٥ هـ)

الجزء الأول

(من عشرة أجزاء)

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

مراجعة وتقديم

الدكتور محمد جميل غازي

الناشر

دار الأنصار - القاهرة

٨١ شارع البستان - عابدين ت ٩٣١٠٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعـــة الأولى

سنة ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م

مقدمة الناشر

بقلم : أسعد شيد احمد

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أما بعد : فقد قرأت فى صغرى كتاب نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للمرحوم الشيخ التقى الورع محمد الخضرى ، ثم اتبعته بكتاب (محمد ﷺ) لمحمد رضا . وكان ذلك بتوجيه من المرحوم الإمام حسن البنا . ثم ظهر كتاب إمتاع الأسماع للمقريزى فوجهنا لقراءته فكان ختام قراءتنا للسيرة . وكان ، ختامه مسك ، ومن يومها وجيل الأربعينات مولع بهذا المؤلف العظيم عن الرسول الله ﷺ ، ويتمنى الجميع لو تم طبع باقى الكتاب . ودارت الأيام . وهذا الكتاب مطلب الجميع حتى وصل سعره إلى خمسة وثلاثين جنيها . ولما كنت قد حبانى الله بالمرابطة على هذه الثغرة من ثغور الإسلام ، ثغرة النشر والتوزيع ، وتزويد المؤمنين بالعلم النافع . ولما كان مجال العلم بالسيرة المطهرة مازال أقل مما يجب . فكانت تتوق نفسى إلى أن أرضى ربى بنشر كتاب إمتاع الأسماع المقريزى ، ولكن كاملا . وعلى أحسن صورة . فى الشكل والمضمون .

وأنا على هذه الحال جاءتنى رسالة من صاحب الفضيلة الشيخ أبو منصور الحافظ الكويتى أصلا ومقاماً . يطلب منى أن أحضر له صورة من الجزء الأول والثانى من إمتاع الأسماع من معهد المخطوطات . فأحضرت له ماطلب وأحضرت لنفسى المخطوطة كاملة من عشرة أجزاء ، وأخبرته بما كان ، فما كان منه أكرمه الله إلا أن بعث لى بمخطوطات أخر ، وبمعلومات مفيدة ، وتوكلت على الله سبحانه وسألته التيسير والعون .

وفى يوم تال زارنى أخى الكريم ، الأستاذ محمد عبد الحميد النميسى ، وعلم بمبتغاى فأبدى رغبته الملحة فى أن يقوم بهذا العمل العظيم . تحت إشراف ومراجعة الأستاذ الدكتور جميل غازى . ثم وافق الدكتور جميل غازى . مشكوراً مأجوراً . نفع الله به الإسلام والمسلمين وأطال الله لنا فى عمره ، وأحسن له فى عمله ونسأله فى أثره .

وها أنذا ياأخى الكريم ، أقدم لك الجزء الأول وقد خرج فى أبهى صورة . وبوصوله إليك يكون - إن شاء الله - الجزء الثانى فى المطبعة . ويكون - إن شاء الله - الثالث فى المراجعة . والرابع تحت الشرح والتحقيق . وهكذا حتى نأتى على الجزء العاشر إن شاء الله . وبهذا نحس بأننا - وفينا لإخواننا المسلمين - ووفينا للمكتبة الإسلامية ، وقبل هذا وهذا ، وفينا بعض مايجب علينا لنبينا وزعيمنا وإمامنا وقائدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين . آمين .

وإنى لأسألكم الدعاء لى ولكل من أسهم فى إخراج هذا السفر القيم . ماديا أو معنويا أو بكلمة طيبة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الناشر

أسعد سيد احمد

صاحب ومدير مكتبة دار الأنصار
٨١ ش الهستان بعابدين بالقاهرة ــ ت ٩٣١٥٨١

تقديم

بقلم فضيلة

الدكتور محمد جميل غازي

[إن الحمد لله نحمده ، ونستعين به ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله] .

* * *

أما بعـــد :

— فهذا كتاب من كتب التراث الإسلامي ، عُهد إلىّ « بمراجعة تحقيقه » ، تمهيداً لإخراجه للدارسين والباحثين من أبناء هذه الأمة ، والمتفقهين بحلها وثقافتها . وهو واحد من الكتب التي منيت بما منى به كثير من تراثنا الفكري والحضاري من الإهمال والضياع والتشويه .

— إنه كتاب « إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع » .

لمؤلفه : أحمد بن علي بن عبد القـــادر ؛ أبي العباس الحسيني العبيـــدي تقيّ الدين المقريزي رحمه الله :

(٧٦٦ — ٨٤٥ هـ = ١٣٦٥ — ١٤٤١ م)

* * *

إني أعـــلم — ويعلم مؤرخو الفكر البشري ، وراصدو خطى الحركة الثقافية الإنسانية على أرض الله — ما لهذا التراث الإسلامي من ثراء ، وقوة ، وجدية ، وقدرة على الإعطاء والإثراء والريادة .

وإني أعـــلم — أيضاً — مدى ما يعانيه هذا [التراث المجيد] من ضياع وإهمال ، على الرغم من كثرة المؤسسات القائمة على نشره وإذاعته . . . هذه المؤسسات التي يعمل كثير منها بدافع الكسب المادي — قبل كل شيء ، وفوق أي اعتبار — ولا يهمها أن يخرج الكتاب على الناس موثقاً أو غير موثق ، محققاً أو غير محقق ، بريئاً من التحريف ، أو يعتريه التحريف في كل صفحاته وفقراته .

لقد عانى [التراث العربي] من هذه المؤسسات الكثير ، وما زال يعاني !

وكم كنا نود أن تقوم [هيئة عليا] لوضع برنامج [لأولويات نشر التراث] يكون ملزماً لجميع الناشرين .

بحيث لا يخرج الكتاب الواحد في عدة طبعات في آن واحد !

في الوقت الذي لا ترى النور ألوفٌ من المخطوطات ! !

وبحيث لا يخرج الكتاب على الناس محرفاً غير مقروء قراءة صحيحة !

تلك مهمة [هيئة عليا] تنتظر أن تقوم ! إن صلحت النيّات ، وقويت الرغبة في الخير ، وأريد لهذه الأمة أن تسلك مسالك الصلاح والإصلاح !

* * *

* وهـــذا الكتاب الذي بين يدينا . . .

واحد من آثار [المقريزي] العلمية ، وجزء من تراثه الكبير . .

[والمقريزي] مؤرخ أديب فقيه راوية ، له أثره الكبير في نفسي ، وفي نفوس الكثيرين من دارسيه وعارفي فضله . .

ولقد وقفت وتعرفت على كثير من أعماله التاريخية والأدبية والدينية . . ورأيته عالماً جليلاً تأثر بمن سبقوه ، وأثّر فيمن جاءوا بعده ، وكان لتأثره وتأثيره أثر كبير في إنتاجه الثقافي الذي أربى على مائتي مجلد ! !

* إن [المقريزي] علم من الأعلام الذين ينبغي أن نعنى بدراستهم ونهتم بتراثهم وآثارهم . . !

* وقد آلمني — أثناء دراستي للرجل ، ولحياته — أن أجد كتب التراجم قد هجرت الرجل هجراً غير جميل ، فلم تشر إليه إلا إشارات عابرة ، لا تمكن في تكوين فكرة عن الرجل ، أو إلقاء ضوء على حياته !

الأمر الذي يجعل الدارسين لحياة الرجل ، والكاتبين لترجمته يجدون عناءً شديداً فيما يقصدون إليه ويريدون . لهذا ؛ فإنهم ينقبون فيما كتبه الرجل ، لا فيما كتب عنه ! فما كتبه كثير ، وما كتب عنه قليل ، بل دون القليل !

* إن [المقريزي] مَعْلَمٌ من معالم الكتابة التاريخية الإسلامية ، له آراؤه الصائبة ، ورؤيته الواضحة ، ومنهجه البين ، وشخصيته المتميزة !

* وتراثه — كان ، وسيظل — مثابة تهوى إليها عقول الدارسين والباحثين ورواد المعرفة !

مع أن الذي طبع منه ونشر ؛ قليل وضئيل ، إذا قيس بما لم يطبع ، ولم ينشر !

* ولذا ؛ فإنه من حق (المقريزي) علينا — نحن الذين درسناه ، وعرفناه ، واستفدنا من علمه — أن نعنى بتراثه نشراً وإخراجاً ، حتى يكون متاحاً وميسراً للعلماء وطلاب العلم حيثما كانوا من أرض الله !

* * *

* وقبل أن أرفع القلم عن هذه المقدمة القصيرة ؛ أتمهل لأنوّه بالمجهود المشكور الذي قام به الأخ المحقق الشيخ محمد عبد الحميد النميسي ، لقد عكف على هذا الكتاب الكبير المترامي الأطراف [في السيرة ، والخصائص ، والشمائل] دارساً لفصوله ، محققاً لأصوله ، شارحاً لغريبه ، مناقشاً لآرائه ، مخرجاً لنقوله ، وقد أحسن فيما قصد إليه ، فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء . .

كذلك فإننى أتقدم بعظيم التقدير والتحية إلى الرجل الفاضل الذى لا يألو جهداً ، ولا يدخر وسعاً ولا مالا ، فى سبيل الكتاب الإسلامى ونشره ... ذلك هو الأخ الفاضل [أسعد سيد أحمد صاحب ومدير مكتبة دار الأنصار بالقاهرة] .

* * *

وإننى إذ أنهى هذه المقدمة . أرجو أن أكون قد وفقت ، فيما إليه قصدت ...

والحمد لله الذى بحمده تتم الصالحات ..

ويارب العالمين ...

إياك نعبد ، وإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين .

القاهرة — الزيتون فى ٢٥ من شوال ١٤٠١ هـ

الدكتور محمد جميل غازى

رئيس المركز الإسلامى العام
لدعاة التوحيد والسنة
وكيل الباحثين بالمجلس الأعلى
لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة

إهـــداء

إلى قرينتى ، وفاءً بحقها ، وعرفاناً بفضلها ، وإنى لأحس فى أعماقى أن ما منحتنيه من عون ورعاية هو مثال تأسى به بنات حواء ، من رافقت منهن أحداً من العلماء أو الباحثين

محمد عبد الحميد التميمى

مقدمة التحقيق

وتنتظم دراسة موجزة عن :

(ا) ترجمة المقريزى

(ب) التعريف بكتاب إمتاع الأسماع

(ح) منهج التحقيق

(أ) ترجمة المقريزي (*)

إسمه :

هو أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم تقى الدين المقريزى ، (بفتح الميم نسبة إلى مقريز - محلة من بعلبك) البعلى ثم المصرى الفقيه المؤرخ الشافعى .

مولده :

ولد سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م) بحارة برجوان ، بقسم الجمالية ، بمحافظة القاهرة بمصر .

نشأته :

نشأ المقريزى فى أسرة معروفة بالاشتغال بالعلم فى دمشق وبعلبك والقاهرة .

وعبر عشرين سنة — هى سنوات طفولته ومراهقته وشبابه — شهد المقريزى حوادث ذلك العصر الآفل من نافذته الفكرية المصرية البعيدة عن شئون الدولة المملوكية وأمرائها الذين جعلوا من السلاطين الأطفال وأشباه الأطفال وقتذاك ، ستاراً رقيقاً شفافاً ساذجاً يعملون من ورائه لتحقيق مطامعهم .

ثقافته :

وفى وسط تلك الحوادث الصاخبة المتقلبة ، عكف الشاب أحمد المقريزى على الدراسة التقليدية لأبناء طبقته ، وهى دراسة علوم الدين وحفظ القرآن ومعرفة النحو ، ودراسة الفقه والتفسير والحديث ، وبعض العلوم الأخرى مثل : التاريخ وتقويم البلدان ، والأدب ، والحساب .

مصادر ثقافته :

ترجع مصادر ثقافة المقريزى إلى :

١ — أنه كان يملك مكتبة كبيرة ضخمة تضم العديد من الكتب فى مختلف أنواع العلم والمعرفة المتداولة فى عصره ، والدليل واضح فى الكثرة الكثيرة من المراجع التى أشار فى مؤلفاته إلى أنه رجع إليها وأخذ عنها .

٢ — أنه ولىّ وظائف كثيرة مختلفة مكنته من التعرف على دولاب العمل وكيف يدار ، وعلى مختلف النظم الإدارية والمالية ، وعلى أحوال الشعب الاجتماعية والاقتصادية .

٣ — اشتغاله بعلمى الحديث والتاريخ ، وهما علمان يعتمدان أصلا على الجرح والتعديل ، والنقد والتحليل ، والتثبت من كل قول أو رواية أو حقيقة علمية .

(*) مصادر ترجمة المقريزى :

— هدية العارفين للبغدادى جـ ٥ ص ١٢٧ .
— السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى جـ ١ ص ٢٢ — ٢٣ .
— الأعلام للزركلى جـ ١ ص ١٧٢ — ١٧٣ .
— دراسات عن المقريزى - هيئة الكتاب - القاهرة .

شخصية المقريزى :

أودع المقريزى فى صفحة العنوان من كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » ، شيئاً من صفاته الشخصية ، حيث يقول بعد كتابة اسم الكتاب واسمه هو ، وكأنما يخاطب نفسه : « لا أحوجك الله إلى اقتضاء ثمن معروف أسديته ، ولا ألجأك إلى قبض عوض عن جميل أوليته ، ولاجعل يدك السفلى لمن كانت عليه هى العليا ، وأعاذك من عزّ مفقود ، وعيش مجهود ، وأحياك ما كانت الحياة أجمل لك ، وتوفاك إذا كانت الوفاة أصلح لك ، بعد عمر مديد ، وسموّ بعيد ، وختم بالحسنى عملك ، وبلّغك فى الاولى آمالك ، وسدد فيها مضطربك ، وأحسن فى الأخرى منقلبك ، إنه سميع قريب ، جواد مجيب » .

الوظائف التى تولاها المقريزى :

التحق المقريزى بالخدم الحكومية ، بعد أن غدا بحكم طبقته وتعليمه من « أهل العلم والمعرفة » ، وهى التسمية المخصصة لهذه الطبقة تمييزاً لها من طبقة « أهل السيف » . وهم المماليك وحدهم ، دون غيرهم من سكان البلاد المصرية والشامية جميعاً .

وأول عهد المقريزى بالخدم الحكومية كأبيه من قبله : (ديوان الإنشاء بالقلعة) ، وهو الديوان الذى يقابله فى العصر الحاضر (وزارة الخارجية) ، فعمل المقريزى الشاب سنة ١٣٨٨ م موقّعاً - أى كاتباً - وهى وظيفة لا يبلغها وقتذاك سوى أصحاب الموهبة والمعرفة والتفوق فى اللغة والأدب والتاريخ .

ثم تعين المقريزى نائباً من نواب الحكم - أى قاضياً - عند قاضى قضاة الشافعية بسبب ما اشتهر عنه من الحماسة للمذهب الشافعى منذ أيام دراسته ، وتحوله عن مذهب الحنفية الذى نشأ فيه ، ثم صار المقريزى إماماً لجامع الحاكم الفاطمى ، وهى وظيفة كبيرة فى ذلك العصر .

وتولى المقريزى بعد ذلك وظيفة مدرس للحديث بالمدرسة المؤيدية ، وهى وظيفة يقابلها فى المصطلح الجامعى فى العصر الحاضر « أستاذ ذو كرسى » - وربما كان تعيين أحمد المقريزى فى تلك الوظيفة التعليمية بتوصية خاصة من أستاذه (عبد الرحمن بن خلدون) لدى صديقه (السلطان برقوق) .

ثم انتقل المقريزى من التدريس إلى الحسبة حين عينه (السلطان برقوق) سنة ١٢٩٨ م محتسباً للقاهرة والوجه البحرى ، فانتقل بذلك من دائرة المشتغلين بالعلم والتعليم إلى دائرة الإدارة والاختلاط بمختلف طبقات المجتمع ، ذلك أن وظيفة المحتسب التى يقابلها فى الوقت الحاضر عدة وظائف وزارية شملت وقتذاك النظر فى الأسعار الجارية ، وأحوال النقود ، وضبط الموازين والمكاييل والمقاييس ، ومراقبة الآداب العامة ونظافة الشوارع ، وتنظيم حركة المرور ، مع الإشراف على المدارس والمدرسين والطلاب ، والعناية بالمساجد والحمامات والوكالات ، فضلا عن مراقبة أصحاب الصناعات الفنية من الأطباء والصيادلة والمعلمين (أى المهندسين المعماريين) .

ويضاف إلى هذه الواجبات الكثيرة الداخلة فى اختصاص المحتسب أحوال الباعة الجائلين ، والمتعيشين ، والشحاذين ، والمتعطلين ، الذين كانوا خطراً دائماً على الأمن .

ويتضح من ضخامة هذه الوظيفة ومسئولياتها أن أحمد بن على المقريزى الذى تعين عليها بأمر (السلطان برقوق) ، لابد أنه اشتهر وقتذاك بالكفاية والدقة فى الإدارة والأمانة فى تطبيق الأحكام الشرعية .

غير أنه لم يلبث أن تنحى عن هذه الوظيفة مرتين فى عامين متتاليين ، إذ ضاق بمسئولياتها التى شغلت وقته ليلا ونهاراً ، وصرفته عن القراءة ، وتطلبت منه الجلوس فى دكة المحتسب - بوابة المتولى الحالية - الفصل فى شكاوى السوق والسوقة ، وتوقيع العقوبات على المخالفين ، وإصدار الأوامر إلى العرفاء والأعوان والنقباء ، مع العلم بأن وظيفة (محتسب القاهرة) شملت الوجه البحرى كله .

مؤلفات المقريزى :

زادت مؤلفات المقريزى الكبرى والصغرى على مائة كتاب ، وبهذه المؤلفات المتنوعة الفائقة فى التاريخ وعلومه المساعدة ، ينال المقريزى أعلى المؤهلات والدرجات التى تستخدمها الهيئات العلمية الحديثة ، فى تصنيف طبقات المؤرخين الباحثين .

فهو أستاذ مبتكر مثابر صابر أمين فى كل أعماله العلمية وغيرها ، وهو بجلوسه الفعلى والمجازى فى كرسيه الأستاذى العالى بين أجيال مشايخه وسابقيه المباشرين وغير المباشرين فى الأستاذية جدير بأن يسمى (عميد المؤرخين فى مصر) من (ابن عبد الحكم) إلى (الجبرتى) .

وهذه الجدارة صادرة عن اعتبارات ثلاثة :

أولها : أخلاقه الشخصية ومافيها من إيمان بحب الوطن ، وإيمان بالاستقلال فى الرأى ، وإيمان بضرورة الإصلاح فى مختلف طبقات الأمة المصرية .

وثانيها : صفاته ومؤلفاته ذاتها .

وثالثها : مجموعة ما أودعه فى مؤلفاته هذه من اقتباسات طويلة وقصيرة من أمهات ووثائق لاتزال أصولها مفقودة ، وهاهى ذى بعض مؤلفات المقريزى :

مؤلفـــاته :

١ — اتعاظ الحنفاء بأخبار الفاطميين الخلفاء .

٢ — إزالة التعب والعناء فى معرفة الحال فى الغناء .

٣ — الإشارة والإعلام ببناء الكعبة البيت الحرام .

٤ — إغاثة الأمة بكشف الغمة .

٥ — الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام .

٦ — إمتاع الأسماع بما للنبى ﷺ من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع .

٧ — الأوزان والأكيال الشرعية .

٨ — البيان المفيد فى الفرق بين التوحيد والتلحيد .

٩ — البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب .

١٠ — تجريد التوحيد .

١١ — التنازع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم .

١٢ — جنى الأزهار من الروض المعطار .

١٣ — حصول الإنعام والمير فى سؤال خاتمة الخير .

١٤ — الخبرُ عن البشر ، فى القبائل وأنساب النبى ﷺ (ستة أجزاء) .

١٥ — دُرَر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة (ثلاثة مجلدات) .

١٦ — الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك .

١٧ — السلوك لمعرفة دول الملوك .

١٨ — شارع النجاة فى حجة الوداع .

١٩ — شذور العقود فى ذكر النقود .

٢٠ — الضوء السارى فى معرفة خبر تميم الدارى .

٢١ — الطرفة الغريبة فى أخبار حضرموت العجيبة .

٢٢ — عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط .

٢٣ — العقود فى تاريخ العهود .

٢٤ — مجمع الفوائد ومنبع العوائد (فى نحو ثمانين مجلداً) .

٢٥ — المقاصد السنية فى معرفة الأجسام المعدنية .

٢٦ — المقتفى فى تراجم أهل مصر .

٢٧ — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) .

٢٨ — نحل عبر النحل .

٢٩ — نبذة عن عظام قدر أهل البيت (ألفه فى ذى القعدة ٨٤١ هـ) .

٣٠ — كتاب المقفى الكبير فى تراجم أهل مصر والوافدين عليها (أربعة أجزاء) .

٣١ — الدرر المضيئة فى تاريخ الدولة الاسلامية .

٣٢ — الإشارة والإيماء فى حل لغز الماء .

٣٣ — شارع النجاة فى تاريخ الأديان .

وبعد فإن مؤلفات المقريزى وغيره من قدماء المؤلفين السابقين لاتزال توصف بأنها (كتب صفراء) باهتة المعرفة .

وهذه الكتب العربية القديمة الحافلة بأصول التاريخ المصرى ليست باهتة المعرفة كما ينعتها بعض الناعتين المحدثين ، بل تشف بمحتوياتها عن ألوان زاهية مضيئة لمعرفة مصر وأهلها فى العصور الوسطى ، وهى معرفة واجبة علينا للذين نحن أبناؤهم ، ولاسبيل إلى إنكار المعرفة الواجبة ، أو التنكر لها أو جحودها ، أو تصغير شأنها فى تكويننا الحاضر والمستقبل .

وربما يقول بعض القائلين : إن مقتضيات الحياة الحديثة تتطلب الاستمداد الثقافى من المؤلفات الغربية الحديثة فحسب ، لامن الكتب الشرقية القديمة وأشباهها ، مما طال عليها سالف الأمد ، والحق أنه ينبغى على (الشرق العربى) أن يأخذ من قديم الشرق وحديث الغرب معاً ، على قاعدة الاختيـــار والاقتباس المستنير من المنبعين مع الملاءمة والاعتدال .

ومن البدهى أن الاقتباس من المنبع الشرقى فى معناه إحياء كتب التراث قديم فى مختلف العلوم والفنون ، بالنشر السليم .

ومن البدهى كذلك أن القنوع بالاستمداد من المؤلفات الغربية الحديثة ، يجعل البناء الثقافى فى الشرق العربى على أساس طارىء عليه ، وهو أخطر أنواع البناء عند أساتذة علم النفس التربوى والاجتماعى .



(ب) التعريف بكتاب إمتاع الأسماع

الأصول الخطية للكتاب :

لقد بذلت ماوسعنى من جهد للحصول على أكبر قدر من الأصول الخطية لكتاب (إمتاع الأسماع) ، وقد تيسر لى — بتوفيق الله تعالى — أن وجدت نسختين خطيتين بالإضافة إلى الجزء المطبوع .

فأما النسخة الأولى فقد رمزنا إليها بحرف (خ) ، والنسخة الثانية رمزنا إليها بحرف (ج) ، والجزء المطبوع رمزنا إليه بحرف (ط) . وفيما يلى وصف موجز لكل من هذه الأصول :

أولا : النسخة (خ) :

هذه النسخة محفوظة بتركيا ، ورقها ١٠٠٤ ، وهى مما وقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبى عبد الله محمد بن عثمان ، وقد حصلنا على صورة منها مسجلة على الميكروفلم من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وعلى صفحة الغلاف من هذه النسخة يوجد بعض التقريرات والملاحظات ، يمكن الوقوف عليها من مناظرة صور نماذج المخطوطات فى الصفحات المقبلة بعد قليل .

وصف النسخة (خ) :

تقع هذه النسخة فى ١٨٣٩ ورقة ، قام المصور بتصويرها فى تسعة أجزاء على النحو التالى :

الجزء الأول :

ويبدأ بالورقة الأولى ، إلى الورقة رقم ٢١٥ وهو من أول الكتاب إلى قوله : (فصـــل فى ذكر شمائل رسول الله ﷺ) .

الجزء الثانى :

من الورقة رقم ٢١٦ إلى الورقة رقم ٤٤٠ ، وأوله (فصل فى حسن عهده ﷺ) إلى قوله : (وأن الله تجلى لموسى فى سيناء) .

الجزء الثالث :

من الورقة ٤٤١ إلى الورقة ٦٥١ ، ويبدأ بقوله عن اليهود : (وهذه نبذة من غضب الله عليهم) ، إلى قوله : (كمل الجزء الثانى (*) من كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع) .

(*) سيزول هذا اللبس عند الكلام على عدة أجزاء الكتاب .

الجزء الرابع :

من الورقة ٦٠٢ إلى الورقة رقم ٨٦٤ ، ويبدأ بعد البسملة بقوله : (إعلم أنه كان لرسول الله ﷺ ثلاثة بنين : القاسم وعبد الله وإبراهيم) ، إلى قوله : (وخرّج البخارى فى المناقب من حديث إسرائيل بمعناه ، وذكر نحواً منه فى باب هجرة النبي ﷺ) .

الجزء الخامس :

من الورقة ٨٦٥ إلى الورقة ١٠٥٩ ، ويبدأ بقوله : (فصل ذكر غزوات رسول ﷺ) إلى قوله : (فصل فى ذكر من أقام عليه رسول الله ﷺ حد الزنا) .

الجزء السادس :

من الورقة ١٠٦٠ إلى الورقة ١٢٦٠ ، ويبدأ بقوله : (ثم جاء رسول الله ﷺ — وهم جلوس — فسلم ثم جلس فقال : استغفروا الله لماعز بن مالك) ، إلى قوله : (وأوتى من البيان مثله ، أى أذن له ﷺ أن يبين مافى الكتاب ، فيعم ويخص ، ويزيد عليه ويشرح مافى الكتاب ، فيكون فى وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن)

الجزء السابع :

من الورقة ١٢٦١ إلى ص ١٤٦٠ ، ويبدأ بقوله : (وقوله : يوشك رجل شبعان على أريكته — الحديث — يحذر بهذا القول من مخالفة السنن التى سنها مما ليس فى القرآن له ذكر) ، إلى قوله : (فقلت : لا والذى بعثك بالحق ، أضع سيفى على عاتقى ثم أضرب به حتى ألقاك أو ألحق بك ، قال : أو لا أدلك على خير من ذلك ؟ تصبر حتى تلقانى) .

الجزء الثامن :

من الورقة ١٤٦١ إلى الورقة ١٦٦٠ ويبدأ بقوله : (تخرّج البخارى من حديث شعيب عن الزهرى قال : كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية) إلى قوله : (من يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، فرجعت وقلت : لا أسأله فلاناً أكثر قومى مالا ، والله تعالى أعلم) .

الجزء التاسع :

من الورقة ١٦٦١ إلى الورقة ١٨٣٩ ويبدأ بقوله : (وأما إخباره ﷺ وابصة الأسدى بما جاء يسأله عنه قبل أن يسأله) ، إلى قوله : (وتم هذا الكتاب البديع المثال ، البعيد المنال ، البعيد المقال ، بتمام هذا الجزء السادس (*) وهو المسمى بإمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع) .

وتحتوى كل ورقة من ورقات هذه النسخة على خمسة وثلاثين سطراً ، بكل سطر منها حوالى تسعة عشر كلمة تقريباً ،

(*) سيزول هذا اللبس عند الكلام على عدد أجزاء الكتاب .

وهى مكتوبة بخط واضح نسبياً ، كما أن أوائل الفصول أو رءوس الموضوعات مكتوبة بخط أكبر بحيث يشغل السطر منها قدر مايشغله الثلاثة أسطر من تفاصيل الموضوع أو الخبر .

ومن الملاحظات الهامة عن هذه النسخة : تسهيل الهمزات فى الناحية الإملائية ، مثل (الملايكة وحينيذ) بدلا من (الملائكه وحينئذ) هذا بالإضافة إلى كتابة أسماء الأعلام بخط أكبر من الخط الآخر .

معالجتنا لهذه النسخة :

ونظراً لكون هذه النسخة هى الوحيدة الكاملة فقد اتخذناها أصلا واعتمدنا عليها فى تحقيق الكتاب .

ولما كانت مسجلة على ميكروفيلم مقاس ٣٥ مم فقد اضطررنا إلى طبعها على الجهاز القارىء الطابع READER PRINTER على ورقة مقاس A2 (٤٢ سم × ٦٠ سم) ، غير أن الطبع كان مطموساً فى بعض الصفحات بسبب رداءة بعض ورقات الأصل من حيث لون الورق أو عدم ضبط الإضاءة أثناء التصوير الميكروفيلمى ، مما أدى إلى الاستعانة بأجهزة القراءة READERS لتوضيح بعض الصفحات غير الواضحة فى الطبع

ثانياً : النسخة (ج) :

وهذه النسخة مصورة عن النسخة المخطوطة بمكتبة جوتانا برقم ٤٤٠ ، وهى مكتوبة بخط أصغر من الخط الذى كتبت به النسخة (خ) ، وتحتوى الورقة منها على تسعة عشر سطراً ، بكل سطر منها حوالى سبعة عشر كلمة تقريباً ، ويبدو أن هذه النسخة منقوله عن النسخة (خ) ، غير أن الناسخ كتب أوائل الفصول ورءوس الموضوعات وأسماء الأعلام بخط كبير وبمداد أحمر ، بدليل أنه لم يظهر فى التصوير الفوتوغرافى ، وقد قمنا باستكماله من النسخة (خ) .

وتبدأ هذه النسخة (بفصل فى موالى رسول الله ﷺ) ، وتنتهى بقوله : (كان صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمى الذكوانى أبو عمرو ، على ساقه العسكر يلتقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به) .

وعدد ورقات هذه النسخة ٢٢٥ ورقة ، الأولى منها تساوى فى النسخة (خ) الورقة رقم ٧١٨ ، والأخيرة منها تلتقى مع نهاية الورقة رقم ٩٤٣ من النسخة (خ) .

ثالثا : الجزء المطبوع :

هذا الجزء عبارة عن (٥٥١) صفحة من القطع الكبير ، يساوى فى النسخة الخطية (خ) : من الصفحة الأولى وحتى السطر الثانى والعشرين من صفحة (١٧٩) وقد رمزنا إليه بالحرف (ط) ، أى أنه أقل من تُسع الكتاب الأصلى . وقد تم طبع هذا الجزء عام ١٩٤١ م بدار التأليف — بالقاهرة ، على نفقة السيدة قوت القلوب الدمرداشية ، بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر .

ولم أهمل هذا الجهد الذى قام به فضيلته ، فلم يفتنى الاستئناس بالجزء المطبوع ، على الرغم مما به من ملاحظات نوهت عنها فى مكانها .

هذا بالإضافة إلى أنه اكتفى بنهاية السيرة النبوية ، واتخذ من وفاة النبي ﷺ آخراً للجزء الأول دون مراعاة التقسيم الأصلى للكتاب ، سواء أجزاء المؤلف أو أجزاء تصوير المخطوطة كما بيناه عند كلامنا عن « عدد أجزاء الكتاب » .

عدد أجزاء الكتاب :

يقول (حاجى خليفة) فى (كشف الظنون) ج ١ ص١٦٦ عن كتاب إمتاع الأسماع ، وهو كتاب نفيس فى ست مجلدات حدّث به فى مكة ، ، وذلك مانقله الناسخ على صفحة الغلاف من النسخة (خ) .

وقد رأينا أن يكون الكتاب - حسب تصوير النسخة (خ) - فى تسعة أجزاء . والمجلد العاشر سيخصص لباقى الجزء التاسع مع مجموعة الفهارس العامة للكتاب إن شاء الله تعالى .

وقد لاحظنا من خلال الجزء المطبوع أن الصفحة من المخطوطة يتم طبعها فى ثلاث صفحات من القطع الكبير ، فلو قمنا بطبع الكتاب فى ست مجلدات فإن المجلد الواحد قد يتجاوز الألف صفحة ، وهذا أمر غير مقبول عملياً .

اسم الكتاب والمؤلف :

ظهر كتاب إمتاع الأسماع فى كثير من كتب التصانيف والمؤلفين بأكثر من اسم ، فضـلا عن أن النسخة الخطية (ج) قد أثارت إشكالاً على صفحة الغلاف منها حيث يقول ناسخها ، هذا كتاب إمتاع الأسماع للشيخ تقى الدين المقريزى ، ، ويقول فى زاوية أخرى من الصفحة ذاتها : ، نقل الملقمى أن كتاب الإمتاع لأبى حيان التوحيدى ، ، وبخط آخر ، ونقل الدميرى أيضاً أن الامتاع لأبى حيان ، ، وفى موضع آخر من ذات الصفحة : ، لكن نقل الشمس الشامى فى سيرته أن الامتاع للمقريزى ، .

ودفعاً لهذا الإشكال فإننا نذكر ما أورده صاحب كشف الظنون بصفحة ١٦٦ ، ١٦٧ عن المؤلفات المشابهة أو المقاربة فى الاسم لكتاب الإمتاع للمقريزى ، وهى :

١ - إمتاع الأسماع والأبصار - لأبى العباس أحمد بن محمد الخطيب القسطلانى الشافعى المتوفى سنة ٩٢٣ هـ .

٢ - إمتاع الأسماع فيما للنبى ﷺ من الحفدة والمتاع - للشيخ تقى الدين أحمد بن على المقريزى المؤرخ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ ، وهو كتاب نفيس فى ست مجلدات حدث به فى مكة ، .

٣ - الإمتاع والمؤانسة - للشيخ أبى حيان على بن محمد التوحيدى المتوفى ٣٨٠ هـ .

٤ - الامتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع - للحافظ أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

٥ - الامتاع فى أحكام السماع - لكمال الدين أبى الفضل جعفر بن تغلب الادفوى الشافعى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .

هذا بالإضافة إلى ماذكره (البغدادى) فى الجزء الأول من (هدية العارفين) ضمن مؤلفات المقريزى ص ١٢٧ باسم : (إمتاع الأسماع فيما للنبى ﷺ من الحفدة والأتباع) .

والعمدة فى تسمية هذا الكتاب ، ماذكره المقريزى نفسه فى الصفحة الأولى من النسخة الخطية الكاملة للكتاب حيث يقول : ، فقد سميته إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع ، .

(جـ) منهج التحقيق

(ا) اختيار النسخة (خ) كأم .

(ب) مراجعة الجزء الأول على الجزء المطبوع .

(جـ) مراجعة النصوص على مظانها من كتب المغازى والسير والتواريخ .

(د) تخريج الأحاديث والآيات ، وعَزْو الأقوال إلى أصحابها قدر المستطاع .

(هـ) مراجعة المراجع التى أشار إليها المقريزى فى فقرات كتابه .

(و) توضيح وتصحيح النقل ، واللغة ، والنصوص .

* * *

وفى الختام ، فإننى أسجل عميق شكرى وتقديرى لأستاذى فضيلة الدكتور محمد جميل غازى - رئيس المركز الإسلامى العام لدعاة التوحيد والسنة ، وكبير الباحثين بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب - على ما حبانى به من عون ورعاية ، بما كان له أكبر الأثر فى إتمام هذا العمل .

كما أتقدم بخالص العرفان لأسرة دار الأنصار للطبع والنشر والتوزيع وعلى رأسها الأخ أسعد سيد أحمد ، على ما قدموه من جهد موفور ، وسعى مشكور ، فى سبيل ظهور هذا الكتاب من غياهب المخطوطات إلى عالم المطبوعات .

* * *

وإنى لأرجو بعد هذا كله أن أكون قد وفقت إلى ما أرجوه من إخراج كتاب (إمتاع الأسماع) فى صورة سليمة صحيحة ، كما أدعو الله تعالى أن يعين على إتمام باقى أجزائه ، وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

حدائق الزيتون - القاهرة

فى ليلة القدر ١٤٠١ هـ

محمد عبد الحميد النميسى

نماذج لبعض صور المخطوطات الأصلية للكتاب



صفحة الغلاف من النسخة الخطية (خ)



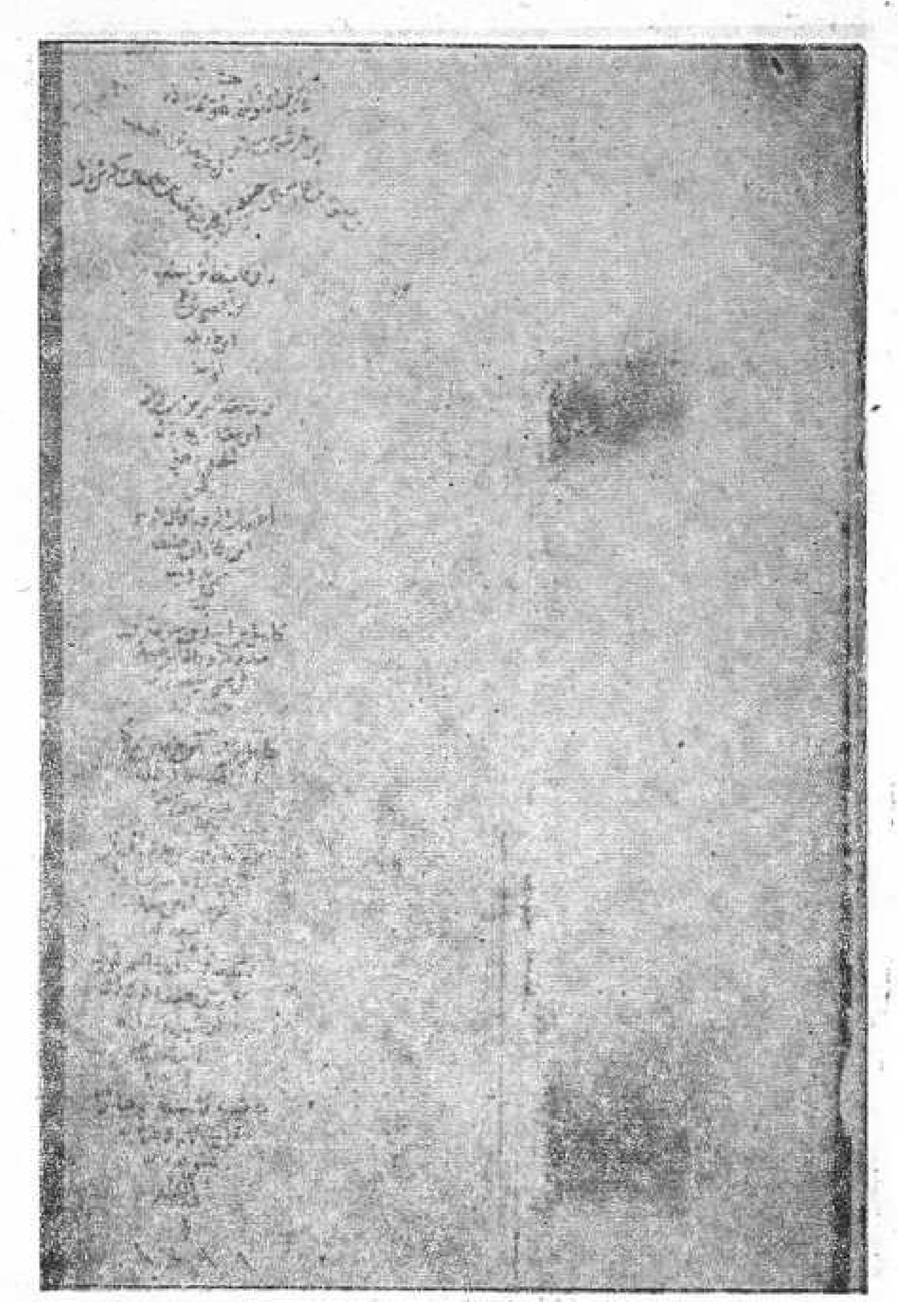
صفحة رقم (١) من النسخة الخطية (خ)

ثم كانت غزوة بني سليم بنجران

ثم كانت سرية زيد بن حارثة إلى القردة

ثم كانت غزوة أحد

صفحة رقم ٣٨ من النسخة الخطية (خ)



صفحة رقم (١٦٩٨) من النسخة الخطية (خ)

الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية (خ)



صفحة الغلاف من النسخة الخطية (ج)

الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية (ج)

النصّ الكامل لكتاب

إمْتاع الأسْماع

بما للنبى صلى الله عليه وسلم من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع

للمقريزى

تقى الدين أحمد بن على

(٨٤٥ هـ)

الجزء الأول

(من عشرة أجزاء)

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسى

مراجعة وتقديم

الدكتور محمد جميل غازى

يطلب من

دار الأنصار

١٥ شارع البستان (ناصية شارع الجمهورية) عابدين - القاهرة

ت ٩٠٣١٥٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اشرح لى صدرى ✿ ويسر لى أمرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، وصلى الله على نبينا محمد الذى منّ به على عباده المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ؛ وأرسله بالشرع العام ، إلى جميع الانام ليكون رحمة للعالمين ، ونجاة لمن اتبعه من خزى الدنيا وليكون فى الآخرة من الفائزين ؛ فبلّغ ﷺ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الامة ، وكشف الغمة ، وأعد لجهاد أعداء الله تعالى الأسلحة والعتاد ، وارتبط فى سبيل الله عز وجل المسومة الجياد ، لمحاربة من حادّ الله ورسوله بنفسه تارة ، وندب لهم آونة من صحابته من رضيه لذلك واختاره ، حتى ظهر أمر الله وهم كارهون ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

اللهم صل عليه من نبى كان يأكل الطيبات من الطعام ، وينكح المبرآت من العيوب والآثام ، ويستخدم الموالى من الارقاء والأحرار ، ويصرفهم فى مهنته ومهماته الجليلات الأقدار ، ويركب البغلة الراتعة ويلبس الحبرة والقباء(١) ، ويمشى منتعلا وحافياً من مسجده إلى نحو قُباء (٢) ، ويدخر لاهله مما أفاء الله عليه أقوات سنة كاملة ، ويجعلها تحت أيديهم محرزة حاصلة ؛ ويؤثر بقوته وثوبه أهل الحاجة والمساكين ، ثقة منه بخير الرازقين . اللهم وابعثه مقاماً محموداً يغبطه الاولون والآخرون ، وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومتبعيه إلى يوم الدين يارب العالمين .

وبعد ، فقبيح بمن تصدر للتدريس والإفتاء ، وجلس للحكم بين الناس وفصل القضاء ، أن يجهل من أحوال رسول الله ﷺ ونسبه وجميل سيرته ورفيع منصبه ؛ وما كان له من الأمور الذاتية والعرضية مالاغنى(٣) لمن صدقه وآمن به عن معرفته ، ولابد لكل من اتسم بالعلم من درايته ، فقد أدركنا وعاصرنا وصحبنا ورأينا كثيراً منهم [وهم] (٤) عن هذا النبأ العظيم معرضون ، ولهذا النوع الشريف من العلم تاركون ، وبه جاهلون ؛ فجمعت فى هذا المختصر من أحوال رسول الله ﷺ جملة أرجو أن تكون إن شاء الله كافية ، ولمن وفقه — سبحانه — من داء الجهل شافية ، التقط كتاباً جامعاً ، وباباً من أمهات العلم مجموعاً ، كان له غنمه ، وعلى مؤلفه غرمه ، وكان له نفعه ، (يحده) (٥) ، مع تعرضه لمطاعن البغاة ولأغراض المنافسين ، ومع عرضه عقله الكدود (٦)

---

(١) الحِبَرَة : بُرْدٌ يمانٍ ، مخطط . والقَبَاءُ : ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه .

(٢) قُباء : هى قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة .

(٣) فى (خ) غنا . . بالألف

(٤) زيادة يقتضيها السياق

(٥) هكذا بالأصل ، والأولى حذفها ليستقيم السياق ، أو لعلها (يجده) بالجيم المعجمة وقد أصابها تصحيف .

(٦) الكدود : الرجل لا ينال خيره إلا بعسر . (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٧٧٩) .

على العقول الفارغة ، ومعانيه على الجهابذة (١) وتحكيمه فيه المتأولين والحسدة ، ومع ذلك فقد سميته « إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع » ﷺ . والله أسأل التوفيق لديمة (٢) العمل بالسنة ، وموافقة الذين أنعم الله عليهم في بحبوحة الجنة ، بمنه وكرمه .

أسماؤه وكناه وألقابه (*)

هو سيد ولد آدم أبو القاسم ، وأبو إبراهيم ، وأبو قثم (٥) ، وأبو الأرامل : (محمد رسول الله ﷺ (٣) وأحمد ، والماحي (٤) ، والحاشر (٥) ، والعاقب (٦) ، والمقفى ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحم (٧) .

نسب أبيه

ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . (وهو قريش على الصحيح) ، (٨) ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (٩) ، النبي المصطفى ، والرسول المجتبي ، خيرة رب العالمين ، وخاتم النبيين ، وإمام المتقين ، وسيد المرسلين ، ﷺ .

نسب أمه

أم رسول الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ، (١٠) حملت به في شعب

---

(١) الجهابذة : جمع جِهْبِاذ ، وهو النقاد الخبير بغوامض الأمور . (المرجع السابق ج ١ ص ١٤١) .

(٢) الدِّيمة : المطر يطول زمانه في سكون (المرجع السابق ج ١ ص ٣٠٥) ، في حديث عائشة ، وسئلت عن عمل رسول الله ﷺ وعبادته فقالت : كان عمله ديمة (النهاية لابن الأثير ج ٢ ص ١٤٧) .

(٣) بياض في (خ) ، وسيأتي فصل خاص بأسمائه صلى الله عليه وسلم .

(٥) القثم : يعني الإعطاء ، يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم (تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ص ٩) .

(٤) وأما الماحي فإن الله محا به سيئات من اتبعه (ابن سعد ج ١ ص ١٠٥) .

(٥) فأما حاشر فبعث مع الساعة نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد (المرجع السابق) .

(٦) وأما العاقب فإنه عقب الأنبياء . (المرجع السابق) .

(٧) يعني نبي القتال ، وهو كقوله الآخر « بُعثتُ بالسيف » والملحمة : الحرب وموضع القتال ، جمع ملاحم (النهاية لابن الأثير ج ٤ ص ٢٤٠) .

(٨) وإلى فهر جماع قريش ، وما كان فوق فهر فليس يقال له قرشيّ ، يقال له كنانيّ (ابن سعد ج ١ ص ٥٥) .

(٩) وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم بغير شك ، غير أن أهل النسب يختلفون في الأسماء ما بين عدنان وإسماعيل ، وربما جرى منهم في أكثر الأسماء تصحيف أو اختلاف (تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ص ٨) .

(١٠) ابن لؤي بن غالب بن فهر ، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً . . وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً (ابن هشام ج ١ ص ١٤٤) .

(*) هذه العناوين من (ط) .

أبي طالب (١) (وقيل عند الجمرة الكبرى ، وقيل الوسطى) في ليلة رجب ليلة الجمعة (٢) ، وقيل حملت به في أيام التشريق .

مولده صلى الله عليه وسلم

ولد محمد ﷺ بمكة في دار عرفت بدار ابن يوسف ، من شعب بني هاشم ، يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول ، وقيل لثلاثين خلتا منه ، وقيل ولد في ثالثة ، وقيل في عاشرة ، وقيل في ثامنة ، وقيل ولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من رمضان حين طلع الفجر ، وقد شذّ بذلك الزبير بن بكار ، إلا أنه موافق لقوله إن أمه ﷺ حملت به أيام التشريق ، فيكون حملها مدة تسعة أشهر على العادة الغالبة . وذلك عام الفيل ، قيل بعد قدوم الفيل مكة بخمسين يوماً ، وقيل بشهر ، وقيل بأربعين يوماً ، وقيل قدوم الفيل للنصف من المحرم قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهرين إلا أياماً ، وقيل ولد بعد الفيل بثمانية وخمسين يوماً ، وقيل بعده بعشر سنين ، وقيل بعده بثلاثين عاماً ، وقيل قبل الفيل بخمس عشرة سنة ، وقيل قبله بأربعين عاماً ، وقيل وُلد يوم الفيل ، وقيل ولد سنة ثلاث وعشرين للفيل ، وقيل ولد في صفر ، وقيل يوم عاشوراء ، وقيل في ربيع الآخر (٣) .

والراجح أنه ولد عام الفيل في الثانية والأربعين من ملك كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد ابن بهرام جود بن يزدجرد الخشن بن بهرام بن سابور بن سابور ذي الأكتاف .

وكان على الحيرة يوم ولد عمرو بن المنذر بن امرئ القيس وهو عمرو بن هند ، وذلك قبل ولاية النعمان ابن المنذر المعروف بأبي قابوس على الحيرة بنحو من سبع عشرة ، وهي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الإسكندر ابن فيلبس المجدوني على دارا ، وهي سنة ألف وثلاثمائة وستة عشرة لابتداء ملك بخت نصر ، ووافق يوم مولده العشرين من نيسان ، وولد بالغفر (٤) من المنازل وهو مولد الأنبياء ، ويقال كان طالعه برج الأسد والقمر فيه .

---

(١) ويزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولي : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمداً ، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نوراً رأت به قصور بُصرى من أرض الشام . (ابن هشام ج ١ ص ١٤٥، ١٤٦) .

ومن طريق محمد بن عمر عن علي بن زيد عن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أبيه عن عمته قالت : كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لما حملت به أمه آمنة بنت وهب كانت تقول : ما شعرتُ بأني حملتُ به ولا وجدتُ له ثقلاً كما يجد النساء إلا أني أنكرتُ رفع حيضتي ، وربما كانت تقول : وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال : هل شعرت أنك حملت ؟ فكأني أقول : ما أدري ! فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيّها . (عيون الأثر ج ١ ص ٢٥) .

(٢) وذلك يوم الاثنين (ابن سعد ج ١ ص ٩٨) ، (صفة الصفوة ج ١ ص ٥١) ، (عيون الأثر ج ١ ص ٢٥) .

(٣) اتفقوا على أن رسول الله ﷺ وُلد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل . واختلفوا فيما مضى من ذلك الشهر لولادته على أربعة أقوال : أحدها : أنه ولد لليلتين خلتا منه ، والثاني : لثمان خلون منه ، والثالث : لعشر خلون منه ، والرابع لاثنتي عشرة خلت منه . (صفة الصفوة ج ١ ص ٥٢) .

(٤) الغَفْر : منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار في برج السنبلة . وهي المنزل الخامس عشر من منازل القمر (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٥٦) . قال تعالى : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (آية ٣٩ / يس) .

صفة مولده ﷺ

وتركوا عليه جفنة كبيرة فانفلقت عنه فلقتين ، فكان ذلك من مباديء أمارات النبوة فى نفسه الكريمة .
ويقال ولد مختوناً ، مسروراً (١) مقبوضة أصابع يده مشيراً بالسبابة كالمسبح بها ، فاعجب ذلك جده عبد المطلب وقال « ليكونن لابنى هذا شأن » . وقيل إن جده ختنه يوم سابعه ، وقيل ختنه جبريل عليه السلام ، وختم حين وضع الخاتم .

مدة حمله ﷺ

وكانت مدة الحمل به تسعة أشهر ، وقيل عشرة ، وقيل ثمانية ، وقيل سبعة وقيل ستة . وعق (٢) عنه بكبش يوم سابعه وسماه محمداً (٣) .

موت أبيه

ومات عبد الله بن عبد المطلب - ورسول الله ﷺ حمل فى بطن أمه - بالمدينة ، وقيل بالأبواء بين

---

(١) وقد اختلف فيه على ثلاثة أقوال : أحدها : أنه ولد مختونا مسروراً ، وروى فى ذلك حديث لا يصح ، ذكره أبو الفرج ابن الجوزى فى « الموضوعات » وليس فيه حديث ثابت ، وليس هذا من خواصه ﷺ فإن كثيراً من الناس يولد مختوناً . القول الثانى : أنه خُتن ﷺ يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليمة . القول الثالث : أن جدّه عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمداً . (زاد المعاد ج ١ ص ٨٠) .
ومعنى مختونا : أى مقطوع الختان ، ومسروراً أى مقطوع السُّرَّة من بطن أمه (البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٦٥) .
(٢) عقّ عن ولده : ذبح ذبيحة يوم سبوعه (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦١٦) .
(٣) مأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، وروى أنه قال يومئذ :

الحمد لله الذى أعطانى ... هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان ... أعيذه بالله ذى الأركان
حتى أراه بالغ البنيان ... أعيذه من شر ذى شنآن
من حاسد مضطرب العنان

(ابن سعد ج ١ ص ١٠٣) ، (صفة الصفوة ج ١ ص ٥٣) وفى رواية أخرى :

الحمد لله الذى أعطانى ... هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان ... أعيذه بالبيت ذى الأركان
حين يكون بُلْغَةَ الفتيان ... حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذى شنآن ... من حاسد مضطرب العنان
ذى همة ليس له عينان ... حتى أراه دافع اللسان
أنت الذى سميت فى القرآن ... فى كتب ثابتة المثانى
أحمد مكتوب على البيان

(البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٦٥) ، (الروض الأنف ج ١ ص ١٨٤) ، (ابن هشام ج ١ ص ١٤٧) .
وفى هامش البداية والنهاية « حتى أرى منه رفيع الشان » ، والأردان : جمع رُدْن : والرُّدْن : مقدم كم القميص أو أسفله ، وطيب الأردان : كناية عن العفّة والنّقاء . والشنآن : البغضاء (هامش ص ٥٣ من ج ١ صفة الصفوة) .
قال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام » (آية ٢ / المائدة) ، وقال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » (آية ٨ / المائدة) .

مكة والمدينة ، والأول هو المشهور ؛ وقيل مات بعد ولادته بثمانية وعشرين يوماً ، وقيل بسبعة أشهر ، وقيل بسنة ، وقيل بسنتين ، وقيل بشهرين ، والأول أثبت .

رضاعه وإخوته فى رضاعه

أرضعته أمه صلى الله عليه وسلم سبعة أيام (أمه) (١) ثم أرضعته « ثويبة » . مولاة « أبى لهب » ، بلبن ابنها « مسروح » ، أياماً قلائل (٢) وكانت أرضعت قبل رسول الله ﷺ عمه « حمزة بن عبد المطلب » ، وأرضعت بعد رسول الله ﷺ « أبا سلمة بن عبد الأسد » ثم بعد رضاعه من « ثويبة » ، أرضعته « أم كبشة » ، حليمة بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدية ، بلبن زوجها الحارث بن عبد العزى السعدى وأرضعت معه ﷺ ابن عمه « أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب » ، أياماً بلبن ابنها عبد الله ، ثم فطمته صلى الله عليه وسلم بعد سنتين .

وكان حمزة بن عبد المطلب مسترضعاً فى بنى سعد بن بكر فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يوماً وهو عند أمه حليمة ، وكان حمزة رضيع النبى ﷺ من وجهين ؛ من جهة ثويبة ومن جهة السعدية ، وكانت ابنتها الشيماء تحضنه معها .

وكان أخوه من الرضاعة عبد الله بن الحارث ، وهو الذى شرب مع رسول ﷺ وأنيسة بنت الحارث ، والشيماء وهى حذافة (٣) بنت الحارث .

مدة رضاعه

فأقام ﷺ عند حليمة فى بنى سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان نحواً من أربع سنين (٤) .

شق صدره

وشق فؤاده المقدس هناك ومُلىء حكمة وإيماناً بعد أن أُخرج حظُّ الشيطان منه ، وروى البخارى (٥) فى الصحيح :

---

(١) هكذا فى (خ) والسياق يقتضى حذفها .
(٢) فى (خ) « دلائل » وكتب تحتها بخط آخر « قلائل » .
(٣) فى ابن هشام « خذامة » بكسر الحاء المنقوطة ج ١ ص ١٤٩ .
(٤) ذكر ابن الجوزى أن حليمة أعادته إلى أمه بعد سنتين وشهرين (صفة الصفوة ج ١ ص ٦٣) وقال ابن قتيبة : (لبث فيهم خمس سنين) (المعارف ص ١٣٢) (انظر تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزى ص ١٣) .
(٥) حديث شق الصدر :
البخارى ج ٢ ص ٣٢٧ فى باب الإسراء .
(مسلم) ج ٢ ص ٢١٦ فى باب الإسراء .
(سنن الدرامى) ج ١ ص ٨ .
(مسند أحمد) ج ٣ ص ١٢١ ، ص ١٤٩ ، ص ٢٨٨ .
(المستدرك للحاكم) ج ٢ ص ٦١٦ وصححه الذهبى فى تلخيص المستدرك .

شق صدره ﷺ ليلة المعراج ، وقد استشكله أبو محمد بن حزم . ويقال إن جبريل عليه السلام ختنه ﷺ لما طهر قلبه الشريف . ثم ردته حليمة بعد شق فؤاده إلى أمه آمنة وهو ابن خمس سنين وشهر ، وقيل ابن أربع سنين ، وقيل سنتين وشهر .

خروج آمنة وموتها

ثم خرجت به آمنة إلى المدينة تزور أخواله بها فماتت بالأبواء (١) وهى راجعة إلى مكة ، وله ﷺ ست سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وقيل وعمره أربع سنين ، وقيل ثمانية أعوام والأول أثبت (٢) .

كفالة جده

فكفله بعد آمنة جده عبد المطلب بن هاشم وكان يرى من نشوته مايسره فيدنيه ، حتى كان ﷺ يدخل عليه إذا خلا وإذا نام ويجلس على فراشه ، فإذا أراد بنو عبد المطلب منعه قال عبد المطلب : دعوا إبنى ، فإنه يؤنس ملكا (٣) .

رمده

ورمد عليه السلام فى سنة سبع من مولده فخرج به عبد المطلب إلى راهب فعالجه وأعطاه مايعالج به وبشر بنبوته (٤) .

حضانة أم أيمن وموت جده وكفالة عمه

وحضنته بعد أمه أم أيمن بركة الحبشية مولاة أبيه ، حتى مات عبد المطلب وله ﷺ من العمر ثمانى سنين ، وقد أوصى به إلى إبنـــه أبى طالب (٥) لأنه كان أخا عبد الله لأمه ، فكفله عمه أبو طالب بن عبد المطلب وحاطه أتم حياطة .

---

(١) لأبواء : بالفتح ثم السكون وواو وألف ممدودة ، قرية من أعمال الفـرع من المدينة ، بينها وبين الجحفة ممـا يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . (معجم البلدان جـ ١ ص ٧٩) .
الأبواء : فى الشمال عن الجحفة على ثمان فراسخ (تقويم البلدان ص ٨١) .

(٢) ماتت أم رسول الله ﷺ وله ست سنين وقيل أربع (تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٢٤) وذكر ابن هشام أنها توفيت وله ﷺ ست سنين (ابن هشام جـ ١ ص ١٠٥) وقيل توفيت أمه وهو ابن أربع سنين (تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٣) .

(٣) نص ابن سعد : « دعوا ابنى إنه ليؤنس ملكا » (ابن سعد جـ ١ ص ١١٨) وفى ابن هشام : « دعوا ابنى ، فوالله إن له لشأناً » (ابن هشام جـ ١ ص ١٠٦) و (ابن كثير جـ ٢ ص ٢٨٢) (البداية والنهاية) « دعوا ابنى إنه يؤنس ملكا » .

(٤) ذكر صاحب (تاريخ الخميس) جـ ١ ص ٢٢٩ فى وقائع السنة السابعة من مولده ﷺ : « ومن وقائع هذه السنة ما روى أنه أصاب رسول الله ﷺ رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن عنه ، فقيل لعبد المطلب أن فى ناحية عكاظ راهباً يعالج الأعين فركب إليه فناداه وديره مغلق فكان لا يجيبه فتزلزل به ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادراً وقال يا عبد المطلب إن هذا الغلام نبى هذه الأمة ولو لم أخرج إليك لخر ديرى ، وارجع به واحفظوه لا يغتاله بعض أهل الكتاب ثم عالجه » .

(٥) فى (خ) « المطلب » والصحيح ما أثبتناه . فأبو طالب أخو عبد الله لأبيه وأمه ، راجع (المعارف لابن قتيبة) ص ١١٨ .

حليته وخُلُقه فى صِغَره

وكان بنو أبى طالب يصبحون غمصاً رمصاً (١) ويصبح ﷺ صقيلا دهيناً (٢) وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان تصبيحهم أول البكرة فيجلسون وينهبون ، ويكف رسول الله ﷺ يده لاينهب معهم ، فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه على حدة . وكان ﷺ يصبح فى أكثر أيامه فيأتى زمزم فيشرب منها شربة ، فربما عُرض عليه الغداء فيقول : لا أريده ، أنا شبعان .

مخرجه الأول إلى الشام

وخرج به إلى الشام فى تجارة وهو ﷺ ابن اثنتى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام ، وقيل ابن تسع سنين فبلغ به بُصرى ، (٣) وذلك فيما يقال لعشر خلون من ربيع الأول سنة ثلاث عشر للفيل . فرأى أبو طالب ومن معه من آيات نبوته ﷺ مازاده فى الوصاة به والحرص عليه : من تظليل الغمام له ، وميل الشجرة بظلها عليه .

خبر بحيرا الراهب

وبشر به بحيرا الراهب (واسمه سَرجِس من عبد القيس) ، وأمر أبا طالب أن يرجع به لئلا تراه اليهود فيرمونه بسوء ، فكانت هذه أول بشرى بنبوته ، وهو لصغره غير راغ إليها ولا متأهب لها ، وقيل خرج مع عمه وله تسع سنين ، والأول أثبت (٤) .

أول أمره مع خديجة فى التجارة

وكان حكيم بن حزام (٥) قد رأى رسول الله ﷺ بسوق حباشة ، واشـــترى منه بَزّاً من بز (٦) تهامة (٧) وقدم مكة . فلذلك حين أرسلت خديجة إلى رسول الله ﷺ تدعوه أن يخرج فى تجارة إلى سوق

---

(١) الغمص : ما سال من العين من رمص (المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٦٦٢) .
الرَّمَص : وسخ أبيض جامد يجتمع فى موق العين (المرجع السابق جـ ١ ص ٣٧٧) .

(٢) فى ابن سعد « رُمْصاً شُعْثاً » ، « دهينا كحيلا » (جـ ١ ص ١٢٠) .

(٣) بُصرى : بالشام من أعمال دمشق . (معجم البلدان جـ ١ ص ٤٤١) .
وذكر ابن الجوزى أنه ﷺ نزل تيماء . وهى واحة فى شمال جزيرة العرب (صفة الصفوة جـ ١ ص ٦٦) .

(٤) أورد هذا الخبر بتمامه : — ابن الجوزى فى (صفوة الصفوة جـ ١ ص ٦٧ – ٧٠) . — ابن هشام (السيرة النبوية جـ ١ ص ١٦٥ — ١٦٧) . — الطبرى (التاريخ جـ ٢ ص ٢٧٧ — ٢٧٩) . — ابن كثير (البداية والنهاية جـ ٢ ص ٢٨٣ — ٢٨٦) . — ابن سيد الناس (عيون الأثر جـ ١ ص ٤٠ — ٤٣) .

(٥) حكيم بن حزام بن خويلد ، وهو ابن أخى خديجة . (تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ٤٤٧ ترجمة رقم ٧٧٥) .

(٦) البزّ : نوع من الثياب والسلاح . (المعجم الوسيط جـ ١ ص ٥٤) .

(٧) تِهامة بالكسر ؛ قال أبو المنذر : تهامة تساير البحر ، منها مكة ، قال : والحجاز ما حجز بين تهامة والعروض . قال الأصمعى : وإنما سمى الحجاز حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد . (معجم البلدان جـ ٢ ص ٦٣) .

حِياشة (١) . وبعث معه غلامها ميسرة فخرجا فابتاعا بزاً من بز الجند (٢) وغيره مما فيها من التجارة ، ورجعا إلى مكة فربحا ربحاً حسناً . ويقال إن أبا طالب كلم خديجة حتى وكلت رسول الله ﷺ بتجارتها .

مشاركته السائب في التجارة

وكان يشارك السائب بن أبي السائب صيفي بن عابد (٣) بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فلما كان يوم الفتح جاءه فقال عليه السلام : (مرحباً بأخي وشريكي ، كان لا يداري ولا يماري) (ومعنى يداري يشاحن ويخاصم صاحبه) .

رعيه الغنم

وكان بعد ذلك يرعى غنما لأهل مكة على قراريط ، قيل كل شاة بقيراط ، وقيل قراريط موضع ، ولم يرد بذلك القراريط من الفضة (٤) .

مشهده حرب الفجار (٥)

وشهد حرب الفِجَار الأيام سائرها إلا يوم نخلة ، وكان يناول عمه — الزبير بن عبد المطلب — النبل ، وكان عمره ﷺ يومئذ عشرين سنة (٦) ، وقيل أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة (٧) .

مخرجه الثاني إلى الشام في تجارة خديجة

ثم أجر نفسه من خديجة — بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب — سفرتين بقلوصين (٨) .

---

(١) حُباشة : بالضم والشين المعجمة ، سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، ذكره في حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : لما استوى رسول الله ﷺ وبلغ أشده وليس له مال كثير استأجرته خديجة إلى سوق حباشة .

(٢) الجَنَد : بالتحريك ، قال أبو سنان اليماني : « ... وأعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة : فوال على الجند ومخاليفها ، وهو أعظمها ، ووال على صنعاء ومخاليفها ، وهو أوسطها ، ووال على حضرموت ومخاليفها ، وهو أدناها . » (معجم البلدان ج ٢ ص ١٦٩) .

(٣) هكذا في (خ) ، وفي ابن هشام :
قال ابن إسحق : « والسائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم » (ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٤) .

(٤) روى البخاري في كتاب (الإجارة) : باب رعي الغنم على قراريط : « عن النبي ﷺ قال : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم فقال أصحابه وأنت ؟ قال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » . (صحيح البخاري ج ١ ص ٣٢) وذكره ابن ماجه بلفظ آخر ، (سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٧٢٧ باب الصناعات حديث رقم ٢١٤٩) .

(٥) الفِجار بكسر الفاء ، « وإنما سُمّي يوم الفجار بما استحل فيه هذان الحيان — كنانة وعيلان — من المحارم بينهم » . (البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٩) ويقول السهيلي : « والفجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعاً ، فسمي : الفجار (الروض الأنف ج ١ ص ٢٠٩) .

(٦) هكذا فيما رواه ابن كثير في (البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٩) .

(٧) هكذا فيما رواه ابن هشام في (السيرة ج ١ ص ١٦٨) .

(٨) القلوص « من الإبل ، الفتية المجتمعة الخَلْق ، وذلك حين تُركب إلى التاسعة من عمرها ، ثم هي ناقة » (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٧٥٥) .

وخرج ثانياً إلى الشام في تجارة ومعه غلامها ميسرة — لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من الفيل وقد بلغ خمساً وعشرين سنة — حتى أتى بصرى فرآه نسطور الراهب وبشر بنبوته ميسرة . ورأى ميسرة من شأنه ﷺ ما بهره فأخبر سيدته خديجة بما شاهد وبكلام الراهب . فرغبت خديجة رضي الله عنها إليه أن يتزوجها لما رجت في ذلك من الخير .

زواجه بخديجة

فتزوج بخديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً في عقب صفر سنة ست وعشرين ، (وقيل كانت (١) سنه إحدى وعشرين سنة وقيل ثلاثين ، وقال ابن جريج : وله سبع وثلاثون سنة ، وقال البرقي : سبع وعشرون سنة قد راهق الثلاثين ، ولها من العمر أربعون سنة وعمره خمس وعشرون سنة ، وقيل ثلاث وعشرون ، والأول أثبت (٢)) على إثنتي عشرة أوقية ونش (٣) ، وقيل عشرين بكرة (٤) . وكان الذي سفر بينهما نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية ، وقيل بل خفر بينهما ميسرة ، وقيل بل مولاة مولَّدة . وكان الذي زوج خديجه من رسول الله ﷺ عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى وقال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة إبنة خويلد ! هذا الفحل لا يُقدَعُ أنفه (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس ، فيما يحسب حماد : أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه ، فصنعت طعاماً وشراباً ودعت أباها ونفراً من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا ، فقالت خديجة : إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إياه فزوجها فخلقته (٦) وألبسه ، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء ، فلما سرى عنه سكره نظر فإذا هو مخلق وعليه حُلة فقال : ما شأني ؟ ما هذا ! قالت زوجتني محمد بن عبد الله ، فقال : أنا أزوج يتيم أبي طالب ! لا لعمري . فقالت خديجة : ألا تستحي ! تريد أن تسفه نفسك عند قريش ، تخبر الناس أنك كنت سكران فلم تزل به حتى رضي . وقد رُدَّ هذا القول بأن أباها تُوفي قبل الفِجار (٧) .

---

(١) في (خ) كان ، والصحيح ما أثبتناه لأن السن مؤنثة .

(٢) في ابن هشام « خمساً وعشرين سنة » (ج ١ ص ١٧١) ومثله في (عيون الأثر ج ١ ص ٤٧) .

(٣) الأوقية جزء من اثنى عشر جزءاً من الرطل المصري (المعجم الوسيط ج ١ ص ٣٣) الأوقية أربعون درهما ، والنش نصف أوقية (هامش (ط) ص ١٠) .

(٤) البكر : الفتى من الإبل ، والأنثى بكرة ، وفي المثل « جاءوا على بكرة أبيهم » أي جميعاً (المعجم الوسيط ج ١ ص ٦٧) .

(٥) في الروض الأنف « هو الفحل الذي لا يقدع أنفه » ج ١ ص ٢١٢) وهذا المثل يضرب للشريف لا يُرَدُّ عن مصاهرة ومواصلة . والقدْعُ : الكف (مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٣٩٥) المثل رقم ٤٠٥٢ .

(٦) خلّقه : ضمّخه وسوّاه . وأتم خلقه وطيبه بالخلوق . (المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٥٢) .

(٧) « المحفوظ عند أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار ، وأن عمها عمرو بن أسد زوّجها رسول الله ﷺ » (ابن سعد ج ١ ص ١٣٢) وذكر نحوه ابن كثير في (البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٩٦) والسهيلي في (الروض الأنف ج ١ ص ٢١٣) .

شهوده حلف الفضول (١)

وشهد ﷺ حلف الفضول مع عمومته فى دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب (٢) بن تيم بن مرة.

تحكيمه فى أمر الحجر الأسود

وكان الله تعالى قد صانه وحماه من صغره، وطهره وبرأه من دنس الجاهلية ومن كل عيب، ومنحه كل خُلق جميل، حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين، لما شاهدوا من طهارته وصدق حديثه وأمانته، بحيث أنه لما بُنيت الكعبة بعد هدم قريش لها فى سنة خمس وثلاثين، وقيل سنة خمس وعشرين من عمره ﷺ وذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة وبعد الفجار بخمس عشرة سنة — ووصلوا إلى موضع الحجر الأسـود، اشتجروا فيمن يضع الحجر موضعه، فأرادت (٣) كل قبيلة رفعه إلى موضعه، واستعدوا للقتال وتحالفوا على الموت، ومكثوا على ذلك أربع ليال. فأشار عليهم أبو أمية (٤) حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو أسن قريش يومئذ — أن يجعلوا بينهم حكماً أول من يدخل من باب المسجد، فكان أول من دخـل رسول الله ﷺ. فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا به، وأخبروه الخبر، فقال، هلموا (٥) لى ثوباً، فأتى بثوب — يقال إنه كساء أبيض من متاع الشام كان له ﷺ — فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا حتى بلغوا به موضعه فوضعه ﷺ بيده ثم بنى عليه. ويقال كان الثوب الذى وضع فيه الحجر للوليد بن المغيرة.

أول ما بدىء به من النبوة

ولما أراد الله رحمة العباد، وكرامته ﷺ بإرساله إلى العالمين، كان أول ما يرى ويعاين من آثار فضل الله أشياء: فشق فى صغره بطنه واستخرج ما فى قلبه من الغل والدنس، فكان يعاين الأمر معاينة ثم كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه فقال: السلام عليك يارسول الله. فكان يلتفت يميناً ويساراً فلا يرى أحداً (٦).

وكانت الأمم تتحدث بمبعثه وتخبر علماء كل أمة قومها بذلك. ثم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (٧).

فكان أول شىء رآه من النبوة فى المنام بطنه طُهِّرَ وغُسِل ثم أعيد كما كان.

---

(١) كان حلف الفضول بعد الفجار، وذلك أن حرب الفجار كانت فى شعبان، وكان حلف الفضول فى ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة وذكر ابن قتيبة: «والفضول جمع فضل وهى أسماء الذين تحالفوا وهم الفضيل بن شراعة، والفضل بن وداعة، والفضل بن قضاعة، وكانوا قد تعاهدوا بالله ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم» (ابن هشام ج ١ ص ١٢٢، ١٢٣ بتصرف).

(٢) ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى (تمام النسب من ابن هشام ج ١ ص ١٢٣).

(٣) فى (خ) فأراد.

(٤) فى ابن هشام «أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله ...» ج ١ ص ١٨٢.

(٥) كذا فى (خ) وصحتها (هلمّ)، وهى كلمة دعاء، أى تعالَ، وهى من أسماء الأفعال، تلزم لفظاً واحداً فى كل حالاتها عند الحجازيين: [للواحد والاثنين والجماعة والذكر والأنثى] (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٩٩٢، ٩٩٣) والنص فى (ابن هشام ج ١ ص ١٨٢). «هلمّ إلىّ» والآية ١٥٠ الأنعام، ١٨ الأحزاب، وانظر أيضاً (بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى) ج ٥ ص ٣٤١.

(٦) أخرج الترمذى نحوه فى صحيحه ج ٥ ص ٢٥٣ حديث رقم ٣٧٠٥ وقال فى آخره: هذا حديث حسن غريب.

(٧) المرجع السابق حديث رقم ٣٧١١.

تحنثه بحراء وبدء الوحى

وحُبِّبَ إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء كما كان يفعل ذلك متعبدو (١) ذلك الزمان، فيقيم فيه الليالى ذوات العدد، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها يتحنث (٢) بحراء ومعه خديجة فيقال إنه أول ما رأى جبريل عليه السلام بأجياد (٣) فصرخ به: يا محمد، يا محمد.

بعثته

ثم فَجَأَهُ (٤) الحق وهو بغار حراء (٥) يوم الاثنين لثمان عشرة خلت من رمضان وقيل لأربع وعشرين ليلة مضت منه، وله من العمر أربعون سنة. وهذا مروى عن عبد الله بن عباس، وجبير بن مطعم، وقباث بن أشيم، وعطاء، وسعيد بن المسيب، وأنس بن مالك، وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر.

وقيل بعث وله من العمر ثلاث وأربعون سنة، وقيل أربعون ويوم (٦)، وقيل وعشرة أيام وقيل وشهرين (٧).

وقال ابن شهاب: بعث على رأس خمس عشرة سنة من بنيان الكعبة، فكان بين مبعثه وبين الفيل سبعون سنة.

قال ابراهيم بن المنذر: هذا وَهَمٌ لايشك فيه أحد من علمائنا، وذلك أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل لا يختلفون فى ذلك، ونُبِّىءَ على رأس أربعين من الفيل، وذلك على رأس مائة وخمسين سنة من عام حجة الغدر (*) ولست عشرة سنة من ملك أبرويز، ويقال: بل لعشرين سنة مضت من ملك كسرى أبرويز بن هرمز ابن أنو شروان، وعلى الحيرة إياسُ بن قبيصة الطائى عاملا للفرس على العرب ومعه النخيرجان (٨) الفارس على رأس سنتين وأربعة أشهر من ملكهما، وعلى اليمن يومئذ باذان (٩) أبو مهران.

---

(١) فى (خ) «متعبدوا» بألف بعد الواو، والمعروف أن جمع المذكر السالم تحذف منه الألف إذا أضيف.

(٢) تحنّث: تعبّد، وفعل ما يخرج به الحِنْث، والحِنْث: الذنب (المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٠١) (وهذه اللفظة فى (خ) «يتجنب».

(٣) قال أبو القاسم الخوارزمى: أجياد موقع بمكة يلى الصفا.

وقال الأصمعى. هو الموضع الذى كانت به الخيل التى سخرها الله لإسماعيل عليه السلام (معجم البلدان ج ١ ص ١٠٥).

(٤) قوله: «فَجِئه الحق وهو بغار حراء» أى جاءه بغتة على غير موعد كما قال تعالى: «وما كنت ترجو أن يُلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك» آية ٨٦/القصص، (البداية والنهاية ج ٣ ص ٦)، وفى (ط) «فجئه» والتصويب من المعجم الوسيط.

(٥) وحراء: يقصر ويمد، ويمنع ويصرف، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المار الى منى، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية والغار فى تلك الحنية (البداية والنهاية ج ٣ ص ٥) و(معجم البلدان ج ٢ ص ٢٢٣).

(٦) فى (خ) «ويوماً» والرفع أصح للعطف على نائب الفاعل.

(*) كذا فى و(خ) لم يرد لها ذكر فى المراجع المعتمدة.

(٧) فى ابن هشام: نقلا عن ابن اسحق «أربعين سنة» ج ١ ص ٢١٦ وفى (البداية والنهاية) «أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشىء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه» ج ٣ ص ٤).

(٨) فى (خ) «المرجان».

(٩) فى (خ) «ساذام» وهو خطأ والصواب «باذان، أو باذام» (ط) ص ١٣ «هامش».

أول ما نُزّل من القرآن

فعلم ﷺ من حينئذ أن الله بعثه نبياً ، وذلك أن جبريل عليه السلام أتاه بغار حراء فقال له : اقرأ ، قال : لست بقارىء ، فغته (١) حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله ، فقال : اقرأ ، قال : لست بقارىء ، فعل ذلك به ثلاث مرات ثم قال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ◌ خلق الإنسان من علق ◌ اقرأ وربك الأكرم ◌ الذي علم بالقلم ◌ علم الإنسان ما لم يعلم » (٢) فرجع بها ﷺ ترجف بوادره ، فأخبر بذلك خديجة رضى الله عنها وقال : قد خشيت على عقلى ، فثبتته وقالت : أبشر ! كلا والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل (٣) وتعين على نوائب الدهر — فى أوصاف أخر جميلة عددتها من أخلاقه — تصديقاً منها له وإعانة على الحق ، فهى أول صدّيق له ﷺ .

وقيل أول ما أنزل عليه من القرآن البسملة وفاتحة الكتاب (٤) وقيل هى مدنية . وقيل لما فجأه الحق وأتاه جبريل قال له : يا محمد ، أنت يا رسول الله (٥) .

وقيل أول ما أتى جبريلُ النبىَّ ﷺ ليلة السبت وليلة الأحد ، ثم ظهر له برسالة الله يوم الاثنين لسبع عشر خلت من رمضان ، فعلمه الوضوء والصلاة ، وعلمه « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

فـــترة الوحى

والتحقيق أن جبريل عليه السلام لما جاءه بغار حراء وأقرأه « اقرأ باسم ربك الذي خلق » ورجع إلى خديجة ، مكث ماشاء الله أن يمكث لا يرى شيئاً وفتر عنه (٦) الوحى ، فاغتم لذلك وذهب مراراً ليتردى (٧) من رءوس الجبال شوقاً منه إلى ما عاين أول مرة من حلاوة مشاهدة وحى الله إليه . فقيل إن فترة الوحى كانت قريباً من سنتين ، وقيل كانت سنتين ونصفاً ، وفى تفسير عبد الله بن عباس كانت أربعين يوماً ، وفى كتاب معانى القرآن الزجاج كانت خمسة عشر يوماً ، وفى تفسير مقاتل ثلاثة أيام ، ورجحه بعضهم وقال : ولعل هذا هو الأشبه بحاله عند ربه (٨) .

(١) فى المعجم الوسيط « وأخذنى جبريل فغتنى حتى بلغ منى الجهد » : أى ضغطنى ضغطاً شديداً (ج ٢ ص ٤٤٠)
(٢) الآيات من (١ — ٥) من سورة العلق وهى أول ما نزل من القرآن على الإطلاق .
(٣) الكَلّ : تقول : « وكَلّ فلان عن الأمر إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه » (التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٢٠ ص ٨٦) .
(٤) ذكر الطبرى فى تفسيره « ... عن عطاء بن يسار ، قال أول سورة نزلت من القرآن : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ج ٣٠ ص ٢٥٢ .
(٥) هكذا فى (خ) ولعلها « أنت رسول الله » .
(٦) راجع (صفة الصفوة) ج ١ ص ٨٠ (وصحيح البخارى) باب بدء الوحى .
(٧) فى (خ) « من عنه » والصحيح ما أثبتناه .
(٨) فى (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) ص ١٣٠ : « حبس الله عنه الوحى خمس عشرة ليلة لترك الاستثناء فقال المشركون : ودّعه ربه وقلاه » وفى (البداية والنهاية) ج ٣ ص ١٧ « وقد قال بعضهم : كانت مدة الفترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصفاً » .
وفى تفسير الطبرى ج ٣٠ ص ٢٣٢ : « لما نزل عليه القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً فعيّر بذلك ، فقال المشركون : ودّعه ربه وقلاه ، فأنزل الله (ما ودعك ربك وما قلى) » .

تتابع الوحى وبدء الدعوة

ثم تبدى له الملك بين السماء والأرض على كرسىّ رتبته وبشره أنه رسول الله حقاً ، فلما رآه فرق منه ، وذهب إلى خديجة رضى الله عنها فقال : « زملونى . . . دثرونى . . . » ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها المدثر ◌ قم فأنذر ◌ وربك فكبر ◌ وثيابك فطهر » (١) فكانت الحالة الأولى بغار حراء حالة نبوة وإيحاء ، ثم أمره الله تعالى فى هذه الآية أن ينذر قومه ويدعوهم إلى الله عز وجل . فشمر ﷺ عن ساق الاجتهاد ، وقام فى طاعة الله أتم قيام ، يدعو إلى الله تعالى الصغير والكبير ، والحر والعبد ، والرجال والنساء ، والأسود والأحمر ، فكان فيما قاله عروة ابن الزبير ، ومحمد بن شهاب ، ومحمد بن إسحق من حين أتت النبوة وأنزل عليه « اقرأ باسم ربك » إلى أن كلفه الله الدعوة ، وأمره بإظهارها فيما أنزل عليه من قوله : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » (٢) وقوله : « وأنذر عشيرتك الأقربين » (٣) ، « وقل إنى أنا النذير المبين » (٤) — ثلاث سنين ؛ لا يظهر الدعوة إلا للمختصين به منهم خديجة وعلى وزيد وأبو بكر رضى الله عنهم ، فدعا ثلاث سنين مستخفياً وقيل دعا مستخفياً أربع سنين ثم أعلن الدعاء وصدع بالأمر .

إســـلام خديجـــة

ويقال إن الله ابتعثه نبياً فى يوم الاثنين لثمان مضين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، وقد مضى من مولده ﷺ أربعون سنة ويوم .

ويقال علمه جبريل عليه السلام الوضوء والصلاة فى يوم الثلاثاء وأقرأه « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ، فأتى خديجة رضى الله عنها فأخبرها بما أكرمه الله وعلمها الوضوء والصلاة فصلت معه ، فكانت أول خلق صلى معه .

إســـلام أبى بكر

ثم استجاب له عبادُ الله من كل قبيلة ، فكان حائز قصب السبق ، أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب (٥) بن غالب القرشى التيمى رضى الله عنه ، فآزره فى دين الله وصدقه فيما جاء به ، ودعا معه إلى الله على بصيرة ، فاستجاب لأبى بكر رضى الله عنه جماعة منهم :

أوائل المسلمـــين

« عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى (٦) القرشى الأموى » ، و « طلحة ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة (٧) القرشى التيمى » و « سعد بن أبى وقاص مالك

(١) سورة المدثر ١ — ٤ .
(٢) ٩٤ / الحجر . (٣) ٢١٤ / الشعراء . (٤) ٨٩ / الحجر .
(٥) ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (المعارف) ص ١٦٧ .
(٦) ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب (السهيلى) ج ١ ص ٢٨٨ .
(٧) ابن مرة بن كعب بن لؤى (السهيلى) ج ١ ص ٢٨٩ .

ابن أهيب (١) بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري » ، و « والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصي (٢) الأسدي » ، و « عبد الرحمن بن عوف بن عبدعوف بن عبد بن الحارث (٣) بن زهرة ابن كلاب القرشي الزهري » : فجاءهم رسول الله ﷺ حتى استجابوا له بالإسلام وصلّوا ، فصار المسلمون ثمانية نفر ، أول من أسلم وصلى لله تعالى .

إسلام علي وزيد الحِبّ

وأما « علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي » ، فلم يشرك بالله قط ، وذلك أن الله تعالى أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمه سيد المرسلين محمد ﷺ (٤) ، فعندما أتى رسولَ الله ﷺ الوحيُ ، وأخبر خديجة رضي الله عنها وصدقت . كانت هي وعلي بن أبي طالب ، و « زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس (٥) بن عامر بن عبد ود بن كنانة بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور ابن كلب بن وبرة الكلبي » حب رسول الله ﷺ — يصلون معه . وكان ﷺ يخرج إلى الكعبة أول النهار فيصلي صلاة الضحى ، وكانت صلاة لاتنكرها (٦) قريش . وكان إذا صلى في سائر اليوم بعد ذلك قعد علي أو زيد رضي الله عنهما يرصدانه .

وكان ﷺ وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فرادى ومثنى ، وكانوا يصلون الضحى والعصر ، ثم نزلت الصلوات الخمس ، وكانت الصلاة ركعتين ركعتين قبل الهجرة .

فلم يحتج علي رضي الله عنه أن يُدعى ، ولا كان مشركاً حتى يوحِّد فيقال أسلم ، بل كان — عندما أوحى الله إلى رسول الله ﷺ — عمره ثماني سنين ، وقيل سبع سنين ، وقيل إحدى عشر سنة . وكان مع رسول الله ﷺ في منزله بين أهله كأحد أولاده يتبعه في جميع أحواله . وكان أبو بكر رضي الله عنه أول من أسلم ممن له أهلية الذَّب عن رسول الله والحماية والمناصرة .

هذا هو التحقيق في المسألة لمن أنصف وترك الهوى من الفريقين ، وقد قال عمر مولى غفرة (٧) : سئل محمد ابن كعب [القرظي] (٨) عن أول من أسلم ، علي بن أبي طالب أو أبو بكر ؟ فقال : سبحان الله ! عليّ أولهما إسلاماً ،

(١) في بعض كتب السيرة : ابن « وهيب » بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . الزيادة من (السهيلي) ج ١ ص ٢٠٨ .

(٢) ابن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (المعارف) ص ٢٢٩ .

(٣) هكذا في (خ) وفي (المعارف) ابن عوف بن عبدعوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . ص ٢٣٥ .

(٤) في (خ) بعد قوله « وسلم » كلمة « الوحي » وهي زيادة من الناسخ اقتضى السياق حذفها .

(٥) ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي (الإصابة) ج ١ ص ٤٥ في ترجمة أسامة بن زيد .

(٦) في (خ) لا ينكرها .

(٧) في (تهذيب التهذيب) : عمر بن عبد الله المدني مولى غُفرة ج ٧ ص ٤٧١ ترجمة رقم ٧٨٣ ، وفي (خ) « عفرة » .

(٨) محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي ، زيادة من (تهذيب التهذيب) ج ٩ ص ٤٢٠ ترجمة رقم ٦٨٩ .

وإنما اشتبه على الناس لأن علياً أول ما أسلم كان يخفي إسلامه من أبي طالب ، وأسلم أبو بكر فأظهر إسلامه ، فكان أبو بكر أول من أظهر إسلامه ، وكان علي أولهما إسلاماً ، فاشتبه على الناس — وكذلك أسلمت خديجة وزيد ابن حارثة (١) .

إسلام ورقة بن نوفل

ثم أسلم القسُّ ورقةُ بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وصدَّق بما وجد من الوحي ، وتمنى أن لو كان جذَعاً (٢) ، وذلك أول مانزل الوحي .

إســـلام الأرقم

ودخل من شرح الله صدره للإسلام على بصيرة فأسلم الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف (٣) بن أسد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم سابع سبعة (٤) ، وقيل بعد عشرة (٥) وفي داره كان النبي ﷺ مستخفياً من قريش ، وكانت على الصفا ، فأسلم فيها جماعة كثيرة .

إيذاء رسول الله

وكانت قريش لما بلغهم ما أكرم الله به رسوله ﷺ من النبوة راعهم ذلك وكبر عليهم ، ولم ينكروا عليه شيئاً من أمره حتى عاب آلهتهم وسفَّه أحلامهم ، وذمَّ آباءهم وأخبر أنهم في النار ، فأبغضوه عند ذلك وعادوه ، وتعرضوا لمن آمن به .

فأخذهم سفهاء أهل مكة بالأذى والعقوبة ، وصان الله رسوله ﷺ بعمه أبي طالب ، لأنه كان شريفاً في قومه مطاعاً فيهم نبيلاً بينهم ، لايتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر رسول الله ﷺ لما يعلمون من محبته له ، وكان من حكمة الله تعالى بقاء أبي طالب على دين قومه لما في ذلك من المصلحة .

إيذاء المســـلمين

هذا ، ورسول الله ﷺ يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، لا يصده عن ذلك صادٌّ ، ولا يرده عنه رادٌّ ، ولا يأخذه في الله لومة لائم . واشتد أذى المشركين على من آمن ، وفتنوا جماعة منهم ، حتى أنهم كانوا يضربونهم ويلقونهم في الحرّ ، ويضعون الصخرة العظيمة على صدر أحدهم في الحر ، وكان أحدهم إذا أطلق لا يستطيع أن يجلس لشدة الألم . ويقولون لأحدهم وهو يعذب في الله : اللات إلهك من دون الله ؟ فيقول مكرهاً : نعم ! ، وحتى إن الجعل ليمرّ فيقولون : وهذا إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم !

(١) راجع (الروض الأنف) ج ١ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ باب أول من أسلم ، ونشأة علي بن أبي طالب .

(٢) الجذَع من الرجال : الشاب الحدث (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١١٣ .

(٣) في (خ) عبد مناة .

(٤) ذكره الحاكم في (المستدرك) ج ٣ ص ٥٠٢ .

(٥) (الإصابة) ج ١ ص ٤٠ ترجمة رقم ٧٣ .

ومر الخبيث أبو جهل : عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة، بسُمَيَّة أم عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين العبسى ، وهى تعذب فى الله هى وزوجها ياسر ابن عامر ، وابنها عمار بن ياسر فطعنها بحربة فى فرجها فقتلها (١) .

الذين أعتقهم أبو بكر من الموالى المعذبين

وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا مر بأحد الموالى وهو يعذب فى الله اشتراه من مواليه وأعتقه لله . فمن هؤلاء : بلال وأمه حمامة (٢) ، وعامر بن فهيرة ، وأم عبس ، ويقال أم عبيس فتاة بنى تيم بن مرة ، (وهى أم عبيس ابن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف) ، وزنيرة (زِنِّيرة بكسر الزاى وتشديد النون مع كسرها على وزن فِعِّيلة ، وقيل بفتح الزاى وسكون النون ثم باء موحدة مفتوحة) ، وسمية بنت خباط (*) (بباء موحدة ، قاله ابن ماكولا) ، والنهدية وابنتها ، وجارية ابنى عدى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعذبها على الإسلام قبل أن يسلم .

حتى قال له أبوه أبو قحافة : يابنى أراك تعتق رقاباً ضعافاً ، فلو أعتقت قوماً جلداً يمنعونك ! فقال أبو بكر رضى الله عنه إنى أريد ما أريد (٣) فقال نزلت فيه : « وسيجنبها الأتقى ٥ الذى يؤتى ماله يتزكى (٤) » إلى آخر السورة .

هَمُّ قريش بقتله عند البيت

هذا وقد اشتد مكر قريش برسول الله وهموا بقتله ، فعرضوا على قومه ديته حتى يقتلوه ، فحماه الله برهطه من ذلك . فهموا أن يقتلوه فى الزحمة (٥) يقول قبائل قريش كلها ، وأحاطوا به وهو يطوف بالبيت ويصلى ، حتى كادت أيديهم أن تخبط به أو تلتق عليه ، فصاح أبو بكر : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ فقال : دعهم يا أبا بكر ، فوالذى نفسى بيده ، إنى بعثت إليهم بالذبح ، فتفرجوا عنه . فكانت فتنة شديدة وزلزال شديد ، فمن المسلمين من عصمه الله ومنهم من افتتن .

أول من جهر بالقرآن ومن رجع عن الإسلام

ويقال أول من جهر بالقرآن عبد الله بن مسعود فضُرب . ورجع عن الإسلام خمسة وهم : أبو قيس بن المغيرة ،

(*) فى (خ) « خباطة » وهو خطأ .

(١) ذكر ابن الجوزى أنها « أول شهيدة فى الإسلام » (صفة الصفوة) ج ٢ ص ٦٠ .

(٢) فى (خ) « حابة » والصحيح ما أثبتناه من (ابن هشام بشرح السهيلى) ج ٢ ص ٦٧ .

(٣) فى ابن هشام « أريد ما أريد لله عز وجل » ج ١ ص ٢٧٩ .

(٤) الآيتان ١٧ — ١٨ من سورة الليل .

(٥) كان يوم الزحمة قبل الهجرة بقليل ، يقول ابن سيد الناس فى كتاب (عيون الأثر) ج ١ ص ١٧٧ باب ذكرى يوم الزحمة نقلاً عن ابن إسحق « ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منعة فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له فى دار الندوة وهى دار قصى بن كلاب ... » .

أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والعاص بن منبه بن الحجاج ، والحارث بن زَمْعة بن الأسود ، والوليد بن الوليد ابن المغيرة .

الهجرة الأولى إلى الحبشة

فلما اشتد البلاء أذن الله لهم فى الهجرة إلى الحبشة ؛ فكان أول من خرج من مكة فاراً بدينه إلى الحبشة : عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ . وتبعه الناس .

فخرج أحد عشر رجلا وأربع نسوة متسللين حتى انتهوا إلى الشُّعَيْبَة (١) ، منهم الراكب والماشى ، فوفق لهم ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار . وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً ؛ وذكر أبو بكر بن أبى شيبة فى مصنفه : عن قبيصة بن ذؤيب أن أباسلمة ابن عمة رسول الله أول من هاجر بظعينته (٢) إلى أرض الحبشة .

وقيل أول من هاجر إلى أرض الحبشة أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك ، وذلك فى رجب سنة خمس من المبعث ، وهى السنة الثانية من إظهار الدعوة . فأقاموا شعبان وشهر رمضان وبلغهم أن قريشاً أسلمت ، فعاد منهم قوم وتخلف منهم قوم . فلما قدم الذين قدموا إلى مكة بلغهم أن إسلام أهل مكة كان باطلا ، فدخلوا مكة فى شوال سنة خمس من النبوة ، ومامنهم من أحد إلا بجوار أو مستخفياً .

وأقام المسلمون بمكة وهم فى بلاء ، فخرج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وجماعات — بلغ عددهم بمن خرج أولا اثنين وثلاثين — فآواهم أصحمة النجاشى ملك الحبشة وأكرمهم .

بعثة قريش لإرجاع المسلمين من الحبشة

فلما علمت قريش بذلك بعثت فى أثرهم عبد الله بن أبى ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعمرو بن العاص ، بهدايا وتحف إلى النجاشى ليردهم عليهم فأبى ذلك ، فدفعوا إليه بقواده فلم يجبهم إلى ماطلبوا فوشوا إليه أن هؤلاء يقولون فى عيسى عليه السلام قولا عظيما : يقولون إنه عبد .

فأحضر المسلمين إلى مجلسه وزعيمهم جعفر فقال : ماتقولون فى عيسى ؟ فتلا عليه جعفر سورة « كهيعص » (٣) فلما فرغ أخذ النجاشى عوداً من الأرض وقال : مازاد هذا على مافى الإنجيل ولا هذا العود ؛ ثم قال : اذهبوا فأنتم شيوم (٤) بأرضى من سبكم غرم ؛ وقال لعمرو وعبد الله : لو أعطيتمونى دبراً من ذهب (يعنى جبلا من ذهب) ماسلمتهم إليكما . ثم أمر فردت عليهما هداياهما ورجعا بشر خيبة .

وقد ذكر محمد بن إسحق فيمن هاجر إلى الحبشة أبا موسى الأشعرى وأنكر ذلك الواقدى وغيره . وهذا ظاهر

(١) الشُّعَيْبَة : مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . (معجم البلدان ج ٣ ص ٣٥١) .

(٢) الظعينة : الراحلة يرتحل عليها . والهودج . والزوجة (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٥٧٦) .

(٣) أول سورة مريم عليها السلام .

(٤) شيوم : كلمة حبشية معناها آمنون .

لا يخفى على من دون ابن إسحق . فإن أبا موسى إنما هاجر من اليمن إلى الحبشة إلى عند جعفر ، كما ثبت فى الصحيح وغيره . وقد قيل إن قريشاً بعثت عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة بعد وقعة بدر . فلما سمع رسول الله ﷺ ببعث قريش عمراً وابن أبى [1] ربيعة بعث عمرو بن أمية الضمرى وكتب معه إلى النجاشى ، فقرأ كتابه ثم دعا جعفر بن أبى طالب ، فقرأ عليهم سورة مريم فآمنوا .

هذا قول سعيد بن المسيِّب وعروة بن الزبير . وقال أبو الأسود عن عروة : إن بعثهم عمرو بن العاص كانت عند خروج المهاجرين إلى الحبشة ؛ وكان بين خروج المهاجرين إلى الحبشة وبين وقعة بدر خمس سنين وأشهر . وقيل كانت بعثتهم عمرو بن العاص مرتين ، مرة مع عمارة بن الوليد [2] ومرة مع عبد الله بن أبى ربيعة ابن المغيرة ، قاله أبو نعيم الحافظ .

أعداء رسول الله من قريش

هذا ؛ ورسول الله ﷺ مقيم بمكة يدعو إلى الله ، وكفار قريش تظهر حسده وتبدى صفحتها فى عداوته وأذاه ، وتخاصم وتجادل وترد من أراد الإسلام عنه . وكان أشد قريش عداوة لرسول الله ﷺ جيرانه . وهم : أبو جهـــل بن هشام بن المغيرة ؛ وعمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو ابن خال رسول الله ﷺ ، والحارث بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم السهمى ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأميّة وأبىّ ابنا خلف بن وهب ابن حذافة بن جمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤى ؛ وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والعاص بن وائل ابن هاشم [3] بن سُعيد بن سهم السَّهْمى والد عمرو بن العاص ، والنَّضْر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف ابن عبد الدار ، ومنبّه ونُبيْه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد [4] بن سهم بن عمرو بن هُصَيص ، وزهير ابن أبى أمية حذيفة بن المغيرة ، وهو ابن عمة [5] رسول الله ﷺ ، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعدى بن الحمراء الخزاعىّ ، وأبو البخترى العاص بن هشام بن (الحارث) [6] بن أسد بن عبد العزى ، وعقبة ابن أبى مُعيط أبان بن أبى عمرو بن أمية ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزىّ ، وابن الأصداء [7] الهذلى والحكم بن أبى العاص بن أمية ، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف ، (وطعيمة بن عدى) [8] أخو مطعم بن عدى ، والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف [9] ،

(١) فى (خ) « ابن ربيعة » .

(٢) فى (ط) « بن الوليد » وهو خطأ .

(٣) فى (خ) « هشام » وهى رواية ابن اسحق ، وأوردها ابن حجر فى (الإصابة) « هاشم » فى ترجمة عمرو بن العاص رقم ٥٨٧٢ .

(٤) فى (خ) « وسعد » . (٥) عاتكة بنت عبد المطلب .

(٦) ما بين القوسين زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٥ « أبو البخترى بن هاشم بن الحارث بن أسد » . وفى ابن سعد ج ١ ص ٢١٠ « أبو البخترى بن هاشم » وفى (خ) « أبو البخترى العاص بن هشام » .

(٧) هكذا فى ابن سعد ج ٣ ص ٩ « ابن الأصداء الهذلى » وفى المرجع السابق ج ١ ص ٢٠١ « ابن الأصدى الهذلى » . وهو الذى نطحته الأروى .

(٨) زيادة من (ط) وهو أصحاب يوم الزحمة .

(٩) فى (خ) العبارة من قوله « أخو عدى ... إلى عبد مناف » تكرار من الناسخ .

والحارث بن مالك (وقيل عمرو ، وهو بن الطُّلاطلة ، وهى أمه) [1] ابن عمرو ابن الحارث (وهو غُبشان) بن عبد عمر بن بُوَىّ بن ملكان [2] ، ورُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب [3] ، وهُبيرة بن أبى وهب المخزومى .

وكان الذين تنتهى إليهم عداوة رسول الله ﷺ : أبو جهل ، وأبو لهب ، وعقبة بن أبى (معيط) [4] . وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب [5] . وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، ذوى عداوة للنبى ﷺ ، لكنهم لم يكونوا يفعلون كما فعل هؤلاء . فلما أسلم حمزة بن عبد المطلب عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

إسلام عمر بن الخطاب

وأسلم عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزاح بن عدىّ ابن كعب القرشى العدوى رضى الله عنه ، ويقال إنه أسلم بعد تسعة وأربعين رجلا وثلاث وعشرين امرأة ، وقيل أسلم بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة ، وقيل أسلم بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى وعشرين امرأة ، وقيل أسلم بعد ثلاثة وثلاثين رجلا ؛ وكان إسلامه بعد هجرة الحبشة ، وكان المسلمون لا يقدرون يصلون عند الكعبة .

عزّ الاسلام بعمر وحمزة

فلما أسلم عمر رضى الله عنه قاتل قريشاً حتى صلى عندها ، وصلى معه المسلمون ، وقد قَوُوا بإسلامه وإسلام حمزة رضى الله عنهما ، وجهروا بالقرآن ولم يكونوا قبل ذلك يقدرون أن يجهروا به ، ففشا الإسلام وكثر المسلمون .

أمر الصحيفة

وبلغ أهل مكة فعلُ النجاشى بالقادمين عليه وإكرامهم ، فساء ذلك قريشاً وائتمروا فى أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه ألا يناكحوا بنى هاشم وبنى المطلب ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يُسلموا إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم .

وكتبوا بذلك صحيفة وختموا عليها ثلاثة خواتيم ، وعلقوها فى سقف الكعبة . وقيل بل كانت عند أمّ الجُلاس مخرّبة [6] الحنظلية خالة أبى جهل ، ذكره ابن سعد [7] ، وعند ابن [8] عقبة : كانت عند هشام بن عبد العزى . فيقال :

(١) فى (خ) : « وقيل عمرو بن الطلاطلة بن عمرو » والصواب ما أثبتناه .

(٢) وفى ابن سعد ج ٦ ص ٢٢٨ « اسمه الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مُضَر » .

(٣) فى (خ) « ابن عبد المطلب » .

(٤) سقط فى (خ) وصوابه من ابن سعد ج ١ ص ١٦٥، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١١، ٢٢٨ ؛ ج ٢ ص ١٣، ٢٣ وغير ذلك .

(٥) ابن عم النبى وأخوه من الرضاعة ، وفى طبقات ابن سعد ج١ ص ٢٧١ (أبو سفيان بن حرب) . وذكر ابن سيد الناس فى « عيون الأثر » ج ١ ص ١١٠ « وكان المجاهرون بالظلم لرسول الله ﷺ ولكل من آمن به من بنى هاشم : عمه أبا لهب وابن عمه أبا سفيان بن الحارث ، ومن بنى عبد شمس : عتبة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبى معيط وأبا سفيان بن حرب وابنه حنظلة ... » .

(٦) فى (خ) « محرمة » وهو خطأ والتصويب من (ابن سعد) .

(٧) (الطبقات الكبرى) ج ١ ص ٢٠٩ .

(٨) هو « موسى بن عقبة » المتوفى سنة (١٤١ هـ) صاحب كتاب المغازى راجع ، « ابن هشام » المقدمة ص ٥ .

كتبها منصور بن عِكْرِمة بن عامر بن هشام عبد مناف، ويقال النَّضْر بن الحارث، ويقال بَغِيض بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلت يده.

إنحياز بنى هاشم وبنى المطلب إلى شِعب أبى طالب

وانحازت بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم ليلة هلال المحرم سنة سبع من النبوة — إلا أبا لهب وولده فإنهم ظاهروا قريشاً على بنى هاشم — فصاروا فى شِعب أبى طالب محصورين مضيقاً عليهم أشد التضييق نحوا من ثلاث سنين، وقد قطعوا عنهم الميرة[1] والمادة فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد. وكان حكيم بن حِزام[2] بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى تأتيه العير تحمل الحنطة من الشام فيقبلها[3] الشِّعب ثم يضرب أعجازها فتدخل عليهم فيأخذون ما عليها من الحنطة.

الهجرة الثانية إلى الحبشة

ثم هاجر المسلمون ثانياً إلى أرض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا — إن كان عمار بن ياسر فيهم —[4] وثمانى عشرة امرأة.

نقض الصحيفة

ثم سعى فى نقض الصحيفة أقوام من قريش. وكان أحسنهم فى ذلك بلاء هشام بن عمرو (بن ربيعة)[5] ابن الحارث بن حُبَيِّب بن جَذِيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى، مشى فى ذلك إلى زهير بن أبى أمية، وإلى مُطْعِم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف، وإلى أبى البخترى بن هشام، وإلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، وكان سهل بن بيضاء[6] الفهرى هو الذى مشى إليهم حتى اجتمعوا عليه، واتَّعدوا[7] خَطْمَ الحَجُون[8] بأعلى مكة، وتعاهدوا هناك على القيام فى نقض الصحيفة، وما زالوا حتى شقوها، فإذا الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من «باسمك اللهم». وكان رسول الله ﷺ قد أخبر عمه أبا طالب بأن الله قد أرسل على الصحيفة الأرضة فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله تعالى. وعن موسى بن عُقبة[9] عن الزُّهرى أن النبى قال لعمه إن الأرضة لم تترك اسماً لله إلا لحسته وبقى فيها ما كان من (جَوْر)[10] أو ظلم أو قطيعة رحم. فلما خرج رسول الله ﷺ ومن معه

(١) الميرة: ما يجلب من الطعام.
(٢) ابن أخى خديجة رضى الله عنها.
(٣) أى يجعل وجهها قبالة الشعب ليسلكه.
(٤) ذكر ابن عبد البر فى (الاستيعاب): «أنه هاجر إلى أرض الحبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين الأولين» جـ ٨ ص ٢٢٦.
(٥) فى (الإصابة) «ابن ربيعة بن الحارث بن حُبَيِّب» جـ ١٠ ص ٢٥٠ وفى (خ)، (ط) (ابن حُبَيِّب).
(٦) ذكره ابن حجر فى (الإصابة) برقم ٣٥١٣ جـ ٤ ص ٢٦٩ وابن عبد البر فى الاستيعاب برقم ١٠٨٠ جـ ٤ ص ٢٧٠.
(٧) فى (خ) (وأبعدوا)، (اتَّعدوا): تواعدوا.
(٨) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده أهلها وقال السكرى: مكان من البيت على ميل ونصف. (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٢٢٥.
(٩) من أصحاب المغازى توفى سنة (١٤١ هـ).
(١٠) مكان هذه الكلمة بياض بالأصل (خ) وما أثبتناه يتم المعنى.

من الشعب كان له من العمر تسع وأربعون سنة، وكان خروجهم فى السنة العاشرة؛ وقيل مكثوا فى الشعب سنتين، ويقال إن رجوع من كان مهاجراً بالحبشة إلى مكة كان بعد الخروج من الشعب.

موت خديجة وأبى طالب (عام الحزن)

ومات عُقَيْب ذلك أبو طالب وخديجة فمات أبو طالب أول ذى القعدة؛ وقيل فى نصف شوال، ولرسول الله من العمر تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً. وماتت خديجة رضى الله عنها قبله بخمسة وثلاثين يوماً، وقيل كان بينهما خمسة وخمسون يوماً، وقيل ثلاثة أيام، وقيل كان موتهما بعد الخروج من الشِّعب بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً. فعَظُمت المصيبة على رسول الله ﷺ بموتهما وسمّاه «عام الحزن»، وقال: ما نالت قريش منّى شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب. لأنه لم يكن فى عشيرته وأعمامه — حامياً له ولا ذاباً عنه — (غير أبى طالب)[1].

خروجه إلى الطائف

فخرج ومعه زيد بن حارثة إلى الطائف فى شوال سنة عشر من النبوة يلتمس من ثقيف النصر لأنهم كانوا أخواله، فكلّم سادتهم، وهم: عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عُمير، ودعاهم إلى نصره والقيام معه على من خالفه. فردُّوا عليه رداً قبيحاً وأغروا به سفهاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رِجلَىْ رسول الله ﷺ لتدميان، وزيد يقيه بنفسه حتى لقد شُجّ فى رأسه شِجاجاً. فرجع عنهم يريد مكة، حتى إذا كان بنخلة[2] قام يصلى من جوف الليل.

إسلام النفر من جِنّ نصيبين

فمر به من جن نصيبين اليمن سبعةُ نفر فاستمعوا إليه (وهو يقرأ القرآن ثم ولوا — بعد فراغه من صلاته)[3] — إلى قومهم منذرين، قد آمنوا فأجابوا.

إقامته بنخلة

وأقام بنخلة أياماً فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم مكة وهم أخرجوك؟ فقال: يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه. ويقال كان إيمان الجن برسول الله ﷺ وله من العمر خمسون سنة وثلاثة أشهر، وذكر ابن إسحق أن إسلام الجن قبل الهجرة بثلاث سنين.

(١) زيادة يتم بها المعنى.
(٢) واد بمكة (معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٧٧).
(٣) فى (خ) «فاستمعوا إليه بعد فراغه من صلاتهم إلى قومهم» والصواب ما أثبتناه، راجع (تفسير الطبرى) جـ ٢٦ ص ٣٠ (عند تفسير سورة الأحقاف الآية ٢٩).

عودته إلى مكة فى جوار المطعم بن عدىّ

ويقال إن رسول الله ﷺ لما عاد من الطائف وانتهى إلى حراء بعث رجلا من خزاعة إلى المطعم ابن عدى ليجيره حتى يبلغ رسالة ربه فأجاره .

إسلام الطفيل الدَّوسى ذى النور

ودخل رسول الله ﷺ مكة فأقام بهـــا وجعل يدعو إلى الله فأسلم (الطفيل) (١) بن عمرو بن طريف ابن العاص بن ثعلبة بن سُليم (٢) بن فهم الدوسى ، ودعا له رسول الله ﷺ أن يجعل الله له آية ، فجعل الله له فى وجهه نوراً ، فقال : يارسول الله ، أخشى أن يقولوا هذا مُثْلَة ، فدعا له فصار النور فى سوطه فهو المعروف بذى النور .

إسلام بيوت من دَوس

ودعا الطفيل قومه دَوساً إلى الله فأسلم بعضهم وأقام فى بلاده حتى قدم (على) (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر فى نحو ثمانين بيتاً .

الإسراء والمعراج وفرض الصلوات

(ثم أسرى) (٤) برسول الله ﷺ بجسده — على الصحيح من قول الصحابة — من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكباً البُراق صُحبة جبريل عليه السلام . فنزل ثم (أمَّ) (٥) بالأنبياء عليهم السلام ببيت المقدس فصلى بهم ، ثم عُرج به تلك الليلة من هناك إلى السموات السبع ورأى بها الأنبياء على منازلهم ؛ ثم عرج به إلى سِدْرَة المنتهى ، ورأى جبريل عليه السلام على الصورة التى خلقه الله بها ، (وفُرِضَت) (٦) عليه الصلوات الخمس تلك الليلة .

وكان الإسراء فى قول محمد بن شهاب الزُّهرى قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقيل بسنة واحدة ، وقيل وله من العمر إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر ، وقيل كان الإسراء بين بَيْعتى الأنصار فى العقبة ، وقيل كان بعد المبعث بخمسة عشر شهراً ، وقال الحربى : كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة .

وعورض من قال إنه كان قبل الهجرة بسنة بأن خديجة صلت معه بلا خلاف ، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ، والصلاة إنما فرضت ليلة الإسراء . وأجيبَ بأن صلاة خديجة كانت غير المكتوبة ، بدليل حديث مسلم (٧) أنه صلى

(١) بياض بالأصل (خ) (٢) فى (خ) « سالم » والتصويب من (الاستيعاب) رقم ١٢٢٤ جـ ٥ ص ٢٢٠ .
(٣) زيادة يقتضيها التصريب . انظر ابن هشام جـ ٢ ص ٢٤ .
(٤) بياض فى (خ) والتكملة من (ط) .
(٥) بياض فى (خ) ، وما أثبتناه من (ط) ، وانظر (ابن هشام) جـ ٢ ص ٣٣ « رواية الحسن لحديث الإسراء » .
(٦) بياض فى (خ) وانظر (ابن هشام) جـ ٢ ص ٣٩ و (مسلم بشرح النووى) جـ ٢ ص ٢٣٨ .
(٧) (صحيح مسلم بشرح النووى) جـ ٢ ص ٢٠٩ باب الإسراء وفرض الصلوات .

ببيت المقدس ركعتين قبل أن يعرج إلى السماء ، فتبين أن الصلاة كانت مشروعة فى الجملة ، كما كان قيام الليل واجباً قبل الإسراء بلا خلاف . وفى رواية عن الزهرى كان بعد المبعث .

ومما يقوى قول الحربى أنه عين الليلة من الشهر من السنة ، فإذا تعارض خبران أحدهما فصَّل القصة والآخر أجملها ، ترجحت رواية من فصَّل بأنه أوعى لها .

وقال ابن إسحق : أسرى برسول الله ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل ؛ ويقال كان ليلة السبت لسبع عشر خلت من رمضان ، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ، وهو ﷺ نائم فى بيته ظهراً . وقيل كان ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة من شِعب أبى طالب ، وكانت سنه ﷺ حين الإسراء اثنتين وخمسين سنة (١) .

وقيـــل — وقد حكى عن حُذيفة وعائشة ومعاوية رضى الله عنهم — إن الإسراء كان بروحه ﷺ ، وقيل كان بجسده إلى بيت المقدس . ومن هناك إلى السموات بروحه . وقيل أسرى به وهو نائم فى الحجر ، وقيل كان فى بيت أم هانىء بنت أبى طالب ، وفرضت الصلوات الخمس ركعتين ركعتين ، وإنما كانت قبل الإسراء صلاة بالعشى ، ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشى ركعتين ركعتين .

فلم يُرعْ برسول الله ﷺ إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس من صبيحة ليلة الإسراء فصلى به الظهر ؛ ولهذا سميت الأولى . ثم صلى بقية الخمس فى أوقاتها فصارت بعد الإسراء خمساً ركعتين ركعتين حتى أتت أربعاً بعد الهجرة إلى المدينة بشهر . وقد اختلف أهل العلم هل رأى محمد ﷺ ربه ليلة الإسراء أم لا ؟ فلـــما أصبح ﷺ فى قومه بمكة أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته ، فاشتـــد تكذيبهم له وأذاهم إياه واستضرائهم عليه ، وارتدَّ جماعة ممن كان أسلم وسألوه أمارة ، فأخبرهم بقدوم عير يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب ، فدعا الله فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف ؛ قال ابن إسحق : ولم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم وليوشع بن نون .

عرض نفسه على القبائل

(ثم عرض) (٢) نفسه على القبائل أيام الموسم ودعاهم إلى الإسلام ، وهم : بنو عامر ، وغسَّان ، وبنو فَزارة ، وبنو مُرَّة ، وبنو حَنيفة ، وبنو سُليم ، وبنو عبس ، وبنو نصر ، وثعلبة بن عكابة ، وكندة ، وكلب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عذرة ، وقيس بن الخطيم (٣) ، وأبو الحيسر أنس بن أبى رافع (٤) . وقد اقتص الواقدى أخبار هذه القبائل قبيلةً قبيلةً . ويقال إنه ﷺ بدأ بكندة فدعاهم إلى الإسلام ، ثم أتى كلباً ، ثم بنى حنيفة ، ثم بنى عامر ، وجعل يقول : من رجلٌ يحملنى إلى قومه فيمنعنى حتى أبلغ رسالة ربى ، فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ رسالة ربى ؟ هذا ، وعمه أبو لهب وراءه يقول للناس : لاتسمعوا منه فإنه كذَّاب ! وكان أحياء العرب يتحامونه

(١) ذكر ابن الجوزى فى (صفة الصفوة) جـ ١ ص ١٠٨ : « فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسرى به » .
(٢) بياض فى (خ) ، والتكملة من ابن هشام جـ ٢ ص ٥٠ .
(٣) فى (خ) : الحطيم ، والتصويب من ابن سعد جـ ٨ ص ١٥٠ .
(٤) فى ابن هشام جـ ٢ ص ٥٤ : « أبو الحيسر أنس بن رافع » .

لما يسمعون من قريش فيه : إنه كاذب ، إنه ساحر ، إنه كاهن ، إنه شاعر ! ! أكاذيب يقترفونها حسداً من عند أنفسهم وبَغْياً ، فيصغى إليهم من لا تمييز له من أحياء العرب . وأما الألباء فإنهم إذا سمعوا كلامه ﷺ وتفهموه شهدوا بأن ما يقوله حق وصدق ، وأن قومه يفترون عليه الكذب ، فيسلمون .

أول أمر الأنصــــار

وكان مما صنع الله للأنصار ، وهم الأوس والخزرج أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم بنى قريظة والنضير — يهود المدينة — أن نبياً مبعوثٌ فى هذا الزمان ، ويتوعدون الأوس والخزرج به إذا حاربوا فيقولون : إنا سنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

وكانت الأنصار — وهم الأوس والخزرج — تحج البيت فيمن يحجه من العرب ، فلمــا رأوا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله رأوا أمارات الصدق عليه لائحــة ، فقالوا : والله هذا الذى توعَّدكم يهود به فلا يسبقنكم إليه .

سُوَيْد بن الصامت

وكان سويد بن الصامت (١) بن خالد بن عطية بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسى ، وهو ابن خالة عبد المطلب بن هاشم : أمه ليلى بنت عمرو من بنى عدىّ بن النجار ، وهى خالة عبد المطلب بن هاشم ، قد قدم مكة فدعاه رسول الله ﷺ وقرأ عليه القرآن ، فلم يبعد منه ولم يجب ، ثم قدم إلى المدينة فقتل فى بعض حروبهم يوم بعاث (٢) .

إسلام إياس بن معاذ

ثم قدم أبو الحَيْسر أنس ، وقيل بشر بن رافع مكةَ فى فتية من قومه بنى عبد الأشهل يطلبون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، فأتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام ، فقال منهم إياس بن معاذ — وكان شاباً حدثاً — ياقوم هذا والله خير مما جئنا له ، فضرب أبو الحيسر وجهه وانتهره فسكت . وقام رسول الله ﷺ وانصرف القوم إلى المدينة ولم يتمّ لهم حلف ، فمات إياس مسلماً فيما يقال (٣) .

أصحاب العقبة الأولى

ثم إن رسول الله ﷺ لقى عند العقبة من منًى فى الموسم ستة نفر ، كلهم من الخزرج ، وهم يحلقون

---

(١) فى ابن هشام ج ٢ س ٢ « ابن صامت » . وفى الإصابة ج ٥ ص ٤١ « ابن الصامت » وهو لم يُعدّ من الصحابة لأنه لم يلق النبى ﷺ مؤمناً .

(٢) فى (خ) « بُغاث » وهو تصحيف ، ويوم بُعاث : بين الأوس والخزرج فى الجاهلية (ابن سعد) ج ١ ص ٢١٩ .

(٣) فى (الاستيعاب) ج ١ ص ١٣٥ : « فأخبرنى من حضر عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه مات مسلما » (ابن هشام) ج ٢ ص ٤ .

رءوسهم ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال بعضهم لبعض : إنه النبى الذى توعدكم (١) به يهود فلا يسبقنكم إليه ، فاستجابوا لله ولرسوله وآمنوا وصدَّقوا . وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عُدَس بن عبيد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وعوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غَنْم (ويقال له عوف بن عفراء) ، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، وقطبة بن عامر بن حديدة (ويقال قطبة بن عمرو بن حديدة) بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سَلِمة بن الخزرج ، وعقبة بن عامر بن نابى (٢) ابن حرام ، وجابر بن عبد الله رياب (٣) بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدىّ بن غنم بن كعب بن سلمة ، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا مبادرةً إلى الخير .

إسلام الأنصار

ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة فذكروا لهم رسول الله ﷺ ، ودعوهم إلى الإسلام ففشا فيهم ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ .

أمر العقبة الثانية

فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار إثنا عشر — منهم تسعة من الخزرج ، وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف بن عفراء ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وقطبة بن عامر ، وعقبة بن عامر ، ومعاذ بن الحارث بن رفاعة (أخو عوف بن عفراء) وذكوان بن عبد القيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق ، وعبادة بن الصامت بن قيس ابن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، ويزيد بن ثعلبة بن خزمة ابن أصرم بن عمرو بن عمارة (ويقال يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة من بنى فراز (بن بلى) (٤) ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة وكنيته أبو عبد الرحمن — وثلاثة من الأوس وهم : أبو الهيثم مالك بن التيهان بن مالك بن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم (وكان يقال لأبى الهيثم ذو السيفين من أجل أنه كان يتقلد بسيفين فى الحرب) ، وعويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ، والبراء بن معرور (٥) بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة — فأسلموا .

بيعة العقبة الثانية

وقد كان معه ﷺ حينئذ أبو بكر وعلى رضى الله عنهما فبايعوه عند العقبة على الإسلام كبيعة النساء (٦) ، وذلك قبل أن يؤمر بالقتال فبعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف

---

(١) فى (خ) « يوعدكم » وما أثبتناه من (ابن هشام) ج ٢ ص ٥٥ .

(٢) فى « ابن نابى » والتصويب من (ط) وفى ابن هشام : « عقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام » ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) فى (خ) « رباب » وفى (ط) « رئاب » وما أثبتناه من (الاستيعاب) ج ٢ ص ١٠٨ .

(٤) فى (خ) ما بين القوسين « من بى » وفى (ط) « بن بلى » وما أثبتناه من (الاستيعاب) ج ١١ ص ٦٤ .

(٥) فى (خ) « بن مرو » وما أثبتناه من (ابن هشام) ج ٢ ص ٦١ .

(٦) بيعة النساء فى الآية ١٢ من سورة الممتحنة .

ابن عبد الدار بن قصى القرشى العبدرى (١) ، ويقال : وعبد الله بن أم مكتوم ، ليعلما من أسلم القرآن ويدعوا (٢) إلى الله .

إسلام بنى عبد الأشهل

فنزلا بالمدينة على أبى أمامة أسعد بن زرارة فخرج بهما إلى دار بنى ظفر ، واجتمع عليهما رجال من أسلم، فأتاهم أسيد بن حضير الكتائب بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، وسعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وهما سيدا بنى عبد الأشهل . فدعاهما مصعب إلى الإسلام فهداهما الله وأسلما ودعيا قومهما إلى الله ؛ فما أمسى فى دار عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وقد أسلموا — إلا الأصيرم عمرو بن ثابت بن وقش — فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد .

أول المهاجرين بالمدينة

ويقال أول من قدم من المهاجرين المدينة مصعب بن عمير، ثم أتى بعده عمرو بن أم مكتوم (٣) . ولم يزل مصعب ابن عمير يدعو إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها عدة مسلمون — إلا بنى أمية بن زيد (وخطمة) ووائل وواقف ، فإنهم تأخر إسلامهم .

أول من جمع بالمسلمين

وكان مصعب يؤم من أسلم ، وجمع بهم يوماً وهم أربعون نفساً فى هزم حرة نقيع الخضمات (٤) ، وبهذا جزم أبو محمد بن حزم .

وعند ابن إسحق أن أول من جمع بهم أسعد بن زرارة ، ثم عاد إلى مكة وأخبر رسول الله ﷺ بمن أسلم فسره ذلك .

بيعة العقبة الأخيرة

ثم كانت بيعة العقبة ثانياً وقد وافى الموسم خلق من الأنصار ما بين مشرك ومسلم ، وزعيمهم البراء بن معرور ، فتسلل منهم جماعة مستخفين لا يشعر بهم أحد ، واجتمعوا برسول الله ﷺ فى ذى الحجة وواعدوه

(١) فى (خ) « العبدى » وفى (الإصابة) ج ٩ ص ٢٠٨ ترجمة رقم ٧٩٩٦ « ابن قصى بن كلاب العبدرى » نسبة إلى عبد الدار .
(٢) فى (خ) « ليعلمان ، ويدعوان » وهو خطأ من الناسخ ، وما أثبتناه حق اللغة .
(٣) عبد الله بن أم مكتوم ، وعمرو بن أم مكتوم : اسمان لشخص واحد يقول ابن حجر فى «الإصابة» ج ٧ ص ٨٣ « وقال ابن سعد : أهل المدينة يقولون : اسمه عبد الله ، وأهل العراق يقولون : اسمه عمرو ، واتفقوا على نسبه » .
(٤) فى (خ) « بقيع الخضمات » ، والتصويب من (ابن هشام) ج ٢ ص ٥٨ .

أوسط أيام التشريق بالعقبة وهم ثلاثة وسبعون (١) رجلا وامرأتان هما : أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو (٢) وأسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى .

وجاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس ، وهو على دين قومه ، وأبو بكر وعلى رضى الله عنهما ؛ فأوقف العباس علياً على فم الشعب عيناً له ، وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عيناً له ، وتكلم العباس أولاً يتوثق لرسول الله ﷺ [فقال : يامعشر الخزرج ، إن محمداً منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ؛ وهو فى عز ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ؛ فإن كنتم ترون أنكم مسلوه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده . قالت الأنصار : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت . فتكلم رسول الله ﷺ فتلا] (٣) القرآن ورغبهم فى الإسلام ، وشرط عليهم أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم . فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله ﷺ وقال : والذى بعثك لنمنعك مما نمنع منه أزرنا (٤) ، فبايعنا يارسول الله ، فنحن والله أهل الحرب . فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال : يارسول الله إن بيننا وبين الناس حبالا وإنا قاطعوها ، فهل عسيت (٥) إن أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم ﷺ وقال : أنتم منى وأنا منكم ، أسالم من سالمتم ، وأحارب من حاربتم ، فى كلام آخر ، وتكلم العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ابن عمرو بن عوف بن الخزرج فأحسن ما شاء فى شد العقد لرسول الله ﷺ فقالوا : ابسط يدك . فبايعوه .

أول من بايع

وكان أولهم مبايعة أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وقيل أبو الهيثم بن التيهان ، وقيل البراء بن معرور ؛ وقيل إن العباس بن عبد المطلب هو الذى كان يأخذ عليهم البيعة . وكانت بيعتهم على أن يمنعوه ﷺ مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم (٦) .

أمر النقباء الإثنى عشر

وأقام ﷺ منهم إثنى عشر نقيباً هم : أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر (٧) ، (وعبد الله بن رواحة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج) (٨) ورافع بن مالك بن العجلان ، والبراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبه بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة (٩) (وهو والد جابر

(١) « وقال ابن اسحق : إنما شهدها سبعون رجلا وامرأتان » (تلقيح فهوم أهل الأثر) ص ٤٢٣ .
(٢) فى المرجع السابق « أم إبان نسيبة بنت كعب » وفى (خ) « نسيبة بنت عمرو بن كعب » ، وفى (ابن هشام) ج ٢ ص ٦٣ « أم عمارة » .
(٣) هذه التكملة ساقطة من (خ) وأكملناها من ابن هشام ج ٢ ص ٦٣ .
(٤) الأزر : جمع إزار وهو الثوب ، كناية عن النساء كالفراش ، وقد تكون كناية عن الأنفس .
(٥) يريدون بها الشك ، ورجاء أن لا يكون ذلك .
(٦) الأزر هنا : كناية عن الأنفس .
(٧) فى (خ) « الأعز » والتصويب من (ابن هشام) ج ٢ ص ٦٥ .
(٨) زيادة من المرجع السابق لتمام العدد وهو ساقط من (خ) .
(٩) فى (خ) « سليمة » ، والتصويب من المرجع السابق .

ثم هاجرت بعد سنة ؛ وقيل بل هاجر أبو سلمة رضى الله عنه قبل العقبة الأخيرة . وقيل أول من هاجر مصعب ابن عمير [١] ثم هاجر عمار بن ياسر ، وسعد بن أبى وقاص ، وابن مسعود ، وبلال ، ثم هاجر عمر بن الخطاب فى عشرين راكباً ، ثم تلاحق المسلمون بالمدينة يخرجون من مكة أرسالا [٢] حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ ، وأبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما — أقاما بأمره لهما — وإلا من اعتقله المشركون كرهاً .

إئتمار قريش به ﷺ وخروجه واستخلافه علياً

فحذرت قريش خروج رسول الله ﷺ واشتوروا بدار الندوة ، وكانوا خمسة عشر رجلا ، وقيل كانوا مائة رجل ، أيحبسوه فى الحديد ويغلقوا عليه باباً ؟ أو يخرجوه من مكة ؟ أو يقتلوه ؟ ثم اتفقوا على قتله . ويسمى اليوم الذى اجتمعوا فيه يوم الزحمة [٣] ، فأعلمه الله بذلك .

فلما كان العتمة اجتمعوا على باب رسول الله ﷺ يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه . فلما رآهم ﷺ أمر على بن أبى طالب رضى الله عنه أن ينام على فراشه ويتشح [٤] ببرده الحضرمى الأخضر ، وأن يؤدى عنه ما عنده من الودائع والأمانات ونحو ذلك .

فقام علىّ مقامه عليه السلام وغطى ببرد أخضر ، فكان أول من شرى نفسه [٥] وفيه نزلت : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » [٦] وخرج ﷺ وأخذ حفنة من تراب وجعله على رءوسهم وهو يتلو الآيات من : ويس والقرآن الحكيم ، إلى قوله : « فهم لا يبصرون » [٧] . فطمس الله تعالى أبصارهم فلم يروه ، وانصرف . وهم ينظرون علياً فيقولون : إن محمداً لنائم ، حتى أصبحوا ، فقام على من الفراش [٨] ، فعرفوه . وأنزل الله تعالى فى ذلك : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك » [٩] ، وسأل أولئك الرهط علياً رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ فقال : لا أدرى ، أمرتموه بالخروج فخرج ، فضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثم (دخلوا عليه) [١٠] فأدى أمانة رسول الله ﷺ .

هجرة الرسول وأبى بكر

ولما خرج ﷺ أتى أبا بكر فأعلمه أنه يريد الهجرة . وقد جاء أنه أتى أبا بكر بالهاجرة [١١] وأمره أن يخرج

---

(١) ذكره ابن الجوزى فى (تلقيح فهوم أهل الأثر) ص ٤٦٧ .
(٢) جمع رَسَل بفتحتين ، أى يتبع بعضهم بعضا .
(٣) راجع (عيون الأثر) ج ١ ص ١٧٧ ، أو التعليق رقم (٥) من ص ٤٤ من هذا الكتاب .
(٤) كذا فى (خ) والصواب : « يتسجى » أى يتغطى .
(٥) فى (خ) « بنفسه » ، وشرى نفسه أى باعها .
(٦) الآية ٢٠٧ / البقرة .
(٧) الآيات من ١ — ٩ / يس
(٨) فى (خ) عن الفرس .   (٩) الآية ٣٠ / الأنفال .
(١٠) كذا فى (خ) ولعلها « ثم خلوا عنه » .
(١١) الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٩٧٣ .

ابن عبد الله وقد أسلم ليلتئذ) ، وسعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبى سلمة (ويقال بن أبى حزيمة) بن ثعلبة ابن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود ابن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وعبادة بن الصامت ، فهؤلاء تسعة من الخزرج . ومن الأوس ثلاثة : أسيد بن الحضير ، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط [١] بن كعب ابن حارثة بن غنم بن السَّلم [٢] بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر [٣] بن زيد ابن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس (وهو أبو لبابة ، وقيل إسمه مبشر [٤] ابن عبد المنذر) ، ويقال بل الثالث من الأوس أبو الهيثم مالك بن التيهان [٥] ، وكانت هذه البيعة على حرب الأحمر والأسود [٦] ، فلما تمت بيعتهم استأذنوا رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل منى بأسيافهم فقال : لم تؤمر بذلك . فرجعوا وعادوا إلى المدينة .

بدء الهجرة إلى المدينة

واشتد الأذى على من بمكة من المسلمين فأذن لهم رسول الله ﷺ فى الهجرة إلى المدينة ، فبادروا إلى ذلك وتجهزوا إلى المدينة فى خفاء [٧] وستر وتسللوا ، (فيقال إنه كان بين أولهم وآخرهم أكثر من سنة) وجعلوا يترافدون [٨] بالمال والظهر ويترافقون . وكان من هاجر من قريش وحلفائهم (يستودع دوره وماله) [٩] رجلا من قومه ، فمنهم من حفظ من أودعه ، ومنهم من باع ؛ فممن حفظ وديعته [١٠] هشام بن الحارث بن حبيب ، فمدحه حسان .

أول من هاجر بعد العقبة الأخيرة

وخرج أول الناس أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم [١١] ، ومعه امرأته أم سلمة [١٢] هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فاحتبست دونه ومنعت من اللحاق به ،

---

(١) فى (خ) « ابن الحارث » والتصويب من المرجع السابق
(٢) فى (خ) « ابن أسلم » والتصويب من المرجع السابق .
(٣) فى (خ) « زنبرا » ، وفى (ط) « زَنْبَر » وفى المرجع السابق « زبير » وفى (الإصابة) ج ٣ ص ٢٨٢ يقول ابن حجر فى الترجمة رقم ١٩٠٢ : « رفاعة بن زنبر بزاى ونون وموحدة وزن جعفر . ذكره ابن ماكولا . وقال له صحبه . واستدركه ابن الأثير ، وأنا أظن أنه رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر » .
ويقول فى ج ٣ ص ٢٨٤ فى الترجمة رقم ١٩٥٨ « رفاعة بن عبد المنذر ، أحد ما قيل فى اسم لبابة » .
(٤) فى (خ) « بشر » ، وفى (ط) « بيهس » .
(٥) يقول ابن سعد فى (الطبقات) ج ١ ص ٢٢٠ : « ومن الأوس رجلان : أبو الهيثم بن التَّيِّهان من بلىّ حليفٌ فى بنى عبد الأشهل ، ومن بنى عمرو بن عوف عُويم بن ساعدة » .
(٦) فى المرجع السابق : « فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء » .
(٧) فى (خ) « خفى »   (٨) يترافدون : يتعاونون ، والظَّهر : ما يُركب .
(٩) ما بين القوسين زيادة يتم بها المعنى ، وفى (خ) مكان هذه الزيادة « دُوره » .
(١٠) فى (خ) « وداعته » .
(١١) « واسمه عبدالله » (ابن هشام) ج ٢ ص ٨٠ .
(١٢) ثم هى بعد ذلك أم المؤمنين زوج النبى ﷺ .

من عنده ، وأعلمه أن الله قد أذن له في الخروج ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : ألصحبة يارسول الله ؟ قال الصحبة ، فبكي من الفرح . فاستأجر عبد الله بن أريقط الليثي من بني الدُّئِل من بني عبد بن عديّ ، ليدلهما على الطريق . وخرجا من خَوْخة (١) في بيت أبي بكر ومضيا إلى غار بجبل ثور ، فلم يصعدا الغار حتى قطرت قدما رسول الله ﷺ دماً ، لم يتعود الحِفية ولا الرعية ولا الشقوة (٢) ، وعادت قدما أبي بكر كأنهما صفوان .

وعمّى الله على قريش خبرهما فلم يدروا أين ذهبا . وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يريح (٣) عليهما غنمه ، وكانت أسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنها تحمل لهما الزاد إلى الغار ، وكان عبد الله بن أبي بكر يتسمع لهما ما يقال عنهما بمكة ثم يأتيهما بذلك .

وجاءت قريش في طلبهما إلى ثور وماحوله ، ومرُّوا على باب الغار وحاذت أقدامهم رسولَ الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ، وقد نسج العنكبوت وعششت حمامتان على باب الغار ، وذلك تأويل قوله تعالى : « إلا تنصرُوه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنود لم تروها » (٤) .

وبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال : يارسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لرآنا . فقال له : يا أبابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟ .

وعمّى الله على قريش ، وقد قفا (٥) كرْز بن علقمة بن هلال بن جريبة (٦) بن عبد نُهم (٧) بن حُلَيل بن حُبَشِيّة أثر النبي ﷺ حتى انتهى إلى الغار فرأى عليه نسج العنكبوت فقال : ها هنا انقطع الأثر ، فلم يهتدوا إليهما ورجعوا فنادوا بأعلى مكة وأسفلها : من قتل محمداً وأبا بكر فله مائة من الإبل .

ويقال جعلوا لمن جاء بأحدهما أو قتله ديته ، فلما مضت ثلاث لرسول الله ﷺ وأبي بكر وهما في الغار أتاهما دليلهما وقد سكن الطلب عنهما ومعهما بعيراهما ، فأخذ رسول الله ﷺ أحدهما من أبي بكر رضي الله عنه بالثمن ، وقد كان أبو بكر قد أعدّهما قبل ذلك ، وأعد جهازه وجهاز رسول الله ﷺ منتظراً متى يأذن الله لرسوله في الخروج ، وعلف ناقتيه أربعة أشهر ؛ فركب ﷺ الجدعاء .

وروى في حديث مرسل أن النبي ﷺ قال : مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوماً مالنا طعام إلا البرير ، (يعنى الأراك) وخرجا من الغار سحر ليلة الإثنين لأربع خلون من ربيع الأول ، وقيل أول يوم منه ، وقيل كانت هجرته في صفر ، وسنه ﷺ ثلاث وخمسون سنة على الصحيح وقيل خمس وخمسون ، وقيل خمسون ؛ ومعهما سفرة أتت بها أسماء إبنة أبي بكر . وكان خروجه من الغار في الصبح ، فصلى عليه السلام بأصحابه جماعة ،

---

(١) باب صغير كالنافذة .

(٢) الحفية : المشي بغير نعل ، والرِّعية : أرض فيها حجارة ناتئة (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٣٥٦ .

(٣) يريح الإبل والغنم : يردها من المرعى إلى مراحلها حيث تأوى ليلاً .

(٤) الآية ٤٠ / التوبة (٥) قفا الأثر : تتبعه . (٦) في (خ) « حريثة » .

(٧) في (خ) « نهم » والتصويب من (ط) .

فكان ﷺ أول من (جمع بالمسلمين في صلاة الفجر) (١) وساروا وقد أردف أبو بكر رضي الله عنه عامر بن فُهيرة ، وسار عبد الله بن أريقط أمامهما على راحلته حتى قالوا يوم الثلاثاء بقديد ، وذلك بعد العقبة بشهرين وليال . وقال الحاكم (٢) بثلاثة أشهر أو قريباً منها ؛ وقال الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب (٣) أنه قال : كان بين ليلة العقبة وبين مهاجرة رسول الله ﷺ ثلاثة أشهر أو قريب منها . كانت بيعة الأنصار رسولَ الله ليلة العقبة في ذي الحجة ، وكان عمره لما هاجر ثلاث وخمسون سنة .

خبر سراقة

ولما مروا بحيّ مدلج بصر بهم سراقة بن مالك بن جُعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج (٤) ، فركب جواده ليأخذهم ، حتى إذا قرب من رسول الله ﷺ وسمع قراءته ساخت يدا فرسه في الأرض إلى بطنها ، وكانت أرضاً صلبة ، وثار من تحتها مثل الدخان . فقال : أدع لي يا محمد ليخلصني الله ، ولك علي أن أرد عنك الطلب فدعا له فتخلص فعاد يتبعهم ، فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه أشد من الأول . فقال : يا محمد قد علمت أن هذا من دعائك عليّ فادع لي ولك عهد الله أن أردّ عنك الطلب فدعا له فخلص ، وقرب من النبي ﷺ وقال : يارسول الله خذ سهماً من كنانتي فإن إبلي بمكان كذا فخذ منها ما أحببت . فقال : لا حاجة لي في إبلك . فلما أراد أن يعود عنه قال : كيف بك يا سراقة إذا سوّرت بسواري كسرى ! قال : كسرى بن هرمز ! قال : نعم . وسأل سراقة أن يكتب له رسول الله ﷺ كتاباً فكتب له أبو بكر رضي الله عنه ، ويقال بل كتب له عامر بن فهيرة ، في أديم (٥) ورجع يقول للناس : قد كفيتم ماها هنا ، ويرد عنهم الطلب .

إسلام بريدة وقومه

ولقى رسول الله ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلمي في ركب من قومه فيما بين مكة والمدينة وهم يريدون موقع

---

(١) بياض في (خ) وما أثبتناه من (ط) .

(٢) المستدرك للحاكم جـ ٢ ص ٦٢٥ .

(٣) هو : ابن شهاب الزهري : عالم الحجاز والشام مات سنة (١٢٣ هـ) (ط) ص ٤١ .

(٤) في الإصابة جـ ٤ ص ١٢٧ : ابن مدلج ، بن مرة ، بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجي : أسلم يوم الفتح ، ومات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وهو القائل مخاطباً لأبي جهل :

أبا حكمٍ والله لو كنت شاهداً   لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمُه

علمتَ ولم تشكُكْ بأن محمداً   رسولٌ ببرهانٍ فمن ذا يقاومُه

وذكر السهيلي في الروض الأنف جـ ٢ ص ٢٣٣ وابن كثير في البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٨٦ البيتين السابقين بالزيادة الآتية بعدهما :

عليك فكف القوم عنى فإنني   أخال لنا يوماً ستبدو معالمُه

بأمر تود النصر فيه فإنهم   وان جميع الناس طرا مسالمُه

وفي رواية أخرى :

عليك بكف القوم عنه فإنني   أرى أمره يوماً ستبدو معالمه

بأمر يود الناس فيه بأسرهم   بأن جميع الناس طراً يسالمه

وقد قال له رسول الله ﷺ : كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ قال : فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه : دعا سراقة فألبسه ، فقال سراقة : الحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز (من الإصابة بتصرف)

ونسبه في (خ) « ابن عمرو بن مالك بن تيم » والصواب ما أثبتناه من الإصابة .

(٥) الأديم : الجلد المدبوغ يكتب فيه .

سحابة (١) فأسلموا بعد مادعاهم إليـــه ، واعتذروا بقلة اللبن معهم وقالوا : مواشينا شُدَّص ، أي جافّة (٢) وجاءوه (٣) بلبن فشربه وأبو بكر ودعا لهم بالبركة .

خـــبر أم معبـــد

ولقى أيضاً أوس بن حُجر الأسلمى فحمله ﷺ على جمل وبعث معه غلاماً له يقال مسعود (بن هُنيدة) (٤) ليؤديه إلى المدينة . ومرّ رسول الله ﷺ بخيمتى أم معبد عاتكة بنت خالد بن خليف (٥) بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو وهو أبو خزاعة فقال (٦) عندها . وأراها الله تعالى من آيات نبوته فى الشاة — وحلبها لبناً كثيراً وهى حائل (٧) فى سنة مجدبة — مابهر عقلها . ويقال إنها ذبحت لهم شاة وطبختها فأكلوا منها ، وسفّرتهم منها بما وسعته سفرتهم (٨) وبقى عندها أكثر لحمها .

وقالت أم معبد : لقد بقيت الشاة التى مسح رسول الله ضرعها إلى عام الرمادة — وهى سنة ثمانى عشرة من الهجرة — وكنا نحلبها صبوحاً (٩) وغبوقاً ، ومافى الأرض قليل ولا كثير .

مَقدمهُ إلى المدينة

وكان المهاجرون قد استبطأوا قدوم رسول الله ﷺ ، وبلغ الأنصارَ مخرجه من مكة وقصده إياهم ؛ وكانوا كل يوم يخرجون إلى الحرة ينتظرونه فإذا اشتد الحر عليهم رجعوا ، فلما كان يوم الاثنين — الثانى عشر من ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من المبعث — وافى رسول الله ﷺ المدينة حين اشتد الضّحاء (١٠) ، ونزل إلى جانب الحرة وقد عاد المهاجرون والأنصار بعد ما انتظروه على عادتهم . فكان بين المبعث إلى أول يوم من المحرم الذى كانت الهجرة بعده اثنتا عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً ، وذلك ثلاث وخمسون سنة تامة من أول عام الفيل .

وقيل قدم ﷺ يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول ، وقيل خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة منه حين اشتد الضحاء ، وقيل دخل لهلال ربيع الأول ، وقيل يوم الاثنين

---

(١) فى (خ) « طالية » . (٢) فى (خ) « حانة » : (٣) فى (خ) « وجاءه أبو بكر بلبن » وهو فاسد

(٤) زيادة من (ابن هشام) ج ٢ ص ٩٨ .

(٥) فى (خ) « خنيف » ، وذكر ابن حجر فى ترجمة أخيها « حبيش » رقم ١٦٠٣ ج ٢ ص ٢١٠ « ابن خالد بن سعد منقذ ابن ربيعة » .

(٦) من القيلولة ، وهى النوم نصف النهار .

(٧) فى (خ) « حامل » وهو خطأ ، والحائل التى لم تحمل سنتين جف لبنها

(٨) السُّفْرَة : طعام يصنع للمسافر وما يُحمل فيه هذا الطعام (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٣٣ .

(٩) الصَّبوح : شراب الصباح (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٠٥ .

والغبوق : ما يشرب بالعشى وما يحلب بالعشى (المرجع السابق) ج ٢ ص ٦٤٣ .

(١٠) الضحاء : يرتفع النهار ويشتد وقد الشمس .

لليلتين خلتا منه ، وقال ابن شهاب النصف منه ، وذلك سنة أربع وخمسين من عام الفيل ، وهواليوم العشرون من أيلول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة الاسكندر الأكبر (وهو الرابع من تيرماه) (١) .

عمره يوم بعثه وهجرته

وقيل أقام ﷺ بمكة بعد المبعث عشر سنين ، منها خمس سنين يخفى ماجاء به ، وخمس سنين يعلن بالدعاء إلى الله تعالى . وقيل بعث وله خمس وأربعون سنة فأقام بمكة عشراً وبالمدينة ثمانياً ، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين ، وهذا قول شاذ . ولم يختلفوا أنه بعث على رأس أربعين سنة من عمره ، وأنه أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين ، وإنما اختلفوا فى إقامته بمكة بعدما أوحى إليه ، وأصح ذلك مارواه سعيد بن جبير ، وعكرمة ، وعمرو ابن دينار ، وأبو جمرة نصر بن عمران الضبعى ، عن ابن عبـــاس أنه قال : مكث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة (٢) ، ووافق ذلك مارواه على بن الحسين عن أبيه عن علىّ مثل ذلك ؛ فإن أصح ماقيل أنه توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة .

أول من رآه من أهل المدينة

وكان أول من بُصر برسول الله ﷺ رجل من يهود كان على سطح أطم (٣) له فنادى بأعلى صوته : يا بنى قيلة (٤) ، هذا جدكم الذى تنتظرون . فخرج الأنصـــار بالمهاجرين فى سلاحهم فلقوه وهو مع أبى بكر فى ظل نخلة وحيّوا رسول الله ﷺ بتحية النبوة وقالوا : اركبا آمنين . فركب رسول الله ﷺ (٥) وأبو بكر رضى الله عنه وحفوا حولها بالسلاح ، فقيل فى المدينة . جاء نبّى الله فاستشرفوا (٦) نبى الله ﷺ ينظرون إليه ؛ وأقبل يسير حتى نزل على أبى القيس (كلثوم) بن الهدم بن امرىء القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصارى ، وقيل بل نزل على سعد بن خيثمة ، والأول أثبت (٧) .

فجاء المسلمون يسلمون عليه وأكثرهم لم يره بعد ، فكان بعضهم يظنه أبا بكر . حتى قام أبو بكر رضى الله عنه حين اشتد الحر يظلل على رسول الله ﷺ بثوب ، فتحقق الناس حينئذ رسول الله ﷺ .

إقامته بقباء

وأقام فى بنى عمرو بن عوف الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم خرج يوم الجمعـــة ، ويقال بل أقام

---

(١) كذا فى (خ) ولم أجدها فيما عندى من مراجع

(٢) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٨٧ . (٣) الأُطم : الحصن أو البيت المرتفع .

(٤) بنو قيلة ، هم الأنصار ، وقيلة : جدة لهم

(٥) فى (خ) « فركب رسول الله ﷺ بتحية النبوة وأبو بكر » وهو خطأ من الناسخ .

(٦) الاستشراف : الخروج للقاء .

(٧) فى (البداية والنهاية) ج ٣ ص ١٩٧ : « إنما كان رسول ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس فى بيت سعيد بن خيثمة » .

(بقباء) (١) فى بنى عمرو بن عوف ثلاثاً وعشرين ليلة ، ويقال بل أقام بقباء أربع عشرة ليلة ، ويقال خمساً، ويقال أربعاً ويقال ثلاثاً فيما ذكر الدولابى .

إسلام عبد الله بن سلام ومخيريق

وأسس حينئذ مسجد قباء ، وأتاه عبد الله بن سلام فأسلم (ثم أسلم) (٢) مخيريق اليهودى (٣) .

خبر ناقة رسول الله

وركب بأمر الله تعالى وسار على ناقته والناس معه عن يمينه وشماله قد حشدوا ولبسوا السلاح ، وذلك ارتفاع النهار من يوم الجمعة ، فجعل كلما مر بقوم من الأنصار قالوا : هلم يارسول الله إلى القوة والمنعة والثروة ، فيقول لهم خيراً ، ويقول : دعوها فإنها مأمورة ، وفى رواية ، إنها مأمورة ، خلوا سبيلها فلما أتى مسجد بنى سالم جمع بمن كان معه من المسلمين وهم إذ ذاك مائة ، وقيل كانوا أربعين ، وخطبهم ، وهى أول جمعة أقامها ﷺ فى الإسلام .

أول خطبة للرسول بالمدينة

وكانت أول خطبة خطبها أنه قام فيهم فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن (٤) أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه — ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وآتيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن (٥) يميناً وشمالا فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشقة من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته .

منزله على أبى أيوب الأنصارى

ثم ركب ناقته فلم تزل سائرة به ، وقد أرخى زمامها ، حتى جاءت دار بنى النجار — موضع مسجده الآن — فبركت ثم نهضت وسارت قليلا ثم التفتت ورجعت فبركت فى موضعها الأول .

وقيل إن جبار بن صخر من بنى سلمة — وكان من صالحى المسلمين — جعل ينخسها لتقوم منافسة لبنى النجار أن ينزل رسول الله ﷺ عندهم فلم تقم ، فنزل ﷺ عنها وحمل أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن

(١) بياض فى (خ) . (٢) زيادة للسياق .

(٣) فى عيون الأثر ج ١ ص ٢٠٨ : « قال ابن اسحق : وكان حبراً عالماً غنياً كثير الاموال من وكان يعرف صفة رسول الله ﷺ بصفته وما يجد من علمه » .

وفى المرجع السابق « وقال الواقدى : كان مخيريق أحد بنى النضير ، حبراً عالماً فآمن برسول الله ﷺ وجعل ماله له وهو سبعة حوائط » أى بساتين .

(٤) يعنى يخر ميتا أو كالميت . (٥) فى (خ) فلينظر . والتصويب من (ابن هشام) ج ٢ ص ١٠٠ .

عبد عوف (١) بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارى رحل رسول الله ﷺ إلى منزله ، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلة رسول الله ﷺ فكانت عنده .

أول ما أهدى إليه

وأول هدية أتته قصعة مثرودة خبزاً وسمناً ولبناً جاءه بها زيد بن ثابت من عند أمه ، فأكل وأصحابه . ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة وفيها عُراق (٢) لحم . فأقام فى بيت أبى أيوب سبعة أشهر ، وما كانت تخطئه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة كل ليلة ، وجعل بنو النجار يتناوبون حمل الطعام إليه (٣) مقامه فى منزل أبى أيوب ، وبعثت إليه أم زيد بن ثابت بثردة مروّاه سمناً ولبناً ، ونزل أسامة بن زيد مع رسول الله ﷺ فى دار أبى أيوب .

مسجده وحُجره

واشترى ﷺ موضع مسجده وكان مربداً (٤) لسهل وسهيل ابنى عمرو — وكانا يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة — بعشرة دنانير وفى الصحيح أن بنى النجار بذلوه لله تعالى فبناه مسجده المعروف الآن بالمدينة . وبنى الحجر لأزواجه بجانب المسجد وجعلها تسعاً : بعضها مبنى بحجارة قد رصّت ، وسقفها من جريد مطين بطين ، ولكل بيت حجرة ، وكانت حجرته ﷺ أكسية من شعر مربوطة فى خشب من عَرعَر (٥) .

منزل أبى بكر

ونزل أبو بكر رضى الله عنه بالسُّنح على خبيب بن إساف (ويقال يساف) بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج (بن الأوس) (٦) الأنصارى ، وقيل على خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر .

مقدم علىّ ومنزله

وقدم على رضى الله عنه من مكة للنصف من ربيع الأول ورسول الله بقباء لم يرم (٧) بعد وقدم معه صهيب . وذلك بعد ما أدى علىّ عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده ، وبعد ما كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت (٨) قدماه ، فاعتنقه النبى ﷺ وبكى رحمة لما بقدميه من الورم ، وتفل فى يديه وأمرها على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك حتى قتل رضى الله عنه .

(١) فى (خ) : « عبد مناف » ، وما أثبتناه من (ط) .

(٢) العراق : عظام عليها لحوم رقيقة طيبة . (٣) فى (خ) عليه .

(٤) كل مكان أو فناء تحبس فيه الإبل يسمى (مربدا) .

(٥) العرعر : جلس أشجار وجنبات من الصنوبريات (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٥٩٥ .

(٦) زيادة للايضاح لأنه من الأوس لا من الخزرج .

(٧) من رام يريم : برح وفارق ، وأكثر ما يستعمل منفيا .

(٨) انشقت .

ونزل على كلثوم بن الهدم ، وقيل على امرأة ، والراجح أنه نزل مع النبي ﷺ .

منزل عثمان

ونزل عثمان بن عفان برقية إبنة رسول الله ﷺ فى منزل سعد بن خيثمة ، وكان ﷺ يأتيهم هنالك .

بعثة زيد بن حارثة إلى مكة

وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ، ودفع إليهما بعيرين وخمسمائة درهم أخذها من أبى بكر يشتريان بها مايحتاجان إليه .

وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط الديلى ببعيرين أو ثلاثة ، وكتب إلى عبد الله بن أبى بكر أن يحمل أهله : أم رومان ، وعائشة ، وأسماء . فاشترى زيد بالخمسمائة ثلاثة أبعرة بقديد [١] ، وقدم مكة فإذا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة ، فقدما المدينة على رسول الله ﷺ بابنتيه : فاطمة ، وأم كلثوم ، وبزوجته سودة بنت زمعة ، وبأسامة بن زيد ، وأمه أم أيمن رضى الله عنهم .

وكانت رقية إبنة رسول الله ﷺ قد (هاجر) [٢] بها عثمان رضى الله عنها قبل ذلك . وحبس أبو العاصى زوجته زينب بنت رسول الله ﷺ . وخرج مع زيد وأبى رافع عبد الله بن أبى بكر بعيال أبى بكر رضى الله عنه .

موادعة يهود

ووادع [٣] رسول الله ﷺ من بالمدينة من يهود ، وكتب بذلك كتاباً وأسلم حبرهم عبد الله بن سلام ابن الحارث ، وكفر عامتهم وهم ثلاث فرق : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار — وقد أتت لهجرته ثمانية أشهر — فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء فى ابتداء الإسلام إرثاً مقدّماً على القرابة . وكان الذين آخى بينهم تسعين رجلاً : خمسة وأربعين من المهاجرين ، وخمسة وأربعين من الأنصار ، ويقال خمسين من هؤلاء وخمسين من هؤلاء ، ويقال إنه لم يبق من المهاجرين أحد إلا آخى بينه وبين أنصارى .

وقال ابن الجوزى : « وقد أحصيت جملة من آخى النبي بينهم ، فكانوا مائة وستة وثمانين رجلا » ذكرهم فى كتاب التلقيح [٤] ، وكانت المؤاخاة بعد مقدمه بخمسة أشهر وقيل بثمانية أشهر .

---

(١) قديد : موضع قرب مكة (معجم البلدان) ج٤ ص ٣١٣ .
(٢) مطموسة فى (خ) .
(٣) فى (خ) : « وأودع » .
(٤) فى (خ) : التلقيح ، واسمه « تلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير » أو « تلقيح فهوم أهل الآثار فى مختصر التاريخ والأخبار » .

نسخ توارث المؤاخاة وفرض الزكاة

ثم نسخ التوارث بالمؤاخاة بعد بدر . ونزل تمام الصلاة أربعاً بعد شهر من مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فتمت صلاة المقيم أربعاً بعد ما كانت ركعتين ، وأقرت صلاة المسافر ركعتين ، وفرضت الزكاة أيضاً — رفقاً بالمهاجرين رضى الله عنهم — فى هذا التاريخ كما ذكره أبو محمد بن حزم ، وقال بعضهم إنه أعياه فرض الزكاة متى كان .

تحوله من بيت أبى أيوب إلى حجره

وتحول ﷺ من منزل أبى أيوب رضى الله عنه إلى حُجره لما فرغت ، بعد إقامته عنده سبعة أشهر ، وخط لأصحابه فى كل أرض ليست لأحد ، وفيما وهبت له الأنصار من خططها ، وأقام قوم من المسلمين — لم يمكنهم البناء — بقباء على من [١] نزلوا عنده .

زواجه عائشة

وبنى بعائشة رضى الله عنها بعد مقدمه بتسعة أشهر ، وقيل بثمانية أشهر وقيل بثمانية عشر شهراً فى يوم الأربعاء من شوال ، وقيل فى ذى القعدة ، بالسنح فى بيت أبى (بكر) [٢] .

الأذان للصلوات وتمام الصلاة

وأرى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه (الأذان للصلوات) [٢] ، وقيل كان ذلك فى السنة الثانية .

وبعد شهر من مقدمه المدينة زيد فى صلاة الحضر لاثنتى عشرة خلت من ربيع ، قال الدولابى يوم الثلاثاء ، وقال السهيلى بعد الهجرة بعام أو نحوه .

فرض القتال

ولما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة بين أظهر الأنصار رضى الله عنهم وتكفلوا بنصره ومنعه من الأسود والأحمر ، رمتهم العرب قاطبة عن قوس واحدة وتعرضوا لهم من كل جانب .

وكان الله عز وجل قد أذن للمسلمين فى الجهاد بقوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » [٣] ، فلما صاروا إلى المدينة ، وكانت لهم شوكة وعضد ، كتب الله عليهم الجهاد بقوله سبحانه « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون » [٤] .

---

(١) فى (خ) « ما » .
(٢) ساقطة من (خ) .
(٣) الآية ٣٩ / الحج .
(٤) الآية ٢١٦ / البقرة ، وفى (خ) : إلى قوله تعالى : « خير لكم » .

أول لواء عقد بعد فرض القتال

وكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ — على رأس سبعة أشهر من مقدمه إلى المدينة — لعمه حمزة بن عبد المطلب على ثلاثين راكباً، شطرين: خمسة عشر من المهاجرين، وخمسة عشر من الأنصار، إلى ساحل البحر من ناحية العيص (١) (وقيل لم يبعث ﷺ أحداً من الأنصار حتى غزا بنفسه إلى بدر، وذلك أنه ظن أنهم لن ينصروه إلا فى الدار، وهو الثَّبْت) (٢).

سرية حمزة إلى سيف البحر

فبلغوا سيف البحر يعترضون عيراً لقريش قد جاءت من الشام تريد مكة، فيها أبو جهل فى ثلاثمائة راكب. فالتقوا واصطفوا للقتال، فمشى بينهم مجدى بن عمرو (الجهنى) (٣) حتى انصرف الفريقان بغير قتال، وعاد حمزة رضى الله عنه بمن معه إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بما حجز بينهم مجدى، وأنهم رأوا منه نصفة (٤). (وقدم رهط مجدى على النبى ﷺ فكساهم وذكر مجدى بن عمرو فقال: إنه — ماعلمت — ميمون النقيبة مبارك الأمر، أو قال رشيد الأمر).

وكان لواء حمزة أبيض، يحمله أبو مرثد كَنَّاز (٥) بن حصين، ويقال ابن حصن بن يربوع بن عمرو ابن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف الغنوى.

سرية عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ

ثم عقد لواء أبيض لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف (٦) وبعثه، وهو أسفل ثنية المرة (٧)، على رأس ثمانية أشهر فى شوال، فحمل اللواء مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، فخرج فى ستين راكباً من قريش كلهم من المهاجرين، فلقى مكرز بن حفص، وقيل عكرمة بن أبى جهل، وقيل أبا سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على ماء يقال له أحياء من بطن رابغ، وأبو سفيان فى مائتين.

أول من رمى فى الإسلام بسهم

وكان أول من رمى فى الإسلام بسهم سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه (٨): نثر كنانته وتقدم أمام أصحابه وقد تر سوا عنه فرمى بما فى كنانته، وكان فيها عشرون سهماً، مامنها سهم إلا ويجرح إنساناً أو دابة، ولم يكن بينهم

(١) موضع فى بلاد بنى سُليم به ماء ويقال له ذنبان العيص (معجم البلدان) ج ٤ ص ١٧٣.
(٢) الثَّبْت: الصحيح. (٣) زيادة للإيضاح من (ط).
(٤) إنصافاً. (٥) فى (خ) (كناد) وفى (ط) (كناز) وفى (تلقيح الفهوم) ص ٤٨ «وحامله أبو مرثد كنّاز بن الحصين الغنوى حليف حمزة بن عبد المطلب».
(٦) فى (خ) «عبد مناف» مكررة مرتين وهو خطأ من الناسخ.
(٧) «الثنية فى الأصل كل عقبة فى الجبل مسلوكة» وثنية المرة بأسفلها ماء الحجاز (معجم البلدان) ج ٢ ص ٨٥.
(٨) (تلقيح الفهوم) ص ٤٦٥.

يومئذ إلا هذا، لم يسلوا سيفاً، ثم انصرف كل منهما، وفر يومئذ من الكفار إلى المسلمين: المقداد بن الأسود الكندى، وعتبة بن غزوان. وقيل إن لواء عبيدة (١) هذا هو أول لواء عقده رسول الله ﷺ.

سرية سعد بن أبى وقاص إلى الخرار

[ثم عقد] (٢) صلى الله عليه وسلم لواء لسعد بن أبى وقاص إلى الخرار (٣) حمله أبو معبد المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد البهرانى (٤) [وهو المقداد بن الأسود، نسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف لأنه كان تبناه] فخرج فى ذى القعدة على رأس تسعة أشهر فى عشرين أو أحد وعشرين رجلا من المهاجرين على أقدامهم، وقيل بل كانوا ثمانية، فكانوا يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى صبحوا صبح خمس الخرار (٥) من الجحفة قريباً من خُم، يريدون عير قريش ففاتهم.

وقد جعل الواقدى هذه السرايا جميعها فى السنة الأولى من الهجرة، وجعلها محمد بن إسحق فى السنة الثانية، وجعل غزوة ودان بعد سرية سعد بن أبى وقاص.

غزوة رسول الله: ودان — الأبواء

ثم غزا رسول الله ﷺ [ودان] (٦) وهو جبـل بين مكة والمدينة، بينه وبين الأبواء ستة أميال، خرج فى صفر على رأس أحد عشر شهراً يعترض عيراً لقريش، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة رضى الله عنه، فبلغ الأبواء فلم يلق كيداً فوادع بنى ضمرة [بن بكر] (٧) بن عبد مناة بن كنانة مع سيدهم مخشى (٨) بن عمرو — على ألا يكثروا عليه ولا يعينوا عليه أحداً، وكتب بينه وبينهم (٩) كتاباً ورجع، فكانت غيبته خمس عشرة ليلة. ويقال لهذه أيضاً غزاة الأبواء، وهى أول غزاة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه. وكان لواء رسول الله ﷺ فى هذه الغزاة أبيض يحمله حمزة رضى الله عنه.

زواج على فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وفى صفر هذا زوج رسول الله ﷺ ابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه بابنتـه فاطمة عليها السلام.

(١) فى (خ) «أبى عبيدة». (٢) بياض فى (خ).
(٣) فى «خ» الخرا، وفى (معجم البلدان) ج ٢ ص ٣٥٠: «الخَرَّار: موضع بالحجاز يقال هو قرب الجحفة، وقيل واد من أودية المدينة، وقيل ماء بالمدينة، وقيل موضع بخيبر».
(٤) نسبة إلى البهراء من غير قياس (هامش ط) ص ٥٣.
(٥) فى (خ) «الخزار» وخُم واد بين مكة والمدينة عند الجحفة (معجم البلدان) ج ٢ ص ٣٨٩.
(٦) بياض فى (خ). (٧) زيادة من (ابن هشام) ج ٢ ص ١٧٠.
(٨) فى (خ) «مجدى» والتصويب من المرجع السابق.
(٩) فى (خ) «وبينه» ص ٤٩.

غزوة بواط

ثم كانت غزوة بواط من ناحية رضوى فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً [من مهاجره] (١) ، خرج ﷺ يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير . وخرج معه ﷺ مائتان من أصحابه وحمل لواءه سعد بن أبى وقاص ، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ ، وقيل السائب بن عثمان ابن مظعون ، ورجع ولم يلق كيداً .

غزوة سفوان ، وهى بدر الأولى

ثم خرج ﷺ فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً [من مهاجرة] (٢) فى طلب كرز بن جابر الفهرى — وقد أغار على سرح المدينة ، وكان يرعى بالجماء ونواحيها — حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر ولم يدركه ، وهى بدر الأولى . وكان يحمل اللواء على رضى الله عنه ، وخلفه على المدينة زيد بن حارثة ، ويقال كانت سفوان بعد العشيرة بنحو عشر ليال .

غزوة العشيرة

[ثم غزا غزوة] (٢) العُشَيْرة (٣) فى جمادى الآخرة ، ويقال جمادى الأولى على رأس ستة عشر شهراً [من مهاجره] (٤) خرج ﷺ يعترض عيراً لقريش حين أبدأت (٥) إلى الشام ، ومعه خمسون ومائة رجل ، ويقال خرج معه مائتا رجل ، يتعقبون ثلاثين بعيراً واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وحمل اللواء حمزة . وكان قد جاءه ﷺ الخــبر بفصول (٦) العير من مكة تريد الشام ، قد جمعت قريش أموالها فى تلك العير . فبلغ ﷺ ذا العشيرة (٧) ببطن ينبع ، فأقام بقية الشهر وليالى ما بعده ، وصالح بنى مدلج وحلفاءهم بنى ضمرة ورجع ولم يلق كيداً . وهذه هى العير التى خرج فى طلبها ﷺ لما عادت وكانت وقعة بدر .

تكنية على بن أبى طالب أباتراب

وفى هذه السفرة كنى رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه أبا تراب ، فى قول بعضهم ، وقد مر به نائماً تسفى عليه الريح التراب فقال : قم يا أباتراب ، ألا أخبرك بأشقى الناس أجمعين ، عاقر الناقة ، والذى

(١) ساقطة من (خ) والتصويب من (تلقيح الفهوم) ص ٤٩ .

(٢) بياض فى (خ) . (٣) كذا فى (خ) ، وفى (المغازى) جـ ١ ص ١٢ « ذى العُشَيْرة » ، وفى (التلقيح) ص ٥٠ « ذات العشيرة » « ويقال بالسين » .

وفى « ابن هشام » : جـ ٢ ص ١٧٦ « ويقال فيها أيضا العسيرة والعسيراء ، وفى البخارى أن قتادة سئل عنها فقال : « العشيرة » . والعشيرة « من ناحية ينبع بين مكة والمدينة » معجم البلدان جـ ٤ ص ١٢٧ .

(٤) زيادة للايضاح .

(٥) فى (خ) « أبدت » والصواب « أبدأت » يعنى خرجت من أرض الى غيرها .

(٦) الفصول : مصدر فَصَـلَ بمعنى خرج ، قال تعالى : « ولما فصلت العير » ٩٤ / يوسف .

(٧) فى (خ) « العشيراء » .

يضربك على هذا فيخضب هذه ! [يعنى على رأسك فيخضب لحيتك بدمك] وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ وجده فى المسجد نائماً وقد ترب جنبه فجعل يمسح (١) التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب (٢)

سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة

ثم كانت سرية أميرها عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدى إلى بطن نخلة [وهو بستان ابن عامر الذى يقرب مكة] (٢) فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً ، دعاه ﷺ حين صلى العشاء فقال : واف مع الصبح معك سلاحك أبعثك وجهاً ، قال : فوافيت الصبح وعلىّ سيفى وقوسى وجعبتى ومعى درقتى ، فصلى النبى ﷺ بالناس الصبح ثم انصرف ، فيجدنى قد سبقت واقفاً عند بابه ، وأجد نفراً من قريش . فدعا رسول الله ﷺ أبى بن كعب فدخل عليه فأمره فكتب كتاباً (٤) ، ثم دعانى فأعطانى صحيفة من أديم خولانى (٥) فقال . قد استعملتك على هؤلاء النفر ، فامض ، حتى إذا سرت ليلتين فانشر كتابى ثم امض لما أنت فيه (٦) ، قلت : يارسول الله أى ناحية ؟ قال : اسلك النجدية تؤم (٧) ركية (٨) فانطلق عبد الله فى ثمانية — وقيل اثنى عشر من المهاجرين — كل اثنين يتعاقبان بعيراً ، حتى إذا كان ببئر ابن ضميرة نشر الكتاب فإذا فيه : سر حتى تأتى بطن نخلة على اسم الله وبركاته ، ولاتكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك ، وامض لأمرى فيمن تبعك حتى تأتى بطن نخلة على اسم الله وبركاته : فترصد بها عير قريش . فلما قرأه عليهم قالوا أجمعين نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك ، فسر على بركة الله . فسار حتى جاء نخلة فوجد عيراً لقريش فيها عمرو بن الحضرمى خارجاً نحو العراق ، والحكم بن كيسان المخزومى ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومى ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى ، فهابهم أصحاب العير ، وأنكروا أمرهم فحلق عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدى [حلقة عامر بن ربيعة] ثم وافى ليطمئن القوم . فقال المشركون : لابأس ! قوم عُمّار (٩) ، فأمنوا وقيدوا ركابهم وسرحوها ، وتشاور المسلمون فى أمرهم — وكان آخر يوم من رجب ويقال أول يوم من شعبان (١٠) فقالوا : إن تأخرتم عن هذا اليوم دخلوا الحرم (١١) فامتنعوا ،

(١) فى (خ) « نحت » .

(٢) « قال ابن اسحق : وقد حدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ إنما سمى علياً أبا تراب : أنه كان إذا عتب على فاطمة فى شىء لم يكلمها ولم يقل لها شيء تكرهه ، إلا أنه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه » (ابن هشام) جـ ٢ ص ١٧٨ .

(٣) (معجم البلدان) جـ ٥ ص ٢٧٨ .

(٤) (المغازى) جـ ١ ص ١٣ « فأمره ﷺ وكتب كتابا » .

(٥) « خولان : من مخاليف اليمن » ، « وقرية قرب دمشق » ، فلعل الأديم منسوب إلى أحدهما (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٤٠٧ .

(٦) (المغازى) جـ ١ ص ١٣ « ثم امض لما فيه » .

(٧) تؤم : تقصد .

(٨) فى (خ) « ركيه » ، وفى المغازى « ركية » ، وركبة : بين مكة والطائف « معجم البلدان » جـ ٣ ص ٦٣ .

(٩) عُمّار : معتمرون يريدون أداء العمرة .

(١٠) فى (الكامل) جـ ٢ ص ١١٤ « آخر يوم من رجب » وفى (المغازى) جـ ١ ص ١٤ « وكان آخر يوم من رجب ويقال آخر يوم من شعبان » وفى (ابن سعد) جـ ٢ ص ١٠ « وشكوا فى ذلك اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا ؟ » وفى (ابن هشام) جـ ٢ ص ١٢٩ « وذلك فى آخر يوم من رجب » .

(١١) أى الأشهر الحرم .

وإن أصبتموهم في الشهر الحرام . فغاب على الأمر الذين يريدون عرض الدنيا وقاتلوهم . فرمى واقد (١) بن عبد الله [بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم التميمي اليربوعي الحنظلي] عمرو بن الحضرمي فقتله . وشد القوم عليهم ، فأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، وحكم بن كيسان — وكان الذي أسر الحكم بن قيسان المقداد بن عمرو ، فدعاه رسول الله إلى الإسلام فأسلم وقتل ببئر معونة شهيداً . وأعجزهم نوفل بن عبد الله بن المغيرة — واستاقوا العير — وكانت محملة خمراً وأدماً وزبيباً — حتى قدموا على النبي ﷺ . فقال قريش : قد استحل محمد الشهر الحرام . فأوقف النبي ﷺ العير فلم يأخذ منها شيئاً ، وحبس الأسيرين وقال لأصحابه : ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ، فسُقِطَ (٢) في أيديهم وظنوا أن قد هلكوا .

وبعث قريش إلى النبي ﷺ في فداء أصحابهم فقال : ان نفديهما حتى يقدم صاحبانا ، يعني سعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب (٣) بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف [بن الحارث] بن مازن المازني ، وكانا زميلين ، فضل ببجران (٤) (وهي ناحية معدن بني (٥) سليم) بعيرهما ، فأقاما يومين يبغيانه فلم يشهدا نخلة .

ثم قدما المدينة ففادى رسول الله ﷺ حينئذ الأسيرين بأربعين أوقية لكل واحد ، وكان عبد الله بن جحش قد قسم في رجوعه من نخلة أربعة أخماس ما غنم بين أصحابه وعزل الخمس لرسول الله ﷺ .

أول خمس وأول غنيمة وأول قتيل وأول أسير

فكان أول خمس خمس في الإسلام ، وأول غنيمة ، وأول قتيل ، وأول أسير كان في الإسلام ويقال إن رسول الله ﷺ وقف غنائم أهل نخلة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم أهل بدر ، وأعطى كل قوم حقهم (٦) .

وفي هذه الغزاة نزل قول الله تعالى : «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (٧) .

ويقال ودى (٨) رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمي ، والصحيح أنه لم يده .

أول من سمي أمير المؤمنين في الإسلام

وفي هذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين .

---

(١) في (خ) « وافد » .
(٢) « سُقِطَ في أيديهم » : ندموا على ما فعلوا « انظر الآية ١٤٩ / الأعراف » .
(٣) في (خ) « لسيب » . (٤) في (خ) « بحران » . (٥) في (خ) « ابن سليم » .
(٦) (ابن سعد) ج ٢ ص ١١ . (٧) الآية ٢١٧ / البقرة ، وفي (خ) إلى قوله تعالى : « قتال فيه كبير » .
(٨) وديه : أعطى ديته لوليه (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ١٠٢٢ .

وذكر أبو بكر بن شيبة في مصنفه : حدثنا أبو أمامة ، عن مجالد ، عن زياد بن علاقة (١) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءت جهينة فقالت . إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأمنك (٢) وتأمننا ، فأوثق لهم ولم يسلموا (٣) فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب — ولا نكون مائة — وأمرنا أن نغير على حي من كنانة إلى جنب جهينة . قال : فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة [فمنعونا] (٤) وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام ، فقال بعضنا لبعض : ماترون ؟ فقالوا : نأتي رسول الله فنخبره ، وقال بعضنا : لا بل نقيم هاهنا ، وقلت أنا ، في أناس معي : لا بل نأتي عير قريش هذه فنصيبها (٥) ، فانطلقنا إلى العير — [وكان الفيء إذ ذاك . من أخذ شيئاً فهو له — فانطلقنا إلى العير] (٦) وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فأخبروه الخبر ، فقام غضبان محمراً وجهه فقال : أذهبتم (٧) من عندي جميعاً وجئتم متفرقين ! إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة . لأبعثن عليكم رجلا ليس بخيركم ، أصبركم على الجوع والعطش . فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي فكان أول أمير [أمر] (٨) في الإسلام .

أول ما نسخ من الشريعة

تحويل للقبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

وفي شعبان على رأس ستة عشر شهراً ، وقيل على رأس سبعة عشر شهراً (٩) ، حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة . فكان أول شيء نسخ من الشريعة القبلة (١٠) ، وأول من صلى إليها أبو سعيد رافع ، ويقال الحارث ، ويقال أوس بن المعلى بن نفيع بن المعلى بن لوذان بن خالد بن زيد بن ثعلبة الزرقي الأنصاري وصاحب له (١١) . ثم صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر إليها يومئذ .

ويقال حولت القبلة في يوم الاثنين النصف من رجب بعد زوال الشمس ، قبل قتال بدر بشهرين ، ورسول الله

---

(١) حديث زياد عن سعد بن أبي وقاص حديث مرسل لأنه لم يدرك سعداً ، وقد مات سنة ١٢٥ وقد قارب المائة . (هامش ط) ص ٥٨ .
(٢) في (المسند) ج ١ ص ١٧٨ « حتى نأتيك » .
(٣) المرجع السابق « فأسلموا » . (٤) زيادة من المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق « فنقتطعها » . (٦) زيادة للإيضاح من المرجع السابق .
(٧) في (خ) « ذهبتم » والتصويب من (المسند) .
(٨) زيادة من المرجع السابق .
(٩) القول الأول ذكره الطبري بسنده عن سعيد بن المسيب ، والقول الثاني ذكره أيضاً بسنده عن البراء . راجع (تفسير الطبري) ج ٢ ص ٣ ، و (تفسير القرطبي) ص ٥٣٢ ، ٥٣٣ (ط . الشعب) وذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) ج ٣ ص ٢٥٢ « في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً » .
(١٠) راجع (تفسير القرطبي) ص ٥٣٤ .
(١١) ذكر ابن سيد الناس في (عيون الأثر) ج ١ ص ٢٣٨ أن « عباد بن نهيك بن إساف الشاعر بن عدي بن زيد بن جشم ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو النبيت بن مالك الأوس » « هو الذي صلى مع النبي ﷺ القبلتين في الظهر ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة يوم صرفت القبلة ، ثم أتى قومه بني حارثة وهم ركوع في صلاة العصر فأخبرهم بتحويل القبلة فاستداروا إلى الكعبة .

ﷺ فى مسجد بنى سلمة(١) ، وقد صلى بأصحابه من صلاة الظهر ركعتين، فتحول فى صلاته واستقبل الميزاب من الكعبة، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ، فسمى المسجد ، مسجد القبلتين ، . ويقال صرفت فى الظهر من يوم الثلاثاء النصف من شعبان سنة اثنتين فى منزل البراء بن معرور ؛ وقيل صرفت فى صلاة الصبح .

فرض صيام رمضان وزكاة الفطر

وفى شعبان هذا فرض صوم رمضان وزكاة الفطر قبل العيد بيومين ؛ وقال ابن سعد . قبل فرض زكاة الأموال؛ وقيل إن الزكاة فرضت فيها ؛ وقيل قبل الهجرة . وكان المسلمون يصومون عاشوراء فلما فرض رمضان لم يؤمروا بصيام عاشوراء ولم ينهوا عنه .

غزوة بدر الكبرى

وفى شهر رمضان هذا كانت غزوة بدر . وهى الوقعة العظيمة التى فرق الله تعالى فيها بين الحق والباطل ، وأعز الإسلام ودمغ الكفر وأهله .

مافيها من دلائل النبوة

وجمعت الآيات الكثيرة والبراهين الشهيرة : بتحقيق الله ماوعدهم من إحدى الطائفتين ، وما أخبرهم به من ميلهم إلى العير دون الجيش ، ومجىء المطر عند الالتقاء ، وكان للمسلمين نعمة وقوة وعلى الكفار بلاء ونقمة ؛ وإمداد الله المؤمنين بجند من السماء حتى سمعوا أصواتهم حين قالوا : أقدم حيزوم ؛ ورأوا الرءوس ساقطة من الكواهل من غير قطع ولا ضرب ؛ وأثر السياط فى أبى جهل وغيره ؛ ورمى الرسول ﷺ المشركين بالحصى والتراب حتى عمت رميته الجمع ، وتقليل الله المشركين فى عيون المسلمين ليزيل عنهم الخوف ويشجعهم على القتال ؛ وإشارة المصطفى ﷺ إلى مصارع المشركين بقوله : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان، فرأى المسلمون ذلك على ما أشار إليه وذكره ؛ وقوله عليه الصلاة والسلام لعقبة بن أبى معيط : إن وجدتك خارج جبال مكة قتلتك صبراً (٢) فحقق الله ذلك ؛ وإخباره عمه العباس بما استودع أم الفضل من الذهب فزالت عن العباس رضى عنه الشبهة فى صدقه وحقيقة نبوته ، فازداد بصيرة ويقيناً فى أمره ﷺ ، وتحقيق الله للمؤمنين [من الأسرى] (٣) وعده إذ يقول : « إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم » (٤) ؛ فأعطى العباس بدل عشرين أوقية — عشرين غلاماً تجروا بماله ؛ وإطلاع الله تعالى رسوله ﷺ على اتجار عمير بن وهب وصفوان بن أمية بمكة على قتله عليه السلام فعصمه الله من ذلك ، وجعله سبباً لإسلام عمير بن وهب وعوده إلى مكة داعياً للإسلام . . . إلى غير هذا من الآيات والمعجزات التى أعطاها الله تعالى لرسوله ﷺ ، وأراها من معه من المؤمنين فزادتهم بصيرة ويقيناً ؛ ورد عين قتادة بعد ماسالت على حدقته ؛ وقيل كان ذلك فى وقعة أحد فكانت غزوة بدر أكرم المشاهد .

---

(١) فى (خ) « بنى سليمة » .

(٢) قتله صبراً : حبسه حتى مات (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٥٠٦ .

(٣) زيادة من (ط) . (٤) من الآية ٧٠ / الأنفال .

أول الخروج إلى بدر

وذلك أن رسول الله ﷺ لما تحين انصراف العير التى خرج من أجلها إلى العشيرة وإقبالها من الشام ، ندب أصحابه للخروج إلى العير وأمر من كان ظهره (١) حاضراً بالنهوض ، ولم يحتفل لها احتفالا كبيراً ، وكان قد بعث طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشى التيمى ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشى العدوى قبل خروجه من المدينة بعشر ليال يتحسسان (٢) خبر العير فبلغا التجبار (٣) من أرض الحوراء (٤) فنزلا على كشد (٥) الجهنى فأجارهما وأنزلهما وكتم (٦) عليهما حتى مرت العير ، ثم خرج بهما يخفرهما حتى أوردهما ذا المروة ؛ فقدما المدينة ليخبرا رسول الله خبر العدو فوجداه قد خرج . وكان قد ندب المسلمين وخرج بمن معه يوم السبت الثانى عشر من رمضان بعد تسعة عشر شهراً من مهاجره ، [وقيل خرج لثمان خلون من رمضان وذلك بعد ماوجه طلحة ابن عبد الله وسعيد بن زيد بعشر ليال] فخرج معه المهاجرون وخرجت الأنصار ولم يكن غزا بأحد منهم قبل ذلك .

فنزل بالبقع [ويقال لها بئر أبى عنبة ، وهى على ميل من المدينة] ، والتقيا على أربع مراحل من المدينة ، وهى بيوت السقيا ، يوم الأحد لثنتى عشرة خلت من رمضان .

عرض المقاتلة ورد الصغار

فضرب عسكره هناك وعرض المقاتلة (٧) ، فرد عبد الله بن عمرو ، وأسامة بن زيد ، ورافع بن خديج بن رافع بن عدى ابن زيد بن جشم الأنصارى الخزرجى (٨) ، والبراء بن عازب بن حارث بن عدى بن جشم بن مجدعة (٩) بن حارثة ابن الحارث بن الخزرج الأنصارى [الأوسى] (١٠) الحارثى ، وأسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصارى الأشهلى ، وزيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغر الأنصارى

---

(١) الظهر : ما يركب .

(٢) فى (خ) « يتجسسان » . وفى (تاريخ الطبرى) جـ ٢ ص ٤٣٣ « يتجسسان » ، وفى (المغازى) جـ ١ ص ١٩ والتحسس بالحاء : أن تتسمع الأخبار بنفسك ، والتجسس بالجيم : هو أن تفحص عنها بغيرك ، وفى الحديث : « لا تجسسوا ولا تحسسوا » (ابن هشام) جـ ٢ هامش ص ١٨٢ .

(٣) كذا فى (ط) وفى (ابن سعد) جـ ٢ ص ١١ .

(٤) الحوراء : مرفأ سفن مصر إلى المدينة ، وفى قول الأصمعى : ماء لبنى نبهان من طيء قرب ماء يقال له القلب لبنى ربيعة من بنى نمير (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٣١٦ وفى (المغازى) « بالنخبار » جـ ١ ص ١٩ .

(٥) فى (خ) « كشد » بالشين والدال (والمغازى) جـ ١ ص ١٩ وفى الإصابة جـ ص ٢٨٧ « كسد » بالسين المهملة ترجمة رقم ٧٣٩٨ . (٦) فى (خ) « وكتمه » .

(٧) فى (خ) « المقاتلة » .

(٨) رافع هذا « أوسى » « وليس خزرجى » ، وترجمته رقم ١٨٠٢ فى الإصابة جـ ٣ ص ١٣٦ كما يلى : « رافع بن خديج بن رافع بن عدى بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى الحارثى » .

(٩) قال فى (الإصابة) « ولم يذكر ابن الكلبى فى نسبه مجدعة وهو أصوب » جـ ١ ص ٣٤ ؛ ترجمة رقم ٦١٥ .

(١٠) زيادة للإيضاح .

الخزرجي ، وزيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري ، ولم يجزهم . وعرض عمير بن أبي وقاص فاستصغره فقال : ارجع ، فبكى فأجازه . فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة .

وأمر ﷺ أصحابه أن يستقوا من بئر السقيا وشرب من مائها . وصلى عند بيوت السقيا .

دعاؤه لأهل المدينة وتحريم حرمها

ودعا يومئذ لأهل المدينة فقال : اللهم إن ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لأهل مكة ، وإنى محمد عبدك ونبيك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى صاعهم ومُدهم (١) وثمارهم ؛ اللهم وحبب إلينا المدينة واجعل ما بها من الوباء بخُم (٢) ؛ اللهم إنى حرمت ما بين لابتيها كما حرم ابراهيم خليلك مكة .

عيونه وخروج المسلمين إلى المشركين

وقدَّم ﷺ عدى بن أبي الزغباء سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة الجهنى ، وبَسْبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة ابن عمرو بن سعد بن ذبيان الذبيانى [الجهنى] (٣) من بيوت السقيا .

واستخلف على المدينة وعلى الصلاة عبد الله بن أم مكتوم ؛ وراح عشية الأحـد من بيوت السقيا ، وخرج المسلمون معه وهم ثلاثمائة وخمسة ، ويقال كانت قريش ستة وثمانين رجلاً ، والأنصار مائتين وسبعة وعشرين رجلا . وقيل كانت قريش ثلاثة وسبعين رجلاً ، والأنصار أربعين ومائتى رجل ؛ وتخلف عنه ثمانية ضرب لهم بسهامهم وأجورهم .

هذا الحديث رواه محمد بن حرب ، حدثنا الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى ، عن عمرو بن سليم الزرقى ، عن عاصم بن عمرو ، عن على بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالسقيا التى كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله ﷺ ائتونى بوضوء ، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر ثم قال : اللهم إن ابراهيم عبدك وخليلك دعا لأهل مكة بالبركة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعو لأهل المدينة أن تبارك لهم ، فى مدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين .

قلة الظهر يوم بدر ودعاؤه للمقاتلة

وكانت الإبل سبعين بعيراً ، فكانوا يتعاقبون الإبل — الإثنين والثلاثة والاربعة — فكان رسول الله ﷺ، وعلى بن أبي طالب ، ومرثد بن أبي مرثد ، ويقال زيد بن حارثة مكان مرثد (٤) ، يتعاقبون بعيراً واحداً . وحمل سعد بن عبادة على عشرين جملاً ، وقال ﷺ حين فصل (٥) من بيوت السُّقيا : « اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة (٦) فأغنهم من فضلك » فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد

(١) الصاع والمدّ من المكاييل .
(٢) مُخم : على ميلين من الجحفة .
(٣) فصل : رحل .
(٤) كذا فى (المغازى) ج ١ ص ٢٤ .
(٥) العالة : جمع عائل وهو الفقير .

ظهراً ، الرجل البعير والبعيران ، واكتسى من كان عارياً ، وأصابوا طعاماً من أزوادهم (١) ، وأصابوا فداء الأسرى فاغتنى به كل عائل .

تعبئة الجيش وعدده

واستعمل رسول الله ﷺ على المشاة وهم فى السَّاقة (٢) قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول ، وأمره حين فصل من السقيا أن يَعُدّ المسلمين ، فوقف لهم عند بئر أبي عنبة فعدهم ثم أخبر النبي ﷺ ، وقدَّم أمامه عينين له إلى المشركين يأتيانه بخبر عدوه ، وهما بَسْبَس بن عمرو ، وعدى بن أبي الزغباء — وهما من جهينة حليفان للأنصار — فانتهيا إلى ماء بدر فعلما الخبر ، ورجعا إلى رسول الله ﷺ . وسلك من السقيا بطن العقيق حتى نزل تحت شجرة بالبطحاء ؛ فقام أبو بكر رضى الله عنه فبنى مسجداً فصلى فيه رسول الله ﷺ . وأصبح يوم الإثنين ببطن ملل . وقال لسعد بن أبي وقاص ، وهو بتربان : يا سعد ، أنظر إلى الظبي ففوّق له بسهم (٣) ؛ وقام ﷺ فوضع ذقنه بين منكبي سعد وأذنيه ، ثم قال : ارم ! اللهم سدد رميته . فما أخطأ سهم سعد عن نحر الظبي فتبسم ﷺ ، وخرج سعد يعدو فأخذه وبه رمق فذكاه (٤) وحمله حتى نزل قريباً ، فأمر به رسول الله ﷺ فقسم بين أصحابه (٥) .

أفراس المسلمين ببدر

وكان معهم فَرَسان ، فرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوى ، وفرس للمقداد بن عمرو بن ثعلبة البهرانى ؛ ويقال فرس للزبير ، ولم [يكن معهم] (٦) إلا فرسان ؛ ولا خلاف أن المقداد له فرس يقال له « سَبْحة » ، ويقال لفرس مرثد « السَّيْل » ، ولحقت قريش بالشام فى عيرها (٧) .

عير قريش وما فيها

وكانت العير ألف بعير فيها أموال عظام ، ولم يبق بمكة قرشى ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا بعث به فى العير ، فيقال إن فيها خمسين ألف دينار ، ويقال أقل . فأدركهم رجل من جذام بالزرقاء من ناحية مَعَان (٨) — وهم

(١) الأزواد : جمع زاد وهو الطعام .
(٢) الساقة : مؤخرة الجيش (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٦٤ .
(٣) فى (المغازى) ج ١ ص ٢٦ « فأبوّق له بسهم » ، واستقربه محقق (ط) .
(٤) الذكاة : الذبح أو النحر (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣١٤ .
(٥) الخبر بتمامه فى (المغازى) ج ١ ص ٢٦ ، ٢٧ ، وقد قال محقق (ط) أنه لم يجد هذا الخبر فيما بين يديه من كتب .
(٦) زيادة للبيان ، ونص الواقدى « ولم يكن إلا فرسان » (المغازى) ج ١ ص ٢٢
(٧) قال (ابن هشام) ج ٢ ص ٢٢٤ : « وحدثنى بعض أهل العلم أنه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل فرس مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، وكان يقال له السَّبَل ، وفرس المقداد بن عمرو البهرانى ، وكان يقال له بَعْزجة ، ويقال : سَبْحة ، وفرس الزبير بن العوام وكان يقال له اليعسوب » ، « ومع المشركين مائة فرس » .
(٨) الزرقاء : موضع بالشام بناحية مَعَان ، ... وهى أرض شبيب التبعى الحميرى ، (معجم البلدان) ج ٣ ص ١٣٧ .

متخدرون إلى مكة — فأخبرهم أن محمداً ﷺ قد كان عرض لعيرهم فى بدأتهم ، وأنه تركه مقيما ينتظر رجعتهم وقد حالف عليهم أهل الطريق ووادعهم .

خوف أصحاب العير وإرسالهم إلى مكة يستنجدون

فخرجوا خائفين الرَّصَد ، وبعثوا ضمضم بن عمرو حين فصلوا من الشام — وكانوا قد مروا به وهو بالساحل معه بكران فاستأجروه بعشرين مثقالا — وأمره أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية أن يخبر قريشاً أن محمداً قد عرض لعيرهم ، وأمره أن يجدّع (١) بعيره إذا دخل مكة ، ويحول رحله (٢) ، ويشق قيصه من قبله ودبره (٣) ، ويصيحَ : الغوث الغوث ، ويقال بعثوه من تبوك وكان فى العير ثلاثون رجلاً من قريش فيهم عمرو بن العاص ومخرَمَة بن نوفل فلم يُرع أهلُ مكة إلا وضمضم يقول : يامعشر قريش ، يا آل لؤى بن غالب ، اللطيمة (٢) ، قد عرض لها محمد فى أصحابه ، الغوث الغوث ، والله ما أرى أن تدركوها . وقد جدّع أذنى بعيره ، وشق قيصه ، وحوّل رحله .

تأهب قريش لنجدة العير

فلم تملك قريش من أمرها شيئاً حتى نفروا على الصعب والذلول ، وتجهزوا فى ثلاثة أيام ، ويقال فى يومين ، وأعان قويهم ضعيفهم . وقام سهيل بن عمرو ، وزمعة بن الأسود ، وطعيمة بن عدى ، وحنظلة بن أبى سفيان ، وعمرو بن أبى سفيان ، يحضون الناس فقال سهيل : يا آل غالب ، أتاركون أنتم محمداً والصباة (٣) من أهل يثرب يأخذون عيراتكم وأموالكم ؟ من أراد مالاً فهذا مال ، ومن أراد قوة فهذه قوة . فمدحه أميـــة بن [أبى] (٤) الصلت بأبيات ، ومشى نوفل بن معاوية الديلى إلى أهل القوة من قريش فكلمهم فى بذلك النفقة والحُملان لمن خرج ، فقال عبد الله بن أبى ربيعة : هذه خمسمائة دينار فضعها حيث رأيت . وأخذ من حويطب بن عبد العزى مائتى دينار وثلاثمائة دينار قوّى بها فى السلاح والظهر وحمل طعيمة بن عدى على عشرين بعيراً ، وقواهم وخلفهم فى أهله بمؤونة وكان لايتخلف أحد من قريش إلا بعث مكانه بعيثا ، ومشوا إلى أبى لهب فأبى أن يخرج أو يبعث أحداً ، ويقال إنه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة — وكان له عليه دين — فقال اخرج ، ودينى لك ، فخرج عنه (٥) . [وكان الدين أربعة آلاف درهم] (٦) .

استقسامهم بالأزلام وكراهية الخروج إلى بدر

واستقسم أميّة بن خلف وعتبة وشيبة عند هبل بالآمر والناهى من الأزلام فخرج القِدْح (٧) الناهى عن الخروج .

(١) أى يقطع أذنيه إنذاراً بالشر ، وهذا كله من عاداتهم فى الإنذار بالشر .
(٢) اللطيمة : عير تحمل المسك والبَزّ وغيرها للتجارة (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨٢٧ وفى (البداية والنهاية) ج ٣ ص ٢٥٨ « اللطيمة اللطيمة » .
(٣) جمع « صاب » غير مهموز ، كقاضى وقضاه ، فقد كانت قريش تُسمّى النبى ﷺ الصابىء ، والمسلمون الصباة .
(٤) زيادة للبيان والتصويب .
(٥) (المغازى) ج ١ ص ٢٣ (٦) زيادة من تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٣٠ « بتصرف » .
(٧) القِدْح : قطعة من الخشب كانت تستعمل فى الميسر ، الاستقسام هو إطاعة ما يخرج فى هذه القداح من أمر أو نهى . (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧١٧ بتصرف .

وأجمعوا (١) المقام حتى أزعجهم أبو جهل واستقسم زمعة بن الأسود فخرج الناهى ، وكذلك خرج لعمير بن وهب . وخرج حكيم بن حزام وهو كاره لمسيره ، وقد خرج له القِدْحُ الناهى ، فلما نزلوا بمَرّ الظهران (٢) نحر أبو جهل جُزُراً (٣) ، فكانت جزور منها بها حياة فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمها . وأخذ عدّاس (٤) يخذل شيبة وعتبة ابنى ربيعة عن الخروج ، والعاص بن منبّه بن الحجاج . وأبى أمية بن خلف أن يخرج فأتاه عقبة ابن أبى معيط وأبو جهل فشتّماه ، فقال : ابتاعوا لى أفضل بعير فى الوادى ، فابتاعوا له جملاً بثلاثمائة درهم من نَعَم بنى قُشَير فغنمه المسلمون (٥) . وما كان أحد منهم أكره للخروج من الحارث بن عامر .

رؤيا ضَمْضَم وعاتكة بنت عبد المطلب

ورأى ضمضم بن عمرو أن وادى مكة يسيل دماً من أسفله وأعلاه ، ورأت عاتكة بنت عبد المطلب رؤياها التى ذكرت فى ترجمتها . فكره أهل الرأى المسير ومشى بعضهم إلى بعض ، فكان من أبطئهم عن ذلك الحارث بن عامر ، وأمية بن خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وحكيم بن حزام ، وأبو البخترى ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص ابن منبه ، حتى بكتهم أبو جهل بالجبن وأعانه عقبة بن أبى معيط ، والنَّضْر بن الحارث بن كلدة ، فأجمعوا المسير .

خروج قريش والمطعون فى طريقهم

وخرجت قريش بالقيان والدُّفاف يغنين فى كل منهل وينحرون الجُزُر وهم تسعمائة وخمسون مقاتلاً . وكان المطعون : أبو جهل ، نحر عشراً — وأمية ابن خلف ، نحر تسعاً — وسهيل بن عمرو بن عبد شمس أخو بنى عامر ابن لؤى ، نحر عشراً ، وشيبة بن ربيعة ، نحر عشراً — ومنبه ونبيه ابنا الحجاج ، نحرا عشراً — والعباس بن عبد المطلب ، نحر عشراً — وأبو البخترى العاص بن هشام بن الحارث بن أسد ، نحر عشراً . وذكر موسى بن عقبة ، أن أول من نحر لقريش أبو جهل بن هشام بمرّ الظهران ، عشر جزائر — ثم نحر لهم صفوان بن أميـــة بعسفان تسع جزائر — ثم نحر لهم سهيل بن عمرو بقُديد ، عشر جزائر — ومضوا من قُديد إلى مَنَاة من البحر (٦) فظلوا فيها وأقاموا يوماً ، فنحر لهم شيبة بن ربيعة ، تسع جزائر — ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن ربيعة ، عشر جزائر — ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم قيس بن قيس (٧) ، تسع جزائر — ثم نحر عباس بن عبد المطلب ، عشر جزائر — ثم نحر لهم الحارث بن عامر بن نوفل ، تسعاً — ثم نحر لهم أبو البخترىّ على ماء بدر ، عشر جزائر —

(١) فى (خ) « أجمعوا » وفى المغازى « فأجمعوا » ج ١ ص ٢٣ ، وأجمعوا : عزموا .
(٢) فى (خ) « من الظهران » ومرّ الظهران : موضع على مرحلة من مكة (معجم البلدان) ج ٥ ص ١٠٤ .
(٣) جُزُر : جمع جزور ، وهى الناقة المنحورة .
(٤) هو غلام نصرانى كان لعتبة وشيبة ابنا ربيعة . والتخذيل : تثبيط الناصر من النُّصرة .
(٥) « فصار فى سهم خُبيب بن إساف » (المغازى) ج ١ ص ٣٦ .
(٦) مناة : صخرة كانو يعظمونها ويعبدونها .
(٧) أخو سُليم بن قيس (ذكره ابن سعد) ج ٣ ص ٤٨٩ .

ونحر مقيس السهمى على ماء بدر تسعاً — ثم شغلتهم (١) الحرب فأكلوا من أزوادهم (٢) .

عدة أفراسهم وإبلهم

وقادوا مائة فرس عليها مائة دارع سوى دروع فى المشاة ، وكانت إبلهم سبعمائة بعير ؛ وهم كما ذكر الله تعالى عنهم بقوله « ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » (٣) وأقبلوا فى تحمل عظيم وحنق زائد على رسول الله ﷺ وأصحابه لما يريدون من أخذ عيرهم ، وقد أصابوا من قبل عمرو بن الحضرمى والعير التى كانت معه .

وصول عير قريش إلى بدر

وأقبل أبو سفيان بالعير ومعها سبعون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص ، فكانت عيرهم ألف بعير تحمل المال وقد خافوا خوفاً شديداً حين دنوا من المدينة واستبطأوا ضمضم بن عمرو والنفير (٤) ؛ فلما كانت الليلة التى يصبحون فيها على ماء بدر ، جعلت العير تقبل بوجوهها إلى ماء بدر — وكانوا باتوا (٥) من وراء بدر آخر ليلتهم وهم على أن يصبّحوا بدراً إن لم يُعترض لهم — فما انقادت لهم العير حتى ضربوها بالعُقُل (٦) ، وهى ترجع الحنين تزاور (٧) إلى ماء بدر — ومابها إلى الماء حاجة ؛ لقد شربت بالأمس — وجعل أهل العير يقولون : هذا شىء ماصنعته معنا منذ خرجنا ؛ وغشيتهم تلك الليلة الظلمة حتى مايبصر أحد منهم شيئاً . فأصبح أبو سفيان ببدر قد تقدم العير وهو خائف من الرصد ، فضرب وجه عيره فساحل بها (٨) ، وترك بدراً يساراً وانطلق سريعاً ، وأقبلت قريش من مكة ينزلون كل منهل — يطعمون الطعام من أتاهم وينحرون الجُزُر . وهمّ عتبة وشيبة أن يرجعا ثم مضيا وقد عنفهما أبو جهل .

---

(١) فى (خ) « شغلوهم » .

(٢) ذكره ابن قتيبة فى (المعارف) ص ١٤٥ « أسماء المطعمين من قريش فى غزوة بدر : العباس بن عبد المطلب ، وعتبة ابن ربيعة ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدىّ ، وأبو البخترى بن هشام ، وحكيم بن حزام ، والنضر بن الحارث ابن كلدة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، فنزل فيهم : (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون) « من الآية ٣٦ / الأنفال » .

(٣) آية ٤٧ / الأنفال وفى (خ) « ورئاء الناس » الآية .

(٤) النفير : القوم ينفرون للقتال . (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٩٤٠ .

(٥) فى (خ) « بتوا » .

(٦) فى (خ) « العقل » والتصويب من (المغازى) ج ١ ص ٤٠ والعُقُل : جمع عقال ، وهو الرباط الذى تربط به قوائم الدابة .

(٧) فى (خ) « تزاوداً » ولعل الصواب ما أثبتناه . وتزاور : أى تميل بأعناقها وتعدل . قال تعالى : « وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم » من الآية ١٧ / الكهف .

(٨) أى قصد بها الساحل .

رؤيا جهيم بن الصلت

فلما كانوا بالجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف فى منامه رجلاً أقبل على فرس معه (١) بعير حتى وقف عليه فقال : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وزمعة بن الأسود ، وأمية بن خلف ، وأبو البخترى ، وأبو الحكم ، ونوفل بن خويلد ، فى رجال سماهم . وأُسِر سهيل بن عمرو ، وفرّ الحارث بن هشام ، وقائل يقول : والله إنى لأظنكم (٢) إلى مصارعكم ؛ ثم رآه كأنه ضرب فى لَبَّة (٣) بعيره فأرسله فى العسكر فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه بعض دمه .

فشاعت هذه الرؤيا فى العسكر فقال أبو جهل : هذا نبىّ آخر من بنى المطلب : سيعلم غداً من المقتول نحن أو محمد وأصحابه .

نجاة عير قريش وإصرار النفير على البقاء ببدر

وأتاهم قيس بن امرىء القيس من أبى سفيان يأمرهم بالرجوع ، ويخبرهم أن قد نجت عيرهم : فلا تُجزروا (٤) أنفسكم أهل يثرب ، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك ؛ إنما خرجتم تمنعوا العير وأموالكم ، وقد نجاها الله . فعالج قريشاً فأبت الرجوع وردوا القيان من الجحفة . وقال أبو جهل : لا والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم ثلاثاً ؛ ننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونشرب الخمر ، وتعزف القيان علينا ؛ فلن تزالَ العربُ تهابنا أبداً . وعادَ قيس إلى أبى سفيان وقد بلغ الهَدّة (٥) — على تسعة أميال من عقبة عسفان — فأخبره بمضى قريش ، فقال : واقوماه ! ! هذا عمل عمرو بن هشام [يعنى أباجهل] (٦) — كره أن يرجع لأنه ترأس على الناس فبغى ، والبغى منقصة وشؤم ، إن أصاب محمدٌ النفير ذللنا .

رجوع الأخنس ببنى زهرة عن بدر

ورجع الأخنس بن شريق [واسمه أبى بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبى سلمة بن عبد العزى بن غيرة] ببنى زُهرة من الأبواء (٧) — وكانوا نحو المائة وقيل ثلاثمائة — فلم يشهد بدراً أحد من بنى زهرة إلا رجلان هما عمّا مسلم بن شهاب بن عبد الله (٨) وقتلا كافرين . ويقال إن الأخنس بن شريق خلا بأبى جهل لما ترامى الجمعان فقال : أتُرى محمداً يكذب ؟ فقال أبو جهل : كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الأمين لأنه

---

(١) فى (ط) « ومعه » . (٢) فى (خ) « لا أظنكم » .

(٣) اللبة من عنق البعير فوق صدره ومنها يذبح .

(٤) أى لا تجعلوا أنفسكم ذبائح لأهل مكة .

(٥) الهدّة بالتشديد : موضع بين مكة والطائف (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٩٥ .

(٦) زيادة للإيضاح .

(٧) كذا فى (خ) والصواب أنهم رجعوا من الجحفة . راجع (تاريخ الطبرى) ج ٢ ص ٤٣٨ و (ابن سعد) ج ٢ ص ١٤ ، ولم يذكر من الأبواء إلا (الواقدى فى المغازى) ج ١ ص ٤٥ .

(٨) يقول ابن قتيبة فى (المعارف ص ١٥٣ : « وكان قوم من زُهرة » قد خرجوا ، فقام «الأخنس بن شريق الثقفى » فيهم — وكان حليفاً لهم — فأشار عليهم بالرجوع ، فرجعوا ولم يشهد بدراً منهم أحد » .

ما كذب قط ! ولكن إذ كانت فى عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة ، ثم تكون فيهم النبوة ، فأى شىء بقى لنا ؟ فحينئذ انخنس الأخنس ببنى زهرة (١) ورجعت بنو عدى قبل ذلك من مرّ الظهران .

الهاتف بمكة بنصر المسلمين

وذكر قاسم بن ثابت فى كتاب الدلائل أن قريشاً حين توجهت إلى بدر مرّ هاتف من الجن على مكة فى اليوم الذى أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بأنفذ صوت ولا يرى شخصُه (*) .

أزار الحنفيون بدراً وقيعة ... سينقض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالا من لؤى وأبرزت ... خرائد يضربن الترائبَ حُسَّرا
فيا ويح من أمسى عدو محمد ... لقد جار عن قصد الهوى وتحيرا

فقال قائلهم : من الحنفيون ؟ فقال : هم محمد وأصحابه ، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف ، ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين .

خبر الأعرابى بعرق الظُّبية

وأصبح رسول الله ﷺ صبيحة أربع عشرة بعرق الظبْيية (٢) فجاء من تهامة أعرابى فسُئِل عن أبى سفيان فقال : مالى به علم ، فقالوا له : تعالَ سَلِّمْ على رسول الله ، قال : وفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال فأيكم هو ؟ قالوا . هذا ، قال : أنت رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فما فى بطن ناقتى هذه إن كنت صادقاً ؟ فقال سلمة بن سلامة ابن وقش : نكحتها فهى حُبْلى منك ، فكره رسول الله ﷺ مقالته وأعرض عنه . ثم سار ﷺ حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من رمضان ، فصلى عند بئر الروحاء ، ولما رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره لعن الكفرة .

دعاؤه على أبى جهل وزمعة

وقال : اللهم لاتفلتن أباجهل فرعون هذه الأمة ، اللهم لاتفلتن زمعة بن الأسود ، اللهم وأسخن عين أبى زمعة بزمعة ، اللهم وأعم بصر أبى زَمَعة . اللهم لاتفلتن سهيلاً ، اللهم أنج سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين .

---

(١) فى (خ) « بنى زهر » وانخنس : تأخر مستخفياً فرجع .
(٢) عرق الظُّبْية : بين مكة والمدينة (معجم البلدان) ج ٤ ص ١٠٨ .
(*) هذه الأبيات فى (المغازى للواقدى) ج ١ ص ١١٩ على هذا النحو :

أزار الحنفيون بدراً مصيبة ... سينقض منها ركن كسرا وقيصرا
أرنت لهم صُمّ الجبال وأفزعت ... قبائلَ ما بين الوتير وخيبرا
أجازت جبال الأخشبين وجُرِّدت ... حرائر يضربن الترائب حُسَّرا

خروجه وأمره بالإفطار من الصوم

واستعمل ﷺ على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ورده من الروحاء ، وقدم خبيب بن يساف (١) بالروحاء مسلماً . وخرج ﷺ فصام يوماً أو يومين ثم نادى مناديه : يامعشر العصاة إنى مفطر فأفطروا ، وذلك أنه قد قال لهم قبل ذلك : أفطروا فلم يفعلوا .

خبر البعير الذى برك

وكان رفاعة وخلاّد إبنا رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاريان ، وعبيد بن زيد ابن عامر بن العجلان بن عمرو — يتعاقبون بعيراً ، حتى إذا كانوا بالروحاء برك بعيرهم وأعيا . فمر بهم النبى ﷺ فقالوا : يارسول الله برك علينا بكرنا ، فدعا بماء فتمضمض وتوضأ فى إناء ثم قال : افتحا فاه ، ففعلا ، ثم صبه فى فيه (٢) ، ثم على رأسه وعنقه ، ثم على حاركه وسنامه ، ثم على عجزه ، ثم على ذنبه ، ثم قال : اركبا ، ومضى ، فلحقاه وإن بكرهم لينفر (٣) بهم ، حتى إذا كانوا بالمصلى راجعين من بدر برك عليهم فنحره خلاّد ، فقسم لحمه وتصدق به .

المشورة قبل بدر

ومضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان دُوَيْنَ بدر أتاه الخبر بمسير قريش ، فاستشار الناس ، فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قال : يارسول الله ، إنها والله قريش وعزها ، والله ماذلت منذ عزت ، والله ما آمنت منذ كفرت ، والله لاتسلم عزها أبداً ولتقاتلنك ، فاتَّهِبْ (٤) لذلك أهبته ، وأعدّ لذلك عدته ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يارسول الله ، إمض لأمر الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها : « إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » (٥) ، ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما (٦) مقاتلون والذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (٧) لسرنا ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير .

---

(١) « يساف » و « إساف » .
(٢) فى فيه : فى فمه .
(٣) فى (خ) « ليغفر بهم » .
(٤) كذا فى (المغازى) ج ١ ص ٤٨ وفى (ط) « فاتَّهِبْ » .
وقد أغفلتْ غالبية كتب السيرة مقالة عمر هذه ولم يزيدوا على قوله : « ثم قام عمر فقال فأحسن » إلا الواقدى فى (المغازى) كما أثبتنا .
(٥) اقتباس من الآية ٢٤ / المائدة .
(٦) فى (خ) « معكم » .
(٧) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال ، وقيل بلد باليمن (معجم البلدان) ج ١ ص ٣٩٩ وفى (الروض الأنف) ج ٣ ص ٤٠ « إنها مدينة بالحبشة » .

مشورة الأنصار

ثم قال أشيروا عليَّ أيها الناس ، وإنما يريد الأنصار ، وكان يظنهم لاينصرونه إلا فى الدار ، لأنهم شرطوا له أن يمنعوه (١) مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم — فقام (٢) سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال : أنا أجيب عن الأنصار ، كأنك يارسول الله تريدنا ؟ قال : أجل ، قال : إنك عسى أن تكون قد خرجت عن أمر قد أوحى إليك [فى غيره] (٣) فإنا قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به حق فأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة ، فامض يانبى الله لما أردت ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت (بنا) (٤) هذا البحر (لخضته) (٤) لخضناه معك مابقى منا رجل ، وصِلْ من شئت واقطع من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت ، والذى نفسى بيده ماسلكتُ هذا الطريق قط ومالى بها من علم ، ومانكره أن نلقى عدونا ، إنا لصبرٌ عند الحرب صُدُقٌ (٥) عند اللقاء ، لعل الله يريك منا بعض ماتقر به عيناك . وفى رواية (٦) أن سعد بن معاذ قال : إنا قد خلفنا من قومنا قوماً ما نحن بأشد حباً لك منهم ، ولا أطوع لك منهم ، لهم رغبة فى الجهاد ونية ، ولو ظنوا يارسول الله أنك ملاق عدواً ماتخلفوا ، ولكن إنما ظنوا أنها العير . نبنى لك عريشاً فتكون فيه ونُعِدُّ عندك (٧) رواحلك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن تكن الأخرى جلست على رواحلك فلحقت من وراءنا . فقال له النبى ﷺ خيراً . وقال أو يقضى الله خيراً من ذلك ياسعدُ !

دلالته على مصارع المشركين يوم بدر

فلما فرغ سعد من المشورة قال رسول الله ﷺ : سيروا على بركة الله ، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم ، ثم أراهم مصارعهم يومئذ : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فما عدا كل رجل مصرعه ، فعلم القوم أنهم يلاقون القتال وأن العيرَ تفلت ، ورجوا النصر لقول النبى ﷺ .

عقد الألوية

ومن يومئذ عقد رسول الله ﷺ الألوية وهى ثلاثة : لواء يحمله مصعب بن عمير ورايتان سوداوان (٨) ،

---

(١) فى (خ) « يمنعوها » .
(٢) فى (خ) « فقال » .
(٣) كذا فى (خ) وفى (المغازى) ج ١ ص ٤٨ وقال محقق (ط) أنه لم يعرف صوابه ! !
(٤) زيادة من (ابن هشام) و (الواقدى) .
(٥) جمع صَدُوق : وهو الثابت عند اللقاء .
(٦) هى رواية الواقدى ، قال : « فحدثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد » .
(٧) كذا فى (خ) و (ط) و (ابن هشام) ، وفى (المغازى) : « ونعدّ لك رواحلك » .
(٨) فى (خ) « سوداوتان » ، وأمر الألوية هنا على خلاف ما فى كتب السيرة ؛ ففى (المغازى) ج ١ ص ٥٨ : « وكان لواء رسول الله ﷺ يومئذ الأعظم — لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ » ، ونحوه فى (تلقيح فهوم أهل الأثر) ص ٥١ وفى (ابن هشام) ج ٢ ص ١٨٦ : « قال ابن إسحق : ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . قال ابن هشام : وكان أبيض قال ابن إسحق : وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع على بن أبى طالب ، يقال لها : العقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار » =

إحداهما مع على والأخرى مع رجل من الأنصار ، وأظهر السلاح ، وكان خرج من المدينة على غير لواء معقود ، وسار من الروحاء . وتعجل ومعه قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر (١) بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس الظفرى ؛ ويقال بل كان معه معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يزيد (٢) بن جشم بن الخزرج الأنصارى ، وقيل بل كان معه عبد الله ابن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار المازنى .

خبر سفيان الضمرى

فلقى سفيان الضمرى فقال رسول الله ﷺ : من الرجل ؟ فقال : بل من أنتم ؟ قال رسول الله ﷺ : فأخبرنا ونخبرك ، قال : وذاك بذاك ؟ قال النبى ﷺ : نعم ، قال : فسلوا عما شئتم ، فقال رسول الله ﷺ : أخبرنا عن قريش ، فقال : بلغنى أنهم خرجوا يوم كذا وكذا من مكة ، فإن كان الذى أخبرنى صادقاً فإنهم بجنب هذا الوادى : قال رسول الله ﷺ : فأخبرنا عن محمد وأصحابه ، قال : خبرت أنهم خرجوا من يثرب يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صادقاً فإنهم بجانب هذا الوادى ، قال الضمرى : فمن أنتم ؟ قال النبى ﷺ : نحن من ماء ، وأشار بيده نحو العراق ، فقال (الضمرى) (٣) من ماء العراق ؟ ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، ولايعلم واحد من الفريقين بمنزل صاحبه ، بينهم قوز (٤) من رمل . ومضى فلقيه بَسْبَس وعدى بن أبى الزغباء فأخبراه خبر العير .

خبر العيون وسقاء قريش

ونزل النبى ﷺ أدنى بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان ، فبعث علياً والزبير وسعد بن أبى وقاص وبسبس بن عمرو رضى الله عنهم يتحسسون (٥) على الماء ، وأشار لهم إلى ظريب (٦) وقال أرجو أن تجدوا الخبر عند هذا القليب الذى يلى الظرب (٦) فوجدوا على تلك القليب (٧) روايا (٨) قريش فيها سقاؤهم ، فأفلت عامتهم وفيهم عجير ، فجاء قريشاً فقال : يا آل غالب ، هذا ابن أبى كبشة وأصحابه قد أخذوا سُقَّاءكم ، فماج العسكر وكرهوا ذلك ، والسماء تمطر عليهم وأخذ تلك الليلة [أبو] (٩) يسار غلام عبيدة بن سعيد بن العاص ،

= وفى تلقيح الفهوم) ص ٥١ : « وعقد رسول الله ﷺ يومئذ الألوية ، وكان لواء رسول الله ﷺ أعظم ، ولواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ » .
(١) فى (خ) « كعب » وهو خطأ والتصويب من (الإصابة) جـ ٨ ص ١٣٨ ترجمة قتادة بن النعمان برقم ٢٠٧ .
(٢) فى (خ) « زيد » وما أثبتناه من (الاستيعاب) جـ ١٠ ص ١٠٤ ترجمة رقم ٢٤١٦ .
(٣) زيادة للإيضاح وهذه الرواية مطابقة لرواية الواقدى فى (المغازى) جـ ١ ص ٥٠ خلاف ما أثبته محقق (ط) .
(٤) القوز : الكثيب العالى من الرمل (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٧٦٦ .
(٥) فى (خ) « يتجسسون » بالجيم .
(٦) ظريب : تصغير ظرب : ككتف : ما نتأ من الحجارة وحدّ طرفه ، أو الجبل المنبسط أو الصغير (ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ١٢٠ .
(٧) القليب : البئر القديمة لا يعلم حافر لها .
(٨) الروايا من الإبل : حوامل الماء .
(٩) زيادة من (ابن هشام) جـ ٢ ص ١٨٦ .

وأسلم غلام منبه بن الحجاج، وأبو رافع غلام أمية بن خلف، فأتى بهم النبي ﷺ وهو يصلى فقالوا: (نحن) [(١)] سقاء قريش بعثونا نسقيهم من الماء؛ فكره القوم خبرهم فضربوهم، فقالوا نحن لأبى سفيان، ونحن فى العير، فأمسكوا عنهم. فسلم رسول الله ﷺ وقال: إن صدقوكم ضربتموهم، وإن كذبوكم تركتموهم، ثم أقبل عليهم يسألهم، فأخبروه أن قريشاً خلف هذا الكثيب.

عدة المشركين يوم بدر

وأنهم ينحرون يوماً عشراً ويوماً تسعاً، وأعلموه بمن خرج من مكة، فقال ﷺ: القوم بين الألف والتسعمائة، وقال: هذه مكة قد ألقت [إليكم] [(٢)] أفلاذ كبدها.

المشورة فى منزل الحرب

واستشار أصحابه فى المنزل، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن (حرام بن) [(٣)] كعب بن غنم بن كعب ابن سلمة الأنصارى: انطلق بنا إلى أدنى ماء (إلى) [(٤)] القوم فإنى عالم بها وبقليبها [(٥)]؛ بها قليب قد عرفت عذوبة مائه، وماء كثير لاينزح [(٦)]، ثم نبنى عليها حوضاً ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل ونغوّر [(٧)] ماسواها من القُلب. فقال: ياحباب، أشرت بالرأى، ونهض بمن معه فنزل على القليب ببدر، وبات تلك الليلة يصلى إلى جذم [(٨)] شجرة هناك — وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان — وفعل ما أشار به الحباب.

المطــر يوم بدر

وبعث الله السماء، فأصاب المسلمين مالبّد الأرض ولم يمنع من السير، وأصاب قريشاً من ذلك مالم يقدروا أن يرتحلوا منه، وإنما بينهم قَوْز من رمل [(٩)]، وكان مجيء المطر نعمة وقوة للمؤمنين، وبلاء ونقمة على المشركين.

---

(١) زيادة للايضاح.
(٢) زيادة لابد منها.
(٣) زيادة من نسبه.
(٤) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ١٥.
(٥) القُلُب: جمع قليب.
(٦) لا ينزح: لا ينفد وفى (ابن سعد) «قد عرفت عذوبة مائه لا ينزح» ج ٢ ص ١٥ وما أثبتناه من (خ) و (ط) وهى رواية الواقدى فى (المغازى) ج ١ ص ٥٣.
(٧) نُغوِّر: نُفسد، فى (ابن سعد) ج ٢ ص ١٥ «نعوّر»، وفى (المغازى) ج ١ ص ٥٣ «نغوّر»، وفى (ط) «نعوّر».
(٨) جذْم الشجرة: ما بقى من جذعها بعد أن يقطع أعلاه.
(٩) القوز: الكثيب العالى من الرمل (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧٦٦.

النعاس الذى أصاب المسلمين

وأصاب المسلمين تلك الليلة نعاس ألقى عليهم فناموا حتى أن أحدهم [تكون] [(١)] ذقنه بين ثديه ومايشعر حتى يقع على جنبه. واحتلم رفاعة بن رافع بن مالك حتى اغتسل آخر الليل. وبعث ﷺ عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فأطافا بالقوم، ثم رجعا فأخبراه أن القوم مذعورين. وأن السماء تَسُحّ عليهم [(٢)].

بناء عريش رسول الله

وبنى لرسول الله ﷺ — لما نزل القليب — عريش من جريد. وقام سعد بن معاذ على بابه متوشح السيف. ومشى رسول الله ﷺ على موضع الوقعة، وعرض على أصحابه مصارع رءوس الكفر من قريش مصرعاً مصرعاً، يقول: هذا مصرع فلان، و [هذا] [(٣)] مصرع فلان، فما عدا واحد منهم مضجعه الذى حدّ له الرسول. وعدّل ﷺ الصفوف، ورجع إلى العريش فدخل ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه، وأصبح ببدر يوم الجمعة السابع عشر وقيل الثامن عشر من رمضان قبل أن تنزل قريش فطلعت قريش وهو يصفهم، وقد أترعوا حوضاً. ودفع رايته إلى مصعب بن عمير فتقدم حيث أمره النبى ﷺ أن يضعها، ووقف ﷺ ينظر إلى الصفوف فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه، وأقبل المشركون فاستقبلوا الشمس، فنزل ﷺ بالعدوة [(٤)] الشامية، ونزلوا بالعدوة اليمانية. فجاء رجل فقال: يارسول الله إنى أرى أن تعلو الوادى، فإنى أرى ريحاً قد هاجت من أعلى الوادى. وإنى أراها بعثت بنصرك فقال ﷺ: قد صففت صفوفى ووضعت رايتى، فلا أغير ذلك. ثم دعا ربه تعالى فنزل عليه: «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين» [(٥)] يعنى بعضهم على إثر بعض.

خبر سواد بن غزية

ولما عدل رسول الله ﷺ الصفوف تقدم سواد بن غزية أمام الصف فدفع النبى ﷺ فى بطنه فقال: استو ياسواد، فقال: أوجعتنى والذى بعثك بالحق أقدْنى [(٦)]، فكشف ﷺ عن بطنه وقال: استقد، فاعتنقه وقبّله فقال: ما حملك على ماصنعت؟ فقال: حضر من أمر الله ماقد ترى، وخشيت القتل، فأردت أن أكون آخر عهدى [(٧)] بك [أن يمس جلدى جلدك] [(٨)] وأن أعتنقك؛ وكان ﷺ يسوّى الصفوف وكأنما يقوم بها القداح [(٩)].

---

(١) زيادة للسياق.
(٢) السَّحّ: الصّب والسيلان من فوق (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٥٢٤.
(٣) زيادة للسياق.
(٤) العدوة: شاطىء الوادى وجانبه الصلب.
(٥) الآية ٩ / الأنفال.
(٦) أقدنى: أعطنى القَوَد، وهو القصاص.
(٧) فى (خ) «عهد» وما أثبتناه من (المغازى) ج ٣ ص ٢٧١.
(٨) فى (تاريخ الطبرى) ج ٢ ص ٤٤٧ «فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك» ونحوه فى (البداية والنهاية) ج ٣ ص ٢٧١.
(٩) القِداح: جمع قِدْح.

يرض به ربكم عنكم ، وابلوا ربكم فى هذه المواطن أمراً تستوجبوا وعدكم به من رحمته ومغفرته ، فإن وعده حق وقوله صدق وعقابه شديد . وإنما أنا وأنتم بالله الحى القيوم ، إليه ألجأنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكلنا ، وإليه المصير ، يغفر الله لى وللمسلمين .

دعاؤه على قريش

ولما رأى ﷺ قريشاً تصوب من الوادى — وكان أول من طلع زمعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه ، فاستجال بفرسه يريد أن يتبوأ للقوم منزلاً — قال ﷺ : اللهم إنك أنزلت علىّ الكتاب ، وأمرتنى بالقتال ، ووعدتنى إحدى الطائفتين، وأنت لاتخلف الميعاد ، اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك[١] وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم الغداة [٢] .

بعثة عمر إلى قريش يعرض عليهم الرجوع

ولما نزل القوم بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه إليهم يقول : ارجعوا ؛ فإنه إن يلى هذا الأمر منى غيركم ، أحب إلىّ من أن تلوه منى ، [وأن] [٣] أليه من غيركم أحب [إلىّ] [٣] من [أن] [٣] أليه منكم ، فقال حكيم بن حزام : قد عرض نصفاً فاقبلوه ، والله لاتنصرون عليه بعد ماعرض من النصف[٤] ، فقال أبوجهل : والله لانرجع بعد أن أمكننا الله منهم ، [ولا نطلب أثراً بعد عين ، ولايعترض لعيرنا بعد هذا أبداً] [٥] .

النفر الذين شربوا من الحوض

وأقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض — منهم حكيم بن حزام — فأراد المسلمون طردهم فقال ﷺ : دعوهم ؛ فوردوا الماء فشربوا ، فما شرب منهم أحد إلا قتل ، إلا ماكان من حكيم بن حزام نجا [٦] .

بعثة عمير بن وهب لحرز المسلمين وماقاله لقريش

وبعثت قريش عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن الجمحى ليحرز[٧] المسلمين ، فلما لم ير لهم مدداً ولا كميناً رجع فقال : القوم ثلاثمائة إن زادوا [زادوا] [٨] قليلا ، معهم سبعون بعيراً وفرسان ؛ ثم قال : يامعشر

---

(١) حاده : خالفه وعصاه ونازعه .
(٢) أحنهم : من أحانه الله : أهلكه .
(٣) زيادات يقتضيها السياق .
(٤) النصف : الإنصاف وإعطاء الحق .
(٥) زيادة من (المغازى) جـ ١ ص ٦١ .
(٦) فى (تاريخ الطبرى) جـ ٢ ص ٤٤١ « نجا على فرس يقال له الوجيه ، وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد فى يمينه قال : لا والذى نجانى يوم بدر » وفى (ابن هشام) جـ ٢ ص ١٩٣ : « لا والذى نجانى من يوم بدر » .
(٧) فى (خ) « ليجوز » ، ويحرز : يقدر العدد بالتخمين .
(٨) زيادة من (ط) ورواية (الواقدى) بغير هذه الزيادة .

الريح التى بعثت والملائكة

وجاءت ريح شديدة ، ثم هبت ريح أشد منها ، ثم هبت ريح ثالثة أشد منهما : فكانت الأولى جبريل عليه السلام فى ألف مع رسول الله ﷺ ، والثانية ميكائيل عليه السلام فى ألف عن ميمنته ، والثالثة إسرافيل فى ألف عن ميسرته . ويقال جاء جبريل فى ألف من الملائكة فى صور الرجال ، وكان فى خمسمائة من الملائكة فى الميمنة ، وميكائيل فى خمسمائة من الميسرة ، ووراءهم مدد من الملائكة لم يقاتلوا ؛ وهم الآلاف المذكورون فى سورة آل عمران [١] ، وكان إسرافيل وسط الصف لايقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة . وكان الرجل يرى الملك على صورة رجل يعرفه ، وهو يثبته ويقول له : ماهم بشىء ، فكر عليهم[٢] ، وهذا معنى قوله تعالى « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » [٣] ، وفى مثل هذا قال حسان رضى الله عنه :

ميكال معك وجبرئيلُ كلاهما   مددٌ لنصرك من عزيز قادر[٤]

ألوية بدر

ويقال كان على الميمنة أبو بكر رضى الله عنه ، والثابت أنه لم يكن على الميمنة والميسرة أحد ، وكان لواء رسول الله ﷺ الأعظم — لواء المهاجرين — مع مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ . ومع قريش ثلاثة ألوية لواء مع أبى عزيز (بن عمير) [٥] ، ولواء مع النضر بن الحارث ، ولواء مع طلحة بن أبى طلحة .

خطبته يوم بدر

وخطب ﷺ يومئذ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنى أحثكم على ماحثكم الله عليه ، وأنهاكم عما نهاكم عنه ، فإن الله عظيم شأنه ، يأمر بالحق ويحب الصدق ، ويعطى على الخير أهله ، على منازلهم عنده ، به يذكرون وبه يتفاضلون ، وإنكم قد أصبحتم بمنزل الحق لايقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه ، وإن الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله به الهمّ ، وينجى به من الغمّ ، وتدركون النجاة فى الآخرة ، فيكم نبى الله يحذركم ويأمركم ، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شىء من أمركم يمقتكم عليه ، فإن الله يقول : « لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم » [٦] . أنظروا الذى أمركم به من كتابه ، وأراكم من آياته ، وأعزكم [به] [٧] بعد ذلة ، فاستمسكوا به

---

(١) الآيات من ١٢٣ إلى ١٢٧ آل عمران .
(٢) الكَرُّ : الإقدام على العدوّ .
(٣) فى (خ) إلى قوله تعالى : « الرعب » . والآية ١٢ / الأنفال .
(٤) فى (خ) جبريل ، ولم يرد ذكر هذا البيت فى الأشعار التى قيلت فى غزوة بدر ولا فى كتب السيرة ولا فى ديوان حسان ابن ثابت ولا فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة عند ترجمة لحسان بن ثابت .
(٥) زيادة للايضاح .
(٦) من الآية ١٠ / غافر .
(٧) زيادة للايضاح .

قريش ! البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليست لهم منعة ولاملجأ (١) إلا سيوفهم ، ألا ترونهم خرساً لايتكلمون ، يتلمظون تلمظ (٢) الأفاعى ، والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل منكم رجلا ، فإذا أصابوا منكم مثل عددهم فما خير فى العيش بعد ذلك فروا رأيكم .

فبعثوا أبا سلمة الجشمى ، فأطاف على المسلمين بفرسه ، ثم رجع فقال : والله مارأيت جلداً ولا عدداً ولاحلقة ولا كراعاً ، ولكنى رأيت قوماً لايريدون أن يؤوبوا إلى أهليهم : قوماً مستميتين ليست لهم منعة ولاملجأ إلا سيوفهم ، زرق (٣) العيون كأنها (٤) الحصى تحت الحجف (٥) ، فروا رأيكم .

حكيم بن حزام يؤامر قريشاً على الرجوع

فمشى حكيم بن حزام فى الناس ليرجعوا فوافقه عتبة بن ربيعة ، وأبى أبو جهل وهب (٦) إلى عامر الحضرمى أخى المقتول بنخلة ، وحثه على أخذه بثأر أخيه ، فقام ثم حثا على استه التراب بعدما اكتشف وصرخ : واعمراه ! فأفسد على الناس الرأى الذى رآه عتبة ودعاهم إليه .

بدء القتال يوم بدر وأول من قتل

ثم حرش بين الناس ، وحمل فوارس المسلمين وشبت الحرب . فخرج إليه مهجع مولى عمر [بن الخطاب] (٧) فقتله عامر ، فكان مهجع أول من استشهد يوم بدر ؛ وكان أول قتيل قتل من الأنصار حارثة بن سراقة قتله حبان ابن العرقة ، ويقال عمير بن الحمام قتله خالد بن الأعلم العُقيلى .

مناشدة رسول الله ربه

وكان رسول الله ﷺ فى العريش وأصحابه على صفوفهم ، فاضطجع فغشيه نوم غلبه — وكان قد قال : لاتقاتلوا حتى أوذنكم ، وإن كثبوكم (٨) فارموهم ، ولاتسلوا السيوف حتى يغشوكم — فقال أبو بكر رضى الله عنه : يارسول الله قد دنا القوم ، وقد نالوا منا ؛ فاستيقظ ﷺ وهو رافع يديه يناشد ربه ماوعده من النصر ويقول : اللهم إن تظهر على هذه العصابة يظهر الشرك ولايقم لك دين ؛ وأبو بكر يقول : والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك . وقال عبد الله بن رواحة : يارسول الله ، إنى أشير عليك — ورسول الله أعظم وأعلم بالله من أن يُشار عليه — إن الله أجلّ وأعظم من أن ينشد وعده ، فقال رسول الله ﷺ : يا بن رواحة ، ألا أنشُد الله وعده ، إن الله لايخلف الميعاد .

(١) فى (خ) مطموسة ، وما أثبتناه من (ابن سعد) ج ٢ ص ١٦ (والمغازى) ج ١ ص ٦٢ .
(٢) التلمظ : تحريك اللسان فى الفم بعد الأكل والتمطق بالشفتين .
(٣) فى (خ) « زرق زرق » تكرار من الناسخ .
(٤) فى (خ) « كأنهم » .
(٥) الحجف : جمع حجفة ، وهى جلود يطارق بعضها ببعض حتى تغلظ فتكون درقة كالدرع .
(٦) فى (خ) « ووهب » .
(٧) زيادة للإيضاح .
(٨) كثب وأكثب : إذا دنا من القوم وقاربهم .

ولم يذكر بن إسحق ولا الواقدىّ أنه ﷺ قاتل ، وخرّج الفريابى ، نا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن حارثة ، عن على رضى الله عنه قال : لما كان يوم بدر وحضر الناس ، أمّنا رسول الله ﷺ ، فما كان منا أحد أقرب إلى المشركين منه ، وكان أشد الناس بأساً [مسند أحمد ج ١ ص ١٢٦] .

الأسود بن عبد الأسد مقتله عند الحوض

فلما تزاحف الناس قال الأسود بن عبد الأسد (١) المخزومى — حين دنا من الحوض : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنّه ، أو لأموتنّ دونه ، فشدّ حتى دنا منه ، فاستقبله حمزة بن عبد المطلب فضربه فأطنّ (٢) قدمه ، فزحف الأسود حتى وقع فى الحوض فهدمه برجله الصحيحة وشرب منه ، وحمزة يتبعه فضربه فى الحوض فقتله ، فدنا بعضهم من بعض وخرج عتبة ، وشيبة والوليد ، ودَعَوا إلى المبارزة .

المبارزه وخروج الأنصار وكراهية رسول الله ذلك ودعوته للمهاجرين

فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار فتيان وهم : مُعاذ ومعوّذ وعوف بنو عفراء ، ويقال ثالثهم عبد الله بن رواحة (٣) فاستحيا رسول الله ﷺ وكره أن يكون أول قتال — لقى فيه المسلمون المشركين — فى الأنصار ، وأحب أن تكون الشوكة (٤) ببنى عمه وقومه ، فأمرهم فرجعوا إلى مصافهم ، وقال لهم خيراً . ثم نادى منادى المشركين : يامحمد ، أخرج لنا (٥) الأكفاء من قومنا ، فقال ﷺ : يابنى هاشم ، قوموا فقاتلوا بحقكم الذى بُعث به نبيكم ، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله ؛ فقام على ، وحمزة ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب ، فمشوا إليهم (٦) . وكان علىّ رضى الله عنه معلماً بصوفة بيضاء ، فقال عتبة لابنه : قم ياوليد ، فقام فقتله على ، ثم قام عتبة فقتله حمزة ؛ ثم قام شيبة فقام إليه عبيدة فضربه شيبة فقطع ساقه ، فكرّ حمزة وعلى فقتلا شيبة واحتملا عبيدة إلى الصف (٧) فنزلت فيهما (٨) هذه الآية ﴿ هذان خصمان اختصموا فى ربهم ، فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم ﴾ (٩) .

(١) فى (خ) « الأسدى » .   (٢) أى ضربه ضربةً سريعة بالسيف قطعت رِجْله ، ويُسمع للضربة طنين .
(٣) وهى رواية (الواقدى) ج ١ ص ٦٨ إلا أنه استدرك ذلك بقوله : « والثبت عندنا أنهم بنو عفراء » . وفى (تاريخ الطبرى) ج ٢ ص ٤٤٥ أن ثالثهم ابن رواحة .
(٤) فى (المغازى) ج ١ ص ٦٨ « ابنى » .   (٥) فى (خ) ، (المغازى) « لنا وفى (ط) « إلينا » .
(٦) فى (ابن سعد) « فمشوا إليه » ج ٢ ص ١٧ وفى (المغازى) « فمشوا إليهم » ج ١ ص ٥٨ .
(٧) « فلما أتوا به النبى ﷺ قال : ألستُ شهيداً يا رسول الله ؟ قال : بلى ، قال لو رآنى أبو طالب لعلم أننا أحق منه بقوله :
ونسلمه حتى نُصَرَّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل »
(الكامل لابن الأثير) ج ١ ص ١٢٥ .
وفى (المغازى) ج ١ ص ٧٠ .
« كذبتم وبيت الله نُخلى محمداً ... ولما نُطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نُصرَّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل »
وفى (ابن هشام) « كذبتم وبيت الله نبزى محمداً » أى لا يُبزى والمعنى لا يُقهر .
(٨) فى (المغازى) ج ١ ص ٧٠ « ونزلت هذه الآية » .
(٩) الآية ١٩ / الحج وفى (خ) إلى قوله تعالى « فى ربهم » .

استفتاح أبي جهل

واستفتح أبو جهل يومئذ فقال : اللهم أقطعنا الرحم . وأتانا بما لا يعلم، فأحِنْه الغداة . فأنزل الله تعالى : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح، وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت، وأن الله مع المؤمنين » (١) . وقال يومئذ :

ما تنقم الحرب العوانُ مني ... بازلُ عامين حديثٌ سني
لمثل هذا ولدتني أمي (٢)

إبليس يذمر المشركين ثم نكوصه على عقبيه

وتصور إبليس في صورة سراقة (بن مالك) ، بن جعشم (المدلجي) (٣) يذمر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لهم من الناس ، فلما أبصر عدوّ الله الملائكة نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون (٤) فتشبث به الحارث بن هشام وهو يُرى أنه سُراقة ، فضرب في صدر الحارث ، فسقط ، وانطلق إبليس لا يُرى حتى وقع في البحر ، [ورفع يديه وقال : يارب ، موعدك الذي وعدتني] (٥)

شعار المسلمين في القتال وإعلامهم

وأقبل أبو جهل يحض المشركين على القتال بكلام كثير (٦) وجعل ﷺ شعار المهاجرين « يا بني عبد الرحمن » وشعار الخزرج « يا بني عبد الله » ، والأوس « يا بني عبيد الله » . ويقال كان شعار رسول الله ﷺ : « يا منصور أمت » . (٧) وقال ﷺ : إن الملائكة قد سوّمت فسوّموا (٨) ، فأعلموا بالصوف في مغافرهم وقلانسهم وكان أربعة يُعلمون في الزحوف (٩) : فكان حمزة معلماً بريشة نعامة ، وعليّ مُعلماً بريشة نعامة ، وعليّ مُعلماً بصوفة

---

(١) الآية ١٩/ الأنفال وفي (خ) إلى قوله تعالى [« الفتح » ، « الآية »] .
(٢) في (البداية والنهاية) ج ٣ ص ٢٨٣ « ما تنقم الحربُ الشموس مني » .
وفي (ابن هشام) ج ٢ ص ٢٠٠ « ما تنقم الحربُ العوان مني » .
والحرب العوان جمع عون : الحرب الشديدة التي قوتل فيها مرة بعد أخرى ، والبازل من الإبل الذي خرج سنه فهو في ذلك يصل لذروة مرحلة الشباب .
(٣) زيادة من نسبه .
(٤) وذلك معنى الآية ٤٨/ الأنفال وهو قوله تعالى : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ... » .
(٥) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ٧١ .
(٦) من هذا الكلام الكثير : « لا يغرنكم خذلان سراقة بن جعشم إياكم فإنما كان على ميعاد من محمد وأصحابه ، سيعلم إذا رجعنا إلى قُديد ما نصنع بقومه » من (المغازي) ج ١ ص ٧١ .
(٧) في (ابن هشام) ج ٢ ص ٢٠١ « أحدٌ أحد » .
(٨) أي اتخذوا سيما وهي العلامة .
(٩) في (خ) « الرجوف » والزحوف : جمع زحف وهو لقاء العدو .

بيضاء ، والزبير معلماً بعصابة صفراء - وكان يحدّث أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بُلق عليها عمائم صفر - وكان أبو دُجانة معلماً بعصابة حمراء .

خبر قتال الملائكة يوم بدر

وقال سهيل بن عمرو : ولقد رأيت يوم بدر رجالا بيضاً على خيل بُلق بين السماء والأرض مُعلمين ، يقتلون ويأسرون ، وقال أبو أسيد الساعدي [بعد أن ذهب بصره] (١) : لو كنت معكم الآن ببدر [ومعي بصري] (١) لأريتكم الشِّعْبَ الذي خرجت منه الملائكة . وكان (٢) ابن عباس يحدّث عن رجل من بني غِفار حدثه ، قال : أقبلتُ أنا وابن عم لي يوم بدر حتى أصعدنا في (٣) جبل ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة (٤) ، فننتهب مع من ينتهب ، فبينا نحن في الجبل إذ رأيت سحابة دنت منا ، فسمعت فيها حمحمة الخيل وقعقعة الحديد ، وسمعت قائلا يقول : أقْدِم حيزُوم ؛ فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات ، وأما أنا فكدت أهلك فتماسكت وأتبعت البصر حيث تذهب السحابة ، فجاءت إلى النبي ﷺ وأصحابه ثم رجعت وليس فيها شيء مما كنتُ أسمع .

وقال أبو رُهم الغفاريّ عن ابن عم له : بينا أنا وابن عم لي على ماء بدر - فلما رأينا قلة من مع محمد وكثرة قريش - قلنا : إذا التقت الفئتان عمدنا إلى عسكر محمد وأصحابه ، فانطلقنا نحو المجنّبة اليسرى من أصحابه ونحن نقول : هؤلاء ربع قريش ، فبينما نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا ، فرفعنا أبصارنا إليها ، فسمعنا أصوات الرجال والسلاح ، وسمعنا رجلا يقول لفرسه أقدم حيزوم ، وسمعناهم يقولون . رويداً تتامّ أخراكم ، فنزلوا على ميمنة رسول الله ﷺ ثم جاءت أخرى مثل [ذلك] (٥) فكانت مع النبي ﷺ ، فنظرنا إلى النبي ﷺ وأصحابه فإذا هُمْ الضِّعف على قريش فمات ابن عمي ، وأما أنا فتماسكتُ وأخبرتُ النبي ﷺ وحَسُن إسلامه .

وقال رسول الله ﷺ ما رُئي الشيطانُ يوماً [هو] (٦) فيه أصغرَ ولا أحقرَ ولا أدحرَ ولا أغيظَ منه في يوم عرفة - وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة - وتجاوز الله عن الذنوب العظام - إلا ما رئي يوم بدر ، وقيل ما رأى يوم بدر ، قال : أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة . وقال ﷺ يومئذ : هذا جبريل يسوق الريح كأنه دِحية الكلبي ، إني نُصرت بالصَّبا وأهلكت عاد بالدَّبور . وقال عبد الرحمن بن عوف رأيت يوم بدر رجلين عن يمين النبي ﷺ أحدهما ، وعن يساره أحدهما ، يقاتلان أشد القتال ، ثم يليهما ثالث من خلفه ، ثم ربعهما رابع أمامه . وعن صهيب : ما أدري كم يدٍ مقطوعة أو ضربة جائفة (٧) لم يَدْمَ كَلْمُها (٨) - يوم بدر - قد رأيتها . وعن أبي بردة بن نيار قال : جئت يوم بدر بثلاثة رءوس فوضعتهم بين يدي رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ، أما رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث فإني رأيت رجلا أبيض طويلا ضربه فتدهدى (٩) أمامه فأخذت رأسه ، فقال

---

(١) زيادات للإيضاح .
(٢) في (خ) « فكان » . وما أثبتناه من (ط) و (ابن هشام) .
(٣) الخبر في (المغازي) ج ١ ص ٧٦ .
(٤) الدَّبرة : الهزيمة وفي (المغازي) ج ١ ص ٧٦ « الدائرة » .
(٥) في (المغازي) ج ١ ص ٧٧ « تلك » .
(٦) زيادة من (المغازي) ج ١ ص ٧٧ .
(٧) الجائفة : التي تبلغ الجوف .
(٨) الكَلْمُ : الجرح .
(٩) تدهدى : تدحرج (النهاية) ج ٢ ص ١٤٣ .

ﷺ : ذاك فلان من الملائكة . وكان ابن عباس يقول : لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر . وعن ابن عباس : كان الملك يتصور فى صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم فيقول : إنى قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ماثبتنا ، ليسوا بشىء . وذلك قول الله تبارك وتعالى : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » [1] .

وعن حكيم بن حزام: لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادى خَلْص [2] بِجَادٌ [3] من السماء قد سد الأفق ، فإذا الوادى يسيل نملاً . فوقع فى نفسى أن هذا شىء من من السماء أُيِّد به محمد ﷺ ، فما كانت إلا الهزيمة ؛ وهى الملائكة .

نهى الرسول عن قتل بنى هاشم ورجال من قريش

ونهى رسول الله ﷺ يومئذ عن قتل بنى هاشم ، فقال : من لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ونهى عن قتل العباس بن عبد المطلب ، ونادى مناديه : من أَسَرَ أمّ حكيم بنت حزام فليخل سبيلها فإن رسول الله قد أمنها وكان قد أسرها رجل من الأنصار وكتفها بذؤابتها [4] فلما سمع المنـــادى خلى سبيلها . ونهى أيضاً عن قتل أبى البخترى فقتله أبو داود المازنى ، ويقال قتله المجذّر بن ذياد [5] ونهى عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل فقتله خبيب بن يساف ولا يعرفه . ونهى عن قتل زمعة بن الأسود فقتله ثابت بن الجذع [6] ولا يعرفه .

دعاؤه ثم رميه المشركين بالحصى

ولما التحم القتال كان رسول الله ﷺ رافعاً يديه يسأل الله النصر وماوعده . وأمر ﷺ فأخذ من الحصا كفاً فرماهم بها وقال : شاهت الوجوه ، اللهم ارعب قلوبهم ، وزلزل أقدامهم ، فانهزم أعداء الله لايلوون على شىء ، وألقوا دروعهم ، والمسلمون يقتلون ويأسرون ، ومابقى منهم أحد إلا امتلأ وجهه وعيناه ، مايدرى أين يتوجه والملائكة يقتلونهم وذلك قوله تعالى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وليُبْلِىَ المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم » [7] .

أسر عقبة بن أبى معيط وقتله

وجىء بعقبة بن أبى معيط فرسه ، فأخذه عبد الله بن سلمة العجلانى . فأمر النبىُّ ﷺ عاصمَ بن ثابت بن أبى الأقلح فضرب عنقه صبراً ، وصدق الله رسوله ﷺ فى قوله لعقبـــة : إن وجدتك خارج جبال مكة قتلتك صبراً .

(١) آية ١٢/ الأنفال .

(٢) وادى بين مكة والمدينة فيه قرى ونخل (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٣٨٢ .

(٣) البجاد : كساء مخطط (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٣٨ .

(٤) الذؤابة : الضفيرة من الشعر .

(٥) فى (خ) « زياد » وما أثبتناه من (المغازى) جـ ١ ص ٨٠ .

(٦) فى (خ) « الجزع » وما أثبتناه من (المغازى) جـ ١ ص ٨١ .

(٧) الآية ١٧/ الأنفال ، وفى (خ) إلى قوله تعالى : « رمى » .

أسر أميـــة بن خلف

وبينا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يجمع أدراعاً بعد أن ولىّ الناس إذا أمية بن خلف وابنه علىٌّ ، فأخذ يسوقهما أمامه إذ بصر به بلالٌ فنادى يامعشر الأنصار ، أمية بن خلف رأس الكفر ، لانجوتُ إن نجوتَ : فأقبلوا حتى طرحَ أمية على ظهره فقطع الحباب بن المنذر أرنبة أنفه ، وضربه خُبيب بن يساف حتى قتله ، وقتل عمارُ بن ياسر علىَّ بن أمية بن خلف . وقتل الزبيرُ بن العوام عبيدةَ بن سعيد بن العاص ، وقتل أبو دجانة عاصم بن أبى عوف ابن ضُبيرة [1] السهمى ، وقتل على رضى الله عنه عبد الله بن المنذر بن أبى رفاعة وحرملة بن عمروٍ وهو يراهما أبا جهل . وقتل حمزة رضى الله عنه أبا قيس بن الفاكه بن المغيرة وهو يراهما أبا جهل ؛ [وكان أبو جهل فى مثل الحَرَجَة (وهو الشجر الملتف) والمشركون يقولون : أبو الحكم لا يُخلَصُ إليه] .

قتـــل أبى جهل

فصمد معاذ بن الجموح إلى أبى جهل وأبو جهل يرتجز :

ما تنقم الحرب العوان منّى   بازل عـــامين حديثٌ سنّى
لمثـــل هـــذا ولدتنى أمّى

فضربه طرح رجله من الساق ، فأقبل عليه عكرمة بن أبى جهل فضربه على عاتقه طرح يده من العاتق ، وبقيت الجلدة ، فوضع معاذٌ عليها رجله وتمطى (بها) [2] عليها حتى قطعها . وضربه مع معاذٍ معوِّذٌ وعوفٌ ابنا عفراء فنفل رسول الله ﷺ معاذاً سيف أبى جهل ودرعه .

ولما وضعت الحرب أوزارها أمر رسول الله ﷺ أن يُلتمس أبو جهل فوجده عبد الله بن مسعود فى آخر رمق ، فوضع رجله على عنقه وضربه فقطع رأسه وأتى به بسلبه النبىَّ ﷺ فَسُرَّ به وقال : اللهم قد أنجزت ماوعدتنى فتمم على نعمتك .

ويقال إن معاذاً ومعوذاً ابنى عفراء أثبتا أبا جهل ، وضرب ابن مسعود عنقه فى آخر رمق ، وقد رأى فى كتفيه آثار السِّياط . فوقف النبى ﷺ على مصرع ابنى عفراء فقال يرحم الله ابنى عفراء . فإنهما قد شركا فى قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر ، فقيل : يارسول الله ، ومن قتله معهما ؟ قال : الملائكة ، ودافَّه [3] ابن مسعود . وقال ﷺ . اللهم اكفنى نوفل بن خويلد ؛ فأسره جبار بن صخر ولقيه على فقتله ، فقال عليه السلام : الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه . وقتل علىٌّ أيضاً العاص بن سعيد . وانقطع سيف عكاشة بن محصن فأعطاه رسول الله ﷺ عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتل به حتى هزم الله المشركين ، فلم يزل عنده حتى هلك . وانكسر سيف سلمة ابن أسلم بن حريش فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان فى يده من عراجين ابن طاب [4] فقال : اضرب به ؛ فإذا سيفٌ جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم خيبر .

(١) ويقال : ابن صبيرة بالصاد المهملة .   (٢) زيادة يتم بها المعنى .

(٣) دافّه : أجهز عليه وحرّر قتله .

(٤) العراجين : جمع عُرجون ، وهى شماريخ النخل ، وابن طاب : ضرب من النخل بالمدينة (هامش ط) ص ٩٢ .

فرق المسلمين

وقال النبي ﷺ لما تصافوا للقتال: من قتل قتيلا فله كذا، ومن أسر أسيراً فله كذا، فلما انهزم [المشركون](١) كان الناس ثلاث فرق: فرقةٌ قامت عند خيمة النبي ﷺ وأبو بكر معه فيها، وفرقةٌ أغارت على النهب تنهب، وفرقة طلبت العدو فأسروا وغنموا.

اختلاف المسلمين فى الغنائم، وما نزل من القرآن فى ذلك

وكان سعد بن معاذ ممن أقام على خيمة النبي ﷺ [فقال للنبي ﷺ](١): مامنعنا أن نطلب العدو زهادةٌ فى الأجر ولاجبنٌ(٢) عن العدو، ولكن خفنا أن يعرى(٣) موضعك فتميل عليك خيل من خيل المشركين ورجال من رجالهم؛ وقد أقام عند خيمتك وجوه من المهاجرين والأنصار ولم يشذّ أحد منهم، والناس كثير، ومتى تعط هؤلاء لايبق لأصحابك شيء، والأسرى والقتلى كثير، والغنيمة قليلة. فاختلفوا فأنزل الله تعالى «يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول»(٤) فرجع الناس وليس لهم من الغنيمة شيء، ثم أنزل الله تعالى «واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خُمُسَهُ وللرسول»(٥) فقسمه رسول الله ﷺ. ويقال: لما اختلفوا فى غنائم بدر أمر ﷺ بها أن(٦) تردّ فى القسمة، فلم يبق منها شيء إلا رُدّ، فظن أهل الشجاعة أن رسول الله ﷺ يخصهم بها دون أهل الضعف، ثم أمر ﷺ أن تقسم بينهم على سواء. فقال سعد: يارسول الله، أتعطى فارس القوم الذى يحميهم مثل ماتعطى الضعيف؟ فقال ﷺ: ثكلتك أمك، وهل تنصرون إلا بضعفائكم؟ ونادى مناديه: من قتل قتيلاً فله سلبه، وأمر بما وجد فى العسكر وما أخذوا بغير قتال فقسمه بينهم. ويقال أمر أن تردّ الأسرى والأسلاب وما أخذوا فى المغنم؛ ثم أقرع بينهم فى الأسرى وقسم الأسلاب التى ينفل(٨) الرجل نفسه فى المبارزة، وما أخذوه من العسكر قسمة بينهم. والثبت من هذا: أن كل ماجعله لهم فإنه سلّمه لهم، ومالم يجعل قسّمهُ بينهم.

جمع الغنائم وقدرها وقسمتها

وجمعت الغنائم واستعمل عليها رسولُ الله ﷺ عبد الله بن كعب بن عمرو المازنىّ وقسمها بسَيَر(٩)، وقيل بل استعمل عليها خبّاب بن الأرتّ؛ وكان فيها إبل ومتاع وأنطاع(١٠) وثياب، وكانت السُّهمانُ على ثلاثمائة وسبعة عشر سهماً، والرجال ثلاثمائة وثلاثة عشر، والخيل فرسان لهم أربعة أسهم، وثمانية نفر لم يحضروا ضرَبَ لهم ﷺ بسهامهم وأجورهم: ثلاثة من المهاجرين وهم: عثمان بن عفان — خلّفه رسول الله ﷺ على ابنته رقية فماتت يوم قدم زيد بن حارثة — وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل بعثهما رسول الله ﷺ

(١) زيادة يقتضيها السياق.
(٢) فى (خ) «جبناً» ولعلها «زهادة فى الأجر ولا جبناً».
(٣) أى يخلو ممن يحرسه.
(٤) أول سورة الأنفال.
(٥) الآية ٤١/ الأنفال.
(٦) فى (خ) «بأن».
(٧) زيادة من (الواقدى) ج ١ ص ١٠٠.
(٨) فى (الواقدى) «تنفّل» وفى (خ) «لفتل».
(٩) سَيَر: بفتح أوله وثانيه: كثيب بين المدينة وبدر (معجم البلدان) ج ٣ ص ٢٩٦.
(١٠) جمع نطع: بساط من جلد (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٩٣٠.

يتحسسان العير تلقاء(١) الحَوْراء؛ ومن الأنصار أبو لبابة بن عبد المنذر خلفه على المدينة، وعاصم بن عدىّ خلّفه على قباء وأهل العالية، والحارث بن حاطب أمره بأمر فى بنى عمرو بن عوف، وخوّات بن جبير كسر بالروحاء(٢)، والحارث بن الصِّمَّة كسر بالروحاء. وروى أن سعد بن عبادة ضرب له بسهمه(٣) وأجره، وضرب لسعد بن مالك الساعدى بسهمه وأجره، وضرب لرجل من الأنصار، ولرجل آخر، وهؤلاء الاربعة لم يجمع عليهم(٤)، وضرب أيضاً لأربعة عشر رجلاً قتلوا ببدر.

وكانت الإبل التى أصابوا مائة بعير وخمسين بعيراً، وكان معهم أدَمٌ كثير(٥) حملوه للتجارة فغنمه المسلمون، وأصابوا قطيفة حمراء(٦) وكانت الخيل التى غنمت عشرة أفراس، وأصابوا سلاحاً وظهراً وجملَ أبي جهل فصار للنبي ﷺ؛ ولم يزل عنده يضرب فى إبله ويغزو(٧) عليه حتى ساقه فى هدى(٨) الحديبية. وكان لرسول الله ﷺ صَفِىٌّ(٩) من الغنيمة قبل أن يُقسَمَ منها شيء. فتنفّل سيفه ذا الفقار وكان لمنبّه بن الحجاج. وكان ﷺ قد غزا إلى بدر بسيف وهبهُ لهُ سعد بن عبادة يقال له العَضْبُ، ودرعه ذات الفُضول. وأحذى(١٠) مماليك حضروا بدراً ولم يسهم لهم، وهم ثلاثة: غلام لحاطب بن أبي بلتعة، وغلام لعبد الرحمن بن عوف، وغلام لسعد بن معاذ ويقال شهد بدراً من الموالى عشرون رجلاً. واستعمل ﷺ شُقران غلامه على الأسرى فأحذوهُ من كل أسير، ما لو كان حراً ما أصابه فى المقسم.

أسر سهيل بن عمرو وفراره ثم يأسره رسول الله ﷺ

وأسر سُهيل بن عمرو ففرّ بالروحاء من مالك بن الدخشم فقال رسول الله ﷺ: من وجده فليقتله، فوجده النبي ﷺ فلم يقتله، وأمر فربطت يداه إلى عنقه ثم قرنه إلى راحلته فلم يركب خطوة حتى قدم المدينة.

وأسر أبو بردة بن نيار رجلا يقال له مَعبد بن وهب من بنى سعد بن ليث(١١)، فلقيه عمر بن الخطاب رضى الله

(١) فى (المغازى) ج ١ ص ١٠١ «بلغا الحوراء» «وراء ذى المروة بينها وبينها ليلتان على الساحل، وبين ذى المروة والمدينة ثمانية بُرُد أو أكثر قليلا».
(٢) الروحاء، «من عمل الفرع على نحو من أربعين يوماً» (معجم البلدان) ج ٣ ص ٧٦.
(٣) المغازى ج ١ ص ١٠١: «وقال ﷺ حين فرغ من القتال ببدر: لئن لم يكن شهدها سعد بن عبادة، لقد كان فيها راغباً».
(٤) فى المرجع السابق: «وهؤلاء الأربعة ليس بمجتمع عليهم كاجتماعهم على الثمانية».
(٥) الطعام خلطة بالإدام (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٠.
(٦) فى (المغازى) ج ١ ص ١٠٢ «فقال بعضهم: مالنا لا نرى القطيفة؟ ما نرى رسول الله إلا أخذها. فأنزل الله عز وجلّ: «وما كان لنبي أن يَغُلَّ» إلى آخر الآية ١٦١ / آل عمران».
(٧) فى (خ) «يغزا».
(٨) الهدى: ما أهدى إلى بيت الله الحرام ليُنحر.
(٩) الصفىّ: ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل قسمتها (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥١٨.
(١٠) فى (خ) «واحدا» وأحذاه: أعطاه (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٦٣.
(١١) كذا فى (خ) وفى (المغازى) ج ١ ص ١٠٥ (ما أثبتناه)، وفى (ابن هشام) ج ٢ ص ٢٥٦ «قال ابن إسحق: ومعبد بن وهب، حليف لهم من بنى كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث».

عنه قبل أن يتفرق الناس فقال : أترون ياعمر أنكم قد غلبتم !! كلا ، واللات والعزى . فقال عمر : عباد الله المسلمين !! أتتكلم وأنت أسير في أيدينا ! ثم أخذه من أبي بردة فضرب عنقه ، ويقال إن أبا بردة قتله .

أمر الأسرى يوم بدر

ولما أتى بالأسرى كره ذلك سعد بن معاذ فقال رسول الله ﷺ ، يا أبا عمرو ، كأنه شق عليك الأسرى أن يؤسروا ؟ فقال نعم يارسول الله ، كانت أول وقعة التقينا فيها والمشركون ، فأحببت أن يذلهم الله ، وأن نثخن فيهم القتل .

قتل النضر بن الحارث

وأسر المقدادُ بن الأسود النضر بن الحارث ، فمرض على رسول الله ﷺ بالأُثَيل ، (١) وقد سار من بدر فقتله عليّ رضى الله عنه بالسيف صبراً . وأسر عمرو بن أبي سفيان بن حرب ، فقيل لأبي سفيان : ألا تفدى عمراً ! فقال : حنظلة قتل وأفتدى (٢) عمراً ، فأصاب بمالي وولدي ؟ لا أفعل ولكن أنتظر حتى أصيب منهم رجلاً فأفديه .

اسر المشركين سعد بن النعمان

فأصاب سعدَ بن النعمان [بن زيد] (٣) بن أكّال أحد بني عمرو بن عرف جاء معتمراً ، فلما قضى عُمرته صَدَر — وكان معه المنذر بن عمرو — فطلبهما (٤) أبو سفيان فأدرك سعداً فأسره وفاتَه المنذر . فى ذلك يقول ضرار ابن الخطاب :

تداركتَ سعداً عَنوةً فأسرته ... وكان شِفاءً لو تداركتَ مُنذِرا

وقال فى ذلك أبو سفيان :

أرهط ابن أكّال أجيبوا دُعاءه ... تفاقدتم ، لاتسلموا السيد الكهلا

فإنّ بني عمرو بن عوفٍ أذلةٌ ... لئن لم يفكّوا عن أسيرهم الكبلا

ففادوه سعداً بابنه عمرو .

---

(١) الأثيل : موضع قرب المدينة ، وهناك عين ماء لجعفر بن أبي طالب بين بدر ووادى الصفراء (معجم البلدان) جـ ١ ص ٩٤ .

(٢) فى (خ) « وأفديه » .

(٣) زيادة من نسبه .

(٤) فى (خ) « فطلبهم » .

(٥) هذان البيتان فى (ابن هشام) جـ ٢ ص ٢١٣ وفى (ابن الأثير) جـ ٢ ص ١٢٣ هكذا :

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه ... تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا

فإن بني عمرو لئام أذلة ... لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

مقالة عمر فى سهيل بن عمرو

ولما أسر سُهيل بن عمرو قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يارسول الله ، انزع ثنيته يدلع (١) لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، فقال ﷺ : لا أمثّل به فيمثّل الله بي وإن كنت نبياً ، ولعله يقوم مقاماً لاتكرهه ، فقام سهيل بن عمرو حين جاءه وفاة النبي ﷺ بخطبة أبي بكر رضى الله عنه بمكة كأنه كان سمعها ، فقال عمر رضى الله عنه حين بلغه كلام سهيل : أشهد أنك رسول الله ! يريد قول النبي ﷺ : لعله يقوم مقاماً لاتكرهه .

تخيير رسول الله فى أمر الأسرى

وكان على رضى عنه يقول : أتى جبريلُ إلى النبي ﷺ يوم بدر يخيره فى الأسرى أن تُضرب أعناقهم ، أو يؤخذ منهم الفداء . ويُستشهَد منهم فى قابل عدتهم . فدعا رسول الله ﷺ أصحابه (٢) فقال ما أعلمه جبريل ، فقالوا : بل نأخذ الفدية نستعين بها ويُستشهَدُ منا فيدخل الجنة ، فقبل منهم الفداء وقُتل منهم عدتهم بأحد . ولما حُبس الأسرى بعثوا إلى أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ليكلما النبي ﷺ فى أمرهم ، فأخذ أبو بكر يكلم النبي ﷺ فيهم ، ويسألين أن يَمُنّ عليهم أو يفاديهم ، وأخذ عمرُ يحث رسول الله ﷺ على ضرب أعناقهم ، فقبل ﷺ منهم الفداء وأمَّن أبا عزّة عمرو بن عبد الله بن عثمان (٣) الجمحي الشاعر وأعتقهُ بعد ما أعطى النبي ﷺ ألا يقاتله ولايكثّر عليه أبداً .

طرح قتلى بدر فى القليب

وأمر ﷺ بالقُلُب فعُوِّرت (٤) وطُرحت القتلى فيها إلا أمية بن خلف فإنه كان مسمّناً فانتفخ ، ولما أرادوا أن يلقوه تزايل [لحمه فقال النبي ﷺ : اتركوه] (٥) .

موقف رسول الله على قتلى بدر وماقاله

ثم وقف عليهم فناداهم : ياعتبة بن ربيعة ، ياشيبة بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، هل وجدتم ماوعدكم (٦) ربكم حقاً فإني قد وجدت ماوعدني ربي حقاً ؟ بئس القوم كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني ، وقاتلتموني ونصرني الناس ! قالوا (٧) : يارسول الله تنادى قوماً قد ماتوا ! قال : قد علموا أن ماوعدهم ربهم حق . وقال السدّى عن مِقْسَم عن ابن عباس : وقف رسول الله ﷺ على قتلى بدر فقال :

---

(١) دَلَع اللسان دلوعاً : خرج من الفم واسترخى (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٢٩٣ .

(٢) فى (ط) « وأصحابه » .

(٣) فى (خ) « عمر بن عبد الله بن عمير » . وفى (المغازى) جـ ١ ص ١١٠ « أبا عزة عمرو بن عبد الله بن عمير الجمحي » .

(٤) فى المرجع السابق « أن تُغوَّر » .

(٥) زيادة من المرجع السابق ، وتزايل : تفكك لحمه وتفرق .

(٦) فى (خ) « ما وعد » .

(٧) فى (خ) « قال » ، وما أثبتناه من (المغازى) جـ ١ ص ١١٢ .

جزاكم الله عنى من عصابة شراً ، فقد خونتمونى(١) أميناً وكذبتمونى صادقاً . ثم التفت إلى أبى جهل فقال: هذا أعتى على الله من فرعون ، إن فرعون لما أيقن (٢) بالهلكة وحّد الله ، وإن هذا لما أيقن بالهلكة دعا باللات والعُزّى . وكان انهزام القوم حين زالت الشمس ، فأقام رسول الله ﷺ ببدر وأمر عبد الله بن كعب بقبض الغنائم وحملها ، وندب نفراً من أصحابه أن يعينوه ، ثم صلى العصر وراح فمرّ بالأثيل (٣) قبل غروب الشمس فنزل وبات به . وكان ذكوان بن عبد قيس (٤) يحرس المسلمين تلك الليلة حتى كان آخر الليل ارتحل . فلما كان بعرق الظُّبية أمر عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح فضرب عُنق عقبة بن أبى معيط ، ويقال بل أمر علىّ بن أبى طالب فضرب عنقه ، والأول أشهر .

قسمة الغنائم

ولما نزل بِسَيَرَ وهو شعب بالصفراء قسم الغنائم بين أصحابه ، وتنفّل سيفه ذا الفقار وكان لمنبّه بن الحجّاج فكان صفيّهُ ، وأخذ سهمه مع المسلمين وفيه جمل أبى جهل . وكان مَهْريا (٥) ، فكان يغزو عليه ويضرب فى لقاحه .

وبالصفراء مات عبيدة بن الحارث رضى الله عنه . واستقبل طلحةُ وسعيد بن زيد رسولَ الله ﷺ بـتُرْبان(٦) [فيما بين ملل والسيالة] وهو منحدر من بدر يريد المدينة .

بشرى أهل المدينة بنصر رسول الله

وقدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأثيل إلى المدينة فجاء يوم الأحد شدّ (٧) الضحى فنادى عبد الله : يامعشر الأنصار، أبشروا بسلامة رسول الله وقتل المشركين وأسرهم ، ثم اتّبع دور الأنصار فبشرهم . وقدم زيد ابن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ القصواء يبشر أهل المدينة فلم يصدق المنافقون ذلك وشنّعوا ، وقدم شُقْران بالأسرى وهم فى الأصل سبعون . وتلقى الناسُ رسول الله ﷺ بالروحاء يهنئونه بفتح الله ، فقدم المدينة ﷺ مؤيداً مُظفّراً منصوراً قد أعلى الله كلمته ومكّن له وأعزّ نصره ، ودخلها من ثنية الوداع فى يوم الأربعاء الثانى والعشرين من رمضان فتلقاه الولائد بالدفوف وهنّ يقلن :

طلع البـدر علينـا من ثنيـات الوداع

وجب الشكر علينا مادعـا لله داع

---

(١) فى (خ) « خونتمونى » وما أثبتناه من (ط) .

(٢) فى (خ) « لما » .

(٣) يقول (الواقدى) ج ١ ص ١١٧ : « الأثيل واد طوله ثلاثة أميال ، وبينه وبين بدر ميلان ، فكأنه بات على أربعة أميال من بدر » .

(٤) فى (خ) « ذكوان بن قيس » والتصويب من المرجع السابق .

(٥) نسبة إلى مهرة بن حيوان ، وهم قبيلة عظيمة تنسب إليها الإبل (هامش ط) ص ٩٨ .

(٦) فى (خ) « بعُرتا » .

(٧) شد الضحى : حين يرتفع قبل الزوال .

إسلام المنافقين

فأذلّ الله بوقعة بدر رقاب المشركين والمنافقين واليهود ، فلم يبق بالمدينة يهودىّ ولا منافقٌ إلا خضع عنُقه . وأسلم حينئذ بشرٌ كثير من أهل المدينة ، ومن ثم دخل عبد الله بن أبىّ بن سلول (١) وجماعته من المنافقين فى دين الإسلام تقيّة (٢) .

نوح قريش على قتلاها

وناحت قريش على قتلاها بمكة شهراً ، وجزّ النساء شعورهن ، وجعل صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح لعُمير بن وهب بن خلف بن وهب الجمحىّ — وهو المضَرَّبُ — إن قتل رسولَ الله ﷺ أن يتحمل بِدَيْنه ويقوم بعياله ، وحمله على بعير وجهّزه .

خبر عمير بن وهب ومقدمه المدينة لقتل رسول الله ثم إسلامه وعودته إلى مكة

فقدم عميرٌ المدينة ودخل المسجد متقلداً سيفَه يريد رسول الله ﷺ ، فأدخله عمر بن الخطاب رضى الله عنه على النبى ﷺ فقال : ما أقدمك ياعمير ؟ قال : قدمتُ فى أسير عندكم تُقاربونا فيه ، قال : فما بال السيف ؟ قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت من شىء ؟ إنما أنسيته (٣) حين نزلت وهو فى رقبتى . فقال: اصدُق ، ما أقدمك ؟ قال ما قدمت إلا فى أسيرى ، قال : فما شرطتَ لصفوان بن أمية فى الحِجْر ؟ ففزع عمير ، قال : ماذا شرطت له ؟ قال : تحملتَ له بقتلى على أن يقضى دينك ويعولَ عيالك ، والله حائل بينك وبين ذلك . قال عمير : أشهدُ أنك رسول الله وأنك صادق . وأسلم ، فقال ﷺ : علموا أخاكم القرآن وأطلقوا له أسيره . فعاد عمير إلى مكة يدعو الناس إلى الإسلام فأسلم معه بَشرٌ كثير .

مقدم جبير بن مطعم فى فداء أسرى قريش

وقدم جبير بن مُطعم فى فداء الأسرى ، وقدم أربعة عشر من قريش ، فجعل النبى ﷺ فداءَ الرجل أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف [درهم] ، (٤) ومنهم من مَنّ عليه لأنه لامال له .

خبر زينب بنت رسول الله فى فداء زوجها

وبعثت زينب بنت رسول الله ﷺ فى فداء زوجها أبى العاص بن الربيع بقلادة لها كانت لخديجة رضى الله

---

(١) فى (خ) « أبى بن سلول » ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه لأن سلول جدته .

(٢) فى (خ) « مقيد » ، والتقيه : إظهار الصلح والاتفاق وإضمار الخلاف والمعاندة حذراً أو جبناً .

(٣) فى (خ) (والمغازى) « نسيته » .

(٤) زيادة للإيضاح .

عنها من جزع ظفار (١) — مع أخيه عمرو بن الربيع فرق لها رسول الله ﷺ قال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا إليها متاعها فعلتم ، قالوا : نعم ، فأطلقوا أبا العاص وردّوا القلادة إلى زينب . وأخذ النبي ﷺ على أبي العاص أن يُخلّى سبيل زينب فوعده ذلك . وكان الذى أسره عبد الله بن جبير بن النعمان أخو خوّات ابن جبير ، وفكّ رسول الله ﷺ عن السائب بن عبيد ، وعبيد بن عمرو بن علقمة بغير فدية ، وقد أسرها سلمة بن أسلم بن حريش الأشهلى لأنه لامال لها ، ولم يقدم لها أحد .

أسرى قريش وفداؤهم بتعليم الغلمان الكتابة

وكان فى الأسرى من يكتب ، ولم يكن فى الأنصار من يحسن الكتابة ، وكان منهم من لامال له ، فيُقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلى سبيله .

فيومئذ تعلّم زيدُ بن ثابت الكتابة فى جماعة من غلمان الأنصار. خرّج (٢) الإمام أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس قال : كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله (٣) ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال : فجاء غلام يبكى إلى أبيه (٤) فقال ماشأنك ؟ قال ضربنى معلمى ، قال : الخبيث ! ! يطلب بذحل (٥) بدر ، والله لاتأتيه أبداً . وقال عامر الشعبي : كان فداء الأسرى [من] (٦) أهل بدر أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين ، فكان زيد بن ثابت [ممن] علم .

عدة من استشهد يوم بدر

واستشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون ، وقيل أربعة وسبعون أحصى منهم تسعة وأربعون أسيراً (٧) .

قتل عصماء بنت مروان

وكانت عصماء بنت مروان من بنى أمية بن زيد تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمى ، وكانت تؤذى رسول ﷺ وتعيب الإسلام وتحرض على النبي ﷺ وقالت شعراً ، (٨) فنذر عمير بن عدى بن خرشة بن أمية بن عامر بن

---

(١) الجزع : خرز فيه بياض وسواد وظفار : بلدة باليمن . وذكر (الواقدى) ج ١ ص ١٣٠ أن هذه القلادة « كانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى بها ، فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها ورقّ لها ، وذكر خديجة وترحم عليها » .

(٢) (المسند) ج ١ ص ٢٤٧ .

(٣) فى (خ) « النبي » ، وهذا نصّ المسند .

(٤) فى (خ) « قال » .

(٥) فى (خ) « بدخل » ، والذحل : الثأر أو العداوة والحقد (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٠٩ .

(٦) زيادة للسياق .

(٧) ذكر ابن قتيبة فى (المعارف) ص ١٥٥ : « وعدة من قتل من المشركين يوم بدر خمسون رجلا وأسر أربعة وأربعين رجلا » .

(٨) ذكر (الواقدى) هذا الشعر فى (المغازى) ج ١ ص ١٧٢ :

=

خطمة [واسمه عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس] الخطمى لئن ردّ رسول الله ﷺ من بدر إلى المدينة ليقتلنها . فلما رجع ﷺ من بدر جاءها عمير ليلا حتى دخل عليها فى بيتها [وحولها نفر من ولدها نيام ، منهم من ترضعه فى صدرها ، فجسها بيده — وكان ضرير البصر — ونحّى الصبي عنها] (١) ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ، وأتى فصلى الصبح مع النبي ﷺ . فلما انصرف نظر إليه وقال : أقتلت إبنة مروان ؟ قال : نعم يارسول الله [قال نصرت الله ورسوله ياعمير ، فقال : هل علىّ شىء من شأنها يارسول الله ؟ فقال] (٢) لاينتطح فيها عنزان . فكانت هذه الكلمة أول ماسمعت من رسول ﷺ . وقال لأصحابه : إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدى ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنظروا إلى هذا الأعمى الذى تشرى (٣) فى طاعة الله فقال [رسول الله ﷺ] لا تقل الأعمى ولكنه البصير . فلما رجع عمير وجد بنيها فى جماعة يدفنونها فقالوا : ياعمير أنت قتلتها ؟ قال نعم فكيدونى جميعاً ثم لاتنظرون ، فوالذى نفسى بيده لو قلتم جميعاً ماقالت لضربتكم بسيفى هذا حتى أموت أو أقتلكم . فيومئذ ظهر الإسلام فى بنى خطمة فمدح حسان عمير ابن عدىّ (٤) وكان قتل عصماء لخمس بقين من رمضان فرجع النبي ﷺ من بدر على رأس تسعة عشر شهراً .

فرض زكاة الفطر

وقام رسول الله قبل يوم الفطر بيومين خطيباً فعلّم الناس زكاة الفطر ، وخرج إلى المصلى يوم الفطر فصلى بالناس صلاة الفطر والعنزة (٥) بين يديه ، وهى أول صلاة صلاها فى يوم العيد .

قتل أبى عفك اليهودى

ثم كان قتل أبى عفك اليهودى فى شوال على رأس عشرين شهراً ، وكان شيخاً من بنى عمرو بن عوف قد بلغ

= فباست بنى مالك والنبيت
وعوف وباست بنى الخزرج

أطعتم أتاوىّ من غيركم
فلا من مراد ولا مذحج

ترجونه بعد قتل الرءوس
كما يرتجى مرق المنضج

— والأتاوى : الغريب . — ومراد ومذحج : قبيلتان من قبائل اليمن .

(١) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٢٨ .

(٢) زيادة من (المغازى) ج ١ ص ١٧٣ .

(٣) تشرّى : إذا شرى (أى باع) نفسه فى سبيل الله .

(٤) هذه هى الأبيات من (الواقدى) ج ١ ص ١٧٤ .

بنى وائل وبنى واقف
وخطمة دون بنى الخزرج

متى ما دعت أختكم ويحها
بعولتها والمنايا تجى

فهزّت فتى ماجداً عرقه
كريم المداخل والمخرج

فضرّجها من نجيع الدماء
قبيل الصباح ولم يحرج

فأوردك الله برد الجنا
ن جذلان فى نعمة المولج

ونجيع الدماء : ما كان إلى السواد أو دم الجوف .

(٥) العنزة : عصا قصيرة فى سنان ولها زج فى أسفلها ، وهذه العنزة كانت تحمل بين يدى رسول الله ﷺ وكانت للزبير بن العوام قدم بها من الحبشة فأخذها منه رسول الله ﷺ (هامش ط) ص ١٠٣ .

عشرين ومائة سنة (١)، وكان يحرّض على عداوة النبي ﷺ ولم يدخل في الإسلام، وقال شعراً (٢)؛ فنذر سالم ابن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري أحد البكائين (٣) من بني النجار ليَقتلَنّه أو يموت دونه، وطلب له غره (٤)، حتى كانت ليلة صائفة — ونام (أبو عفك) (٥) بالفِناء في بني عمرو بن عوف — فأقبل (٦) سالم فوضع السيف على كبده فقتله.

غزوة بني قينقاع وإجلاؤهم

ثم كان إجلاء بني قينقاع — (٧) أحد طوائف اليهود بالمدينة — في شوال بعد بدر، وقيل في صفر سنة ثلاث، وجعلها محمد بن إسحق بعد غزوة «قرارة الكُدر». وكان سببها أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً وادعته يهودُ كلها وكتب بينه وبينهم كتاباً، وألحق كل قوم بحلفائهم، وجعل بينه وبينهم أماناً وشرط عليهم شروطاً منها: ألا يظاهروا عليه عدواً. فلما قدم من بدر بغت يهودُ وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من العهد، فجمعهم [بسوق بني قينقاع] (٨) وقال: يامعشر يهود، اسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله، فقالوا: يامحمد لايغرنك من لقيت، إنك قهرتَ قوماً أغماراً (٩) وإنا والله أصحاب الحرب، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا.

سبب إجـــلائهم

فبينما هم على ما هم عليه — من إظهار العداوة ونبذ العهد — جاءت امرأة رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ في حليّ لها، فجاء أحد بني قينقاع فحل درعها من ورائها بشوكة وهي لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها، فاتبعه رجل من المسلمين فقتله. فاجتمع عليه بنو قينُقاع وقتلوه ونبذوا العهد إلى النبي ﷺ وحاربوا، وتحصنوا في حصنهم. فأنزل الله تعالى «وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لايحب الخائنين» (١٠) فقال ﷺ: أنا أخاف (١١) بني قينقاع فسار إليهم رسول الله ﷺ يوم السبت النصف من شوال

---

(١) في (خ) «سنة سنة» تكرار.

(٢) ذكره (الواقدي) ج ١ ص ١٧٥ وهو:

قد عشتُ حيناً وما إن أرى	من الناس داراً ولا مجمعاً
أجمّ عقولاً وآتى إلى	منيبٍ سراعاً إذا ما دعا
فضللهم راكبٌ أمرهم	حراماً حلالاً لشتى معاً
فلو كان بالملك صدقتم	وبالنصر تابعتم تبعاً

(٣) البكاءون: هم السبعة الذين نزل فيهم قوله تعالى: «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون» الآية ٩٢/ التوبة.

(٤) في (خ) «عزة». (٥) زيادة للإيضاح. (٦) في (خ) «أقبل».

(٧) في (خ) «قينقا». (٨) زيادة للإيضاح.

(٩) أغمار: جمع غُمْر، وهو الجاهل الذي لا تجربة عنده.

(١٠) الآية ٥٨/ الأنفال. (١١) في (خ) «أخافه من».

بعد بدر ببضع وعشرين يوماً؛ وهم سبعمائة مقاتل: منهم ثلاثمائة مستدرّعون بدروع الحديد، ولم يكن لهم حصون ولا معاقل، وإنما كانوا تجاراً وصاغة، وهم حلفاء لعبد الله بن أبيّ ابن سلول، وكانوا أشجع يهود فكانوا أول من غدر من اليهود، فحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حُكم رسول الله ﷺ، فأمر بهم فرُبطوا، واستعمل على رباطهم وكتافهم المنذر بن قدامة السَّلمي من بني غنم بن السَّلم بن مالك بن الأوس؛ ثم خلّى عنهم بشفاعة عبد الله بن أبي ابن سلول، وأمرهم أن يُجلوا من المدينة، فأجلاهم محمد بن مسلمة الأنصاريّ، وقيل عبادة ابن الصامت؛ وقبض أموالهم، وأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قِسِيّ (١) وهي الكتوم والروحاء والبيضاء، وأخذ درعين: الصُّغْديّة وفِضة، وثلاثة أسياف وثلاثة أرماح. ووجدوا في منازلهم سلاحاً كثيراً وآلة الصياغة، وخمّس (٢) ما أصاب منهم، وقسم ما بقي على أصحابه. وخرجوا بعد ثلاث فلحقوا بأذرعات (٣) بنسائهم وذراريهم، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى هلكوا؛ وقال الحاكم: هذه وبني النضير واحدة وربما اشتبها على من (٤) لايتأمل.

واستخلف رسول الله ﷺ في غزوة بني قينقاع على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان أبيض؛ ولم تكن الرايات يومئذ.

غـــزوة السويق

ثم كانت غزوة السَّويق، خرج رسول الله ﷺ يوم الأحد الخامس من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً في مائتين من المهاجرين والأنصار؛ واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، فغاب (٥) خمسة أيام. وذلك أن المشركين لما رجعوا إلى مكة من بدر حرّم أبو سفيان صخر بن حرب الدُّهن حتى يثأر من محمد وأصحابه بمن أصيب من قومه، فخرج في مائتي راكب وقيل في أربعين راكباً، فجاءوا بني النضير — في طرف المدينة — ليلاً، ودخلوا على سلاّم بن مِشكم فسقى أبا سفيان خمراً وأخبره من أخبار النبي ﷺ، وخرج [أبو سفيان] (٦) سَحَراً فوجد رجلاً من الأنصار في حرث فقتله وأجيره — وهذا الأنصاري هو معبد بن عمرو — وحرّق بيتين بالعرُيض، وحرق حرثاً لهم وذهب. فخرج رسول الله ﷺ بمن معه في أثره، وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جُرُب السويق (٧) — وهي عامة أزوادهم — يتخففون منها لسرعة سيرهم خوفاً من الطلب. فجعل المسلمون يأخذونها. فسُمّيت غزوة السويق لهذا.

أول عيد ضحى فيه رسول الله

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة. وصلى رسول الله ﷺ صلاة الأضحى بالمصلى، وضحى بشاة، وقيل بشاتين، وضحّى معه ذوو اليسار. قال جابر ضحينا في بني سلمة سبع عشر أضحية؛ وهو أول عيد ضحّى فيه النبي ﷺ.

---

(١) جمع قوس. (٢) أخذ خُمس الغنيمة.

(٣) أذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان (معجم البلدان) ج ١ ص ١٣٠.

(٤) في (خ) «اشتبها ولا يتأمل». (٥) في (خ) «فقات». (٦) زيادة للإيضاح.

(٧) الجُرُب: جمع جراب، وهو وعاء يكون فيه الزاد، والسَّويق: طعام يتخذ من الحنطة والشعير.

كتاب المعاقل والديات

وكتب ﷺ فى هذه السنة المعاقل (١) والديات، وكانت معلّقة بسيفه.

زواج فاطمة بنت رسول الله وغزوة قرارة الكدر

ويقال: فيها بنى على بفاطمة رضى الله عنهما، على رأس اثنتين وعشرين شهراً ثم كانت غزوة قرارة الكُدْر، ويقال قرقرة بنى سُلَيم وغَطَفان، خرج إليها رسول الله ﷺ للنصف من محرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً، هذا قول محمد بن عمر الواقدى (٢)، وقال ابن إسحق: كانت فى شوال سنة اثنين. وقال (٣) ابن حَزْم: لم يُقم منصرفه من بدر بالمدينة إلا سبعة أيام، ثم خرج يريد بنى سليم وحمل لواءه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم. وذلك أنه بلغه أن بقرارة الكدر جمعاً من غطفان وسليم، فأخذ عليهم الطريق فلم يجد فى المجال أحداً. فأرسل فى أعلى الوادى نفراً من أصحابه واستقبلهم فى بطن الوادى فوجد رِعاء (٤) فيها غلام يقال له يسار، فسألهم فأخبره يسار أن الناس ارتفعوا إلى المياه، فانصرف وقد ظفر بالنَّعَم (٥) يريد المدينة، فأدركه يسار وهو يصلى الصبح فصلى وراءه، وطابت به أنفس المسلمين لرسول الله ﷺ فقبله وأعتقه. وقدم المدينة، وقد غاب خمس عشر ليلة، وأخذ خُمس النعم — وكانت خمسمائة — وقسم باقيها، وقيل بل أصاب كل رجل منهم سبعة أبعرة — وكانوا مائتى رجل، وكان قسمها بصرار على ثلاثة أميال من المدينة.

سرية قتل كعب بن الأشرف

ثم كان قتل كعب بن الأشرف اليهودى لأربع عشرة من شهر ربيع الأول على رأس خمسة عشر شهراً (٦) وذلك أنه كان من بنى نبهان بن طيّئ، حليفاً لبنى قُريظة، وأمه من بنى النضير، وكان عدوّاً لله ولرسوله يهجو النبى ﷺ وأصحابه، ويحرّض عليهم كفار قريش فى شعره، ثم خرج إلى مكة بعد بدر فجعل يرثى [قتلى بدر ويحرّض] (٧) قريشاً، وعاد إلى المدينة.

سبب قتله

فقال النبى ﷺ: اللهم اكفنى ابن الأشرف بما شئتَ — فى إعلانه الشرّ وقوله الأشعار — وقال: من لى بابن الأشرف فقد آذانى. فقال محمد بن مَسْلمة: أنا به يارسول الله، وأنا أقتله، قال: فافعل. وأمره بمشاورة

(١) المعاقل والديات: ماشرع الله من العوض فى الجنايات وغيرها.
(٢) فى (المغازى) ج ١ ص ١٨٢.
(٣) فى (خ) «وينال». (٤) جمع راع.
(٥) فى (خ) «بنعم».
(٦) كذا بالأصل والصواب من (المغازى) ج ١ ص ١٨٤ ومن (ابن سعد) ج ٢ ص ٣١ «خمسة وعشرين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ».
(٧) زيادة للإيضاح.

سعد بن معاذ، فاجتمع محمد بن مسلمة ونفر من الأوس منهم عباد بن بشر بن وَقْش بن زغبة بن زَعُورا بن عبد الأشهل، وأبو نائلة سِلْكان بن سلامة والحارث بن أوس [بن معاذ، وأبو عبس بن جبر أحد بنى حارثة] (١) فقالوا: يارسول الله، نحن نقتله فأذَن لنا فلنقل، قال: قولوا (٢). فأتاه أبو نائلة وهو فى نادى قومه — وكان هو ومحمد بن مسلمة أخويه من الرضاعة — فتحدثا وتناشدا الأشعار حتى قام القوم فقال له: كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء، حاربتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة، وتقطعت السبل عنا حتى جُهدت الأنفس، وضاع العيال، فقال كعب: قد كنت أحدثك بهذا أن الأمر سيصير إليه، قال أبو نائلة: ومعى رجال من أصحابى على مثل رأيى، وقد أردت أن آتيك بها فنبتاع منك طعاماً وتمراً، ونرهنك مايكون لك فيه ثقة، واكتم عنا ماحدثتك من ذكر محمد، قال: لا أذكر منه حرفاً، لكن أصدقنى، ما الذى تريدون فى أمره؟ قال خذلانه والتنحى عنه، قال: سررتنى، فماذا ترهنوننى؟ قال الحلقة (٣)، فرضى. وقام أبو نائلة من عنده على ميعاد. فأتى أصحابه فأجمعوا أن يأتوه إذا أمسى لميعاده، وأخبروا النبى ﷺ، فمشى معهم ووجههم من البقيع (٤)، وقال: امضوا على بركة الله وعونه، وذلك بعد أن صلوا العشاء فى ليلة مقمرة مثل النهار. فأتوا ابن الأشرف فهتف به أبو نائلة — وكان حديث عهد بعُرْس (٥) — فوثب ونزل من حصنه إليهم، فجعلوا يتحادثون ساعة، ثم مشوا قِبَلَ شَرْج العجوز (٦) ليتحادثوا بقية ليلتهم، فأدخل أبو نائلة يده فى رأس كعب وقال: ما أطيب عطرك هذا!! ثم مشى ساعة وعاد لمثلها وأخذ بقرون (٧) رأسه فضربه الجماعة بأسيافهم، ووضع محمد بن مسلمة مِغْولاً (٨) معه فى سرة كعب حتى انتهى إلى عانته، فصاح صيحة أسمعت جميع آطام اليهود، فأشعلوا نيرانهم.

واحتز الجماعة رأس كعب واحتملوه وأتوا رسول الله ﷺ — وقد قام يصلى ليلته بالبقيع — فلما بلغوه كبروا فكبّر ﷺ ثم قال: أفلحت الوجوه، فقالوا: ووجهك يارسول الله. ورموا برأس كعب بين يديه، فحمد الله على قتله، وتفل على جُرح الحارث بن أوس، وكان قد جرح ببعض سيوف أصحابه فبرأ من وقته. وأصبح رسول الله ﷺ من الليلة التى قتل فيها ابن الأشرف فقال: مَنْ ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فخافت اليهود فلم يطلع عظيم من عظمائهم ولم ينطقوا، (وخافوا أن يبيَّتوا كما بيت ابن الأشرف) (٩).

مقتل ابن سنينة

وكان ابن سنينة من يهود بنى حارثة حليفاً لحوَيِّصة بن مسعود [قد أسلم] (١٠)، فعدا [أخوه] (١١) مُحَيِّصة

(١) زيادة من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٠.
(٢) قال يقول: كناية عن بعض الكذب فى الحديث.
(٣) الحلقة: السلاح عامة والدروع خاصة.
(٤) بقيع الغرقد بالمدينة.
(٥) يعنى ابن الأشرف.
(٦) شرج العجوز: موضع قرب المدينة. (معجم البلدان) ج ٣ ص ٣٣٤.
(٧) ضفائر رأسه.
(٨) سيف دقيق قصير ماضٍ يكون فى جوف سوط يشده القائل على وسطه ليغتال به الناس.
(٩) زيادة من (الواقدى) ج ١ ص ١٩٠ (١٠) زيادة من المرجع السابق.
(١١) زيادة للإيضاح.

[بن مسعود](١) على بن سنينة فقتله ، فجعل أخوه حويصة يضربه ويقول : أى عدوّ الله أقتلته ؟! أما والله لرُبّ شحم فى بطنك من ماله ، فقال محيصة : [فقلت (٢)] والله لو أمرنى بقتلك الذى أمرنى بقتله لقتلتُك [قال : أو الله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها ، قال : والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويّصة] (٣) .

فجاءت يهود إلى النبى ﷺ يشكُون ذلك (٤) . فقال : إنه لو قر كما قرّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر ، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان السيف . ودعاهم أن يكتب [بينه و](٥) بينهم كتاباً ينتهون إلى مافيه ، فكتبوا بينهم وبينه كتاباً . وحذرت يهود وخافت وذلّت من يوم قتل ابن الأشرف.

غزوة ذى أمر بنجد

ثم كانت غزوة ذى أمَر (٦) بنجد ؛ خرج رسول الله ﷺ فى يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً فى قول الواقدىّ (٧) ؛ وذكر بن اسحق أنها كانت فى المحرم سنة ثلاث ، ومعه أربعمائة وخمسون، فيهم عدّةُ أفراس . واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه . وذلك أنه بلغه أن جمعاً — من بنى ثعلبة ابن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وبنى محارب بن خصفة بن قيس — بذى أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطرافه ﷺ ، جمعهم دعثور بن الحارث من بنى محارب . فأصاب (رسول الله ﷺ) (٨) رجلا منهم بذى القصة يقال له جبار من بنى ثعلبة فأسلم ، وسار معهم يدلهم على عورات القوم حتى أهبطهم من كثيب ؛ فهربت الأعراب فوق الجبال . فنزل ﷺ ذى أمر ، فأصابهم مطر كثير ؛ فذهب ﷺ لحاجته فأصابه المطر فبلّ ثوبه فنزعه ونشره على شجرة ليجف واضطجع تحتها والأعراب تنظر إليه .

خبر دعثور الذى أراد قتل رسول الله

فبادر دُعثور وأقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رأس النبي ﷺ بالسيف مشهوراً وقال : يا محمد ، من يمنعك منى اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل عليه السلام فى صدره فوقع السيف من يده فأخذه النبى ﷺ

(١) زيادة للإيضاح . (٢) زيادة من ابن هشام ج ٣ ص ١٣ .

(٣) زيادة من المرجع السابق ومن (الواقدى) ج ١ ص ١٩١ ، ١٩٢ وزاد : « فأسلم حويصة يومئذ ، فقال محيّصة — وهى ثبت ، لم أر أحداً يدفعها — يقول :

يلوم ابن أمى لو أمرتُ بقتله ... لطبقتُ ذفراه بأبيضَ قاضب
حسام كلون الملح أخلصَ صقله ... متى ما تصوّبه فليس بكاذب
وما سرّنى أنى قتلتُك طائعاً ... ولو أن لى ما بين بصرى ومأرب

« والذفرى : عظم نانئ خلف الأذن » .

(٤) يعنى فى قتل ابن الأشرف وفى (خ) « يشكو » .

(٥) زيادة للسياق . (٦) فى (خ) « ذى أبو » .

(٧) (المغازى) ج ١ ص ١٩٣ (وتلقيح الفهوم) ص ٤٥ . وذكر (الطبرى) فى تاريخه ج ٢ ص ٤٨٧ « وهى غزوة ذى أمر ، فأقام بنجد صفراً كلّه أو قريباً من ذلك » ذكر هذا فى أحداث السنة الثالثة من الهجرة .

(٨) زيادة للإيضاح .

وقام به على رأسه فقال : من يمنعك اليوم منى ؟ فقال : لا أحد ، وأسلم ، وحلف لايكثّر عليه جمعاً أبداً ثم أدبر ، فأعطاه سيفه . فأتى قومه ودعاهم إلى الإسلام ؛ وفيه نزلت « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيدهم فكفّ أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (١) . وعاد ﷺ إلى المدينة فكانت غيبته أحد عشر ليلة .

زواج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

وفى ربيع الأول هذا تزوج عثمان بن عفان رضى الله عنه بأم كلثوم بنتِ رسول الله ﷺ ، ودخل بها فى جمادى الآخرة ، رضى الله عنها .

غزوة بنى سليم بالفرع

ثم كانت غزوة بنى سليم بِبُحران (٢) من ناحية الفرع ، خرج ﷺ فى السادس من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهراً فى ثلاثمائة رجل ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، ولم يظهر وجهاً ، فأغذ (٣) السير ، حتى إذا كان دون بحران (٢) بليلة لقى رجلاً من بنى سُليم فأخبره أن القوم افترقوا ، فحبسه مع رجل وسار حتى ورد بحران (٢) وليس بها أحد ؛ فأقام أياماً ورجع ولم يلق كيداً ؛ وأرسل (٤) الرجل . فكانت غيبته عشرُ ليالى (٥) .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

ثم كانت سرية زيد بن حارثة إلى القرَدَة (٦) — وهى أول سرية خرج زيد (بن حارثة) (٧) فيها أميراً ، سار لهلال جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً — يريد صفوان بن أمية وقد نكب (٨) عن الطريق — وسلك على جهة العراق يريد الشام بتجارة فيها أموال لقريش — خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعترضها . فقدم نُعيم بن مسعود الأشجعى على كنانة بن أبى الحقيق فى بنى النضير فشرب معه ، ومعهم سليط بن النعمان (٩) يشرب ،

(١) الآية ١١ / المائدة ، وفى (خ) « عنكم الآية » .

(٢) فى (خ) « نجران » فى كل المواضع كلها .

(٣) فى (خ) « اغذ » وأغذّ السير : أسرع .

(٤) أرسله : أطلقه . (٥) كذا فى (خ) وفى (الواقدى) ليال ، ج ١ ص ١٩٧ .

(٦) القرَدَة : بالتحريك ، ماءٌ أسفل مياه الثلبوت بنجد فى الرُّمّة لبنى نبهانة (معجم البلدان) ج ٤ ص ٣٢٢ .

(٧) زيادة من (الواقدى) ج ١ ص ١٩٧ ، ومن (الطبرى) ج ٢ ص ٤٩٢ .

(٨) نكب : عدل .

(٩) زعم محقق (ط) أنه لم يجد « سليط بن النعمان » هذا فى الصحابة ، وأنه لم يجد الخبر !! والأول : هذا الخبر بتمامه فى : (المغازى للواقدى) ج ١ ص ١٩٨ — ١٩٩ . و (البداية والنهاية لابن كثير) ج ٤ ص ٤ — ٥ .

ولم تكن الخمر قد حُرّمت ، فذكر نعيم خروج صفوان فى عيره وما معهم من الأموال ، فخرج (سليط) (١) من ساعته وأخبر النبي ﷺ ، فأرسل زيد بن حارثة فى مائة راكب فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم . فقدموا بالعير فخمسها رسول الله ﷺ ، فبلغ الخمسُ عشرين ألف درهم ، وقسم مابقى على أهل السرية ، وكان فيمن أسر فرات بن حيان (٢) فأسلم .

زواج حفصة أم المؤمنين

وفى شعبان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ (٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وقال أبو عُبيد سنة اثنتين ، ويقال بعد أحد .

زواجه زينب ام المساكين

وتزوج زينب أم المساكين فى رمضان قبل أحد بشهر ، وفى نصف رمضان وُلد الحسن بن على رضى الله عنهما .

غـــزوة أحد

ثم كانت غزوة أحد يوم السبت لسبعَ خلَوْن من شوّال على رأس اثنين وثلاثين شهراً (٤) ، وقيـــل كانت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال ، وقيل كانت للنصف منه ، وعن مالك بن أنس : كانت بعد بدر بسنة ، وعنه أيضاً كانت على أحد وثلاثين شهراً من الهجرة ، وهى وقعة امتحن الله عز وجل فيها عباده المؤمنين واختبرهم ، وميز فيها بين المؤمنين والمنافقين .

مافيها من دلائل النبوة

وكان فيها من دلائل النبوة : تحقيق قول النبي ﷺ الأمية بن خلف : بل أنا أقتلك ، فقتله ، وردُّ عين قتادة إلى موضعها بعد سقوطها . وغسل الملائكة لحنظلة وظهور ذلك للأنصار ، فرأوا الماء يقطر من رأسه رفعاً للجنابة التى كانت عليه ، وما اعتراهم من النعاس مع قرب العدو منهم وذلك خلاف عادة من انهزم من عـــدوه ، واستخلف ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم .

سبب قتال أحـــد

وذلك أنه لما عاد المشركون من بدر إلى مكة وجدوا العير التى قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشام موقوفةً فى دار الندوة — وكذلك كانوا يصنعون — لم يحركها ولا فرّقها فطابت أنفس أشرافهم أن يجهزوا منها جيشاً

(١) زيادة للإيضاح .
(٢) [وقال رسول الله ﷺ يوم حُنين حين أعطى المؤلفة قلوبهم فإن من الناس ناساً نكلهم إلى إيمانهم منهم الفرات بن حيان »] (المعارف) ص ٣٢٤ .
(٣) ذكره (الطبرى) فى التاريخ ج ٢ ص ٤٩٩ فى أحداث السنة الثالثة
(٤) وهى رواية (الواقدى) ج ٢ ص ١٩٩ (والطبرى) فى التاريخ ج ٢ ص ٤٩٩ ، وابن سعد فى (الطبقات) ج ٢ ص ٣٦

كثيفاً لقتال رسول الله ﷺ وباعوها . وكانت ألف بعير ، والمال خمسون ألف دينار ، وكانوا يربحون فى الدّينار ديناراً ، فأخرجوا منها أرباحهم فنزل فيهم قول الله تعالى « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون ، والذين كفروا إلى جهنم يُحشرون » (١) .

بعثة قريش تستنفر العرب

وبعثوا — عمرو بن العاص وهبيرة بن أبى وهب ، وابن الزّبعرى ، وأبا عزّة عمرو بن عبد الله الجمحىّ الذى منّ عليه النبي ﷺ يوم بدر — إلى العرب يستنفرونها . فألبوا العرب وجمعوها .

خروج قريش من مكة

وخرجوا من مكة ومعهم الظُّعن (٢) — وهن خمس عشرة امرأة — وخرج نساء مكة ومعهن الدفوف يبكين قتلى بدر وينحن عليهم . وحشدت بنو كنانة ، وعقدوا ثلاثة ألوية ، وخرجوا من مكة لخمس مضين من شوال فى ثلاثة آلاف [رجل فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فرس] (٣) وثلاثة آلاف بعير وخمس عشر امرأة .

كتاب العباس إلى رسول الله ﷺ

وكتب العباس بن عبد المطلب كتاباً إلى رسول الله ﷺ مع رجل من بنى غفار يخبره بذلك ، فقدم عليه وهو بقُباء فقرأه عليه أبىُّ بن كعب واستكتم أبياً (٤) . ونزل [رسول الله ﷺ] (٥) على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس فقال : والله إنى لأرجو أن يكون فى ذلك خير (٦) . وقد أرجفت اليهود والمنافقون وشاع الخبر . وقدم عمرو بن سالم الخزاعى فى نفر وقد فارقوا قريشاً من ذى طوًى ، فأخبر النبي ﷺ الخبرَ وانصرفوا .

خبر أبى عامر الفاسق

وكان أبو عامر الفاسق قد خرج فى خمسين رجلا [من الأوس] (٧) إلى مكة وحرّض قريشاً وسار معها وهو يعدها أن قومه يؤازرونهم — واسم أبى عامر هـــذا عبد عمرو (٨) بن صيفىّ الراهب ، وكان رأس الأوس فى الجاهلية ، وكان مترهباً ، فلما جاء الإسلام خُذل فلم يدخل فيه ، وجاهرَ رسولَ الله ﷺ بالعداوة فدعا عليه ، فخرج من المدينة إلى مكة ، وهمّت قريشٌ وهى بالأبواء أن تنبش قبر آمنة أم النبى ﷺ ثم كفهم الله عنه .

بعث العيون

وبعث رسول الله ﷺ — أنساً ومؤنساً ابنى فضالة ليلة الخميس عينين ، فاعترضا لقريش بالعقيق (٩) ، وعادا

(١) الاية ٣٦/ الأنفال وفى (خ) « ثم يغلبون الاية » . (٢) جمع ظعينة ، وهى المرأة تكون فى هودجها .
(٣) ما بين القوسين فى (خ) « ومائتى فرس وسبعمائة دارع » ، وقد أثبتناه بعد إعادة السياق .
(٤) فى (خ) « ابنا » . (٥) زيادة للإيضاح . (٦) فى (خ) « خيراً » .
(٧) زيادة من (الواقدى) ج ١ ص ٢٠٥ . (٨) فى (خ) « عمرو بن صيفى » .
(٩) « والعرب تقول لكل مسيل ماء شقّه السيل فى الأرض فأنهره ووسعه ، عقيق وفى بلاد العرب أربعة أعقّة وهى أودية عادية شقّتها السيول » ، والمراد فى هذا الخبر هو « عقيق بناحية المدينة » (معجم البلدان) ج ٤ ص ١٣٨ — ١٣٩ .

إلى النبى ﷺ فأخبراه . ونزل المشركون ظاهر المدينة يوم الأربعاء فرعت إبلهم آثار الحرث والزرع يوم الخميس ويوم الجمعة حتى لم يتركوا خضراء . وبعث رسول الله ﷺ الحباب بن المنذر بن الجموح فنظر إليهم وعاد وقد حَزَرَ عَدَدَهم ومامعهم ، فقال ﷺ : لاتذكروا من شأنهم حرفاً ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم بك أجُول وبك أصول

المناوشة قبل أحد

وخرج سلمة بن سلامة بن وقش يوم الجمعة فلقى عشرة أفراس طليعة فراشقهم بالنّبل والحجارة حتى انكشفوا عنه ، وعدا إلى قومه بنى عبد الأشهل فأخبرهم مالقى ، وباتت وجوه الأوس والخزرج ليلة الجمعة لست مضين من شوال عليهم السلاح فى المسجد بباب النبى صلى ﷺ خوفاً من بيات (١) المشركين ، وحرست المدينة حتى أصبحوا .

رؤيا رسول الله وخطبته

ورأى ﷺ رؤيا ، فلما أصبح يوم الجمعة واجتمع الناس خَطَبَ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنى رأيت فى منامى رؤيا ، رأيت كأنى فى درع حصينة ، ورأيت كأن سيفى ذا الفقار انقصم (٢) من عند ظبته (٣) ، ورأيت بقراً تذبح ، ورأيت كأنى مردف كبشاً . فقال الناس يارسول الله ، فما أولتها ؟ قال : أما الدرع الحصينة فالمدينة ، فامكثوا فيها ، وأما انقصام سيفى من عند ظبته فمصيبة فى نفسى ، وأما البقر المذبح فقتلى فى أصحابى ، وأما أنى مرْدف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله . وفى رواية : وأما انقصام سيفى فقتل رجل من أهل بيتى . وقال : أشيروا علىّ .

اختلاف المسلمين فى الخروج إلى العدو

ورأى رسول الله ﷺ ألا يخرج من المدينة فوافقه عبد الله بن أبىّ والأكابر من الصحابة مهاجرهم وأنصارهم ، وقال عليه السلام : امكثوا فى المدينة واجعلوا النساء والذرارى فى الآطام ، فإن دُخِل علينا قاتلناهم فى الأزقة — فنحن أعلم بها منهم — ورُموا من فوق الصياصى والآطام (٤). وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهى كالحصن ، فقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً وطلبوا الشهادة وأحبوا لقاء العدو : اخرج بنا إلى عدونا ، وقال حمزة وسعد بن عبادة ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة ، فى طائفة من الأنصار : إنا نخشى يارسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبناً عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا ، وقد كنتَ يوم بدر فى ثلاثمائة رجل فظفّرك الله عليهم ، ونحن اليوم بشر كثير ، قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به ، فساقه الله إلينا فى ساحتنا .

---

(١) البيات : أن يوقعوا بالناس ليلا .

(٢) انقصم : تكسر .

(٣) الظبة : حد السيف من قبل ذبابه وطرفه .

(٤) الصياصى : جمع صيصية وهى الحصن . (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٥٣١ والآطام : جمع أُطم وهو البيت المرتفع (المرجع السابق) جـ ١ ص ٢١ .

كراهية رسول الله للخروج

ورسول الله ﷺ لما يرى من إلحاحهم كارهٌ ، وقد لبسوا السلاح . وقال حمزة : والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم (١) بسيفى خارجاً من المدينة ، وكان يوم الجمعة صائماً ويوم السبت صائماً . وتكلم مالك بن سِنان والد أبى سعيد الخدرى ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة ، وإياس بن أوس بن عتيك ، فى معنى الخروج للقتال فلما أبو إلا ذلك صلى (٢) رسول الله ﷺ الجمعة بالناس وقد وعظهم وأمرهم بالجد والجهاد ، وأخبرهم أن لهم النصر ماصبروا ، ففرح الناس بالشخوص (٣) إلى عدوهم ، وكره ذلك المخرج كثير . ثم صلى رسول الله ﷺ العصر بالناس وقد حشدوا ، وحضر أهل العوالى (٤) ورفعوا النساء فى الآطام : ودخل ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فعمماه وألبساه . وقد صف الناس له مابين حجرته إلى منبره .

خبر ندامة المسلمين على استكراههم الرسول للخروج

فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا للناس : قلتم لرسول الله ﷺ ماقلتم واستكرهتموه على الخروج ، والأمر ينزل عليه من السماء ، فردوا الأمر إليه فما أمركم فافعلوه ، ومارأيتم فيه له هوىً أو رأىٌ فأطيعوه . فبيناهم على ذلك إذ خرج رسول الله ﷺ قد لبس لأمته (٥) ، ولبس الدرع فأظهرها وحزم وسطها بمنطقة (من أدم)(٦) من حمائل سيف ، واعتم وتقلد السيف ، فقال الذين يلحون : يارسول الله ، ماكان لنا أن نخالفك ، فاصنع مابدا لك ، فقال : قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم ، ولاينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، أنظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ، امضوا على اسم الله فلكم النصر ماصبرتم .

ووجدَ مالك بن عمرو النجّارى (٧) — وقيل بل هو محرز بن عامر بن مالك بن عدى بن عامر بن غَنْم ابن عدى النجار ، وهو قول ابن الكلبي — قد مات ، ووضعوه عند موضع الجنائز فصلّى عليه .

الألوية يوم أحـــد

ثم دعا بثلاثة أرماح فعقد ثلاثة ألوية ، فدفع لواء الأوس إلى أسيد ابن حُضير ، ولواء الخزرج إلى حباب بن المنذر بن الجموح — ويقال إلى سعد بن عبادة — ودفع لواء المهاجرين إلى على بن أبى طالب ، ويقال إلى مصعب بن عمير (٨) رضى الله عنهم ،

---

(١) جالد بالسيف : ضرب بسرعة كأنه يجلد بسوط .

(٢) فى (خ) « صلى الله » .   (٣) الشخوص : الخروج .

(٤) العوالى : ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال (معجم البلدان) جـ ٤ ص ١٦٦ .

(٥) اللأمة : أداة الحرب ولباسها .

(٦) ما بين القوسين كان فى (خ) بعد قوله « حمائل سيف » .

(٧) وهو قول (الواقدى) جـ ١ ص ٢١٤   (٨) فى (خ) « عمرو » .

ثم ركب فرسه وتقلد القوس وأخذ قناة (١) بيده . والمسلمون عليهم السلاح فيهم مائة دارع ؛ وخرج السعدان أمامه يعدوان — سعد بن عبادة وسعد بن معاذ — والناس عن يمينه وشماله ، حتى انتهى إلى رأس الثنية .

كتيبة عبد الله بن أبي وحلفاؤه من يهود

[حتى إذا كان بالشيخين التفت فنظر إلى] (٢) كتيبة خشناء لها زَجَل (٣) فقال : ما هذه ؟ فقالوا : هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي ابن سلول من يهود ، فقال : لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك ؛ ومضى فعسكر بالشيخين (٤) — وهما أطمان — ، والمشركون بحيث يرونه ، فاستعدوا للحرب وهمَّ بنو سلمة وبنو حارثة ألا يخرجوا إلى أُحُد ثم خرجا .

خيـــل المسلمين

وكان المسلمون ألفاً فيهم مائة دارع ، وفرسان أحدهما لرسول الله ﷺ والآخر لأبي بردة بن نيار .

عرض الغلمان وردُّهم عن القتال

وعرض عليه غلمان : عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن أرقم ، والبراء بن عازب (وعمرو بن حزم) (٥) ، وأسيد بن ظهير ، وعرابة بن أوس ، وأبو سعيد الخدريّ ، (وسعد ابن حبتة الأنصاري) (٦) ، وسمرة بن جندب ، ورافع بن خديج ، فردّهم ؛ ثم أجاز رافع بن خديج لأنه رام ، فقال سمرة بن جندب لزوج أمه مرّى بن سنان : أجاز رسول الله رافع بن خديج وردّني وأنا أصرعه ، فأعلم بذلك رسول الله ﷺ فقال : تصارعا ، فصرع سمرة رافعاً فأجازه ؛ ونزل عبد الله بن أبيّ ناحيه .

الحرس والأدلاء

فلما فرغ العرض وغابت الشمس ، أذّن بلال بالمغرب ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ، ثم أذّن بالعشـــاء فصلى بهم ؛ واستعمل على الحرس محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً يطوفون بالعسكر . وقال حين صلى العشاء : من يحفظنا الليلة ؟ فقام ذكوان بن عبد قيس فلبس درعه وأخذ دَرَقته ، فكان يطيف بالعسكر ليلته ، ويقال بل كان يحرس رسول الله ﷺ لم يفارقه . ونام ﷺ حتى (٧) كان السحر قال : أين الأدلاء ؟ من رجل يدلنا

---

(١) في (المغازي) ج ١ ص ٢١٥ « وأخذ قناة بيده » .

(٢) في (خ) مكان ما بين القوسين « رأى » وما أثبتناه من (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٩ .

(٣) زجَل : صوت وجلبة .

(٤) موضع سُمّي كذلك لأن شيخاً وشيخة كانا يجلسان عليه يتناجيان هناك .

(٥) زيادة من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٨ .

(٦) أغفله (الواقدى) و (ابن هشام) ، وذكر ابن سيد الناس في (عيون الأثر) ج ٢ ص ٦ « وسعد بن حبتة » بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح التاء المثناة من فوق تاء التأنيث — جد أبي يوسف الفقيه وهو سعد بن بجير — بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون الياء — ابن معاوية حليف بني عمرو بن عوف » وذكره ابن عبد البر في (الاستيعاب) ج ٤ ص ٣٦ ترجمة رقم ٩٢٣ .

(٧) في (الواقدى) ج ١ ص ٢١٧ « فلما كان في السحر » ، وفي (ابن هشام) « حتى إذا كان السحر » .

على الطريق [و] (١) يخرجنا على القوم من كَثَب ؟ فقام أبو حثمة الحارثي — ويقال أوس بن قيظي ويقال مُحيّصة وأبو حثمة أثبت — فقال : أنا يا رسول الله

نبوءة رسول الله بسل السيوف

فخرج ﷺ فركب فرسه فسلك به في بني حارثة ، فذبّ فرس أبي بردة بن نيار بذنبه فأصاب كُلّاب (٢) سيفه فسل سيفه ، فقال رسول الله ﷺ : يا صاحب السيف ، يشِمْ سيفك ، فإني إخالُ السيوف ستُسلُّ فيكثر سلها (٣) .

ولبس من الشيخين درعاً واحدة حتى انتهى إلى أحد ، فلبس درعاً أخرى ومغفراً وبيضة فوق المغفر ، ولما نهض ﷺ من الشيخين زحف المشركون على تعبئة ، وقد رأس فيهم أبو سفيان صخر بن حرب لعدم أكابرهم الذين قُتلوا ببدر . ووافى عليه السلام أحداً وقد حانت الصلاة وهو يرى المشركين ؛ فأذن بلالٌ وأقام ، وصلى عليه السلام بأصحابه الصبح صفوفاً .

انخزال ابن أبي ورجوعه

وانخزل (٤) ابن أبيّ في كتيبة وهو يقول : أيعصيني ويطيع الولدان ؟ حتى عاد إلى المدينة ومعه ثلاثمائة ، فبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة ، وذكر له قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود فأبى (٥) ﷺ من ذلك ومن أن يستعين بمشرك .

تعبئة جيش المسلمين

وصف رسول الله ﷺ أصحابه وجعل الرماة خمسين رجلاً ، عليهم عبد الله بن جبير ، [ويقال بل جعل عليهم سعد بن أبي وقاص ، وابن جبير أثبت] (٦) ؛ وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام ؛ وعلى الأخرى المنذر ابن عمرو الغنوى (٧) ، وجعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة .

---

(١) زيادة من (الواقدى) ج ١ ص ٨ ؟

(٢) كُلّاب السيف : المسمار أو الحلقة التي تكون في قائم السيف وتكون فيها علاقته .

(٣) هذه رواية (الواقدى) ج ١ ص ١٨ ، وأما رواية (الطبرى) ج ٢ ص ٥٠٦ فهي كما نقلها من (ابن اسحق) : « فذبّ فرس بذنبه ، فأصاب كلاب سيف ، فاستلّه ، فقال رسول الله ﷺ — وكان يحب الفأل ولا يعتاف — لصاحب السيف : شِمْ سيفك ، فإني أرى السيوف ستُسَلّ اليوم » . ورواية (ابن الأثير) في (الكامل) ج ٢ ص ١٥١ : « وذبّ فرس بذنبه فأصاب كُلّاب سيف صاحبه ، فاستله ، فقال له رسول الله ﷺ : سيوفكم ، فإني أرى السيوف ستُسَلُّ اليوم » .

(٤) انخزل : انقطع ثم انفرد ثم تراجع (هامش ط) وفي (المغازي) « ارتحل » .

(٥) تقول : « أبى ذلك » ، « وأبى من ذلك » متعدياً بنفسه أو بحرف الجر .

(٦) ما بين القوسين في (خ) بعد قوله « الغنوى » وهذا حق موضعها .

(٧) لعله المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة ، ذكره صاحب (الإصابة) ترجمة رقم ٨٢١٩ ج ٩ ص ٢٨٥ ، ولم أجده في ما عندي من كتب السيرة أو الرجال باسم « الغنوى » .

تعبئة المشركين يوم أحد

وأقبل المشركون : على ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ، ولهم مجنبتان مائتا فارس ، وعلى الخيل صفوان بن أمية ؛ ويقال عمرو بن العاص ، وعلى رماتهم — وكانوا مائة — عبد الله ابن أبي (١) ربيعة . ودفعوا لواءهم إلى طلحة بن أبي طلحة : واسمه عبد الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار ابن قصيّ .

تسوية صفوف المسلمين

ومشى رسول الله ﷺ على رجليه يسوى الصفوف حتى كأنما يقوم بهم القداح ، إن رأى صدراً خارجاً قال : تأخر . فلما استوت دفع اللواء إلى مصعب بن عمير فتقدم به بين يدى النبي ﷺ .

خطبة رسول الله يوم أحد

ثم قام فخطب الناس فقال : يا أيها الناس : أوصيكم بما أوصاني الله فى كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه . ثم إنكم بمنزل أجر ، وذخر لمن ذكر الذى عليه ثم وطّن نفسه له على الصبر واليقين والجِدّ والنشاط ، فإن جهاد العدو شديد كريه (٢) . قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله رشده ؛ فإن الله مع من أطاعه ، وإن الشيطان مع من عصاه . فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، والتمسوا بذلك ماوعدكم الله . وعليكم بالذى أمركم به فإنى حريص على رشدكم وإن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف مما لايحب الله ولايعطى عليه النصر ولا الظفر . يا أيها الناس: حَدَدَ فى صدرى(٣) أن من كان على حرام فرّق الله بينه وبينه ورغب له عنه غفر الله له ذنبه ؛ ومن صلى علىّ صلى الله عليه وملائكته عشراً ، ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله فى عاجل دنياه أو آجل آخرته ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا صبياً أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً ؛ ومن استغنى عنها (٤) استغنى الله عنه والله غنى حميد . ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه وإنه قد نفث فى روعى الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها ، لاينقص منه شىء وإن أبطأ عنها فاتقوا الله ربكم ، وأجملوا فى طلب الرزق ، ولايحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية ربكم . فإنه لايقدر ماعنده إلا بطاعته . قد بين لكم الحلال والحرام ، غير أن بينهما شبهاً (٥) من الأمر لايعلمها كثير من الناس إلا من عصم الله ، فمن تركها حفظ عرضه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالراعى إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه ، وليس ملك إلا وله حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه . والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى (٦) تداعى إليه سائر الجسد (٧) ، والسلام عليكم .

(١) فى (خ) « ابن ربيعة » والتصويب من (المغازى) ج ١ ص ٢٢٠ .
(٢) فى نسخة من (المغازى) : « شديد كربُه » .
(٣) حددَ : أى قد امتنع بى ولزمنى .
(٤) فى (خ) « استغنى عن الله » وما أثبتناه من (المغازى) ج ١ ص ٢٢٢ .
(٥) فى (خ) « شبهات » وما أثبتناه من (المغازى) ج ١ ص ٢٢٢ .
(٦) فى (خ) « إذا اشتكى » مكررة . (٧) فى (ط) « جسده » ، وما أثبتناه من (المغازى) ج ١ ص ٢٢٢ .

أول من أنشب الحرب

وأول من أنشب الحرب أبو عامر . طلع فى خمسين من قومه مع عبيد قريش فنادى : ياللأوس ، أنا أبو عامر ، فقالوا : لا مرحباً ولا أهلا يافاسق ! فقال : لقد أصاب قومى بعدى شر ! فتراموا بالحجارة ساعة حتى ولّى . ودعا طلحة بن أبي طلحة إلى البراز فبرز له على رضى الله عنه فقتله ، فكبر المسلمون وسرّ النبي ﷺ بقتله : فإنه هو كبش الكتيبة .

نساء المشركين وغناؤهم

وكانت نساء المشركين — قبل التقاء الجمعين — أمام صفوفهم يضربن بالأكبار والدّفاف والغرابيل ، ثم يرجعن فيكن فى مؤخر الصف ؛ فإذا دنا القوم بعضهم من بعض تأخر النساء وقمن خلف الصفوف: فجعلن كلما ولّى رجل حرضنه وذكرنه قتلاهم ببدر ؛ ويقلن :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق (١)
إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

وكان النبي ﷺ إذا سمع قولهن قال : اللهم إنى بك أحول وأصول ، وفيك أقاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل ، ويقال إن هنداً قامت فى النسوة يضربن بالدفوف وتقول :

وَيْهاً بنى عبد الدار ويها حماة الأدبار
ضرباً بكل بتار

وتقول : نحن بنات طارق نمشى على النمارق [إلى آخره . . النمارق ، جمع نمرقة بضم النون والراء ، وربما كسرت النون ، حكاه يعقوب : وهى الوسائد ، وقد تسمى الطنفسة التى فوق الرحل نُمرقه ويقال فى قولها « نحن بنات طارق » : إنما أرادت بنات الأمر الواضح المضئ كإضاءة النجم ، وذلك من قوله تعالى « والسماء والطارق »] .

خبر قزمان

وكان قزمان (٢) يعرف بالشجاعة وقد تأخر ، فعيرته نساء بنى ظَفَر فأتى رسول الله ﷺ وهو يسوى الصفوف

(١) فى (عيون الأثر) ج ٢ ص ٩ « ونفرش النمارق » وفى (تاريخ الطبرى) ج ٢ ص ٥١٠ « ونوسط النمارق » . وأضاف ابن الأثير فى (الكامل) ج ١ ص ١٥٣ :
« إيهاً بنى عبد الدار إيهاً حماة الديار
ضرباً بكل بتار
(٢) يقول الواقدى فى (المغازى) ج ١ ص ٢٢٣ : « وكان قزمان من المنافقين وكان قد تخلف عن أحد ، فلما أصبح عيّره نساء بنى ظفر ... الخ » .

حتى انتهى إلى الصف الأول ، فكان أول من رمى من المسلمين بسهم ، فجعل يرسل نَبْلاً كأنها الرماح، ويَكِت كَتِيتَ (١) الجمل ، ثم فعل بالسيف الأفاعيل حتى قتل سبعة ، وأصابته جراحة فوقع ، فناداه قتادة بن النعمان ، أبا الغيداق ، هنيئاً لك الشهادة ! فقال : إني والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ماقاتلت إلا على الحفاظ (٢) أن تسير إلينا قريش حتى تطأ سَعَفَنا (٣) ؛ ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه . فذُكر للنبي ﷺ فقال : من أهل النار ؛ إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

خبر الرماة يوم أحد

وتقدم ﷺ إلى الرماة فقال : احموا لنا ظهورنا ؛ فإنا نخاف أن نؤتى من ورائنا والزموا مكانكم لاتبرحوا منه ، وإذا رأيتمونا نهزمهم حتى تدخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ؛ وإن رأيتمونا نُقتَل فلا تعينونا ولاتدفعوا عنا ، اللهم إني أُشهدُك عليهم . وارشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لاتقدم (٤) على النبل .

وكان الرماة تحمي ظهور المسلمين ، ويرشقون خيلَ المشركين بالنَّبل فلا تقع إلا في فرس أو رَجُل فتَوَلى الخيلُ هوارب . وشدَّ المسلمون على كتائب المشركين فجعلوا يضربون حتي اختلت صفوفهم .

حملة لواء المشركين ومصارعهم

[وحمل لواءهم بعد طلحة ابنه أبو شيبة عثمان بن طلحة] (٥) فحمل عليه حمزة فقتله . فحمله أخوه أبو سعد ابن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فقتله . فحمله مُسَافِعُ بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله . فحمله الحارث بن طلحة فرماه عاصمٌ فقتله . فنذرت أمهم سُلافة بنت سعد بن الشُّهيد — وكانت مع نساء المشركين — أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر ؛ وجعلت لمن جاء به مائة من الإبل . ثم تداول حمل لوائهم عدَّةٌ ، وكلهم يقتلون ؛ وقال الزبير بن بكار : حدثني أبو الحسن الأثرم ، عن أبي عبيدة ، قال : كان لواء المشركين يوم أحد مع طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وفي ذلك يقول الحجاج بن علاط السُّلَمي ثم البهزي [برای] (٦) .

لله أيُّ مذَبِّبٍ عن حرمةٍ ... أعني ابن فاطمة المعِمَّ المُخْوِلا

(١) كتَّ يكِتُّ كتيتاً : دفع من صدره صوتاً شديداً يكون من شدة الغيظ وفي اللغة : كتَّت القِدْرُ كتيتاً : صوَّتت عند ابتداء غليانها (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٧٧٥ .

(٢) الحفاظ : الذب عن المحارم والمنع عند الحروب (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ١٨٥ وفي (ابن هشام) جـ ٣ ص ٣٤ « فوالله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت » .

(٣) سعف النخيل ، كناية عن الزرع والأرض .

(٤) في (خ) « لا تقوم » . والتصويب من (الواقدي) جـ ١ ص ٢٢٥ .

(٥) كذا في (خ) وهو خطأ ، وصوابه في (المغازي) جـ ١ ص ٢٢٦ : « ثم حمل لواءهم بعد طلحة عثمان بن أبي طلحة ، أبو شيبة » .

(٦) ترجمته في (الإصابة) جـ ٢ ص ٢١٤ — ٢١٦ برقم ١٦١٨ .

جادت يداك لهم بعاجل طعنة ... فتركتَ طلحة للجبين مجدَّلا

وشددْتَ شدَّه باسل فكشفتهم ... بالجرِّ إذ يهوون أخول أخولا

وعللت سيفك بالدماء ولم تكن ... لتردَّهُ حران (١) حتى ينهلا

قال : ثم أخذ اللواء بعد طلحة أخوه أبو سعد بن أبي طلحة فقتله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ؛ ثم أخذ اللواء أخوهما عثمان بن أبي طلحة وهو أبو شيبة . فقتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ؛ ثم أخذ اللواء مسافع ابن طلحة بن أبي طلحة ، فقتله عاصم [بن ثابت] (٢) بن أبي الأقلح ، رماه فلما أحسّ بالموت دفع اللواء إلى أخيه الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فرماه أيضاً عاصم [بن ثابت (٢)] بن أبي الأقلح ، فلما أحس الموت دفع اللواء إلى أخيه كلاب بن طلحة فقتله قزمان عديد (٣) بني ظَفَر من الأنصار ؛ ثم أخذ اللواء الحارث بن أبي طلحة فقتله قزمان ؛ فأخذ اللواء أرطأة بن شرحبيل (٤) بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فقتله مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار صاحب لواء رسول الله ﷺ ، ثم قُتِل مصعبُ بن عمير . ثم أخذ لواء المشركين أبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فقتله قزمان أيضاً . ثم أخذ اللواء القاسط بن شريح (٥) بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار فقتله قزمان أيضاً . فذلك عشرة ، وقيل سبعة من صلبيتهم مشركون قتلوا يوم أحد . ثم أخذ اللواء صؤاب ، غلام لهم حبشي فقالوا له : [لا] (٦) نؤتين من قبلك . فقطعت يمينه فأخذ اللواء بشماله ، فقطعت فالتزم القناة ، وقال (٧) : قضيت ماعليّ ؟ قالوا نعم ، فرماه قزمان فقتله ووقع اللواء فتفرق المشركون ، فأخذت اللواء عمرة بنت علقمة الحارثية ، [قال الكلبي : عمرة بنت الحارث بن الأسود بن عبد الله بن عامر بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة] فأقامته ، فتراجع المشركون فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه ، يعيِّر بني مخزوم بالفرار ، ويذكر صبر بني عبد الدار :

(١) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « لترده في الند حتى ينهلا » وهذه الأبيات في ابن هشام جـ ٣ ص ٧٩ على هذا النحو :

لله أي مذبب عن حرمة ... أعني ابن فاطمة المعم المخولا

سبقت يداك له بعاجل طعنة ... تركت طليحة للجبين مجدلا

وشددت شدة باسل فكشفتهم ... بالجر إذ يهوون أخول أخولا

— المذبب : الحامي .

— الحرمة : ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه .

— ابن فاطمة : الإمام علي .

— المعم المخول : كريم الأعمام والأخوال

— الجر : أصل الجبل .

— أخول أخولا : واحداً بعد واحد .

(٢) زيادة من (الواقدي) جـ ١ ص ٢٢٧ .

(٣) يقال فلان عديد بني فلان : أي يُعد فيهم وليس منهم صلبية .

(٤) كذا في (ابن سعد) جـ ٢ ص ٤١ ، و(الواقدي) جـ ١ ص ٢٢٨ . وفي (ابن هشام) جـ ٣ ص ٦٢ « أرطأة عبد شرحبيل » .

(٥) في (خ) « القاسط ثم شرحبيل » والتصويب من (ابن هشام) جـ ٣ ص ٦٢ .

(٦) زيادة للسياق .

(٧) في (المغازي) جـ ١ ص ٢٢٨ « وقال : يا بني عبد الدار ، هل أُعذِرتُ ؟ » .

صلى البأس منهم إذا فررتم ... عصبة من بنى قصى صميم
عمرة تحمل اللواء وطارت ... فى رعاع من القنا مخزوم
لم تطق حمله الزعانف منهم ... إنما يحمل اللواء النجوم

وقال فى صؤاب (١) :

فخرتم باللواء وشر فخر ... لواء حين رد إلى صؤاب
جعلتم فخركم فيه لعبد ... لألأم من مشى فوق التراب

وقال فى إقامة الحارثية اللواء ، وفى سياق الأحابيش معهم (٢) :

إذا عضل (٣) سيقت إلينا كأنهم ... جداية شرك معلمات الحواجب
أقمنا لهم ضرباً مبيراً منكلا ... وحزناهم بالطعن من كل جانب
ولولا لواء الحارثية أصبحوا ... يباعون فى الأسواق بيع الجلائب (٤)

وقال أبو عبيدة فيما سمع من على :

أقمنا لكم ضرباً طلخفا (٥) منكلا ... وحزناكم بالطعن من كل جانب

عصيان الرماة ودولة الحرب على المسلمين

وما ظفر الله نبيه ﷺ فى موطن قط ماظفره وأصحابه يوم أحد حتى عصوا الرسول وتنازعوا فى الأمر . لقد قتل أصحاب اللواء ، وانكشف المشركون منهزمين لايلوون ، ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدفاف والفرح، ولكن المسلمين أتوا من قبل الرماة . فإن المشركين لما انهزموا وتبعهم المسلمون : يضعون السلاح فيهم حيث

(١) هذه الأبيات فى ديوان حسان بن ثابت س ٢٧٢ هكذا :

فخرتم باللواء وشر فخر ... لواء حين رد إلى صؤاب
جعلتم فخركم فيه لعبد ... من الأم من يطا عفر التراب
حسبتم والسفيه أخو ظنون ... وذلك ليس من أمر الصواب
بأن لقاءنا إذ حان يوم ... بمكة بيعكم حمر العياب
أقر العين أن عصبت يداه ... وما إن تعصبان على خضاب

ورواها أيضاً (الطبرى) ج ٢ ص ٥١٣ — ٥١٤ (وابن هشام) ج ٣ ص ٢٧ ، باختلاف يسير وقال : آخرها بيتا يروى لأبى خراش الهذلى وأنشدنيه له خلف الأحمر :

أقر العين أن عصبت يداها ... وما إن تعصبان على خضاب

فى أبيات له ، يعنى امرأته ، فى غير حديث أحد .

(٢) انظر الديوان ص ١٧٢ .

(٣) عضل : اسم قبيلة والجداية : الصغير من ولد الظبى . شرك : موضع . أنظر (ابن هشام) ج ٣ هامش ص ٢٨ .

(٤) الجلائب : ما يجلب إلى الأسواق ليباع فيها (المرجع السابق) .

(٥) كذا فى (خ) و (ط) ولعلها « طلحفاً » بالحاء المهملة والطلحف : الشديد (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٨٦ .

شاءوا ، ووقعوا ينتهبون عسكرهم ، قال بعض الرماة لبعض : لم (١) تقيمون هاهنا فى غير شىء ؟ قد هزم الله العدو وهؤلاء أخوانكم ينتهبون عسكرهم ! فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم . فقال بعضهم : ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ قال لكم : احموا ظهورنا ، ولاتبرحوا مكانكم ؛ وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن غنمنا فلا تشركونا ، احموا ظهورنا ؟ فقال الآخرون : لم يرد رسول الله هذا . وانطلقوا ، فلم يبق منهم مع أميرهم عبدالله بن جبير إلا دون العشرة . وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون. وكانت الريح أول النهار صبا فصارت دبوراً ، وبينا المسلمون قد شغلوا بالنهب والغنائم ، إذ دخلت الخيول تنادى فرسانها بشعارهم : ياللعزى [ياهبل] (٢)، ووضعوا فى المسلمين السيوف وهم آمنون ، وكل منهم فى يده أو حضنه شىء قد أخذه . فقتلوا فيهم قتلا ذريعاً ، وتفرق المسلمون فى كل وجه ، وتركوا ما انتهبوا ، وخلوا من أسروا . وكسر خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فى الخيل إلى موضع الرماة ، فرماهم عبد الله بن جبير بمن معه حتى قتل ، فجردوه ومثل به أقبح المثل (٣) ؛ وكانت الرماح قد شرعت فى بطنه حتى خرقت مابين سرته إلى خاصرته إلى عانته وخرجت حشوته (٤) . وجرح عامة من كان معه ، وانتقضت صفوف المسلمين .

قولهم إن محمداً قتل ، وانتقاض صفوف المسلمين

ونادى إبليس عند جبل عينين (٥) — وقد تصور فى صورة جعال بن سراقة : إن محمداً قد قتل : ثلاث صرخات ؛ فما كانت دولة أسرع من دولة المشركين (٦) .

اختلاط الأمر على المسلمين ، فيقتل بعضهم بعضا

واختلط المسلمون وصاروا يقتلون ، ويضرب بعضهم بعضاً ، ما يشعرون من العجلة والدهش . وجرح أسيد بن حضير جرحين ضربه أحدهما أبو بردة [بن نيار] (٧) ومايدرى ؛ وضرب أبو زعنة (٨) أبا بردة ضربتين ومايشعر والتقت أسياف المسلمين على اليمان [حسيل بن جابر] وهم لايعرفونه حين اختلطوا ؛ وحذيفة يقول : أبى ، أبى !! حتى قتل . فقال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . فزادته عند رسول الله ﷺ خيراً ، وأمر رسول الله بديته أن تخرج ، فتصدق حذيفة بن اليمان بديته على المسلمين . ويقال إن الذى أصابه عتبة ابن مسعود .

وأقبل الحباب بن المنذر بن الجموح يصيح : يا آل سلمة ، ! فأقبلوا إليه عنقاً (٩) واحدة : لبيك داعى الله !!

(١) فى (خ) « لا » .

(٢) فى (خ) « إذ دخلت الخيول يا هبل تنادى فرسانها بشعارهم يا العزى » .

(٣) المثلة : التنكيل والعقوبة (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨٥٤ .

(٤) الحشوة : جميع ما فى البطن عدا الشحم (المرجع السابق) ج ١ ص ١٧٧ .

(٥) أحد جبال أحد ، ويقال ليوم أحد : « يوم عينين » .

(٦) الدولة : الغلبة (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٠٤ .

(٧) زيادة من (الواقدى) ج ١ ص ٢٣٢ .

(٨) فى (خ) « أبو رهنة » وما أثبتناه من (الواقدى) ج ١ ص ٢٣٣ .

(٩) العنق : الجماعة من الناس ، يقال جاء الناس عنقا عنقا . (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٣٢ .

فيضرب يومئذ حِبَّان بن صخر فى رأسه رمايدرى ، حتى أظهروا الشعار بينهم (١) فجعلوا يصيحون : أَمِتْ أَمِتْ ! فكف بعضهم عن بعض . وقتل مصعب بن عمير وبيده اللواء . نقتله ابن قمئة واسمه عمرو ، وقيل عبد الله .

تفرق المسلمين ثم البشرى بسلامة رسول الله

وتفرق المسلمون فى كل وجه ، وأصعدوا فى الجبل لما نادى الشيطان : قتل محمداً ! فكان أول من بشرهم برسول الله ﷺ سالماً كعب بن مالك ، فجعل يصيح ورسول الله ﷺ يشير إليه بإصبعه على فيه : أن اسكت . ودعا بلأمة كعب — وكانت صفراء أو بعضها — فلبسها ونزع لأمته فلبسها كعبٌ . وقاتل كعب حتى جُرح سبعة عشر جرحاً لشدة قتاله . وصار أبو سفيان بن حرب يقول : يامعشر قريش أيكم قتل محمداً ؟ فقال ابن قمئة : أنا قتلته ! قال : نسوّرك (٢) كما تفعل الأعاجم بأبطالها (٣) . وجعل يطوف بأبى عامر الفاسق فى المعرك ، هل يرى محمداً ؟ وتصفح القتلى فقال . ماأرى مصرع محمد ، كذب ابن قمئة . ولقى خالد بن الوليـــد فقال : هل تبين عندك قتل محمد ؟ قال : رأيته قبل فى نفر من أصحابه مصعدين فى الجبل . قال [أبو سفيان] (٤) هذا حق ، كذب ابن قمئة ، زعم أنه قتله .

نداء رسول الله المسلمين إليه

وجعل رسول الله ﷺ — وقد انكشف الناس إلى الجبل وهم لايلوون عليه — يقول : إلىّ يافلان ، إلىّ يافلان ، أنا رسول الله ! فما عرّج واحد عليه . هذا ، والنبل يأتيه ﷺ من كل ناحية وهو فى وسطها والله يصرفها عنه . وعبد الله بن شهاب الزهرى يقول : دلونى على محمد فلا نجوتُ إن نجا ! ورسول الله ﷺ إلى جنبه مامعه أحد . ثم جاوزه عبد الله بن شهاب فلقى صفوان بن أمية (٥) فقال له : ترحت (٦) ! ألم يمكنك أن تضرب محمداً فتقطع هذه الشأفة (٧) ، فقد أمكنك الله منه ؟ قال : وهل رأيته ؟ قال نعم ! إنه إلى جنبك ، فقال : والله ما رأيته ! أحلف (٨) أنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة تعاهدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك .

أمر المسلمين بعد الهزيمة

وكان رسول الله ﷺ لما انكشف المسلمون لم يبق معه إلا نُفير (٩) ، فأحدق به أصحابه من المهاجرين والأنصار وانطلقوا به إلى الشعب وما للمسلمين لواء قائم ولا فئة ولا جمع ، وإن كتائب المشركين لتحوشهم (١٠)

(١) فى (خ) « منهم » ، والتصويب من (الواقدى) ج ١ ص ٢٣١ .
(٢) نسوّرك : نلبسك السِّوار (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٦٢ .
(٣) فى (خ) « بطلانها » ، والتصويب من (المغازى) ج ١ ص ٢٣٦ .
(٤) زيادة للإيضاح .
(٥) فى (خ) « صفوان بن أمية بن شهاب » وما أثبتناه من (المغازى) ج ١ ص ٢٣٨ .
(٦) ترِحت : فى (خ) « قرحت » ، والصواب ما أثبتناه ، وهو دعاء من التَّرح ، وهو الحزن
(٧) الشأفة قرحة تخشن فتستأصل بالكى (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٦٩ .
(٨) فى (المغازى) « أحلف بالله » ج ١ ص ٢٣٨ .
(٩) تصغير نَفَر .
(١٠) يأخذونهم من حواليهم من كل جانب .

مقبلة ومدبرة فى الوادى يلتقون ويفترقون : مايرون أحداً من الناس يردهم ، ثم رجعوا نحو معسكرهم وانتودوا (١) فى المدينة وفى طلب المسلمين فبيناهم على ماهم فيه إذ طلع رسول الله ﷺ إلى أصحابه : فكأنهم لم يصبهم شىء حين رأوه سالماً .

مانال المشركون من المسلمين

وكان ابن قمئة — لما قتل مصعب بن عمير وسقط اللواء من يده — ابتدره رجلان من بنى عبد الدار سويبط ابن حرملة وأبو الروم فأخذه أبو الروم فلم يزل فى يده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون . ويقال بل دفعه رسول الله ﷺ إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . واقتتل الفريقان على الاختلاط من الصفوف ، ونادى المشركون بشعارهم [ياللعزى ، ياآل هُبل] فأوجعوا فى المسلمين قتلا ذريعاً ، ونالوا من رسول الله ﷺ ما نالوا . ولم يزُل ﷺ شبراً واحداً بل وقف فى وجه العدو ، وأصحابه تثوب إليه مرة منهم طائفة ، وتتفرق عنه مرة ، وهو يرمى عن قوسه أو بحجر حتى تحاجزوا .

من ثبت مع رسول الله من المسلمين فى أحد

وثبت معه خمسة عشر رجلا (٣) : سبعة من المهاجرين هم : أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعلى بن أبى طالب ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبو عبيدة بن الجراح ، والزبير بن العوام ، ومن الأنصار سبعة : الحباب بن المنذر ، وأبو دجانة ، وعاصم بن ثابت ، والحارث بن الصمة ، وسهل بن حنيف ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ . ويقال ثبت سعد بن عبـــادة ، ومحمد بن مسلمة : فيجعلونهما مكان أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ .

المبايعون على الموت

وبايعه يومئذ على الموت ثمانية : ثلاثة من المهاجرين هم : على ، والزبير وطلحة ، وخمسة من الأنصار هم : أبو دجانة ، والحارث بن الصمة ، وحباب بن المنذر ، وعاصم بن ثابت ، وسهل بن حنيف فلم يقتل منهم أحـــد يومئذ ، ورسول الله ﷺ يدعوهم فى أخراهم [حتى انتهى من انتهى منهم إلى قريب من دون المهراس] (٤) ويقال ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول : وجهى دون وجهك ، ونفسى دون نفسك ، وعليك السلام غير مودّع (٥) .

(١) فى (الواقدى) ج ١ ص ٢٣٨ : « نحو معسكرهم ، وتآمروا فى المدينة وفى طلبنا » .
(٢) زيادة من المرجع السابق .
(٣) كذا فى (خ) و (ط) ، ورواية (ابن سعد) ج ٢ ص ٤٢ ، و (الواقدى) ج ١ ص ٢٤٠ « أربعة عشر رجلاً ، سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار » .
(٤) زيادة من (الواقدى) ج ١ ص ٢٤٠ ، والمهراس : ماء بجبل أحد (انظر المرجع السابق) .
(٥) غير مودّع : غير متروك ، إشارة إلى قوله تعالى « ما ودّعك ربك وما قلى » آية ٣ / الضحى .

خبر المدافعين عن رسول الله

ويقال إن رسول الله ﷺ لما لحمه القتال (١) وخُلص إليه ، ذبّ عنه مصعب بن عمير . وأبو دجانة حتى كثرت به الجراحة ، فجعل ﷺ يقول : من رجل يشرى (٢) نفسه ؟ فوثب فتية من الأنصار خمسة ، منهم عمارة بن زياد بن السكن فقاتل حتى أثبت وفاءت (٣) فئة من المسلمين فقاتلوا حتى أجهضوا أعداء الله . فقال ﷺ لعمارة بن زياد : أدنُ منىّ ؛ إلىّ إلىّ ! حتى وسّده رسول الله ﷺ قدمه — وبه أربعة عشر جُرْحاً — حتى مات . وجعل ﷺ يومئذ يذمّر (٤) الناس ويحضهم على القتال . وكان رجال من المشركين قد أذاقوا (٥) المسلمين بالرَّمْى ، منهم حبان بن العرقة وأبو أسامة الجشمى ؛ فجعل النبي ﷺ يقول لسعد بن أبي وقاص : إرْمِ فداك أبي وأمي .

خبر حبان بن العرقة وأم أيمن

ورمى حبان بن العرقة بسهم فأصاب ذيل أم أيمن — وقد جاءت تسقى الجرحى — فانكشف عنها فاستغرب (٦) فى الضحك ؛ فشق ذلك على النبي ﷺ . فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهماً لانصلَ له فقال : إرْمِ ؛ فوقع السهم فى نحر حبّان فوقع مستلقياً وبدت عورته ، فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال : استقاد (٧) لها سعد ؛ أجاب الله دعوتك وسدد رميتك .

وكان مالك بن زهير (٨) — أخو أبي سامة (٩) الجشمى — هو وحبان بن العرقة قد أكثرا (١٠) فى المسلمين القتل بالنبل ، فرمى سعد بن أبي وقاص مالكاً أصاب السهم عينه حتى خرج من قفاه فقتله ورمى رسول الله ﷺ يومئذ عن قوسه حتى صارت شظايا فأخذها قتادة بن النعمان فلم تزل عنده .

خبر عين قتادة

وأصيبت عينُ قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، فجاء رسول الله ﷺ فأخذها وردها فعادت كما كانت ولم تضرب عليه بعدها . وكان يقول بعد ما أسَنَّ : هى أقوى عينىّ ! وكانت أحسنهما .

مباشرته القتال

وباشر ﷺ القتال ورمى بالنبل حتى فنيت نباله ، وتكسرت سية (١١) قوسه . وقبل ذلك ما انقطع وتره وبقيت فى يده قطعة تكون شبراً فى سية القوس ، فأخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتر (١٢) له فقال : يارسول الله ،

---

(١) كذا فى (المغازى) ج ١ ص ٢٤٠ .

(٢) أى يبيع نفسه للموت . (٣) رجعت . (٤) يحرض .

(٥) فى (خ) « أولقو » ، وأذلق : أسرع فى الرى وأضعفوا (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣١٤ .

(٦) فى (خ) « استغرت » .

(٧) أى انتصف . (٨) فى (خ) « أخا » .

(٩) كذا فى (خ) ، (ط) وفى الواقدى « أبي أسامة » ج ١ ص ٢٤١ .

(١٠) فى (خ) « أكثروا » . (١١) سية القوس : طرفه .

(١٢) يوتر للقوس : يشدّ وترها .

لايبلغ الوتر ، فقال مدّه يبلغ ! قال عكاشة : فوالذى بعثه بالحق ، لمددته حتى بلغ وطويت منه ليتين أو ثلاثاً على سية القوس ، ثم أخذ ﷺ قوسه فما زال يرام القوم — وأبو طلحة يستره مُترّساً عنه — حتى تحطمت القوس .

خبر أبي طلحة

وكان أبو طلحة قد نثر كنانته — وفيها خمسون سهما — بين يدى النبي ﷺ — وكان رامياً وكان صيّتاً (١) — فقال رسول الله ﷺ : صوت أبي طلحة فى الجيش خير من أربعين رجلا ؛ فلم يزل يرمى بها ورسول الله ﷺ من خلفه بين رأسه ومنكبه ينظر إلى مواقع النَّبل حتى فنيت نبله وهو يقول : نحرى دون نحرك جعلنى الله فداك . فإن كان ﷺ ليأخذ العود من الأرض فيقول : ارم أبا طلحة ! فيرمى بها سهماً جيداً .

سبب تسمية أبي رهم المنحور

ورمى يومئذ أبو رُهم الغفارىّ بسهم فوقع فى نحره ، فبصق عليه رسول الله ﷺ فبرأ ، وسُمّى بعد ذلك المنحور .

المتعاهدون من قريش على قتل رسول الله

وكان أربعة من قريش قد تعاهدوا وتعاقدوا على قتل رسول الله ﷺ وعرفهم المشركون بذلك ؛ وهم : عبد الله بن شهاب ، وعُتبة بن أبي وقاص ، وعمرو بن قيئة ، وأبي بن خلف [وزاد بعضهم (٢) وعبد الله بن حميد ابن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى] .

خبر ما أصاب رسول الله من الجراحة يوم أحد

ورمى عتبة يومئذ رسول الله ﷺ بأربعة أحجار فكسر رباعيته ، أشظى (٣) باطنها اليمنى السفلى ، وشج فى وجنتيه حتى غاب حلق المغفر (٤) فى وجنتيه ، وأصيبت ركبتاه : جُحشتا (٥) ؛ وكانت حُفر حفرها أبو عامر كالخنادق يكيد بها المسلمين ؛ وكان رسول الله ﷺ واقفاً على بعضها ولا يشعر به . والثبت أن الذى رمى وجنته ﷺ ابن قيئة ، والذى رمى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص . وأقبل ابن قيئة — وهو يقول : دلونى على محمد ، فوالذى يحلف به (٦) لئن رأيته لأقتلنه — فعلاه بالسيف ، ورماه عتبة بن أبي وقاص مع تجليل (٧) السيف — وكان عليه درعان . فوقع ﷺ فى الحفرة التى أمامه على جنبه فجحشت ركبتاه ، ولم يصنع سيف ابن قيئة شيئاً إلا وَهْنَ الضربة بثقل السيف فقد وقع لها ﷺ وانتهض ، وطلحة يحمله من ورائه ، وعلىّ آخذ بيده حتى استوى قائماً . ويقال : الذى شج رسول الله ﷺ فى جبهته ابن شهاب ، والذى أشظى رباعيته وأدمى شفتيه عتبة بن أبي وقاص ؛ والذى أدمى وجنتيه حتى غاب الحلق فى وجنته ابن قيئة وسال الدم من شجته التى (٨) فى جبهته حتى

---

(١) رفيع الصوت جهيره . (٢) ذكره ابن الأثير فى (الكامل) ج ٢ ص ١٥٤ — ١٥٥ .

(٣) الرباعية : إحدى الأسنان الأربعة التى فى مقدم الفم من أعلى وأسفل ، وأشظى : كُسرت فصارت لها شظية .

(٤) من أدوات الحرب لوقاية العنق والعاتقين

(٥) جحشت الركبة : أصيبت إصابة كالخدش أو أشد .

(٦) كناية عن اللات والعزى ، وهو من أيمان الشرك .

(٧) فى (خ) « تحليل » وجلل السيف : إذا علاه . (٨) فى (خ) « الذى » .

أخضل الدم لحيته ﷺ ، وكان سالم مولى أبي حذيفة رضى الله عنه يغسل الدم عن وجه رسول الله ﷺ ، وهو ﷺ يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم ؟ وهو يدعوهم إلى الله عز وجل . فأنزل الله تعالى : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » ، (١) وقال : اشتد غضب الله (٢) على قوم دمّوا فا (٣) رسول الله ، اشتد غضب الله على قوم دمّوا وجه رسول الله ، اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله ، وقال : اللهم لا يحولنّ الحول على أحد منهم ! فما حال الحول على أحد ممن رماه أو جرحه ﷺ : فمات عتبة ، وقتل ابن قمئة فى المعركة . ويقال بل رمى بسهم فأصاب مصعب بن عمير رضى الله عنه فقتله ، فقال ﷺ : ماله أقمأه الله ؟ فعمد إلى شاة يحتلبها فنطحته بقرنها وهو معتقلها فقتلته فوجد ميتاً بين الجبـــال . وكان عدوّ الله قد رجع إلى قومه فأخبرهم أنه قتل رسول الله ﷺ [وهو رجل من بنى الأدرم (٤) من بنى فهر] وأقبل عبد الله بن حميد بن زهير — حين رأى رسول الله ﷺ على تلك الحال — يركض فرسه مقنعاً فى الحديد يقول : أنا ابن زهير ! دلونى على محمد ، فوالله لأقتلنه أو لأموتن دونه . فقال له أبو دجانة : هلم إلى من يقى نفس محمد بنفسه . وضرب فرسه عرقبها (٥) ثم علاه بالسيف فقتله ، ورسول الله ﷺ ينظر إليه ويقول : اللهم أرض عن أبي خرشة كما أنا عنه راض وكان أبو دجانة قد ترّس عنه ﷺ بظهره ، والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك رضى الله عنه

نزع الحلق من وجنته ﷺ

ولما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب أقبل أبو بكر رضى الله عنه يسعى ، فوافاه طلحة بن عبيد الله ، وبَدَرَ (٦) أبو عبيدة بن الجراح فأخذ بثنيته حلقة المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنيته ؛ ثم أخذ الحلقة الأخرى [فكان أبو عبيدة فى الناس أثرم (٧)] ويقال إن الذى نزع الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ عقبة بن وهب بن كلدة ، ويقال أبو اليسر ، وأثبت ذلك : عقبة بن وهب ، فيما ذكره الواقدى (٨) . وقال غيره الصحيح أن أبا عبيدة ابن الجراح وعقبة بن وهب عالجاها حتى طارت ثنيتا أبي عبيدة فى معالجته لها ، فكان أحسن أهتم خلق . ولما نزعتا جعل الدم يسيل ، فجعـــل مالك بن سنان [وهو والد أبي سعيد الخدرى] يملج الدم بفيه ثم ازدرده (٩) ، فقال رسول الله ﷺ : من أحب أن ينظر إلى من خالط دمه دمى فلينظر إلى مالك بن سنان . وقيل له : تشرب الدم ؟ فقال نعم ! أشرب دم رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسّ دمه دمى لم تصبه النار .

مسح فاطمة الدم عن وجهه ﷺ

وخرجت فاطمة عليها عليها السلام فى نساء ، فلما رأت الذى بوجه رسول الله ﷺ اعتنقته وجعلت تمسح

---

(١) الآية ١٢٨ / آل عمران ، وفى (خ) « عليهم الآية » .

(٢) فى (خ) « غضب على » .

(٣) أى فم رسول الله ﷺ :

(٤) هم بنى تيم الأدرم .

(٥) أى قطع عرقوبها .

(٦) بَدَرَ : أسرع .

(٧) فى (خ) « وكان أثرم » وما أثبتناه من (المغازى) جـ ١ ص ٢٤٧ ، والثرم هو سقوط الثنية أو انكسار السن من أصلها (ترتيب القاموس) جـ ١ ص ٤٠٢ .

(٨) المغازى جـ ١ ص ٢٤٧ .

(٩) ملج : امتصّ ورضع ، ازدرد : ابتلع ، تقول ملج الصبى أمه إذا رضعها (النهاية) جـ ٤ ص ٣٥٣ .

الدم عن وجهه وذهب على رضى الله عنه يأتى بماء وقال لفاطمة : أمسكى هذا السيف غير ذميم فأتى بماء فى مجنة (١) فأراد النبى ﷺ أن يشرب منه — وكان قد عطش — فلم يستطع ، ووجد ريحاً من الماء كرهها فقال : هذا ماء آجن (٢) ؛ فمضمض منه فاه للدم الذى فيه ، وغسلت فاطمة عن أبيها الدم ؛ ورأى ﷺ سيف على مختضباً فقال : إن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت ، والحارث بن الصمة ، وسهل بن حنيف ، وسيف أبي دجانة غير مذموم

النساء يحملن الطعام ويسقين الجرحى

وخرج محمد بن مسلمة يطلب مع النساء ماء — وكن قد جئن أربع عشرة امرأة منهن فاطمة عليها السلام ، يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ، ويسقين الجرحى ، ويداوينهم (٣) . ومنهن أم سُليم بنت ملحان ، وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها على ظهورهما القرب ، ومنهن حمنة بنت جحش وكانت تسقى العطشى وتداوى الجرحى ، ومنهن أم أيمن تسقى الجرحى — فلم يجد محمد بن مَسلمة عند النساء ماء . وكان رسول الله ﷺ قد عطش عطشاً شديداً ، فذهب محمد إلى قناة حتى استقى من حِسْى (٤) ، فأتى بماء عذب فشرب منه رسول الله ﷺ ودعا له بخير . وجعل الدم لا ينقطع ؛ وجعل النبى ﷺ يقول : لن ينالوا منا مثلها حتى تستلموا الركن .

دواء جرح رسول الله ﷺ

فلما رأت فاطمة الدم لا يرقأ (٥) — وهى تغسله وعلىّ يصب الماء عليها بالمجنّ ، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم ؛ ويقال داوته بصوفة محترقة . وكان ﷺ بعد يداوى الجرح فى وجهه بعظم بالٍ حتى يذهب أثره . ومكث يجد وَهن ضربة ابن قمئة على عاتقه شهراً أو أكثر من شهر .

قتل رسول الله أبيّ بن خلف

وأقبل يومئذ أبي بن خلف يركض فرسه حتى [إذا] (٦) دنا من رسول الله ﷺ اعترض له ناس من المسلمين ليقتلوه فقال ﷺ : استأخروا عنه ! وقام وحربته فى يده فرماه بها بين سابغة (٧) البيضة والدرع فطعنه (٨) هناك ، فوقع عن فرسه وكسر ضلع من أضلاعه ، فاحتملوه فمات — لما ولوا [قافلين] (٩) — بالطريق ، وفيه نزلت « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » (١٠) ، وكان أبي بن خلف قدم المدينة فى فداء ابنه وقد أسر يوم بدر ،

---

(١) المجن : الترس .

(٢) الماء الآجن : الماء المتغير الطعم واللون (النهاية) جـ ١ ص ٢٦ .

(٣) فى (خ) و « يداوينهن » .

(٤) الحِسْى : حفيرة قريبة من القعر ، قيل إنه لا يكون إلا فى أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل ، فإذا أمطرت نشفها الرمل فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته (النهاية) جـ ١ ص ٣٧٨ .

(٥) فى (خ) « يرق » .

(٦) زيادة للسياق .

(٧) السابغ والسابغة والتسبغة : ما توصل به من حلق الدروع فتستر العنق . (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٤١٤ .

(٨) فى (خ) فقطعه .

(٩) زيادة للإيضاح .

(١٠) الآية ١٧ / الأنفال .

فقال : يامحمد ! إن عندي فرساً أجلها فرقاً (١) من ذرة كل يوم أقتلك عليها ، فقال رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك عليها إن شاء الله . ويقال : قال ذلك بمكة فبلغ رسول الله ﷺ كلمته بالمدينة فقال : أنا أقتله عليها إن شاء الله . وكان ﷺ في القتال لايلتفت وراءه ، فكان يقول لأصحابه : إني أخشى أن يأتي أبي بن خلف من خلفي فإذا رأيتموني فآذنوني ، فإذا بأبي يركض على فرسه ، وقد رأى رسول الله ﷺ فعرفه فجعل يصيح بأعلى صوته : يامحمد ، لانجوتُ إن نجوتَ ! فقال القوم : يارسول الله ! ما كنت صانعاً حين يغشاك ، فقد جاءك ! وإن شئت عطف عليه بعضنا . فأبى ﷺ ، ودنا أبي ، فتنـــاول ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، [ويقال من الزبير بن العوام] ، ثم انتفض [بأصحابه] (٢) كما ينتفض البعير ، فتطاير عنه أصحابه — ولم يكن أحد يشبه رسول ﷺ إذا جد الجد — ثم أخذ الحربة فطعنه بها في عنقه وهو على فرسه فجعل يخور كما يخور الثور ؛ ويقول له أصحابه ؛ أبا عامر ! والله مابك بأس ؛ ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ماضره ! فيقول : لا واللات والعزى ، ولو كان هذا الذي بي بأهل [ذي] (٢) المجاز لماتوا أجمعون ! أليس قال لأقتلنك ؟ فاحتملوه وشغلهم ذلك عن طلب النبي ﷺ ؛ ولحق رسول الله ﷺ بمعظم أصحابه في الشعب . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : مات أبيّ بن خلف ببطن رابغ ؛ فإني لأسير ببطن رابغ — بعد هُويّ (٣) من الليل — إذا نار تأجج لي فهبتها ، فإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجذبها يصيح : العطش ! وإذا رجل يقول . لاتسقه ، فإن هذا قتيل رسول الله . هذا أبيّ بن خلف . فقلت: ألا سحقاً (٤) ويقال مات بسرف (٥) ويقال لما تناول النبي ﷺ الحربة من الزبير حمل أبيّ على رسول الله ليضربه ، فاستقبله مصعب بن عمير يحول بنفسه دون رسول الله ، فضرب مصعب وجه أبي ، وأبصر رسول الله ﷺ فرجة بن سابغة البيضة والدروع فطعنه هناك ، فوقع وهو يخور .

قتل عثمان بن عبد الله المخزومي

وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس أبلق يريد رسول الله ﷺ ، وعليه لامة (٦) كاملة — ورسول الله ﷺ موجه إلى الشّعب — وهو يصيح : لانجوتُ إن نجوتَ ! فوقف رسول الله ﷺ وعثر بعثمان فرسه في تلك الحفرة فيقع ، ويخرج الفرس عائراً (٧) فأخذه المسلمون فعقروه . ومشى الحارث بن الصمة إليه فاضطربا ساعة بسيفهما ، ثم ضربه الحارث على رجلة فبرك ، ودفف عليه وأخذ درعه ومغفره وسيفه — ولم يسمع بأحد (٨) سلب يومئذ غيره — فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي أحانه (٩) . وكان عبد الله بن جحش أسره ببطن نخلة ، فافتدى من رسول الله ﷺ ، وعاد إلى مكة حتى قدم فقتله الله بأحد .

(١) أجلها : أي أعلفها . (النهاية) ج ١ ص ٢٨٩ ، والفَرَق : مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع ، (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٤٧٩ .
(٢) زيادة للإيضاح والسياق .
(٣) الهوي : الساعة من الليل (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ١٠٠٢ .
(٤) سحقاً : بعد أشد البعد وسحق الله فلاناً أي أبعده ، (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٢٠ .
(٥) موضع على ستة أميال من مكة (معجم البلدان) ج ٣ ص ٢١٢ .
(٦) اللأمة : أدوات الحرب كلها من رمح وبيضة ومغفر وسيف ودرع (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨١٠ .
(٧) عار الفرس : انفلت فذهب على وجهه (هامش (ط) ص ١٤١) .
(٨) في (خ) « بأخذ » . (٩) أحانه : أهلكه .

ذبح عبيد بن حاجز

[ويرى مصرعه] (١) عبيد بن حاجز العامري [فأقبل] يعدو فضرب الحارث بن الصمة جرحه على عاتقه ، فاحتمله أصحابه . ووثب أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري إلى عبيد فناوشه ساعة ثم ذبحه بالسيف ذبحاً ، ولحق برسول الله (٢) .

سهل بن حنيف ينضح بالنبل عن رسول الله

وكان سهل بن حنيف ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ فقال عليه السلام : نبلوا سهلا فإنه سهل . ونظر ﷺ إلى أبي الدرداء رضي الله عنه والناس منهزمون فقال : نعم لفارس عويمر غير أفّة (٣) . ويقال لم يشهد أبو الدرداء أحداً ولقي أبو أسيرة بن الحارث بن علقمة رجلاً فاختلفا ضربات (٤) حتى قتله أبو أسيرة ؛ فأقبل خالد بن الوليد على فرس أدهم أغر فطعن أبا أسيرة من خلفه : خرج الرمح من صدره فمات .

قتال طلحة بن عبيد الله

وقاتل طلحة بن عبيد الله عن رسول الله ﷺ قتالا شديداً — حين انهزم عنه أصحابه وكرّ المشركون فأحدقوا به من كل ناحية — وصار يذب بالسيف من بين يديه ومن ورائه وعن يمينه وعن شماله : يدور حوله يترس بنفسه حول رسول الله . وإن السيوف لتغشاه ، والنبل من كل ناحية ، وإن هو إلا جُنة بنفسه لرسول الله حتى انكشفوا ، فجعل ﷺ يقول لطلحة : قد أوجب (٥) وكان طلحة أعظم الناس غناء عن رسول الله ﷺ يومئذ .

ورمى مالك بن زهير الجشمي بسهم يريد رسول الله ﷺ ، فاتقى طلحة بيده عن وجهه المقدس فأصاب خنصره فشل خنصرة . وقال حين رماه : حس (٦) ! فقال ﷺ : لو قال بسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون ! من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي في الدنيا وهو من أهل الجنة فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله ؛ طلحة ممن قضى نحبه .

ولما جال المسلمون تلك الجولة ثم تراجعوا ، أقبل رجل من بني عامر بن لؤي — يقال له شيبة بن مالك المضرّب — يصيح : دلوني على محمد ! فضرب طلحة عرقوب فرسه فاكتسعت (٧) به ، ثم طعن حدقته وقتله . وأصيب يومئذ طلحة في رأسه : ضربه رجل من المشركين ضربة وهو مقبل وأخرى وهو معرض عنه فنزف الدم حتى غشي عليه ؛ فنضح أبو بكر رضي الله عنه الماء في وجهه حتى أفاق ، فقال : مافعل رسول الله ؟ قال خيراً ، هو أرسلني إليك . قال : الحمد لله كل مصيبة بعده جلل (٨) .

(١) زيادة للسياق من (الواقدي) ج ١ ص ٢٥٣ .
(٢) في (خ) « رسول الله » .
(٣) غير أفّة : غير جبان (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢١ .
(٤) في (خ) « في ضرباته » . (٥) قد أوجب لنفسه الجنة .
(٦) حسِّ : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضّه وأحرقه غفلة كالجمرة والضربة ونحوها (النهاية) ج ١ ص ٣٨٥ .
(٧) في (خ) « فانعكست » ، وهي رواية الواقدي في (المغازي) ج ١ ص ٢٥٥ ومعناها : سقطت من ناحية مؤخرها ، ورمت به إلى الأرض .
(٨) جلل : هينة قليلة .

قتال على والحباب بن المنذر

وكان على بن أبي طالب يذب عن رسول الله ﷺ من ناحية ، وأبو دجانة مالك بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن ثعلبة الأنصارى يذب من ناحية ، وسعد بن أبي وقاص يذب طائفة . وانفرد على بفرقة فيها عكرمة بن أبي جهل ، فدخل وسطهم بالسيف — فضرب به وقد اشتملوا عليه — حتى أفضى إلى آخرهم ، ثم كرَّ فيهم ثانياً حتى رجع من حيث جاء . وكان الحباب بن المنذر الجموح يحوش المشركين كما تحاش الغنم ، واشتملوا عليه حتى قيل قد قتل ، ثم برز والسيف فى يده وافترقوا عنه ، وجعل يحمل على فرقة منهم وإنهم ليهربون (١) منه . وكان يومئذ معلماً بعصابة خضراء فى مغفره .

خبر عبد الرحمن بن ابى بكر وكان مشركا

وطلع يومئذ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال : من يبارز ؟ وارتجز فقال :

لم يبـق إلا شكة ويعبوب وصارم يقتل ضـلال الشيب (٢)

وفى رواية : « وناشىء يشرب أرحام الشيب » ، فنهض إليه أبو بكر رضى الله عنه وهو يقول : أنا ذلك الأشيب ! ثم ارتجزه فقال :

لم يبـق إلا حسبى ودينى وصـارمٌ تقضى به يمينى

فقال له عبد الرحمن : لولا أنك أبي لم أنصرف ، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه : شِمْ سيفك ، وارجع مكانك ، ومتعنا بنفسك

خبر شماس بن عثمان

كان شماس بن عثمان بن الشريد المخزومى لايرى رسول الله ﷺ [ببصره] (٣) يميناً ولاشمالا إلا رآه فى ذلك الوجه يذب بسيفه ، حتى غشى رسول الله ﷺ فترس بنفسه دونه حتى قتل رحمه الله ؛ فذلك قول النبى ﷺ : ماوجدت لشماس شبها إلا الجُنّة (٤) .

أول من أقبل بعد الهزيمة

وكان أول من أقبل من المسلمين بعد التولية قيس بن محرث ، [ويقال قيس بن الحارث بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة] مع طائفة من الأنصار فصادفوا المشركين فدخلوا فى حومتهم ، فما أفلت منهم رجل حتى قتلوا

(١) فى (خ) « ليهزموك » ، وما أثبتناه من (المغازى) ج ١ ص ٢٥٧ .
(٢) ذكر الواقدى هذا الخبر بغير الشعر ، وذكره (ابن هشام) ج ٢ ص ٢٠٣ ضمن أخبار غزوة بدر ، والبيت فى (ابن هشام) هكذا :

لم يبق غير شكة ويعبوب وصارم يقتل ضلال الشيب

وفى (خ) « إلا صارم » .
والشكة : السلاح . واليعبوب : الفرس الكثير الجرى .
(٣) زيادة للسياق .
(٤) الجنة : كل ما وقى من سلاح وغيره (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٤٧ .

ولقد ضاربهم قيس حتى قتل نفراً فما قتلوه إلا بالرماح : نظموه ، ووجد به أربع عشرة ضربة قد جافته (١) وعشر ضربات فى بدنه .

خبر الداعين إلى القتال

وكان عباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر ، وأوس بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان يرفعون أصواتهم ، فيقول عباس : يامعشر المسلمين ! الله ونبيكم ! هذا الذى أصابكم بمعصية نبيكم ؛ فيوعدكم النصر فما (٢) صبرتم . ثم نزع مغفرة وخلع درعه وقال لخارجة بن زيد : هل لك فيهما ؟ قال : لا ، أنا أريد الذى تريد . فخالطوا القوم جميعاً ، وعباس يقول : ماعذرنا عند ربنا إن أصيب رسول الله ومنا عينٌ تطرف ؟ فيقول خارجة : لا عذر لنا عند ربنا ولاحجة ، فقتل سفيانُ بن عبد شمس السلمىُّ عباساً ، وأخذت (٣) خارجة الرماح ، فجرح بضعة عشر جرحاً ، وأجهز عليه صفوان بن أمية . وقتل (٤) أوس بن أرقم رضى الله عنهم .

خبر أبى دجانة وخبر السيف

وقال رسول الله ﷺ يومئذ : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قالوا : وماحقه ؟ قال يضرب به العدو ؛ فقال عمر رضى الله عنه : أنا يارسول الله ؛ فأعرض عنه . ثم عرضه بذلك الشرط فقام الزبير رضى الله عنه . فقال : أنا ؛ فأعرض عنه حتى وجد (٥) فى أنفسهما . ثم عرضه الثالثة فقال ذو المشهرة أبو دجانة : أنا يارسول الله آخذه بحقه فدفعه إليه ، فصدق به حين لقى العدو ، فأعطى السيف حقه ؛ فما قاتل أحد أفضل من قتاله . لقد كان يضرب به حتى إذا كلَّ عليه شحذه على الحجارة ، ثم يضرب به العدو حتى رده كأنه منجل ، وكان حين أعطاه السيف لبس مشهرة فأعلم بها ؛ وكان قومه يعلمون — لما بلوا منه — أنه إذا لبس تلك المشهرة لم يبق فى نفسه غاية . فخرج يمشى بين الصفين واختال فى مشيته ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه : إن هذه لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن ، ويقال كان يعلم رأسه بعصابة حمراء .

خبر رشيد الفارسى

ولقى رُشيد الفارسى مولى بنى معاوية (٦) رجلا من المشركين قد ضرب سعداً مولى حاطب بجزله (٧) باثنتين ، فضربه على عاتقه فقتله ، فاعترض له أخوه يعدو (٨) فقتله ، فقال له رسول الله ﷺ : أحسنت يا أبا عبد الله وكنّاه يومئذ ولا ولد له .

(١) جافته : أصابت جوفه (المرجع السابق) ج ١ ص ١٤٧ .
(٢) فى (خ) « ما » (٣) فى (خ) « وأخذ » (٤) فى (خ) « وقيل » .
(٥) وجدا : غضبا (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ١٠١٣ .
(٦) فى (خ) « بنى معونة » وما أثبتناه من (المغازى) ج ١ ص ٢٦١ .
(٧) فى (المغازى) « ضربة جزله » ج ١ ص ٢٦١ .
وجزله جزلا : أى قطعه (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٢١ .
(٨) فى (المغازى) ج ١ ص ٢٦١ « وأقبل يعدو كأنه كلب » .

خبر عمرو بن ثابت

وكان عمرو (١) بن ثابت بن وقش بن زغبة بن عبد الأشهل الأنصارى شاكاً فى الإسلام حتى كان يوم أحد فأسلم وقاتل حتى أثبت فوجد وهو بآخر رمق فقالوا : ماجاء بك ؟ قال : الإسلام ! آمنت بالله ورسوله ، ثم أخذت سيفى وحضرتُ ، فرزقنى الله الشهادة ومات . فقال رسول الله ﷺ : إنه لمن أهل الجنة .

خبر مخيريق

وكان مُخيريق من أحبار يهود ، فقال يوم السبت : يامعشر يهود ! والله إنكم لتعلمون أن محمداً النبى ، وأن نصره عليكم لحق ! ثم أخذ سلاحه وحضر أحداً مع النبى ﷺ فقتل . وقال حين خرج : إن أصبت فأموالى لمحمد يضعها حيث أراد : فهى عامة صدقات رسول الله ﷺ . وقال فيه ﷺ : مخيريق خير يهود .

خبر عمرو بن الجموح وولده وماكان من أمر امرأته

وخرج عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة وهو أعرج وهو يقول : اللهم لاتردنى إلى أهلى ! ! فقتل شهيداً واستشهد ابنه خلاد بن عمرو ، وعبد الله بن عمرو بن حرام [بن ثعلبة بن حرام الأنصارى الخزرجى] (٢) ، أبو جابر بن عبد الله ، فحملتهم هند بنت عمرو بن حرام — زوجة عمرو بن الجموح — على بعير لها تريد بهم المدينة ، فلقيتها عائشة رضى الله عنها — وقد خرجت فى نسوة تستروح الخبر ، ولم يضرب الحجاب يومئذ — فقالت لها : عندك الخبر ، فما وراءك ؟ قالت : أما رسول الله فصالح ، وكل مصيبة بعده جلل ؛ واتخذ الله من المؤمنين شهداء ، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً . قالت عائشة من هؤلاء ؟ قالت : أخى وابن أخى خلاد وزوجى عمرو بن الجموح ؛ قالت : فأين تذهبين بهم ؟ قالت : إلى المدينة أقبرهم فيها ؛ ثم قالت : حَل (٣) — : تزجر بعيرها فبرك ، فقالت عائشة : لما عليه (٤) ، قالت : ماذاك به ؛ لربما حمل مايحمل البعيران ولكنى أراه لغير ذلك . وزجرته فقام (٥) فوجهته راجعة إلى أحد فأسرع ، فرجعت إلى النبى ﷺ فأخبرته بذلك فقال : فإن الجمل مأمور ، هل قال شيئاً (٦) ؟ قالت : (٧) إن عمراً لما وجه إلى أحد قال : اللهم لاتردنى إلى أهلى خزيان (٨) وارزقنى الشهادة ! فقال رسول الله ﷺ : فلذلك الجمل لايمضى ؛ إن منكم يامعشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره : منهم عمرو بن الجموح . ياهند ! مازالت الملائكة مظلة على أخيك

(١) فى (خ) « عمر » (٢) زيادة من لسبه .
(٣) كلة لزجر الإبل (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٦٩٨ .
(٤) أى برك للذى عليه من الحمل .
(٥) فى (خ) بعد قولها : « فقام » ، و « برك » ولامعنى لها . ومناسبتها فى رواية (الواقدى) « فقام ، فلما وجهتُ به إلى المدينة برك » ج ١ ص ٢٦٥ .
(٦) الضمير فى قوله « قال » عائد على الشهيد .
(٧) فى (خ) « قال » . (٨) فى (خ) « خرباً » ، وفى (الواقدى) ج ١ ص ٢٦٦ « خرباً » ولعل الصواب ما أثبتناه .

من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن . ثم مكث ﷺ حتى قبرهم . ثم قال ياهند ! قد ترافقوا فى الجنة ، عمرو ابن الجموح ، وابنك خلاد ، وأخوك عبد الله ، قالت يارسول الله أدع الله أن يجعلنى معهم (١) .

أول قتيل من المسلمين يوم أحد

وقال جابر بن عبد الله : كان أبى أول قتيل قتل من المسلين يوم أحد ، قتله سفيان بن عبد شمس أبو أبى الأعور السلمىّ ؛ فصلى عليه رسول الله ﷺ قبل الهزيمة .

خبر أم عمارة وقتالها يوم أحد

وكانت أم عمارة [نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف (٢) بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار] امرأة غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول [بن عمرو بن غنم مازن بن النجار] (٣) — : قد شهدت أحداً هى وزوجها وابنها ، ومعها شنٌّ (٤) لتسق الجرحى . فقاتلت وأبلت بلاءً حسناً يومئذ — وهى حاجزة ثوبها على وسطها — حتى جرحت إثنى عشر جرحاً ، بين طعنة برمح أو ضربة بسيف . وذلك أنها كانت بين يدى رسول الله ﷺ هى وابناها عبد الله وحبيب ابنا زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن مبذول ، وزوجها غزية بن عمرو — يذبون عنه ؛ فلما انهزم المسلمون جعلت تباشر القتال وتذب عن رسول الله ﷺ بالسيف ، وترمى بالقوس . ولما أقبل ابن قميئة — لعنه الله — يريد النبى ﷺ كان فيمن اعترض له ، فضربها على عاتقها ضربة صار لها فيما بعد ذلك غور أجوف ، وضربته هى ضربات فقال رسول الله ﷺ : لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان وقال : ما التفتُّ يميناً ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دونى . وقال لإبنها عبد الله بن زيد : بارك الله عليكم من أهل بيت ؛ مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ، ومقام ربيبك [يعنى زوج أمه] خير من مقام فلان وفلان ، ومقامك خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل بيت ؛ قالت أم عمارة : ادع الله أن نرافقك فى الجنة ؛ قال : اللهم (٥) اجعلهم رفقائى فى الجنة ؛ قالت : ما أبالى ما أصابنى من الدنيا .

خبر حنظلة « غسيل الملائكة »

وخرج حنظلة بن أبى عامر [بن عمرو بن صيفى بن مالك بن أمية (٦) بن ضبيعة بن زيد بن (٧) عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس] وهو حنظلة الغسيل — إلى رسول الله ﷺ وهو يسوى الصفوف بأحد ، فلما انكشف المشركون ضرب فرس أبى سفيان بن حرب فوقع على (٨) الارض وصاح ، وحنظلة يريد ذبحه ، فأدركه

(١) فى المرجع السابق « عسى أن يجعلنى معهم » .
(٢) فى (خ) مكان « عوف » « خنساء » وهو خطأ فى نسبها .
وما أثبتناه من (الإصابة) ترجمة ١٢٤٠ ج ١٣ ص ٢٥٧ .
(٣) زيادة (الاستيعاب) ج ١٣ ص ٢٥٩ ترجمتها رقم (٣٥٩٠) .
(٤) يقال : شنّ الماء على الشراب ، وشنت العين الدمع (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٩٦ .
(٥) فى (خ) مكان « اللهم » مانصه : « أبو مالك بن الأوس اجعلهم » والصواب . ما أثبتناه ، وانظر (المغازى) ج ١ ص ٢٧٣ .
(٦) فى (خ) « أمه » (٧) فى (خ) « زيد بن مالك بن عوف » وهو خطأ والتصويب من (ط) .
(٨) فى (خ) « فوقع الأرض » .

الأسود بن شعوب (١) فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ، ومشى حنظلة إليه فى الرمح وقد أثبته ثم ضربه الثانية فقتله ، ونجا أبو سفيان. فقال رسول الله ﷺ : إنى رأيت الملائكة تغسّل حنظلة بن [أبى] (٢) عامر بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة . قال أبو أسيد الساعدى : فذهبنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء . فلما أخبر النبىُّ ﷺ بذلك أرسل إلى امرأته فسألها ، فأخبرته أنه خرج وهو جنب .

خبر هند بنت عتبة

وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف — زوجة أبى سفيان بن حرب — أول من مثل بقتلى المسلمين ، وأمرت نساء المشركين أن يمثلن بهم ، يجدّعن الأنوف والآذان ، فمثلن بالجميع إلا حنظلة الغسيل.

أول من دخل المدينة بعد الهزيمة

ولما صاح إبليس : إن محمداً قد قتل — تفرق الناس ، فنهم من ورد المدينة ، فكان أول من دخلها بهذا الخبر أبو عبادة سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الأنصارى ، ثم ورد بعده رجالٌ . فجعل النساء يقلن : عن رسول الله تفرّون ، وجعل بن أم مكتوم يقول : عن رسول الله تفرون !! وحثّت أم أيمن فى وجوه بعضهم التراب وتقول : هاك المغزل ، أغزل به ، وهلمّ سيفك !! وقيل، إن المسلمين لم يعدوا الجبل — وكانوا فى سفحه — لم يجاوزوه (٣) . وأقبل [أبو] (٤) أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة وهو يقول : يوم بيوم بدر . وقتل رجلا من المسلمين فضربه على رضى الله عنه فقتله ، وقال النبى ﷺ يومئذ : أنا ابن العواتك (٥) . وقال أيضاً :

أنا النـــبي لاكذبْ   أنا ابن عبـــد المطلـــبْ

خبر أنس بن مالك

ومر أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار — وهو عم أنس ابن مالك — بنفر من المسلمين قعود فقال : مايقعدكم ؟ قالوا : قُتل رسول الله ! قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على مامات عليه ! ثم جالد بسيفه حتى قُتل رضى الله عنه . فوجد به سبعون ضربة ، وماعرف حتى عرفته أخته .

---

(١) كذا فى (خ) وفى (الواقدى) ج ١ س ٢٧٣ ، ولكن فى (ابن هشام) ج ٣ س ٦٠ « شداد بن الأسود بن شعوب الليثى » وفى (الكامل) ج ٢ س ١٥٨ .

(٣) فى (خ) « بن عامر »   (٣) فى (خ) « لم يجاوزه » .

(٤) فى (خ) . وفى (الواقدى) ج ١ س ٢٧٩ « أمية » وما أثبتناه من (ابن هشام) ج ٣ س

(٥) العواتك : جمع عاتكة : وهى التى تتكثر من الطيب حتى تخثر بشرتها (المعجم الوسيط) ج ٢ س ٥٨٣ ، وقال ابن الأثير فى النهاية) ج ٣ س ١٨٠ « والعواتك : ثلاث نسوة كن من أمهات النبى ﷺ : إحداهن عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان ، وهى أم عبد مناف بن قصى .

والثانية : عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان ، وهى أم هاشم بن عبد مناف .

والثالثة : عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال ، وهى أم وهب أبى آمنة أم النبى ﷺ .

فالأولى من العواتك عمة الثانية ، والثانية عمة الثالثة : وبنو سليم تفخر بهذه الولادة .

خبر خارجة بن زيد

ومرّ مالك بن الدُّخشم على خارجة بن زيد أبى زهير وهو قاعد ، فى حُشوته ثلاثة عشر جرحاً ، كلها قد خلصت إلى مقتل فقال : أما علمت أن محمداً قد قتل ! فقال خارجة : فإن (١) كان محمد قد قتل فإن الله حى لا يموت ، لقد بلّغ [محمد] (٢) فقاتلْ عن دينك . ومر على سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير الأنصارى أحد النقباء — وبه إثنا عشر جرحاً كلها خلص إلى مقتل — فقال : علمت أن محمداً قد قتل !! فقال سعد : أشهد أن محمداً قد بلغ رسالة ربه ، فقاتلْ عن دينك فإن الله حى لا يموت ، وقال منافق : إن رسول الله قد قتل فارجعوا إلى قومكم فإنهم داخلوا البيوت .

خبر ثابت بن الدَّحداحة وأصحابه : آخر من قتل يوم أحد

وأقبل ثابت بن الدَّحداحة (٣) (ويقال بن الدحداح) بن نعيم بن غنم بن إياس بن بكير والمسلمون أوزاع (٤) قد سقط فى أيديهم فصاح : يامعشر الأنصار !! إلىّ إلىّ ، أنا ثابت بن الدحداحة ، إن كان محمد قد قتل فإن الله حى لا يموت ، فقاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم . فنهض إليه نفر من الأنصار فحمل بهم على كتيبة فيها : خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبى جهل ، وضرار بن الخطاب ، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الأنصار رضى الله عنهم ، فيقال إن هؤلاء آخر من قتل من المسلمين .

ووصل رسول الله ﷺ إلى الشّعب مع أصحابه فلم يكن هنالك قتال .

خبر وحشى ومقتل حمزة

وكان وحشىّ عبداً لابنة الحارث (٥) بن عامر بن نوفل ، ويقال لجبير بن مطعم ، فقالت له إبنة الحارث : إن أبى قتل يوم بدر ، فإن قتلت أحد الثلاثة فأنت حر — : إن قتلت محمداً ، أو حمزة ، أو علياً ، فإنى لا أرى فى القوم كفؤاً لأبى غيرهم . فكمن حمزة رضى الله عنه إلى صخرة ، وقد اعترض له سباع بن عبد العزى (واسم عبد العزى عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم) — وهو ابن أم أنمار — فاحتمله ورمى به وبرك عليه فشحطه شحط (٦) الشاه . ثم قام حتى بلغ المسيل فزلت رجله عن جرف ، فهز وحشى حربته وضرب بها خاصرة حمزة فخرجت من مثانته فلحق بربه . فأتاه وحشى فشق بطنه وأخرج كبده فجاء بها إلى هند بنت عتبة فقال لها : ماذا لى إن قتلت قاتل أبيك ؟ قالت سَلَبي (٧) ! فقال هذه كبد حمزة ! فمضغتها ثم لفظتها ، ونزعت ثيابها وحليها فأعطته وحشياً .

---

(١) (خ) « وإن » وما أثبتناهُ رواية (الواقدى) ج ١ س ٢٨٠ وهو أجود .   (٢) زيادة للإيضاح .

(٣) فى (خ) « الدحداجة » و « الدحداج » .

(٤) الأوزاع : الجماعات والضروب المتفرقون (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ١٠٢٩ .

(٥) فى (خ) « الحرب » وما أثبتناه من (الواقدى) ج ١ س ٢٨٥ .

(٦) شحط القتيلُ فى الدم : اضطرب (المعجم الوسيط) ج ١ س ٤٧٤ .

(٧) السلب : كل ما مع القتيل من سلاح وثياب ودابة ، والمراد هنا كل ما عليه من الحلى والذهب وغيره . (المعجم الوسيط) ج ١ س ٤٤١ .

ووعدته إذا جاء مكة أن تعطيه عشرة دنانير ، وقامت معه حتى أراها مصرع حمزة فقطعت مذاكيره ، وجدَّعت أنفه وقطعت أذنيه ، ثم جعلت مسكتين ومعضدين وخدمتين (١) حتى قدمت بذلك مكة وكبده معها .

وفي المسند للإمام أحمد قال : فنظروا فإذا حمزة قد بقرت بطنه ، وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله ﷺ : أكلت منها شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : ما كان الله ليدخل من حمزة النار . وفي رواية ابن سعد (٢) : إن الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئاً أبداً . ويروى أن هنداً لما أخرجت كبد حمزة لاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة فصاحت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فهجاها حسان بن ثابت لما بلغه ذلك من قولها (٣) .

موقف رسول الله على مقتل حمزة

وجعل رسول الله ﷺ يقول : ما فعل عمي ؟ ويكرر ذلك ، فخرج الحارث بن الصمة فأبطأ ، فخرج علي رضي الله عنه فوجد حمزة رضي الله عنه مقتولاً . فأخبر النبي ﷺ فخرج يمشي حتى وقف عليه فقال : ما وقفت موقفاً أغيظ إليَّ من هذا ! فطلعت صفية بن عبد المطلب (٤) رضي الله عنها فقال ﷺ : [يا زبير] (٥) أغن عني أمك . هذا وحمزة يحفر له فقال ، إن في الناس تكشفاً ، فقالت : ما أنا بفاعلة حتى أرى رسول الله ﷺ ، فلما رأته قالت : يا رسول الله ، أين ابن أبي حمزة ؟ قال : هو في الناس ، قالت : لا أرجع حتى أنظر إليه . فجعل الزبير يجلسها حتى دفن حمزة رضي الله عنه . وقال رسول الله ﷺ : لولا أن يحزن نساءنا لتركناهُ للعافية (٦) حتى يحشر يوم القيامة من بطون السباع وحواصل الطير .

بكاء رسول الله على حمزة

ويقال لما أصيب حمزة رضي الله عنه جاءت صفية بنت عبد المطلب تطلبه فحالت بينها وبينه الأنصار ، فقال رسول الله ﷺ : دعوها ، فجلست عنده فجعلت إذا بكت بكى رسول الله ﷺ ، وإذا نشجت نشج (٧) . وكانت فاطمة

(١) المسكة وجمعها المسك : السوار تجعله المرأة في يديها .
والمعضدة والمعضد : الدملج يكون كالسوار ، تجعله على عضدها بين الكتف والمرفق . والخدمة وجمعها الخدم : الخلخال تجعله في رجلها . هامش (ط) ص ١٥٣ .

(٢) (الطبقات الكبرى) ج ٢ ص ١٣ .

(٣) قالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر — والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر — ولا أخي وعمه وبكري
شفيتُ نفسي وقضيتُ نذري — شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي عليَّ عمري — حتى ترم أعظمي في قبري

فقال حسان :

أشرت لكاع وكان عادتها — لؤماً إذا أشرت مع الكفر

(ابن هشام) ج ٣ ص ٣٦ — ٣٧ .

(٤) أخت حمزة ، وعمة النبي ﷺ ، وأم الزبير بن العوام .

(٥) زيادة للسياق .

(٦) العافية : طلاب الرزق من الدواب والطير (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦١٢ .

(٧) نشج نشيجا : تردد البكاء في صدره من غير انتحاب (المرجع السابق) ص ٩٢١ .

عليها السلام تبكي ورسول الله ﷺ كلما بكت يبكي ، وقال : لن أصاب بمثلك أبداً . ثم قال : أبشرا ! أتاني جبريل وأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .

المثلة بحمزة

ورأى ﷺ به مثلاً شديداً فأحزنه ذلك المثل ، ثم قال : لئن ظفرتُ بقريش لأمثلن بثلاثين منهم ، فنزلت هذه الآية ، ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ (١) [فعفا رسول الله] فلم يمثل بأحد (٢) .

وجعل أبو قتادة الأنصاري يريد أن ينال من قريش ، لما رأى من غم رسول الله ﷺ في قتل حمزة وما مثل به ، ورسول الله ﷺ يشير إليه أن أجلس — وكان قائماً — فقال ﷺ : احتسبتك عند الله ، ثم قال : يا أبا قتادة : إن قريشاً أهل أمانة ، من بغاهم العواثر كبه (٣) الله لفيه ، وعسى إن طالت بك مدة أن تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم ، لولا أن تبطر (٤) قريش لأخبرتها بما لها عند الله ، فقال أبو قتادة : والله يا رسول الله ما غضبت إلا لله ولرسوله حين نالوا منه ما نالوا ، فقال ﷺ : صدقت ، بئس القوم كانوا لنبيهم .

مقتل عبد الله بن جحش وخبره

وقال عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر (٥) بن صبرة بن مرة بن كبير (٥) بن غنم بن دودان (٥) بن أسد ابن خزيمة الأسدي : يا رسول الله ! إن هؤلاء القوم قد نزلوا حيث ترى ، وقد سألت الله فقلتُ : اللهم إني أقسم عليك تلق العدو غداً فيقتلوني ويبقروني ويمثلون بي ، فألقاك مقتولاً قد صنع هذا بي ، فتقول : فيم (٥) صنع بك هذا؟ فأقول : فيك ، وأنا أسألك أخرى : أن تلي تركتي من بعدي فقال : نعم . فخرج حتى قُتل ومُثّل به . ودفن هو وحمزة (٦) رضي الله عنه في قبر واحد . وولي تركته رسول الله ﷺ فاشترى لابنه (٧) مالاً بخيبر ، فأقبلت أخته حمنة بنت جحش . فقال لها رسول الله ﷺ : يا حمن ! احتسبي ، قالت : من يا رسول الله ؟ قال : خالك حمزة ، قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ورحمه ، هنيئاً له الشهادة ! ثم قال لها : احتسبي ، قالت من يا رسول الله؟ قال أخوك ، قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ورحمه ، هنيئاً له الشهادة ثم قال : لها احتسبي ، قالت من يا رسول الله؟ قال : مصعب بن عمير ، قالت واحزناه !! وفي رواية أنها قالت : واعقراه !! فقال ﷺ : إن للزوج من المرأة مكاناً ما هو لأحد ! ثم قال لها : لم قلت هذا ؟ قالت يا رسول الله ، ذكرت يتم بنيه فراعني . فدعا رسول الله ﷺ لولده أن يحسن عليهم الخلف ، فتزوجت طلحة فولدت له محمد بن طلحة ، فكان أوصل الناس لولدها . وكانت حمنة خرجت يومئذ إلى أحد مع النساء يسقين الماء .

(١) الآية ١٢٦ / النحل .

(٢) هذه رواية (الواقدي) ج ١ ص ٢٩٠ .

(٣) في (خ) « أكبه » .

(٤) البطر : تقول بطر فلانٌ النعمة : استخفها فكفرها .

(٥) في (خ) « رباب بن نعمان » ، « ابن كثير » ، « داود » ، « فيم » .

(٦) حمزة : خال عبد الله بن جحش .

(٧) في (المغازي) « لأمه » ج ١ ص ٢٩١ .

طلوع رسول الله على أصحابه فى الشعب

وطلع رسول الله ﷺ على أصحابه فى الشعب بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ يتكفأ فى الدرع [وكان ﷺ إذا مشى يتكفأ تكفؤاً] (١) — وقد بدن وظاهر بين درعين — وكان يتوكأ على طلحة بن عبيد الله، فما صلى الظهر يومئذ بأصحابه إلا جالساً. وقد حمله طلحة رضى الله عنه — حين انتهى إلى الصخرة — حتى ارتفع عليها. ثم مضى إلى أصحابه ومعه النفر الذين ثبتوا معه، فلما رأوهم ولوا فى الشعب ظناً أنهم من المشركين، حتى جعل أبو دجانة يليح إليهم بعمامة حمراء على رأسه فعرفوه فرجعوا أو بعضهم. وكانوا الذين ثبتوا معه ﷺ — وطلعوا وهو بينهم إلى الشعب — أربعة عشر: سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار.

سرور المسلمين بسلامة رسول الله ﷺ

فسروا برسول الله ﷺ حتى كأنهم لم تصبهم فى أنفسهم مصيبة وبيناهم على ذلك رد المشركون فإذا هم فوقهم، وإذا كتائبهم قد أقبلت، فندبهم النبى ﷺ يحضهم على القتال. فعدوا إليهم فانكشفوا، ورسول الله ﷺ يقول «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين» (٢) وأبو سفيان فى سفح الجبل فقال ﷺ: ليس لهم أن يعلونا فانكشفوا (٣).

خبر النعاس

وألقى الله النعاس على من مع النبى ﷺ وهم سلم (٤) لمن أرادهم، لما بهم من الحزن فناموا ثم هبوا من نومهم كأن لم تصبهم قبل ذلك نكبة. وقال معتب بن قشير، ويقال بشير، بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصارى: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا! فأنزل الله تعالى: «إذ تصعدون ولا تلوون على أحد [إلى آخر الآيات] (٥) قال أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم (٦) ابن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى: لقد رأيتنى يومئذ — فى أربعة عشر رجلا من قومى — إلى جنب رسول الله ﷺ وقد أصابنا النعاس أمنة، فما منهم إلا رجل يغط غطيطاً حتى إن الجحف (٧) لتناطح. ولقد رأيت

---

(١) زيادة للبيان، وهى صفة مشية النبى ﷺ وذلك أنه كان «إذا مشى كأنما ينحط من صبب» راجع (صفة الصفوة لابن الجوزى) ج ١ ص ١٠٦ باب صفة رسول الله ﷺ وج ٢ من هذا الكتاب.

(٢) فى (خ) «الرسل الآية» ١٤٤ / آل عمران.

(٣) فى (خ) «ما انكشفوا»، وما أثبتناه رواية (الواقدى) ج ١ ص ٢٩٥.

(٤) السلم: الاستسلام والتسليم، والأسر من غير حرب (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٤٦.

(٥) الآيات من ١٥٣ — ١٥٥ / آل عمران.

(٦) فى (خ) «ابن غزية» وهو خطأ، ونسبه فى (الإصابة) هكذا: «كعب بن عمرو بن عباد بن سواد بن غنم الأنصارى أبو اليسر» راجع (الإصابة) ترجمة رقم ٧٤١٦ ج ٨ ص ٣٠١.

(٧) الجحف: تقول: جحف فلان مع فلان جحفاً: مال.

سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما يشعر به حتى أخذه بعد ما تثلم: وإن المشركين لتحتنا. وقال أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصارى: ألقى علينا النعاس، فكنت أنعس حتى سقط سيفى من يدى. وكان النعاس لم يصب أهل النفاق والشك يومئذ، فكل (١) منافق يتكلم بما فى نفسه، وإنما أصاب النعاس أهل اليقين والإيمان.

خبر أبى سفيان ومقالته ورد عمر

ولما تحاجزوا أراد أبو سفيان بن حرب الانصراف، وأقبل على فرس حتى أشرف على المسلمين فى عرض الجبل فنادى بأعلى صوته: أعل هبل! ثم صاح: أين ابن أبى كبشة؟ أين ابن أبى قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ يوم بيوم بدر، ألا إن الأيام دول، وإن الحرب سجال، وحنظلة بحنظلة (٢)، فقال عمر رضى الله عنه: أجيبه يا رسول الله؟ فقال، بلى، فأجبه! فقال أبو سفيان: أعل هبل! فقال عمر: الله أعلى وأجل! فقال أبو سفيان: إنها قد أنعمت فعال عنها، ثم قال: أين ابن أبى كبشة؟ أين ابن أبى قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر رضى الله عنه: هذا رسول الله، وهذا أبو بكر، وهذا عمر. فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر، ألا إن الأيام دول وإن الحرب سجال، فقال عمر: لا سواء! قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار، قال أبو سفيان: إنكم لتقولون ذلك، لقد خبنا إذاً وخسرنا! لنا العزى ولا عزى لكم! فقال عمر: الله مولانا ولا مولى لكم! قال أبو سفيان: إنها قد أنعمت يا ابن الخطاب فعال (٣) عنها قم إلى يا ابن الخطاب أكلمك، فقام عمر، فقال أبو سفيان: أنشدك بدينك، هل قتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال أنت عندى أصدق من ابن قمئة، ثم قال أبو سفيان ورفع صوته: إنكم واجدون فى قتلاكم عنتاً ومثلا، إلا أن ذلك لم يكن عن رأى سراتنا، أدركته حمية الجاهلية فقال: أما إذ (٤) كان ذاك فلم نكرهه ثم نادى: ألا إن موعدكم بدر (٥) الصفراء على رأس الحول، فقال رسول الله ﷺ قل نعم! فقال عمر رضى الله عنه: نعم.

إنصراف المشركين ومخافة رسول الله من مباغتة المدينة

فانصرف أبو سفيان إلى أصحابه وأخذوا فى الرحيل، فأشفق رسول الله ﷺ والمسلمون من أن يغير المشركون على المدينة فتهلك الذرارى والنساء، فبعث سعد بن أبى وقاص لينظر: إن ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فهو الظعن، وإن ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهى الغارة. ثم قال عليه السلام: والذى نفسى بيده لئن ساروا إليها لأسيرن إليهم

---

(١) فى (خ) «وكل» وما أثبتناه من (المغازى) ج ١ ص ٢٩٦.

(٢) يريد حنظلة ولده، وحنظلة غسيل الملائكة.

(٣) فى (خ) «فقال» وما أثبتناه من (الواقدى) ج ١ ص ٢٩٧ وعال عنها: تجاف عنها ولا تذكرها بسوء، يعنى آلهتهم. (النهاية) ٣ ص ٢٩٤.

(٤) فى (خ) «إذا».

(٥) كذا فى (خ) و (الواقدى) ج ١ ص ١٩٧. أما فى (ط) «بدراً الصفراء».

ثم لاناجزنهم ، فذهب سعد يسعى إلى العقيق فإذا هم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل ، بعد ماتشاوروا نهب المدينة فأشار عليهم صفوان بن أمية ألا يفعلوا ، فإنهم لا يدرون مايغشاهم ، فعاد فأخبر النبي ﷺ .

قدوم ابى سفيان مكة

وقدم أبو سفيان مكة فلم يصل إلى بيته حتى أتى هُبَــل فقال : قد أنعمت ونصرتنى وشفيتَ نفسى من محمد وأصحابه ، وحلق رأسه .

أول من قدم إلى مكة بخبر أحد

فكان أول من قدم مكة بخبر أحد وانكشاف المشركين عبدالله بن [أبي] (١) أمية بن المغيرة فكره أن يأتيهم بهزيمة أهلهم ، فقدم الطائف وأخبر أن أصحاب محمد قد ظفروا وانهزمنا . ثم قدم وحشىّ مكة فأخبرهم بمصاب المسلمين وقد سار أربعاً على راحلته . ووقف على الثنية التى تطل الحجون فنادى : يامعشر قريش ! أبشروا ، قد قتلنا أصحاب محمد مقتلة لم يقتل مثلها فى زحف قط ، وجرحنا محمداً فأثبتناه بالجراح ، وقتل حمزة ، فسروا بذلك .

قتلى المسلمين وقتلى المشركين

وقتل من المسلمين بأحد أربعة وسبعون (٢) : أربعة من قريش وسائرهم من الأنصار ، ويقال خمسة من قريش . وقتل من المشركين أربعة وعشرون، وأسر من المشركين أبو عزة عمرو (٣) بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة ابن جمح ، ولم يؤسر منهم غيره فقال : يامحمد ، مُنّ علىّ ! فقال رسول الله ﷺ : إن المؤمن لايلدغ من جحر مرتين، لاترجع إلى مكة تمسح عارضيك تقول : خدعت [وفى رواية سَخرتُ] محمداً مرتين ، ثم أمر به عاصم ابن ثابت فضرب عنقه . ويقال إن المشركين لما انصرفوا بحمراء الأسد فى أول الليل ساعة، ثم رحلوا وتركوا أبا عزة نائماً مكانه حتى ارتفع النهار ، ولحقه المسلمون وهو مستنبه يتلدد ، وكان الذى أخذه عاصم بن ثابت فأمره النبي ﷺ فضرب عنقه .

صلاة رسول الله على شهداء أحد

ولما انصرف المشركون أقبل المسلمون على أمواتهم ، فكان حمزة رضى الله عنه فيمن أتى به أولا فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال : رأيت الملائكة تغسله ، لأن حمزة كان جُنُباً ذلك اليوم . ولم يُغَسِّل ﷺ الشهداء وقال : لفوهم بدمائهم وجراحهم ، فإنه ليس أحد يجرح فى الله إلا جاء يوم القيامة جرحه لونه لون دم وريحه ريح مسك ، ثم قال : ضعوهم ، أنا الشهيد على هؤلاء يوم القيامة . فكان حمزة أول من كبّر عليه رسول الله ﷺ ، ثم جمع إليه الشهداء . فكان كلما أتى بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهداء ، حتى صلى عليه سبعين

---

(١) فى (خ) « بن أمية » .

(٢) رواية (الواقدى) جـ١ ص ٣٠٠ « سبعون » .

(٣) فى (خ) « عمر » .

مرة ، ويقال كان يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلى عليهم ثم ترفع التسعة وحمزة مكانه ، ويؤتى بتسعة آخرين فيوضعون إلى جنب حمزة فيصلى عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات . ويقال : كبّر عليهم تسعاً وسبعاً وخمساً وقيل لم يُصَلّ عليهم، خرجه أبو داود (١) من حديث جابر وأنس وابن عباس رضى الله عنهم : وهو مذهب مالك ، والليث بن سعد والشافعى ، وأحمد ، وداود (٢) ، ألا يصلى على المقتول فى المعركة ، وقال فقهاء الكوفة والبصرة والشام : يصلى عليهم .

خبر دفن القتلى ودفن حمزة

وقال ﷺ للمسلمين ، أحفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة فى القبر . وقدموا أكثرهم قرآناً ، فكانوا يقدمون أكثرهم قرآناً فى القبر ، ولما واروا حمزة رضى الله عنه أمر رسول الله ﷺ ببردة تمدّ عليه وهو فى القبر ، فجعلت البردة إذا خمّروا (٣) رأسه بدت قدماه ، وإذا خمّروا رجليه ينكشف وجهه ، فقال ﷺ : غطوا وجهه ، وجعل على رجليه الحَرْمَل (٤) . فبكى المسلمون وقالوا : يارسول الله ! عم رسول الله لانجد له ثوباً ؟ فقال : تفتح الأرياف والأمصار فيخرج إليها الناس ثم يمشون إلى أهليهم ، إنكم بأرض حجاز (٥) جردية [الجردية التى ليس بها شىء من الأشجار] (٦) والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . والذى نفسى بيده لايصبر أحد على لأوائها وشدتها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة .

مصعب بن عمير

مر ﷺ على مصعب بن عمير وهو مقتول فى بردة (٧) فقال : لقد رأيتك بمكة ومابها أحد أرق حلة منك ولا أحسن لِمّة منك ، ثم أنت شعث الرأس فى بردة . ثم أمر به فقبر .

---

(١) فى سنن أبى داود جـ ٣ ص ٤٩٨ حديث رقم ٣١٣٥ : « حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، . . . . أن أنس بن مالك حدثهم أن شهداء أحد لم يغسلوا ، ودفنوا بدمائهم ولم يُصل عليهم » وفى تعليق ابن القيم على أبى داود :

« وقد ورد فى الصلاة على قتلى أحد من المسلمين عدة أحاديث : منها ما أخرجه الشيخان عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ خرج يوماً يصلى أهل أحد صلاته على الميت ، ومنها حديث أنس أن النبي ﷺ صلى على حمزة ، ومنها حديث أبى مالك الغفارى قال: كان قتلى أحد يؤتى منهم بتسعة عاشرهم حمزة ، فيصلى عليهم رسول الله ﷺ ثم يحملون، ثم يؤتى بتسعة منهم فيصلى عليهم ، وحمزة مكانه، حتى صلى عليهم رسول الله ﷺ .

وفى (عون المعبود) جـ ٨ ص ٤٠٨ .

« قال : الحافظ والخلاف فى الصلاة على قتيل معركة الكفار مشهور ، قال الترمذى: قال بعضهم : يصلى على الشهيد وهو قول الكوفيين وإسحاق ، وقال بعضهم لا يصلى عليه ، وهو قول المدنيين والشافعى وأحمد والحديث سكت عنه المنذرى » .

(٢) صاحب مذهب مستقل ، وأتباعه يعرفون بالظاهرية توفى ببغداد سنة ٢٧٠ هـ [هامش (ط)] .

(٣) خمّروا : غطّوا .

(٤) الحرمل : نبات صحراوى .

(٥) الحجاز : سُمّى بذلك لأنه يحتجز بالجبال ، (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٢١٨ .

(٦) هذه الزيادة من نص (الواقدى) جـ١ ص ٣١١ .

(٧) البردة : كساء مخطط يلتحف به . (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٤٨ .

وكان كثير من الناس حملوا موتاهم إلى المدينة فدفنوهم، فنادى منادى رسول الله ﷺ : ردّوا القتلى إلى مضاجعهم ؛ فلم يُرَدّ أحدٌ إلا رجل واحد أدركه المنادى ولم يدفن ، وهو شماس بن عثمان المخزومىّ .

موقف المسلمين للثناء على الله

ولما فرغ ﷺ من دفن أصحابه ركب فرسه وخرج ، والمسلمون حوله : عامتهم جرحى ، ولا مثل لبنى (١) سلمة وبنى عبد الأشهل ومعه أربع عشرة امرأة ، فلما كانوا بأصل الحرة قال : اصطفوا فنثنى على الله ؛ فاصطف الرجال صفين خلفهم النساء ثم دعا فقال : اللهم لك الحمد كله ، اللهم لاقابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا مانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ، ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ، ولامقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت . اللهم إنى أسألك النعيم المقيم الذى لايحول ولا يزول ، اللهم إنى أسألك الأمن يوم الخوف والغنى يوم الفاقة ، عائذاً بك اللهم من شر ما أعطيتنا وشرّ ما منعت منا . اللهم توفنا مسلمين . اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسولك ويصدون عن سبيلك ، اللهم أنزل عليهم رجسك وعذابك إله الحق . آمين .

دخول رسول الله إلى المدينة

وأقبل حتى طلع على بنى عبد الأشهل وهم يبكون على قتلاهم فقال : لكن حمزة لا بواكى له : فخرج النساء ينظرن إلى سلامته ، فقالت أم عامر الأشهلية : كل مصيبة بعدك جلل (٢) وجاءت أم سعد بن معاذ [وهى كبشة بنت رافع بن معاوية] (٣) بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، [وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج] تعدو نحو رسول الله ﷺ وقد وقف على فرسه ، وسعد بن معاذ آخذ بعنان الفرس فقال سعد : يارسول : أمى : فقال مرحباً بها . فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ وقالت : أما إذ رأيتك سالماً فقد أشوَتِ المصيبة (٤) . فعزاها ﷺ بعمرو بن معاذ إبنها ثم قال : يا أمَّ سعدٍ : أبشرى وبشرى أهليهم أن قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعاً — وهم إثنى عشر رجلا — وقد شفعوا فى أهليهم ، قالت رضينا برسول الله ومن يبكى عليهم بعد هذا ؟ ثم قالت : إدع يارسول الله لمن خلفوا ، قال : اللهم أذهب حُزن قلوبهم ، وأجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا ، ثم قال : خلّ أبا عمرو الدابة . فخلى سعد الفرس فتبعه الناس فقال : يا أبا عمرو ، إن الجراح فى أهل دارك فاشية ، وليس منهم مجروحٌ إلا يأتى يوم القيامة جرحه كأغزر ما كان : اللون لون الدم والريح ريح المسك ، فن كان مجروحاً فليقرّ فى داره وليداو جرحه ، ولايبلغ معى بيتى ، عزمة منى . فنادى فيهم سعد ، عَزْمةً من رسول الله ألا يتبع رسول الله جريح من بنى عبد الأشهل ، فتخلف كل مجروح . فباتوا يوقدون النيران ويداوون الجراح ، وإن فيهم لثلاثين جريحاً . ومضى سعد مع رسول الله ﷺ حتى جاء بيته فما نزل عن فرسه إلا حملا ، واتكأ على سعد بن عبادة

---

(١) فى (خ) « ولا مثل بنى » ، وما أثبتناه عبادة (الواقدى) ج ١ ص ٣١٤ .

(٢) جلل : هينة ، قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل ومن الكثير وهو هاهنا من القليل .

(٣) زيادة من نسبها .

(٤) أشوت المصيبة : قلت ، والشوَّية : القليل من الكثير (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٠٢ .

وسعد بن معاذ حتى دخل بيته فلما أذن بلال بصلاة المغرب خرج على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى ثم عاد إلى بيته .

خبر البكاء على حمزة

ومضى سعد بن معاذ إلى نسائه فساقهن حتى لم تبق امرأة إلا جاء بها إلى بيت رسول الله ﷺ ، فبكين حمزة رضى الله عنه بين المغرب والعشاء ، والناس فى المسجد يوقدون النيران يتكمدون (١) بها من الجراح . وأذن بلال رضى الله عنه حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله ﷺ ، فجلس بلال عند بابه حتى ذهب ثلث الليل ، ثم ناداه الصلاة يارسول الله ، فهب ﷺ من نومه وخرج ، فإذا هو أخف فى مشيته منه حين دخل ، وسمع البكاء فقال ماهذا ؟ فقيل : نساء الأنصار يبكين على حمزة فقال : رضى الله عنكن وعن أولادكن ؛ وأمر أن ترد النساء إلى منازلهن ، فرجعن بعد ليل مع رجالهن . وصلى رسول الله ﷺ العشاء ثم رجع إلى بيته ، وقد صفّ له الرجال مابين بيته إلى مصلاه يمشى وحده حتى دخل ، وباتت وجوه الأوس والخزرج على بابه يحرسونه فَرَقاً (٢) من قريش أن تكرّ ، ويقال إن معاذ بن جبل رضى الله عنه جاء بنساء بنى سلمة ، وجاء عبد الله بن رواحة رضى الله عنه بنساء بلحارث [بن الخزرج] (٣) فقال ﷺ : ما أردتُ هذا ! ونهاهن الغد عن النوح أشد النهى .

شماتة المنافقـــين

وجعل عبد الله بن أبى ابن سلول والمنافقون يشمتون معه ويُسَرّون بما أصاب المسلمين ، ويظهرون أقبح القول : فيقول ابن أبى لابنه عبد الله — وهو جريح قد بات يكوى الجراحة بالنار — ما كان خروجك معه إلى هذا الوجه برأى ! عصانى محمد وأطاع الولدان ؛ والله لكأنى كنت أنظر إلى هذا ؛ فقـــال ابنه : الذى صنع الله لرسوله (٤) وللمسلمين خير .

ماقالت اليهود والمنافقون شماتة بقتلى أحد

وأظهرت اليهود القول السىء . فقالوا : ما محمد إلا طالب ملك : ما أصيب هكذا نبى قط ! أصيب فى بدنه ، وأصيب فى أصحابه ! وجعل المنافقون يُخذّلون عن رسول الله ﷺ أصحابه ويأمرونهم بالتفرق عنه ، ويقولون : لو كان من قُتل منكم عندنا ماقتل . وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذلك فى أماكن ؛ فمشى إلى رسول الله ﷺ يستأذنه فى قتل من سمع ذلك منه من يهود والمنافقين ، فقال عليه السلام : ياعمر ، إن الله مظهر دينه ومعزّ نبيه ، ولليهود ذمة فلا أقتلهم ، قال : فهؤلاء المنافقون ؛ قال : أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ؟ قال : بلى ، يارسول الله ! وإنما يفعلون ذلك تعوذاً من السيف ، فقد بان لنا أمرهم ، وأبدى الله أضغانهم عن هذه

---

(١) الكمادة : خرقة تُسخّن وتوضع على الورم أو موضع الوجع (المرجع السابق) ج ٢ ص ٧٩٨ .

(٢) فرقا : خوفاً .

(٣) زيادة للايضاح .

(٤) فى (خ) « ولرسوله » .

الشكية ! فقال : نهيت عن قتل من قال لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؛ يا ابن الخطاب ، إن قريشاً لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن .

ما نزل من القرآن فى غزوة أحد

ونزل فى غزوة أحد من قوله تعالى : « وإذا غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال » من سورة آل عمران إلى آخرها (١) ، وكان قد نزل قبل أن يخرج ﷺ إلى أحد قوله تعالى : « إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين (١٢٤) بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين (١٢٥) وماجعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » (آل عمران ١٢٦) (٢) فلم يصبروا وتكشفوا ، فلم يمد رسول الله ﷺ بملك واحد يوم أحد .

خبر معاوية بن المغيرة وكان هو الذى مثل بحمزة

وكان معاوية بن المغيرة بن أبي العاص قد انهزم ومضى على وجهه ونام قريباً من المدينة ، فلما أصبح دخلها ، وأتى عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما رآه قال : ويحك أهلكتنى وأهلكت نفسك ، وأدخله بيته ثم سأل فيه رسول الله ﷺ فأجله ثلاثاً فإن وجد بعدهن قتل . فجهزه عثمان . وخرج بعد ثلاث فأدركه زيد بن حارثة وعمار ابن ياسر بالجماء (٣) فرمياه حتى قتلاه ، وكان هو الذى مثّل بحمزة رضى الله عنه .

غزوة حمراء الأسد

ثم كانت غزوة حمراء الأسد (٤) يوم الأحد صبيحة أحد . وذلك أن عبد الله بن عمر بن عوف المزنى (٥) أوفى باب النبي ﷺ ليلة الأحد ، وبلال على الباب بعد ما أذن وهو ينتظر خروج النبي ﷺ ، فلما خرج أخبره المزنى أنه أقبل من أهله حتى كان بملل إذا قريش قد نزلوا ، فسمع أبا سفيان وأصحابه يتشورون (٦) ليرجعوا حتى يستأصلوا من بقى ، وصفوان يأبى ذلك عليهم . فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وذكر لهما ذلك ، فقالا : أطلب العدو يارسول الله ، ولا يقتحمون على الذرية ، فلما صلى الصبح يوم الأحد — ومعه وجوه الأوس والخزرج ،

---

(١) من الآية ١٢١ إلى آخر السورة .

(٢) فى (خ) تبدأ الآيات بقوله تعالى : « إنى ممدكم بثلاثة آلاف . . . » وهكذا نص (الواقدى) ج ١ ص ٣٢٠ ، وما أثبتناه أجود .

(٣) الجماء : جبيل بالمدينة ، على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف .

(٤) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة ، إليه انتهى رسول الله ﷺ يوم أحد فى طلب المشركين . (معجم البلدان) ج ٢ ص ٣٠١ .

(٥) هذه رواية (الواقدى) فى (المغازى) ج ٢ ص ٣٣٤ وقد ذكر (ابن هشام) ج ٣ ص ٤٤ ، و (الكامل) ج ٢ ص ١٦٤ و (الطبرى) ج ٢ ص ٥٣٤ ، ذكروا خلاف ذلك فى أمر بدء هذه الغزوة .

(٦) هذه اللفظة عامية ، وقد أكثر (المقريزى) من استعمالها .

وقد باتوا فى المسجد على بابه — أمر بلالا فنادى : إن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس .

خروج جرحى أحد للغزو

فخرج سعد بن معاذ إلى داره يأمر قومه بالمسير وكلها جريح فقال : إن رسول الله يأمركم أن تطلبوا عدوكم . فقال أسيد بن حضير — وبه سبع جراحات يريد أن يداويها — سمعاً وطاعة لله ولرسوله ؛ وأخذ سلاحه ولم يعرّج على دواء ، ولحق برسول الله ﷺ ، وجاء سعد بن عبادة قومه ؛ وجاء أبو قتادة إلى طائفة فبادروا جميعاً . وخرج من بنى سلمة أربعون جريحاً — بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحاً (١) ، وبخراش بن الصمة عشر جراحات — حتى وافوا رسول الله ﷺ فقال لما رآهم : اللهم ارحم بنى سلمة .

اللـــواء

ودفع رسول الله ﷺ لواءه إلى أبى بكر ، وقيل لعلىّ رضى الله عنهما ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وأقام على حرسه عبّاد بن بشر .

خبر عبد الله ورافع ابنى سهل

وكان عبد الله ورافع ابنا سهل بن رافع بن عدى بن زيد بن أمية بن زيد الأنصاريان ، رجعا من أحد وبهما جراح كثيرة فخرجا يزحفان ، فضعف رافع فحمله عبد الله ظهره عقبةً ومشى عقبة (٢) . فدعا لهما رسول الله ﷺ لما أتياه وقال : إن طالت بكم مدة كانت لكم مراكب من خيل وبغال وإبل ، وليس ذلك بخير لكم ، ولم يخرج أحد لم يشهد أحداً سوى جابر بن عبد الله ، واستأذنه رجال لم يخرجوا أحداً فلم يأذن لهم .

خروج رسول الله

ولما اجتمع الناس ركع رسول الله ﷺ ركعتين فى المسجد ودعا بفرسه على باب المسجد — وعليه الدرع والمغفر — فركب ، وإذا بطلحة رضى الله عنه ، فقال : ياطلحة ، سلاحك : فأسرع ولبس سلاحه — وبه تسع جراحات — وأقبل فقال له ﷺ : أين تُرى القوم الآن ؟ قال هم بالسّيالة ؛ قال : ذلك ظننت ، أما إنهم — ياطلحة — لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا .

الطـــلائع

وبعث ﷺ الله عليه وسلم ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم هم : سليط (٣) ونعمان ابنا سفيان بن خالد ابن عوف بن دارم وآخر [من أسلم من بنى عوير ، لم يسمّ] (٤) فقتلوا ، ومضى ﷺ فى أصحابه حتى عسكروا

---

(١) فى (خ) « جريحا » .

(٢) العقبة : المرة بعد المرة ، ونص (الواقدى) ج ١ ص ٣٣٥ — ٣٣٦ : « فكان عبد الله يحمله على ظهره عقبة ويمشى الآخر عقبة » .

(٣) فى (خ) « سليكا » .

(٤) زيادة من المرجع السابق ص ٣٣٧ .

بحمراء الأسد . وكان عامة زادهم التمر . وتحمّل سعد بن عبادة رضى الله عنه ثلاثين بعيراً حتى وافت الحمراء ، وساق جزراً لينحر ، وكان ﷺ يأمر فى النهار بجمع الحطب ، فإذا أمسوا أمر أن توقد النيران ، فيوقد كل رجل ناراً ، فقد أوقدوا خمسمائة نار حتى رُؤيت من مكان بعيد . وذهب ذكر معسكر المسلمين ونيرانهم فى كل وجه ، فكان ذلك مما كبت الله به عدوهم .

خبر معبد الخزاعى وانصراف المشركين

ولقى معبد بن أبي معبد الخزاعى — [وهو يومئذ مشرك ، وكانت خزاعة سلماً للنبى ﷺ] (١) — رسول الله ﷺ فقال : يامحمد ، لقد عز علينا ما أصابك فى نفسك وما أصابك فى أصحابك ، ولوددنا أن الله أعلى كعبك ، وأن المصيبة كانت بغيرك ، ثم مضى ، فوجد أبا سفيان وقريشاً بالروحاء وهم يُجمعون على الرجوع : فأخبرهم أن محمداً وقومه وأصحابه قد تركهم يتحرقون عليهم (٢) مثل النيران ، وأنهم فى طلبهم ، فانصرفوا سراعاً خائفين من الطلب لهم . وبعث أبو سفيان مع نفر من عبد القيس مَرّ بهم يريدون المدينة أن يعلموا (٣) رسول الله ﷺ أنهم أجمعوا الرجعة إليه ، فلما بلغوه ﷺ ذلك قال : حسبنا الله ونعم الوكيل . فنزل فى ذلك قوله تعالى : « الذين قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (٤) ، وقوله تعالى : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » (٥) . وبعث معبد الخزاعى رجلا فأخبر رسول الله ﷺ بانصراف أبي سفيان ومن معه خائفين ، فانصرف ﷺ إلى المدينة بعد ثلاث .

سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن

ثم كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن : وهو جبل بناحية فيد به ماء لبنى أسد بن خزيمة بنجد ، وذلك فى المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً : دعاه رسول الله ﷺ لهلال المحرم واستعمله على خمسين ومائة رجل ، وعقد له لواء ، وأمره أن يرِدَ أرض (٦) بنى أسد ، وأن يغير عليهم قبل أن تلاقى عليه جموعهم ، وأوصاه ومن معه بتقوى الله ، فسار . وكان الذى هيّج هذا أن رجلا من طىء — يقال له الوليد بن زهير بن طريف — قدم المدينة ، وأخبر أن طليحة وسلمة ابنى (٧) خويلد تركهما قد سارا — فى قومهما ومن أطاعهما — لحرب رسول الله ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك ، بعث أبا سلمة . وخرج الطائى معه دليلا ونكّب بهم عن الطريق ، وسار

(١) زيادة للبيان من (الواقدى) ج ١ ص ٣٣٨ .
(٢) فى (خ) « عليكم » وهو نص (الواقدى) .
(٣) فى (خ) « وهو يعلم » .
(٤) فى (خ) « فاخشوهم الآية » وهى الآية ١٧٣ / آل عمران .
(٥) فى (خ) « القرح الآية » . وهى الآية ١٧٢ / آل عمران ، وفى رواية (الواقدى) ج ١ ص ٣٤٠ ، وردت الآيتان بالترتيب الطبيعى لهما .
(٦) فى (خ) « أن يرد بأرض »
(٧) فى (خ) « بنى » .

بهم ليلا ونهاراً حتى انتهوا بعد أربع إلى قَطَن ، فوجدوا سَرْحاً فأخذوه وثلاثة رعاء مماليك . ونذر بهم (١) القوم فتفرقوا فى كل وجه . وورد أبو سلمة الماء وقد تفرقوا عنه ، فبعث فى طلب النعم والشاء فأصابوا فيها ولم يلقَوْا أحداً ، فانحدروا إلى المدينة . وأعطى أبو سلمة الطائىَّ الذى دلهم رضاه من المغنم ، ثم أخرج صفياً لرسول الله ﷺ عبداً ، ثم أخرج الخمس ، وقسم مابقى بين أصحابه فأقبلوا بها إلى المدينة . ويقال كان بين المسلمين وبين القوم قتال قتل فيه رجل من المشركين ، واستشهد مسعود بن عرْوَةَ .

غزوة بئر معونة

ثم كانت غزوة بئر معونة — وهى ماء لبنى عامر بن صعصعة (٢) ، وقيل قرب حرة بنى سُليم — فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً . وسببها أن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة — أبا براء ملاعب الأسنّة — قدم على رسول الله ﷺ وأهدى له فرسين وراحلتين ؛ فقال : لاأقبل هدية مشرك ؛ وردها ، وعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يُبْعِد وقال : يامحمد . إنى أرى أمرك هذا حسناً شريفاً ؛ وقومى خلفى ، فلو أنك بعثتَ نفراً من أصحابك معى لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك فإن هم اتبعوك فما أعزّ أمرك ! فقال ﷺ : إنى أخاف عليهم أهل نجد ، فقال عامر : لا تخف عليهم ، أنا لهم جارٌ أن يعرض لهم أحد من أهل نجد .

خبر القراء وخروجهم إلى بئر معونة

وكان من الأنصار سبعون رجلا شَبَبَة . يسموز القراء ، كانوا إذا أمْسَوْا أتوا ناحية من المدينة فتدارسوا وصَلَّوْا ، حتى إذا كان وجاء الصبح (٣) استعذبوا من الماء وحطبوا من الحطب فجاءوا به إلى حُجَر النبى ﷺ ؛ فكان أهلوهم يظنون أنهم فى المسجد ، وأهل المسجد يظنون أنهم فى أهليهم ، فبعثهم النبى ﷺ ، وأمّر عليهم المنذر ابن عمرو بن عمر بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج الأنصارى الساعدى : أحد النقباء ؛ وكتب معهم كتاباً . فساروا ودليلهم المطّلب من بنى سليم ، حتى [إذا] (٤) كانوا ببئر معونة وهو ماء من مياه بنى سليم — عسكروا بها وسَرّحوا ظهرهم ، وبعثوا فى سرحهم الحارث بن الصِّمّة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن عامر ، وهو مبذول . بن مالك بن النجار ؛ وعمرو بن أمية بن خويلد ابن عبد الله بن إياس بن عبيد بن ناشرة بن كعب بن جُدَىّ بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة [جُدَىّ بضم الجيم وفتح الدال] الضمرى ، وقدّموا حرام بن مِلحان ، وهو مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب (٥) بن عامر ابن غنم بن مالك بن النجار الأنصارى بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل فى رجال من بنى عامر ، فلم يقرأوا الكتاب .

(١) نَذِر بالشىء نذراً : علمه فحذره (المعجم الوسيط) ج ٢ س ٩١٢ .
(٢) راجع (معجم البلدان) ج ١ ص ٣٠٢ .
(٣) أول النهار قبيل الفجر .
(٤) زيادة للسياق .
(٥) فى (خ) « جنيدب » .

خبر عامر بن الطفيل ومقتل القراء

ووثب عامر بن الطفيل على حرام فقتله ، واستصرخ بني عامر فأبوا — وكان أبو براء بناحية نجد — فاستصرخ قبائل من سليم — عُصيةَ ورِعلا(١) — فنفروا معه حتى وجدوا القراء فقاتلوهم ، فقُتلوا رضى الله عنهم إلا المنذر ابن عمرو فإنهم أمَّنوه إن شاء . فأبى أن يقبل أمانهم حتى يأتى مقتل حرام ، فلما أتى مصرعه قاتلهم حتى قتل ، وأقبل الحارث [بن الصمة] (٢) وعمرو بن أمية بالسرح والخيل واقفة ، فقاتلهم الحارث حتى قتل بعد ما قتل منهم عدة . وأعتق عامر بن الطفيل عمرو بن أمية عن أمّه وجزّ ناصيته .

وكان ممن قتل يومئذ عامر بن فُهَيرة : طعنه جبّار بن سُلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب الكلابيّ بالرمح ثم انتزعه ، فذهب بعامر فى السماء حتى غاب عنه وهو يقول : فُزتُ والله ! فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر .

دعاء رسول الله على أصحاب الغدر

ولما بلغ رسولَ الله خبرُ بئر معونة وجاء معها فى ليلة واحدة مصاب [خبيب بن عدي] (٣) ومرثد بن أبي مرثد وبعث محمد بن مسلمة ؛ فجعل يقول : هذا عمل أبى براء ، قد كنت لهذا كارهاً . ودعا على قتلتهم بعد الركعة من الصبح فى صبح تلك الليلة التى جاء الخبر فيها . فلما قال : سمع الله لمن حمده ، قال : اللهم أشدد وطأتك على مُضر ؛ اللهم عليك ببنى لحيان وزغب ورعل وذكوان ، وعُصَيَّة فإنهم عصوا الله ورسوله ؛ اللهم عليك ببنى لحيان وعَضَل والقارَة ؛ اللهم أنجِ الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين . غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله . ثم سجد . فقال ذلك خمس عشرة ليلة ؛ ويقال أربعين يوماً ، حتى نزلت « ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم . ظالمون » (٤) .

حزن رسول الله على القراء وما نزل فيهم من القرآن

ولم يجد رسول الله ﷺ على قتلى ما وجد على قتلى بئر معونة ، وأنزل الله فيهم قرآناً نسخ بعد ما قرىء مدة « بلغوا قومنا [عنا] (٥) أنا لقينا ربنا فرضىَ عنا ورضينا عنه » .

هدية أبى براء إلى رسول الله

وأقبل أبو براء فبعث ابن أخيه لبيد بن ربيعة بفرس هدية لرسول الله ﷺ فرده وقال : لا أقبل هدية مشرك ، قال : فإنه قد بعث يستشفيك من وجع به [وكانت به الدبيلة] (٦) فتناول النبى ﷺ مَدَرَةً من الأرض

---

(١) فى (خ) « ورعل » .
(٢) زيادة للبيان .
(٣) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ س ٥٣ ، و (الواقدى) ج ١ ص ٣٤٩ .
(٤) الآية ١٢٨ / آل عمران ، وفى (خ) « شىء الآية » .
(٥) ما بين القوسين زيادة من (ابن سعد) ج ٢ س ٥٣ ، وبدون هذه الزيادة رواها (الواقدى) ج ١ س ٣٥٠ .
(٦) الدُّبَيلة على وزن جُهَينة : داء فى الجوف (ترتيب القاموس) ج ٢ س ١٤٩ .

فتفل فيها ثم ناوله وقال : دُفْها (١) بماء ثم اسقها إياه . ففعل فبرأ . ويقال بعث إليه بعكة (٢) عسل فلم يزل يلعقها حتى برأ ، وشق على أبى براء ما فعل عامر بن الطفيل .

مقتل المشركين

وقدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ بعد ما لقى بصدور قناة (٣) رجلين من بنى كلاب قد قدما على رسول الله فكساهما وأمنهما ، فقتلهما للذى أصابت بنو عامر من القراء — فقال له النبى ﷺ : بئس ما صنعت ! قتلت رجلين كان لهما منى أمان وجوار ! لأدينهما . وأخرج ديتهما دية حرّين مسلمين فبعث بها وبسلبهما إلى عامر ابن الطفيل .

غزوة الرجيع (سرية مرثد بن أبى مرثد)

ثم كانت غزوة الرجيع : وهو ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز وذلك فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً . وذلك أن بنى لحيان جعلت فرائض لعَضَل والقارة [رهم من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة إخوة بنى أسد بن خزيمة] على أن يقدموا على النبى ﷺ فيكلموه أن يخرج إليهم نفراً يدعونهم إلى الإسلام ليقتلوا من قتل سفيان بن نبيح الهذلى (٤) ، ويبيعوا سائرهم على قريش بمكة . فقدم سبعة نفر من عَضَل والقارة مُقرّين بالإسلام ، فقالوا : يارسول الله ، إن فينا سلاحاً فاشياً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يقرئونا القرآن ويفقهونا فى الإسلام .

خروج مرثد وأصحابه إليهم ومقتلهم

فبعث معهم ستة وقيل عشرة وهو الأصح كما وقع فى كتاب الجامع الصحيح للبخارى رحمه الله ؛ وأمّر عليهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى [ويقال عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح] فخرجوا حتى إذا كانوا بماء لهذيل — يقال له الرجيع قريب من الهدّة — لقيهم (٥) مائة فى أيديهم السيوف فقاموا ليقاتلوهم ، فقالوا : ما نريد قتالكم ، ولا نريد إلا أن نصيب منكم من أهل مكة ثمناً ، ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم ، فاستأسر خبيبُ بن عدى الأنصارى ، وزيدُ بن الدَّثِنَّة بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصارىّ البياضىّ وعبد الله بن طارق بن عمرو ابن مالك البلوىّ ؛ وأبى أبو سليمان عاصم بن ثابت ، ومرثد ، وخالد بن أبى البكير ، ومُعتِّب بن عبيد : أن يقبلوا جوارهم .

---

(١) داف الدواء : خلطه وأذابه بالماء هامش (ط) س ٩٧٣ .
(٢) العكّة : وعاء من جلود مستدير يختص بالسمن والعسل ، وهو بالسمن أخص (النهاية) ج ٣ س ٢٨٤ .
(٣) فى (خ) « بصدر قناه » وما أثبتناه من (الواقدى) ج١ س٣٥١ ، (وابن سعد) ج ٢ س ٥٣ ، وقناه : واد بالمدينة وأحد أوديتها الثلاثة (معجم البلدان) ج ٤ س ٤٠١ .
(٤) هذا هو صاحب سرية عبد الله بن أنيس ، وهى لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجره ﷺ . (انظر س ٢٢٥) .
(٥) فى (خ) « فلقيهم » .

خبر عاصم بن ثابت حمى الدبر

ورماهم عاصم حتى فنيت نبله ، ثم طاعنهم حتى كُسر رمحه ، ثم كسر غمد سيفه وقاتل حتى قتل . فبعث الله عليه الدبر (١) لحمته ، فلم يدن منه أحد إلا لدغت وجهه ؛ ثم بعث الله فى الليل سيلاً فاحتمله فذهب به فلم يقدروا عليه . وذلك أنه كان قد نذر ألا يمس مشركا ولا يمسه مشرك . وكانوا يريدون أن يجزوا رأسه ليذهبوا به : إلى سلافة بنت سعد بن الشُّهيد لتشرب فى قفة تحفة (٢) الخمر ؛ فإنها نذرت إن أمكنها الله منه أن تفعل ذلك من أجل أنه قتل لها ابنين فى يوم واحد .

خبر الأسرى يوم الرجيع

وقتلوا(٣) معتّباً ؛ وخرجوا بخبيب بن عدى بن مالك بن عامر بن مالك بن مجدعة بن جحجبى بن كلفة ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وعبد الله بن طارق ، وزيد بن الدثنة ، وهم موثقون بأوتار قسيهم ، فنزع عبد الله بن طارق يده من رباطه وأخذ سيفه ، فقتلوه رجماً بالحجارة وقبروه بمر الظهران .

خبر خبيب بن عدى بمكة

وقدموا مكة بخبيب وزيد فابتاع خبيباً حجير بن أبى إهاب بثمانين مثقالا ذهباً ، ويقال بخمسين فريضة (٤) ويقال اشترته إبنة (٥) الحارث بن عامر بن نوفل بمائة من الإبل . [وكان حجير بن أبى إهاب قد ابتاع خبيب ابن عدى لزوج أخته عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، ليقتله بأبيه : قتل يوم بدر] (٦) ويقال أنه شرك فيه أناس من قريش . وحبس حجير خبيباً — لأنه كان فى ذى القعدة وهو شهر حرام — فأقام محبوساً فى بيت ماوية (٧) ، مولاة بنى عبد مناف ، وحبس زيد عند نسطاس مولى صفوان بن أمية ، ويقال عند قوم من بنى جمح ، فرأت ماوية خبيباً وهو يأكل عنباً من قطف مثل رس الرجل فى يده ، وما فى الأرض يومئذ حبة عنب ، فعلمت أنه رزق رزقه الله ؛ فأسلمت بعد ذلك ، وكان يجهر بالقرآن فيسمعه النساء فيبكين ، فلما أعلمته ماوية — بعد انسلاخ الأشهر الحرم — بقتله ، ما أكترث لذلك ، وطلب حديدة فأتته بموسى مع ابنها أبى حسين (٨) . مولى بنى الحارث

---

(١) الدَّبر : جماعة النحل والزنابير (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٦٩ .

(٢) القحفة : ما انفلق من الجمجمة (المرجع السابق) ج ٢ ص ٧١٦ .

(٣) فى (خ) « وقتل » .

(٤) الفريضة : ما فُرض فى السائمة من الصدقة ، ثم اتسع فيه حتى سمى البعير فريضة فى غير الزكاة ، (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٤٧٢ و (النهاية) ج ٣ ص ٤٣٢ .

(٥) فى (خ) « اشتراه ابنه الحارث » ، وما أثبتناه من (الواقدى) ج ١ ص ٣٥٧ .

(٦) مابين القوسين من (الواقدى) ج ١ ص ٣٥٧ ومكانه فى (خ) نحو هكذا « وكان خبيب قد قتله عقبة بن الحارث بن عامر ابن نوفل فأرادوا قتله به » وهذا خطأ كله وفى (ابن سعد) و (الواقدى) أنه اشتراه « لابن أخته » وهذا خطأ أيضاً ، بدليل ما قاله ابن حجر فى (الإصابة) ج ٧ ص ٢٠ ترجمة رقم ٥٥٨٠ « مات عقبة بن الحارث فى خلافة ابن الزبير » .

(٧) فى (الواقدى) « فى بيت امرأة يقال لها ماوية » وهو أجود .

(٨) فى (خ) « أبى الحسن بن الحارث » « وهو خطأ » هكذا قال محقق (ط) ، وفى (ابن هشام) ج ٣ ص ٩٦ : « قال ابن هشام : ويقال إن الغلام ابنها » . وفى (ابن الأثير) ج ٢ ص ١٦٧ « وندب صبي لها » . وراجع (فتح البارى) ج ٧ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصى فقال له ممازحاً له : وأبيك إنك لجرىء ! أما خشيت أمك غدرى حين بعثت معك بحديدة ، وأنتم تريدون قتلى ؟ فقالت ماوية ، ياخبيب ، إنما أمنتك بأمان الله ، فقال : ما كنت لأقتله ! ثم أخرجوه فى الحديد إلى التنعيم (١) ومعه النساء والصبيان والعبيد وجماعة من أهل مكة ومعه زيد بن الدثنة .

مقتـــل خبيب

فصلى خبيب ركعتين أتمهما من غير أن يطول فيهما — وكان أول من سن الركعتين عند القتل (٢) — ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً ، ثم أوثقوه رباطاً وقالوا : ارجع عن الإسلام ونخلى سبيلك فقال : لا إله إلا الله ! والله ما أحب أنى رجعت عن الإسلام وأن لى ما فى الأرض جميعاً ! قالوا : فتحب أن محمداً فى مكانك وأنت جالس فى بيتك ؟ فقال : والله ما أحب أن يشاك محمد شوكة وأنا جالس فى بيتى ، فجعلوا يقولون : ياخبيب ارجع ! قال : لا أرجع أبداً . قالوا : أما واللات والعزى لئن لم تفعل لنقتلنك ! قال : إن قتلى فى الله لقليل (٣) ، فجعلوا وجهه من حيث جاء فقال : ماصرفكم وجهى عن القبلة ؟ ثم قال : اللهم إنى لا أرى إلا وجه عدو ، اللهم ليس هاهنا أحد يبلغ رسولك عنى السلام فبلغه أنت عنى السلام ، فقال رسول الله ﷺ — وهو جالس مع أصحابه وقد أخذته غمية (٤) — : وعليه السلام ورحمة الله ، ثم قال : هذا جبريل يقرئنى من خبيب السلام . ثم أحضروا أبناء من قتل ببدر — وهم أربعون غلاماً — فأعطوا كل غلام رمحاً فطعنوه برماحهم فاضطرب على الخشبة ، وقد رفعوه إليها . وانفلت فصار (٥) وجهه إلى الكعبة فقال : الحمد لله (٦) فطعنه أبو سروعة — واسمه عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصى — حتى أخرجها من ظهره ، فمكث ساعة يوحد ويشهد أن محمداً رسول الله ثم مات رضى الله عنه ، وتولى قتل زيد نسطاس ، وقد روى أن غزوة الرجيع كانت قبل بئر معونة .

غزوة بنى النضير

ثم كانت غزوة بنى النضير فى ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجر النبى ﷺ ، ويقال كانت فى جمادى الأولى (٧) سنة أربع ، وروى عقيل بن خالد وغيره عن ابن شهاب قال : كانت غزوة بنى النضير بعد بدر بستة أشهر .

---

(١) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة وقيل أربعة (معجم البلدان) ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) وكذلك فعلهما حجر بن الأدبر حين قتله معاوية وقد صلى هاتين الركعتين أيضا زيد بن حارثة مولى النبى ﷺ وتفصيل الخبرين فى (الروض الأنف) ج ٣ ص ٢٢٥ .

(٣) فى (خ) « لقتل » .

(٤) الغَشْيَة : كالغشية .

(٥) فى (خ) « وصار » وما أثبتناه من (الواقدى) ج ١ ص ٣٦١ .

(٦) وفى المرجع السابق : « الحمد لله الذى جعل وجهى نحو قبلته التى رضى لنفسه ولنبيه وللمؤمنين » .

(٧) فى (خ) « الأول » .

سببها ، وغدر اليهود برسول الله

سببها أن عمرو بن أمية الضمرى لما قتل الرجلين من بنى عامر خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير يستعين فى ديتهما — لأن بنى النضير كانوا حلفاء بنى عامر ، وكان ذلك يوم السبت — فصلى فى مسجد قباء ومعه رهط من المسلمين . ثم جاء بنى النضير ومعه دون العشرة من أصحابه (١) فيجدهم فى ناديهم ، فجلس يكلمهم أن يعينوه فى الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن أميّة ، فقالوا : نفعل ، إجلس حتى نُطعمك، ورسول الله ﷺ مستند إلى بيت؛ ثم خلا بعضهم إلى بعض ، وأشار عليهم حُيي بن أخطب أن يطرحوا عليه حجارة من فوق البيت الذى هو تحته فيقتلوه ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش ليطرح عليه صخرة ، وهيأ الصخرة ليرسلها على رسول الله ﷺ وأشرف بها فجاء الوحى بما همّوا به ، فنهض ﷺ سريعاً كأنه يريد حاجة ومضى إلى المدينة . فلما أبطأ لحق به أصحابه — وقد بعث فى طلب (٢) محمد بن مسلمة — فأخبرهم بما همت به يهود ؛ وجاء محمد بن مسلمة فقال : اذهب إلى يهود بنى النضير فقل لهم : [إن رسول الله أرسلنى إليكم] (٣) أن اخرجوا من بلده ، فإنكم قد نقضتم العهد بما هممتم به من الغدر ، وقد أجلتكم عشراً ، فمن رُؤى بعد ذلك ضربت عنقه .

أمر إجلاء بنى النضير

فأخذوا يتجهزون فى أيام ، ثم بعث حيي بن أخطب مع أخيه جُدى (٤) ابن أخطب إلى النبى ﷺ : إنا لانخرج فليصنع مابدا له ، وقد غره عبد الله بن أبى بأن أرسل إليه سويداً وداعساً بأن يقيم بنو النضير ولايخرجوا: فإن معى من قومى وغيرهم [من العرب] (٥) ألفين ، يدخلون معكم فيموتون من آخرهم دونكم . فلما بلّغ جدى رسالة أخيـه حُيَىّ كبّر رسول الله ﷺ وكبّر من معه وقال : حاربت يهودُ ، ونادى مناديه بالمسير إلى بنى النضير .

مسير رسول الله إليهم وحصارهم

وسار رسول الله ﷺ فى أصحابه فصلى العصر بفضاء بنى النضير وقد قاموا على جُدُر (٦) حصونهم ومعهم النبل والحجارة ، ولم يأتهم ابن أبىّ واعتزلتهم (٧) قريظة فلم تعنهم بسلاح ولا رجال ، وجعلوا يرمون يومهم بالنبل والحجارة حتى أمسوا فلما صلى رسول الله ﷺ العشاء — وقد تتام أصحابه — رجع إلى بيته فى عشرة من أصحابه ، وعليه الدرع والمغفر وهو على فرس . واستعمل علياً رضى الله عنه على العسكر ؛ ويقال بل استعمل

(١) فى (خ) « وأصحابه » .
(٢) فى (خ) « طلبه » .
(٣) زيادة من (الواقدى) ج ١ ص ٣٦٦ .
(٣) زيادة من (الواقدى) ج ١ ص ٣٦٨ .
(٤) فى (خ) « حدى » .
(٥) زيادة من (الواقدى) ج ١ ص ٣٦٨ .
(٦) فى (خ) « جذر » .
(٧) فى (خ) « اعتزلهم » .

أبا بكر رضى الله عنه . وبات المسلمون محاصريهم يكبرون حتى أصبحوا . وأذن بلال رضى الله عنه بالمدينة ، فغدا رسول الله ﷺ فى أصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس فى فضاء بنى خَطْمة ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قتـــال بنى النضير

وحُملت مع رسول الله ﷺ قبة أدَم أرسل بها سعد بن عبادة ، فضربها بلالٌ ودخلها رسول الله ﷺ ، فرمى عزوكُ — من اليهود — فبلغ نبله القبة ، فحولت حيث لايصلها النّبل . ولزم النبى ﷺ الدّرع وظل محاصرهم ست ليال من ربيع الأول . وحينئذ حُرّمت الخمر ، على ماذكره أبو محمد بن حزم . وفُقد على رضى الله عنه فى بعض الليالى فقال النبى ﷺ : إنه فى بعض شأنكم ! فمن قليل جاء برأس عزوك : وقد كمن له حتى خرج فى نفر من اليهود يطلب غِرّة من المسلمين ، وكان شجاعاً رامياً ، فشدّ عليه علىّ رضى الله عنه فقتله ، وفرّ اليهود فبعث معه النبى ﷺ أبا دجانة وسهل بن حنيف ، فى عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا من على رضى الله عنه فقتلوهم ، وأتوا برؤوسهم فطرحت فى بعض البئار (١) . وكان سعد بن عبـــادة رضى الله عنه يحمل التمر إلى المسلمين .

تحريق نخلهم وشرط إجلائهم

وأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطعت وحُرّقت ، واستعمل على ذلك أبا ليلى المازنى وعبد الله بن سلام فنتق على يهود قطع النّخل ، وبعث حُيَىّ بن أخطب إلى النبى ﷺ بأنه يخرج ومن معه ، فقال عليه السلام : لا أقبله اليوم ، ولكن اخرجوا منها ولكم [دماؤكم و] (٢) . ما حملت الإبل إلا الحلقة (٣) ، فلم يقبل حُيَىّ ؛ وحالفت عليه طائفة ممن معه وأسلم منهم يامين بن عمير بن كعب [ابن عمّ عمرو بن جحاش] (٤) وأبو سعد بن وهب ونزلا فأحرزا أموالهما ، ثم نزلت يهود على أن لهم ماحملت الإبل إلا الحلقة ، وجعل يامين الرجل من قيس عشرة دنانير — ويقال خمسة أوسق من تمر حتى قتل عمرو بن جحاش غيلة فسُرّ رسول الله ﷺ بقتله .

كيف كان جلاؤهم

وأقام على حصار يهود خمسة عشر يوماً حتى أجلاهم وَوَلِىَ إخراجهم محمد بن مسلمة . وكانوا فى حصـــارهم يخربون بيوتهم [بأيديهم] (٥) مما يليهم ، والمسلمون يخربون مما يليهم ويحرّقون ، حتى وقع الصلح ؛ فجعلوا يحملون الخشب ويحملون النساء والذرية ، وشقوا سوق المدينة والنساء فى الهوادج عليهن الحرير والديباج وحلى الذهب والمعصفرات وهن يضربن بالدفوف ويزمرن بالمزامير تجلداً — وكبارهم يومئذ حُيَىّ بن أخطب ، وسلاّم بن

(١) فى (خ) « البيار » والبئار : جمع بئر .
(٢) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٥٨ .
(٣) الحلقة : السلاح كله .
(٤) فى (خ) « كعب بن عمرو بن جحاش » ، وهو خطأ ، وما أثبتناه من سياق ترجمته فى (الإصابة) ج ١٠ ص ٣٣٣ برقم ٩١١٢ .
(٥) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٥٨ .

أبي الحقيق — وقد صف لهم الناس وهم يمرون ، فكانوا على ستمائة بعير فنزل أكابرهم بخيبر فدانت لهم ، وذهبت طائفة منهم إلى الشام ، فكان ممن صار منهم إلى خيبر أكابرهم كحيي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن .

أموال بني النضير

وقبض رسول الله ﷺ الأموال والحلقة : فوجد خمسين درعاً وخمسين بيضة (١) ، وثلاثمائة سيف وأربعين سيفاً . وقال عمر رضي الله عنه : ألا تخمس ما أصبت ؟ فقال ﷺ : لا أجعل شيئاً جعله الله لي دون المؤمنين — بقوله : وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، (٢) كهيئة ما وقع فيه السهمان للمسلمين . وكانت بنو النضير من صفايا رسول الله ﷺ جعلها حبساً لنوائبه ، وكان ينفق على أهله منها : كانت خالصة له ، فأعطى من أعطى منها ، وحبس ما حبس ، وكان يزرع تحت النخل ، وكان يدخل منها قوت أهله سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبني المطلب (٣) ، وما فضل جعله في الكراع والسلاح . واستعمل على أموال بني النضير أبا رافع مولاه ، وكانت صدقاته منها ومن أموال مخيريق .

المهاجرون والأنصار

وكان رسول الله ﷺ لما تحول من بني عمرو بن عوف إلى المدينة تحول المهاجرون فتنافست فيهم الأنصار أن ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم السهمان ، فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الأنصار إلا بقرعة ، فكان المهاجرون في دور الأنصار وأموالهم .

خبر قسمة أموال بني النضير على المهاجرين دون الأنصار

فلما غنم رسول الله ﷺ بني النضير بعث ثابت بن قيس بن شماس فدعا الأنصار كلها — الأوس والخزرج — فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين ، وإنزالهم إياهم في منازلهم ، وأثرتهم على أنفسهم ، ثم قال : إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علي من بني النضير ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم ، فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : يا رسول الله ، بل تقسمه للمهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ، ونادت الأنصار : رضينا وسلمنا يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وقسم ما أفاء الله عليه على المهاجرين دون الأنصار إلا رجلين كانا محتاجين : سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو خناس (ويقال خنساء) بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري ، وأبو دجانة سماك بن خرشة بن لوذان بن عبدود بن ثعلبة الأنصاري . وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق ، وكان

(١) البيضة ، من أدوات الحرب .
(٢) آية ٧ / الحشر ، وفي (خ) « ... القرى ، الآية » .
(٣) في (خ) « بني عبد المطلب » .

سيفاً له ذكر . ووسع ﷺ في الناس من أموال بني النضير ، وأنزل الله تعالى في بني النضير سورة الحشر .
وفي جمادى الأولى (١) مات عبد الله بن عثمان من رقية .

زواج رسول الله بأم سلمة

وفي شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ بأم سلمة رضي الله عنها .

غـــزوة بدر الموعد

ثم كانت غزوة بدر الموعد لهلال ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهراً . وسببها أن أبا سفيان بن حرب لما أراد أن ينصرف يوم أحد نادى : موعد بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول نلتقي فيه فنقتتل ، فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه — وقد أمره رسول الله ﷺ — : نعم ، إن شاء الله .

سوق بدر الصفراء وكراهية أبي سفيان الخروج إلى الموعد

وكانت بدر (٢) الصفراء مجمعاً للعرب في سوق يقام لهلال ذي القعدة إلى ثمان منه ، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج وأحب ألا يوافي رسول الله ﷺ الموعد ، وكان يظهر أنه يريد الغزو في جمع كثيف ، فيبلغ أهل المدينة عنه أنه يجمع الجموع ويسير في العرب ، فتأهب المسلمون له .

رسالة أبي سفيان نعيم بن مسعود لتخذيل المسلمين

وقدم (٣) نعيم بن مسعود الأشجعي مكة فأخبر أبا سفيان (٤) وقريشاً بتهيؤ المسلمين لحربهم . وكان عاماً (٥) جدباً ، أعلمه أبو سفيان بأنه كاره للخروج إلى لقاء المسلمين ، واعتل بجدب الأرض . وجعل له عشرين فريضة توضع تحت يد سهيل بن عمرو ، على أن يخذل المسلمين عن المسير لموعده وحمله على بعير . فقدم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبي سفيان حتى رعب (٦) المسلمين ، وهو يطوف فيهم حتى قذف الرعب في قلوب المسلمين ولم تبق لهم نية في الخروج . واستبشر المنافقون واليهود وقالوا : محمد لا يفلت من هذا الجمع ! — فبلغ ذلك رسول الله ﷺ حتى خشي ألا يخرج معه أحد . وجاءه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما — وقد سمعا ما سمعا — وقالا : يا رسول الله ، إن الله مظهر دينه ومعز نبيه ، وقد وعدنا القوم موعداً ، ولا نحب أن نتخلف فيرون أن هذا جبن ، فسر لموعدهم ، فوالله إن في ذلك لخيرة . فسر رسول الله ﷺ . ثم قال : والذي نفسي بيده لأخرجن وإن

( ) في (خ) « الأول » .
(٢) « وبدر الموعد ، وبدر القتال ، وبدر الأولى ، والثانية : كلها موضع واحد » (معجم البلدان) ج ١ ص ٣٥٨ .
(٣) في (خ) « وقد » .
(٤) في (خ) « فأخبر أبا سفيان » مكررة .
(٥) في (خ) « عامة » .
(٦) رعب : خوف .

لم يخرج معى أحد . فبصّر الله المسلمين وأذهب ما كان رعبهم الشيطان ، وخرجوا بتجارات لهم إلى بدر فربحت ربحاً كثيراً .

خروج المسلمين إلى بدر

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن رواحة ، وسار فى ألف وخمسمائة ، فيهم عشرة أفراس ، وحمل لواءه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذى القعدة ، وقام السُّوق صبيحة الهلال فأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة . وخرج أبو سفيان من مكة فى ألفين معهم خمسون فرساً ثم رجعوا من مجنة(١) ، [وذلك أن أبا سفيان بدا له الرجوع فقال : يا معشر قريش ، ارجعوا فإنه لا يصلحنا إلا عام خصيب غيداق نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عامٌ جدب ، فإنى راجع فارجعوا . فرجع الناس ، فسمّاهم أهل مكة « جيش السويق » : يقولون إنما خرجتم تشربون السويق](٢) .

خبر مجدى بن عمرو ، وبنى ضمرة

وقام مجدى بن عمرو بنى ضمرة [— ويقال مخشيٌّ بن عمرو —] والناس مجتمعون فى سوقهم ، والمسلمون أكثر ذلك الموسم فقال : يا محمد لقد أخبرنا أنه لم يبق منكم أحد ، فما أعلمكم إلا أهل الموسم ! . فقال رسول الله ﷺ : ما أخرجنا إلا موعدُ أبى سفيان وقتال عدوّنا ، وإن شئت مع ذلك نبذنا إليك وإلى قومك العهد ثم جادلناكم(٣) قبل أن نبرح منزلنا هذا . فقال الضمرىّ : بل نكف أيدينا عنكم ونتمسك بحلفك .

معبد الخزاعى ينذر اهل مكة

وانطلق(٤) معبد بن أبى معبد الخزاعى سريعاً — بعد انقضاء الموسم(٥) — إلى مكة ، وأخبر بكثرة المسلمين وأنهم أهل ذلك الموسم وأنهم ألفان ، وأخبرهم بما قال رسول الله ﷺ للضمرى . فأخذوا فى الكيد والنفقة لقتال(٦) رسول الله ﷺ ، واستجلبوا من حولهم العرب وجمعوا الأموال ، وضربوا البعث على أهل مكة فلم يترك أحد منهم إلا أن يأتى بمال ، ولم يقبل من أحد أقل من أوقية لغزو الخندق .

وأنزل الله تعالى « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل(٧) » يعنى نعيم بن مسعود .

---

(١) مجنّة : موضع على أموال يسيرة من مكة بناحية مر الظهران واسم سوق للعرب (معجم البلدان) ج ٥ ص ٥٨ .

(٢) هذه زيادة من (المغازى) ج ١ ص ٣٨٨ ومن (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٣ وغيرهما من كتب السيرة ، وفى (خ) بعد قوله « مجنة » ، « ويقال مخشى بأنه عام جدب وقام مجدى بن عمرو من بنى ضمرة والناس مجتمعون . . » .

(٣) فى (خ) « جادلنا كم » ، والمجادلة : المضاربة بالسيف .

(٤) فى (خ) « فانطلق » وهذه أجود .

(٥) فى (خ) « الموسم » .

(٦) فى (خ) « فأخذوا فى الكيد والنفقة لقتال . . . » وما أثبتناه من (الواقدى) ج ١ ص ٣٨٩ .

(٧) آية ١١٣ / آل عمران ، وفى (خ) إلى قوله « فاخشوهم » .

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة فكانت غيبته عنها ست عشرة ليلة . وذكر أبو محمد بن حزم أن بدر الموعد بعد ذات الرقاع(١) .

سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبى رافع اليهودى وسبب ذلك

ثم كانت سرية عبد الله بن عتيك إلى أبى رافع سلاّم بن أبى الحقيق حتى قتل سحر ليلة الاثنين لأربع خلون من ذى الحجة على رأس ستة وأربعين شهراً ، وقيل كان قتله فى جمادى الأولى سنة ثلاث . وكان سبب ذلك أن أبا رافع كان قد أجلب فى غطفان ومن حوله من مشركى العرب ، وجعل لهم الجعل العظيم لحرب رسول الله ﷺ — فإنه كانت له رياسة قريظة بعد يوم بعاث(٢) — فبعث ﷺ عبد الله بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث ابن أميّة بن زيد بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصارى(٣) — وكانت أمه بخيبر يهودية أرضعته — وبعث معه أربعة هم : عبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة ، والأسود بن الخزاعى ، ومسعود بن سنان ، وأمرهم بقتله ، ونهى عن قتل النساء والولدان ، فانتهوا إلى خيبر ونزلوا على أم عبد الله [ابن عتيك](٤) ليلا — وقد تلقهم بتمر وخبز — فكمنوا(٥) حتى هدأت الرِّجل ، ثم خرجوا ، واستفتحوا على أبى رافع فقالت امرأته : ما شأنكم ؟ فقال لها عبد الله بن عتيك — وكان يرطن باليهودية — : جئت أبا رافع بهدية ، ففتحت له فدخل بمن معه — وأبو رافع نائم — فعلوه بأسيافهم وقد صاحت المرأة ، واتكأ عبد الله بن أنيس بسيفه على بطنه حتى بلغ الفراش ، وهلك . فنزلوا ، ونسى أبو قتادة الأنصارى قوسه فرجع فأخذها ، [فوقع من الدرجة](٦) فانكفت رجله فاحتملوه . وقام الصائح وأتت يهود ، فخرج منهم أبو ذئيب(٧) الحارث فى آثار القوم ومعه جمع فنجاهم الله منهم . وقد كمنوا يومين حتى سكن الطلب ، ثم أقبلوا إلى المدينة ورسول الله ﷺ على المنبر فقال : أفلحت الوجوه ! فقالوا : أفلح وجهك يا رسول الله ! قال : أقتلتموه ؟ قالوا : نعم ، كلنا يدّعى قتله . وأروه أسيافهم فقال : هذا قتله ، هذا أثر الطعام فى سيف عبد الله بن أنيس فكانت غيبتهم عشرة أيام ويقال : كانت هذه السرية فى رمضان سنة ست(٨) .

---

(١) وكذلك أوردها (ابن هشام) بعد ذات الرقاع وأيضاً (الطبرى) فى التاريخ و (ابن الأثير) فى الكامل و (ابن كثير) فى البداية والنهاية .

(٢) فى (خ) « بغاث » .

(٣) هذا نسبه بعضهم إلى الأوس ، ولاشك أنه من الخزرج ، يقول (ابن عبد البر) فى (الاستيعاب) ج ٦ ص ٢٩٧ : « لأن الرهط الذين قتلوا ابن أبى الحقيق خزرجيون ، والذين قتلوا كعب بن الأشرف أوسيون ، كذا قال ابن إسحق وغيره ، ولم يختلفوا فى ذلك » .

(٤) زيادة للإيضاح .

(٥) فى (خ) « فأ كمنوا » .

(٦) زيادة للبيان . وقد اختلف فيمن وقع من الدرجة ، يقول (ابن هشام) ج ٣ ص ١٠٢ : « وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر . قال : فوقع من الدرجة . . . الخ » .

(٧) كذا فى (خ) وفى (الواقدى) ج ١ ص ٣٩٣ ، « الحارث أبو زيناب » . وهو الصواب .

(٨) ذكر المؤلف سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبى رافع سلاّم بن أبى الحقيق ، وجعلها فى ذى الحجة على رأس ستة وأربعين شهراً — أى فى السنة الرابعة من الهجرة — وهذا التاريخ من رواية موسى بن عقبة . ومقتل سلاّم بن أبى الحقيق كان بعد =

تعليم زيد بن ثابت كتابة يهود

وفى هذه السنة الرابعة أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لَوْذان بن عمرو بن عوف ابن غنم بن مالك النجار الأنصارى رضى الله عنه أن يتعلم كتاب يهود، وقال: لا آمَنُ أن يبدلوا كتابى. وولد الحسين بن على رضى الله عنهما — فى قول بعضهم — لليالٍ خلون من شعبان.

غزوة ذات الرقاع

ثم كانت غزوة ذات الرقاع: وسميت بذلك لأنها كانت عند جبل فيه بُقَعٌ حمرٌ وبيضٌ وسودٌ كأنها رقاع، وقيل سميت بذلك لأنهم رقعوا راياتهم، ويقال أيضاً ذات الرقاع شجرة بذلك الموقع يقال لها ذات الرقاع. وأصح الأقوال ما رواه البخارى من طريق أبى موسى قال: خرجنا مع النبى(١) ﷺ فى غزاة(٢) — ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه — فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماى. وسقطت أظفارى، وكنا(٣) نَلُفُّ على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع لِمَا كنا نعصب من الخرق على أرجلنا(٤).

مافيها من دلائل النبوة

وفى وهذه الغزاة ظهر من أعلام النبوة: ظهور بركة الرسول فى أكل أصحابه من ثلاث بيضات حتى شبعوا ولم تنقص، وتَسْبِيق جمل جابر بعد تخلفه، وبُرْء الصبى مما كان به، وقصة الأشاءتين(٥)، وقصة غَوْرَث [بن الحارث](٦) وقصة الجمل لما برك يشكو.

الخروج إلى الغزوة

وخرج رسول الله ﷺ ليلة السبت لعشر خلون من المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً، وقدم صرار(٧) يوم الأحد لخمس بقين منه، وغاب خمس عشر ليلة. وسببها أن [قادماً — قدم بجلب له](٨) من نجد إلى المدينة — أخبر

= غزوة الأحزاب، وغزوة الأحزاب عند موسى بن عقبة، وعند ابن حزم كانت سنة أربع، فهذا تاريخ صحيح عند ابن عقبة يجعل الغزوة والسرية فى سنة أربع على الترتيب، ولكن المقريزى أخذ تاريخ السرية من موسى بن عقبة وصححه واعتمده فجعله فى سنة أربع، ثم جعل غزوة الأحزاب فى سنة خمس، ولا أدرى لم اتصل هذا الفصل بينهما وصحح واحدة — وهى السرية — من تاريخ موسى بن عقبة، وردّ الغزاة إلى سنة خمس من رواية غيره؟

(١) فى (خ) «مع رسول الله»، وما أثبتناه من رواية البخارى ج ٣ ص ٣٥.

(٢) فى (خ) «غزوة».

(٣) فى (خ) «فكنا».

(٤) وتتمة رواية البخارى: «وحدث أبو موسى بهذا، ثم كره ذاك، قال: ما كنتُ أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شىء من عمله أفشاه.

(٥) فى (خ) «الأشاتين»، وأشاءُ النخل: صغاره، أو عامته، أشاءة (ترتيب القاموس) ج ١ ص ١٥١.

(٦) زيادة للبيان.

(٧) صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق المدينة (معجم البلدان) ج ٣ ص ٣٩٨.

(٨) فى (خ) «قدماً قادماً بجلب»، والجلب: ما يُجلب ليباع.

أن بنى أنمار بن بغيض، وبنى سعد بن ثعلبة بن زيان بن بغيض، قد جمعوا لحرب المسلمين، فخرج ﷺ فى أربعمائة، وقيل فى سبعمائة، وقيل ثمانمائة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه، وبث السرايا فى طريقه فلم يروا أحداً، ثم قدم محالّهم وقد ذهبوا إلى رؤوس الجبال وأطلّوا على المسلمين، فخاف الفريقان بعضهم من بعض.

صلاة الخوف

وصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف، فكان أوّل ما صلاها يومئذ، وقد خاف أن يُغيروا عليه وهم فى الصلاة، فاستقبل القبلة وطائفة خلفه وطائفة مواجهة العدو، فصلى بالطائفة التى خلفه ركعة وسجدتين ثم ثبت قائماً فصلوا خلفه ركعتين وسجدتين ثم سلموا، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم ركعة وسجدتين، والطائفة الأولى مقبلة على العدو، فلما صلى بهم ركعة ثبت جالساً حتى أتموا لأنفسهم ركعة وسجدتين ثم سلم. هكذا ذكر ابن اسحاق والواقدى وغيرهما من أهل السِّيَر، وهو مُشكل.

تحقيق القول فى صلاة الخوف متى كانت

فإنه قد جاء فى رواية الشافعى وأحمد والنَّسائى عن أبى سعيد: أن رسول الله ﷺ حبسه المشركون يوم الخندق عن الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعاً، وذلك قبل نزول صلاة الخوف. قالوا: وإنما نزلت صلاة الخوف بعُسفان كما رواه أبو عيّاش الزُّرَقى قال: كنا مع النبى ﷺ بعسفان فصلى بنا الظهر، وعلى المشركين يومئذ خالد بن الوليد، فقالوا: لقد أصبنا منهم غفلة، ثم قالوا: إن لهم صلاة بعد هذه هى أحب إليهم من أموالهم وأبنائهم. فنزلت — يعنى صلاة الخوف — بين الظهر والعصر، فصلى بنا العصر ففرقنا فرقتين، وذكر الحديث. أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى(١). وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ نازلاً بين ضَجْنان(٢) وعُسفان مُحاصر المشركين، فقال المشركون إن لهؤلاء صلاة هى أحب إليهم من أبنائهم وأبكارهم، أجمعوا أمركم ثم ميلوا عليهم مَيْلَةً واحدة. فجاء جبريل عليه السلام فأمره أن يقسم أصحابه نصفين، وذكر الحديث. رواه النَّسائى(١) والترمذى(٣) وقال: حسن صحيح. وقد تعلم بلا خلاف أن غزوة عُسفان كانت بعد الخندق فاقتضى هذا أن ذات الرقاع بعدها بل بعد خيبر. ويؤيد هذا أن أبا موسى الأشعرى وأبا هريرة رضى الله عنهما شهداها: أما أبو موسى الأشعرى فإنه قدم بعد خيبر، وقد جاء فى الصحيحين عنه: أنه شهد غزوة

---

(١) (مسند أحمد) ج ٤ ص ٥٩، ٦٠.
(سنن أبى داود) ج ٢ ص ٢٨ حديث رقم ١٢٣٦.
(عون المعبود) ج ٤ ص ١٠٤ حديث رقم ١٢٢٤.
(سنن النسائى) ج ٣ ص ١٦٧.

(٢) ضجنان: «جبيل على بريد من مكة...، وقال الواقدى: بين ضجنان ومكة خمسة وعشرون ميلاً» (معجم البلدان) ج ٣ ص ٤٥٣ وفى (خ) «صجنان».
وعسفان: على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (المرجع السابق) ج ٤ ص ١٢٢.

(٣) سنن الترمذى ج ٢ ص ٣٩ باب ٣٩٢ حديث رقم ٥٦١.

ذات الرقاع ، وأنهم كانوا يلفّون على أرجلهم الخرق لما نقبت ، فسميت بذلك ؛ وأما أبو هريرة ، فمن مروان بن الحكم أنه سأل أبا هريرة : هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف ؟ قال : نعم ، قال : متى ؟ قال عام غزوة نجد ، وذكر صفة من صفات صلاة الخوف . أخرجه(١) الإمام أحمد وأبو داود والنسائيّ . وإنما جاء أبو هريرة مسلماً أيام خيبر .

وكذلك قال عبد الله بن عمر ، قال : غزوتُ مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد ، فذكر صلاة الخوف . وإجازة(٢) عبد الله فى القتال كانت عام الخندق . وقد قال البخاري : إن ذات الرقاع بعد خيبر ، واستشهد بقصة(٣) أبي موسى وإسلام أبي هريرة .

وقال ابن اسحق : إنها كانت فى جمادى الأولى بعد غزوة بنى النضير بشهرين ، وقد قال بعض من أرّخ : إن غزوة ذات الرقاع أكثر من مرة ؛ فواحدة كانت قبل الخندق ، وأخرى بعدها .

وقد قيل : إن قصة جمل جابر وبيعه من رسول الله ﷺ كانت فى غزوة ذات الرقاع . وفى ذلك نظر ، لأنه جاء أن ذلك كان فى غزوة تبوك .

وبعث ﷺ جعال بن سراقة بشيراً إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين .

خبر الربيئة : عباد بن بشر وعمار بن ياسر

وكان رسول الله ﷺ قد أصاب فى محالهم نسوة منهن جارية وضيئة كان زوجها يحبها ، فلما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة حلف زوجها ليطلبن محمداً ، ولا يرجع إلى قومه حتى يصيب محمداً ، أو يهريق فيهم دماً ، أو يتخلص صاحبته . فبينا رسول الله ﷺ فى مسيرة فى عشية ذات ريح فنزل فى شعب فقال : من رجل يكلأنا(٤) الليلة ؟ فقام عمار بن ياسر وعباد بن بشر فقالا : نحن يا رسول الله نكلأك : وجعلت الريح لا تسكن ، وجلسا على فم الشِّعْب . فقال أحدهما لصاحبه : أى الليل(٥) أحب إليك [أن أكفيكه ، أوله أم آخره](٦) ؟ قال : [بل](٦) اكفنى أوله . فنام عمار بن ياسر وقام عباد بن بشر يصلى ، وأقبل عدوّ الله يطلب غِرّةً وقد سكنت الريح . فلما رأى سواده من قريب قال : يعلم الله إن هذا لربيئة القوم : ففوّق له سهماً فوضعه فيه ، فانتزعه [فوضعه](٧) ؛ ثم رماه بآخر فوضعه فيه ، فانتزعه فوضعه ، ثم رماه الثالث فوضعه فيه . فلما غلبه الدم ركع وسجد ، ثم قال لصاحبه : اجلس فقد أتيتَ : فجلس عمار ؛ فلما رأى الأعرابى أن عماراً قد قام علم أنهم قد نذروا به . فقال عمار : أى أخى ؟ ما منعك أن توقظنى فى أول سهم رمى به ؟ قال : كنتُ فى سورة أقرأها — وهى سورة

(١) فى (خ) « أرجه » .
(٢) فى (خ) « وإجاره » .
(٣) فى (خ) « بقضية » .
(٤) يكلأنا : يرعانا ، وفى التنزيل : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن » (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٧٩٣ .
(٥) فى (خ) « الليلة » .
(٦) ما بين الأقواس لفظ مضطرب فى (خ) والتصويب من (ابن هشام) جـ ٣ ص ١٢٢ ونحوه مع اختلاف يسير فى (الواقدى) جـ ١ ص ٣٩٧ .
(٧) زيادة السياق .

الكهف — فكرهتُ أن أقطعها حتى أفرغ منها . ولولا أنى خشيت أن أضيع ثغراً أمرنى به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أتى على نفسى . ويقال : بل هو عمارة بن حزم ، وأثبتهما عباد بن بشر .

خبر فرخ الطائر

وجاء رجل بفرخ طائر ، فأقبل أبواه ، أو أحدهما ، طرح نفسه فى يد الذى أخذ فرخه . فعجب الناس من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا الطائر ؟ أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه ! والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه .

خبر صاحب الثوب الخلق

ورأى ﷺ رجلاً وعليه ثوب مُنخرق فقال : أما له غير هذا ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، إن له ثوبين جديدين فى العيبة(١) ، فقال له خذ ثوبيك . فأخذ ثوبيه فلبسهما ثم أدبر فقال ﷺ : أليس هذا أحسن ؟ ما له ضرب الله عنقه ! فسمع ذلك الرجلُ فقال : فى سبيل الله يا رسول الله ! فقال ﷺ : فى سبيل الله فضربت عنقه بعد ذلك فى سبيل الله .

خبر البيضات

وجاءه عُلْبة(٢) بن زيد الحارثى بثلاث بيضات وجدها فى مِفْحَص(٣) نعام ، فأمر جابر بن عبد الله بعملها ، فوثب فعملها وأتى بها فى قصعة ، فأكل ﷺ وأصحابه منه بغير خبز والبيض فى القصعة كما هو ، وقد أكل منه عامتهم .

خبر غورث

وقيل إن حديث غورث بن الحارث كان فى هذه الغزاة(٤) ، وقيل كان فى غزوة ذات الرقاع التى بعد الخندق — لما أخرجا فى الصحيحين(٥) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع ، قال : كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ ، قال : فجاء رجل من المشركين — وسيف رسول الله ﷺ مُعلّق بشجرة — فأخذ سيف نبى الله ﷺ(٦) فاخترطه(٧) ، فقال لرسول الله ﷺ : أتخافنى ؟ قال : لا : قال : فمن يمنعك منى ؟ قال : الله يمنعنى منك(٨) ! قال : فتهدده أصحاب رسول الله

(١) العَيْبَة : وعاء من خوص ونحوه . (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٦٣٩ .
(٢) فى (خ) « غلبة » والتصويب من الواقدى جـ ١ ص ٣١٩ .
(٣) المفحص : ما تفحصه النعام والقطا من الأرض لتتخذ منه مجثماً للبيض والفرخ .
(٤) فى (خ) « وقيل كان فى هذه الغزاة » مكررة .
(٥) صحيح البخارى : جـ ٣ ص ٣٦ ، صحيح مسلم : جـ ٦ ص ١٢٩ .
(٦) فى (خ) « فأخذ السيف » وهذا نص مسلم .
(٧) اخترط السيف : استله (ترتيب القاموس) جـ ٢ ص ٣٩ .
(٨) فى (خ) « قال الله » وهذا نصّ مسلم .

ﷺ ، فأغمد السيف وعلّقه . قال : فنودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا ، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين . قال : فكانت لرسول الله ﷺ أربعُ ركعات والقوم ركعتان . واللفظ لمسلم .

تحريم الخمر

قال البلاذُرِيّ : وفي سنة أربع من الهجرة حُرِّمت الخمر .

غزوة دومة الجندل

ثم كانت غزوة دُومة الجندل . خرج إليها رسول الله ﷺ في الخامس والعشرين من ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً في ألف من المسلمين ، واستخلف على المدينة سباع بن عُرفُطة الغفاري .

سبب غزوة دومة الجندل

وسببها أن رسول الله ﷺ أراد أن يدنو إلى أدنى الشّام ، وقيل له : إنها طرف من أفواه الشام فلو دنوت لها كان ذلك مما يفزع قيصر ، وذُكر له أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً من [الضافطة][1] ، وأنهم يظلمون من مرّ بهم ، ويريدون أن يدنوا[2] من المدينة . فندب الناس وسار مغذّاً[3] للسير ، وتنكّب عن طريقهم ، فكان يسير الليل[4] ويكمن النهار ، ومعه دليل من بني عذرة يقال له مذكور . فلما كان بينه وبين دومة الجندل يوم أو ليلة ، هجم على ماشيتهم [ورعاتهم فأصاب منها ما أصاب][5] ، وفرّ باقيهم ، فتفرق أهل دومة لما بلغهم الخبر ، ونزل ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أحداً . فأقام أياماً وبث سراياه ، فعادت بإبل ولم يلق أحداً ، وعاد إلى المدينة في العشرين من ربيع الآخر . ووادع في طريقه عيينة بن حصن الفزاري .

زواجه بأم سلمة ثم بزينب بنت جحش ونزول آية الحجاب

وفي ليالٍ بقين من شوّال تزوج أم سلمة ، وقيل تزوجها سنة اثنين بعد بدر ، وقيل قبل بدر .

وفي ذي القعدة من هذه السنة تزوج ابنة عمته زينب بنت جحش وقيل تزوجها سنة ثلاث ، ويقال سنة خمس ، وقيل تزوجها سنة ثلاث مع زينب أم المساكين . ونزلت آية الحجاب . وفي هذه السنة أمر زيد بن ثابت بتعلم كتاب اليهود ، وفيها رَجَم اليهوديّ واليهودية ، وفي جمادى الآخرة كُسف القمر وصلى صلاة الخسوف . وزلزلت[6] المدينة . وسابق بين الخيل ، وقيل في سنة ست ، وجعل بينهما سبقاً ومحلِّلاً .

غزوة المريسيع « بني المصطلق »

ثم كانت غزوة المريسيع ، ويقال : غزوة بني المصطلق وهم بنو جذيمة بن كعب بن خزاعة ، لجذيمة هو المصطلق .

---

(١) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٦٢ ، والضافطة من الناس ، من يجلب الميرة والمتاع إلى المدن .
(٢) في (خ) « يدنو » . (٣) في (خ) « مغذا » . (٤) في (خ) « بالليل » .
(٥) في (خ) مكان ما بين القوسين « فأصاب منها » والتتمة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٦٢ .
(٦) في (خ) « زلزل » .

والمريسيع ماء لخزاعة بينه وبين الفُرْع نحوٌ من يوم ، وبين الفُرع والمدينة ثمانية بُرد[1] . وكانت في سنة ست من الهجرة ، وقيل سنة خمس . خرج رسول الله ﷺ يوم الإثنين لليلتين خلتا من شعبان ، واستخلف على المدينة زيد ابن حارثة ، وقال ابن هشام : استعمل أبا ذر . ويقال نميلة بن عبد الله الليثي ، [ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر رضي الله عنه][2] ، وقيل إلى عمار بن ياسر ، وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة .

سببها

وسببها أن الحارث بن أبي ضرار بن حبيب [بن الحارث بن عائذ[2]] بن مالك بن جذيمة [بن سعد][3] بن كعب ابن خزاعة سيد بني المصطلق — جمع لحرب رسول الله ﷺ من قومه ومن العرب [جمعاً][4] كبيراً ، فتهيّئوا[5] ليسيروا إليه ، وكانوا ينزلون ناحية الفُرُع . فلما بلغ خبرهم رسولَ الله ﷺ فبعث بُرَيْدة بن الحُصَيْب بن عبد الله ابن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رِزاح بن عدى بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفصى ابن حارثة بن عمرو بن عامر الأسلمي — يعلم عِلم ذلك ، فأتاه بخبرهم . فندب الناس وأخبرهم خبر عدوّهم ، فأسرعوا الخروج ، وقادوا ثلاثين فرساً منها : عشرةٌ للمهاجرين ، وعشرون للأنصار ، ولرسول الله ﷺ فرسان هما : لِزَازٌ والظَّرِب . وخرج كثير من المنافقين ليصيبوا من عَرَض الدنيا ولقرب السفر عليهم .

إسلام رجل من عبد القيس

فلقى ﷺ في طريقه رجلاً في طريقه من عبد القيس فأسلم ، وسأل : أي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال له النبي ﷺ : الصلاة في أول وقتها . فكان بعد ذلك لا يؤخر الصلاة إلى الوقت الآخر .

فأصاب عيناً من المشركين فضرب عنقه بعد أن عرض عليه الإسلام فأبى .

الانتهاء إلى المريسيع ولقاء العدو

وانتهى ﷺ إلى المريسيع [وهو ماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل] وقد بلغ القومَ مسيرُ رسولِ الله ﷺ وقتله عينهم ، فتفرق عن الحارث من كان قد اجتمع إليه من أفناء[6] العرب ، وضرب له ﷺ قبة من أدم ؛ وكان معه من نسائه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما . فصف أصحابه وقد تهيأ الحارث للحرب ، ونادى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الناس : قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم . فأبوا ورموا بالنبل ، فرمى المسلمون ساعة بالنبل ثم حملوا على المشركين حملة رجل واحد ، فما أفلت منهم إنسان ، وقتل منهم عشرةٌ وأُسر سائرهم ، وسُبِيَت النساء والذرية ، وغُنمت الإبل والشاء ، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد

---

(١) بُرُد : جمع بريد ، والبريد ، فرسخان أو اثنا عشر ميلاً (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٢٤٤ . والميل : أربعة آلاف ذراع ، والفرسخ : ثلاثة أميال (تقويم البلدان) ص ١٥ .
(٢) ما بين القوسين مكرر في (خ) .
(٣) زيادة من اللب . (٤) زيادة السياق . (٥) في (خ) « تهيأوا » .
(٦) أخلاط من قبائل مختلفة .

يقال له هشام بن صُبابة . أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدوّ (١) ، فقتله خطأ .

شعار المسلمين

وكان شعارهم يامنصورُ أمِتْ أمِتْ . وقيل بل أغار عليهم ﷺ وهم غارُّون و نعَمهم تسق على الماء . والحديث الأول أثبت .

وكان من خبر الرجل الذي قتل : أنه خرج هشام بن صُبابة في طلب العدوّ ، فرجع في ريح شديدة فوجد رجلاً [من رهط عبادة بن الصامت يقال له أوس] فقتله وهو يظنه مشركاً ، فأمر رسول الله ﷺ أن تُخرج ديته ؛ [ويقال قتله رجل من بني عمرو بن عوف] فقدم أخوه مِقْيَس بن صبابة من مكة مسلماً فيما يُظهر يطالب دية أخيه ، فأمر له النبي ﷺ بالدّية فقبضها ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم ارتدّ ولحق بقريش وقال شعراً ، فأهدر ﷺ دمه ، حتى قتله نُميلة [بن عبد الله الليثي] (٢) يوم الفتح .

الأسرى والغنـــائم

وأمر ﷺ بالأسرى فكُتِّفوا ، واستعمل عليهم بريدة بن الحصيب ، وأمر بما وجد في رحالهم من متاع وسلاح فجُمع ، وسيقت النَّعَمُ والشاءُ واستعمل عليها شقران : مولاه . واستعمل على المقسم — مقسم الخمس وسهمان المسلمين — محمية بن جَزْء (٣) بن عبد يغوث بن عُويج بن عمرو بن زبيد الأصغر الزبيدي ، فأخرج رسول الله ﷺ الخمس من جميع المغنم فكان يليه محمية بن جَزْء (٣) ، وكان يجمع إليه الأخماس . وكانت الصدقات على حدتها ، أهل الفيء بمعزل عن الصدقة ، [وأهل الصدقة] (٤) بمعزل عن الفيء . فكان يعطى من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف، فإذا احتلم اليتيم نُقل إلى الفيء وأخرج من الصدقة ووجب عليه الجهاد ، فإن كره الجهاد وأباه لم يعط من الصدقة شيئاً وخلى بينه وبين أن يكتسب لنفسه . وكان رسول الله ﷺ لايمنع سائلاً : فأتاه رجلان يسألانه من الخمس فقال (٥) : إن شئتما أعطيتكما منه ، ولاحظّ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب .

قسمة الغنـــائم

وفرّق السبي فصار في أيدي الرجال ، وقَسَّم المتاع والنعم والشاء ، وعُدلت الجَزور بعشر من الغنم ، وبيعت رثة المتاع فيمن يزيد ، وأسهم للفرس سهمان ولصاحبه سهماً ، وللراجل سهماً ، وكانت الإبل ألفي بعير وخمسة آلاف شاه ، وكان السّبي مائتي أهل بيت .

(١) في (خ) « العدد » .
(٢) زيادة للبيان .
(٣) في (خ) « جز » .
(٤) في (خ) « بمعزل عن الصدقة بمعزل عن الفيء » .
(٥) في (خ) « وقال » .

خبر جويرية بنت الحارث وزواج رسول الله بها وبركتها على أهلها

وصارت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس أو ابن له — فكاتبها على تسع أواق من ذهب ، فبينا النبي ﷺ على الماء إذ دخلت عليه تسأله في كتابتها وقالت : يارسول الله ، إني امرأة مسلمة وتشهدت والتسبت ، وأخبرته بما جرى لها واستعانته في كتابتها ، فقال : أوخير من ذلك ؛ أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك ! قالت : نعم ، فطلبها من ثابت فقال : هي لك يارسول الله فأدى ماعليها وأعتقها وتزوجها . وخرج الخبر إلى الناس وقد اقتسموا رجال بني المصطلق وملكوهم ووطئوا نساءهم ، فقالوا : أصهـــار النبي ! فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي . وكانت جويرية رضي الله عنها عظيمة البركة على قومها .

فداء أسرى بني المصطلق

ويقال إن رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق كل أسير من بني المصطلق ، ويقال جعل صداقها عتق أربعين من قومها ، وقيل : كان السبي : منهم من منّ عليه رسول الله ﷺ بغير فداء ، ومنهم من افتدى ، وذلك بعد ماصار السبي في أيدي الرجال ، فافتديت المرأة والذرية بست فرائض ، وكانوا قدموا المدينة ببعض السبي ، فقدم عليهم أهلوهم فافتدوهم ، فلم تبق امرأة من بني المصطلق إلا رجعت إلى قومها . قال الواقدي : وهذا الثبت . وقيل إن الحارث افتدى ابنته جويرية من ثابت بن قيس بما افتدى به امرأة من السبي ، ثم خطبها النبي ﷺ إلى أبيها فأنكحها : وكان اسمها برّة ، فسماها (١) ﷺ جويرية (٢) . قال الواقدي وأثبت هذا عندنا حديث عائشة أن النبي ﷺ قضى عنها كتابتها وأعتقها وتزوجها .

خـــبر العزل

وسئل رسول الله ﷺ في هذه الغزوة عن العزل فقال : ماعليكم أن لاتفعلوا ؟ مامن نَسَمة كائنة يوم القيامة إلا وهي كائنة ، فقال رجل من اليهود لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وقد خرج بجارية يبيعها في السوق : لعلك تريد بيعها وفي بطنها سَخلة (٣) ؟ فقال : كلا ، إني كنت أعزل عنها . فقال : تلك الموءودة الصغرى ! فلما أخبر رسول الله ﷺ بذلك قال . كذبت يهود .

خبر جهجاه وسنان على الماء

وبينا المسلمون على ماء المريسيع إذ أقبل سنانُ بن وبر الجهني — وقيل هو سنان بن تيم الله ، وهو من جهينة ابن سُود بن أسلم — حليف الأنصار — ومعه فتيان من بني سالم يستقون . [وعلى] (٤) الماء جمع من المهاجرين والأنصار . فأدلى دلوه ، وأدلى جهجاه بن مسعود بن سعد بن حرام الغفاري — أجـــير عمر بن الخطاب رضي الله عنه — دلوه .

(١) في (خ) « فسماه » . (٢) في (خ) « جويرة » .
(٣) السخلة : وليدة الغنم ، والمراد هنا كناية عن الحمل . (٤) زيادة للسياق .

تنازعهما واختلاف المهاجرين والأنصار

فالتبست دلو سنان ودلو جهجاه وتنازعا . فضرب جهجاه سناناً فسال الدم فنادى : ياالخزرج ! وثارت الرجال ، فهرب جهجاه وجعل ينادي في العسكر : يا لقريش ! يا لكنانة ! فأقبلت قريش وأقبلت الأوس والخزرج وشهروا السلاح حتى كادت تكون فتنة عظيمة ، فقام رجال في الصلح فترك سنان حقه .

تحريض عبد الله بن أبي وماكان من مقالته في ذلك

وكان عبد الله بن أبي جالساً في عشرة من المنافقين فغضب وقال : والله مارأيت كاليوم مذلة ! والله إن كنت لكارهاً لوجهي هذا ولكن قد غلبوني . قد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا ، وأنكروا منتنا . والله ماصرنا وجلابيب[١] قريش هذه إلا كما قال القائل : « سمن كلبك يأكلك » ، والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما هتف به جهجاه وأنا حاضر لا يكون لذلك مني غير ، [٢] والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضر من قومه فقال : هذا مافعلتم بأنفسكم ! أحللتموهم بلادكم ، ونزلوا منازلكم ، وآسيتموهم [٣] . في أموالكم حتى استغنوا . أما والله لو أمسكتم [عنهم ما] [٤] بأيديكم لتحولوا [٥] إلى غير بلادكم ، ثم لم ترضوا مافعلتم حتى جعلتم أنفسكم — أغراضاً [٦] للمنايا فقتلتم دونهم [٦] ، فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا .

إبلاغ زيد بن ارقم رسول الله مقالة عبد الله بن أبي

وكان زيد بن أرقم حاضراً — وهو غلام لم يبلغ أو قد بلغ — فحدث رسول الله ﷺ بذلك ، وعنده نفر من المهاجرين والأنصار ، فتغير وجهه ثم قال : ياغلام ، لعلك غضبت عليه ؟ قال : لا والله ، لقد سمعت منه . قال لعله أخطأ سمعك ! قال : لا يانبي الله . قال : فلعله شبه عليك ؟ قال : لا والله لقد سمعت منه يارسول الله ، وشاع في العسكر ماقاله ابن أبي ، حتى ماكان للناس حديث إلا هو . وأنب جماعة من الأنصار زيد بن أرقم فقال — في جملة كلام — : وإني لأرجو أن ينزل الله على نبيه ، حتى تعلموا أني كاذب أم غيري . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يارسول الله ! مر عباد بن بشر فليأتك برأسه . فكره ذلك وقال : لايتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه .
وبلغ الخبر ابن أبي ، فحلف بالله ماقال من ذلك شيئاً ، ثم مشى [٧] إلى رسول الله ﷺ وحلف بالله ماقال .

رحيل رسول الله بعد مقالة المنافقين

وأسرع رسول الله ﷺ عند ذلك السير ، ورحل في ساعة لم يكن يرحل فيها . فأقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) كان يحلو للمنافقين تسمية المهاجرين بجلابيب قريش كناية عن فقرهم .
(٢) في (خ) « ولا يكون ذلك مني غير » ، يريد لا يكون مني لهذا العدوان دفع أو تغيير أو قصاص .
(٣) من المساواة . (٤) زيادة للبيان . (٥) في (خ) « واعملوا » .
(٦) في (خ) « أعراضاً » ، « دونه » . (٧) في (خ) « مشى مشى » مكررة .

حتى جاء رسول الله ﷺ وهو في فيء شجرة عنده غُليم أسيود يغمز ظهره [١] فقال : يارسول الله ! كأنك تشتكي ظهرك ! فقال : تقحمت بي الناقة [٢] الليلة . فقال عمر : يارسول الله ، إيذن لي أن أضرب عنق ابن أبي في مقالته . فقال : لا يتحدث الناس أن محمداً قتل أصحابه .

طلوع رسول الله على العسكر ومقالة سعد بن عبادة

ويقال : لم يشعر أهل العسكر إلا برسول الله ﷺ قد طلع على راحلته وكانوا في حر شديد ، وكان لايروح حتى يبرد ، إلا أنه لما جاءه ابن أبي رحل في تلك الساعة ، فكان أول من لقيه سعد بن عبادة رضي الله عنه ، ويقال أسيد بن حُضَير — فقال : خرجت يارسول الله في ساعة ماكنت تروح فيها ! قال : أو لم يبلغك ماقال صاحبكم ابن أبي ، زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل ؟ قال : فأنت يارسول الله تخرجه إن شئت ، فهو الأذل وأنت الأعز ، يارسول الله ! أرفق به ، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ، مابقيت عليهم إلا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي ليتوجوه ، فما يرى إلا قد سلبته ملكه .

تصديق الله خبر زيد بن أرقم

وبينا رسول الله ﷺ يسير من يومه ذلك — وزيد بن أرقم يعارضه براحلته يريد وجهه ، ورسول الله ﷺ يستحث راحلته فهو مغذ في المسير — إذ نزل عليه الوحي فسُرِّي [٣] عنه ، فأخذ بأذن زيد بن أرقم حتى ارتفع من مقعده عن راحلته وهو يقول : وفت [٤] أذنك ياغلام وصدق الله حديثك ! ونزل في ابن أبي « إذا جاءك المنافقون » [٥] وكان عبادة بن الصامت قبل ذلك قال لابن أبي : إيت رسول الله يستغفر لك ، فلوى رأسه معرضاً ، فقال له عبادة : والله لينزلن في لي رأسك قرآن يصلى به . ومر عبادة بن الصامت بابن أبي — عشية راح رسول الله ﷺ من المريسيع ، وقد نزل فيه القرآن — فلم يسلم عليه ، ثم مر أوس بن خولي فلم يسلم عليه ، فقال : إن هذا الأمر قد تمالآ عليه . فرجعا إليه فأنباه [٦] وبكتاه بما صنع ، وبما نزل القرآن إكذاباً لحديثه ، فقال : لا أعود أبداً .

حديث عبد الله بن عبد الله بن أبي عن أبيه وخبره

وجاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي فقال : يارسول الله ، إن كنت تريد أن تقتل [٧] أبي فيما بلغك عنه

(١) الغمز باليد : النخس ، وبالعين والجفن والحاجب : الإشارة ، وبالرجل : السعي بالشر ، والغمازة : الجارية الحسنة الغمز للأعضاء (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٤١٧ .
(٢) تقحمت الدابة براكبها : شردت به ، وربما طوحت به في وهدة (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧١٢ .
(٣) سري عنه : كشف عنه .
(٤) وفت أذنه : ظهر صدقه في إخباره عما سمع ، وأوفى الله بأذنه : أظهر صدقه في إخباره عما سمعت أذنه (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ١٠٤٧ .
(٥) سورة المنافقون كلها .
(٦) في (خ) « فأنباه » .
(٧) في (خ) « يقتل » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٢ ص ٤٢١ .

قرنى به ، فوالله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا ، والله لقد علمت الخزرج ما كان فيها (١) رجل أبرّ بوالده(١) منى ، وإنى لأخشى — يارسول الله — أن تأمر غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله فأدخل النار ، وعفوك أفضل ، ومنّك أعظم . فقال رسول الله ﷺ : ما أردت قتله ، وما أمرت به ، ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا . فقال : يارسول الله ! إن أبى كانت هذه البحيرة قد اتسقوا (٢) عليه ليتوجوه ، فجاء الله بك فوضعه ورفعنا بك ، ومعه قوم يطيفون به (٣) يذكرونه أموراً قد غلب الله عليها . وقال عبد الله فى ذلك شعراً .

سير رسول الله

ولما خرجوا من المريسيع قبل الزوال لم يُنخ (٤) أحد إلا لحاجة أو لصلاة ، ورسول الله ﷺ يستحث راحلته بالسوط فى تراقيها (٥) حتى أصبحوا ، ومدّوا يومهم حتى انتصف النهار ، ثم راحوا مردين (٦) . فنزل من الند ماء يقال له بقعاء .

الريح التى أنذرت بموت كهف المنافقين رفاعة بن التابوت

وأخذتهم ريح شديدة — اشتدت إلى أن زالت الشمس ثم سكنت آخر النهار — حتى أشفقوا منها ، وسألوا رسول الله ﷺ عنها ، وخافوا أن يكون عيينة بن حصن خالف إلى المدينة ، وقالوا : لم نهج هذه الريح إلا من حدث . فقال ﷺ : ليس عليكم بأس منها ، فما بالمدينة من نقب (٧) إلا عليه ملك يحرسه ، وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها ، ولكنه مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة : فلذلك عصفت الريح . وكان موته للمنافقين غيظاً شديداً ، وهو رفاعة بن زيد بن التابوت (٨) [أحد بنى قينقاع ، وكان عظيما من عظماء يهود ، وكهفاً للمنافقين] (٩) ، مات ذلك اليوم . وكانت هذه الريح أيضاً بالمدينة حين دُفن عدو الله فسكنت .

جزع المنافقين لموته

وقال عبادة بن الصامت يومئذ لابن أبىّ : أبا حباب ! مات خليلك . قال : أى أخلائى ؟ قال : من موته فتح للإسلام وأهله ! رفاعة بن زيد (٨) بن التابوت ، قال : ياويلاه ! كان والله وكان ، وجعل يذكر . فقال له

---

(١) فى (خ) « ما كان فيهاما كان رجل » ، « بوالدى » .
(٢) البحيرة : تصغير بحرة وهى الأرض والبلدة ، واتسقوا : أجمعوا أمرهم .
(٣) أطافوا به : أحاطوا به .
(٤) فى (خ) « ينخ » . (٥) فى (خ) « مراقيها » والتراقى جمع ترقُوة ، وهى عظم يصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين ، وفى التنزيل « كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق » ٢٦ ، ٢٧ / القيامة .
(٦) ردى الفرس : رَدْياً ، ورَدَياناً : رجم الأرض بحوافره ، فى سيره وعَدْوِه (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٤٠ .
(٧) النقب : الطريق فى الجبل (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٤٢١ .
(٨) فى (خ) « زيد بن رفاعة بن التابوت » وهى رواية الواقدى ج ٢ ص ٤٢٣ ، وفى (الطبرى) ج ٢ ص ٦٠٧ « رفاعة ابن زيد بن التابوت » ، وفى (عيون الأثر) ج ٢ ص ٩٤ « رفاعة بن زيد بن التابوت » .
(٩) زيادة من المراجع السابقة .

عُبادة : — اعتصمت والله بالذَّنب الأبتر ! قال : من خبرك يا أبا الوليد بموته ؟ قال : رسول الله أخبرنا الساعة أنه مات هذه الساعة ، فأسقط فى يديه وانصرف كئيباً حزيناً . فلما دخلوا المدينة وجدوا عدوّ الله مات فى تلك الساعة .

خبر ناقة رسول الله التى فقدت ، ومقالة المنافق

وفقدت ناقة رسول الله ﷺ — القصواء — من بين الإبل وهى سارحة ، فتطلبها المسلمون فى كل وجه ، فقال زيد بن اللصيت [القينقاعى](١) وكان منافقاً : أفلا يخبره الله بمكان ناقته ! فأنكر القوم ذلك عليه ، وأسمعوه كل مكروه ، وهموا به ، فهرب إلى رسول الله ﷺ متعوذاً به وقد جاءه الوحى بما قال ، فقال — والمنافق يسمع — إن رجلاً من المنافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله وقال : ألا يخبره الله بمكانها ؟ فلعمرى أن محمداً ليخبر بأعظم من شأن الناقة ! ولا يعلم الغيب إلا الله ، وإن الله قد أخبرنى بمكانها ، وأنها فى هذا الشعب : مقابلكم ، قد تعلق زمامها بشجرة فاعمدوا عمدها . فذهبوا فأتوا بها من حيث قال رسول الله ﷺ .

حماية النقيع لخيل المسلمين

ولما مرّ رسول الله ﷺ بالنقيع (٢) رأى سعة وكلأ وغدراً (٣) كثيرة ، فأمر حاطب بن أبى بلتعة أن يحفر به بئراً ، وأمر بالنقيع أن يحمى ، واستعمل عليه بلال بن الحارث المزنى ، قال : وكم أحمى منه يارسول الله ؟ قال : أقم رجلاً صيتاً — إذا طلع الفجر — على هذا الجبل فحيث انتهى صوته ، فاحمه لخيل المسلمين وإبلهم التى يغزون عليها . قال : يارسول الله ، أفرأيت ما كان من سوائم (٤) المسلمين ؟ فقال : لا يدخلها . قال : أرأيت المرأة والرجل الضعيف يكون له الماشية اليسيرة وهو يضعف عن التحول ؟ قال : دعه يرعى .

وسبّق ﷺ يومئذ بين الخيل والإبل ، فسبقت القصواء الإبل وعليها بلال ، وسبق فرسه الظرب وعليه أبو أسيد الساعدىّ .

بدء حديث الإفك

وكان حديث الإفك (٥) . وذلك أن رسول الله ﷺ نزل منزلا ليس معه ماء ، وسقط عقد عائشة رضى الله عنها من عنقها ، فأقام ﷺ بالناس حتى أصبحوا ، وضجر (٦) الناس وقالوا : حبستنا عائشة . فضاق بذلك أبو بكر رضى الله عنه وعاتب عائشة عتاباً شديداً .

---

(١) زيادة من نسبه ، وفى (خ) اللصيب .
(٢) النقيع : من أودية الحجاز يدفع سيله إلى المدينة يسلكه العرب إلى مكة منه ، وهو نقيع الخضمات (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٠١ .
(٣) غُدر : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٤٥ .
(٤) السوائم : جمع سائمة ، وهى الإبل الراعية .
(٥) الإفك : أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء ، وقيل هو البهتان وهو الأمر الذى لا تشعر به حتى يفاجأك ، وأصله الأفك وهو القلب ، لأنه قول مأفوك عن وجهه . وأجمع المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة وإنما وصف الله تعالى ذلك الكذب بكونه إفكاً لأن المعروف من حال عائشة خلاف ذلك (التفسير الكبير للفخر الرازى) ج ٢٣ ص ١٧٢ .
(٦) فى (خ) « ضجى » .

نزول آية التيمم

ونزلت آية التيمم فقال رسول الله ﷺ : كان من قبلكم لا يصلون إلا في بيعهم وكنائسهم ، وجعلت لى الأرض طهوراً حيثما أدركتنى الصلاة . ونزلت آية التيمم طلوع الفجر ، فمسح المسلمون أيديهم بالأرض ، ثم مسحوا أيديهم إلى المناكب ظهراً وبطناً . وكانوا يجمعون مع رسول الله ﷺ بين الصلاتين فى سفره .

مسابقة رسول الله عائشة

ثم ساروا ونزلوا حوضاً دمثاً(١) طيباً ذا أراك ، فقال رسول الله ﷺ : ياعائشة ! هل لك فى السباق ؟ قالت : نعم ! فتحزمت ثيابها ، وفعل ذلك ﷺ ، ثم استبقا ، فسبق ﷺ عائشة رضى الله عنها ؛ فقال : هذه بتلك السبقة التى كنت سبقتنى . وكان جاء إلى منزل أبى بكر رضى الله عنه ، ومع عائشة شىء فقال : هلميه ! فأبت وسعت ، وسعى فى أثرها فسبقته .

خرّج أبو داود من حديث هشام بن عروة عن أبيه ، وعن أبى سلمة عن عائشة أنها كانت مع النبى ﷺ فى سفر : فسابقته فسبقته على رجلى ، فلما حملتُ اللحم سابقتُه فسبقنى ، فقال : هذه بتلك السبقة (٢) . وخرجه ابن حبان به ولفظه سابقنى النبى ﷺ فسبقته فلبثنا حتى إذا أرهقنى اللحم سابقنى النبى ﷺ فسبقنى ، فقال : هذه بتلك . وكانت هذه الغزوة قبل أن يضرب الحجاب .

تخلف عائشة ومجىء صفوان وحديث الإفك

وكان يرحل بعير عائشة رضى الله عنها أبو مُوَيْهِبَة (٣) ورجل آخر ، وكانت تقعد فى هودج(٤) ، فحمل الهودج وهو يظنها فيه — لخفة النساء يومئذ من قلة أكلهن — وساروا وقد ذهبت عائشة لحاجتها وتجاوزت العسكر ، وفى عنقها عقد من جزع ظفار (٥) فانسل من عنقها ولاتدرى به ، فرجعت تلتمسه حتى وجدته ، ثم عادت وليس فى العسكر أحد ، فاضطجعت ونامت ، فجاء صفوان بن المعطل بن ربيضة (٦) بن خزاعى بن محارب بن مرة بن فالج (٦) بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سُليم السلمى ثم الذكوانى أبو عمرو — وكان فى الساقة (٧) — فاسترجع لما رآها ، فاستيقظت وخمرت (٨) وجهها بملحفتها . فلم يكلمها ، وأناخ بعيره وولّى عنها حتى ركبته ،

(١) دَمِث المكان وغيره : سَهُل ولان (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) سنن أبى داود ج ٣ ص ٦٥ الحديث رقم ٢٥٧٨ .

(٣) فى (خ) « مويهبة » وفى (الواقدى) ج ٢ ص ٤٢٧ : « موهبة » وما أثبتناه من (ط) .

(٤) الهودج : مركب للنساء ، (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٥٤٣ .

(٥) ظَفَار : مدينة باليمن قرب صنعاء وهى التى ينسب إليها الجَزْعُ الظفارى (أى الخرز) (معجم البلدان) ج ٤ ص ٦٠ وفى (خ) « أظفار » .

(٦) فى (خ) « فالج » ، وفى (ط) « ربيضة » . ونسبه فى (الاستيعاب) ج ٥ ص ١٤٢ ترجمة رقم ١٢٢٣ : « صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعى بن محارب بن مُرَّة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سليم السُّلمى ثم الذكوانى ، يكنى أبا عمرو » .

(٧) الساقة : مؤخرة الجيش (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٦٤ .

(٨) خمّرت : غطت .

وقاد بها حتى أتى العسكر . فقال أصحاب الإفك — وكبيرهم عبد الله بن أبىّ ابن سلول — ماقالوا ، حتى بلغ ذلك رسول الله ﷺ فتغير لعائشة وهى لاتشعر ، حتى أعلمتها أم مسطح إبنة أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف بن قصى ، وكانت أمها خالة أبى بكر رضى الله عنه . فأتت أبويها لتستيقن الخبر فوجدت عندهما العلم بما قاله أهل الإفك . فبكت ليلتها حتى أصبحت .

استشارة رسول الله أصحابه فى فراق عائشة

واستشار رسول الله ﷺ علياً وأسامة فى فراق عائشة ، فقال أسامة : هذا الباطل والكذب ولانعلم إلاخيراً ، وقال علىّ لم يضيق الله عليك ، والنساء كثير ، وقد أحلّ الله لك وأطاب فطلقها وانكح غيرها . وخلا ﷺ ببريرة وسألها فقالت : هى أطيب من طيب الذهب ، والله ما أعلم عليها إلا خيراً ، والله يارسول الله لئن كانت على غير ذلك ليخبرنك الله بذلك ، إلا أنها جارية ترقد عن العجين حتى تأتى الشاة فتأكل عجينها ، وسأل زينب بنت جحش فقالت : حاشى سمعى وبصرى ، ماعلمت إلا خيراً ، والله ما أكلمها ، وإنى لمهاجرتها ، وماكنت أقول إلا الحق ، وسأل أمّ أيمن فقالت حاشى سمعى وبصرى أن أكون علمت أو ظننت بها قط إلا خيراً .

خطبة النبى فى أمر الإفك واختلاف الأوس والخزرج

ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : من يعذرنى ممن يؤذينى فى أهلى ؟ ويقولون لرجل : والله ماعلمت على ذلك الرجل إلا خيراً ، وماكان يدخل بيتاً من بيوتى إلا معى . ويقولون عليه غير الحق ! فقام سعد بن معاذ فقال . أنا أعذرك منه يارسول الله ؛ إن يك من الأوس آتيك برأسه ، وإن يك من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك نمضى لك . فقام سعد بن عبادة — وقد غضب منه — فقال : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر (١) على قتله . فقال أسيد بن حضير : كذبتَ ، والله لنقتلنه وأنفك راغم . وكادت تكون فتنة ؛ فأشار رسول الله ﷺ بيده إلى الأوس والخزرج أن اسكتوا . ونزل عن المنبر ، فهدّأهم وخفضهم حتى انصرفوا .

دخول رسول الله على عائشة وحديثهما

ودخل على عائشة — وقد مكث شهراً قبل ذلك لايوحى إليه فى شأنها — فتشهد ثم قال : أما بعد ياعائشة ، فإنه بلغنى كذا وكذا ، فإن كنت بريئة يبرئك الله ، وإن كنت ألممت بشىء مما يقول الناس فاستغفرى الله عز وجل ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . فقالت لأبيها : أجب عنى رسول الله . قال : والله ما أدرى ما أقول وما أجيب به عنك ! فقالت : لأمها : أجيبى عنى . فقالت والله ما أدرى ما أجيب به فقالت إنى والله قد علمت أنكم سمعتم بهذا الحديث ، فوقع فى أنفسكم فصدقتم به ! فلئن قلت لكم إنى بريئة (٢) لاتصدقونى ؛ ولئن اعترفت لكم بأمر يعلم الله أنى منه بريئة لتصدقننى . وإنى والله ما أجد لى مثلا إلا أبا يوسف إذ يقول : « فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » (٣) ، فقال أبو بكر رضى

(١) فى (خ) « تقتله ولا تقدر » .

(٢) فى (خ) « برية » .

(٣) آية ١٨ / يوسف .

الله عنه : ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر ، والله ماقيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا نعبد (١) الله ، فيقال لنا فى الاسلام ! وأقبل عليها مغضباً فبكت .

نزول القرآن ببراءة عائشة

فتشى رسول الله ﷺ ، ما كان يغشاه وسجى (٢) بثوبه ، وجعلت وسادة من أدم تحت رأسه ، ثم كشف عن وجهه وهو يضحك ويمسح جبينه وقال : ياعائشة ، إن الله قد أنزل براءتك . فأنزل الله تعالى : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » (٣) فخرج ﷺ إلى الناس مسروراً . فصعد المنبر وتلا على الناس ما نزل عليه فى براءة عائشة رضى الله عنها ويقال : كان نزول براءة عائشة رضى الله عنها بعد قدومهم المدينة بسبع وثلاثين ليلة .

أصحاب الإفك

وكان الذين خاضوا فى الإفك مع ابن أبي : مسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، فضربهم رسول الله ﷺ الحد . قال الواقدى : وقيل لم يضربهم (٤) ، وهو أثبت .

إصلاح رسول الله بين الأوس والخزرج

ومكث رسول الله ﷺ أياماً ، ثم أخذ بيد سعد بن معاذ فى نفر حتى دخل على سعد بن عبـادة ومن معه ، فتحدثوا ساعة ، وقرب لهم سعد بن عبادة طعاماً فأصابوا منه وانصرفوا فمكث أياماً ، ثم أخذ بيد سعد بن عبادة ونفر معه ، فانطلق به حتى دخل منزل سعد بن معاذ ، فتحدثوا ساعة ، وقرب لهم سعـد بن معاذ طعاماً — فأصابوا [منه] (٥) ، ثم خرجوا ، فذهب من أنفسهم ما كانا تقاولا من ذلك القول .

---

(١) فى (خ) « لا يعبد » .

(٢) سُجّى : غُطّى .

(٣) آية ١١ / النور وفى (خ) إلى قوله : « عصبة منكم » .

(٤) « قال الماوردى وغيره : اختلفوا هل حدّ النبى ﷺ أصحاب الإفك ؛ على قولين : أحدهما أنه لم يحد أحداً من أصحاب الإفك لأن الحدود إنما تقام بإقرار أو بينة ، ولم يتعبده الله أن يقيمها بإخباره عنها ؛ كما لم يتعبده بقتل المنافقين ، وقد أخبره بكفرهم » .

« قلت : وهذا فاسد مخالف لنص القرآن ؛ فإن الله عز وجل يقول : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء » أى على صدق قولهم « فاجلدوهم ثمانين جلدة » .

« والقول الثانى : أن النبى ﷺ حد أهل الإفك عبد الله بن أبي ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ؛ وفى ذلك قال شاعر من المسلمين :

لقد ذاق حسانُ الذى كان أهله … وحمنةُ إذ قالوا هجيراً ومِسْطَحُ
وابن سلول ذاق فى الحـد خزيه … كما خاض فى إفك من القول يُفْصِح

« قلت : المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذى حُدّ حسان ومسطح وحمنة ولم يسمع بحد لعبد الله بن أبيّ » .

راجع (الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ) ص ٤٥٩٢ .

(٥) زيادة للسياق .

مقالة عبد الله بن أبي فى جعيل بن سراقة

وكان عبد الله بن أبي ابن سلول [وسلول أمه ، وإنما هو أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم ابن غنم بن عمرو بن الخزرج] لما قال — وذكر جعيل بن سراقة الغفارى . ويقال الضمرى ، وجهجاه بن مسعود ؛ ويقال : ابن سعيد بن حرام بن غفار الغفارى ، وكانا من فقراء المهاجرين — قال : ومثل هذين يكثّر على قومى ، وقد أنزلنا محمداً فى ذروة كنانة وعزها ؟ والله لقد كان جعيل يرضى أن يسكت فلا يتكلم ، فصار اليوم يتكلم !

مقالته فى صفوان

ثم كان من كلامه — فى صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن فالج (١) بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة (١) بن سُليم السلمىّ — ما كان ، ورميه بالإفك . قال حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو ابن زيد مناة بن عُدَىّ بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصارى رضى الله عنه :

أمسى الجلابيبُ قد عـزّوا وقد كثروا … وابن الفريعة أمسى بيضة البـلد (٢)

وفى أبيات أخر .

خبر صفوان بن المعطل فى ضرب حسان بن ثابت

فجاء صفوان بن المعطل — بعدما قدموا المدينة — إلى جعيل بن سراقة فقال : انطلق بنا نضرب حسان ، فوالله ما أراد غيرك وغيرى ؛ ولنحن أقرب إلى رسول الله منه ، فأبى جعيل أن يذهب إلا بأمر رسول الله ﷺ وخرج صفوان مصلتاً بالسيف ، حتى ضرب حسان بن ثابت فى نادى قومه . فوثب الأنصار فأوثقوه رباطاً ، وولى ذلك منه ثابت بن قيس بن شماس [بن زهير] (٣) بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر الأنصارى — فمرّ به عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارى (٤) فخلّى عنه . وجاء به وبحسان إلى رسول الله ﷺ ، فقال حسان . يارسول الله شهر على السيف فى نادى قومى ، ثم ضربنى لأنْ أموتَ أو أرانى إلا ميتاً من جراحاتى ! فقال [ﷺ] (٥) لصفوان : ولم ضربته وحملت السلاح عليه ؟ وتغيظ ﷺ . فقال يارسول الله . آذانى وهجانى وسَفَهَ علىّ (٦) وحسدنى على الإسلام ! فقال لحسان . أسفهت على قوم أسلموا ؟ .

---

(١) فى (خ) « فالج » ، « بهثة » ، وسبق تصويب نسبه من الاستيعاب تحت رقم ١٢٢٣ .

(٢) وفى (ديوان حسان) ص ١٦٠ :

« أمسى الخلابيسُ قد عزُّوا وقد كثروا » .

والخلابيس : الذين يأتون من هاهنا ومن هاهنا ، ولم يُعرف لها واحد .

(٣) زيادة من نسبه .

(٤) فى (خ) : كرر الناسخ من قوله « فمر به عمارة . . » إلى قوله : « بن النجار الأنصارى » ، و (خ) بعده « وجاء به وثابت » . وفى (الواقدى) « ثم جاء به وبثابت » ج ٢ ص ٤٣٦ .

(٥) من السفاهة .

حبس صفوان وما كان من أمر سعد فى إطلاقه

ثم قال : احبسوا صفوان ؛ فإن مات حسان فاقتلوه به . فخرجوا بصفوان ؛ وبلغ ذلك سعدَ بن عُبادة ، فأقبل على قومه من الخزرج فقال : عمدتم إلى رجل من رسول الله تؤذونه ، وتهجونه بالشعر ، وتشتمونه ، فغضب لما قيل له ، ثم أسرتموه أقبح الأسر ورسول الله بين أظهركم ؟ قالوا : فإن رسول الله ﷺ أمرنا بحبسه وقال : إن مات صاحبكم فاقتلوه . قال سعد : والله إن أحبَّ الأمرين إلى رسول الله العفو ، ولكن رسول الله قد قضى لكم بالحق ، وإن رسول الله ليحب أن يترك صفوان ، والله لا أبرحُ حتى يطلق . فقال حسان : ما كان لى من حق فهو لك . وأتى قومه ، فغضب قيس بن سعد [بن عبادة] (١) وقال : عجباً لكم ! ما رأيت كاليوم ! إن حسان قد ترك حقه وتأبون أنتم ؟ ماظننت أحداً من الخزرج يردُّ أبا ثابت فى أمر يهواه : فاستحيا القوم وأطلقوا صفوان من الوثاق فذهب به سعد إلى بيته فكساه حلة ؛ ثم خرج به إلى المسجد ليصلى فيه ، فرآه رسول الله ﷺ فقال : صفوان ؟ قالوا : نعم يارسول الله ! قال : من كساه ؟ قالوا : سعد بن عبادة قال : كساه الله من ثياب الجنة .

عفو حسان عن حقه قبل صفوان

ثم كلّم حسان حتى أقبل فى قومه إلى رسول الله ﷺ وقال : يارسول الله ، كل حق لى قِبَل صفوان بن معطل فهو لك ، قال أحسنتَ وقبلتُ ذلك . وأعطى حسان أرضاً براحاً (٢) وهى بيرحا ، وسيرين أخت مارية . وأعطاه سعد بن عبادة حائطاً كان يجدُّ (٣) مالا كثيراً ، عوضاً بما عفا عن حقه ، ويروى أن حسان — لما حبس صفوان — أرسل إليه رسول الله ﷺ فقال : ياحسان أحسن فيما أصابك فقال : هو لك يارسول الله ! فأعطاه بيرَحا (٤) وسيرين (٥) عوضاً .

خبر عبد الله بن رواحة وطروق أهله ليلا حتى رابه ما رابه

وكان جابر بن عبد الله رفيقَ عبدالله بن رواحة فى غزوة المريسيع ، فأقبلا حتى انتهيا إلى وادى العقيق فى وسط الليل ، والناس معرّسون ، فتقدم ابن رواحة إلى المدينة فطرق أهله ، فإذا مع امرأته إنسان طويل . فظن أنه رجل ، وندم على تقدّمه . واقتحم البيت رافعاً سيفه يريد أن يضربهما ، ثم فكر وادكر ، فغمز امرأته برجله فاستيقظت

(١) زيادة للإيضاح
(٢) فى (خ) « أرض أبراحا » .
(٣) جدّ النخل : قطع ثمره (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٠٩ .
(٤) فى (خ) « براحا » .
(٥) أخت مارية القبطية أم إبراهيم ولد رسول الله ﷺ وفى (المغازى) ج ٢ ص ٤٣٨ وما بعدها : وحدثنى سعيد بن أبى زيد الأنصارى قال : حدثنى من سمع أبا عبيدة بن عبد الله بن زمعة الأسدى يخبر أنه سمع حمزة بن عبد الله بن عمر أنه سمع عائشة رضى الله عنها تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : حسان حجاز بين المؤمنين والمنافقين ، لا يحبه منافق ولا يبغضه مؤمن : وقال حسان يمدح عائشة رضى الله عنها .

حصان رزان لا تُزَنُّ بريبة … وتُصبح غرثى من لحوم الغوافل
فإن كان ما قد جاء عنى قُلتُه … فلا رفعتْ سوطى إلىّ أناملى

والغرثى : الجائعة ، والغوافل : جمع غافلة ، والمعنى أنها كافة عن أعراض الناس .

وصاحت ، فقال : أنا عبد الله ، فمن هذا ؟ قالت هى رحيلة (١) سمعنا بقدومكم (٢) فدعوتها تمشّطنى فباتت عندى . فبات وأصبح ، فخرج يلقى (٣) رسول الله ﷺ وهو سائر بين أبى بكر الصديق . وبشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس ابن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصارى رضى الله عنهما ، فالتفت ﷺ إلى بشير فقال : يا أبا النعمان ، إن وجه عبد الله ليخبرك أنه كره طروق أهله . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال رسول الله : خبرك يا ابن رواحة !

النهى عن طروق النساء ليلا

فأخبره فقال ﷺ : لا تطرقوا النساء ليلا . فكان ذلك أول مانهى عنه رسول الله ﷺ .

وكان قدومه ﷺ من المريسيع إلى المدينة لهلال رمضان ، فغاب شهراً إلا ليلتين .

الخلاف فى تاريخ غزوة بنى المصطلق

تنبيه : قد اختلف فى غزوة المريسيع . فذهب الواقدىّ — كما تقدم — إلى أنها كانت فى شعبان سنة خمس وقال ابن إسحق فى شعبان من السنة السادسة وصححه جماعة . وفيه إشكال ، فإنه وقع فى الصحيحين وغيرهما أن المقاول لسعد بن عبادة سعد بن مُعاذ ، كما تقدم عند خطبة رسول الله ﷺ بسبب أهل الإفك . ولا يختلف أحد فى أن سعد بن معاذ مات إثر قريظة ، وقد كانت عقب الخندق ، وهى فى سنة خمس على الصحيح . ثم حديث الإفك لا يشك أحد من علماء الآثار أنه فى غزوة بنى المصطلق هذه ، وهى غزوة المريسيع ، وقد اختلف الناس فى الجواب عن هذا . فقال موسى بن عقبة — فيما حكاه البخارى عنه (٤) — إن غزوة المريسيع كانت فى سنة أربع ، وهذا خلاف الجمهور . ثم فى الحديث ماينفى ماقال : لأنها قالت : « وذلك بعد ما نزل الحجاب » ، ولا خلاف أن الحجاب نزل صبيحة دخول رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش ، وقد سأل ﷺ زينب عن شأن عائشة فى ذلك فقالت : « أحمى سمعى وبصرى ، قالت عائشة : « وهى التى كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ » . وقد ذكر علماء الأخبار أن تزويجه ﷺ بزينب كان فى ذى القعدة سنة خمس ، فبطل ماقال موسى بن عقبة ، ولم ينحل الإشكال . وقال ابن إسحاق : إن المريسيع كانت فى سنة ست ، وذكر فيها حديث الإفك ، إلا أنه قال عن الزهرى ، عن عبيد الله ابن عبد الله [بن عتبة] (٥) ، عن عائشة . فذكر الحديث — قال : فقام أسيد بن الحضير فقال : أنا أعذرك منه ، ولم يذكر سعد بن معاذ .

قال الحافظ أبو محمد علىّ بن (٦) أحمد بن سعيد بن حزم : وفى مرجع الناس من غزوة بنى المصطلق قال أهل الإفك ماقالوا ، وأنزل الله تعالى فى ذلك من براءة عائشة رضى الله عنها ما أنزل . وقد روينا من طرق صحاح أن سعد ابن معاذ كانت له فى شىء من ذلك مراجعة مع سعد بن عُبادة . وهذا عندنا وهم (٧) ، لأن سعد بن معاذ مات إثر

(١) اسم امرأة كانت معها .
(٢) فى (خ) « تقدمكم » .
(٣) فى (خ) « تلق » .
(٤) صحيح البخارى ج ٣ ص ٣٧ .
(٥) زيادة للبيان من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٨٧ .
(٦) فى (خ) « باب » .
(٧) الوَهَم بالتحريك : الغلط .

فتح بني قريظة بلا شك . وفتح بني قريظة فى آخر ذى القعدة من السنة الرابعة من الهجرة ، وغزوة بنى المصطلق فى شعبان من السنة السادسة — بعد سنة وثمانية أشهر من موته ، وكانت المقاولة بين الرجلين المذكورين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة وذكر ابن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، وغيره ، أن المقاول لسعد عبادة إنما كان أسيد بن الحضير ، وهذا هو الصحيح ، والوهم لم يعر (١) منه أحد من بنى آدم . والله أعلم .

غزوة الخندق

ثم كانت غزوة الخندق : وتسمى الأحزاب . وهى الغزاة التى ابتلى الله سبحانه فيها عباده المؤمنين وزلزلهم ، وثبت الإيمان فى قلوب أوليائه ، وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق وفضحهم وقرّعهم . ثم أنزل تعالى نصره ونصر عبده . وهزمَ الأحزاب ، وأعز جنده ، ورد الكفرة بغيظهم ، ووقى المؤمنين شر كيدهم ، وحرم عليهم شرعاً وقدراً أن يغزوا المؤمنين بعدها ، بل جعلهم المغلوبين ، وجعل حزبه هم الغالبين بمنّه وفضله .

بدؤها

وكان من خبرها : أن رسول الله ﷺ عسكر يوم الثلاثاء ثمان مضت من ذى القعدة سنة خمس ، وقيل : كانت فى شوال منها ، وقال موسى بن بن عقبة : كانت فى سنة أربع ، وصحّحه ابن حزم . وقال ابن إسحاق فى شوّال سنة خمس ، وذكرها البخارى قبل غزوة ذات الرقاع (٢) . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم

سببها

وسبب ذلك أنه ﷺ لما أجلى بنى النضير ساروا إلى خيـبر ، وبها من يهود قوم أهل عدد وجلد ، وليست لهم من البيوت والأحساب ما لبنى النضير فخرج [سلام بن أبي الحقيق ، و] (٣) حيي بن أخطب ، وكنانة ابن أبي الحقيق ، وهوذة بن قيس الوائلى : من الأوس ، وأبو عامر الراهب (٤) . فى بضعة عشر رجلا إلى مكة يدعون قريشاً وأتباعها إلى حرب رسول الله ﷺ . فقالوا لقريش : نحن معكم حتى نستأصل محمداً ، جئنا لنحالفكم على عداوته وقتاله . فنشطت قريش لذلك ، وتذكروا أحقادهم ببدر ، فقال أبو سفيان : مرحباً وأهلا : أحبُّ الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد .

تعاهد بطون قريش عند الكعبة على قتال المسلمين

وأخرج خمسين رجلا من بطون قريش كلها وتحالفوا وتعاقدوا — وقد ألصقوا أكبادهم (٥) بالكعبة ، وهم

---

(١) فى (خ) « يعر » والمعنى : لم يَخْلُ ولم يبرأ . (٢) صحيح البخارى ج ٣ ص ٣٠ .

(٣) زيادة من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٧ ، وهذا الذى عليه أكثر الرواة ، ولكن المقريزى قدّم مقتل أبى رافع سلام ابن أبي الحقيق على غزوة الأحزاب فعلى هذا التقديم ليس يصحّ أن يذكر سلام بن أبى الحقيق فى عداد أصحاب الأحزاب ، لأن مقتله عند المقريزى فى سنة أربع ، وكانت الغزوة فى سنة خمس ، راجع (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٠ ومستدرك (ط) .

(٤) كذا فى (خ) ، ومكانه فى (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٧ « وأبو عمار الوائلى » .

(٥) فى (خ) « أكبادهم » وهذه عادتهم فى إعظام اليمين .

بينها وبين أستارها — : ألا يخذل بعضهم بعضاً ، ولتكونن كلمتهم واحدة على محمد ما بقى منهم رجل . ثم قال أبو سفيان يامعشر يهود : أنتم أهل الكتاب الأول والعلم ، أخبرونا عما أصبحنا [نختلف] فيه (١) نحن ومحمد ، أديننا خير أم دين محمد ؟ فنحن عمار البيت ، وننحر الكوَم ونسق الحجيج ، ونعبد الأصنام !

خبر اليهود فى نصرة المشركين

فقالت يهود : اللهم أنتم أولى بالحق منه ، إنكم لتعظمون هذا البيت ، وتقومون على السقاية ، وتنحرون البدْن ، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم ، فأنتم أولى بالحق منه . فأنزل الله تعالى فى ذلك (٢) : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » .

الخروج إلى القتال

واتعدوا لوقت وقته ، وخرجت يهود إلى غطفان ، وجعلت لهم تمر خيبر سنة إن هم نصروهم . وتجهزت قريش ، وسيرت تدعو العرب إلى نصرها ، وألبوا (٣) أحابيشهم (٤) ومن تبعهم .

الأحزاب ومنازلهم

وأتت يهود بنى سُليم فوعدوهم السير معهم ، ولم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية (٥) بن لوذان بن فزارة بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان [ويقال له ابن اللقيطة : يعنى لا تعرف له أم] (٦) الفزارىّ .

وخرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها فى أربعة آلاف ، وعقدوا اللواء فى دار الندوة ، وحمـله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس وكان معهم ألف بعير وخمسمائة بعير . ولاقتهم سُليم بمر الظهـران فى سبعمائة ، يقودهم سفيان بن عبد شمس [حليف حرب بن أمية وهو] (٧) أبو أبى

---

(١) فى (خ) « أخبرونا عما أصبحنا نحن فيه ومحمد » وهو نص (الواقدى) ج ٢ ص ٤٤٢ ، وما أثبتناه أجود ، وهو نص (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٧ وما بين القوسين زيادة منه .

(٢) الآية ٥١ / النساء ، والآيات التى نزلت فى شأنهم من أول الآية ٥١ إلى آخر الآية ٥٥ / النساء .
راجع : أسباب النزول للواحدى ص ١١٤ و ١١٥ .

(٣) فى (خ) « والبوا » .

(٤) نسبة إلى حُبْشِىّ ، وهو جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك ، يقال به سُميت أحابيش قريش ، وذلك أن بنى المصطلق وبنى الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده وحالفوا قريشاً وتحالفوا بالله : إنا ليد واحدة على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار ، وما رسا حبشى مكانه (معجم البلدان) ج ٢ ص ٢١٤ .

(٥) فى (خ) « جوية » .

(٦) كذا فى (خ) ، وهو خطأ ، وصوابه : من هامش (ط) ص ٢١٨ . « ان اللقيطة هى أم حصن بن حذيفة بن بدر وإخوته وهم خمسة ، واسمها « نضيرة بنت عُصيم بن مروان بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدىّ بن فزارة » ، ويقال فى خبر تلقيبها باللقيطة أخبار ، أجودها أن حذيفة بن بدر التقطها فى جوار قد أضرت بهنّ السنةُ الجدب ، فضمها إليه ، ثم أعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها » .

(٧) زيادة للبيان من (ابن سعد) ج ٢ ص ٦٦ .

الأعور السلمي الذي كان مع معاوية ابن أبي سفيان بصفين . وكان أبو سفيان بن حرب قائد جيش قريش وخرجت بنو أسد وقائدها طليحة بن خويلد الأسدي . وخرجت بنو فزارة في ألف يقودهم عيينة بن حصن . وخرجت أشجع في أربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة بن عائذ بن مالك بن حبيب بن نبيح بن ثعلبة بن قنفذ بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث (١) بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان (٢) [وقال ابن إسحق : هو مسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة (٣) بن عبد الله بن هلال بن هلال بن أشجع] . وخرجت بنو مرة في أربعمائة يقودهم الحارث [بن عوف] (٤) بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف [بن سعد] (٤) بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ؛ وقيل لم يحضر بنو مرة . وكانوا جميعاً عشرة آلاف . [وأقبلت قريش في أحابيشها ومن تبعها من بني كنانة] (٥) حتى نزلت وادي العقيق ، ونزلت غطفان بجانب أحد ومعها ثلاثمائة فرس فسرحت قريش ركابها في عضاة (٦) وادي العقيق ، ولم تجد لخيلها هناك شيئاً إلا ما حملت من علفها ، وهو الذرة ، وسرّحت غطفان إبلها إلى الغابة في أثلها وطرفائها (٧) . وكان الناس قد حصدوا زرعهم قبل ذلك بشهر ، وأدخلوا حصادهم وأتبانهم . وكادت خيل غطفان وإبلها تهلك من الهزال ، وكانت المدينة إذ ذاك جديبة .

مشورة رسول الله حين بلغه خبر خروج الأحزاب وإشارة سلمان بحفر الخندق

وكانت خزاعة عندما خرجت من مكة : أتى ركبهم رسول ﷺ — في أربع ليال — حتى أخبروه ، فندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم : أيبرز من المدينة ، أم يكون فيها ويخندق عليها ، أم يكون قريباً والجبل وراءهم ؟ فاختلفوا . وكان سلمان الفارسيّ يرى رسول الله ﷺ يهم بالمقام بالمدينة — ويريد (٨) أن يتركهم حتى يردوا ، ثم يحاربهم على المدينة وفي طرقها — فأشار بالخندق فأعجبهم ذلك ، وذكروا يوم أحد فأحبوا الثبات في المدينة . وأمرهم رسول الله ﷺ بالجد ، ووعدهم النصر إن هم صبروا واتقوا وأمرهم بالطاعة .

خبر حفر الخندق

وركب فرساً له — ومعه عدة من المهاجرين والأنصار — فارتاد موضعاً ينزله ، وجعل سلعاً (٩) خلف ظهره وعمل في [حفر] (١٠) الخندق لينشطهم ، وندب الناس وخبّرهم بدنو عدوهم ، وعيّن حفر الخندق في المراد (١١)

---

(١) في (خ) « رأيث » . (٢) في (خ) « غيلان » .

(٣) في (خ) (سحة) والتصويب من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٨ .

(٤) زيادة من نسبه .

(٥) زيادة للبيان (ابن هشام) ج ٣ ص ١٣١ بتصرف .

(٦) العضاهُ : كل شجر له شوك (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٠٧ .

(٧) الأثل : شجر من الفصيلة الطرفاوية طويل مستقيم يُعمَّر جيد الخشب كثير الأغصان (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٦ . والطرفاء : جنس من النبات منه أشجار وجنبات من الفصيلة الطرفاوية ومنه الأثل (المرجع السابق) ج ٢ ص ٥٥٥ .

(٨) هذا الحرف في (خ) يُقرأ مابين « يريد » ، « يدبر » والأقرب للمعنى ما أثبتناه .

(٩) سلع جبل قرب المدينة (معجم البلدان) ج ٣ ص ٢٣٦ .

(١٠) زيادة للإيضاح . (١١) في (خ) « المزاد » .

وعسكر بهم إلى سفح سلع ، فتبادر المسلمون في العمل ، وقد استعاروا من بني قريظة آلة كثيرة — من مساحي وكرازين ومكاتل (١) — للحفر في الخندق . ووكل ﷺ بكل جانب من الخندق قوماً يحفرونه . وكان الشباب ينقلون التراب ، ويخرج المهاجرون والأنصار في نقل التراب وعلى رؤوسهم المكاتل ، ويرجعون بها بعد إلقاء التراب منها وقد ملأوها حجارة من جبل سلع : وهي أعظم سلاحهم ، يرمون بها .

وكان رسول الله ﷺ يحمل التراب في المكاتل والقوم يرتجزون (٢) ، ورسول الله ﷺ يقول :

هـذا الجمـال لا جمال خيـبر هـذا أبر ربنـا وأطهـر

أخبار المسلمين يوم حفر الخندق

وجعل المسلمون إذا رأوا من الرجل فتوراً ضحكوا منه . وتنافس الناس في سلمان الفارسي . فقال المهاجرون : سلمان منا — وكان قوياً عارفاً بحفر الخنادق — وقالت الأنصار ، هو منا ونحن آخرته (٣) . فقال ﷺ : سلمان منا أهل البيت . ولقد كان يعمل عمل عشرة رجال حتى عانه (٤) قيس بن أبي صعصعة فلُبط به (٥) فقال ﷺ : مروه فليتوضأ وليغتسل به ، ويكفأ الإناء خلفه ؛ ففعل فكأنما حل من عقال . وجعل لسلمان خمس أذرع طولا وخمساً في الأرض ففرغها وحده وهو يقول : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة . وحفر رسول الله ﷺ وحمل التراب على ظهره . وفي حديث سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي : أنه عليه السلام حين ضرب في الخندق قال :

بسـم الله وبه هدينـا ولو عبـدنا غيره شقينـا
حبـذا ربـا وحبذا دينـا (٦)

وكان بنو سلمة ناحية يحفرون ويرتجزون . فعزم رسول الله ﷺ على كعب بن مالك ألا يقول شيئاً ، وعزم على حسان بن ثابت ، وقال : لا يغضب أحد مما قاله صاحبه ، لا يريد بذلك سوءاً ، إلا ما قال كعب وحسان فإنهما يجدان ذلك (٧) .

---

(١) المساحي والكرازين والمكاتل : المجارف والفؤوس والقفف .

(٢) ترتجزون : يترنمون بالرّجز من أوزان الشعر .

(٣) في (خ) « إخوته » ، وآخرته : آخر من نزل بهم بعد طوائف البلاد .

(٤) عانه : أصابه بالعين من الحسد (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٤١ .

(٥) لُبط به : سقط على الأرض من قيام (المرجع السابق) ص ٨١٣ .

(٦) قال محقق (ط) : « هذا كلام لم أجده فيما بين يدي من أصول الكتب ، ولا أدري ما هو » ونقول : روى ابن كثير في (البداية والنهاية) ج ٤ ص ٩٦ ، ص ٩٧ ما نصه :

« وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان (بسنده) عن أبي عثمان عن سلمان أن رسول الله ﷺ ضرب في الخندق وقال :

بسم الله وبـه هُدينـا ولو عبـدنا غـيره شقينا
يا حبـذا ربـاً وحب دينا

قال : وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

(٧) قال محقق (ط) :

تغيير اسم جعيل وتسميته عمراً

وكان جعيل بن سُراقة رجلاً صالحاً ، وكان ذميما قبيحاً ، وكان يعمل فى الخندق ، فغير رسول الله ﷺ إسمه يومئذ وسماه عمراً ، وجعل المسلمون يرتجزون ويقولون :

سمـــاه من بعد جعيل عمراً وكان للبـــائس يوماً ظهراً

سبب النهى عن أن يروّع المسلم أو يؤخذ سلاحه

وكان زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى فيمن ينقل التراب فقال رسول الله ﷺ : أما إنه نعم الغلام ! وغلبته عيناه فنام فى الخندق — وكان القرّ شديداً — فأخذ عمارة بن حزم سلاحه وهو لا يشعر ، فلما قام فزع . فقال له رسول الله ﷺ : يا أبا رقاد ! نمت حتى ذهب سلاحك ! ثم قال : من له علم بسلاح هذا الغـــلام ؟ فقال عمارة : يارسول الله ، هو عندى . فقال ! فرده عليه . ونهى أن يروع المســلم ، و [لا] (١) يوخذ متاعه [جاداً ولا] (١) لاعباً .

ولم يتأخر عن العمل فى الخندق أحد من المسلمين ، وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ينقلان التراب ثيابهما من العجلة ، إذ (٢) لم يجدا مكاتل — لعجلة المسلمين — ، وكانا لا يتفرقان فى عملٍ ولا مسيرٍ ولا منزل . وقال رسول الله ﷺ وهو يعمل فى الخندق .

اللهم لولا أنت ما اهتـــدينا ولا تصـــدقنا ولا صلينـــا
[فأنزلن سكينة علينـــا وثبت الأقدام إن لاقينا] (٣)
[إن الألى قد بغـوا علينـــا وإن أرادوا فتنة أبينا] (٣)

يردد ذلك .

خبر نبوءته عن الفتوح يوم حفر الخندق

وضرب بالكرزين فصادف حجراً فصلّ (٤) الحجر ، فضحك رسول الله ﷺ ، فقيل : ممّ تضحك يا رسول

= « هذا خبر نص مضطرب ، ولم أعرف أصله ولا كيف ساقه » وأقول : روى (الواقدى) فى (المغازى) ج ٢ ص ٤٤٧ ما نصه :

« وحدثنى أيوب بن النعمان عن أبيه عن جده ، عن كعب بن مالك قال : جعلنا يوم الخندق نرتجز ونحفر ، وكنا — بنى سلمة — ناحية ، فعزم رسول الله ﷺ علىّ ألا أقول شيئاً ، فقلت : هل عزم على غيرى ؟ قالوا : حسان بن ثابت قال : فعرفت أن رسول الله ﷺ إنما نهانا لوجدنا له وقلته على غيرنا ، فما تكلمت بحرف حتى فرغنا من الخندق . وقال رسول الله ﷺ يومئذ : لا يغضب أحدٌ مما قال صاحبه ، لا يريد بذلك سوءاً ، إلا ما قال كعب وحسّان ، فإنهما يجدان ذلك » .

والظاهر لنا أن المقريزى قد اختصر رواية الواقدى اختصاراً أخلّ بمعناها ، والله تعالى أعلم .

(١) زيادة للسياق من (الإصابة) ج ٤ ص ٤٢ عند ترجمة زيد بن ثابت برقم ٢٨٧٤ ونصّ (الواقدى) ج ٢ ص ٤٤٨ : « ونهى رسول الله ﷺ أن يُروّع المسلم أو يُؤخذ متاعه لاعباً جاداً » والقرّ : البرد .
قال فى (النهاية) ج ١ ص ٢٤٥ : « أى لا يأخذه على سبيل الهزل ثم يحبسه ، فيصير ذلك جداً » .

(٢) فى (خ) « إذا » . (٣) زيادة من (البخارى) ج ٣ ص ٣٢ .

(٤) صلّ الحجر : صوّت صوتاً ذا رنين (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٢٠ .

الله ؟ قال : أضحك من قوم يؤتى بهم من المشرق فى الكبول (١) ، يساقون إلى الجنة وهم كارهون . وضرب عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بالمعول فصادف حجراً صلداً ، فأخذ رسول الله ﷺ منه المعول فضرب ضربةً فذهبت أولها برقة إلى اليمن ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة إلى الشأم ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة نحو المشرق ، وكسر الحجر عند الثالثة فقال ﷺ : إنى رأيت فى الأولى قصور اليمن ، ثم رأيت فى الثانية قصور الشأم ، ورأيت فى الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن . وجعل يصفه لسلمان فقال : صدقت ! والذى بعثك بالحق إن هذه لصفته ! وأشهد أنك رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدى ، يا سلمان لتفتحن الشأم ويهرب هرقل إلى أقصى مملكته ، وتظهرون على الشأم ولا ينازعكم أحد ، ولتفتحن اليمن ، ولتفتحن هذا المشرق ويقتل كسرى فلا يكون كسرى بعده .

ولما كمل الخندق صارت المدينة كالحصن ورفع المسلمون النساء فى الآطام والصبيان .

البركة فى طعام جابر

ورأى جابر بن عبد الله رضى الله عنه رسول الله ﷺ يحفر ، ورآه خميصاً (٢) ، فأتى امرأته فأخبرها ما رأى من خَمَص رسول الله ﷺ فقالت : والله ما عندنا شىء إلا هذه الشاة ومدّ من شعير ، قال : فاطحنى وأصلحى . فطبخوا بعضها ، وشووا بعضها ، وخبزوا الشعير ، ثم أتى جابر رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! قد صنعت لك طعاماً فأت أنت ومن أحببت من أصحابك فشبّك ﷺ أصابعه بين أصابع جابر ثم قال : أجيبوا جابراً يدعوكم فأقبلوا معه ، فقال جابر فى نفسه ، والله إنها الفضيحة ! وأتى المرأة فأخبرها فقالت : أنت دعوتهم أو هو ؟ فقال : بل هو دعاهم ! قالت دعهم فهو أعلم . وأقبل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه ، وكانوا فرقاً : عشرة عشرة . ثم قال لجابر : اغرفوا وغطوا البرمة ، وأخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه . ففعلوا وجعلوا ، يغرفون ويغطون البرمة ثم يفتحونها فما يرونها (٣) نقصت شيئاً ، ويخرجون الخبز من التنور ويغطونه فما يرونه ينقص شيئاً . فأكلوا حتى شبعوا ، وأكل جابر وأهله (٤) .

عرض الغلمان وإجازتهم

وعرض رسول الله ﷺ الغلمان وهو يحفر الخندق ، فأجاز من أجاز وردّ من ردّ . فكان ممن أجاز (عبد الله) (٤) بن عمر (بن الخطاب) (٥) ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وما منهم إلا ابن خمس عشرة سنة وكان الغلمان الذين لم يبلغوا يعملون معه ثم أمرهم (٦) فرجعوا إلى أهليهم .

عدة المسلمين يوم الخندق

وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، وزعم ابن إسحاق أنه إنما كان فى سبعمائة ، وهذا غلط . وقال ابن حزم :

(١) الكبول : جمع كَبْل : وهو القيد من أى شىء كان ، (المرجع السابق) ج ٢ ص ٧٧٤ .

(٢) يقال : خمص الجوع فلاناً : أضمته وأدخل بطنه فى جوفه فهو خميص .

(٣) فى (خ) « يرونها » .

(٤) راجع (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) ج ٨ ص ٣٠٢ باب معجزته ﷺ فى الطعام وبركته فيه .

(٥) زيادة للإيضاح . (٦) فى (خ) « أمرهم » .

وخرج رسول الله — يعني في الخندق — في ثلاثة آلاف ، وقد قيل في تسعمائة فقط ؛ وهو الصحيح الذي لا شك فيه ، والأول وهم[1] .

اجتهاد رسول الله في العمل يوم الخندق

ومن شدة اجتهاده ﷺ في العمل : كان يضرب مرة بالمعول ومرة بالمسحاة يغرف بها التراب ، ومرة يحمل التراب في المكتل ، وبلغ يوماً منه التعب مبلغاً فجلس، ثم اتكأ على حجر بشقه الأيسر فنام، فقام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على رأسه يمنعان الناس من أن يمروا به فينبهوه، ثم فزع ووثب فقال : أفلا أفزعتموني ! وأخذ الكرزين يضرب به وهو يقول : اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار[2] والمهاجرة، اللهم العن عضلاً والقارة ، فهم كلفوني أنقل الحجارة[3] . وفرغ حفر الخندق في ستة أيام .

مواقف المسلمين

وعسكر فجعل سلعاً خلف ظهره والخندق أمامه . ودفع لواء المهاجرين الى زيد بن حارثة ؛ ولواء الأنصار الى سعد بن عبادة . وضرب له قبة من أدم . وعاقب بين ثلاث من نسائه ، وكانت عائشة أياماً ؛ ثم أم سلمة ، ثم زينب بنت جحش ؛ وبقية نسائه في الآطام .

خبر حيي بن أخطب وأبي سفيان

وكان حيي بن أخطب يقول — لأبي سفيان بن حرب ولقريش في مسيرة معهم : إن قومي قريظة معكم ، وهم أهل حلقة وافرة ، وهم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلا . فلما دنوا قال له أبو سفيان : إئت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد .

عهد بني قريظة

فأتى بني قريظة — وكان رسول الله ﷺ حين قدم المدينة صالح قريظة والنضير ومن معهم من يهود ألا يكونوا معه ولا عليه ؛ ويقال : صالحهم على أن ينصروه ممن دهمه[4] ، ويقيموا على معاقلهم[5] الأولى التي بين الأوس

(١) يقول ابن القيم في (زاد المعاد) ج ٢ ص ٢٧١ : « وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فتحصن بالجبل من خلفه ، وبالخندق أمامهم » وقال ذلك أيضاً (الطبري) ج ٢ ص ٥٧٠ .

(٢) في (خ) « في الأنصار » .

(٣) يقول محقق (ط) : هكذا روى ! وقد روى الثقات ، ولم يذكروا هذا الكلام من قوله : « اللهم العن .. الخ » ، وهو كلام هالك ليس بشيء . ونقول : قوله ﷺ : « اللهم العن عضلا والقارة ، فهم كلفوني أنقل الحجارة » ذكره (ابن حجر) في (فتح الباري) ج ٧ ص ٣٩٤ هكذا :

والعن عضــلا والقــارة هم كلفونا ننقــل الحجارة

وذكره أيضا في (المطالب العالية) ج ٤ ص ٢٢٨ رقم ٤٣٣٢ .

(٤) في (خ) « دهمه منهم » وهي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٤٥٤ و ١ أثبتناه من (ط)

(٥) معاقلهم الأولى : أي الديات التي كانت في الجاهلية ، أو على مراتب آبائهم (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٢٨٧ .

والخزرج — فأتى كعب بن أسد . وكان صاحب عقد بني قريظة وعهدها[1] . فكرهت قريظة دخول حيي بن أخطب الى دارهم ، فإنه يحب الرياسة والشرف عليهم ، وكان يشبه بأبي جهل في قريش[2] . فلقيه عزال[3] بن سموأل أول الناس ، فقال له حيي : قد جئتك بما تستريح به من محمد ، هذه قريش قد دخلت وادي العقيق ، وغطفان بالزغابة ! فقال عزال[3] : جئتنا والله بذل الدهر ! فقال : لا تقل هذا ! ثم أتى كعب بن أسد فقال له : إنك امرؤ مشئوم ، وقد شأمت[4] قومك حتى أهلكتهم ، فارجع عنا ! فما زال به حيي حتى لان له ونقض العهد ، وشققوا الكتاب الذي كتب رسول الله ﷺ (بينه و) [5] بينهم ، واستدعى رؤساءهم — وهم : الزبير بن باطا ، ونباش بن قيس ، وعزال[6] بن سموأل ، وعقبة بن زيد ، وكعب بن زيد — وأعلمهم بما صنع من نقض العهد ، فلحمه[6] الأمر لما أراد الله بهم من هلاكهم .

نقض بني قريظة العهد ومجاهرتهم بالعداوة

فبينا رسول الله ﷺ في قبته ، — والمسلمون على خندقهم يتناوبونه ، معهم بضع وثلاثون فرساً . والفرسان يطوفون على الخندق — إذ جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يارسول الله : بلغني أن بني قريظة قد نقضت العهد وحاربت . فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

بعثة الزبير بن العوام لاستطلاع خبر بني قريظة وتسميته (حواري رسول الله)

وبعث الزبير بن العوام رضي الله عنه إليهم لينظر . فعاد بأنهم يصلحون حصونهم ، ويدربون[7] طرقهم وقد جمعوا ماشيتهم ، فقال ﷺ : إن لكل نبي حوارياً ، وإن حواري[8] الزبير . ثم بعث سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وأسيد بن حضير لينظروا ما بلغه عن بني قريظة وأوصاهم — إن كان حقاً — أن يلحنوا له [أي يلغزوا] لئلا[9] يفت ذلك في أعضاد المسلمين ويورث وهناً ، فوجدوهم مجاهرين بالعداوة والغدر ، فتسابوا ، ونال اليهود — عليهم لعائن[10] الله — من رسول الله ﷺ ، فسبهم سعد بن معاذ وانصرفوا عنهم . فقال رسول الله ﷺ : ما وراءكم ؟ قالوا : عضل والقارة ! [يعنون غدرهم بأصحاب الرجيع] . فكبر ﷺ وقال : أبشروا بنصر الله وعونه .

(١) في (خ) في هذا المكان « حي بن أخطب » وهو تكرار لا معنى له .

(٢) في (خ) كان يشبه في قريش بأبي جهل ، وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٤٥٥ « وله في قريش شبه أبو جهل بن هشام » وما أثبتناه من (ط) .

(٣) في (خ) « غزال »

(٤) في (خ) « شوم ، وقد شمت » .

(٥) زيادة لابد منها .

(٦) في (خ) (لجة) . ولجه الأمر : أحكمه (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨١٩ .

(٧) قد تكون من « الدُّرْبة » ، وهي الجرأة على الأمر والحرب أو من « الدَّرْب » وهو باب السكة الواسع (ترتيب القاموس ج ٢ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٨) في (خ) « حواريّ » .

(٩) في (خ) « لئن لا » .

(١٠) لعله يقصد جمع لعنة ، وفي (المعجم الوسيط) ج ٨٧٩ أنها تجمع على لعان ، ولعنات .

رعب المسلمين يوم الأحزاب

وانتهى الخبر إلى المسلمين ، فاشتدَّ الخوف وعظُم البلاء ، ونجَمَ النفاق وفشِلَ الناس : وكانوا كما قال الله تعالى « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا »[١] .

مقالة المنافقين

وتكلم قوم بكلام قبيح ، فقال معتّب بن قشَير[٢] (ويقال له ابن بشر ، ويقال له ابن بُشير) بن حليل (ويقال ابن مليل) بن زيد بن[٣] العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري : يعدنا محمد (أن نأكل)[٤] كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته ! ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً !

من أخبار يهود يوم الأحزاب

وهمت بنو قريظة أن يغيروا على المدينة ليلاً ، وبعث حيي بن أخطب إلى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل ومن غطفان ألف . فيغيروا بهم . فجاء الخبر بذلك إلى رسول الله ﷺ فعظم البلاء . وبعث سلمة بن أسلم من حريش ابن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري — في مئتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير . ومعهم خيل المسلمين ، وكانوا يبيتون بالخندق خائفين . فإذا أصبحوا أمنوا . وكان الخوف على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من الخوف من قريش وغطفان إلا أن الله الذي ردّ بني قريظة عن المدينة بأنها كانت تحرس . وبعث رسول الله ﷺ خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري لينظر غرة لبني قريظة فكمن[٥] لهم ، فحمله رجل منهم وقد أخذه النوم ، فأمكنه الله من الرجل وقتله ولحق بالنبي ﷺ فأخبره . وخرج نباش بن قيس في عشرة من اليهود يريد المدينة ، ففطن بهم نفر من أصحاب سلمة بن أسلم فرموهم حتى هزموهم ومر سلمة فيمن معه فأطاف بحصون يهود تخافوه ، وظنوا أنه البَيَات .

بنو حارثة الذين قالوا إن بيوتنا عورة

وبعث بنو حارثة بأوس بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة الأنصاري إلى رسول الله ﷺ يقولون : إن بيوتنا عورة ، وليس في دار من دور الأنصار مثل دارنا ، ليس بيننا وبين غطفان أحد يردُّهم عنَّا

(١) آية ١٠ / الأحزاب ، وفي (خ) إلى قوله تعالى « الحناجر » .
(٢) في (خ) « قريش » والتصويب من (الواقدي) جـ ٢ ص ٤٥٩ .
(٣) في (خ) بعد قوله « ابن مليل » ما نصه : « بن الأزعر العطاف » وهو خطأ ، فإن مليلا هذا هو أخو الأزعر ، وكلاهما ابنا زيد بن العطاف .
(٤) هذه رواية (ابن هشام) جـ ٢ ص ١٣٣ وفي (خ) بدون هذه الزيادة وهي رواية (الواقدي) جـ ٢ ص ٤٥٩ .
(٥) في (خ) « فأكمن » .

فأذن لنا فلنرجع إلى دورنا فنمنع ذرارينا ونساءنا . فأذن لهم ﷺ . فبلغ سعدَ بن معاذ ذلك فقال : يا رسول الله ! لا تأذن لهم ؟ إنا والله ما أصابنا وإياهم شدّةٌ قطُّ إلا صنعوا هكذا . فردهم . وقال ابن الكلبي : وأبو مليل[١] بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة شهد بدراً ، وهو الذي قال : « بيوتنا عورة » يوم الخندق . وقال ابن عبد البر : أبو مليل سليك بن الأعز[٢] .

حراسة رسول الله ثلمة يخافها من الخندق

وكان رسول الله ﷺ يختلف إلى ثلمة في الخندق يحرسها[٣] . فإذا آذاه البرد دخل قبته فأدفأته عائشة رضي الله عنها في حضنها ، فإذا دفىء خرج إلى تلك الثلمة يحرسها ويقول : ما أخشى على الناس إلا منها فبينا هو ليلة في حضن عائشة قد دفىء وهو يقول : ليت رجلا صالحاً يحرسني الليلة ، فجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال : ﷺ ، عليك بهذه الثلمة فاحرسها . ونام ، وقام ﷺ ليلته في قبته يصلي ، ثم خرج فقال : هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ! ثم نادى : يا عباد بن بشر ، قال : لبيك ! قال : معك أحد ؟ قال : نعم ، أنا في نفر حول قبتك . فبعثه يطيف بالخندق ، وأعلمه بخيل تطيف بهم . ثم قال : اللهم ادفع عنا شرّهم وانصرنا عليهم ، واغلبهم لا يغلبهم غيرك .

نوبة المشركين عند الخندق

وكان المشركون يتناوبون بينهم : فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً ، ويغدو خالد بن الوليد يوماً ، ويغدو عمرو بن العاص يوماً ، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً ، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً ، ويغدو ضرار ابن الخطاب الفهري يوماً ، فلا يزالون يجيلون خيلهم ، ويتفرقون مرة ويجتمعون مرة أخرى ، ويناوشون المسلمين ، ويقدمون رماتهم فيرمون ، وإذا أبو سفيان في خيل يُطيفون بمضيق من الخندق ، فرماهم المسلمون حتى رجعوا .

طلب المشركين مضيقا من الخندق وردهم

وكان عباد بن بشر ألزم الناس لقبة رسول الله ﷺ يحرسها . وكان أسيد بن حُضير يحرس في جماعة ، فإذا بعمرو بن العاص في نحو المائة يريدون العبور من الخندق ، فرماهم حتى ولوا ، وكان المسلمون يتناوبون الحراسة ، وكانوا في قرٍّ شديد وجوع . وكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كثيراً ما يطلبان غرةً ، ومضيقا من الخندق يقتحمانه ، فكانت للمسلمين معهما وقائع في تلك الليالي .

شعار المهاجرين

وكان شعار المهاجرين : يا خيل الله . وجاء في بعض الليالي عمرو بن عبد [بن أبي القيس][٤] في خيل المشركين ، ومعه مسعود بن رخيلة[٥] بن نويرة بن طريف بن سحْمَة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث

(١) في (خ) « وابن مليل » والتصويب من (الإصابة) جـ ١٢ ص ٣ ترجمة رقم ١٠٧٧ حيث يقول : « وأنا أخشى أن يكون هو الذي بعده ، وقع فيه تصحيف وتحريف وجوّز ابن فتحون أن يكون هو الذي بعده » « والذي بعده » هو : أبو مليل الأزعر .
(٢) (الاستيعاب) (لابن عبد البر) جـ ١٢ ص ١٥٤ ترجمة رقم ٣١٨٦ « ابن الأغر » .
(٣) الثلمة : الموضع الذي قد انثلم أي انشق (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٩٩ .
وفي (خ) « ويحرسها » . (٤) زيادة للإيضاح ، (وهو عمرو بن عبد وُدّ بن أبي القيس) .
(٥) في (خ) (وخيله) وفي (المغازي) جـ ٢ ص ٤٦٢ (مسعود بن رُخَيلة) .

ابن غطفان فى خيل غطفان ، فرماهم المسلمون . ولبس رسول الله ﷺ درعه ومغفره ، وركب فرسه وخرج ، فصرفهم الله وقد كثرت فيهم الجراحة . فرجع ﷺ ونام ، وإذا بضرار بن الخطاب وعيينة بن حصن فى عدة ، فركب عليه السلام بسلاحه ثانيا ، فراماهم المسلمون حتى ولوا وفيهم جراحات كثيرة .

الخوف يوم الخندق وشدة البلاء

قالت أم سلمة رضى الله عنها : شهدت معه مشاهد — فيها قتال وخوف — المريسيع وخيبر ، وكنا بالحديبية، وفى الفتح ، وحنين — لم يكن من ذلك أتعبَ لرسول الله ﷺ ولا أخوف عندنا من الخندق وذلك أن المسلمين كانوا فى مثل الحرجة ، وأن قريظة لا نأمنها على الذرارى : فالمدينة تحرس حتى الصباح ، نسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا خوفاً ، حتى ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً(١) وقال محمد بن مسلمة وغيره : كان ليلنا بالخندق نهاراً . وكان المشركون يتناوبون بينهم ، فيغدو أبو سفيان بن حرب فى أصحابه يوماً ، ويغدو خالد بن الوليد يوماً ، ويغدو عمرو بن العاص يوماً ، ويغدو هبيرة بن أبي وهب(٢) يوماً ، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً ، ويغدو ضرار بن الخطاب يوماً ، حتى عظم البلاء وخاف الناس خوفاً شديداً .

رماة المشركين

وكان معهم رماة يقدمونهم إذا غدوا ، متفرقين أو مجتمعين بين أيديهم : وهم حِبّان بن العَرِقة وأبو أسامة الجشمى فى آخرين ، فتناوشوا بالنبل ساعة ، وهم جميعاً فى وجه واحد وِجاه قبة رسول الله ﷺ ، ورسول الله قائم بسلاحه على فرسه .

اصابة سعد بن معاذ وهى الإصابة التى قتلته

فرمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكحله(٣) وقال : خذها وأنا ابن العرقة ! فقال رسول الله ﷺ : عرّق الله وجهه فى النار ، ويقال : بل رماه أبو أسامة الجشمىّ .

اقتحام المشركين مضيقاً من الخندق وقتالهم وردهم

ثم أجمع رؤساء المشركين أن يغدوا جميعاً ، وجاءوا يريدون مضيقاً يقحمون خيلهم إلى النبى ﷺ حتى أتوا مكانا ضيقاً أغفله المسلمون فلم تدخله خيولهم ، ودبره عكرمة بن أبي جهل ، ونوفل بن عبد الله المخزومى ، وضرار ابن الخطاب [هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو آكل السَّقْب بن حبيب بن عمرو بن شيبان

(١) فى (خ) (لن) .

(٢) فى (خ) (بن أبي لهب) وهو خطأ محض .

(٣) الأكحل : وريد فى وسط الذراع (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧٨٠ ، وقال سعد رضى الله عنه حينئذ :

لَبِّثْ قليلا يشهد الهيجا حَمَلْ لا بأس بالموت إذا حان الأجل

راجع : (عيون الأثر) ج ٢ ص ٦٢ ، (ابن هشام) ج ٣ ص ١٣٦ ، وفى (الواقدى) ج ٢ ص ٤٦٩ (.. ما أحسن الموت إذا حان الأجل) ، وحمل : هو حمل بن سعدانة بن حارثة الكلبى .

ابن محارب(١) بن فهر بن مالك الفهرى ، أسلم يوم الفتح] ، وهبيرة بن أبي وهب ، وعمرو بن عبد — وقام سائرهم وراء الخندق ، فدعا عمرو بن عبد إلى البراز — وكان قد بلغ تسعين سنة ، وحرم الدهن حتى يثأر بمحمد وأصحابه — فأعطى رسول الله ﷺ علياً رضى الله عنه سيفه وعممه وقال : اللهم أعِنْه عليه ! فخرج له وهو راجل(٢) وعمرو فارساً ، فسخر به عمرو ، ودنا منه علىّ ، فلم يكن بأسرع من أن قتله على ، فولى أصحابه الأدبار ، وسقط نوفل بن عبد الله عن فرسه فى الخندق ، فرمى بالحجارة حتى قتل . ومرّ عمر بن الخطاب والزبير فى إثر القوم فناوشوهم ساعة ، وسقطت درع هبيرة بن أبي وهب ، فأخذها الزبير رضى الله عنه .

تعبئة المسلمين

ثم وافى المشركون سحراً ، وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه ، فقاتلوا يومهم إلى هَوِيّ من الليل : وما يقدر رسول الله ولا أحد من المسلمين أن يزولوا من موضعهم .

تخلف المسلمين عن الصلاة يوم الخندق

وما قدر ﷺ على صلاة ظهر ولا عصر ولا مغرب ولا عشاء ، فجعل أصحابه يقولون : يا رسول الله ! ما صلينا ! فيقول : ولا أنا ما صليت ! حتى كشف الله المشركين ؛ ورجع كل من الفريقين إلى منزله . وقام أسيد ابن حضير فى مائتين على شفير الخندق ؛ فكرّت خيلٌ للمشركين يطلبون غرة — وعليها خالد بن الوليد — فناوشهم ساعة ؛ فزرق وحشى الطفيل بن النعمان [وقيل الطفيل بن مالك بن النعمان](٣) بن خنساء الأنصارى بمزراقه(٤) فقتله كما قتل حمزة رضى الله عنه بأحد .

إقامة الصلاة التى شغلوا عنها

فلما صار رسول الله ﷺ إلى موضع قبته أمر بلالاً فأذن وأقام للظهر ، وأقام بعدُ لكل صلاة إقامةً ، فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها فى وقتها ، وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف ، [وذلك قوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ، فإن خفتم فرجالا أو ركباناً فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون »(٥) .

وقال يومئذ رسول الله ﷺ شغلنا المشركون عن صلاة الوسطى صلاة العصر ، ملأ الله أجوافهم وقبورهم

(٤) فى (خ) (محارب) .

(٥) راجل : على رجليه ، بغير فرس أو دابة .

(٣) قال فى (الاستيعاب) ج ٥ ص ٢٣١ ترجمة رقم ١٢٧٥ « الطفيل بن مالك بن النعمان بن خنساء ، وقيل : الطفيل بن النعمان ابن خنساء الأنصارى السلمى ، من بنى سلمة ، شهد العقبة ، وشهد بدراً ، وأحداً ، وجرح بأحد ثلاثة عشر جرحاً ، وعاش حتى شهد الخندق وقتل يوم الخندق شهيداً ، قتله وحشى بن حرب » .

« وذكر موسى بن عقبة فى البدريين : الطفيل بن النعمان بن الخنساء ، والطفيل بن مالك بن خنساء ، رجلين » .

( ) المزراق : الرمح القصير (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٩٢ .

(٥) الآيتان ٢٣٨ ، ٢٣٩ / البقرة ، وفى (خ) « قبل أن تنزل صلاة الخوف فرجالاً أو ركباناً . . . » .

ناراً . وفى حديث جابر : أن رسول الله ﷺ إنما شغل يومئذ عن صلاة العصر . وفى حديث أبى سعيد وعبد الله ابن مسعود : أنه شُغل يومئذ عن أربع صلوات ، الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وفى مرسل سعيد بن المسيب أنه شغل عن الظهر والعصر ، فاحتمل أن يكون كله صحيحاً ، لأنهم حوصروا فى الخندق وشغلوا بالأحزاب أياماً . ومثلُ حديث جابر فى ذلك حديث على رضى الله عنه ، وهو حديث ثابت من طرق عنه ، أن النبى ﷺ قال : شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر حتى غربت الشمس ، ملأ الله قلوبهم وبطونهم — أو بيوتهم — ناراً .

طلب المشركين جيفة نوفل بن عبد الله

وأرسلت بنو مخزوم يطلبون جيفة نوفل بن عبد الله : يشترونها ، وأعطوا فيها عشرة آلاف درهم ، فقال رسول الله ﷺ : إنما هى جيفة حمار ! وكره ثمنه ، فخلّى بينهم وبينه . وفى رواية أن أبا سفيان بعث بديته مائة من الإبل ، فأبى النبى ﷺ فقال : خذوه ، فإنه خبيث الدية خبيث الجثة .

اقتتال الطليعتين من المسلمين

وخرجت طليعتان من المسلمين ليلاً فالتقيا — ولا يشعر بعضهم ببعض ، ولا يظنون إلا أنهم العدو — فكانت بينهم جراحة وقتل ، ثم نادوا بشعار الإسلام ، حمٓ لا ينصرون ، فكف بعضهم عن بعض ، وجاءوا ، فقال رسول الله ﷺ : جراحكم فى سبيل الله ، ومن قتل منكم فإنه شهيد ، فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم .

خبر الفتى الذى ذهب إلى أهله

وكان رجال يستأذنون أن يطلعوا إلى أهليهم ، فيقول رسول الله ﷺ إنى أخاف عليكم من قريظة . فإذا ألحوا يقول : من ذهب منكم فليأخذ سلاحه . وكان فتى حديث عهد بعرس ، فأخذ سلاحه وذهب ، فإذا امرأته قائمة بين البابين ، فهيأ لها الرمح ليطعنها فقالت : اكفف حتى ترى ما فى بيتك ! فإذا بحية على فراشه ، فركز فيها رمحه فاضطربت ، وخر الفتى ميتاً ، فقال رسول الله ﷺ — لما أخبر بذلك — : إن بالمدينة جناً قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام(١) ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان .

جوع المسلمين وخبر البركة فى الطعام

وكان المسلمون قد أصابهم مجاعة شديدة ، وكان أهلوهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه ، فأرسلت عمرة ابنة رواحة ابنتها بحفنة تمر عجوة فى ثوبها إلى زوجها بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصارى ، وإلى أخيها عبد الله بن رواحة — فوجدت رسول الله ﷺ جالساً فى أصحابه فقال : تعالىْ يا بنية ! ما هذا معك ؟ فأخبرته ، فأخذه فى كفيه ونثره على ثوب بسط له ، وقال لجعال بن سراقة : اصرخ ، يا أهل الخندق أن هلم إلى الغداء : فاجتمعوا عليه

(١) راجع : (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى) ص ٢٦٨ — ٢٧٢ حيث ذكر هذا الخبر بتمامه .

يأكلون منه حتى صدر أهل الخندق وإنه ليفيض من أطراف الثوب . وأرسلت أم متعب(١) الأشهلية(٢) بقعبة فيها حيس(٣) إلى رسول الله ﷺ وهو فى قبته مع أم سلمة ، فأكلت حاجتها ، ثم خرج بالقعبة فنادى مناديه : هلم إلى عشائه ! فأكل أهل الخندق حتى نهلوا وهى كما هى .

موادعة عيينة بن حصن ثم نقض ذلك

وأقام ﷺ وأصحابه محصورين بضع عشرة ليلة حتى اشتد الكرب ، وقال ﷺ : اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إنك إن تشأ لا تعبد ، وأرسل إلى عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف — وهما رئيسا غطفان — أن يجعل لهما ثلث تمر المدينة ويرجعان بمن معهما ، فطلب نصف التمر ، فأبى عليهم إلا الثلث ، فرضيا . وجاءا فى عشرة من قومهما حتى تقارب الأمر ، وأحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان رضى الله عنه الصلح — وعباد بن بشر قائم على رأس رسول الله ﷺ مقنع فى الحديد — ، فأقبل أسيد بن حضير ، وعيينة مادٌّ رجليه فقال له : يا عين الهجرس(٤) ، اقبض رجليك : أتمد رجليك بين يدى رسول الله ﷺ ؟ والله لولا رسول الله لأنفذت حضنيك بالرمح ! ثم قال : يا رسول الله صلى الله عليك ، إن كان أمراً من السماء فامض له ، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف متى طمعتم بهذا منا ؟ فدعا رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما خفية ، فقالا :(٥) إن كان هذا أمراً من السماء فامض له ، وإن كان أمراً لم تؤمر فيه ولك فيه هوىً فسمع وطاعة ، وإن كان إنما هو الرأى فما لهم عندنا إلا السيف . فقال رسول الله ﷺ : إنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فقلت أرضيهم ولا أقاتلهم . فقالا : يا رسول الله ، والله إن كانوا ليأكلون العلهز(٦) فى الجاهلية من الجهد ، ما طمعوا بهذا منا قط : أن يأخذوا تمرة إلا بشراء أو قرىً ! فحين أتانا الله بك وأكرمنا بك ، وهدانا بك ، نعطى الدنية ! لا نعطيهم أبداً إلا السيف . فقال ﷺ : شق الكتاب . فشقه سعد ، فقام عيينة والحارث ، فقال ﷺ : ارجعوا ، بيننا السيف : رافعاً صوته .

خبر نعيم بن مسعود الأشجعى فى تخذيل الأحزاب

وكان نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة الأشجعى صديقاً لبنى قريظة ، وقدم مع قومه من الأحزاب

(١) كذا فى (خ) ، (ط) ، وفى (الواقدى) « أم عامر الأشهلية » .
(٢) قال محقق (ط) « لم أجد لها ترجمة ولا خبراً » !
والقول : ترجمتها فى (الاستيعاب) جـ ١٣ ص ٢٤٧ برقم ٣٠٧٦ وترجمتها فى (الإصابة) جـ ١٣ ص ٢٤٣ برقم ١٣٦٨ ، والخبر بسنده وتمامه فى (المغازى) جـ ٢ ص ٤٧٦ ، ٤٧٧ .
(٣) القعبة : حُقّة مطبقة للسويق (ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ٦٥٤ .
والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يُندر منه نواه وربما جُعل فيه سويق . (المرجع السابق) جـ ١ ص ٧٤٩ .
(٤) الهجرس : القرد والثعلب ، أو ولده ، والدب ، ويقال : فلان هجرس : لئيم (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٩٧٣ .
(٥) فى (خ) (فقال) .
(٦) العلهز : طعام من الدم والوبر كان يتخذ فى المجاعة ، ونبات ينبت ببلاد بنى سليم . (ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ٣٠٢ ، ٣٠٤ .

حين أجدب الجناب[١] وهلك الخف والكراع[٢] ، فقذف الله فى قلبه الإسلام . فأتى رسول الله ﷺ ليلاً فأسلم ، فأمره أن يخذِّل الناس : وأذن له أن يقول[٣] . فتوجه إلى بنى قريظة ، وأشار عليهم ألا يقاتلوا مع قريش وغطفان حتى يأخذوا منهم رهناً من أشرافهم فقبلوا رأيه ، واستكتمهم مجيئه إليهم . ثم جاء إلى أبى سفيان فى رجال قريش ، وأعلمهم أن قريظة قد ندمت على ما كان منها ، وأنهم راسلوا محمداً بأنهم يأخذون[٤] من أشراف قريش وغطفان سبعين رجلاً يسلمونهم[٥] إليه ليضرب أعناقهم ، حتى يرد بنى النضير إلى ديارهم . ويكونون معه حتى يردوا قريشاً عنه ، وأشار عليهم ألا يجيبوا قريظة إلى إعطاء الرهن ، وسألهم كتمان أمره ، ثم جاء إلى غطفان وأعلمهم عن بنى قريظة بما أعلم به قريشاً منهم ، وحذرهم أن يدفعوا إليهم رهناً ، فأرسلت يهود عزال[٦] ابن سموال إلى قريش بأن الثواء قد طال ولم يصنعوا شيئاً ، والرأى أن يتواعدوا على يوم تزحف فيه قريش وغطفان وهم ، ولكنهم لا يخرجون لذلك معهم حتى يرسلوا إليهم برهائن من أشرافهم ، فإنهم يخافون : إن أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتمونا . فلم يرجعوا إليهم بجواب وجاء نعيم إلى بنى قريظة وقال لهم : إنى عند أبى سفيان وقد جاء رسولكم يطلب منه الرّهان فلم يرد عليه شيئاً . فلما ولى رسولكم قال : لو طلبوا منى عناقاً[٧] مارهنتها ! فلا تقاتلوا معه حتى تأخذوا الرّهن ؛ فإنكم إن لم تقاتلوا محمداً — وانصرف أبو سفيان — تكونوا على موادعتكم الأولى .

فلما كانت ليلة السبت بعث أبو سفيان بعكرمة بن أبى جهل إلى بنى قريظة أن يخرجوا غداً ليناجزوا محمداً جميعاً ، فقالوا : إن غداً السبت ، لا نقاتل فيه ولا نعمل عملاً ، وإنا مع ذلك لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهاناً من رجالكم لئلا تبرحوا ، فإنا نخشى إن أصابتكم الحرب أن تشمّروا إلى بلادكم وتدعونا إلى محمد ، ولا طاقة لنا به ، فتحققت قريش صدق ما قال لهم نعيم : وأرسلت غطفان إلى بنى قريظة بمسعود بن رخيلة فى رجال بمثل ماراسلهم أبو سفيان ، فأجابوهم بمثل[٨] ما أجابوا به عكرمة فتحققت غطفان وبنو قريظة بما قاله نعيم ويئس كل منهم من الآخر واختلف أمرهم .

اختلاف الأحزاب

وأخذ أبو سفيان ومن معه يلومون حيىّ بن أخطب ، فأتى بنى قريظة فلم يجد منهم موافقة له وأبوا أن يقاتلوا مع قريش حتى يأخذوا سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهاناً عندهم .

دعاء رسول الله على الأحزاب وهبوب الريح عليهم

وكان رسول الله ﷺ قد دعا على الأحزاب فقال : اللهم منزّل الكتاب ، سريع الحساب ، إهزم الأحزاب ،

(١) فى (خ) (أجدب الجباب) وما أثبتناه من (المغازى) ج ٢ ص ٤٨٠ .
(٢) كناية عن هلاك الأنعام .
(٣) أى يقول ما يشاء فى الحيلة والخدعة .
(٤) فى (خ) (يأخذوا) .
(٥) فى (خ) (يسلموهم) .
(٦) فى (خ) (غزال) .
(٧) العناق : الأنثى من أولاد المعز والغنم من حين الولادة إلى تمام الحول (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٣٢ .
(٨) فى (خ) (ماما) مكررة .

اللهم اهزمهم . وكان دعاؤه عليهم يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، فاستجيب له بين الظهر والعصر يوم الأربعاء ، فعرف السرور فى وجهه ، فلما كان ليلة السبت ، بعث الله الريح على الأحزاب حتى ما يكاد أحدهم يهتدى لموضع رحله ، ولا يقرّ لهم قدرٌ ولا بناء . وقام رسول الله ﷺ يصلى إلى أن ذهب ثلث الليل . وكذلك فعل ليلة قتل كعب بن الأشرف . وكان ﷺ إذا حزبه الأمر أكثر من الصلاة .

خبر الريح وتفرق الأحزاب ورجوعهم

وبعث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه لينظر مافعل القوم وما يقولون . فدخل عسكرهم فى ليلة شديدة البرد فإذا هم مصطلون على نار لهم والريح لا تقر لهم قدراً ولا بناءً ، وهم يشتورون[١] فى الرحيل حتى ارتحلوا . وأقام عمرو ابن العاص وخالد بن الوليد فى مائتى فارس جريدة[٢] . ثم ذهب حذيفة إلى غطفان فوجدهم قد ارتحلوا ، فأخبرهم النبى ﷺ بذلك . فلما كان السحر لحق عمروٌ وخالدٌ بقريش ، ولحقت كل قبيلة بمحلتها[٣] .

مدة حصار الخندق

فكانت مدة حصار الخندق خمسة عشر يوماً ، وقيل عشرين يوماً ، وقيل قريباً من شهر . وأصبح ﷺ بعد رحيل الأحزاب ، فأذن للمسلمين فى الانصراف ، فلحقوا بمنازلهم .

كتاب أبى سفيان إلى رسول الله ورد رسول الله

وكتب أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ كتاباً فيه : « باسمك اللهم . فإنى أحلف باللات والعزى ، لقد سرتُ إليك فى جمعنا وإنا نريد ألا نعود[٤] أبداً حتى نستأصلكم[٥] . فرأيتك قد كرهت لقاءنا ، وجعلت مضايق وخنادق ، فليت شعرى من علّمك هذا ؟ فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد » . وبعث به مع أبى أسامة الجشمىّ ، فقرأه أبى بن كعب على رسول الله ﷺ فى قبته ، وكتب إليه : « من محمد رسول الله إلى أبى سفيان ابن حرب . أما بعد ، فقديماً غرك بالله الغرور . أما ما ذكرت — أنك سرتَ إلينا فى جمعكم ، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا — فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى . وأما قولك : من علمك الذى صنعنا من الخندق ؟ فإن الله ألهمنى لما أراد من غيظك وغيظ أصحابك ؛ وليأتينّ عليك يوم تدافعنى بالراح ، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل ، حتى أذكرك ذلك .

ويقال كان فى كتاب أبى سفيان : « ولقد علمتَ أنى لقيت أصحابك ناجياً[٦] وأنا فى عير لقريش فما خصّ أصحابك منا شعرة ، ورضوا منا بمدافعتنا بالراح ، ثم أقبلتُ فى عير قريش حتى

(١) هذه اللفظة عامية ، واللغة فيها (يتشاورون) .
(٢) جريدة : خيل لا رَجّالة فيها (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١١٦ .
(٣) المحلة : منزل القوم .
(٤) فى (خ) « ألا نعود إليك » وهى رواية (الواقدى) ج ٢ ص ٤٩٢ وما أثبتناه من (ط) .
(٥) فى (خ) « نستأصلهم » وفى (الواقدى « نستأصلك » .
(٦) فى (خ) (باسا) .

لقيت قوى — فلم تلقنا — فأوقعت بقومى ولم أشهدها من وقعة ، ثم غزوتكم فى عقر داركم فقتلت وحرقت [يعنى غزوة السويق] . ثم غزوتك فى جمعنا يوم أحد ، فكانت وقعتنا فيكم مثلَ وقعتكم بنا ببدر . ثم سرنا إليكم فى جمعنا ومن تألب إلينا يوم الخندق ، فلزمتم الصياصى وخندقتم الخنادق » .

ما نزل من القرآن فى شأن الخندق

وأنزل الله تعالى — فى شأن الخندق يذكر نعمته وكفايته عدوهم ، بعد سوء الظن منهم ، ومقالة من تكلم بالنفاق — قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً(١) » .

ذكر من قتل من المسلمين

وقتل من المسلمين يومئذ ستة نفر ، ثلاثة من بنى الأشهل هم : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ؛ واثنان من بنى جشم بن الخزرج ثم من بنى سلمة هما : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنمة(٢) ؛ وواحد من بنى النجار ثم من بنى دينار [هو](٣) : كعب بن زيد أصابه سهم غربٌ(٤) فقتله .

من قتل من الكفار

وقتل من المشركين ثلاثة نفر هم(٥) : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة بن مخزوم ، وعمرو بن عبد ودّ قتله على رضى الله عنه . ولم تغز كفار قريش المسلمين بعد الخندق .

غزوة بنى قريظة

ثم كانت غزوة بنى قريظة : خرج إليهم رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لسبع خلون من ذى الحجة سنة خمس ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وحصرهم خمساً وعشرين ليلة ، وقيل خمسة عشر يوماً ، وقيل شهراً .

سببها

وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الخندق دخل بيت عائشة رضى الله عنها (٦) فاغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر ، وقد صلى الظهر فأتاه جبريل عليه السلام وقت الظهر — على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة ، وعلى ثناياه النقع . — فوقف عند موضع الجنائز فنادى : عذيرك(٧) من محارب . فخرج رسول الله ﷺ فزعاً ،

---

(١) الآيات من ١ إلى ٢٧ / الأحزاب ، « لم تروها ، الآيات » .
(٢) فى (خ) « غنمة » وهى رواية (الواقدى) ، وفى (ابن هشام) جـ ٣ ص ١٥٥ « ابن غنيمة » .
(٣) زيادة للسياق .
(٤) قال ابن هشام : سهم غرب ، بإضافة وغير إضافة ، وهو الذى لا يعرف من أين جاء ولا من أين رمى به . ويقول (الواقدى) جـ ٢ ص ٤٩٦ فى شأن كعب بن زيد : وقتله ضرار بن الخطاب » .
(٥) هكذا فى (ابن هشام) جـ ٣ ص ١٥٥ ، وفى (الواقدى) جـ ٢ ص ٤٩٦ « عثمان بن منبه » .
(٦) فى (خ) « عنه » .
(٧) أى هات من ينصرك .

فقال : ألا أراك وضعتَ اللأمة ولم تضعها الملائكة بعد ؟ لقد طردناهم إلى حمراء الأسد إن الله يأمرك أن تسير إلى بنى قريظة ، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم حصونهم . [ويقال جاءه على فرسٍ أبلق](١) .

الخروج إلى قريظة

فدعا رسول الله ﷺ علياً رضى الله عنه فدفع إليه لواءه ، وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق ، وبعث بلالاً رضى الله عنه فأذن فى الناس : إن رسول الله ﷺ يأمركم ألا تصلوا العصر إلا فى بنى قريظة .

وعن قتادة قال : بعث رسول الله ﷺ يومئذ منادياً ، يا خيل الله اركبي . ولبس الدرع والمغفر والبيضة ، وأخذ قناة بيده ، وتقلد الترس ، وركب فرسه . وحف به أصحابه وقد لبسوا السلاح وركبوا الخيل : وكانت له ﷺ ثلاثة أفراس معه . وقيل خرج ﷺ وهو راكب على حمار عرى(٢) . وسار فمر بنفر من بنى النجار قد صفوا وعليهم السلاح ، فقال : هل مر بكم أحد ؟ قالوا : نعم ! دحية الكلبي ؛ مر على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة من استبرق ، فأمرنا بلبس السلاح ، فأخذنا سلاحنا وصففنا ، وقال لنا : هذا رسول الله يطلع عليكم الآن ! فقال ذلك جبريل .

وصول على إلى حصن بنى قريظة وسفاهة يهود

وانتهى إلى بنى قريظة ، وقد سبق علىّ فى نفر من المهاجرين والأنصار ، وغرز الراية عند أهل الحصن ، فاستقبلهم يهود يشتمون رسول الله ﷺ وأزواجه ، فسكت المسلمون وقالوا : السيف بيننا وبينكم . فلما رأى علىٌّ رسول الله ﷺ رجع إليه ، وأمر أبا قتادة الأنصارى أن يلزم اللواء .

مسيره إليهم وما قاله

وسار ﷺ إلى يهود ، وقال يومئذ : الحرب خدعة . وتقدمه أسيد بن حضير فقال : يا أعداء الله ! لا نبرح حصنكم حتى تموتوا جوعاً ، إنما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر . قالوا : يا ابن الحضير : نحن مواليك دون الخزرج ! وخاروا . فقال : لا عهد بينى وبينكم ولا إل(٣) . ودنا ﷺ منهم وقد تترس عنه أصحابه . فقال يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطواغيت ! أتشتمونى ؟ فجعلوا يحلفون : ما فعلنا ! ويقولون : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً !

تقدم الرماة وبدء المراماه

وتقدمت الرماة من المسلمين ، وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص : يا سعد ، تقدم فارمهم . فرماهم والمسلمون ساعة . ويهود ترامبهم ، ورسول الله ﷺ واقف على فرسه فيمن معه . ثم انصرفوا إلى منازلهم . وباتوا وقد بعث إليهم سعد بن عبادة بأحمال تمر فأكلوا ، وقال ﷺ وهو يأكل منه : نعم الطعام التمر .

---

(١) ذكره (الواقدى) جـ ٢ ص ٤٩٧ .
(٢) عُرْى : لا سرج عليه .
(٣) الإل : العهد والقرابة قال تعالى (لا يرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمة) ٨ / التوبة .

واجتمع المسلمون عنده عشاء ، ومنهم من صلى ومنهم من لم يصل حتى جاء بنى قريظة ، فما عاب على أحد من الفريقين .

تعبئة المسلمين حول الحصون

ثم غدا سحراً وقدّم الرماة وعبأ أصحابه ، فأحاطوا بحصون يهود وراموهم بالنّبل والحجارة وهم يرمون من حصونهم حتى أمسوا ، فباتوا حول الحصون .

مفاوضة يهود للصلح

فنزل نبّاش بن قيس وكلم رسول الله ﷺ : على أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير : له الأموال والحلقة، ويحقن دماءهم ، ويخرجون من المدينة بالنساء والذرارى ، ولهم ما حملت الإبل إلا الحلقة ؛ فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه ، وعاد نبّاش إليهم بذلك .

مشورة كعب بن أسد اليهودى

فأشار عليهم كعب بن أسد بأن يدخلوا فى الإسلام ، وذكرهم بما عندهم من العلم بنبوته ، فلم يقبلوا رأيه . فأشار عليهم أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يخرجوا فيقاتلوا حتى يقتلوا أو يظفروا ، فأبوا ذلك فأشار عليهم أن يخرجوا ليلة السبت والمسلمون آمنون فيبيتونهم فقالوا : لا نحل السبت . واختلفوا وندموا على ما صنعوا .

ذكر من أسلم من يهود بنى قريظة

ونزل منهم [ثعلبة بن سعيه ، وأسيد بن سعيه](١) ، وأسد بن عبيد وأسلموا . وأمّنوا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، ونزل عمرو بن سُعدى ، [وكان أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله ﷺ ، وقال لا أغدر بمحمد أبداً . فبات فى مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب](٢) فلم يُدر أين هو ا وقيل : [إنه كان أرثق برمة فيمن أرثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأصبحت رُمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب ا](٣) .

خبر ابى لبابة فى مشورة اليهود

فلما اشتد عليهم الحصار طلبوا أبا لُبابة بن عبد المنذر ، فدخل عليهم فقالوا : له ما ترى ؟ إن محمداً أبى إلا أن

---

(١) فى (خ) « ثعلبة بن أسيد ابنا سعيد » وهو خطأ ، وصوابه من (الواقدى) ج ٢ ص ٥٠٣ هكذا : « ثعلبة وأسيد ابنا سعية ، وأسد بن عبيد عمهم » : وفى (ابن هشام) ج ٣ ص ١٤٤ « قال ابن إسحق : ثم إن ثعلبة بن سعية ، وأسيد ابن سعية ، وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بنى هدل ، ليسوا من بنى قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم » .

(٢) فى (خ) « ونزل عمرو بن سعدى فلم يدر أين هو » وسياقه مضطرب فاستوفيناه من (المرجع السابق) ذات الجزء والصفحة .

(٣) فى (خ) « وقيل وجدت رمته » ، وتمام السياق من المرجع السابق ج ٣ ص ١٤٤ — ١٤٥ .

تنزل عن حكمه ا قال : فانزلوا . وأومأ إلى حلقه ، وهو الذبح ، ثم نزل — والناس ينتظرونه — وقد ندم على ما كان منه ، ثم على وجهه حتى ارتبط فى المسجد إلى سارية وبلغ رسول الله ﷺ ما صنع وذهابه ، فقال : دعوه حتى يحدث الله فيه ما يشاء ، ولو جاءنى استغفرت له ، وأما إذ(١) لم يأتنى وذهب فدعوه . فكان كذلك خمس عشرة ليلة ، — وكان رسول الله ﷺ قد استعمله على القتال ، وأنزل فيه : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم »(٢) .

ويقال نزلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون »(٣) .

ويقال نزلت فيه : « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم »(٤) . والأول أثبت .

نزول بنى قريظة على حكم رسول الله وكتافهم وما وجد عندهم

ثم نزلت يهود على حكم رسول الله ﷺ فأمر بأسراهم فكتفوا رباطاً — وجعل على كتافهم محمد بن مسلمة — ونحّوا ناحية ، وأخرج النساء والذرية من الحصون فكانوا ناحية ، واستعمل عليهم عبد الله بن سلام . وجمعت أمتعتهم وما وُجد فى حصونهم من الحلقة والأثاث والثياب ، فوُجد فيها ألف وخمسمائة سيف ، وثلاثمائة درع ، وألفا رمح ، وألف وخمسمائة ترس وجحفة ، وأثاث كثير وآنية كثيرة ، وخمر وجرار سكر ، فهريق ذلك كله ولم يخمس . ووجد من الجمال النواضح عدة ومن الماشية شىء كثير ، فجمع ذلك كله .

طلب الأوس حلفاءهم بنى قريظة

وطلب الأوس من رسول الله ﷺ أن يهب لهم بنى قريظة فإنهم حلفاؤهم ، كما وهب لابن أبيّ [بنى](٥) قينقاع حلفاءه .

تحكيم سعد بن معاذ فى بنى قريظة

فقال : أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم ؟ قالوا : بلى ا قال : فذلك إلى سعد بن معاذ. وسعد يومئذ فى المسجد فى خيمة رُفيدة ، ويقال كعيبة(٦) بنت سعد بن سعد بن كعب بن عبد الأسلمية ، وكانت تداوى الجرحى وتلم الشعث ، وتقوم على الضائع الذى لا أحد له ، وكان لها خيمة فى المسجد ، وكان رسول الله ﷺ جعل سعد ابن معاذ فيها منذ جُرح . فخرجت الأوس فحملوه على حمار . وجعلوا وهم حوله يقولون له : يا أبا عمرو ا إن

---

(١) فى (خ) « إذا » .

(٢) ١٠٢ / التوبة وفى (خ) « . . . يتوب عليهم ، الآية » .

(٣) ٢٧ / الأنفال وفى (خ) « . . . والرسول ، الآية » .

(٤) ٤١ / المائدة وفى (خ) « . . . بأفواههم ، الآية » .

(٥) زيادة للإيضاح .

(٦) فى (خ) « كعيبة » .

رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحسن فيهم فأحسن ، فقد رأيت ابن أبي وما صنع من حلفائه ، وأكثروا في هذا وشبهه ، وهو لا يتكلم ، ثم قال : قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم فقال الضحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدى بن كعب بن عبد الأشهل الأنصارى : وا قوماه ! وقال غيره منهم نحو ذلك ، ثم رجع إلى الأوس فنعى لهم قريظة . فلما جاء سعد إلى رسول الله ﷺ والناس حوله قال : قوموا إلى سيدكم ! فقاموا له على أرجلهم صفين يحييه كل منهم . [ويقال إنما عنى ﷺ بقوله : قوموا لسيدكم ، الأنصار دون قريش] . وقالت الأوس الذين حضروا : يا أبا عمرو ! إن رسول الله قد ولاك فأحسن فيهم ، وأذكر بلاءهم عندك . فقال سعد : أترضون بحكمي لبني قريظة ؟ قالوا : نعم ، فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم ، ثم قال : فإني أحكم فيهم أن يقتل من جرت عليه المواسى ، وتسبى النساء والذرية ، وتقسم الأموال . فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة(١) .

خبر بني قريظة بعد حكم سعد وما جرى في قتلهم

فأمر بالسبي فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد ، والنساء والذرية إلى دار ابنة الحارث ، وقد اختلف في اسمها فقيل : كَيِّسَةُ بنت الحارث بن كريز بن [ربيعة](٢) بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز ، وأمر بأحمال التمر فنثرت على بني قريظة ، فباتوا يَكْدُمُونها كَدْمَ الحُمُر(٣) . وأمر بالسلاح والأثاث والمتاع والثياب فحمل ، وبالإبل والغنم فتُرِكَتْ(٤) هناك ترعى الشجر ، ثم غدا ﷺ إلى المدينة في يوم الخميس السابع من ذى الحجة والأسرى معه ، وأتى إلى السوق ، فأمر بخدود فخدت(٥) ، وحفر فيها هو وأصحابه ، وجلس ومعه عِلْيَةُ أصحابه ، ودعا(٦) برجال بني قريظة فكانوا يخرجون أرسالاً تضرب أعناقهم .

مقالة حيي بن أخطب عند قتله

ولما جيء بعدو الله حيي بن أخطب [بن سعيه بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن تاخوم من بني إسرائيل من سبط لاوى بن يعقوب ، ثم من ولد هارون بن عمران أخي موسى صلى الله عليه](٧) ، قال له رسول الله ﷺ ألم يمكّن الله منك يا عدوّ الله ؟ فقال : بلى ! والله ما لمتُ نفسى في عداوتك ،

---

(١) في (خ) « سبع أرقعة » ، والأرقعة السموات .

(٢) زيادة من نسب عبد الله بن عامر بن كريز .

(٣) الكدم : أثر العض (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧٨ والحُمُر : جمع حمار .

(٤) في (خ) « فبركت » .

(٥) الخدود : جمع خد : كالأخدود وهو الحفرة (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٢٠ .

(٦) في (خ) « دعى » .

(٧) في (خ) في مكان ما بين القوسين في نسب حيى بن أخطب : « بن ربة بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة بن جزيلة بن لخم بن عدى بن أشرس بن سبيث بن السكون وفيه خلط كثير ، وما أثبتناه من (الاستيعاب) ج ١٣ ص ٦٢ ترجمة صفيه بنت حيى رقم ٣٤٠٥ وانظر أيضاً ترجمتها في (الإصابة) ج ١٣ ص ١٤ رقم ٦٤٢ .

ولقد التمست العزّ في مظانّه ، وأبى الله إلا أن يمكّنك منى ، ولقد قلقلت كل مُقَلْقَل ، ولكنه من يخذل الله يُخذَل . ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ! لا بأس بأمر الله ، قَدَرٌ وكتابٌ ، ملحمة كتبت على بني إسرائيل ! فأمر فضربت عنقه .

أمر رسول الله بالإحسان إلى الأسرى

ثم أتى بعزّال(١) بن سمّوأل ، ونباش بن قيس فضربت أعناقهما ، وقد جابذ(٢) نباش الذى جاء به ، حتى قاتله ودق أنفه فأرعفه ، فقال ﷺ للذى جاء به : لم صنعت به هذا ؟ أما كان السيف كفاية ! ثم قال : أحسنوا إسارهم ، وقيّلوهم واسقوهم ، لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحرّ السلاح . وكان يوماً صائفاً ، فقيّلوهم وسقوهم وأطعموهم ، فلما أبردوا راح رسول الله ﷺ فقتل من بقي منهم .

إسلام رفاعة بن سموأل

وسألت أم المنذر سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الأنصارية رسول الله ﷺ في رفاعة بن سموأل فقال : هو لك ؟ فأسلم .

كراهة بعض الأوس قتل قريظة ، ثم تفريق الأسرى في الأوس

وجاء سعد بن عبادة والحباب بن المنذر فقالا : يارسول ، إن الأوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حِلفهم ، فقال سعد بن معاذ : ما كرهه من الأوس أحد فيه خير ، فمن كرهه فلا أرضاه الله . فقام أسيد بن حضير فقال : يا رسول الله ، لا تبقينّ دار من دور الأوس إلا فرقتهم فيها . ففرقهم في دور الأنصار فقتلوهم . وضرب رسول الله عنق كعب بن أسد بين يديه .

قتل بنانة اليهودية وسببه

وأمر ببنانة امرأة الحكم القرظى -- وهي من السبي -- فقتلت ، لأنها ألقت من حصن الزبير بن باطا رحى(٣) بإشارة زوجها على نفر من المسلمين كانوا يستظلون في فيئة ، فشدخت رأس خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن مالك الأغر فمات .

قتل كل من أنبت ، وبكاء نساء يهود

وأمر رسول الله ﷺ بقتل كل من أنبت منهم ، وترك من لم ينبت ، وتمادى القتل فيهم إلى الليل فقتلوا على شَعَل السَّعَف ثم ردّ عليهم التراب في الخنادق . وكان من شك فيه منهم أن يكون بلغ ، نظر إلى مؤتزره : فإن كان أنبت قتل ، وإلا ترك في السبي . وكانوا ستمائة ، [وقيل ما بين الستمائة إلى السبعمائة ، وقيل كانوا سبعمائة

---

(١) في (خ) « بغزل » .

(٢) جابذ : من الجَبْذ وهو الجذب . وليس مقلوبة ، بل لغة صحيحة (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٤٣٦ .

(٣) في (خ) بعد قوله « باطا » باقي الخبر لم يظهر في التصوير الميكروفيلمي ، وتمامه من (الواقدى) ج ٢ ص ٥١٧ .

رخين]، ولما قتلوا صاحت نساؤهم وشقّت جيوبها ، ونشرت شعورها ، وضربت خدودها ، وملأت المدينة .

خبر الزبير بن باطا

وسأل ثابتُ بن قيس بن شماس رسول الله ﷺ فى الزبير بن باطا فقال : هو لك . فلم يرض بالحياة وطلب أن يُلحقوه بأحبته ، فضرب الزبير بن العوام عنقه . وطلب ثابت بن قيس أهله وولده فردَّها إليه إلى الحلقة ، فكانوا مع آل ثابت بن قيس .

إسلام ريحانة بنت زيد

وأخذ رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد لنفسه صفياً وعزلها حتى تُسلم ، فما زال بها [ثعلبة بن سعية](١) حتى أسلمت ، فبعثها إلى بيت أم المنذر سلمى بنت قيس حتى حاضت ثم طهرت . فجاءها وخيرها أيعتقها ويتزوجها أو تكون فى ملكه يطؤها بالملك ؟ فاختارت أن تكون فى ملكه . وقيل أعتقها وتزوجها .

بيع المتـــاع وقسمة الفىء

وأمر بالمتاع فبيع فى من يزيد ، وبيع السبى ، وقسمت النخل أسهماً ، وكانت الخيل ستاً وثلاثين فرساً ، فأسهم : للفرس سهمان ، ولصاحبه سهم ، وللراجل سهم . وقاد رسول الله ﷺ ثلاثة أفراس فلم يضرب إلا سهماً واحداً . وأسهم لخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، وقد قُتل تحت الحصن طُرحت عليه رحىً ، فشدختْه شدخاً شديداً . وأسهم لأبى سنان بن محصن [واسمه وهب بن عبد الله ، ويقال عبد الله بن وهب . ويقال عامر ، ولا يصحّ ، ويقال : اسمه وهب بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وعلى هذا فهو أخو عكاشة بن محصن ، وهو أصح ما قيل فيه ، ومات ورسول الله ﷺ محاصرهم ، وكان يقاتل مع المسلمين . وكان المسلمون ثلاثة(٢) آلاف ، فكانت سهمان الخيل والرجل على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً : للفرس سهمان ولصاحبه سهم . وأسهم يومئذ على الأموال فجزئت خمسة أجزاء ، وكتب فى سهم منها لله ، فخرجت السهمان ، وكذلك الرِّثَّة(٣) والإبل والغنم والسبى ؛ ثم فضَّ أربعة أسهم على الناس .

ترك فىء رسول الله للنساء

وأحذى(٤) فىء رسول الله ﷺ النساءُ اللاتى حضرت القتال ولم يسهم لهن . ومن صفية بنت عبد المطلب ، وأم عمارة ، وأم سليط ، وأم العلاء الأنصارية ، والسميراء بنت قيس الأنصارية ، وأم سعد بن معاذ ، وهى : كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج .

(١) فى (خ) « ابن سعد » .

(٢) فى (خ) « ثلاثة ، ثلاثة » مكررة .

(٣) الرِّثَّة : ردىء المتاع (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٢٨ .

(٤) كذا فى (خ) ، و (ط) ، وفى (الواقدى) ج ٢ ص ٥٢٢ « وأحذى » .

أمر السبى

ولما بيعت السبايا والذرية بعث رسول الله ﷺ بطائفة إلى الشام مع سعد بن عبادة(١) ، يبيعهم ويشترى بهم سلاحاً وخيلاً . واشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما طائفة . فكان يوجد عند العجائز المال ولا يوجد عند الشواب ، فربح عثمان مالاً كثيراً لأنه صار فى سهم العجائز . ويقال : لما قسم ﷺ جعل الشواب على حدة ، والعجائز على حدة ، وخيَّر عبد الرحمن وعثمان فأخذ عثمان العجائز . واشترى أبو الشحم اليهودى امرأتين — مع كل واحدة ثلاثة أطفال — بخمسين ومائة دينار ، وجعل يقول : ألستم على دين يهود ؟ فتقول المرأتان : لا نفارق دين قومنا حتى نموت عليه ، وهن يبكين . وكان السبى ألفاً من النساء والصبيان ، فأخرج رسول الله ﷺ خمسه قبل بيع المغنم ، فجزأ السبى خمسة أجزاء : فأخذ خمساً ، فكان يعتق منه ويهب منه ، ويخدم منه من أراد ، وكذلك صنع بما أصاب من رثتهم : قسمت قبل أن تباع . وكذلك النخلُ عزل خمسه ، وكل ذلك يسهم عليه خمسة أجزاء ويكتب فى سهم منها [الله](٢) ، ثم يُخرج السهم ، فحيث طار سهمه أخذه ولم يتخير . وصار الخمس إلى محمية بن جزء الزبيدى ، وهو الذى قسم المغنم بين المسلمين .

النهى عن التفريق بين النساء والولد حتى يبلغوا

ونهى رسول الله ﷺ أن يفرّق فى القَسْم والبيع بين النساء والذرية ، وقال : لا يفرّق بين الأم وولدها حتى يبلغوا ؛ فقيل : يا رسول الله ! وما بلوغهم ؟ قال : تحيض الجارية ويحتلم الغلام . وكان يفرق يومئذ بين الأختين إذا بلغتا ، وبين الأم وابنتها إذا بلغت . وكانت الأم وولدها الصغار تباع من المشركين من العرب ، ومن يهود المدينة وتيماء وخيبر ، يخرجون بهم . وإذا كان الولد صغيراً ليس معه أم لم يبع من المشركين ولا من يهود إلا من المسلمين . فكانت أموال بنى قريظة أول فىء وقع فيه السهمان والخمس .

موت سعد بن معاذ ، وبكاء أمه ، وحزن رسول الله على سعد ثم دفنه

ولما حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فى بنى قريظة ، رجع إلى خيمة رُفيدة بنت سعد الأسلمية — وكان قد كوى جرحه بالنار فانتفخت يدهُ ، وسال الدم فحسمه أخرى فانتفخت يده ، فسأل الله أن يبقيه حتى يقاتل بنى قريظة — فانفجر جرحه ومات بعد ما عاده النبى ﷺ فحمل إلى منزله . وغسَّله الحارث بن أوس بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وسلمة بن سلامة بن وقش بحضرة رسول الله ﷺ ، وأم سعد تبكى وتقول :

[ويلُ أم سعدٍ سعداً ... صرامة وحـــدّا

وسُؤدداً ومجداً ... وفارساً معـــدّا

سُدَّ به مســدّا ... يَقُدُّها ما قدّا](٣)

(١) كذا فى (خ) وفى (الواقدى) ج ٢ ص ٥٢٣ ، وفى باقى كتب السيرة : « سعد بن زيد الأشهلى » .

(٢) غير بينة فى (خ) ، وأثبتناها من (الواقدى) ج ٢ ص ٥٢٣ .

(٣) وردت هذه الندبة بروايات كثيرة فى كتب السيرة ، وما أثبتناه هو أجودها .

فقال رسول الله ﷺ : كل البواكى يكذبن إلا أم سعد . ثم كفّن فى ثلاثة أثواب وحمل فى سرير . فحمل رسول الله ﷺ [جنازته][١] وهو بين عمودى سريره حتى رُفع من داره إلى أن خرج ، ومشى أمام جنازته ، ثم صلى عليه . ونزل فى قبره أربعة نفر : الحارث بن أوس بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وأبو نائلة ، وسلمة بن سلامة ؛ ورسول الله ﷺ واقف على قدميه على قبره . ولما وضع فى لحده تغير وجهه وسبح ثلاثا . فسبح المسلمون ثلاثاً حتى ارتج البقيع[٢] ، ثم كبر ثلاثاً وكبر أصحابه حتى ارتج البقيع ، فسئل عن ذلك فقال : تضايق على صاحبكم قبره ، وضم ضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعدٌ ، ثم فرّج الله عنه . وجاءت أم سعد تنظر إليه فى اللحد وقالت : أحتسبك عند الله . وعزّاها[٣] رسول الله ﷺ على قبره . وجلس ناحية والمسلمون يردون تراب القبر حتى سُوِّى وَرُشّ الماء عليه ثم وقف ﷺ فدعا ، ثم انصرف .

بلوغ خبر قريظة إلى يهود بنى النضير

وسار حُسيل بن نويرة الأشجعى يومين حتى قدم خيبر ، فأعلم سلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، ويهودى بنى النضير ، ويهود خيبر بأن رسول الله ﷺ قد قَتَلَ مقاتلة قريظة صبراً بالسيف ، وسبى النساء والذرية ، فقال سلام بن مشكم ، وكانت له رئاسة بنى النضير بعد يوم بعاث[٤] : هذا كله عمل حُيى ابن أخطب ، لاقامت يهودية بالحجاز أبداً ! وصاح نساؤهن وأقمن المآتم ، وفزعت اليهود إلى سلام ليروا رأيه . فأشار عليهم يسيروا معه ، ويهود تيماء وفدك ووادى القرى — ولا يجلبوا معهم أحداً من العرب — حتى يغزوا محمداً فى عقر داره ، فوافقوا على ذلك .

زواجه ﷺ زينب بنت جحش

وفى هذه السنة الخامسة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ، فى قول طائفة .

فرض الحج

وفيها فرض الحج ، وقيل سنة ست ، وقيل سنة سبع ، وقيل سنة ثمان ، وقيل غير ذلك .

سرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد بن نبيه الهذلى

ثم كانت سرية عبد الله بن أنيس بن أسعد[٥] بن حرام بن حبيب بن مالك بن غنم بن كعب بن تيم بن نفاثة ابن إياس[٦] بن يربوع بن البرك بن وبرة [ويعرف بالجهنى وليس بجهنى ، ولكنه من وبر قضاعة وجهينة أيضاً من قضاعة][٧] — إلى سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى ، ثم اللحيانى .

---

(١) الجنازة : سرير الميت أو الميت نفسه .
(٢) البقيع : بقيع الغرقد ، وهو مدافن أهل المدينة .
(٣) فى (خ) « وعزها » .
(٤) فى (خ) « بغاث » . (٥) فى (خ) « ابن إسحاق » .
(٦) فى (خ) « أنيس » .
(٧) مابين القوسين فى (خ) بعد قوله « الهذلى ثم اللحيانى » وهذا هو حق مكانه .

خروجه إليه وسببه

خرج إليها يوم الاثنين لخمس خلون من المحرّم على أربعة وخمسين شهراً[١] ، فغاب اثنتى عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرّم . وقد بلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى ثم اللحيانى نزل عرنة وما حولها فى ناس لجمع لحربه ، وضوى إليه بشر كثير من أفناء العرب . فبعث عبد الله بن أنيس وحده ليقتله ، وقال له انتسب إلى خزاعة .

صفة ابن نبيح

(فقال عبد الله بن أنيس : يا رسول الله ، انعته لى حتى أعرفه)[١] ؛ قال : إذا رأيته هبته ، وفَرِقتَ منه ، وذكرت الشيطان ، وآية (ما بينك وبينه)[٢] أن تجد له قشعريرة إذا رأيته ، وأذن له أن يقول ما بدا له ، وكان أنيس[٣] لايهاب الرجال . فأخذ سيفه وخرج ، حتى (إذا)[٤] كان ببطن عرنة لقى سفيان يمشى : ووراءه الأحابيش ، فهابه ، وعرفه بالنعت الذى نعت له رسول الله ﷺ . وقد دخل وقت العصر ، فصلى وهو يمشى يومى إيماءً برأسه ، فلما دنا منه قال : من الرجل ؟ قال : رجل من خزاعة ؛ سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك . ومشى معه يحادثه ويُنشده ، وقال : عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين المحْدَث ، فارق الآباء وسفه أحلامهم ! فقال سفيان : لم يلق محمدٌ أحداً يشبهنى ! حتى انتهى إلى خبائه وتفرّق عنه أصحابه . فقال : هلمّ يا أخا خزاعة .

قتل سفيان بن خالد

فدنا منه وجلس عنده حتى نام الناس ، فقتله وأخذ رأسه واختفى فى غار ، والخيل تطلبه فى كل وجه ، ثم سار الليلَ وتوارى فى النهار إلى أن قدم المدينةَ ورسول الله ﷺ فى المسجد فقال : أفلح الوجه ! قال : أفلح وجهك يا رسول الله ! ووضع الرأس بين يديه ، وأخبره الخبر ، فدفع إليه عصاً وقال : تخصّر[٥] بهذه فى الجنة ، فإن المتخصّرين[٥] فى الجنة قليل ، وكانت عنده حتى أدرجت فى أكفانه بعد موته .

غـــزوة القرطاء

ثم كانت غزوة القُرَطاء من بنى بكر[٦] بن كلاب ، بناحية ضَرِيّة بالبكرات ، وبين ضرية والمدينة سبع ليال .

---

(١) وهى رواية (الواقدى) ج ٢ ص ٥٣١ ، وذكر فى (تلقيح الفهوم) ص ٥٦ ، « خرج من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ ، وذكره أيضاً (ابن سعد) ج ٢ ص ٥٠ وهو الصواب .
(١) زيادة للسياق من (الواقدى) ج ٢ ص ٥٣٢ و (ابن سعد) ج ٢ ص ٥١ .
(٢) فى (خ) « وآية ذلك أن تجد » وفى (الواقدى) ج ٢ ص ٥٣٢ : « آية بينك وبينه » وما أثبتناه من (ط) فهو أدلّ على السياق .
(٣) كذا فى (خ) ، وفى (الواقدى) ج ٢ ص ٥٣٢ و (ابن سعد) ج ٢ ص ٥١ « وكنتُ لا أهاب الرجال » ولعلها فى (خ) « وكان ابن أنيس » وكلمة « ابن » ساقطة من الناسخ .
(٤) زيادة للسياق .
(٥) اختصر فلان : أمسك المِخْصَرَة ، واختصر بها : اعتمد عليها . والمخصرة : ما يتوكأ عليها كالعصا ونحوها . (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٣٧ . (٦) فى (خ) « من بنى أبى بكر » .

خرج فيها محمد بن مسلمة لعشر خلون من المحرم، فغاب تسع عشرة ليلة، وقدم لليلة بقيت من المحرم. وكان فى ثلاثين رجلا، فسار الليل وكمن(١) النهار [حتى إذا](٢) كان بالشَّرَبَّة(٣) لقى ظُعُناً من محارب، فأغار عليهم. وقتل نفراً منهم وفرّ سائرهم، واستاق نعماً وشاءً، ومضى. وقدّم عباد بن بشر عيناً لينظر بنى بكر ابن كلاب. فلما أتاه بخبرهم شن الغارة عليهم. وقتل منهم عشرة، واستاق النَّعم، والشاء، وقدم المدينة؛ وهى خمسون ومائة بعير، وثلاثة آلاف شاة، فخمّس رسول الله ﷺ وقسم ما بقى، فعدّل الجزور بعشر من الغنم.

غزوة بنى لحيان

ثم كانت غزوة بنى لحيان بن هذيل بن مدركة، بناحية عُسفان(٤). خرج فيها رسول الله ﷺ لهلال ربيع الأول سنة ست فى مائتى رجل، ومعهم عشرون فرساً، يريد بنى لحيان ليأخذ بثأر أصحاب الرجيع. فعسكر من ناحية الجُرُف فى أول نهاره، وأظهر أنه يريد الشام، ثم راح مبرداً حتى انتهى إلى حيث كان مصاب عاصم بن ثابت وأصحابه بين أمج وعسفان ببطن غُران(٥)، وبينها وبين عسفان خمسة أميال. وقد هرب بنو لحيان، فأقام يوماً أو يومين وبث السرايا فلم يقدر على أحد. فأتى عسفان فى مائتى راكب من أصحابه، ثم بعث فارسين حتى بلغا كراع الغميم ثم كرّا. وقال الواقدى(٦). بعث أبا بكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس فبلغ كراع الغميم ورجع، ولم يلق أحداً. فقال ﷺ إن هذا يبلغ قريشاً فيذعرهم، ويخافون أن نكون نريدهم. وكان خبيب بن عدى يومئذ فى أيديهم، فخافوا أن يكون قد جاء ليخلّصه. وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد غاب أربع عشر ليلة وكان يخلفه على المدينة ابن أم مكتوم

دعاء رسول الله

وقال فى منصرفه إلى المدينة: آئبون تائبون عابدون لربنا حامدون. اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة على الأهل، اللهم أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، وسوء المنظر فى الأهل والمال. اللهم بلغنا بلاغاً صالحاً يبلغ إلى خير، مغفرة منك ورضواناً، وهذا أول ما قال هذا الدعاء(٧).

وصحّح جماعة أن غزوة بنى لحيان هذه كانت بعد قريظة بستة أشهر، وأنها كانت فى جمادى الأولى. وصحح ابن حزم أنها فى الخامسة.

(١) فى (خ) «وأكمن».
(٢) زيادة للسياق.
(٣) الشَّرَبَّة: قال الأصمعى: الشَّرَبَّة بنجد ووادى الرمة تقع بين عدنة والعمرية (معجم البلدان) ج ٣ ص ٣٣٢ وضريّة: قرية فى طريق مكة من البصرة من نجد (المرجع السابق) ج ٣ ص ٤٥٧ وهى فى (خ) «الشرية».
(٤) قال السكرى: عسفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة والجحفة على ثلاث مراحل، غزا النبى ﷺ بنى لحيان بعسفان وقد مضى لهجرته خمس سنين وشهران وأحد عشر يوماً (معجم البلدان) ج ٤ ص ١٢٢.
(٥) فى (خ) «غشران».
(٦) فى (المغازى) ج ٢ ص ٥٣٦.
(٧) ذكره النووى فى (الأذكار) ص ١١٨، ١٠٣، وابن سيد الناس فى (عيون الأثر) ج ٢ ص ٨٣ وغيرها.

غـــزوة الغابة

وكانت غزوة الغابة ويقال: غزاة ذى قَرَد [ويقال قُرُد بضمتين]، وهو ماء على بريد من المدينة، فى ربيع الأول. وقال ابن عبد البر(١): كانت بعد لحيان بليالٍ وقال البخارى: كانت قبل خيبر بثلاثة أيام(٢)، وفى مسلم نحوه(٣) وفيه نظر لإجماع أهل السِّيَر على خلافه(٤).

سببهـــــا

وسببها أن لقاح رسول الله ﷺ — وكانت عشرين لقحة(٥): منها ما أصاب فى ذات الرقاع: ومنها ما قدم به محمد بن مسلمة من نجد — وكانت ترعى البيضاء فقربوها إلى الغابة، وكان الراعى يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب. فاستأذن أبو ذر جُندُب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صُعَير بن حرام بن غفار الغفارى، رسول الله ﷺ فى الخروج إلى لقاحه، فقال: إنى أخاف عليك من هذه الضاحية أن تُغير(٦) عليك، ونحن لا نأمن عُيَيْنَة بن حصن وذريه، وهو فى طرف من أطرافهم، فلما ألح عليه أبو ذر رضى الله عنه قال: لكأنى بك قد قُتل ابنك وأُخذت امرأتك، وجئت تتوكأ على عصاك.

ليلة الســـرح

فلما كانت ليلة السرْح، جعلت سَبْحَة فرس المقداد بن عمرو لا تقرّ ضرباً بيديها وصهيلا، فيقول أبو معبد: والله إن لها لشأناً! فينظر آريّها(٧) فإذا هو مملوء علفاً، فيقول: عطشى! فيعرض الماء عليها فلا تريده، فلما طلع الفجر أسرجها ولبس سلاحه وخرج، حتى صلى مع رسول الله ﷺ الصبح فلم ير شيئاً. ودخل النبى ﷺ بيته، ورجع المقداد إلى بيته، وفرسه لا تقرّ، فوضع سرجه وسلاحه واضطجع. فأتاه آتٍ فقال: إن الخيل قد صُبِّح بها(٨)!

(١) فى (خ) «أبو عبيد البر».
(٢) (صحيح البخارى) ج ٣ ص ٤٨، فتح البارى ج ٧ ص ٤٦٠.
(٣) (شرح صحيح مسلم للنووى) ج ١٢ ص ١٧٣ وما بعدها.
(٤) يقول (ابن جرير الطبرى): «وأما الرواية عن سلمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول الله ﷺ بعد مقدمه المدينة، منصرفاً من مكة عام الحديبية، فإن كان ذلك صحيحاً، فينبغى أن يكون ما روى عن سلمة بن الأكوع إما فى ذى الحجة من سنة ست من الهجرة، وإما فى أول سنة سبع، وذلك أن انصراف رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة عام الحديبية كان فى ذى الحجة من سنة ست من الهجرة، وبين الوقت الذى وقّته ابن إسحاق لغزوة ذى قرد والوقت الذى رُوى عن سلمة ابن الأكوع قريب من ستة أشهر» (تاريخ الطبرى) ج ٢ ص ٥٩٦.
(٥) اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨٣٤.
(٦) فى (خ) «تغيره» والتصويب من (الواقدى) ج ٢ ص ٥٣٨.
(٧) الآرىّ: محبس الدابة ومربطها ومعلفها (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٤.
(٨) صُبِّح بها: أغير عليها صباحاً (المعجم الوسيط ج ١ ص ٥٠٥.

غارة ابن عيينة على السرح

وكانت لقاح رسول الله ﷺ قد رُوِّحت وعُطِّنت وحُلبت عَتَمَتَها(١)، وأحدق عبد الرحمن بن عيينة ابن حصن في أربعين فارساً من بني عبد الله بن غطفان، [وذكر ابن الكلبي أن الذي أغار على سرح المدينة عبد الله ابن عيينة بن حصن]. وهم نيامٌ. فأشرف لهم ابن أبي ذرّ فقتلوه وساقوا اللقاح. فجاء أبو ذر إلى النبي ﷺ فأخبره فتبسّم.

خبر سلمة بن الأكوع

وكان سلمة بن عمرو [بن](٢) الأكوع — [واسمه سنان] بن عبد الله بن قشير بن خزيمة بن مالك بن سلامان ابن أسلم بن أفصى الأسلمي قد غدا إلى الغابة للقاح رسول الله ﷺ [بفرس لطلحة بن عبد الله](٣) لأن يَسْلُغَتَه(٤) لبنها، فلقي غلام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه — وكان في إبله فأخطأوا مكانها، فأخبره أن لقاح رسول الله ﷺ قد أغار عليها ابن عيينة في أربعين فارساً. وأنهم رأوا إمداداً بعد ذلك أمدّ به ابن عيينة، فرجع سلمة إلى المدينة وصرخ على ثنية الوداع بأعلى صوته! يا صباحاه! ثلاثاً، ويقال نادى: الفَزَعَ الفَزَعَ! ثلاثاً. ووقف على فرسه حتى طلع رسول الله ﷺ في الحديد مقنّعاً فوقف واقفاً. [وقيل ركب فرساً عُرْياً لأبي طلحة يقال له مندوب، فلما انصرف قال: إن وجدناه لبحراً](٥).

نداء الفزع ليلة السرح

[ونودي يا خيل الله اركبي! وكان أول ما نودي بها](٦)، فكان(٧) أول من أقبل إليه المقداد بن عمرو وعليه السلاح شاهراً سيفه. فعقد له لواءً على رمحه وقال: امض حتى تلحقك الخيول، إنا على أثرك. فخرج حتى أدرك أخريات العدو، فظفر له بفرس. وأدرك مَسْعَدة بن حَكَمة بن مالك بن حذيفة بن بدر الفزاريّ فتطاعنا برمحيهما، ثم فرّ مسعدة. فنصب مقداد اللواءَ، ولحقه أبو قتادة — معلماً بعمامة صفراء على فرس له — فتسايرا ساعة فاستحث أبو قتادة فرسه حتى غاب، وقد أدرك مسعدة فقتله.

---

(١) رَوَّحت: رُدت إلى مكان مبيتها وعطنت: سُقيت ورجعت إلى مأواها، والعَتَمة: ثلث الليل الأول، وهو وقت حلبها، فسمَّى اللبن باسم وقت حلبه.

(٢) زيادة لابد منها.

(٣) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٨٢.

(٤) هذه الكلمة في (ط) «ليلبنه» وما أثبتناه من (خ) وهي في (الواقدي) ج ٢ ص ٥٣٩ على لسان سلمة ابن الأكوع: «لأن أبدّنه لبنها»، ومع ذلك يقول محقق (ط): «ولم أجد الكلمة في خبر من أخبار سلمة بن الأكوع» وللحق: فإن رسم هذه الكلمة في (خ) «يبلغنه».

(٥) ما بين القوسين زيادة في (خ) ولعلها خطأ من الناسخ وحذفها أولى، لأن خبر أبي طلحة ليس في هذه الغزوة.

(٦) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٨٠ و (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٨.

(٧) في (خ) «وكان» والصواب ما أثبتناه من: (تاريخ الطبري) ج ٢ ص ٦٠١، (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٨، (المغازي) ج ٢ ص ٥٣٩.

وخرج سلمة بن الأكوع على رجليه يعدو، يسبق الخيل، حتى لحق العدو فرماهم بالنَّبل والخيل تكر عليه وهو يقول:

خذها وأنا ابنُ الأكوعْ ... اليومَ يومُ الرُّضَّعْ

[حتى انتهى إلى ذي قرد وقد استنقذ منهم جميع اللقاح وثلاثين بردة، قال سلمة:

وصول رسول الله إلى ذي قرد

فلحقنا](١) رسول الله ﷺ والخيول عشاءً، وكانوا ثمانية أفراس، وكان المقداد أمير الفرسان [وقيل بل أميرهم سعد بن زيد الأشهلي](٢). فقال سلمة: يا رسول الله! إن القوم عطاش، وليس لهم ماء دون أحساء كذا وكذا، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما بأيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم! فقال: ملكتَ فأسْجِحْ(٣)! ثم قال: [إنهم الآن](٤) ليُقْرَوْنَ(٥) في غطفان. وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف فجاءت الأمداد، فلم تزل الخيل تأتي، والرجال على أقدامهم، و[على](٦) الإبل، والقوم يعتقبون البعير والحمار، حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قرد، فاستنقذوا عشر لقائح — منها جمل أبي جهل — وأفلت القوم بعشر(٧).

ذكر القتلى

وكانت راية رسول الله ﷺ العقاب يحملها سعد، وكان قد أدرك محرز، نضلة بن عبد الله بن مرّة بن كبير

---

(١) ما بين القوسين زيادة من: (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٨، وسياقه مضطرب في (خ) فبعد قوله: «اليوم يوم الرضع» ما يأتي: حتى لحقهم رسول الله ﷺ والخيول عشاء، وكانوا ثمانية أفراس، وكان المقداد أمير الفرسان حتى لحقهم رسول الله ﷺ بذي قرد» راجع (ابن سعد) ج ٢ ص ٨١. و (الواقدي) ج ٢ ص ٥٤١.

(٢) في (خ) «مسعدة بن زيد» والصواب ما أثبتناه من (ابن سعد) ج ٢ ص ٨١ و (الواقدي) ج ٢ ص ٥٤١، يقول (ابن سعد) والثبت عندنا أن رسول الله ﷺ أمّر على هذه السرية سعد بن زيد الأشهلي، ولكن الناس نسبوها إلى المقداد لقول حسان بن ثابت:

هل سرَّ أولادَ اللقيطة أننا ... سِلْمٌ غداة فوارسِ المقدادِ

راجع (ديوان حسان) ص ٣٢٦.

(٣) الإسجاح: حُسن العفو؛ أي ملكت الأمر عليّ فأحسن العفو عني، وأصله السهولة والرفق، وهو مثل يُضرب لذلك: (مجمع الأمثال للميداني) ج ٢ ص ٢٨٣ مثل رقم ٣٨١٩ وأيضاً (جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري) ج ١ ص ٤٦٠، ج ٢ ص ٢٤٨ مثل رقم ١٦٢٩.

(٤) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٨٤ (وزاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٩.

(٥) من القِرى، وهو ما يُقدَّم للضيف.

(٦) زيادة من (ط) ورواية (الواقدي) ج ٢ ص ٥٤٢، (وزاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٩ بدون هذه الزيادة.

(٧) يقول (ابن القيم) في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٩: «قلت: وهذا غلط بيّن، والذي في الصحيحين: أنهم استنقذوا اللقاح كلها» ولفظ مسلم في صحيحه ج ١٢ ص ١٧٩ (بشرح النووي) «حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلّفته وراء ظهري، وخلّوا بيني وبينه».

ابن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة — القوم بِبَيْنَقا(١) ، فطاعنهم ساعة(٢) بالرمح فقتله مَسعدة بن حكمة . وأقبل عباد بن بشر على أرباد بن عمرو بن أوبار(٣) وقاتله ، فقتله عباد ؛ وقيل بل قتله عكاشة بن محصن .

دعاء رسول الله لأبى قتادة

ودعا رسول الله ﷺ لأبى قتادة لما أدركه فقال: اللهم بارك له فى شعره ، وبشره . وقال: أفلح وجهك ! فقال: ووجهك يا رسول الله ! ثم قال: قتلت مسعدة ؟ قال نعم ! قال : ما هذا بوجهك؟ قال سهم رميت به يا رسول الله ! قال : فادن منى ! فدنا منه فبصق عليه فما ضرب عليه قطُّ ولا قاح(٤) فمات أبو قتادة ، وهو ابن سبعين سنة ، وكأنه ابن خمس عشرة(٥) سنة . وأعطاه رسول الله ﷺ يومئذ فرس مسعدة وسلاحه وقال : بارك الله لك فيه .

أصحاب الخيل

واستعمل ﷺ يومئذ على الخيل سعد بن زيد الأشهلى وقدَّمه أمامه ؛ فلحق القوم وناوشهم ساعة : هو والمقداد بن عمرو ، ومعاذ بن ماعص ، وأبو قتادة ، وسلمة بن الأكوع ، فحمل سعد على حبيب بن عيينة بن حصن فقتله وأخذ فرسه ؛ وقيل قتل حبيب بن عيينة المقدادُ : وكان شعار المسلمين يومئذ : أَمِتْ أَمِتْ .

صلاة الخوف

وصلى رسول الله ﷺ يومئذ صلاة الخوف : فقام إلى القبلة وصفَّ طائفة خلفه ، وطائفةٌ مواجهة العدو ، فصلى بالطائفة التى خلفه ركعة وسجدتين ثم انصرفوا . وقاموا مقام أصحابهم ؛ وأقبل الآخرون فصلى بهم ركعةً وسجدتين وسلم ، فكان لرسول الله ﷺ ركعتان ، ولكل رجل من الطائفتين ركعة .

تاريخ الغزوة

وكانت غزاة ابن عيينة ليلة الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ست . فخرج ﷺ يوم الأربعاء ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وأقام بذى قرد يوماً وليلة . وقسم فى كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها ، وكانوا خمسمائة ، ويقال كانوا سبعمائة .

---

(١) فى (خ) و (المغازى) « بيهقا » وهو خطأ قد صححه محقق (المغازى) وصوابه : « بيهما » وبيقا : موضع على ميل من بئر المطلب (وفاء الوفا) ج ٢ ص ٣٨٧ ، وقد ذكر محقق (ط) و (المستدرك) أن هذا الموضع لم يذكره أحد من أصحاب كتب البلدان !

(٢) فى (خ) « ساعد » هكذا مشكولة وهو خطأ ، وما أثبتناه من (المغازى) ج ٢ ص ٥٤٨ .

(٣) كذا فى (ط) ، وفى (خ) « آبار » ، وفى المغازى ج ١ ص ٥٤٣ « أوثار » .

(٤) كذا فى (خ) وفى (المغازى) ج ٢ ص ٥٤٥ والقيح : المدة لا يخالطها دم ، قاح الجرح يقيح (ترتيب القاموس) ج٣ ص ٧٣١ وفى (ط) « فاح » بالفاء ، وقد ذكر محقق (ط) أن هذا صوابها ! !

(٥) فى (خ) « خمسة عشر سنة » .

حراسة المدينة وإمداد سعد بن عبادة المسلمين

وأقام سعد بن عبادة — فى ثلاثمائة من قومه — يحرسون المدينة خمس ليال حتى رجع ﷺ ليلة الإثنين . وأمدَّ المسلمين سعدُ بن عبادة رضى الله عنه بأحمال تمر ، وبعشر جزائر بذى قرد : وبعث بذلك مع ابنه قيس ابن سعد ، فقال رسول الله ﷺ : يا قيس ! بعثك أبوكَ فارساً ، وقوى المجاهدين ، وحرس المدينة من العدو ! اللهم ارحم سعداً وآل سعد ! ثم قال : نعم المرءُ سعد بن عبادة! فقالت الأنصار : يا رسول الله ، هو بيتنا وسيدنا وابن سيدنا . كانوا يطعمون فى المحل(١) ، ويحملون الكل(٢) ، ويقرون الضيف ، ويعطون فى النائبة ، ويحملون عن العشيرة(٣) . فقال : خيار الناس فى الإسلام خيارهم فى الجاهلية إذا فقهوا فى الدين .

الرجوع إلى المدينة وخبر امرأة أبى ذر

ورجع ﷺ إلى المدينة ليلة الاثنين وقد غاب عنها خمس ليال . فأقبلت امرأة أبى ذر على ناقته القصواء . — وكانت فى السرح — فدخلت عليه فأخبرته من أخبـــار الناس ، ثم قالت : يا رسول الله ! إنى نذرت إن نجانى الله عليها أن أنحرها فآكل من كبدها وسنامها ! فتبسم وقال : بئس ماجزيتها ! أن حملك الله عليها ونجاك [بها](٤) ثم تنحرينها ! إنه لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، فارجعى إلى أهلك على بركة الله .

خبر الهــــدية

وقيل لرسول الله ﷺ : هذه لقحتك السمراء على بابك . فخرج مستبشراً . فإذا رأسها بيد ابن أخى عيينة ابن حصن ، فلما نظر عرفها فقال : أيم بك(٥) ؟ فقال : يا رسول الله ! أهديت إليك هذه اللقحة ، فتبسم وقبضها منه ، وأمر له بثلاثة أواق فضة . فتسخط ، فصلى عليه السلام الظهر وصعد المنبر فحمد الله ، ثم قال : إن الرجل أهدى لى الناقة من إبلى ، أعرفها كما أعرف بعض أهلى ثم أثيبه عليها ، فيظل يتسخط علىَّ ! ولقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشى أو أنصارى . وفى رواية(٦) : أو ثقفى أو دوسى .

بعض تاريخ الغزوة

ووقع فى صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع فى هذه القصة قال : فرجعنا إلى المدينة فلم نلبث إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر . وذهب قوم إلى أن غزوة المريسيع كانت فى شعبان ، بعد غزوة الغابة هذه(٧) .

---

(١) المحْل : مَحَلَ المكان : أجدب (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٥٧٦ .

(٢) الكَلّ : الفقير المُعدم . (٣) من الحمالة : وهى الدية والغرامة .

(٤) زيادة من ابن هشام ج ٣ ص ١٧٩ ، وفى (خ) (والمغازى) بدونها .

(٥) يريد : أى شىء بك ؟ (٦) عن أبى هريرة ، ذكرها (الواقدى) ج ٢ ص ٥٤٩ .

(٧) يقول ابن (القيم) فى (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٩ : « وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية ، وقد وهم فيها جماعة من أهل المغازى والسير ، فذكروا أنها قبل الحديبية » .

يا خيل الله اركبي

وفى غزوة الغابة نودى عندما جاء الفزع : يا خيل الله اركبي : ولم يكن يقال قبلها .

سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر

ثم كانت سرية عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة — الأسدى — إلى الغمر : وهو ماء لبنى أسد على ليلتين من فيد(١) فى ربيع الأول سنة ست . خرج فى أربعين رجلا يغذ السير فنذر به القوم فهربوا ، وانتهى إلى عليـا بلادهم فلم يلق أحداً . وبث سراياه فظفروا بنعم فاستاقوا مائتى بعير وعادوا .

سرية محمد بن مسلمة إلى ذى القصة

ثم كانت سرية محمد بن مسلمة إلى ذى القصة — موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا — يريد بنى ثعلبة وبنى عوال من ثعلبة(٢) : وهم مائة رجل ، فى ربيع الأول ، فسار فى عشرة حتى وردوا ليلا وناموا ، فأحاط بهم المائة رجل من بنى ثعلبة ففزعوا ، وراموهم ساعة بالنبل ، ثم حملت الأعراب بالرماح عليهم فقتلوهم ، وسقط محمد بن مسلمة جريحاً ، فحمل بعد ذلك إلى المدينة .

سرية أبى عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة

ثم كانت سريه أبى عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة فى شهر ربيع الآخر سنة ست . خرج فى ليلة السبت ومعه أربعون رجلا ، فغاب ليلتين ، وكانت بلاد بنى ثعلبة وأنمار قد أجدبت ، فتتبع بنو محارب وثعلبة وأنمار سحاباً وقعت بالمراض إلى تغلمين ، [والمراض على ستة وثلاثين ميلا من المدينة] ، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة بيطن هيفا(٣) : [موضع على سبعة أميال من المدينة] . فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة رضى الله عنه بمن معه بعدما صلوا صلاة المغرب : فمشوا ليلهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح(٤) ، فأغاروا على القوم فأعجزوهم هرباً . وأخذوا رجلا ، واستاقوا نعماً ، ووجدوا رثة من متاع ، وعادوا بخمس رسول الله ﷺ الغنيمة ، وقسم باقيها . وأسلم الرجل وترك لحاله .

سرية زيد بن حارثة إلى العيص

وكانت سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه إلى العيص : على أربع ليال من المدينة ، فى جمادى الأولى منها ، ومعه سبعون ومائة راكب ، ليأخذوا عيراً لقريش قد أخذت طريق العراق ودليلها فرات بن حيان العجلى .

(١) فيد : بليدة فى نصف طريق مكة من الكوفة (معجم البلدان) ج ٤ ص ٢٨٢ .
(٢) ق (خ) « ثعلب » .
(٣) ق (خ) « هيفا » .
(٤) عماية الصبح : بقية الظلمة فى آخر الليل .

فظفر بها زيد ، وأسر أبا العاص بن الربيع ، والمغيرة بن معاوية بن أبى العاص ، ووجد فضة كثيرة لصفوان بن أمية . وقدم المدينة ، فأجارت زينب [بنت رسول الله](١) عليها السلام زوجها أبا العاص .

إسلام أبى العاص زوج زينب بنت رسول الله

فقال رسول ﷺ : المؤمنون يد على من سواهم ، يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت : ورد عليه كل ما أخذ من المال . فعاد إلى مكة وأدى إلى كل ذى حق حقه ، وأسلم . ثم قدم المدينة مهاجراً ، فرد رسول الله ﷺ عليه زينب بذلك النكاح .

إفلات المغيرة بن معاوية من أسر عائشة رضى الله عنها

وأفلت المغيرة بن معاوية فتوجه إلى مكة ، فأخذه خوات بن جبير أسيراً — وكان فى سبعة نفر مع سعد ابن أبى وقاص — فدخلوا به المدينة بعد العصر ، فقال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها : احتفظى عليك بهذا الأسير ، وخرج . فلهت عائشة مع امرأة بالحديث ، فخرج وما شعرت به .

خبر دعاء رسول الله ﷺ على عائشة رضى الله عنها

فدخل النبى ﷺ فلم يره وسألها ، فقالت : غفلتُ عنه ، وكان هاهنا آنفاً ! فقال : قطع الله يدك . وخرج فصاح بالناس ، فخرجوا فى طلبه حتى أخذوه وأتوا به . فدخل ﷺ على عائشة وهى تقلب يدها فقال : مالك ؟ قالت : أنظر كيف تقطع يدى ! قد دعوت علىّ بدعوتك ! فاستقبل ﷺ القبلة ورفع يديه ثم قال : اللهم إنما أنا بشر أغضب وآسف كما يغضب البشر ، فأيما مؤمن أو مؤمنة دعوتُ عليه فاجعلها له رحمة (٢) .

سرية زيد بن حارثة إلى الطرف

وكانت سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرَف — ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة ، بناحية نخل من طريق العراق — فى جمادى الآخرة منها ، ومعه خمسة عشر رجلا يريد بنى ثعلبة ، فأصاب لهم نَعَماً وشاءً . وقدم من غير قتال بعشرين بعيراً ، ثم غاب أربع ليال .

سرية زيد بن حارثة إلى حسمى وسببها

وكانت سرية زيد أيضا إلى حسمى وراء وادى القرى ، فى جمادى الآخرة هذا ، وسببها أن دحية الكلبى أقبل من عند قيصر ملك الروم بجائزة وكسوة ، فلقيه بحسمى الهنيد بن عارض وابنه عارض بن الهنيد فى جمع من جذام ، فأخذوا ما معه . ودخل المدينة بسَمَل (٣) ثوب ، [ويقال : بل نفر إليه النعمان بن أبى جعال فى نفر من بنى الضبيب فخلص له متاعه بعد حرب] . فبعث رسول الله ﷺ زيداً على خمسمائة رجل ومعه دحية ،

(١) زيادة للإيضاح .
(٢) راجع ج ٢ من هذا الكتاب باب « وأما اشتراطه على ربه أن يجعل سبه [illegible] » .
(٣) ثوب سمل : بالى خلق .

فكان يسير ليلا ويكمن نهاراً ، حتى هجم مع الصبح على الهنيد وابنه فقتلهما ، واستاق ألف بعير وخمسة آلاف شاة ، ومائة ما بين امرأة وصبيٍّ . فأدركه بنو الضُّبَيب — وقد كانوا أسلموا وقرأوا من القرآن — وحدّثوه أن يرد عليهم ما أخذ . ثم قدم زيد بن رفاعة الجذامى فى نفر من قومه على رسول الله ﷺ المدينة ، فذكر له ما صنع زيد بن حارثة ، ورضوا بأخذ ما أصاب لهم من الأهل والمال ، وأغضَوْا عمَّن قتل . فبعث معهم علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه ومعه سيفه أمارة — ليردّ عليهم زيد ما أخذ لهم — فردّ جميع ذلك بعدما فرّقه فيمن معه ، وقد وَطِئُوا النساء .

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى كلب بدومة الجندل يدعوهم إلى الإسلام

وكانت سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه إلى كلب بدومة الجندل فى شعبان منها(١) ، ليدعوا كلباً إلى الإسلام ، ومعه سبعمائة رجل . فأقعده بين يديه ، ونقض عمامته بيده الكريمة ، ﷺ ، ثم عمّمه بعمامة سوداء وأرخى بين كتفيه منها ، ثم قال : هكذا فاعتم يا ابن عوف ! ثم قال ﷺ : اغدُ باسم الله وفى سبيل الله . فقاتل من كفر بالله . لا تغلّ ولا تغدر ولا تقتل وليداً .

الخمس المهلكات

ثم بسَطَ يده فقال : يا أيها الناس ! اتقوا خمساً قبل أن تحلّ بكم : ما نُقِصَ(٢) مكيال قوم إلا أخذهم الله بالسنين(٣) ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون ، وما نكث قوم عهدهم إلا سلّط الله عليهم عدوّهم ، وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله عنهم قطر السماء : ولولا البهائم لم يسقَوْا ، وما ظهرت الفاحشة فى قوم إلا سلط الله عليهم الطاعون ، وما حكم قوم بغير آى القرآن إلا ألبسهم شيعاً(٤) وأذاق بعضهم بأس بعض .

إسلام الأصبغ ملك كلب ، وزواج عبد الرحمن بن عوف تماضر ابنته

فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل ، ودعا أهلها ثلاثة أيام إلى الإسلام وهم يأبون إلا محاربته. ثم أسلم الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن حصن بن ضمضم الكلبى : وكان نصرانياً وهو رأس القوم ، فكتب عبد الرحمن ابن عوف بذلك إلى رسول الله ﷺ مع رافع بن مكيث ، وأنه أراد أن يتزوج فيهم ، فكتب إليه أن تزوج تماضر ابنة الأصبغ ، فتزوجها ، فهى أول كلبية تزوجها قرشىٌّ ، فولدت له أبا سلمة ، [الفقيه](٥) . [وهى أخت النعمان بن المنذر لأمه] . وأقبل بعدما فرض الجزية على من أقام على دينه .

---

(١) من سنة ست .

(٢) كذا فى (خ) و (ط) وفى (الواقدى) ج ٢ ص ٥٦١ « ما يقضى » .

(٣) السنين جمع سنة ، وهى القحط والجدب .

(٤) أى مختلفين المتباعدين ، إشارة إلى قوله تعالى : « أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض » من الآية ٦٥/ الأنعام .

(٥) هكذا رسم هذه الكلمة فى (خ) والسياق مستقيم بدونها وحذفها أولى .

سرية على بن أبى طالب إلى بنى سعد بن بكر

ثم كانت سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى بنى سعد بن بكر(١) وكانوا بفدك(٢) فى شعبان منها ، ومعه مائة رجل . وقد أجمعوا [يعنى بنى سعد بن بكر](٣) على أن يمدوا يهود خيبر . فسار الليل وكمن نهاراً ، حتى [إذا](٣) انتهى إلى ماء بين خيبر وفدك يقال له الهَمَج ، وجد عيناً لبنى سعد قد بعثوه إلى خيبر — لتجعل لهم يهودُ من تمرها كما جعلوا لغيرهم ، حتى يقدموا عليهم — فدلهم على القوم بعد ما أمّنوه . فسار علىّ حتى أغار على نَعَمِهم وشائهم ، وفرّت رعاتها فأنذرت القوم . وقد تجمّعوا مائتى رجل ، وعليهم وَبَرُ بن عليم(٤) ، فتفرقوا . وانتهى علىّ بمن معه فلم ير منهم أحداً ، وساق النَّعَم : وهى خمسمائة بعير وألفا شاة فعزل الخمس وصفىّ رسول الله ﷺ لقوحاً تدعى (الحفذة)(٥) ، ثم قسم ما بقى ، وقدم المدينة .

سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة(٦) ، وسببها

ثم كانت سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية ، بناحية وادى القرى : على سبع ليال من المدينة ، فى رمضان سنة ست ، وسببها أن زيداً خرج فى تجارة إلى الشام ، [ومعه بضائع لأصحاب النبى ﷺ](٧) ، فخرج عليه — دوين وادى القرى — ناس من بنى بدر من فزارة فضربوه ومن معه حتى ظنوا أنهم قتلوه ، وأخذوا ما كان معه ، ثم تحامل حتى قدم المدينة . فبعثه رسول الله ﷺ فى سرية إلى بنى فزارة ، فكان يكمن نهاره ويسير ليله ، ونذرت بهم بنو بدر فاستعدّوا ، فلما كان زيد ومن معه على مسيرة ليلة أخطأ بهم دليلهم الطريق ، حتى صبحوا القوم فأحاطوا بهم . فقتل سلمة بن الأكوع رجلا منهم ، وأخذ [سلمة بن](٨) سلامة بن وقش ، [ويقال بل سلمة بن الأكوع ، واسم الأكوع سنان] ، جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وأمها أم قرفة : فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وغنموا . ثم قدموا المدينة ، فقرع زيد بن حارثة الباب ، فقام إليه رسول الله ﷺ يجرّ ثوبه عرياناً حتى اعتنقه وقبّله ، وسأله فأخبره بما ظفّره الله .

وقتل فى هذه السرية عبد الله بن مسعدة ، وقيس بن النعمان بن مسعدة بن حكمة بن مالك [بن حذيفة](٩) بن بدر ،

---

(١) فى (خ) « بنى عبد الله سعد بن بكر » والذى أثبتناه من : (الواقدى) ج ٢ ص ٥٦٢ ، (ابن سعد) ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة . (معجم البلدان) ج ٤ ص ٢٣٨ .

(٣) زيادة للبيان والإيضاح .

(٤) فى (خ) « وبرب عليم » والتصويب من : (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٠ و (الواقدى) ج ٢ : ٥٦٢ .

(٥) كذا فى (خ) ، و (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٠ وفى (الواقدى) ج ٢ ص ٥٦٣ : « الحفدة » مضبوطة

(٦) قال الميدانى فى (مجمع الأمثال) ج ٢ ص ٣٢٣ : « قال الأصمعى : هى امرأة فزارية ، وكانت تحت مالك بن حذيفة بن بدر وكان يعلّق فى بيتها خمسون سيفاً لخمسين فارساً كلهم محرم » ذكره تعليقاً على المثل رقم ٤١٦٤ وهو : « أمنع من أم قرفة » وفى (جمهرة الأمثال) لأبى هلال العسكرى : برقم ١٢٤٤ « أعزّ من أم قرفة » ج ٢ ص ٦٦ .

(٧) زيادة للبيان والإيضاح من (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٠ .

(٨) زيادة لابد منها .

(٩) زيادة من النسب .

أحد بنى قرفة . وأم قرفة قتلها قيس بن المحسر [اليعمرى][1] قتلا عنيفاً : ربط بين رجليها حبلا ، ثم ربطها بين بعيرين [ثم زجرهما فذهبا فقطعاها][2] وهى عجوز كبيرة . فأمر رسول الله ﷺ برأسها فدير به فى المدينة ليُعلم قتلها ، ويصدق قول رسول الله فى قوله لقريش : « أرأيتم إن قتلت أمَّ قرفة ؟ فيقولون : أيكون ذلك ؟ » ، وكان زوجها مالك بن حذيفة بن بدر . وأخذ رسول الله ﷺ من سلمة بن الأكوع ابنة أم قرفة ، فوهبها لحزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهى مشركة وهو مشرك ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن ، وكانت جميلة .

سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم اليهودى بخيبر

ثم كانت سرية أميرها عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم[3] بخيبر ، وكان من يهود ، فى شوال سنة ست . وكان قد بعثه رسول الله ﷺ قبل ذلك فى رمضان فى ثلاثة نفر ينظر إلى خيبر وما تكلم به يهود ، فوعى ذلك وعاد بعد إقامة ثلاثة أيام ، فقدم لليال بقين منه ، فأخبر رسول الله ﷺ بما ندبه إليه .

خبر أسير بن زارم

وكان أسير قد تأمّر على يهود بعد أبى رافع ، فقام فيهم يريد حرب رسول الله ﷺ ، وسار فى غطفان لجمعها ليسير إلى المدينة ، فقدم بخبره خارجة بن حسيل الأشجعى[4] . فندب رسول الله ﷺ الناس فانتدب له ثلاثون رجلا ، واستعمل عليهم عبد الله بن رواحة رضى الله عنه . فقدموا خيبر ، وبعثوا إلى أسير فأمّنهم حتى يأتوه[5] ، فلما جاءوا فيه ، فأتوه وقالوا له : إن رسول الله قد بعثنا إليك أن تخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك . فطمع فى ذلك ، وخرج فى ثلاثين من يهود ؛ ثم ندم فى أثناء الطريق حتى عُرف ذلك منه .

غـــدرة لليهودى

وهمّ بعبد الله بن أنيس — وكان فيمن خرج مع ابن رواحة — ففطن عبد الله بغدره وبادر ليقتله ، فشجّه أسير ثم قُتل . ومالوا على أصحابه فقتلوهم كلهم . إلا رجلا واحداً فرّ منهم ؛ ولم يُصب أحد من المسلمين . وقدموا المدينة — وقد خرج رسول الله ﷺ يتحسب أخبارهم — فحدثوه الحديث ، فقال : نجاكم الله من القوم الظالمين . ونفث فى شجة عبد الله بن أنيس فلم تقيح[6] بعد ذلك ولم تؤذه ، وكان العظم قد نقّل . ومسح على وجهه ودعا له ، وقطع له قطعة من عصاه فقال : أمسك هذه علامة بينى وبينك يوم القيامة أعرفك بها ، فإنك تأتى يوم القيامة

---

(١) فى (ابن هشام) ج ٤ ص ١٩٥ : « قيس بن المسحر اليعمرى » وفى (الواقدى) ج ٢ ص ٥٦٥ « قيس بن المحسّر » .
(٢) زيادة لتمام المعنى من المرجع السابق ومن (الطبرى) ج ٢ ص ٦٤٢ ، ٦٤٣ .
(٣) وفى بعض كتب السيرة « رزام » وفى (ابن هشام) « اليسير بن رازم » ج ٤ ص ١٩٦ .
(٤) فى (الواقدى) « ابن حسيل » وفى (خ) ، (ط) « حسيل » . ويقول معلق (ط) عن « خارجة » « ولا رأيت أحداً من أصحاب السير ذكره فى خبر هذه السرية » ، وأقول : « راجع الخبر بتمامه فى (الواقدى) ج ٢ ص ٥٦٦ » .
(٥) فى (خ) « حتى يأتونه » .
(٦) كذا فى (ط) وفى (خ) ، (الواقدى) « تقع » بالقاف .

مختصراً . فجعلت معه فى قبره تلى جلده ، ويروى أن النبى ﷺ كان قد قال له : يا عبد الله ! لا أرى أسير بن زارم ! أى اقتله .

سرية كرز بن جابر

ثم كانت سرية كرز بن جابر بن حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشىّ الفهرىّ — لما أغير على لقاح النبى ﷺ بذى الجدر — فى شوال سنة ست — وهى على ستة أميال من المدينة ؛ وذلك أن نفراً من عرينة ثمانية قدموا على النبى ﷺ [فأسلموا ، واستوبأوا المدينة . وطحلوا ، فأمر بهم رسول الله ﷺ[1]] إلى لقاحه — وكان سرح المسلمين بذى الجدر ناحية قباء قريباً من عير ، ترعى هناك — فكانوا فيها حتى[2] صحوا وسمنوا — وكانوا استأذنوه أن يشربوا من ألبانها وأبوالها فأذن لهم — فغدوا على اللقاح فاستاقوها ، فيدركهم يسار مولى النبى ﷺ ومعه نفر فقاتلهم ، فأخذوه فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك فى لسانه وعينيه حتى مات ، وانطلقوا بالسرح . فأقبلت امرأة من بنى عمرو بن عوف على حمار لها حتى تمر بيسار فتجده تحت شجرة ، فلما رأته وما به رجعت إلى قومها فأخبرتهم ، فخرجوا نحو يسار حتى جاءوا به إلى قباء ميتاً . فبعث رسول الله ﷺ فى إثرهم عشرون فارساً . واستعمل عليهم كرز بن جابر الفهرى ، فخرجوا فى طلبهم حتى أدركهم الليل فباتوا بالحرّة ، وأصبحوا لا يدرون أين يسلكون ، فإذا هم بامرأة تحمل كتف بعير فأخذوها ، فقالوا : ما هذا معك ؟ قالت مررت بقوم قد نحروا بعيراً فأعطونى هذا . ودلتهم على موضعهم فأتوهم . فأحاطوا بهم وأسروهم جميعهم .

عقاب الأسرى

وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة — وقد خرج رسول الله ﷺ إلى الغابة[3] — فأتوه بهم . فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمل[4] أعينهم ، وصلبوا بالزُّغابة .

النهى عن المثلة

فنزلت هذه الآية : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعَون فى الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »[5] فلم تسمَل بعد ذلك عين ، ولا بعث ﷺ بعد ذلك بعثاً إلا نهاهم عن المثلة . وروى جعفر ابن محمد ، عن أبيه عن جده : لم يقطع رسول الله ﷺ لساناً قط ، ولم يسمُل عيناً ولم يزد على قطع اليد والرجل .

---

(١) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٣ واستوبأوا : استوخموا (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٥٥٤ وطحلَ الماء : فسد وأنتن (المرجع السابق) ج ٣ ص ٥٨ .
(٢) فى (خ) « حتى إذا » ، وحذف « إذا » أولى للسياق .
(٣) فى (ع) « بالغابة » .
(٤) سمل العين : فقأها (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٦١٧ .
(٥) فى (خ) « فساداً ، الآية » ، والآية ٣٣ / المائدة .

اللقـــاح

ولما ظفر المسلمون باللقاح خلفوا عليها سلمة بن الأكوع ومعه أبو رهم الغفارى . وكانت خمسة عشرة لقحة غزاراً . فلما أقبل النبي ﷺ من الغابة إذا اللقاح على باب المسجد تحان(١) ، فلما نظر إليها تفقد منها لقحة يقال لها الحناء . وقد نحرها القوم ، فردها إلى ذى الجدر فكانت هناك ، وكان ابنها يروح به سلمة ابن الأكوع إلى رسول الله ﷺ كل ليلة وطب(٢) لبن .

عمرة الحديبية

ثم كانت عمرة الحديبية [على مقربة مكة](٣) . وذلك أن رسول الله ﷺ رأى فى النوم أنه دخل البيت وحلق رأسه ، وأخذ مفتاح البيت ، وعرّف مع المعرّفين(٤) ، فاستنفر أصحابه إلى العمرة ، فأسرعوا وتهيأوا للخروج .

إسلام بسر بن سفيان وشراؤه الهدى لرسول الله ﷺ

وقدم عليه بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعى فى ليال من شوال مسلماً ، فقال له : يا بسر ! لا تبرح حتى تخرج معنا ، فإنا إن شاء الله معتمرون . فأقام وابتاع بُدناً لرسول الله ﷺ ، فكان يبعث بها إلى ذى الجدر حتى حضر خروجه ، فأمر بها فجلبت إلى المدينة ، وسلمها إلى ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم(٥) بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى الأسلمى ليقدمها إلى ذى الحليفة .

سلاح المسلمين وهديهم

وخرج المسلمون لا يشكّون فى الفتح — للرؤيا المذكورة — ، وليس معهم سلاح إلا السيوف فى القرب . وساق قوم الهدى(٦) : منهم أبو بكر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد ابن عبادة رضوان الله عليهم .

كلام عمر فى أمر السلاح

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أتخشى يا رسول الله علينا من أبي سفيان بن حرب وأصحابه ولم تأخذ للحرب عدتها ؟ فقال : ما أدرى ، ولست أحب أحمل السلاح معتمراً . وقال سعد بن عبادة رضى الله عنه :

---

(١) هذه الكلمة غير منقوطة فى (خ) ولعلها « تحانّ » تفاعل من الحنين .

(٢) الوطبُ : « سقاء اللبن » وهو جلد الجذع فما فوقه (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٦٢٧ .

(٣) ما بين القوسين فى (خ) كان بعد قوله « وطب لبن » ، وهذا حق مكانه . والحديبية فى الحل وبعضها فى الحرم ، وعند مالك بن أنس أنها جميعها من الحرم . (معجم البلدان) ج ٢ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٤) عرّف : وقف بعرفة فى الحج .

(٥) فى (خ) « وائلة بن تيم » وما أثبتناه من (ط) .

(٦) الهَدْىُ : ما يهدى إلى الحرم من النَّعَم . (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٩٧٨ .

لو حملنا يا رسول الله السلاح معنا ، فإن رأينا من القوم ريباً كنا معدين لهم ! فقال : لستُ أحمل السلاح ، إنما خرجت معتمراً .

يوم الخروج

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم . وخرج من المدينة يوم الإثنين لهلال ذى القعدة . هذا هو الصحيح ؛ وإليه ذهب الزهرى ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحق ، والواقدى(١) ، واختلف فيه على عروة بن الزبير ، فمنه : خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية فى رمضان ، وكانت الحديبية فى شوال(٢) . وعنه أنها كانت فى ذى القعدة من سنة ست .

بدء الجهاز للعمرة

قال الواقدى : فاغتسل فى بيته ، ولبس ثوبين من نسج صحار(٣) ، وركب راحلته القصواء من عند بابه ، وخرج المسلمون . فصلى الظهر بذى الحليفة ، ثم دعا بالبدن فجللت(٤) ، ثم أشعر(٥) منها عدة — وهى موجهات إلى القبلة — فى الشق الأيمن .

إشعار الهدى وتقليده

ثم أمر ناجية بن جندب بإشعار ما بقى ، وقلد(٦) نعلا نعلا ، وهى سبعون بدنة : منها جمل أبى جهل الذى غنمه يوم بدر . وأشعر المسلمون بدنهم ، وقلدوا النعال فى رقابها . وبعث بسر بن سفيان عيناً له ، وقدم عباد بن بشر طليعة فى عشرين فرساً ، ويقال أميرهم سعد بن زيد الأشهلى .

إحرام رسول الله ﷺ من ذى الحليفة

ثم صلى ركعتين وركب من باب المسجد بذى الحليفة(٧) ، فلما انبعثت به راحلته مستقبلة القبلة أحرم فلبى : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ؛ إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . وأحرم عامة الناس بإحرامه .

---

(١) فى (المغازى) ج ٢ ص ٥٧٣ .

(٢) قال ابن القيم فى (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ : « وقال هشام بن عروة ، عن أبيه : خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية فى رمضان ، وكانت فى شوال ، وهذا وهم ، وإنما كانت غزاة الفتح فى رمضان » .

(٣) صُحَار : قرية باليمن ينسب الثوب إليها (النهاية) ج ٣ ص ١٢ .

(٤) من الجُلّ : وهو البِسُط أو الأكسية التى تلبسها الدابة فتصان به (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٥١٨ .

(٥) أشعر البَدَنة : أعلمها ، وهو أن يشق جلدها ، أو يطعنها حتى يظهر الدم (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٧٢٠ .

(٦) قلّدها قِلادة : جعلها فى عنقها ، ومنه تقليد البدنة شيئاً يعلم به أنها هدى . (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٦٧٤ .

(٧) فى (خ) « بالحديبية » .

عدد المسلمين

وسلك طريق البيداء(١) ، وخرج معه من المسلمين ألف وستمائة ، ويقال : ألف وأربعمائة ، ويقال ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلا ، ويقال : ألف وثلاثمائة(٢) .

عدد النســاء

وأربع نسوة : أم سلمة أم المؤمنين ، وأم عمارة ، وأم منيع — أسماء بنت عمرو بن عدى [بن سنان بن نابي](٣) ابن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارية ، وأم عامر الأشهلية ، وقال بعضهم : كانوا سبعمائة . قال ابن حزم : وهذا وهم شديد البتة ، قال : والصحيح بلا شك ما بين ألف وثلاثمائة إلى ألف وخمسمائة .

مقالة بنى بكر ومزينة وجهينة

ومر فيما بين مكة والمدينة بالأعراب بنى بكر ومزينة وجهينة فاستنفرهم ، فتشاغلوا بأبنائهم وأموالهم ، وقالوا فيما بينهم : أيريد محمد أن يغزو بنا(٤) إلى قوم معدّين فى الكراع والسلاح ؟ وإنما محمد وأصحابه أكلة جزور(٥) ! لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبداً ! قوم لا سلاح معهم ولا عدد !

هدية بنى نهــد

ثم قدم ناجية بن جندب مع الهدى فى فتيان من أسلم ، ومعهم هدى المسلمين . ولقى بالروحاء طائفة من بنى نهد ، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ، وبعثوا إليه بلبن من نعمهم فقال : لا أقبل هدية من مشرك .

رد هدية المشركين

وردّه ، فابتاعه المسلمون منهم . وابتاعوا ثلاثة أضب (٦) فأكل منها قوم أحلّة . وسأل المحرمون رسول الله ﷺ عنها فقال : كلوا ، فكل صيد البر لكم حلال فى الإحرام تأكلونه إلا ما صدتم أو صيد لكم .

الصيد فى الحرم

ورأى أبو قتادة بالأبواء حماراً وحشياً — وكان محلا(٧) فحمل عليه فقتله ، فأكل منه رسول الله ﷺ . وجاءه يومئذ الصّعب بن جثامة بن قيس الليثىّ بحمار وحشىّ أهداه له فردّه ، وقال : إنا لم نرده إلا أنا حرم .

---

(١) البيداء : اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة ، وهى إلى مكة أقرب . (معجم البلدان) جـ ١ ص ٥٢٣ .

(٢) راجع : (فتح البارى) جـ ٧ ص ٤٤٣ الحديث رقم ٤١٥٣ ، ٤١٥٤ ، ٤١٥٥ . و (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبى ص ٦٠٩٤ و (تفسير الطبرى) جـ ٢٦ ص ٨٧ و (زاد المعاد) جـ ٣ ص ٢٨٧ .

(٣) فى (خ) مكان ما بين القوسين « بن أبى بن عمرو » وهو خطأ ، وما أثبتناه من (ط) .

(٤) فى (خ) « أيريد محمداً يغزونا » ، وما أثبتناه من (الواقدى) جـ ٢ ص ٥٧٤ .

(٥) كناية عن قلة العدد ، فإن أكلة الجزور عادة لا يتجاوزون العشرة .

(٦) أضبّ : جمع ضبّ ، وهو حيوان من جنس الزواحف تأكل الأعراب لحمه (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٥٣٢ .

(٧) مُحلّ : غير محْرِم .

هدية إيمــاء بن رحضة

وأهدى له إيماء بن رحضة بن خربة الغفارى مائة شاة وبعيرين يحملان لبناً : بعث بهما مع ابنه خفاف بن إيماء ففرق ذلك وقال: بارك الله فيكم. وأهدى له من ودان لياء [وهو حب أبيض كالحمص] وعتره(١) وضغابيس(٢)، فجعل يأكل الضغابيس والعتر وأعجبه ، وأدخلّ منه على أمّ سلمة .

خبر كعب الذى آذاه القمل وهو محرم

ورأى بالأبواء كعب بن عجرة بن أمية بن عدى بن عبيد بن الحارث البلوى ورأسه يتهافت قملا وهو محرم ، فقال : هل تؤذيك هوامّك يا كعب ؟ قال : نعم يا رسول الله ! قال : فاحلق رأسك . وفيه نزلت : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك »(٣) ، فأمره رسول الله ﷺ أن يذبح شاة ، أو يصوم ثلاثة أيام ، أو يطعم ستة مساكين : لكل مسكين مدين ، أى ذلك فعل أجزأه . ويقال : إن كعب بن عجرة أهدى بقرة قلدها وأشعرها .

ما عطب من الهدى

وعطب(٤) من ناجية بن جندب بعيرٌ من الهــدى ، فجاء بالأبواء إلى رسول الله ﷺ وأخبره ، فقال : انحرها(٥) ، واصبغ قلائدها فى دمها ، ولا تأكل أنت ولا أحد من أهل رفقتك منها ، وخلّ بين الناس وبينها .

نزول الجحفة

ولما نزل الجحفة لم يجد بها ماء ، فبعث رجلا فى الروايا إلى الخرّار ، فرجع بها وقال : يارسول الله! ما أستطيع أن أمضى رعباً ! فبعث رجلا آخر بالروايا ، فرجع وذكر كما ذكر الأول : فبعث آخر وخرج السقاء معه ، فاستقوا وأتوا بالماء . ثم أمر بشجرة يقم(٦) ما تحتها .

خطبة رسول الله

وخطب الناس فقال : إنى كائن لكم فرطاً(٧) ، وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم(٨) تضلوا : كتاب الله وسنة نبيه .

---

(١) العتر : نبتٌ أو شجر صغار فإذا طال وقطع أصله خرج منه شبه اللبن (النهاية) جـ ٣ ص ١٧٧ و (ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ١٤٦ .

(٢) الضغابيس : صغار القثّاء ، جمع ضغبوس (المرجع السابق) ص ٧٨ .

(٣) آية ١٩٦ / البقرة ، وفى (خ) « وفيه نزلت ، ففدية . . . » .

(٤) عطب البعير والفرس : انكسر (ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ٢٥٠ .

(٥) الضمير هنا عائد على البَدَنَة وهى البعير .

(٦) وفى حديث فاطمة « أنها قَمّتِ البيت حتى اغبرّتْ ثيابها » أى كنَسَتْه ، والقمامة : الكناسة . (النهاية) جـ ٤ ص ١١٠ .

(٧) فرَط : سبق ، وأكثر ما يستعمل فى السبق إلى الماء (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٦٧٣ .

(٨) فى (خ) « لن » وما أثبتناه من (الواقدى) جـ ٢ ص ٥٧٧ .

بلاغ خبر المسلمين إلى أهل مكة وخروجهم إليهم

وبلغ أهل مكة خروج رسول الله ﷺ فراعهم ذلك، وتشاوروا. ثم قدّموا عكرمة ابن أبي جهل — ويقال خالد بن الوليد — على مائتي فارس إلى كراع الغميم، واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش، وأجلبت ثقيف معهم: ووضعوا العيون على الجبال، وهم عشرة رجال يوحي بعضهم إلى بعض بالصوت: فعل محمد كذا كذا، حتى ينتهي ذلك إلى قريش ببلدح(١). وخرجوا إلى بلدح وضربوا بها القباب والأبنية، ومعهم النساء والصبيان، فعسكروا هناك، وقد أجمعوا على منع رسول الله ﷺ من دخول مكة ومحاربته.

إجماع قريش على منع المسلمين من دخول مكة، ومشورة المسلمين

ورجع بسر بن سفيان من مكة وقد علم خبر القوم، فلقي رسول الله ﷺ من وراء عسفان وأخبره الخبر. واستشار رسول الله ﷺ(٢) الناس: هل يمضي لوجهته ويقاتل من صدّه عن البيت أو يخالف الذين استنفروا إلى أهليهم فيصيبهم؟ فأشار أبو بكر رضي الله عنه أن يمضوا لوجوههم، ويقاتلوا من صدهم. وقال المقداد بن عمرو: يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون»، ولكن «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما(٣) مقاتلون». والله يا رسول الله! لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك ما بقي منا رجل. وقال أسيد بن الحضير: يا رسول الله! نرى أن نصمد لما خرجنا له. فمن صدنا قاتلناه. فقال: إنا لم نخرج لقتال أحد، إنما خرجنا عماراً.

بديل بن ورقاء وخبر قريش

ولقيه بديل بن ورقاء بن عبد العُزّى بن ربيعة بن جزّي بن عامر بن مازن بن عدي بن عمرو بن ربيعة [وهو الحي](٤) الخزاعي — في نفر من خزاعة، منهم الحُليس بن علقمة الحارثي، من بني الحارث بن عبد مناة، فقال: يا محمد! لقد اغتررت بقتال قومك جلابيب(٥) العرب، والله ما أرى معك أحداً له وجه، مع أني أراكم قوماً لا سلاح معكم! فقال أبو بكر رضي الله عنه: عضضت ببظر اللات! فقال بديل: أما والله لولا يدٌ لك عندي لأجبتك، فوالله ما أتهم أنا ولا قومي ألا أكون أحب أن يظهر محمد. إني رأيت قريشاً مقاتلتك عن ذراريها وأموالها، قد خرجوا إلى بلدح فاضطربوا(٦) الأبنية، معهم العوذ المطافيل(٧)، وترافدوا

(١) بَلدح: واد قبل مكة من جهة المغرب (معجم البلدان) جـ ١ ص ٤٨٠.
(٢) زيادة للبيان.
(٣) في (خ) «معكم».
(٤) في (خ) «عمرو لحي بن ربيعة».
(٥) استحلب القوم: اجتمعوا للنصرة (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ١٩٠.
(٦) اضطرب البناء: أقامه.
(٧) العوذ: جمع عائذ، وهي الناقة حديثة عهد بالنتاج (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٦٣٥، المطافيل: جمع مُطفل وهي ذات الطفل من الإنسان والحيوان (المرجع السابق) ص ٥٦٠.

على الطعام(١) يطعمون الخزير(٢) من جاءهم، يتقوّون به على حربك، فرَ رأيك(٣). وكانت قريش قد ترافدوا وجمعوا أموالا يطعمون بها من ضوى إليهم من الأحابيش. وكان يطعم في أربعة أمكنة: في دار الندوة لجماعتهم، وكان صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وحويطب بن عبد العزى كل منهم يطعم في داره.

دنو خالد بن الوليد في المشركين للقاء المسلمين

ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى المسلمين، فصفّ خيله فيما بينهم وبين القبلة؛ فقدم رسول الله ﷺ عباد بن بشر في خيله، فقام بإزائه وصف أصحابه. وحانت صلاة الظهر فأذن بلال وأقام؛ فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه مستقبل القبلة وهم خلفه، يركع بهم ويسجد. ثم قاموا؛ فكانوا على ما كانوا عليه من التعبئة فقال خالد ابن الوليد: قد كانوا على غرة، لو كنا حملنا عليهم أصبنا منهم! ولكن تأتي الساعة صلاة هي أحب إليهم من أنفسهم وأبنائهم!

صلاة الخوف

فنزل جبريل عليه عليه السلام بين الظهر والعصر بهذه الآية: «وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم، وخذوا حذركم، إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً»(٤) فحانت العصر، فأذن بلال وأقام، فقام رسول الله ﷺ مواجها للقبلة والعدو أمامه فكبر وكبّر الصفان جميعاً، ثم ركع فركع الصفان جميعاً، ثم سجد فسجد الصف الذي يليه، وقام الآخرون يحرسونه. فلما قضى رسول الله ﷺ السجود بالصف الأول، قام وقاموا معه، وسجد الصف المؤخر السجدتين، ثم استأخر الصفُّ الذي يلونه، وتقدم الصف المؤخر فكانوا يلون رسول الله ﷺ، فقاموا جميعاً. ثم ركع ﷺ فركع الصفان جميعاً ثم سجد وسجد الصف الذي يلونه، وقام الصف المؤخر يحرسونه مقبلين على العدو. فلما رفع رأسه من السجدتين، سجد الصف المؤخر السجدتين اللتين بقيتا عليهم، واستوى ﷺ جالساً فتشهد ثم سلم.

الخلاف في أول صلاة الخوف

وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول: هذه أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ في الخوف. وقال سفيان بن

(١) ترافدوا: تعاونوا (المرجع السابق) جـ ١ ص ٣٥٩.
(٢) الخزير: لحم يقطع قطعاً صغاراً ثم يطبخ بماء كثير وملح، فإذا اكتمل نضجه ذُرّ عليه الدقيق وعُصد به، ثم أدم بإدام ما. (المرجع السابق) ص ٢٣١.
(٣) رَ: فعل الأمر من «رأى».
(٤) الآية ١٠٢ / النساء، وفي (خ) «... فلتقم الآية».

سعيد ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرَقي . أنه كان — يعني ابن عباس — مع النبي ﷺ يومئذ ، فذكر أن النبي ﷺ صلى هكذا . وذكر أبو عيَّاش أنها أول ما صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف — يعني ابن عباس : وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ أول صلاة الخوف في غزوة ذات الرِّقاع ، ثم صلاها بعد بعسفان . بينهما أربع سنين . قال الواقدي(١) : وهذا أثبت عندنا .

مسير المسلمين إلى ثنية ذات الحنظل وحيرة الدليل

فلما أمسى رسول الله ﷺ قال تيامنوا في هذا العَصَل(٢) ، فإن عيون قريش بمرّ الظهران أو بضجنان ، فأيكم يعرف ثنية ذات الحنظل ؟ فقال بريدة بن الحصيب : أنا ، يا رسول الله ! فقال : اسلكْ أمامنا . فأخذ بريدة في العَصَل ، قبل جبال سراوع قبل المغرب ، فسار قليلا(٣) وحار . فنزل حمزة بن عمرو الأسلمي فسار بهم قليلا ، ثم لم يدرِ أين يتوجه . فسار بهم عمرو بن [عبد](٤) نُهم الأسلمي حتى بلغها .

خبر الثنية وأن من جازها غفر له

فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ، ما مثل هذه الثنية إلا مثل الباب الذي قال الله لبني إسرائيل : « ادخلوا الباب سجداً وقولوا حِطَّة »(٥) ثم قال لا يجوز هذه الثنية أحد إلا غُفر له . فجعل الناس يسرعون .

طعام المسلمين

فلما نزل من الثنية قال : من كان معه ثفل [أي دقيق] فليصطنع(٦) . فقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : وأينا معه ثفل ؟ إنما كان عامة زادنا التمر . فقالوا يا رسول الله ! إنا نخاف من قريش أن ترانا ! فقال إنهم لن يروكم ، إن الله سيغيّبكم(٧) عليهم . فأوقدوا النيران ، واصطنع من أراد أن يصطنع : فلقد أوقدوا خمسمائة نار .

الغفران ، وخبر الرجل المحروم من غفران الله

فلما أصبحوا صلى رسول الله ﷺ الصبح ثم قال : والذي نفسي بيده ، لقد غفر الله للركب أجمعين ، إلا رُوَيكباً واحداً على جمل أحمر التفت عليه رحال(٨) القوم : ليس منهم . فطلب في العسكر فإذا به ناحية ، وهو

(١) (المغازي) جـ ٢ ص ٥٨٣ .
(٢) في (خ) « تيامنوا » والعَصَل : الاعوجاج في صلابة ، والمراد هنا الرمل الملتوي . (ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ٢٤٠ ، (والنهاية) جـ ٣ ص ٢٤٨ .
(٣) في (خ) « ليلاً » والتصويب من (الواقدي) جـ ٢ ص ٥٨٣ .
(٤) زيادة من (المرجع السابق) ص ٥٨٤ ، ونُهم : اسم صنم .
(٥) آية ٥٨ / البقرة ، والحطة : طلب المغفرة (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ١٨٢ .
(٦) من الصنيع ، وهو الطعام في سبيل الله
(٧) يُغيِّبكم : يخفيكم .
(٨) في (خ) « رجال » .

من بني ضمرة من أهل سيف البحر(١) ، قد أوى إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، قال له سعيد — وقد قيل له ما قال فيه رسول الله ﷺ — : ويحك ! اذهب إلى رسول الله يستغفر لك ! فقال : بعيري أهمُّ إليَّ من أن يستغفر . وكان قد أضلَّ بعيره . فقال سعيد : تحول عني ، لا حياك الله ! فانطلق يطلب بعيره ، فبينا هو في جبال سُراوع(٢) إذ زلقت نعله فتردى فمات وأكلته السباع .

اهل اليمن

وقال يومئذ : أتاكم أهل اليمن كأنهم قطع السحاب ، هم خير من على الأرض .

الدنو من الحديبية ، وخبر راحلة رسول الله ﷺ

وسار حتى(٣) دنا من الحديبية — وهي طرف الحرم ، على تسعة أميال من مكة ، فوقعت يد راحلته ﷺ على ثنية تهبط على غائط(٤) ، فبركت ، فقال المسلمون : حلْ حلْ [يزجرونها] - فأبت أن تنبعث ، فقالوا : خلأت القصواء(٥) ! فقال : إنها ما خلأت ، ولا هو لها بعادة ، ولكن حبسها حابس الفيل ، أما والله لا يسألوني اليوم خُطة فيها تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجروها فقامت ، فولى راجعاً حتى نزل بالناس على ثمد من ثماد(٦) الحديبية [ظنون] قليل الماء .

خبر جيشان الماء من الثمد

واشتكى الناس قلة الماء ، فانتزع سهماً من كنانته فأمر به فغرز في الثمد ، فجاشت لهم بالرواء حتى صدروا عنه بعطن ، وإنهم ليغترفون بآنيتهم جلوساً على شفير البئر . وكان الذي نزل بالسهم ناجية بن جندب ، وقيل ناجية بن الأعجم ، وقيل خالد بن عُبادة(٧) الغفاري ، وقيل البراء بن عازب .

مقالة المنافقين في دليل النبوة

وكان على الماء نفر من المنافقين ، الجدّ بن قيس ، وأوس [بن خوليّ](٨) ، وعبد الله بن أبي ، فقال أوس ابن خولي : ويحك يا أبا الحباب ! أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه ! أبعدَ هذا شيء ؟ فقال : إني قد رأيت مثل هذا . فقال أوس : قبحك الله وقبح رأيك ! فأقبل ابن أبي(٩) يريد رسول الله ﷺ ، فقال : أي أبا الحباب !

(١) سيف البحر : ساحله .
(٢) علم مرتجل لاسم موضع (معجم البلدان) جـ ٣ ص ٢٠٤ .
(٣) في (خ) ، و (الواقدي) و« وسار ذلما » وفي (ط) و (ابن سعد) « وسار حتى » .
(٤) الغائط : من الغوط ، وهو المطمئن الواسع من الأرض (ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ٤٢٨ .
(٥) خلأت الناقة خَلْأً : حَرَنت : (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٢٤٨ .
(٦) الثَّمد : مكان اجتماع الماء ، ثمد الماء : قَلّ (المرجع السابق) ص ١٠٠ .
(٧) في (خ) « عبادة » .
(٨) ظاهر العبارة يوهم أن أوس بن خولى من المنافقين ، وهو ليس منهم ، وما بين القوسين زيادة للبيان .
(٩) في (خ) « ما أقبل أبي » .

أين رأيت مثل ما رأيت اليوم ؟ فقال : ما رأيت مثله قط ! قال : فلم قلت ما قلت ؟ فقال عبد الله بن أبي : أستغفر الله . فقال ابنه : يا رسول الله ! استغفر له ! فاستغفر له .

المطر والصلاة في الرحال

ومطر المسلمون بالحديبية مراراً وكثرت المياه ، ومطروا مطراً ما ابتلت منه أسفل النعال ، فنودى : إن الصلاة في الرحال . وصلى رسول الله ﷺ الصبح في الحديبية في إثر سماء(١) كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .

الأنــــواء

قال : أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر بي ، فأما من قال : مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي(٢) . وكان ابن أبي قال : هذا نوء الخريف ، مطرنا بالشِّعرى .

الهــــدايا

وأهدى عمرو بن سالم وبسر بن سفيان الخزاعيان بالحديبية إلى رسول الله ﷺ غنماً وجزوراً ، وأهدى عمرو ابن سالم لسعد بن عبادة جزراً . وكان صديقاً له . فجاء سعد بالغنم إلى رسول الله ﷺ ، وأخبره أن عمراً أهداها له فقال : وعمرو قد أهدى إلينا ما ترى فبارك الله في عمرو ! ثم أمر بالجزر(٣) تنحر وتقسم في أصحابه ، وفرق الغنم فيهم من آخرها . فدخل على أم سلمة بعضها ، وأمر ﷺ للذى جاء بالهدية بكسوة .

خبر بديل بن ورقاء مع رسول الله

ولما اطمأن بالحديبية ، جاءه بديل بن ورقاء وركبٌ من خزاعة — وهم عيبة(٤) نصح رسول الله بتهامة ، منهم المسلم ومنهم الموادع ، لا يخفون عليه بتهامة شيئاً — فسلموا ثم قال بديل : جئناك من عند قومك كعب ابن لؤى وعامر بن لؤى ، وقد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم ، معهم العوذ المطافيل — [النساء(٥) والصبيان] — يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم(٦) . فقال ﷺ : إنا لم نأت لقتال أحد ، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صدنا عنه قاتلناه . وقريش قوم قد أضرت بهم الحرب ونهكتهم ، فإن شاءوا ماددتهم

(١) السماء : من أسماء المطر .

(٢) في (خ) « أصبح من عبادى مؤمناً وكافراً » وما أثبتناه هو رواية (البخارى) جـ ٣ ص ٤٢ وفي (المغازى) باب غزوة الحديبية ، وأحمد في (المسند) جـ ٤ ص ١١٧ (وأبو داود) جـ ٤ ص ٢٢٧ حديث رقم ٣٩٠٦ ، و (النسائى) جـ ٣ ص ١٦٤ ، باب كراهية الاستمطار بالكوكب .

(٣) في (خ) « الجزور » .

(٤) العيبة — هاهنا — : مثل ، والمعنى : أن بيننا صدوراً سليمة في المحافظة على العهد الذى عقدناه بيننا .

(٥) في (خ) « والنساء » .

(٦) خضراؤهم : دهماؤهم وجماعتهم .

مدة يأمنون فيها ، ويخلون فيما بيننا وبين الناس — والناس أكثر منهم — ، فإن ظهر أمرى على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس ، أو يقاتلوا وقد جمّوا(١) . والله لأجهدن على أمرى هذا إلى أن تنفرد سالفتى(٢) أو ينفذ الله أمره ! فعاد بديل وركبه إلى قريش ، وقد تواصوا ألا يسألوا بديلا عما جاء فيه . فلما رأى أنهم لا يستخبرونه قال : إنا جئنا من عند محمد. أتحبون أن نخبركم ؟ فقال عكرمة بن أبي جهل ، والحكم بن أبي العاص : لا ، والله ما لنا حاجة بأن تخبرونا عنه ، ولكن أخبره عنا : أنه لا يدخلها علينا عامه هذا حتى لا يبقى منا رجل .

سماع المشركين مقالة بديل

فأشار عليهم عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف [واسمه قسى](٣) بن منبه بن بكر بن عكرمة بن خصَفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معــد بن عدنان — أن يسمعوا كلام بديل ، فإن أعجبهم قبلوه ، وإلا تركوه ، فقال صفوان بن أمية ، والحارث بن هشام : أخبرنا بالذى رأيتم والذى سمعتم . فأخبروه بمقالة النبي ﷺ ، فقال عروة بن مسعود : فإن بديلا قد جاءكم بخطة رشد ، لا يردها أحد إلا أخذ شراً منها ، فاقبلوها منه ، وابعثونى حتى آتيكم بمصداقها ، وأكون لكم عيناً .

بعثة قريش عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ

فبعثوه . فقال : يا محمد ! إنى تركت قومك على أعداد(٤) مياه الحديبية قد استنفروا لك ، وهم يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم ، وإنما أنت من قتالهم بين أحد أمرين : إما أن تجتاح قومك — فلم نسمع برجل اجتاح أصله قبلك — أو بين أن يخذلك من نرى معك ، فإنى لا أرى معك إلا أوباشاً(٥) من الناس لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم ، فغضب أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال : امصص بظر اللات ! أنحن نخذله ؟ فقال : أما والله لولا يد لك عندى لأجبتك ! وطفق عروة يمس لحية رسول الله وهو يكلمه ، والمغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك قائم على رأسه بالسيف ، فقرع يد عروة [وهو عمه] وقال : اكفف يدك عن مس لحية رسول الله قبل ألا تصل إليك ، فلما فرغ عروة من كلامه ، ورد عليه رسول الله ﷺ كما قال لبديل بن ورقاء ، عاد إلى قريش فقال : يا قوم قد وفدت على كسرى وهرقل والنجاشى ، وإنى والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيه من محمد في أصحابه ، والله ما يشدون(٦) إليه النظــر ، وما يرفعون عنده الصوت ، وما يكفيه إلا أن يشير إلى امرىء فيفعل ، وما يتنخّم وما يبصق إلا وقعت في يدَىْ رجل منهم يمسح بها جلده وما يتوضأ من وضوء إلا ازدحموا عليهم أيهــم يظفر منه بشيء . وقد حزرت القوم ، واعلموا أنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم ، وقد رأيت قوماً لا يبالون ما يصنع بهم إذا منعوا صاحبهــم ، والله لقد رأيت نُسَيَّات(٧) معه ، إن كنّ ليسلمنه أبداً على حال ، فروا رأيكم . وقد عرض عليكم خطة ، فادوه(٨) يا قوم . اقبلوا ما عرض فإنى لكم ناصح ، مع أنى أخاف ألا تنصروا عليه . رجل

(١) جمّوا : استراحوا . (٢) السالفة : ناحية مقدم العنق « كناية عن الموت » (ترتيب القاموس) جـ ٢ ص ٥٩٨ .

(٣) في (خ) « قيس » .

(٤) الأعداد : جمع عدّ وهو : الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كماء العين (ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ١٦٩ .

(٥) الأوباش والأوشاب بمعنى ، وهم الأخلاط من الناس وغيرهم .

(٦) أي يحدون إليه النظر . (٧) تصغير نسوة ، للتقليل والتعظيم . (٨) أي اجعلوا بينكم وبينه مدّة هدنة .

أتى هذا البيت معظِّماً له مع الهدى ينحره وينصرف ! فقالوا لا تكلم بهذا يا أبا يَعفور ! لو غيرك تكلم بهذا ! ولكن نرده فى عامنا هذا ويرجع إلى قابل .

بعثة مكرز بن حفص إلى رسول الله ﷺ

ثم جاء مكرز بن حفص بن الأخيَف بن علقمة بن عبد الحارث بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤىء بن غالب بن فهر — فلما طلع قال رسول الله ﷺ : إن هذا رجل غادرٌ (وفى رواية : هذا رجل فاجر) وجاء ، فكلمه بنحوٍ مما كلم به أصحابه ، وعاد بذلك إلى قريش .

بعثة الحليس سيد الأحابيش

فبعثوا الحليس بن علقمة بن عمرو بن الأوقع بن عامر بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة الحارثى الكنانى سيد الأحابيش ورأسهم ، فقال ﷺ هذا من قومٍ يعظِّمون الهدى، (وفى رواية يتألهون)(١) ، ابعثوا الهدى فى وجهه ، فبعثوه فلما رأى الهدى يسيل فى الوادى — : عليه القلائد ، قد أكل أوباره (من طول الحبس عن محله(٢)) ، يرجِّع الحنين ، واستقبله القوم فى وجهه يلبون ، وقد أقاموا نصف شهر فتفلوا وشعثوا(٣) — رجع ، ولم يصل إلى النبي ﷺ إعظاماً لما رأى . وقال لقريش : إنى قد رأيت ما لا يحل صده ! رأيت الهدىَ فى قلائده قد أكل أوباره معكوفاً(٤) عن محله ، والرجال قد تفلوا وقملوا أن يطوفوا بهذا البيت ! أما والله ما على هذا حالفناكم ولا عاقدناكم : على أن تصدوا عن بيت الله من جاء له معظِّماً لحرمته مؤدياً لحقه ، والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ! والذى نفسى بيده ، لتخلن بينه وبين ما جاء به ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ! قالوا : كل ما رأيت مكيدة من محمـــد وأصحابه ، فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا بعض ما نرضى به . وفى رواية الزبير بن (بكار)(٥) أنه لما رجع قال : يا قوم ! الهدى ! البدن ! القلائد! الدماء ! فقالت قريش : ما نعجب منك ، ولكن نعجب منا إذ أرسلناك ، إنما أنت أعرابى جلف .

بعثة رسول الله خراش بن أمية إلى قريش

وبعث رسول الله ﷺ إلى قريش خراش بن أمية بن الفضل الكعبي الخزاعى — على جمل لرسول الله ﷺ يقال له الثعلب — ليبلغ أشرافهم أنه إنما جاء معتمراً . فعقر الجمل عكرمة بن أبى جهل ، وأرادوا قتله ، فمنعه من هناك من قومه ، فرجع . فأراد النبي ﷺ أن يبعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه فخاف على نفسه وأشار بعثمان رضى الله عنه .

---

(١) يتعبدون .

(٢) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٦ .

(٣) التفل : ترك التطيب ، والشعث ، تلبد الشعر من الطول .

(٤) معكوفاً : محبوساً :

(٥) ما بين القوسين بياض فى (خ) .

بعثة عثمان بن عفان

فبعثه ليخبرهم : إنا لم نأت(١) لقتال أحد ، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت معظمين لحرمته ، ومعنا الهدى ننحره وننصرف . فأبوا على عثمان أن يدخل عليهم رسول الله ﷺ ورحب به أبان سعيد بن العاص وأجاره ، وحمله من بَلْدَح(٢) إلى مكة وهو يقول : أقبل وأدبر ولا تخف أحداً ، بنو سعيدٍ أعزة الحرم ! فبلغ عثمان من بمكة ما جاء فيه ، فقالوا جميعاً : لا يدخل محمد علينا أبداً .

حراسة المسلمين وأسر بعض المشركين

وكان يتناوب حراسة المسلمين بالحديبية ثلاثة : أوس بن خولى، وعباد بن بشر، ومحمد بن مسلمة . فبعثت قريش مكرز بن حفص على خمسين رجلاً ليصيبوا من المسلمين غرة ، فظفر بهم محمد بن مسلمة ، وجاء بهم رسول الله ﷺ فبلغ النبي ﷺ — بعد إقامة عثمان بمكة ثلاثاً — أنه قتل ، وقتل معه عشرة رجال مسلمون قد دخلوا مكة بإذن رسول الله ليروا أهاليهم . وبلغ قريشاً حبس أصحابهم. فجاء جمع منهم ورموا بالنبل والحجارة ، فرماهم المسلمون وأسروا منهم اثنى عشر فارساً . وقتل من المسلمين زُنَيم ، وقد اطلع الثنية من الحديبية ، فرماه المشركون فقتلوه .

بدء الصلح

فبعثت قريش سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودٍ بن نضر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤى بن غالب ابن فِهر(٣) ، وحويطب بن عبد العزّى ، ومكرز بن حفص (ليصالحوه)(٤) .

تحرك المسلمين إلى منازل بنى مازن بعد خبر مقتل عثمان ، والبيعة

وأمّ رسول الله ﷺ منازل بنى مازن بن النجار ، وقد نزلت فى ناحية من الحديبية جميعاً ، فجلس فى رحالهم. وقد بلغه قتل عثمان رضى الله عنه ، ثم قال : إن الله أمرنى بالبيعة . فأقبل الناس يبايعونه حتى تداكوا ، فما بقى لهم متاعٌ إلا وطئوه ، ثم لبسوا السلاح ، وهو معهم قليل . وقامت أم عمارة إلى عودٍ كانت تستظل به فأخذته بيدها وشدّت سكيناً فى وسطها .وكان رسول الله ﷺ يبايع الناس ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه آخذ بيده ، فبايعهم على ألا يفروا ، وقيل بايعهم على الموت . ويقال : أول من بايع سنان بن أبى سنان وهب بن محصن فقال : يا رسول الله ، أبايعك على ما فى نفسك . فكان رسول الله ﷺ يبايع الناس على بيعة سنان ، فبايعوه (إلا)(٥) الجد بن قيس اختبأ تحت بطن بعيرٍ .

---

(١) فى (خ) « إناه لم يأت » .

(٢) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب (معجم البلدان) ج ١ ص ٤٨٠ .

(٣) فى (خ) « فهم » .

(٤) زيادة من (ط) ، ورواية (الواقدى) ج ٢ ص ٦٠٢ بدون هذه الزيادة .

(٥) زيادة لابد منها للسياق .

بعثة سهيل بن عمرو إلى رسول الله في الصلح والأسرى

فلما جاء سهيل بن عمرو ، قال رسول الله ﷺ : سُهِّلَ أمرهم ! فقال سهيل : يا محمد ! إن هذا الذي كان من حبس أصحابك ، وما كان من قتال من قاتلك — لم يكن من رأى ذوى رأينا ، بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به — وكان من سفهائنا . فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة والذين أسرت آخر مرة . قال : إنى غير مرسلهم حتى ترسلوا(١) أصحابى . قال : أنصفتنا . فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بالشُّتَيْم بن عبد مناف التيمى فبعثوا بمن كان عندهم ، وهم : عثمان وعشرة من المهاجرين ، وأرسل رسول الله ﷺ أصحابهم الذين أسروا .

البيعة تحت الشجرة وخوف المشركين

وكان ﷺ يبايع الناس تحت شجرة خضراء ، وقد نادى عمر رضى الله عنه : إن روح القدس نزل على الرسول وأمر بالبيعة ، فاخرجوا على اسم الله فبايعوا . فلما رأى سهيل بن عمرو ومن معه ، ورأت عيون قريش سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب ، اشتد رعبهم وخوفهم ، وأسرعوا إلى القضية(٢) . ولما جاء عثمان رضى الله عنه بايع تحت الشجرة . وقد كان قبل ذلك — حين بايع الناس — قال رسول الله ﷺ : إن عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله ، فأنا أبايع له فضرب بيمينه شماله .

بعثة قريش إلى عبد الله بن أبى

وبعثت قريشٌ إلى عبد الله بن أبى ابن سلول : إن أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل . فقال له ابنه : يا أبت ! أذكرك الله أن تفضحنا فى كل موطن ! تطوف ولم يطف رسول الله ﷺ ! فأبى حينئذ وقال : لا أطوف حتى يطوفَ رسول الله . فبلغ رسول الله ﷺ كلامه فسُرَّ به .

رجوع سهيل إلى قريش وعودتهم إلى رسول الله

ورجع سهيل وحويطب ومكرز فأخبروا قريشاً بما رأوا من سرعة المسلمين إلى التنعيم(٣) فأشار أهل الرأى بالصلح على أن يرجع رسول الله ﷺ ، ويعود من قابل فيقيم ثلاثاً . فلما أجمعوا على ذلك أعادوا سهيلا وصاحبيه ليقروا هذا . فلما رآه النبى ﷺ قال : أراد القوم الصلح . وكلم رسول الله ، فأطالا الكلام وتراجعا ، وارتفعت الأصوات ، وكان ﷺ يومئذ جالساً متربعاً ، وعباد بن بشر ، وسلمة بن أسلم بن حريش مقنَّعان بالحديد قائمان على رأسه . فلما رفع سهيل صوته قالا : اخفض صوتك عند رسول الله ! وسهيل بارك على ركبتيه(٤) ، رافع صوته ، والمسلمون عند رسول الله ﷺ جلوس .

---

(١) ق (خ) « ترسل » .
(٢) القضية : حُكم الصلح .
(٣) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسَرِف (معجم البلدان) ج ٢ ص ٤٩ .
(٤) ق (خ) « ركبته » .

خبر الصلح وغضب عمر بن الخطاب

فلما اصطلحوا ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ! ألسنا بالمسلمين ؟ قال رسول الله ﷺ : بلى ! فقال : فعلام(١) نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ، ولن يُضَيِّعنى . فذهب عمر إلى أبى بكر رضى الله عنهما فقال : يا أبا بكر ! ألسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ! قال : فلم نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال : إلزم غرزه(٢) ! فإنى أشهد أنه رسول الله ، وأن الحق ما أمر به ، ولن يخالف أمر الله ، ولن يضيعه الله . ولقى عمر رضى الله عنه من القضية أمراً كبيراً ، وجعل يردُّ على رسول الله ﷺ الكلام ، وهو يقول : أنا رسوله ولن يضيعنى ! ويردد ذلك أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول ! تعوذْ بالله من الشيطان واتهم رأيك ! فجعل يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حيناً .

كراهية المسلمين الصلح

وكان المسلمون يكرهون الصلح ، لأنهم خرجوا ولا يشكون فى الفتح . لرؤيا رسول الله ﷺ أنه حلق رأسه ، وأنه دخل البيت فأخذ مفتاح الكعبة وعرَّف مع المعرفين . فلما رأوا الصلح داخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون . فجعل الله عاقبة القضية خيراً — فأسلم فى الهدنة أكثر ممن كان أسلم — من يوم دعا رسول الله إلى يوم الحديبية — ، وما كان فى الإسلام فتح أعظم من الحديبية ، فإن الحرب كانت قد حجزت بين الناس . فلما كانت الهدنة وضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس بعضُهم بعضاً ، ودخل فى تلك الهدنة صناديد قريش الذين كانوا يقومون بالشرك ، وما يُحدِثُ عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وأشباههما . وفشا الإسلام فى جميع نواحى العرب . وكانت الهدنة إلى أن نقضوا العهد اثنين وعشرين شهراً .

خبر أبى جندل بن سهيل بن عمرو

وبينا الناس قد اصطلحوا والكتاب لم يُكتب ، أقبل أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب القرشى العامرى — وقد أفلت يَرْسُف فى القيد متوشح السيف خلال أسفل مكة ، فخرج من أسفلها حتى أتى رسول الله ﷺ وهو يكاتب أباه سهيلا ، وكان سهيل قد أوثقه فى الحديد وسجنه ، فخرج من سجن سهيل ، واجتنب الطريق وركب الجبال حتى هبط بالحديبية . ففرح المسلمون به وتلقوه حين هبط من الجبل فسلموا عليه وآووه ، فرفع سهيل رأسه فإذا بابنه أبى جندل ، فقام إليه فضرب وجهه بغصن شوك وأخذ بتلبيبه(٣) . فصاح أبو جندل بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ! أأُرَدُّ إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فزاد المسلمين ذلك شراً إلى ما بهم ، وجعلوا يبكون لكلام أبى جندل . فقال حويطب بن عبد العزى لمكرز بن

---

(١) ق (خ) « فعلى ما » .
(٢) كناية عن لزوم الاتباع وعدم المخالفة .
(٣) ق (خ) « بلبته » .

حفص : ما رأيت قوماً قط أشد حباً لمن دخل معهم من أصحاب محمد لمحمد وبعضهم لبعض ! أما إنى أقول لك : لا نأخذ من محمد نصفاً(١) أبداً بعد هذا اليوم حتى يدخلها عنوةً(٢) ! فقال مكرز : وأنا أرى ذلك .

رد أبي جندل إلى أسر المشركين

وقال سهيل بن عمرو : هذا أول من قاضيتك عليه ، ردَّه ! فقال رسول الله ﷺ إنا لم نقض الكتاب بعد ! فقال سهيل : والله لا أكاتبك على شيء حتى ترده إلى . فرده عليه ، وكلمه أن يتركه ، فأبى سهيل وضرب وجهه بغصن من شوك ، فقال رسول الله ﷺ : هبه لى أو أجره من العذاب ! فقال : والله لا أفعل . فقال مكرز وحويطب : يا محمد ، نحن نجيره لك . فأدخلاه فسطاطاً فأجاراه فكف عنه أبوه . ثم رفع رســول الله ﷺ صوته فقال : يا أبا جندل : اصبر واحتسب . فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك عهداً ، وإنا لا نغدر .

عودة عمر إلى مقالته

وعاد عمر بن الخطـــاب رضى الله عنه إلى رسول ﷺ فقال : يا رسول الله ! ألست برسول الله ؟ قال : بلى ! قال ألسنا على الحق ؟ قال : بلى ! قال : أليس عدونا على الباطل ؟ قال : بلى ! قال : فلم نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال : إنى رسول الله . ولن أعصيه ولن يضيعنى . فانطلق إلى أبى بكر رضى الله عنه فقال له مثل ذلك ، فأجابه بنحو ما أجاب به رسول الله ، ثم قال : ودع عنك ما ترى يا عمر . فوثب إلى أبى جندل يمشى إلى جنبه ، وسهيل يدفعه ، وعمر يقول : اصبر يا أبا جندل ! فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ! وإنما هو رجل ، ومعه(٣) السيف يعرضه على قتل أبيه . وجعل يقول : يا أبا جندل ! إن الرجل يقتل أباه فى الله ! والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم فى الله ، فرجل برجل ! فقال له أبو جندل : ما لك لا تقتله أنت ؟ قال عمر : نهانى رسول الله عن قتله وقتل غيره . قال أبو جندل : ما أنت أحق بطاعة رسول الله منى .

مقالة المسلمين لرسول الله فى الصلح

وقال عمر ورجال معه : يا رسول ! ألم تكن حدثتنا أنك تدخل المسجد الحرام ، وتأخذ مفتاح الكعبة ، وتعرّف مع المعرّفين ؟ وهَدْيُنا لم يصل إلى البيت ولا نحن ! فقال : قلت لكم فى سفركم هذا ؟ قال عمر : لا . فقال ﷺ : أما إنكم ستدخلونه ، وآخذ مفتاح الكعبة ، وأحلّق رأسى ورؤوسكم ببطن مكة ، وأعرّف مع المعرفين ، ثم أقبل على عمر رضى الله عنه وقال : أنسيتم يوم أحـــد ، إذ تصعدون ولا تلوون على أحدٍ ، وأنا أدعوكم فى أخراكم ؟ أنسيتم يوم الأحزاب ، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ؟ أنسيتم يوم كذا ؟ أنسيتم يوم كذا ؟ والمسلمون يقولون : صـــدق الله ورسوله ، يا نبى الله !

---

(١) النَّصَف : الإنصاف .

(٢) العَنْوَة : القهر والإذلال .

(٣) فى (خ) « ومعك » والتصويب من ابن هشام .

مافكرنا فيما فكرت فيه ، ولأنت أعلم بالله وبأمره منا ، فلما دخل ﷺ عام القضية(١) وحلق رأسه قال : هذا الذى وعدتكم . فلما كان يوم الفتح ، أخذ المفتاح وقال : ادعوا إلىّ عمر بن الخطاب ! فقال : هذا الذى قلت لكم . فلما كان فى حجة الوداع وقف بعرفة فقال : أى عمر ! هذا الذى قلت لكم . قال : أى رسول الله ! ما كان فتح فى الإسلام أعظم من صلح الحديبية .

فتح الحديبية وخبر أبي بكر

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول : ما كان فتح أعظم فى الإسلام من فتح الحديبية ، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون ، والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد . لقد نظرتُ إلى سهيل بن عمرو فى حجة الوداع قائماً عند النحر يقرّب إلى رسول الله بدنة . ورسول الله ﷺ ينحرها بيده ! ودعا الحلاق لحلق رأسه ، فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره ، وأراه يضعه على عينيه ! وأذكر إباءه أن يقرّ يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ! وإباءه أن يكتب أن محمداً رسول الله ! فحمدت الله الذى هداه للإسلام . فصلوات الله وبركاته على نبى الرحمة الذى هدانا به ، وأنقذنا به من الهلكة .

كتاب الصلح

فلما حضرت الدواة والصحيفة — بعد طول الكلام والمراجعة — دعا رسول الله ﷺ أوسَ بن خَوْلى يكتب ، فقال سهيل : لا يكتب إلا ابن عمك علىّ ، أو عثمان بن عفان ، فأمر علياً فكتب ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف الرحمن ، اكتب ما نكتب ، باسمك اللهم ، فضاق المسلمون من ذلك وقالوا : هو الرحمن ، والله ما نكتب إلا الرحمن . قال سهيل : إذاً لا أقاضيه على شيء . فقال رسول الله ﷺ اكتب : باسمك اللهم . هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك واتبعتك ، أفترغب عن اسمك واسم أبيك ، محمد بن عبد الله ؟ فضجّ المسلمون منها ضجةً هى أشد من الأولى حتى ارتفعت الأصوات ، وقام رجال يقولون : لا نكتب إلا محمد رسول الله ! وأخذ أسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضى الله عنهما بيد الكاتب فأمسكاها وقالا : لا تكتب إلا محمد رسول الله ، وإلا فالسيف بيننا ، علام نعطى هذه الدنية فى ديننا ؟ فجعل رسول الله ﷺ يخفضهم ويومىء إليهم بيده : اسكتوا . وجعل حويطب يتعجب مما يصنعون ، ويقول لمكرز : ما رأيت قوماً أحوط لدينهم من هؤلاء ! فقال رسول الله ﷺ : أنا محمد بن عبد الله ، فاكتب ، فكتب .

نص كتاب الصلح

« باسمك اللهم ، هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله وسهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض . على أنه لا إسلال ولا إغلال(٢) ، وأنّ بيننا عيبة مكفوفة . وأنه من أحب أن يدخل فى عهد محمد وعقده فعل ، وأنه من أحب أن يدخل فى عهد قريش وعقدها فعل ، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه رده محمد إليه . وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه ، وأن محمداً يرجع عنا عامه

---

(١) هى عمرة القضية . وسيأتى ذكرها بعد غزوة وادى القُرى .

(٢) الاسلال والإغلال : السرقة والخيانة . والعيبة : سبق شرحها .

هذا بأصحابه ، ويدخل علينا من قابل فى أصحابه فيقيم بها ثلاثاً ، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر : السيوف فى القرب » .

شهود الكتاب

شهد أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ومحمد بن مسلمة ، وحويطب بن عبد العزّى ، ومكرز بن حفص بن عبد الأخيف ، وكتب على فى صدر الكتاب .

نسخة كتاب الصلح

ودخول خزاعة فى عهد رسول الله ، وبنى بكر فى عهد قريش

فقال سهيل : يكون عندى : وقال رسول الله ﷺ : بل عندى ! ثم كتب له نسخة ، وأخذ رسول الله ﷺ الكتاب الأول ، وأخذ سهيل نسخته . ووثب من هناك من خزاعة فقالوا : نحن ندخل فى عهد محمد وعقده ، ونحن على من وراءنا من قومنا . ووثبت بنو بكر فقالوا : ندخل مع قريش فى عهدها وعقدها ، ونحن على من وراءنا من قومنا . فقال حويطب لسهيل : بادأنا أخوالك بالعداوة ، وقد كانوا يستترون منا ، قد دخلوا فى عقد محمد وعهده ! وقال سهيل : ما هم إلا كغيرهم ، هؤلاء أقاربنا ولحمتنا(١) قد دخلوا مع محمد ، قوم اختاروا لأنفسهم أمراً فما نصنع بهم ؟ قال حويطب : نصنع بهم أن ننصر عليهم حلفاءنا بنى بكر ! قال سهيل : إياك أن تسمع هذا منك بكر ، فإنهم أهل شؤم ، فيقعوا بخزاعة ، فيغضب محمد لحلفائه ، فينتقض العهد بيننا وبينه .

مـدة الهدنة

وقال عبد الله بن نافع ، عن عاصم بن عمر ، عن عبد الله بن دينار(٢) ، عن ابن عمر قال : كانت الهدنة بين النبى ﷺ وبين أهل مكة بالحديبية أربع سنين ، خرّجه الحاكم وصححه ، وفى كتاب عمر بن أبى شبّة فى أخبار مكة : كانت سنتين .

خبر أمر رسول الله المسلمين بالنحر والحلق والإحلال

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب ، وانطلق سهيل وأصحابه ، قال : قوموا فانحروا واحلقوا وحلوا فلم يجبه أحد إلى ذلك . فرددها ثلاث مرات ، فلم يفعلوا . فدخل على أم سلمة رضى الله عنها وهو شديد الغضب ، فاضطجع ، فقالت : مالك يا رسول الله ؟ مراراً ، وهو لا يجيبها ، ثم قال : عجباً يا أم سلمة ! إنى قلت للناس انحروا واحلقوا وحلوا مراراً ، فلم يجبنى أحد من الناس إلى ذلك ، وهم يسمعون كلامى ، وينظرون فى وجهى ! فقالت يا رسول الله ، انطلق أنت إلى هديك فانحره ، فإنهم سيقتدون بك ، فاضطبع(٣) بثوبه وخرج ، فأخذ الحربة ويمم هديه ، وأهوى بالحربة إلى البدنة رافعاً صوته : بسم الله والله أكبر . ونحر .

---

(١) فى (الواقدى) « ولحمنا » ج ٢ ص ٦١٢ .
(٢) فى (خ) « ابن دينه » وما أثبتناه من (ط) .
(٣) اضطبع بثوبه : أدخله من تحت إبطه الأيمن فغطى به الأيسر .

نحر الهـدى

فتواثب المسلمون إلى الهدى وازدحموا عليه ينحرونه ، حتى كاد بعضهم يقع على بعض ، وأشرك ﷺ بين أصحابه فى الهدى ، فنحر البدنة عن سبعة ، وكان الهدى سبعين بدنة ، وقيل مائة . وكان الهدى دون الجبال التى تطلع على وادى الثنية ، عرض له المشركون فردّوا وجوه البدن ، فنحر رسول الله بدنه حيث حبسوه ، [وهى الحديبية] . وشرد جمل أبى جهل من الهدى وهو يرعى — وقد قلد وأشعر ، وكان نجيباً مهرياً — فمرّ من الحديبية حتى انتهى إلى دار أبى جهل بمكة . وخرج فى إثره عمرو بن عنمة(١) بن عدى بن ثابت السلمى الأنصارى ، فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه إليه ، فدفعوا فيه مائة ناقة ، فقال رسول الله ﷺ لولا أنا سميناه فى الهدى فعلنا . ونحره عن سبعة . ونحر طلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان بدنات ساقوها . وكان رسول الله ﷺ مضطرباً(٢) فى الحل ، وإنما يصلى فى الحرم . وحضره من يسأل من لحوم البدن معتراً(٣) ، فأعطاهم من لحومها وجلودها . وأكل المسلمون من هديهم وأطعموا المساكين ، وبعث ﷺ من الهدى بعشرين بدنة لتنحر عند المروة مع رجل من أسلم ، فنحرها عند المروة وفرّق لحمها .

دعاء رسول الله للمحلقين والمقصرين

فلما فرغ رسول الله ﷺ من نحر البدن ، دخل قبة له من أدم حمراء ، فيها الحلاق فحلّق رأسه ، ثم أخرج رأسه من قبته وهو يقول : رحم الله المحلقين ! قيل يا رسول الله والمقصرين ! قال رحم الله المحلقين ! ثلاثاً ، ثم قال : والمقصرين ، ورمى بشعره على شجرة كانت بجنبه من سمرة خضراء ، فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتحاصون فيه(٤) . وأخذت أم عمارة طاقات من شعره ، فكانت تغسلها للمريض وتسقيه حتى يبرأ ، وحلّق ناس وقصّر آخرون . وكان الذى حلقه ﷺ(٥) خراش بن أمية بن الفضل الكعبى ، فلما حلقوا بالحديبية ونحروا . بعث الله تعالى ريحاً عاصفة فاحتملت أشعارهم فألقتها فى الحرم .

خبر ام كلثوم بنت عقبة

وخرجت يومئذ أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ، وهى عاتق [لم تتزوج] فقبل رسول الله ﷺ هجرتها ولم يردّها إلى المشركين(٦) ، وقدمت المدينة . فتزوجها زيد بن حارثة .

---

(١) فى (خ) « عنمه »
(٢) نازلا فى بنائه
(٣) فقيراً .
(٤) يأخذ كل منهم حصته
(٥) زيادة للبيان .
(٦) يقول ابن القيم فى (زاد المعاد) ج ٣ ص ٣٠٨ فى الكلام عن الفوائد الفقهية المستفادة من صلح الحديبية : « ومنها جواز صلح الكفار على ردّ من جاء منهم إلى المسلمين وألا يُرد من ذهب من المسلمين إليهم ، هذا فى غير النساء ، وأما النساء فلا يجوز ردهن إلى الكفار ، وهذا موضع النسخ خاصة فى هذا العقد بنصّ القرآن ، ولا سبيل إلى دعوى النسخ فى غيره بغير موجب » .

إقامة المسلمين بالحديبية ، وما أصابهم من الجوع

وأقام ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوماً ، ويقال عشرين يوماً ، ثم انصرف . فلما نزل عُسفان أرمل(١) المسلمون من الزاد ، وشكوا أنهم قد بُلِغوا(٢) من الجوع ، وسألوا أن ينحروا من إبلهم ، فأذن لهم ﷺ في ذلك ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يارسول الله ! لا تفعل ، فإن يكُ في الناس بقية ظهر يكن أمثل ، ولكن ادعهم بأزوادهم ، ثم ادع لهم فيها الله ، فأمر ﷺ بالأنطاع فبسطت ، ثم نادى مناديه : من كان عنده بقية زاد فلينثره على الأنطاع ، فكان منهم من يأتي بالتمرة الواحدة وأكثرهم لا يأتي بشيء ؛ ويؤتى بالكف من الدقيق والكف من السَّويق ، وذلك كله قليل . فلما اجتمعت أزوادهم وانقطعت موادهم مشى ﷺ إليها فدعا فيها بالبركة ، ثم قال : قربوا بأوعيتكم ، فجاءوا بأوعيتهم ، فكان الرجل يأخذ ما شاء من الزاد حتى إنَّ أحدهم ليأخذ ما لا يجد له محملاً .

المطر

ثم أذَّن رسول الله ﷺ بالرحيل ، فلما ارتحلوا مطروا ما شاءوا وهم صائفون فنزل ونزلوا معه فشربوا من ماء السماء ، وقام ﷺ فخطبهم ، فجاء ثلاثة نفر ، فجلس إثنان وذهب واحد معرضاً ، فقال رسول الله ﷺ : ألا أخبركم خبر الثلاثة ؟ قالوا : بلى ، يا رسول الله ! قال : أما واحدٌ فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فتاب فتاب الله عليه ، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه .

سؤال عمر وسكوت رسول الله عن جوابه ، ونزول سورة الفتح

وبينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير مع رسول الله ﷺ ، فسأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه . فقال : ثكلتك أمك يا عمر ! بدرت(٣) رسول الله ثلاثاً ، كل ذلك لا يجيبك ! وحرك بعيره حتى تقدم الناس ، وخشي أن يكون نزل فيه قرآن . فأخذه ما قرب وما بعد : لمراجعته بالحديبية وكراهته القضية . وبينا هو يسير مهموماً متقدماً على الناس ، إذا منادي رسول الله ﷺ ينادي : يا عمر بن الخطاب ! فوقع في نفسه ما الله به أعلم ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فسلم ، فردَّ عليه السلام وهو مسرور ثم قال : أنزلت عليَّ سورة هي أحب مما طلعت عليه الشمس . فإذا هو يقرأ : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً »(٤) . فأنزل الله في ذلك سورة الفتح ، فركض الناس وهم يقولون : أنزل على رسول الله ! حتى توافوا عنده وهو يقرؤها . ويقال : لما نزل جبريل عليه السلام قال : نهنئك(٥) يا رسول الله ! فلما هنأه جبريل هنأه المسلمون . وكان نزول سورة الفتح بكراع الغميم ،

---

(١) أرمل المسافر : نفد زاده .

(٢) بُلغوا : أدركتهم المشقة .

(٣) في (خ) « نذرت » ، وأيضاً في (الواقدي) ج ٢ ص ٦١٧ ، وفي (ط) بدرت : بمعنى عجلت إليه .

(٤) أول سورة الفتح .

(٥) في (الواقدي) « يهنيك » .

ويقال(١) نزلت بضجنان . وعن قتادة عن أنس رضي الله عنهم : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » ، قال : خيبر . وقال غيره : الحديبية ، منحره ومَحلقه . وقيل : نزلت سورة الفتح منصرفه من خيبر .

خبر فرار أبي بصير من أسر المشركين

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية ، في ذي الحجة جاء أبو بصير عتبة بن أسيد [وقيل عبيد بن أسيد] بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن [أبي](٢) سلمة بن عبد الله بن غيرة بن عوف بن قسي [وهو ثقيف] حليف بني زهرة — مسلما ، قد انفلت من قومه ، وسار على قدميه سبعاً(٣) .

كتاب قريش في أمر أبي بصير

وكتب الأخنس بن شريق ، وأزهر بن عوف الزهري إلى رسول الله ﷺ كتاباً مع خُنيس بن جابر من بني عامر ، واستأجراه ببكرين لبون ؛ وحملاه على بعير ؛ وخرج معه مولىً يقال له كوثر ، وفي كتابهما ذكر الصلح ، وأن يرد عليهم أبا بصير . فقدما بعد أبي بصير بثلاثة أيام ، فقرأ أبي بن كعب الكتاب على رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : « قد عرفت ما شارطناك عليه — وأشهدنا بيننا وبينك — من ردِّ مَنْ قدم عليك من أصحابنا ، فابعث إلينا بصاحبنا » .

رد أبي بصير إلى المشركين

فأمر رسول الله ﷺ أبا بصير أن يرجع معهم ودفعه إليهما ، فقال : يا رسول الله ! تردني إلى المشركين يفتنوني في ديني ! فقال : يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغَدر . وإن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجاً ومخرجاً . فقال : يا رسول الله ! تردني إلى المشركين ؛ قال : انطلق يا أبا بصير ؛ فإن الله سيجعل لك مخرجاً . ودفعه إلى العامري وصاحبه . فخرج معهما ، وجعل المسلمون يُسِرُّون إلى أبي بصير ؛ يا أبا بصير ، أبشر ! فإن الله جاعل لك مخرجاً ، والرجل يكون خيراً من ألف رجل ، فافعل وافعل : يأمرونه بالذين معه فانتهيا به عند صلاة الظهر إلى ذي الحليفة . فصلى أبو بصير في مسجدها ركعتين صلاة المسافر . ومعه زاد له من تمر يحمله ، ثم أكل منه ودعا العامريَّ وصاحبه ليأكلا معه ؛ فقدما سفرة فيها كِسر وأكلوا جميعاً .

قتـــله العامري

وقد علق العامري سيفه في الجدار ، وتحادثوا ، فقال أبو بصير : يا أخا بني عامر ! ما اسمك ؟ قال خُنيس . قال : ابن من ؟ قال : ابن جابر . قال : يا أبا جابر ، أصارم سيفك هذا ؟ قال : نعم ! قال : ناولنيه أنظر إليه إن شئت . فناوله ، فأخذ أبو بصير بقائم السيف — والعامري ممسك بالجفن — فعلاهُ به حتى بَرَدَ . وخرج كوثر هارباً

---

(١) وهي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٦١٨ .

(٢) زيادة من نسبه .

(٣) في (الواقدي) « سعياً » .

يعدو نحو المدينة ، وأبو بصير في أثره فأعجزه ، حتى سبقه إلى رسول الله ﷺ . ورسول الله جالس في أصحابه بعد العصر ، إذ طلع كوثر يعدو ، فقال : هذا رجل قد رأى ذُعراً ! وأقبل حتى وقف فقال رسول الله ﷺ : ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي ، وأفلتُّ منه ولم أكَدْ !

مرجع أبي بصير إلى المدينة

وأقبل أبو بصير فأناخ بعير العامري بباب المسجد ، ودخل متوشحاً سيفه ، فقال : يا رسول الله ! وفت ذمتك ، وأدى الله عنك ، وقد أسلمتني بيد العدو ، وقد امتنعت بديني من أن أفتن ، ويعبث بي أو أكذب بالحق ، فقال عليه السلام ويل أمه محشُ حرب (١) لو كان معه رجال ! وقدم سلب العامري ورحله وسيفه ليخمسه رسول الله ﷺ فقال : إني إذا خمسته رأوا (٢) أني لم أوفِ لهم بالذي عاهدتهم عليه ، ولكن شأنك بسلب صاحبك . ثم قال : لكوثر : ترجع به إلى أصحابك ؟ فقال : يا محمد ! مالي به قوة ولا يدان ! فقال ﷺ لأبي بصير : اذهب حيث شئت .

خروج أبي بصير إلى العيص

فخرج حتى أتى العيص ، فنزل منه ناحية على ساحل البحر على طريق عير قريش إلى الشام وعندما خرج لم يكن معه إلا كف تمر فأكله ثلاثة أيام ، وأصاب حيتانا قد ألقاها البحر بالساحل فأكلها وبلغ المسلمين الذين قد حبسوا بمكة خبره . فتسللوا إليه ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي كتب اليهم بقول رسول الله ﷺ لأبي بصير : ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال ، وأخبرهم أنه بالساحل . فاجتمع عند أبي بصير قريب من سبعين مسلماً ، فكانوا بالعيص . وضيقوا على قريش ، فلا يظفرون بأحـــد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر عليهم عير إلا اقتطعوها ، ومر بهم ركب يريدون الشام ، معهم ثمانون بعيراً ، فأخذوا ذلك ، وأصاب كل رجل منهم قيمة ثلاثين ديناراً ، وكانوا قد أمروا عليهم أبا بصير ، فكان يصلى بهم ويقرئهم ويجمعهم ، وهم له سامعون مطيعون فغاظ قريشاً صنيع أبي بصير وشق عليهم ، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم إلا أدخل أبا بصير إليه ومن معه : فلا حاجة لنا بهم فكتب ﷺ إلى أبي بصير أن يقدم بأصحابه معه ، فجاءه الكتاب وهو يموت ، فجعل يقرأه ، ومات وهو في يده فدفنوه . وأقبل أصحابه إلى المدينة وهم سبعون فيهم الوليد بن الوليد بن المغيرة ، فمات بعقب قدومه فبكته أم سلمة رضي الله عنها .

هجرة أم كلثوم بنت عقبة إلى المدينة

وكانت أم كلثوم بنت عقبة (٣) بن أبي معيط قد أسلمت بمكة ، فكانت تخرج إلى بادية أهلها [لها بها أهل] ، فتقيم أياماً بناحية التنعيم ثم ترجع . حتى أجمعت على المسير مهاجرة ، فخرجت كأنها تريد البادية على عادتها ، فوجدت

(١) يقال حش الحرب إذا أسعرها وهيجها .
(٢) أي قريش .
(٣) في (خ) « عتبة » .

رجلاً من خزاعة فأعلمته بإسلامها ، فأركبها بعيره حتى أقدمها المدينة بعد ثماني ليال ، فدخلت على أم سلمة رضي الله عنها ، وأعلمتها أنها جاءت مهاجرة ، وتخوفت أن يردها رسول الله ﷺ . فلما دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة أعلمته ، فرحب بأم كلثوم وسهَّل فذكرت له هجرتها ، وأنها تخاف أن يردها .

ما نزل فيها من القرآن

فأنزل الله فيها آية الممتحنة : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بإيمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، وآتوهم ما أنفقوا ، ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ، ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم » (١) .

طلب قريش رد أم كلثوم

فكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال ، ولا يرد من جاءه من النساء وقدم أخواها من الغد قدومها — الوليد وعمارة ابنا عقبة بن أبي معيط — فقالا : يا محمد ! فِ (٢) لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه . فقال : قد نقض ذلك . فانصرفا إلى مكة فأخبرا قريشاً ، فلم يبعثوا أحداً ، ورضوا بأن تحبس النساء .

فرار أميمة بنت بشر وهجرتها إلى المدينة

ويقال إن أميمة بنت بشر الأنصارية ، ثم من بني عمرو بن عوف ، كانت تحت حسان بن الدحداح (٣) [أو ابن الدحداحة] وهو يومئذ مشرك ، ففرت من زوجها بمكة وأتت (٤) رسول الله ﷺ تريد الإسلام ، فهم أن يردها إلى زوجها ، حتى أنزل الله تعالى « فامتحنوهن » (٥) . ثم زوجها رسول الله سهل بن حنيف ، فولدت له عبد الله ابن سهل .

طلاق الكوافر

وأنزل الله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » (٥) فطلق عمر بن الخطاب امرأتين هما ، قريبة بنت أبي أمية [ابن المغيرة] (٦) ، فتزوجها معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى أم كلثوم بنت جرول بن مالك بن المسيَّب بن

(١) الآية ١ / الممتحنة ، وفي (خ) « . . . فامتحنوهن ، الآية » .
(٢) فِ : فعل الأمر من أوفى .
(٣) في (خ) هكذا : « كانت ثابت بن الدحداح » والصواب : « كانت تحت » حيث أن ثابت بن الدحداح رضي الله عنه قد استشهد بأحد (ابن سيد الناس) ج ٢ ص ٢٩ .
(٤) في (خ) « أت » .
(٥) من الآية ١٠ / الممتحنة .
(٦) في (خ) « قريبة بنت أمية » وما بين القوسين زيادة من (ط) ، وفي (الواقدي) « زينب بنت أمية » .

ربيعة بن أصرم بن حبيش بن حرام بن حبيشة بن سلول بن كعب الخزاعية ، فتزوجها أبوجهم بن حذيفة . وطلق عياض بن غنم الفهرى أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب . فتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفى فولدت له عبد الرحمن ابن أم الحكم ، وكلهم يومئذ مشرك . ولم يُعلم أن امرأة من المسلمين لحقت بالمشركين .

بعثة الرسل إلى الملوك

وفى هذه السنة السادسة ، بعث رسول الله ﷺ رسله إلى الملوك بكتبه ، فأرسل حاطب بن أبي بلتعة [عمرو ، وقيل راشد] بن معاذ اللخمى إلى المقوقس بمصر .

• أرسل شجاع بن وهب [ويقال ابن أبي رهب] بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم ابن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدىّ إلى الحارث بن أبي شمر الغسّانىّ .

• وأرسل دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرىء القيس بن الخزرج(١) [وهو زيد مناة] ابن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب الكلبي ، إلى قيصر ملك الروم .

• وأرسل سَليطَ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى القرشى العامرى . إلى هوذة بن على الحنفى ، وإلى ثمامة بن أثال [وهما](٢) رئيسا اليمامة .

• وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشى السهمى ، إلى كسرى ملك فارس .

• وأرسل عمرو بن أميـــة بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد بن ناشرة(٣) بن كعب الضمرى ، إلى النجاشى ملك الحبشة .

• وأرسل العلاء بن الحضرمى [اسمه عبد الله] بن عباد [وقيل عبد الله بن عمار ، وقيل عبد الله بن ضمار وقيل عبد الله بن عبيدة بن ضمار] بن مالك ، وقيل العلاء بن عبد الله بن عمار بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عويف ابن مالك بن الخزرج بن أبي بن الصّدف ، إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين . وقيل إن إرساله كان سنة ثمان

ردود الملوك

• فأما المقوقس ، فإنه قبل كتاب رسول الله ﷺ ، وأهدى إليه أربع جوارى ، منهن مارية [القبطية](٢) .

• وأما قيصر [واسمه هرقل] ، فإنه قبل أيضاً الكتاب واعترف بالنبوة ، ثم خاف من قومه فأمسك .

• وأما الحارث بن أبي شمر الغسّانى ، فإنه لما أتاه الكتاب قال : أنا سائر إليه [يعنى محارباً] . فقال رسول الله ﷺ ، وقد بلغه ذلك عنه : بادَ ملكه .

• وأما النجاشى فإنه آمن برسول الله واتبعه ، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، وأرسل ابنه

---

(١) فى (خ) « الخزرج » .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) فى (خ) « عتيك بن باشرة » .

فى ستين من الحبشة فغرقوا فى البحر . وبعث إليه رسول الله ﷺ أن يزوجه بأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب — وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصّر هناك — فزوجه إياها ، وقام بصداقها : أربعمائة دينار من عنده .

• وأما كسرى أبَرْوَيز بن هرمز ، فإنه مزق الكتاب ، فقال رسول الله ﷺ : مزق الله ملكه ، فسَلط عليه ابنه شيرويه فقتله .

• وأما هوذة بن علىّ ، فبعث وفداً بأن يجعل له رسول الله ﷺ الأمر بعده حتى يسلم . وإلا قصده وحاربه ، فقال النبي ﷺ : اللهم اكفنيه ! فمات بعد قليل .

• وأما المنذر بن ساوى ، فإنه أسلم وأسلم أهل البحرين .

سحر لبيد بن الأعصم لرسول الله ﷺ

وفى محرم سنة سبع سحر لبيد بن الأعصم رسول الله ﷺ على مالٍ جعله له من بقى بالمدينة من اليهود والمنافقين .

غزوة خيبر

وكانت غزوة خيبر فى صفر سنة سبع ، وبينها وبين المدينة ثمانية برد ، مشى ثلاثة أيام . وقيل سميت بخيبر ابن قانية بن هلال بين مهلهل بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح(١) : وكان عثمان بن عفان معشّرها .

أول الخروج إلى خيبر

ويقال : خرج رسول الله ﷺ لهلال ربيع الأول . ونقل عن الإمام مالك أن خيبر كانت فى سنة ستّ ، وإليه ذهب أبو محمد بن حزم ، والجمهور على أنها كانت فى سنة سبع وأمر أصحابه بالتهيُّؤ للغزو ، واستنفر من حوله يغزون معه . وجاءه المخلفون عنه فى غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة ، فقال : لا تخرجوا معى إلا راغبين فى الجهاد ، وأما الغنيمة فلا . وبعث منادياً فنادى : لا يخرجن معنا إلا راغب فى الجهاد . واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ، وقيل : أبا ذر ، وقيل : نميلة بن عبد الله الليثى .

ما كانت تفعله يهود قبل غزو المسلمين

وكان يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله ﷺ يغزوهم ؛ لمنعتهم وحصونهم وسلاحهم وعددهم ؛ كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ثم يقولون : محمد يغزونا ! ! هيهات هيهات(٢) ! فعمى الله عليهم خروج النبي ﷺ حتى نزل بساحتهم ليلاً .

---

(١) (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .

(٢) اسم فعل ماض بمعنى « بعُد » .

دعاء رسول الله لما أشرف على خيبر

ولما أشرف على خيبر قال لأصحابه : قفوا ؛ ثم قال .قولوا : اللهم ربَّ السموات السبع وما أظلت ، وربَّ الأرضين السبع وما أقلت ، [ورب الشياطين وما أضلَلن][(١)]، ورب الرياح وما ذرت ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها [وشر أهلها][(١)] وشر ما فيها ! ثم قال : ادخلوا على بركة الله . وعرَّس بمنزله ساعة .

خبر يهود وغزو المسلمين

وكانت يهود يقومون كل ليلة قبل الفجر ، ويصفون الكتائب ، وخرج كنانة بن أبي الحقيق في أربعة عشر رجلا إلى غطفان ، يدعوهم إلى نصرهم ولهم نصف تمر خيبر سنة . فلما نزل رسول الله ﷺ بساحتهم ، لم يتحركوا تلك الليلة ، ولم يَصِحْ لهم ديك ، حتى طلعت الشمس ، فأصبحوا وأفئدتهم تخفق ، وفتحوا حصونهم ، [وغدوا إلى أعمالهم][(٢)] ، معهم المساحي والكرازين والمكاتل ، فلما نظروا المسلمين قالوا : محمد والخميس[(٣)] ! ! وولُّوا هاربين إلى حصونهم ، ورسول الله ﷺ يقول : الله أكبر ! خربت خيبر ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين .

قتال أهل النطاة

وقاتل يومه ذلك إلى الليل أهل النَّطاة[(٤)] ، فلما أمسى تحول بالناس إلى الرجيع[(٥)] . وكان يغدو[(٦)] بالمسلمين على راياتهم . وكان شعارهم : يا منصور أمِتْ . وأمر بقطع نخلهم ، فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمائة عذق[(٧)] ، ثم نادى بالنهي عن قطعها . ويروى أن رسول الله ﷺ لما نزل خيبر أخذته الشقيقة[(٨)] ، فلم يخرج إلى الناس .

(١) زيادة في بعض كتب السير ، وفي (خ) و (الواقدي) جـ ٢ ص ٦٤٢ بدون هذه الزيادة ، وذكره الإمام النووي في (الأذكار) ص ٢٠١ (باب ما يقوله إذا رأى قرية يريد دخولها أو لا يريد) .

(٢) زيادة من (ابن سعد) جـ ٢ ص ١٠٦ .

(٣) « يعنون بالخميس الجيش » المرجع السابق .

(٤) حصن من حصون خيبر التي ذكرها (ابن سعد) جـ ٢ ص ١٠٦ « وهي : حصن الصعب بن معاذ ، وحصن ناعم ، وحصن قلة الزبير والشق ، وبه حصون منها حصن أبي وحصن النزار ، وحصون الكتيبة منها القموص والوطيح وسلالم ، وهو حصن بني أبي الحقيق » .

(٥) الرجيع : « هو الموضع الذي غدرت فيه عضل والقارة بالسبعة نفر الذين بعثهم رسول الله ﷺ ، وهذا غير ذلك ، وذكر ابن إسحق في غزاة خيبر أنه عليه السلام حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر فبنى له فيها مسجد ثم على الصهباء ثم أقبل حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع ... وهذا غير الأول لأن ذاك قرب الطائف وخيبر من ناحية الشام خمسة أيام عن المدينة ، فيكون بين الرجيعين أكثر من خمسة عشر يوما » (معجم البلدان) جـ ٣ ص ٢٩ .

(٦) في (خ) « يغدو » .

(٧) العذق : النخلة بحملها (ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ١٧٩ .

(٨) الشقيقة : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه (ترتيب القاموس) جـ ٢ ص ٧٣٩ ، (زاد المعاد) جـ ٤ ص ٨٢ فصل هديه ﷺ في علاج الصداع والشقيقة .

مقتل محمود بن مسلمة

قال الواقدي : وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع فيئه[(١)] ، وقد قاتل يومئذ ، وكان يوماً صائفاً[(٢)] ، فدلّى عليه مرحبٌ [اليهودي][(٣)] رحىً فهشمت البيضة ، وسقطت جلدة جبينه على وجهه ، وندرت عينه[(٤)] ، فأتي به رسول الله ﷺ فرد الجلدة كما كانت ، وعصبها بثوب ، وتحوّل إلى الرجيع خشية على أصحابه من البيات . فكان مقامه بالرجيع سبعة أيام ، يغدو كلَّ يوم للقتال ، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه ويقاتل أهل النطاة يومه[(٥)] ، فإذا أمسى رجع إلى الرجيع ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين .

اليهودي المستأمن

ونادى يهودي من أهل النطاة بعد ليل : أنا آمن ، وأبلغكم ؟ فقالوا : نعم ! فدخل على رسول الله ﷺ فدله على عورة يهود . فدعا أصحابه وحضّهم على الجهاد . فغدوا عليهم ، فظفّرهم الله بهم ، فلم يَكُ في النطاة شيء من الذرية ، فلما انتهوا إلى الشق وجدوا فيه ذرية ، فدفع رسول الله ﷺ إلى اليهودي زوجته .

حراسة المسلمين وفتح النطاة

وكانت الحراسة نُوَباً بين المسلمين ، حتى فتح الله حصن النطاة ، فوجد فيه منجنيق ، فنصب على حصن النزار[(٦)] ، ففتحه الله ، ونازل المسلمون حصن ناعم في النطاة ، فنهى رسول الله ﷺ عن القتـــال حتى يأذن لهم . فعمد رجل من أشجع فحمل على يهود فقتله مرحب ، فنادى منادي رسول الله ﷺ : لا تحل الجنة لعاصٍ ، ثم أمر الناس بالقتال . وكان ليهود عبد حبشي اسمه يسار ، في ملك عامرٍ اليهودي ، يرعى له غنما ، فأقبل بالغنم حتى أسلم ، ورد الغنم لصاحبها ، وقاتل حتى قتل شهيداً .

الألوية ، وأول راية في الإسلام

وفرق رسول الله ﷺ الرايات ، ولم تكن راية قبل خيبر ، إنما كانت الألوية ، فكانت راية النبي ﷺ سوداء تدعى العقاب : من برد لعائشة رضي الله عنها ، ولواؤه أبيض ، ودفع رايةً إلى علي ، ورايةً إلى الحباب بن المنذر ، ورايةً إلى سعد بن عبّادة رضي الله عنهم .

مدد عيينة بن حصن ليهود

وكان عيينة بن حصن قد أقبل مدداً ليهود بغطفان في أربعة آلاف ، فأرسل رسول الله ﷺ إليه أن يرجع

(١) في (خ) « فئة » ، والفيء : الظل .

(٢) الصائف : شديد الحر .

(٣) زيادة للايضاح .

(٤) ندر الشيء ندوراً : سقط من جوف شيء ، أو من بين أشياء فظهر (ترتيب القاموس) جـ ٤ ص ٣٤٧ .

(٥) في (خ) « قومه » . (٦) في (خ) « البراز » .

وله نصف ثمر خيبر ، فأبى أن يتخلى عن حلفائه . فبعث الله على غطفان الرعب، فخرجوا على الصعب والذلول(١)، فقتل عند ذلك عدو الله كنانة بن أبي الحقيق ، وأيقن بالهلكة .

حصن ناعم ورجوع المسلمين

وجثم(٢) رسول الله ﷺ على الحصون ، وألحّ على حصن ناعم بالرمى ، ويهود تقاتل . ورسول الله ﷺ على فرس يقال له الظرب ، وعليه درعان ومغفر وبيضة ، وفى يده قناة وترس . وقد دفع لواءه إلى رجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً ، فدفعه إلى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً ؛ ودفع لواء الأنصار إلى رجل منهم فرجع ولم يصنع شيئاً . فحث ﷺ المسلمين على الجهاد ، وسالت كتائب يهود : أمامهم الحارث أبو زينب يهد (٣) الناس هداً . فساقهم صاحب راية الأنصار حتى انتهوا إلى الحصن فدخلوه وخرج أسير يقدم يهود ، فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فى موقفه ، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وأمسى مهموماً(٤) . [وخرج مع ذلك سعد بن عبادة] ، فقال ﷺ لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرّار ، أبشر يا محمد بن مسلمة ! غداً — إن شاء الله تعالى — يقتل قاتل أخيك ، وتولّى عادية يهود .

بعثة علي لفتح حصن ناعم

فلما أصبح رسول الله ﷺ أرسل إلى على رضى الله عنه — وهو أرمد — فقال [على](٥) : ما أبصر سهلاً ولا جبلاً ! فذهب إليه فقال ﷺ : افتح عينيك ! ففتحهما ، فتفل فيهما ، فما رمد بعدها .

مقتل أبي زينب اليهودى

ثم دفع إليه اللواء ، ودعا له ومن معه بالنصر . وكان أول من خرج إليه الحارث أبو زينب — أخو مرحب — فانكشف المسلمون وثبت على ، فاضطربا ضربات فقتله علىّ . وانهزم اليهود إلى حصنهم .

خبر مرحب اليهودى ومقتله

ثم خرج مرحب فحمل على علىّ وضربه ، فاتقاه بالترس ، فاطن ترس على رضى الله عنه . فتناول باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده حتى فتح الله عليه الحصن ، وبعث رجلاً يبشر النبي ﷺ بفتح حصن مرحب . ويقال إن باب الحصن جُرّب بعد ذلك ، فلم يحمله أربعون رجلا . وروى — من وجه ضعيف عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً ، فكان جهدهم أن أعادوا الباب وعن أبي رافع : فلقد رأيتنى فى نفر مع

(١) كناية عن شدة الرعب .
(٢) جثم : لزم مكانه .
(٣) فى (خ) « يهدنا » ، والهذّ : الإسراع .
(٤) فى (الواقدى) ج ٢ ص ٦٥٣ بعد قوله « مهموما » « وقد كان سعد بن عبادة رجع مجروحا » فيستقيم بذلك السياق إذا قيل بعدها عبادة : [وخرج مع ذلك سعد بن عبادة] .
(٥) زيادة للبيان .

سبعة — أنا ثامنهم — نجهد أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه . وزعم بعضهم : أن حمل علىّ باب خيبر لا أصل له ، وإنما يروى عن رعاع الناس وليس كذلك ، فقد أخرجه ابن إسحاق فى سيرته عن أبي رافع ، وأن سبعة لم يقلبوه وأخرجه الحاكم من طرق منها : عن أبي على الحافظ ، حدثنا الهيثم ابن خلف الدورى ؛ حدثنا إسماعيل بن موسى الفزارى [نسيب](١) السُّدّى ؛ حدثنا المطلب بن زياد ؛ حدثنا ليث بن أبي سليم ؛ حدثنا أبو جعفر محمد بن على بن حسين ؛ عن جابر : أن علياً حمل الباب يوم خيبر ؛ وأنه جرّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً .

خبر مرحب وأسير وياسر ومقتلهم

ويقال إن مرحباً برز كالفحل الصؤول يدعو للبراز ، فخرج إليه محمد بن مسلمة فتجاولا ساعة ، وضرب محمد مرحباً فقطع رجليه وسقط ، فمر به علىّ رضى الله عنه فضرب عنقه وأخذ سَلَبَهُ ، فأعطى رسول الله ﷺ سَلَبَهُ محمد بن مسلمة . وبرز أسير ، فخرج له محمد بن مسلمة فقتله محمد ثم برز ياسر ، وكان من أشدائهم ، فقال :

قد علمت خيبر أنى ياسر ... شاكى السلاح بطل مغاورُ
إذا الليوث أقبلت تبادرُ ... وأحجمت من صولتى المخاطر(٢)
إن حماى فيه موت حاضر

فقتله الزبير رضى الله عنه وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى زَبّار ... قرم لقوم غير نكس فرّار
وابن حماة المجد وابن الأخيار ... ياسر ! لا يغررك جمع الكفار
فجمعهم مثل السراب الجرار(٣)

(وفى رواية : « فإنهم مثل السراب المورّار) فقال رسول الله ﷺ : أبشروا ! قد ترحبت خيبر وتيسرت . وبرز عامر فقتله علىّ وأخذ سلاحه .

البشرى بقتل قاتل محمود بن مسلمة

ولما قتل مرحب بعث رسول الله ﷺ جُعَيْل بن سراقة الغفارى يبشر محمود بن مسلمة : أن الله قد أنزل فرائض البنات ، وأن محمد بن مسلمة قد قتل قاتله ، فسر بذلك ، ومات فى اليوم الذى قتل فيه مرحب ، بعد ثلاث من سقوط الرحى عليه .

فتح حصن الصعب بن معاذ بعد الجوع والجهد

وكان الناس قد أقاموا على حصن النطاة عشرة أيام لا يفتح ، وجهدهم الجوع ، فبعثوا أسماء بن حارثة بن هند

(١) زيادة من نسبه (تهذيب التهذيب) ج ١ ص ٣٢٥ .
(٢) فى (الطبرى) ج ٣ ص ١١ « وأحجمت عن صولتى المغاور » .
(٣) فى (خ) « فإنهم مثل السراب الجار » وما أثبتناه من (الطبرى) ج ٣ ص ١١ .

ابن عبد الله بن غياث بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى الأسلمى إلى رسول الله ﷺ تشكوا الجوع والضعف فادع الله لنا ! فقال : اللهم افتح عليهم أعظم حصن فيه ، أكثره طعاماً وأكثره وَدَكاً . ودفع اللواء إلى الحباب بن المنذر بن الجموح ، وندب الناس . فما رجعوا حتى فتح الله عليهم حصن الصعب .

خبر أبي اليسر فى إطعام المسلمين

فقال رسول الله ﷺ : من رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ فقال أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو ابن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة : أنا يا رسول الله ! وخرج يسعى مثل الظبى ، فقال عليه السلام ، اللهم متعنا به ! فأدرك الغنم وقد دخل أولها الحصن ، فأخذ شاتين من آخرها واحتضنهما ، ثم أقبل عدواً ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فذبحتا(١) وقسمتا ، فما بقى أحد من أهل العسكر المحاصرين الحصن إلا أكل منها ، وكانوا عدداً(٢) كثيراً

نحر الحمر الإنسية وتحريم لحمها

وخرج من الحصن عشرون حماراً أو ثلاثون ، فأخذها المسلمون وانتحروها ، وطبخوا لحومها ، فمر بهم رسول الله ﷺ وهم على تلك الحال ، فسأل ، فأخبر خبرها ، وأمر فنودى : إن رسول الله نهاكم عن لحوم [الحمر](٣) الإنسية فأكفئوا القدور

النهى عن متعة النساء وكل ذى ناب ومخلب

و[نهاكم](٤) عن متعة النساء(*) ؛ وعن كل ذى ناب ومخلب . وذبح المسلمون فرسين قبل فتح حصن الصعب فأكلوا .

مقتل عامر بن سنان الأنصارى

وقُتِل عامر بن سنان الأنصارى ، عمّ سلمة(٥) بن عمرو بن الأكوع [وسنان هو الأكوع] — وقد لقى يهودياً فبدره بضربة ، فاتقى عامرٌ بدرقته ، فنبا سيف اليهودى عنه ، وضرب عامر رجل اليهودى فقطعها ، ورجع

(١) فى (خ) « قد لحقا » .
(٢) فى (خ) « عداداً » .
(٣) زيادة للسياق .
(٤) زيادة للسياق .

(*) يقول (ابن القيم) فى (زاد المعاد) ج ٣ ص ٣٤٣ وما بعدها
« ولم تحرم المتعة يوم خيبر وإنما كان تحريمها عام الفتح هذا هو الصواب » .
« قال الشافعى : لا أعلم شيئاً حُرِّم ، ثم أبيح ، ثم حُرِّم إلا المتعة ، قالوا : نُسخت مرتين ، وخالفهم فى ذلك آخرون ، وقالوا : لم تحرم إلا عام الفتح » .
(٥) فى (خ) « سلمة » .

السيف عليه ، فنزف فمات : فقال أسيد بن حضير : حبط عمله ، فقال رسول الله ﷺ كذب من قال ذلك ، إن له لأجرين ، إنه جاهد (١) مجاهد ، وإنه ليعوم فى الجنة عوم الدعموص(٢) .

خبر حصن الصعب

ولما أقام المسلمون على حصن الصعب يومين ، غدا بهم الحباب بن المنذر فى اليوم الثالث ومعه الراية ، فقاتلهم أشد قتال . وبكر رسول الله ﷺ فتراموا بالنبل ، وقد ترس المسلمون على رسول الله . ثم حملت اليهود حملة منكرة ، فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ ، وهو واقف قد نزل عن فرسه ، ومِدْعَم(٣) يمسك الفرس ، وثبت الحباب برايته يراميهم على فرسه . فندب رسول الله الناس وحضهم على الجهاد فأقبلوا حتى زحف بهم الحباب ، واشتد الأمر ، فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم ، ورَمَوا من أعلى جُدُره بالحجارة رمياً كثيراً فتباعد عنه المسلمون ثم كروا . فخرجت يهود وقاتلوا أشد قتال . فقتل ثلاثة من المسلمين ، ثم هزمهم الله تعالى .

غنائم حصن الصعب

واقتحم المسلمون الحصن يقتلون ويأسرون . فوجدوا فيه من الشعير والتمر والسمن والعسل والزيت والوَدَك كثيراً(٤) فنادى منادى رسول الله ﷺ : كلوا واعلفوا ولا تحتملوا [يعنى لا تخرجوا به إلى بلادكم] . فأخذوا من ذلك الحصن طعامهم ، وعلف دوابهم ، ولم يمنع أحد من شىء ، ولم يخمس . ووجدوا بزّاً فى عشرين عكماً(٥) محزومة من متاع اليمن(٦) . ووجدوا خوابى سكر(٧) ، فأمر بالسكر فكسر فى خوابيه . ووجدوا آنية من نحاس وفخار كانت يهود تأكل فيها وتشرب ، فقال عليه السلام : اغسلوها ، واطبخوا ، وكلوا فيها واشربوا . وأخرجوا منها غنماً وبقراً وحمراً ، وآلة الحرب ، ومنجنيقاً ، ودبابات وعدة ، وخمسمائة قطيفة ، وعشرة أحمال خشب(٨) فأحرق ، وشرب الخمر رجل من المسلمين يقال له « عبد الله الحمار »(٩) ، فخفقه رسول الله بنعليه ؛ وأمر من حضره فخفقوه(١٠) بنعالهم . ولعنه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ﷺ : فإنه يحب الله ورسوله ! ثم راح عبد الله كأنه أحدهم ، فجلس معهم .

فتح قلعة الزبير

وتحولت يهود إلى قلعة(١١) الزبير ، فزحف رسول الله ﷺ إليهم وحصرهم — وكانوا فى حصن منيع — مدة ثلاثة أيام حتى فتحه ، وكان آخر حصون النطاة .

(١) الجاهد : الجاد فى أمره .
(٢) الدعموص : دويبة أو دودة تكون فى الغُدران إذا نَشَّت (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٨٧ .
(٣) مِدْعَم : اسم عبد أسود
(٤) فى (خ) « كبيراً » (٥) العكم : من قولهم : عكم المتاع يعكمه ، شده بثوب (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٢٨٧ .
(٦) فى (خ) « اليمن » . (٧) خوابى : جمع خابية وهى كالدن ، والسَّكَر : كل ما يسكر .
(٨) فى (خ) ، (ط) « كخشوب » وهو خطأ من الناسخ ، وما أثبتناه من (الواقدى) ج ٢ ص ٦٦٤ .
(٩) كذا فى (خ) ،(ط) ، وفى المرجع السابق « عبد الله الحمّار » (١٠) فى (خ) « فخفقوه » (١١) فى (خ) « قطعة » .

فتح حصون الشق

ثم أمر رسول الله ﷺ بالأنفال والعسكر أن يحول من الرجيع إلى مكانه الأول بالشق ، وبه عدة حصون ، فنازلها حتى فتحها . ووجد فى حصن منها صفية بنت حيي وابنة عمها ، ونسيات معها وذرارى ، يبلغ عدة الجميع زيادة على ألفين .

مصالحة كنانة بن أبى الحقيق على أهل الكتيبة

وصالح كنانة بن أبى الحقيق رسولَ الله ﷺ [على](1) أهل الكتيبة فأمن الرجال والذرية ، ودفعوا إليه الأموال من الذهب والفضة والحلقة والثياب إلا ثوباً على إنسان ، بعد ما حصرهم أربعة عشر يوماً . وقال مالك ، عن ابن شهاب : والكتيبة أكثرها عَنْوة ، وفيها صلح وقال ابن وهب : قلت لمالك : وما الكتيبة ؟ قال : من أرض خيبر ، وهى أربعون ألف عَذْقٍ . فوجد خمسمائة قوس عربية ، ومائة درع ، وأربعمائة سيف ، وألف رمح .

ما كتمه ابن أبى الحقيق من أموال يهود وما كان فيه من الغنائم

وسأل [رسول الله ﷺ](2) كنانة بن أبى الحقيق عن الأموال - وكان قد قال ﷺ حين صالحه برئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتمونى شيئاً - فقال كنانة : يا أبا القاسم ! أنفقناه فى حربنا فلم يبق منه شىء ! وأكد الأيمان ، فقال رسول الله : برئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كان عندكم ؟ قال : نعم ! ثم قال ﷺ : وكل ما أخذت من أموالكم ، وأصبت من دمائكم ، فهو حل لى ولا ذمة لكم ؟ قال : نعم ! وأشهد عليه عدة من المسلمين ومن يهود . فدله سَعْيَة(3) بن سلام بن أبى الحقيق على خربة ، فبعث عليه السلام الزبير فى نفر مع سعية (3) حتى حفر ، فإذا كنز فى مَسْك(4) جمل ، فيه حُلى . فأتى به رسول الله ﷺ ، فأمر الزبير أن يعذب كنانة حتى يستخرج كل ما عنده ، فعذبه حتى جاءه بمال ، ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود . وعذب ابن أبى الحقيق الآخر ، ثم دفع إلى ولاة بشر ابن البراء فقتل به ، وقيل ضرب عنقه ، واستحل ﷺ بذلك أموالهما ، وسبى ذراريهما . ووجد فى المسك : أسورة الذهب ، ودمالج الذهب ، وخلاخل الذهب ، وأقرطة ذهب ، ونظم من جوهر وزمرد ، وخواتم ذهب ، وفتخ بجزع ظفار مجزع(5) بالذهب . [وذكر](6) .

---

(1) زيادة للسياق .

(2) زيادة للبيان .

(3) كذا فى (ط) ، وفى (خ) و (الواقدى) جـ ٢ ص ٦٧٢ « ثعلبة » .

(4) مسك الدابة : جلدها بعد السلخ .

(5) فى (خ) « وفتح بجزع ظفار مجزع » ، والفتخ . الدبلة ، وجزع الظفار : سبق شرحه فى حديث الإفك .

(6) كذا فى (خ) ، والسياق مستقيم بدونها .

صفية بنت حيي : إسلامها ، وزواج رسول الله بها

وكانت صفية بنت حيي تحت كنانة بن أبى الحقيق ، فسباها رسول الله ﷺ ، وبعث بها مع بلال إلى رحله ، فمر بها وبابنة عمها على القتلى ، فصاحت ابنة عمها صياحاً شديداً ، فكره رسول الله ﷺ ما صنع بلال وقال : ذهبت منك الرحمة ؟ تمر بجارية حديثة السن على القتلى ! ! فقال : يا رسول الله ! ما ظننت أنك تكره ذلك ، وأحببت أن ترى مصارع قومها ! فدفع ابنة عم صفية إلى دحية الكلبى ، وأعتق صفية وتزوجها ، وجعل عتقها صداقها .

خبر الشاة المسمومة

التى أكل منها رسول الله ﷺ وقتلت بشر بن البراء

ثم إن زينب ابنة الحارث اليهودية أخت مرحب(1) ، ذبحت عنزاً لها وطبختها وسمتها ، فلما صلى رسول الله ﷺ المغرب وانصرف إلى منزله ، وجد زينب عند رحله ، فقدمت له الشاة هدية . فأمر بها فوضعت بين يديه ، وتقدم هو وأصحابه إليها ليأكلوا . فتناول الذراع . وتناول بشر بن البراء عظماً ، وانتهس رسول الله ﷺ ثم ازدرد ، وقال : كفُّوا أيديكم ، فإن هذه الذراع تخبرنى أنها مسمومة ! فقال بشر بن البراء : والله يا رسول الله ، وجدت ذلك من أكلتى(2) التى أكلت ، فما منعنى أن ألفظها إلا كراهية أنغِّص عليك طعامك . فلم يرم(3) بشر من مكانه حتى تغير ثم مات : ودعا رسول الله زينب وقال : سممت الذراع ؟ قالت : من أخبرك ؟ قال : الذراع ! قالت نعم ! قال : وما حملك على ذلك ؟ قالت : قتلت أبى وعمى وزوجى ، ونلت من قومى ما نلت ، فقلت : إن كان نبياً فستخبره الشاة ، وإن كان ملكاً استرحنا منه ! فقيل : أمر بها فقتلت ثم صلبت(4) ، كما رواه أبو داود . وقيل : عفا عنها(5) .

الاختلاف فى قتل صاحبة الشاة المسمومة

وقد اختلفت(6) الآثار فى قتلها(7) : ففى صحيح مسلم أنه لم يقتلها ، وهو مروى عن أبى هريرة وجابر ،

---

(1) كذا فى (خ) ، وفى سنن أبى داود جـ ٤ ص ٦٤٨ ، ويرى بعض الرواة أن « زينب بنت الحارث » هذه هى ابنة أخى مرحب اليهودى ، راجع (مجمع الزوائد) جـ ٦ ص ١٥٣ .

(2) أكلتى : لقمتى . (3) لم يرم : لم يفارق مكانه . (4) (مجمع الزوائد) جـ ٨ ص ٢٩٦ .

(5) (سنن أبى داود) جـ ٤ ص ٦٤٧ وما بعدها ، (باب فيمن سقى رجلا سماً أو أطعمه فمات ، أيقاد منه ؟) الأحاديث أرقام : ٤٥٠٨ ، ٤٥٠٩ ، ٤٥١٠ ، ٤٥١١ ، ٤٥١٢ ، ٤٥١٣ ، ٤٥١٤ وقال الخطابى فى (معالم السنن) جـ ٤ ص ٦٤٩ « وفى الحديث دليل على إباحة أكل طعام أهل الكتاب ، وجواز مبايعتهم ومعاملتهم ، مع إمكان أن يكون فى أموالهم الربا ونحوه من الشبهة » . (6) فى (خ) « اختلف » .

(7) وفى (الشفا) للقاضى عياض جـ ١ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ : « . . . . قال : فأمر بها فقتلت ، وقد روى هذا الحديث أنس ، وفيه قالت : أردت قتلك فقال : ما كان الله ليسلطك على ذلك ، فقالوا : نقتلها ، قال : لا . وكذلك روى عن أبى هريرة من رواية غير وهب ، قال : فما عرض لها ، ورواه أيضاً جابر بن عبد الله ، وفيه : أخبرتنى به هذه الذراع ، قال : ولم يعاقبها ، وفى رواية الحسن : أن فخذها تكلمنى أنها مسمومة ، وفى رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن قالت : إنى مسمومة ، وكذلك ذكر الخبر ابن إسحق وقال فيه : فتجاوز عنها » . . . . وقال ابن سحنون : أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتل اليهودية التى سمته ، وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك عن أبى هريرة وأنس وجابر ، وفى رواية ابن عباس رضى الله عنه أنه دفعها لأولياء بشر ابن البراء فقتلوها » .

وفى أبي داوود أنه قتلها . وعن ابن عباس : دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور ، وكان أكل منها فمات بها ، فقتلوها . وقال ابن سحنون : أجمع أهل الحديث أن رسول الله قتلها . وكان نفر ثلاثة قد وضعوا أيديهم فى الطعام ولم يصيبوا منه شيئاً ، فأمرهم رسول الله ﷺ فاحتجموا أوساط رؤوسهم

احتجام رسول الله من سم الشاة

واحتجم ﷺ تحت كتفه اليسرى ، وقيل على كاهله ، حجمه أبو هند بالقرن والشفرة . وقال ﷺ فى مرض موته : ما زالت أكلة خيبر يصيبنى منها عداد (١) ، حتى كان هذا أوان أن تقطع أبهرى (٢) . ويقال : الذى مات مسموماً من الشاة مبشر بن البراء ، وبشر أثبت .

مغـــانم خيبر

واستعمل رسول الله ﷺ على مغانم خيبر فروة بن عمرو بن ودفة (٣) بن عبيد بن عامر بن بياضة البياضى الأنصارى ، فلم يخمس الطعام والأدم والعلف ، بل أخذ الناس منه حاجتهم . وكان من احتاج إلى سلاح يقاتل به أخذه من صاحب المغنم ثم رده (٤) إليه . فلما اجتمعت المغانم كلها جزأها رسول الله ﷺ خمسة أجزاء ، وكتب فى سهم منها لله ، وسائر السهمان أغفال . وكان أول سهم خرج سهم النبى ﷺ ، لم يتخير فى الأخماس . ثم أمر ببيع الأخماس الأربعة فيمن يزيد ، فباعها فروة بن عمرو . ودعا فيها ﷺ بالبركة فقال : اللهم ألق عليها النفاق ! — فتداك الناس عليها حتى نفق فى يومين ، وكان يظن أنهم لا يتخلصون منه حيناً لكثرته . فأعطى رسول الله ﷺ من خُمُسه ما أراد الله : فأعطى أهله ، وأعطى رجالا من بنى عبد المطلب ونساءً ، وأعطى اليتيم والسائل . وجمعت مصاحف فيها التوراة ، ثم رُدَّت على يهود .

الغلول من الغنائم

ونادى منادى رسول الله ﷺ : أدّوا الخياط والمخيط (٥) ، فإن الغلول عارٌ وشنارٌ ونارٌ يوم القيامة ! فعصب فروةُ رأسه بعصابة ليستظل بها من الشمس ، فقال رسول الله ﷺ : عصابة من نار عصبتَ بها رأسك ! فطرحها . وسأل رجل أن يُعطى من الفئ شيئاً فقال ﷺ : لا يحل من الفئ خيط ولا مخيط لأحد ، ولا مُعطى . وسأله رجل عقالاً فقال : حتى تقسم الغنائم ثم أعطيك عقالا ، وقتل (٦) كِركِرة يومئذ فقال ﷺ : إنه الآن ليحرق فى النار على شملة غلها . وتوفى رجل من أشجع فلم يصلّ عليه ، وقال : إن صاحبكم غلَّ فى سبيل الله : فوجد فى متاعه خرز (٧) لا يساوى درهمين .

---

(١) العداد : اهتياج وجع اللديغ بعد سنة (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ١٧٠ .

(٢) الأبهر : وريد العنق (المرجع السابق) ج ١ ص ٣٣١ .

(٣) فى (خ) « ودفة بن عميل » والصواب ما أثبتناه من كتب السيرة .

(٤) فى (خ) « ردوه » .

(٥) الخياط والمخيط : الخيط والإبرة ، (راجع مسند الحميدى) ج ٢ ص ٣٩٦ حديث رقم ٨٩٤ .

(٦) فى (خ) « وقيل » .

(٧) فى (خ) « حزو » وما أثبتناه من (المغازى) ج ٢ ص ٦٨١ .

واشترى الناس يومئذ تبراً بذهب جزافاً (١) ، فنهى (٢) رسول الله ﷺ عن ذلك . ووجد رجل فى خربة مائتى درهم ، فأخذ منها رسول الله ﷺ الخمس ودفعها إليه .

النهى عن أشيـــاء

وسُمع [ﷺ] (٣) يومئذ يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه زرع غيره (٤) ، ولا يبع شيئاً من المغنم حتى يعلم . ولا يركب دابة من المغنم حتى إذا أدبرها (٥) ردَّها . ولا يلبس ثوباً من المغنم حتى إذا أخلقه ردَّه ، ولا يأت (٦) امرأة من السبى حتى تستبرأ بحيضة ، وإن كانت حبلى حتى تضع الحمل . ومرَّ على امرأة مجح (٧) فقال : لمن هذه ؟ فقيل : لفلان . قال : لعله يطؤها ؟ قالوا : نعم ! قال : كيف بولدها ؟ يورثه وليس بابنه ، ويسترقه وهو يغذو (٨) فى سمعه وبصره ! لقد هممت أن ألعنه لعنة تتبعه فى قبره .

قدوم أصحاب السفينتين

وقدم أهل السفينتين من عند النجاشى بعد أن فتحت خيبر ، فيهم جعفر بن أبى طالب وأبو موسى عبد الله بن قيس الأشعرى ، فى جماعة من (٩) الأشعريين يزيدون على سبعين . وذكر ابن سعد عن الواقدى بسنده (١٠) : أنهم لما سمعوا خبر هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، رجع ثلاثة وثلاثون رجلا وثمانى نسوة . فمات منهم رجلان بمكة ، وحُبس بمكة سبعة نفر . وشهد بدراً منهم أربعة وعشرون رجلا . فلما كان شهر ربيع الأول سنة سبع من الهجرة ، كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشى يدعوه إلى الإسلام مع عمرو بن أمية الضمرى ، فأسلم . وكتب إليه أيضاً أن يزوجه أم حبيبة [بنت أبى سفيان] (١١) — وكانت فيمن هاجر إلى الحبشة — فزوجه إياها . وكتب إليه أيضاً أن يبعث بمن بقى عنده من أصحابه ويحملهم ، فحملهم فى سفينتين مع عمرو بن أمية ، فأرسلوا بساحل بولا وهو الجار (١٢) . ثم ساروا حتى قدموا المدينة ، فوجدوا (١٣) رسول الله بخيبر فأتوه ، فقال ﷺ : ما أدرى بأيهما أنا أسَرّ ؟ قدوم جعفر ، أو فتح خيبر ! ثم ضمَّه وقبل بين عينيه .

---

(١) فى (خ) « واشترى الناس يومئذ بذهب جزافاً » وما أثبتناه من المرجع السابق ج ٢ ص ٦٨٢ .

(٢) فى (خ) « فانتهى » ، وفى (ط) « نهى » ، وفى (المغازى) « ونهى » .

(٣) زيادة للبيان .

(٤) الماء : المنى ، وزرع غيره ، الحمل الذى من غيره .

(٥) فى (الواقدى) « براها » وأدبر الدابة : أثقل عليها الحمل ، والدبرة : قرحة الدابة (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٤٦ .

(٦) فى (خ) « ولا يأتى » .

(٧) فى (خ) « نحح » والمجح : الحامل المقرب التى دنا ولادها (النهاية) ج ١ ص ٢٤٠ .

(٨) فى (المغازى) « يعدو » ج ٢ ص ٦٨٣ ، وفى (ط) « يغذو » ، وفى سنن الدارمى ج ٢ ص ٢٢٧ باب فى النهى عن وطء الحبالى : « عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ رأى مرأة مجحة يعنى حبلى ... فقال لعله قد ألم بها قالوا نعم ، قال لقد هممت أن ألعنه لعنة تدخل معه قبره ، كيف يورثه وهو لا يحل له ؟ وكيف يستخدمه وهو لا يحل له ؟ » .

(٩) فى (خ) « فى » .　　(١٠) (المغازى) ج ٢ ص ٦٨٣ .　　(١١) زيادة للبيان من (ط) .

(١٢) الجار : « مدينة على ساحل بحر القلزم ، بينها وبين المدينة يوم وليلة ... » وهى فرضة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند (معجم البلدان) ج ٢ ص ٩٢ ، ٩٣ .

(١٣) فى (خ) (فواجدوا) .

إشراك القادمين فى غنائم خيبر

وهمّ المسلمون أن يدخلوا جعفراً ومن قدم معه فى سهمانهم ففعلوا وقدم الدوسيون ، فيهم أبو هريرة والطفيل ابن عمرو وأصحابهم ، ونفر من الأشعريين ، فكلم رسول الله ﷺ أصحابه (١) فيهم أن يشركوهم فى الغنيمة ، فقالوا : نعم ، يارسول الله .

الخمس وقسمته

وكان الخمس إلى رسول الله ﷺ من كل مغنم غنمه المسلمون ، شهده أو غاب عنه . وكان لايقسم لغائب فى مغنم لم يشهده ، إلا أنه فى بدر ضرب لثمانية لم يشهدوا وكانت خيبر لأهل الحديبية من شهدها أو غاب عنها . قال الله سبحانه : « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه » (٢) — يعنى خيبر ، وقد تخلف عنها رجال ، ومات رجلان وأسهم ﷺ لمن تخلف منهم ومن مات وأسهم لمن شهد خيبر ولم يشهد الحديبية ، وأسهم لرسل كانوا يختلفون إلى أهل فدك ، وأسهم لثلاثة مرضى لم يحضروا القتال ، وأسهم للذين استشهدوا . وقيل كانت خيبر لأهل الحديبية ، لم يشهدها غيرهم ، ولم يسهم فيها لغيرهم ، والأول أثبت .

وأسهم لعشرة من يهود المدينة — غزاهم إلى خيبر — كسهمان المسلمين ، ويقال أحذاهم (٣) ولم يسهم لهم ، وأعطى نااليك كانوا معه ولم يسهم .

من شهد خيبر من النساء

وشهد خيبر عشرون امرأة : منهن : أم المؤمنين أم سلمة ، وصفية بنت عبد المطلب ، وأم أيمن ، وسلمى امرأة أبى رافع مولاة النبى ﷺ وامرأة عاصم بن عدى ، [وولدت بخيبر سهلة بنت عاصم] ، وأم عمارة نسيبة بنت كعب ، وأم منيع وهى أم شباث ، وكُعَيْبة بنت سعد الأسلمية ، وأم مطاوع الأسلمية ، وأم سليم بنت ملحان ، وأم الضحاك بنت مسعود الحارثية ، وهند بنت عمرو بن حرام ، وأم العلاء الأنصارية ، وأم عامر الأشهلية ، وأم عطية الأنصارية ، وأم سليط ، وأمية بنت قيس الغفارية ، فرضخ لهن (٤) من الفىء ولم يسهم لهن . وولدت امرأة عبد الله بن أنيس فأحذاها ومن ولدته .

خبر أفراس المؤمنين وسهمانها

وقاد رسول الله ﷺ فى خيبر ثلاثة أفراس : لزار والظَّرِب . والسكب . وقاد المسلمون مائتى فرس ، وقيل ثلاثمائة ، والأول أثبت . فأسهم لمن له فرسان خمسة أسهم : أربعة لفرسيه وسهماً له (٥) ، ولم يسهم لأكثر من

(١) فى (خ) (وأصحابه) . (٢) الآية ٢٠ / الفتح .

(٣) فى (خ) (أحذاهم) وأحذى : منح ووهب .

(٤) رضخ له : أعطاه عطاء يسيراً .

(٥) فى (سنن الدارمى) جـ ٢ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ : « عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أسهم يوم خيبر للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهمين » .

فرسين لرجل واحد ويقال إنه لم يسهم إلا لفرس واحد ، وهذا أثبت . ويقال إنه عرّب العربى وهجّن الهجين (١) يوم خيبر ، فأسهم للعربى دون الهجين . وقيل : لم يكن فى عهده عليه السلام هجين ، إنما كانت العِراب (٢) حتى كان زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفتحت الأمصار ولم يُسمع أن رسول الله ﷺ ضرب لما كان معه من الخيل لنفسه إلا لفرس واحد ، فكان له ﷺ ثلاثة أسهم : لفرسه سهمان وله سهم .

إحصاء الناس بخيبر

وولى إحصاء الناس بخيبر زيد بن ثابت ، فقسم رسول الله ﷺ بينهم الغنائم : وهم ألف وأربعمائة ، والخيل مائتا فرس . وكانت السهمان التى فى النطاة والشق على ثمانية عشر سهماً . وكان من كان فارساً له فى ذلك ثلاثة أسهم فوضى لم تُحد ولم تقسم . إنما لها رؤوس مسمون ، لكل مائة رأسٌ يقسم على أصحابه ماخرج من غلتها

مساقاة اليهود على زرع خيبر

ولما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، ساق (٣) يهود على الشطر من الثمر والزرع ، وكان يزرع تحت النخل . وكان يبعث عبد الله بن رواحة يخرص (٤) عليهم النخل ، ويقول إذا خرَص ، إن شئتم [فلكم] (٥) ، وتضمنون نصف ماخرصت ، وإن شئتم فلنا ، ونضمن لكم ماخرصت . وخرص عليهم أربعين ألف وسق (٦) . فلما قتل ابن رواحة بمؤتة خرص عليهم أبو الهيثم بن التَّيِّهان ؛ وقيل جبار بن صخر ؛ وقيل فروة بن عمرو .

شكوى اليهود من المسلمين وانصافهم

وجعل المسلمون يقعون (٧) فى حرثهم وبقلهم بعد المساقاة ، فشكت يهود ذلك إلى رسول الله ﷺ ؛ فنادى عبد الرحمن بن عوف ، الصلاة جامعة ، ولايدخل الجنة إلا مسلم فاجتمع المسلمون ؛ فقام رسول الله ﷺ

(١) الهجين من الخيل : ما كانت أمه غير عربية ، وهو عيب يعاب به .

(٢) العراب : من الخيل الأصيل .

(٣) المساقاة : « ما كان فى النخل والكرم وجميع الشجر الذى يثمر بجزء معلوم من الثمرة للأجير ، وإليه ذهب الجمهور ، وخصها الشافعى فى قوله الجديد بالنخل والكرم ، وخصها داود بالنخل ، وقال مالك تجوز فى الزرع والشجر ، ولا تجوز فى البقول عند الجمع » . (نيل الأوطار للشوكانى) جـ ٦ ص ٨ .

(٤) الخرص : الحزر (ترتيب القاموس) جـ ٢ ص ٣٧ ، وحكى الترمذى عن بعض أهل العلم أن تفسيره : أن الثمار إذا أدركت من الرطب والعنب مما تجب فيه الزكاة ، بعث الإمام خارصاً ينظر ، فيقول : يخرج من هذا كذا وكذا زبيباً ، وكذا تمراً فيحصيه ، وينظر مبلغ العشر فيه فيثبته عليهم ويخلى بينهم وبين الثمار ، فإذا جاء وقت الجذاذ ، أخذ منهم العشر ، وهو قول مالك والشافعى وأحمد وإسحق .

(٥) زيادة للسياق ، وفى (الواقدى) جـ ٢ ص ٦٩١ : (إن شئتم فلكم وتضمنون نصف ما خرصت ، وإن شئتم فلنا ونضمن لكم ما خرصتُ) .

(٦) الوسق : ستون صاعاً أو حمل بعير (ترتيب القاموس) جـ ٤ ص ٦١١ .

(٧) وقع فى الحرث : ترك دوابه ترعى فيه .

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن يهود شكوا إلى أنكم وقعتم في حظائرهم ؛ وقد أمنتهم على دمائهم ؛ وعلى أموالهم التي في أيديهم في أراضيهم ؛ وعاملتهم (١) وإنه لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها . فكان (٢) المسلمون لا يأخذون من بقولهم شيئاً إلا بثمن .

خبر الكتيبة وأنها لرسول الله خالصة

وقيل إن الكتيبة كانت للنبي ﷺ خالصة ، لأنهم لم يوجفوا عليها (٣) ، وقيل هي خُمسة من خيبر . وكان ﷺ يطعم من الكتيبة من أطعم ، وينفق على أهله منها ، وكانت تخرص ثمانية آلاف وسق تمراً ، فليهود نصفها : أربعة آلاف . وكان يُزرع فيها الشعير ، فيحصد منه ثلاثة آلاف صاع ، لرسول الله ﷺ نصفه ، وليهود نصفه . وربما اجتمع منها ألف صاع نوى (٤) ، هي أيضاً بينهما نصفين . فأطعم من الكتيبة كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً تمراً . وعشرين وسقاً شعيراً ، وللعباس بن عبد المطلب مائتي وسق ، ولفاطمة وعلى عليهما السلام ثلاثمائة وسق شعيراً وتمراً ، ولأسامة بن زيد مائة وخمسين وسقاً شعيراً وتمراً . وأطعم آخرين . وقسم بين ذوي (٥) القربى بخيبر : بين بني هاشم وبني عبد المطلب فقط

شهداء خيبر

واستشهد بخيبر خمسة عشر رجلا : أربعة من المهاجرين . والبقية من الأنصار ، فقيل ، فقيل : صلى عليهم رسول الله ﷺ ، وقيل : لم يصل عليهم .

وقتل من يهود ثلاثة وتسعون رجلاً . وأعطى ﷺ جُبَيلَ (٦) بن جوال الثعلبي كل داجن بخيبر ، وقيل : إنما أعطاه كل داجن (٧) في النطاة ، ولم يعطه من الكتيبة ولا من الشق شيئاً .

ما نهى عنه في خيبر

وفي غزاة خيبر نهى ﷺ : عن أكل الحمار الأهلي (٨) ، وعن أكل كل ذي ناب من السباع (٩) ، وأن توطأ الحبالى (٢) حتى يضعن ، وعن أن تباع السهام حتى تُقسم (١٠) ، وأن تباع الثمرة حتى يبدوَ صلاحها (١١) ، ولعن

---

(١) المعاملة : المساقاة في كلام فقهاء العراق

(٢) في (خ) « وكان » .

(٣) وجيف : ضربٌ من سير الخيل والإبل (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٥٢٨ .

(٤) نوى : جمع نواة .

(٥) في (خ) « وقسم بينهم ذى القربى » .   (٦) في (خ) جُبَيلَة

(٧) الداجن : الحمام والشاة وغيرها ألفت البيوت (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٥٢ .

(٨) (سنن أبي داود) ج ٤ ص ١٦٤ حديث رقم ٣٨١١ .

(٩) (المرجع السابق) ج ٤ ص ١٥٩ ، ١٦٠ حديث رقم ٣٨٠٢ ، ٣٨٠٥ .

(١٠) (سنن الدارمي) ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(١١) (سنن أبي داود) ج ٣ ص ٦٦٩ حديث رقم ٣٣٧٣ .

يومئذ الواصلة والموصولة (١) ، والواشمة والموشومة (١) ، والخامشة وجهها (٢) ، والشاقة جيبها (٣) ، وحرم لحوم البغال وكل ذي مخلب من الطيور ، وحرم المجثَّمة (٤) والخليسة (٥) ، والنُّهبة (٦) ، ونهى عن قتل النساء .

بلوغ خبر خيبر إلى أهل مكة

وقدم عباس بن مرداس السلمي مكة ، فخبَّر أن محمداً سار إلى خيبر ، وأنه لا يُفلت . فقال صفوان بن أمية : أنا معك يا عباس . وضوى إليه نفر ، وقال حويطب بن عبد العزّى : إن محمداً سيظهر (٧) . ووافقه جماعة . فتخاطرا (٨) مائة بعير . فلما جاء الخبر بظهور (٧) رسول الله ﷺ أخذ حويطب وحيِّزه (٩) الرهن . وكان الذي جاءهم بذلك بن عِلاطٍ السُّلَمي [بن نُوَيرة بن حنثر بن هلال بن عبيد بن ظفر بن سعد بن عمرو بن تيم بن بهز] (١٠) ابن امرىء القيس بن بُهثة بن سليم بن منصور ، وقد أسلم بخيبر . [وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يأتي مكة ، وكان له بها مالٌ وأهل . وتخوّف إن علمت قريش بإسلامه أن يذهبوا بماله . فأذن له رسول الله أن يأتي مكة] (١١) ليجمع ماله .

مصالحة أهل فدك

وكان رسول الله ﷺ لما أقبل أهل خيبر ، بعث مُحيِّصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدىّ بن مجدعة ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري إلى فدك ، يدعوهم إلى الإسلام . فبعثوا معه بنفر منهم . حتى صالحهم رسول الله ﷺ على أن يخلُّوا بينه وبين الأموال ، وأن لهم نصفَ الأرض : وصارت (١٢) فدك خالصة لرسول الله أبداً ، أخذها بغير إيجاف خيل ولا ركاب .

---

(١) (سنن أبي داود) ج ٤ ص ٣٩٦ باب صلة الشعر حديث رقم ٤١٦٨ « لعن رسول الله ﷺ الواصلة والمتوصلة ، والواشمة والمتوشمة » وأخرجه البخاري في اللباس باب تحريم فعل الواصلة ، والترمذي في اللباس حديث ١٨١٤ باب ما جاء في مواصلة الشعر ، وسنن النسائي ص ١٤٥ في الواصلة والمتوصلة ، ص ١٤٧ في المواشمات .

(٢) خَمشَ وجهه : خدشه ولطمه وضربه (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٠٩ .

(٣) (سنن النسائي) ج ٤ ص ٢ ، ٢١ باب ضرب الخدود ، وشق الجيوب .

(٤) المجثمة : هي كل حيوان يُنصب ويرمى ليقتل ، إلا أنها تكثر في الطير والأرانب وأشباه ذلك مما يجثم في الأرض : أي يلزمها ويلتصق بها . (النهاية) ج ١ ص ٢٣٩ .

(٥) في (خ) « الخالسة » والخليسة : وهي ما يستخلص من السبع فيموت قبل أن يذكى ، من خلستُ الشيء واختلسته إذا سلبته ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة (النهاية) ج ٢ ص ٦١ .

(٦) النُّهبة : ما يُنتَهب من الشيء .

(٧) من الظهور : وهو النصر والغلبة .

(٨) تخاطرا : تراهنا .

(٩) في (خ) « وحيزة » ، والحيز : الناحية .

(١٠) في (خ) بعد « السلمي » ما نصه : « بن عمرو بن سعد بن عمرو بن زهير بن امرىء القيس ... » ، وصواب النسب ما بين القوسين .

(١١) ما بين القوسين سقط في (خ) وقد استوفيناه من كتب السيرة .

(١٢) في (خ) « وصارت » .

إعراسه بصفية بنت حيي

وانصرف ﷺ من خيبر يريد وادي(١) القُرى . فلما كان بالصهباء أعرس بصفية بنت(٢) حيي مساءً ، وأولم عليها(٣) بالحَيْس والسَّويق والتمر(٤) . وبات أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه قريباً من قبته ، آخذاً بقائم السيف حتى أصبح ، وهو يحرسه ﷺ .

غـــزوة وادي القرى

فلما انتهى إلى وادي القرى – وقد ضوى إليها(٥) ناس من العرب – استقبله اليهود بالرمي ، فقُتل مِدْعَم(٦) ، – وهو يحط رحل النبي ﷺ – بسهم . فعبأ عليه السلام أصحابه وصفَّهم للقتال ، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عبَّاد بن بشر . ثم دعاهم إلى الإسلام فأبوا . وبرزوا ، فقتل منهم أحد عشر رجلا . وبات عليهم وغدا لقتالهم ، فأعطوا بأيديهم(٧) ، فأخذها عنوة ، وغنم ما فيها فقسمه ، وعامل يهود على النخل .

مصالحة يهود تيماء

فطلب يهود تيماء الصلح فصولحوا على الجزية ، وأقاموا على أموالهم . وانصرف ﷺ من وادي القرى – وقد أقام أربعة أيام – يريد المدينة ، فلما قرب منها نزل وعرّس .

النوم عن صلاة الصبح

فنام ومن معه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس ، فأذَّن بلال ، وركعوا ركعتي الفجر ، ثم صلى بهم حتى إن أحدهم ليسلت(٨) العرق عن جبينه من حر الشمس . فلما سلم قال : كانت أنفسنا بيد الله ، فلو شاء قبضها ، وكان أولى بها ، فلما ردها إلينا صلينا ، ثم أقبل على بلال – وكان قد قال قبل أن ينام : ألا رجل صالح حافظ لعينيه يحفظ لنا صلاة الصبح ؟ فقال بلال : أنا ! ثم نام معهم ، غلبته عيناه ، فقال ﷺ(٩) : مه(١٠) يا بلال ؟ فقال :

---

(١) ق (خ) « وادي » .
(٢) ق (خ) « بن حيي » .
(٣) أولم : من الوليمة .
(٤) الحيس : طعام العرب ، والسويق : يتخذ من الحنطة والشعير .
(٥) ضوى إليه ضَوْياً وضُوِيّاً ، وانضوى إليه : إذا أوى إليه (الفائق للزمخشري) ج ٢ ص ٣٥٠ .
(٦) مدعم : غلام لرسول الله ﷺ .
(٧) أعطى بيده : سلم من غير قتال .
(٨) سلت : مسح (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٥٩٠ .
(٩) زيادة للإيضاح .
(١٠) مه : كلمة استفهام بمعنى ماذا .

بأبي وأمي ، قبض نفسي الذي قبض نفسك ! فتبسم ﷺ(١) . وقد قيل إن ذلك كان بمرجعه ﷺ من حنين . والأول قول محمد بن شهاب عن سعيد بن المسيب ، وهو أعلم الناس بالسِّيَر والمغازي ، وكذلك سعيد بن المسيب ، ولا يقاس بهما المخالف لهما في ذلك : وروي عن قتادة أن ذلك كان في جيش الأمراء ، وهذا وهم ، وجيش الأمراء كان في غزوة مؤتة ، ولم يشهدها النبي ﷺ . وعن عطاء بن يسار أنها كانت في غزوة تبوك ، وهذا لا يصح(٢) ، لأن الآثار الصحاح على خلاف قوله مسندة ثابتة ، وقوله مرسل .

جبل أحد واتخاذ المنبر وحنين الجذع

ولما نظر إلى أحد قال : هذا جبل يحبنا ونحبه(٣) ! اللهم إني حرّمت ما بين لابتي المدينة(٤) . ونهى أن يطرق الرجل أهله ليلا بعد صلاة العشاء(٥) ولما قدم المدينة اتخذ المنبر ، وله درجتان والمستراح ، وخطب عليه فحنّ الجذع(٦) الذي كان يستند إليه إذا خطب .

---

(١) (المغازي للواقدي) ج ٢ ص ٧١٢ ، (موطأ مالك) باب النوم عن الصلاة حديث رقم ٢٥،٢٤ ، (سنن أبي داوود) حديث رقم ٤٣٥ ، ٤٣٦ باب من نام عن الصلاة أو نسيها وقال الخطابي في (معالم السنن) ج ١ ص ٣٠٢ :
(وفي الحديث من الفقه أنهم لم يصلوا في مكانهم ذلك عندما استيقظوا حتى اقتادوا رواحلهم ثم توضئوا ثم أقام بلال وصلى بهم . وقد اختلف الناس في معنى ذلك وتأويله فقال بعضهم : إنما فعل ذلك لترتفع الشمس فلا تكون صلاتهم في الوقت المنهي عن الصلاة فيه ، وذلك أول ما تبزغ الشمس قالوا : والفوائت لا تقضى في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها ، وعلى هذا مذهب أصحاب الرأي . وقال مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه : تقضى الفوائت في كل وقت نهي عن الصلاة فيه أو لم ينه عنها ، وإنما نهي عن الصلاة في تلك الأوقات إذا كانت تطوعاً وابتداء من قبل الاختيار دون الواجبات ، فإنها تقضى الفوائت فيها إذا ذكرت أي وقت كان) .
وانظر أيضاً (: سنن النسائي) ج ١ ص ٢٩٨ ، (سنن ابن ماجه) حديث رقم ٦٩٧ .
(٢) يقول ابن القيم في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٣٥٧ : « لكن قد اضطربت الرواة في هذه القصة ، فقال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة ، عن جامع : إن الحارس فيها كان ابن مسعود ، وقال غُنْدَر عنه : إن الحارس كان بلالاً ، واضطربت الرواية في تاريخها ، فقال المعتمر بن سليمان عن شعبة عنه : إنها كانت في غزوة تبوك ، وقال غيره عنه : إنها كانت في مرجعهم من الحديبية ، فدلّ على وهم وقع فيها ، ورواية الزهري عن سعيد سالمة من ذلك ، وبالله التوفيق » .
ويقول أيضاً في ص ٣٥٨ من المرجع السابق : فصل في فقه هذه القصة (باختصار) :
– أن من نام عن صلاة أو نسيها فوقتها حين يستيقظ أو يذكرها .
– أن السنن والرواتب تقضى كما تقضى الفرائض . – أن الفائتة يؤذن لها ويقام . – قضاء الفائتة جماعة .
– قضاؤها على الفور لقوله « فليصلها إذا ذكرها » – وفيها تنبيه على اجتناب الصلاة في أمكنة الشيطان .
(٣) (مجمع الزوائد) ج ٦ ص ١٥٥ ، « رواه أحمد ، وعقبة ، ذكره ابن أبي حاتم وقال : روى عنه عبد العزيز ولم يجرحه ، قلت : وروى عن الزهري عند أحمد ، وبقية رجاله رجال الصحيح » وانظر أيضا (موطأ مالك) حديث رقم ١٦١٠ .
(٤) اللابة : الأرض الواسعة ، والمدينة ما بين لابتين ، (والمرجع السابق) حديث رقم ١٦٠٢ .
(٥) (سنن الترمذي) ج ٤ ص ١٦٦ حديث رقم ٢٨٥٥ « وفي الباب عن أنس وابن عمر وابن عباس هذا حديث حسن صحيح ، وقد رُوي من غير وجه عن جابر عن النبي ﷺ . وقد روي عن ابن عباس « أن النبي ﷺ نهاهم أن يطرقوا النساء ليلا ، قال : فطرق رجلان بعد نهي رسول الله ﷺ فوجد كل واحد منهما مع امرأته رجلا » .
وفي (المغازي) ج ٢ ص ٧١٢ ، ٧١٣ : « عن أم عمارة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بالجرف : لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء . قالت : فذهب رجل من الحي فطرق أهله فوجد ما يكره فخلّى سبيله ولم يهجه ، وضن بزوجته أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله ﷺ ورأى ما يكره » .
(٦) (الشفا للقاضي عياض) ج ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٢ و (دلائل النبوة لأبي نعيم) ج ٢ ص ١٤٢ ، ١٤٣ و (المطالب العالية =

رد زينب إلى أبي العاص

وفي جمادى الأولى من سنة سبع ، رَدَّ رسول الله ﷺ ابنته زينبَ على أبي العاص ابن الربيع .

سرية عمر بن الخطاب إلى تربة

ثم كانت سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تُرَبَة ، في شعبان سنة سبع . بعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلاً إلى عَجُز هوازن بتُرَبة ، وهي بناحية العبلاء ، على أربع ليال من مكة ، طريق صنعاء ونجران . فخرج ومعه دليلٌ من بني هلال ، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار ، حتى أتوا محالهم وقد تفرّقوا . فلم يلقوا أحداً وعادوا إلى المدينة .

سرية أبي بكر إلى بني كلاب

ثم كانت سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد بناحية ضرية ، في شعبان هذا ، فبيت ناساً من هوازن ، وقتل منهم .

سرية بشير بن سعد إلى بني مرة بفدك

وسرية بشير بن سعد إلى فَدَك ، فيه أيضاً . ومعه ثلاثون رجلا ليوقع ببني مُرَّة ، فاستاق نعما وشاء وانحدر إلى المدينة ، فأدركوه ليلاً ، وراموهم بالنَّبل حتى فنيت نبل المسلمين ، وأحيط بهم وأصيبوا . واستاق المرّيّون نَعَمَهُم وشاءَهم . فتحامل بشير بن سعد حتى انتهى إلى فَدَك ، فأقام عند يهوديّ حتى اندملت جراحه ، وعاد إلى المدينة .

سرية الزبير بن العوام ثم سرية غالب بن عبد الله إلى بني مرة أيضا

فهيأ رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ، وبَعَثه إلى مصاب القوم ، ومعه مائتا رجل ، وعقد له لواء . ثم بعث غالب بن عبد الله [الليثي](٢) على مائتي رجل في صفر سنة ثمان ، ومعه أسامة بن زيد وعلبة بن زيد الحارثي ، فسار حتى دنا منهم فبعث الطلائع عليها علبة بن زيد ، فأعلموه خبرهم . ثم وافاهم ، وحض من معه على الجهاد ، وأوصاهم بالتقوى ، وحمل بهم على القوم ، فقاتلوا ساعة ثم حَوَوْا الماشية والنساء وقد قتلوا الرجال .

قتل اسامة الرجل الذى قال لا إله إلا الله

ومرّ أسامة بن زيد في إثر رجل منهم يقال له نُهَيك بن مرداس، حتى دنا منه ، فقال : لا إله إلا الله ! فقتله،

= لابن حجر) ج ٤ ص ٣ حديث رقم ٣٨٢٢ باب علامات النبوة و (سنن ابن ماجه) ج ١ ص ٤٥٤ ، باب ما جاء في بدء شأن المنبر حديث رقم ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٧ .

(٢) زيادة للبيان .

ثم ندم وأقبل إلى جماعته فقال له غالب بن عبدالله : بئس والله ما فعلت ! تقتل امرءاً يقول لا إله إلا الله ! وساق النَّعَم والشاءَ والسَّبي فكانت سهامهم عشرة أبعرة لكل رجل ، أو عدلها من الغنم : كل جزور بعشرة . وقدموا المدينة ، فحدّث زيد رسول الله ﷺ بخبره ، فقال [ﷺ](١) : قتلتَه يا أسامة ، وقد قال: لا إله إلا الله؟ فجعل [أسامة] يقول : إنما قالها تعوّذاً من القتل ! فقال [ﷺ] : أفلا شققتَ عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ فقال أسامة : لا أقتل أحداً يقول لا إله إلا الله أبداً(٢) .

سرية غالب بن عبد الله الى الميفعة

ثم كانت سرية غالب بن عبد الله بن مِسعر الليثي أيضاً — في رمضان منها إلى الميفعة ، ليوقع ببني عوال وبني عبد بن ثعلبة ، في مائة وثلاثين رجلا ، ومعه يسار مولى رسول الله ﷺ ، فاستاقوا نَعَماً وشاء ، وقتلوا من أشرف لهم ، على ماء يقال له الميفعة بناحية نجد ، بعده من المدينة ثمانية بُرُد ، وعادوا بالغنيمة .

سريه بشير بن سعد إلى يمن وجبار

ثم كانت سرية بشير بن سعد إلى يُمْن وجُبار في سنة سبع . وذلك أن حسيل بن نُوَيرة الأشجعي أخبر رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان بالجناب ، قد واعدوا عيينة بن حصن أن يزحفوا إلى أطراف المدينة ، فذكر ذلك لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فأشارا بإرسال بشير بن سعد ، فعقد له لواء ، وبعث معه ثلاثمائة رجل . وكان حُسَيْل دليلهم . حتى أتوا إلى يمن وجبار وهي نحو الجناب ، والجناب يعارض سلاح وخيبر ووادي القرى ، فنزلوا بسلاح . ثم دنوا من القوم فأصابوا نَعَماً كثيراً ملأوا منه أيديهم ، وتفرق الرعاء فأنذروا أصحابهم ؛ فروا على وجوههم ؛ فلم يلق بشيرٌ أحداً . وعاد بالنَّعم . فوجدوا عيناً لعيينة فقتله ؛ ثم لقي جمع عيينة فأوقع بهم وهم لا يشعرون ؛ فناوشهم فانهزموا ؛ وأسر منهم رجلاً أو رجلين ؛ وقدما المدينة فأسلما وتركا لحالهما .

عمرة القضية

ثم كانت عُمرة القضية ؛ وتسمى عُمرةَ القضاء ؛ وغزوة القضاء ؛ وعمرة الصُّلح ؛ ويقال لها عمرة القصاص ؛ قال الفريابيّ : أخبرنا(٣) ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ؛ عن مجاهد ، في قوله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحُرُمات قصاص »(٤) قال : فخرت قريش لردها(٥) رسول الله ﷺ يوم الحديبية مُحْرماً في ذى القعدة عن البلد الحرام ، فأدخله الله مكة من العام القابل فقضى عمرته ، وأقصّه(٦) ما حيل بينه وبين يوم الحديبية .

(١) زيادة للبيان .

(٢) ذكر ابن سعد في (الطبقات الكبرى) ج ٢ ص ١١٩ أن هذا الخبر في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة .

(٣) في (خ) « ثنا » وهي اختصار « أخبرنا » ، كما أن « ثنا » هي اختصار « حدثنا » .

(٤) الآية ١٩٤ / البقرة .

(٥) في (خ) « بردها » .

(٦) أعطاه القصاص .

أول الجمع للعمرة

وذلك أن ذا القعدة لما أهلّ فى سنة سبع ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يعتمروا قضاء عمرتهم وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية ، فلم يتخلف من أهلها أحد هو حى ، وخرج سوى أهل الحديبية رجال عُمّاراً . وكان المسلمون فى عمرة القضية ألفين . وقال جماعة من العرب : والله يارسول الله مالنا زاد ، ومامن أحد يطعمنا . فأمر المسلمون أن ينفقوا فى سبيل الله ، وأن يتصدقوا ، وألا يكفّوا أيديهم فيهلكوا (١) . فقالوا : يارسول الله ! بم نتصدق وأحدنا لايجد شيئاً ؟ فقال : بما كان ، ولو بشق تمرة ، ولو بمشقص (٢) يحمل به أحدكم فى سبيل الله . فأنزل الله تعالى فى ذلك : « وأنفقوا فى سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة » (٣) يعنى ترك النفقة فى سبيل الله .

الهدى ومسير المسلمين

وساق عليه السلام ستين بدنة . وجعل عليها ناجية بن جندب الأسلمى ليسير أمامه يطلب الرعى فى الشجر ، ومعه أربعة فتيان من أسلم . وكان أبو رهم كلثوم بن حصين الغفارى ممن يسوقها ويركبها . وقلد ﷺ هديه بيده وحمل السلاح فيها البيض والدروع . وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة ، وقدّم الخيل والسلاح ، واستخلف على المدينة أبا ذرّ الغفارى . وأحرم من باب المسجد ، لأنه سلك طريق الفُرْع (٤) ، ولولا ذلك لأهلّ من البيداء ، وسار يُلبّى والمسلمون معه يلبون . فلما انتهى محمد بن مسلمة بالخيل إلى مرّ الظهران (٥) ، وجد بها نفراً من قريش ، فسألوه عن رسول الله ﷺ فقال : يصبّح هذا المنزل غداً إن شاء الله .

بلوغ الخبر إلى قريش

ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد ، فأسرعوا إلى مكة وأخبروا قريشاً ففزعوا ، وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً ، ففيم يغزونا : محمد ؟ ولما نزل رسول الله ﷺ مر (٦) الظهران قدم السلاح إلى بطن يأجج ، (٧) وترك معه مائتين من أصحابه ، عليهم أوس بن خولىّ . وخرج مكرز بن حفص فى نفر حتى لقوا رسول الله ﷺ ببطن يأجج (٧) ، فقالوا : يامحمد ! والله ماعرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر ! تدخل بالسلاح الحرم ! وقد شرطت ألا تدخل إلا بسلاح المسافر ، السيوف فى القرب ؟ ! فقال : إنى لا أدخل عليهم السلاح . فعاد [مكرز] (٨) إلى مكة فخرجت قريش إلى رؤوس الجبال ، وقالوا : لانتظر إليه ولا إلى أصحابه .

---

(١) فى (خ) « فتهلكوا » .
(٢) المشقص : السهم العريض .
(٣) ١٩٥ / البقرة .
(٤) فى (خ) « الفروع » .
(٥) فى (خ) « من الظهران » .
(٦) فى (خ) « من الظهران » .
(٧) فى (خ « يأحج » وهو .
(٨) زيادة للايضاح .

دخول رسول الله مكة

وحبس الهَدْى بذى طوىً ودخل عليه السلام مكة من الثنية (١) التى تطلع على الحجون ، وقد ركب القصواء ، وأصحابه حوله متوشحوا السيوف يُلبّون ، وعبد الله بن رواحة آخذ بزمام راحلته ، فلم يزل عليه السلام يلبى حتى استلم الركن . وقيل لم يقطع التلبية حتى جاء عروش مكة .

طواف المسلمين بالكعبة

وتحدثت قريش أن المسلمين فى جُهد ، ووقفت منهم جماعات عند دار الندوة ، فاضطبع (٢) عليه السلام بردائه ، وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرءاً أراهم اليوم قوة ! فلما انتهى إلى البيت — وهو على راحلته ، وابن رواحة آخذ بزمامها ، وقد صف له المسلمون — دنا من الركن فاستلمه بمحجنه (٣) وهو مضطبع بثوبه ، وهرول هو والمسلمون فى الثلاثة الأشواط الأول وكان بن رواحة يرتجز (٤) فى طوافه . وهو آخذ بزمام الناقة ، فقال عليه السلام : إيهاً (٥) يابن رواحة ! قل : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ! فقالها الناس . فلما قضى طوافه ، خرج (٦) إلى الصفا فسعى على راحلته ، والمسلمون يسترونه من أهل مكة أن يرميه أحد منهم أو يصيبه بشىء .

نحر الهدى عند المروة

ووقف عند فراغه قريباً من المروة — وقد وقف الهدى عندها — فقال : هذا المنحر ، وكل فجاج مكة منحر . ونحر عند المروة . وكان قد اعتمر معه قوم لم يشهدوا الحديبية فلم ينحروا ، وشركه فى الهدى من شهد الحديبية . فمن وجد بدنة من الإبل نحرها ، ومن لم يجد بدنة رُخّص له فى البقرة ، وكان قد قدم رجل ببقر فاشتراه الناس منه . وحلق عليه السلام عند المروة ، حلقه معمر بن عبد الله العدوىّ .

دخول رسول الله الكعبة

ثم دخل البيت ، ولم يزل فيه حتى أذّن بلال بالظهر فوق ظهر الكعبة فقال عكرمة بن أبى جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم ! لم يسمع هذا العبد يقول مايقول ! ! وقال صفوان بن أميّة : الحمد لله الذى أذهب أبى قبل أن يرى هذا ! وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أمات أبى ولم يشهد هذا اليوم ، حين يقوم ابن أم بلال ينهق فوق الكعبة ! ! وغطى سُهيل بن عمرو ورجال معه وجوههم حين سمعوا . وقيل لم يدخل عليه السلام الكعبة ، بل أرسل إليهم فأبوا ، وقالوا : لم يكن فى شرطك ! فأمر بلالاً فأذّن فوق الكعبة مرّة ولم يعد بعد ، وهو الثبت .

---

(١) فى (خ) البنية » .
(٢) الاضطباع : هو أن يُدخل الطائف بالبيت رداءه من تحت إبطه الأيمن ويغطى به الأيسر من جهة صدره وظهره .
(٣) المحجن : عصا معقفة الرأس .
(٤) ارتجز : ترنم بالرّجز من الشعر .
(٥) إيه : طلب الاستزادة من الكلام . أيهاً : طلب السكوت .
(٦) فى (خ) « وخرج » .

زواجه ﷺ ميمونة رضى الله عنها

وخطب ميمونة ، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب ، فتزوجها وهو محرم ؛ وقيل تزوجها لما أحل .
وكلم عليٌّ بن أبي طالب رسول الله ﷺ في عمارة بنت حمزة — وكانت مع أمها سلمى بنت عُميس بمكة — فقال علام نترك بنت عمنا يتيمة بين ظهراني المشركين ! فخرج بها ، حتى إذا دنوا من المدينة ، أراد زيد بن حارثة — وكان وصيَّ حمزة وأخاه أخوة المهاجرين — أن يأخذها من عليّ ، وقال : أنا أحق بها . إبنة أخي ! فقال جعفر ابن أبي طالب : الخالة والدة ، وأنا أحق بها لمكان خالتها عندي ، أسماء بنت عميس (١) . فقال عليٌّ رضوان الله عليه : ألا أراكم في إبنة عمي ، وأنا أخرجتها (٢) من بين أظهُر المشركين ، وليس لكم إليها نسب دوني ، وأنا أحق بها منكم فقال رسول الله ﷺ : أحكم بينكم ، أما أنت يازيد فولى الله ورسوله ، وأما أنت ياعليُّ فأخي وصاحبي ، وأما أنت ياجعفر فتشبه خلقي وخلقي ، وأنت ياجعفر أولى بها . تحتك (٣) خالتها ، ولا تنكحُ المرأةُ على خالتها ولا عمتها . فقضى بها لجعفر ، فقام جعفر فحجل حول النبي ﷺ فقال : ماهذا ياجعفر ؟ قال : يارسول الله . كان النجاشيُّ إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله . فقال على رضى الله عنه : تزوجها يارسول الله ! قال : هي إبنة أخي من الرضاعة !

طلب قريش خروج رسول الله من مكة

ولما كان عند الظهر يوم الرابع ، أتى سهيلُ بن عمرو وحويطب بن عبد العُزّى رسول الله ﷺ — في مجلس الأنصار ، وهو يتحدث مع سعد بن عبادة — فقال : قد انقضى أجلك ، فأخرج عنا . فقال ﷺ (٤) : وماعليكم لو تركتموني فأعرستُ (٥) بين أظهركم ، وصنعت طعاماً ؟ فقالا : لاحاجة لنا في طعامك . أخرج عنا ، ننشدك (٦) الله والعهد الذي بيننا وبينك إلا خرجت من أرضنا ! فهذه الثلاث قد مضت ! فغضب سعد بن عُبادة وقال لسهيل [بن عمرو] (٤) كذبت لا أم لك ! ليست بأرضك ولا أرض أبيك ، والله لايبرح منها إلا طائعاً راضياً ! فتبسم ﷺ ثم قال : ياسعد ، لاتؤذوا قوماً زارونا في رحالنا . فأسكت الرجلان (٧) عن سعد . وروى أنهم بعثوا علياً إلى النبي عليه السلام ليخرج عن بلدهم .

الرحيل والبناء بميمونة

وأمر عليه السلام أبا رافع بالرحيل ، وقال : لايُمسينَّ بها أحد من المسلمين وركب حتى نزل سَرِف ، وخلّف

(١) في (خ) « عميس » .
(٢) في (خ) « أخرجها » .
(٣) في (خ) « تحتك » .
(٤) زيادة للإيضاح .
(٥) بزواج ميمونة رضى الله عنها .
(٦) ننشدك الله : نستحلفك بالله .
(٧) أسكت الرجل : سكت سكوتاً طويلا على غضب .

أبا رافع ليحمل إليه ميمونة حين يمسى ، فخرج بها مساءً ؛ ولقى عنتاً (١) من سفهاء المشركين . فبنى النبي ﷺ على ميمونة بسَرِف .

منزل رسول الله

ولم ينزل بمكة بيتاً ، وإنما ضربت له قبة من أدم بالأبطح ، وكان هناك حتى سار منها . وبعث بمائتى رجل من طافوا بالبيت إلى بطن يأجَج (٢) ، فأقاموا عند السلاح حتى أتى الآخرون فقضوا نسكهم . وقدم المدينة في ذى الحجة .

سرية بن أبي العوجاء إلى بنى سليم

وكانت سرية ابن أبي العوجاء السُّلَمى إلى بنى سُلَيْم ، في ذى الحجة سنة سبع . بعثه رسول الله ﷺ في خمسين رجلا إلى بنى سليم ، وقد أنذروا به فجمعوا (٣) له ، فقاتلوا حتى قُتل عامةُ أصحاب ابن أبي العوجاء ، وأثخنوه بالجراح ، ثم تحامل إلى المدينة فقدمها أول يوم من صفر .

إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن أبي طلحة

وفي صفر سنة ثمان ، خرج عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص ابن كعب بن لؤى القرشى السهمى من مكة — بعد مرجعه من الحبشة — يريد المدينة ؛ فهاجرَ ، فوجد في طريقه خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر (٤) بن مخزوم القرشى المخزوميّ ، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى القرشى العبدريّ ، وقد قصدا قصده . فقدموا المدينة ، ودخلوا على رسول الله ﷺ . فبايعه خالد أولا ، ثم بايعه عثمان ، ثم عمرو على الإسلام ، فقال عليه السلام : إن الإسلام يجب (٥) ما كان قبله ، والهجرة تجب ما كان قبلها .

سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد

وفي صفر هذا كانت سرية غالب بن عبد الله بن [مِسْعر بن جعفر بن] (٦) كلب بن عوف ابن كعب عامر بن ليث بن بكير (٧) بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعَدّ ابن عدنان الكنانيّ ثم الليثى — إلى الكَديد ليُغير على بنى الملوح من بنى ليث ، في ربيع الأول منها . فخرج في بضعة عشر رجلاً حتى [إذا] (٨) كان بقُدَيْد لقى الحارث بن مالك بن قيس بن عوذ (٩) بن جابر بن عبد مناف

(١) في (خ) « عيناً » .
(٢) في (خ) « يأجج » .
(٣) في (خ) « وجمعوا له » .
(٤) في (خ) « عمرو » .
(٥) يمحو ما كان قبله من المعاصى والذنوب .
(٦) هكذا سياق النسب .
(٧) في (خ) « بكر » .
(٨) زيادة للسياق .
(٩) في (خ) « عوف » .

ابن شجَنع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، [وكان يقال لمالك بن قيس : ابن البرصاء] فأخذه فشده وثاقاً ، [البرصاء هي أم قيس بن عوذ[1] ، واسمها : ريطة بنت ربيعة بن رياح ابن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر] ، وخلف عليه سوَيد بن صخر . وأتى الكديد عند غروب الشمس ، فكمن في ناحية الوادي ، وبعث جندب بن مكيث الجهني ربيئةً ، فأتى تلا مشرفاً على الحاضر[2] فعلاه وانبطح ، فخرج رجل من خباء فقال [لامرأته][3] : إني أرى على هذا التل سواداً ما رأيته عليه [أول يومي هذا][3] . ورماه بسهم ثم آخر فما أخطأه ، وثبت مكانه ، فقال : لو كان زائلةً[4] لقد تحرك بعد ! لقد خالطه سهماي !! ثم دخل خباءه . وراحت ماشية الحي من إبلهم وأغنامهم ، فحلبوا وعطنوا ، حتى إذا اطمأنوا شن المسلمون عليهم الغارة ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الذرية ، واستاقوا النعم والشاءَ . وكان شعارهم : أمِت أمِت . ثم انحدروا بها نحو المدينة ، واحتملوا ابن البرصاء معهم فجاء القوم بما لا قبل لهم به ، وبينهم وبينهم الوادي ، فجاء الله بالسيل حتى ملأ جنبتيه[5] ، ولم يستطع أحد أن يجوزه ، فوقف المشركون ينظرون إليهم ، حتى فاتوهم ولا يقدرون على طلبهم ، إلى أن قدموا المدينة . فبعثه رسول الله ﷺ في مائتي رجل إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد ، وذلك في صفر سنة ثمان كما تقدم .

سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح

ثم كانت سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح من أرض الشام ، وراء وادي القرى ، في خمسة عشر رجلاً ، فقاتلهم حتى قُتلوا . وأفلت منهم رجل جريح ، فتحامل حتى أتى المدينة فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ .

سرية شجاع بن وهب إلى السي

وكانت سرية شجاع بن وهب [الأسدي][6] إلى السِّيِّ — وهو ماء من ذات عرق إلى وَجرة ، على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة ، وخمس من المدينة — يريد بني عامر بناحية رُكبة في ربيع الأول أيضاً ، على أربعة وعشرين رجلا ، فخرج حتى أغار على القوم وهم غارّون فأصابوا نَعَماً وشاء ، وقدموا المدينة . وكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً كلُّ رجل . وعدَّلوا البعير بعشرة من الغنم . وغابوا خمس عشرة ليلة . وقدموا بسبايا ، فيهن جارية وضيئة . فقدم وفدهم مسلمين ، فردوهنَّ إليهم ، واختارت الجارية الوضيئة شجاع بن وهب ، وكان قد أخذها بثمن ، فأقامت عنده حتى قُتل باليمامة .

سرية قطبة بن عامر إلى خثعم بتبالة

ثم بعث رسول الله ﷺ قطبة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلا إلى حيٍّ بن خثعم بناحية تبالة . فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها ، فوجد رجلاً فسأله فلم يُجبه عن القوم ، وجعل يصيح بالحاضر ، فضرب عنقه ،

(١) في (خ) (عوف) .
(٢) الحاضر : الحي الذي يسكنه القوم .
(٣) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ١٢٤ .
(٤) في (خ) « ذابلا » ، وفي رواية المسند ج ٣ ص ٤٦٨ « لو كان دابة » وفي (ابن سعد) « ربيئة » وكلها بمعنى .
(٥) جَنَبَة الوادي : ناحيته وشاطئه .
(٦) زيادة للبيان .

وشنّ الغارة ليلا فقاتله القوم قتالا شديداً حتى أتى قُطبة عليهم ، وساق النَّعَم والشاءَ والنساء حتى قدم المدينة . فكانت سهامهم أربعة أبعرة لكل رجل أو عدلها : عشرةً من الغنم عن كل بعير .

غزوة مؤتة

ثم كانت غزوة مؤتة من عمل البلقاء بالشام دون دمشق ، [وهي بضم أوله ، وإسكان ثانيه ، بعده تاء معجمة باثنتين من فوقها] ، كانت في جمادى الأولى .

سببها

وسبب ذلك أن الحارث بن عمير الأزديّ لما نزل مؤتة بكتاب رسول الله ﷺ إلى صاحب بُصرى ، أخذه شرحبيل بن عمرو الغسّاني وضرب عنقه . فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وندب الناس فأسرعوا ، وعسكروا بالجُرف ، ولم يبن لهم الأمر[1] .

الأمراء يوم مؤتة

فلما صلى الظهر جلس في أصحابه وقال : زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه[2] عليهم . وعقد لواءً أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة . فودّع الناس الأمراء ، وخرج معهم إلى مؤتة ثلاثة آلاف . وجعل المسلمون ينادون : دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين .

وداع جيش مؤتة ووصية الأمراء

وشيّعهم رسول الله ﷺ إلى ثنية الوداع ، ثم وقف وهم حوله ، وقال : أوصيكم بتقوى الله ، وبمن معكم من المسلمين خيراً . اغزوا بسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله لا تغدِروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً . وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعُهم إلى إحدى ثلاث فأيتهن ما أجابوك إليها ، فاقبل منهم واكفف عنهم . ادعهم إلى الدخول في الإسلام ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ؛ ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، فإن فعلوا فأخبرهم أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، وإن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله ، ولا يكون لهم في الفيء ولا في الغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ؛ فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ؛ فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . وإن أنت حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك أن تستنزلهم على حكم الله فلا تستنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزِلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيبُ حكم الله فيهم أم لا ؟ وإن حاصرت أهل حصنٍ أو مدينة فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله ، ولكن

(١) في (خ) « الأمراء » .
(٢) في (خ) « فليجعلوه » .

اجعل لهم ذمتك وذمة أبيك وذمة أصحابك ، فإنكم إن تُخفروا[1] ذمتكم وذمة آبائكم خير لكم من أن تُخفروا ذمة الله وذمة رسوله .

وستجدون رجالاً فى الصوامع معتزلين للناس ، فلا تتعرضوا لهم ، وستجدون آخرين فى رؤوسهم مفاحص[2] فاقتلوها بالسيوف . لا تقتلن امرأةً ولا صغيراً ضرَعاً[3] ولا كبيراً فانياً ، ولا تغرقن نخلا ، ولا تقلعُنّ شجراً ، ولا تهدموا بيتاً .

من خبر عبد الله بن رواحة

وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ! مرنى بشىء أحفظه عنك . قال : إنك قادم غداً بلداً ، السجود فيه قليل فأكثر السجود . قال : زدنى يا رسول الله . قال : اذكر الله ، فإنه عون لك على ما تطالب[4] . فقام من عنده ، حتى إذا مضى ذاهباً رجع . فقال : يا رسول الله ، إن الله وِتْر يحبُّ الوتر ! فقال : يا ابن رواحة ، ما عجزت فلا تعجزَنّ إن أسأت عشراً أن تحسن واحدة . فقال : لا أسألك عن شىء بعدها

بلوغ المسلمين إلى مصرع الحارث بن عمير

ومضى المسلمون ، وقد أمرهم رسول الله ﷺ أن ينتهوا إلى مقتل الحارث بن عُمير ، وسمع العدُو بمسيرهم ، لجمعوا لهم . فقام فيهم رجل من الأزْد يقال له شرحبيل [بن عمرو الغسانى][5] ، وتَقدّم[6] الطلائع أمامه ، وبعث أخاه سَدُوسَ بن عمرو فى خمسين فلقوا المسلمين فى وادى القرى فقاتلوه وقتلوه . ونزلوا مَعَان [من أرض الشأم][7] ، فبلغهم أن هرقل قد نزل مَآبَ من البلقاء ، فى مائة ألف من الروم ومعه من بَهراء ووائل وبكر ولخم وجُذام مائة ألف ، عليهم رجل من بَلِىّ يقال له مالك .

أول القتال يوم مؤتة ، وخوف المسلمين ثم إقدامهم

فأقاموا ليلتين ، وأرادوا أن يكتبوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر ليردهم أو يزيدهم رجالاً ، فشجعهم عبد الله ابن رواحة وقال : والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ، ولا بكثرة سلاح ، ولا بكثرة خيول ، إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ! انطلقوا ، والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا فَرَسان ، ويوم أُحُد فرسٌ واحد ! فإنما هى إحدى الحسنيين : إما ظهور عليهم ، فذلك ما وَعَدنا الله ووعد نبيّنا ، وليس لوعده خُلف ، وإما الشهادة ، فنلحق بالإخوان نرافقهم فى الجنان ! فشجع الناسَ وَمَضَوا إلى مؤتة . فرأوا المشركين ومعهم ما لا قِبل لهم به

(١) أخفر الذمة : نقضها .

(٢) المفاحص : جمع مفحص ، وهو مجثم القطا ، والمعنى أن الشيطان قد استوطن فى رؤوس هؤلاء .

(٣) التى لا يستطيع الدفاع عن نفسه .

(٤) كذا فى (ط) وفى (خ) « تطالب » .

(٥) زيادة للإيضاح من (ط) .

(٦) فى (خ) « أو قدم » .

(٧) زيادة للبيان من (ط) .

من العَدَد والسلاح والكُراع ، والديباج والحرير والذهب . قال أبو هريرة : وقد شهدت ذلك فبرق بصرى[1] فقال لى ثابت بن أقرم[2] : يا أبا هريرة ! مالك كأنك ترى جموعاً كثيرة ! قلت : نعم ! قال : لمْ تشهدنا ببدر ! إنا لم نُنصر بالكثرة .

مقتل زيد بن حارثة

وقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم : فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل الناس معه ، والمسلمون على صفوفهم ، وعلى الميمنة قطبة بن قتادة السَّدوسى وعلى الميسرة عباية[3] بن مالك ، فقتل زيد طعناً بالرماح .

مقتل جعفر بن أبى طالب

ثم أخذه جعفر فنزل على فرسه فعرقبها ، ثم قاتل حتى قُتل ، ضربه رجل من الروم فقطعه بنصفين ، فوقع أحد نصفيه فى كرم ، فوجد فى نصفه بضع وثلاثون جرحاً . وقيل : وُجد مما قَبِل يديه[4] فيما بين منكبيه اثنان وسبعون[5] ضربة بسيف أو طعنة برمح ، ووجد به طعنة قد أنفذته .

مقتل عبد الله بن رواحة

ثم أخذ اللواء بعده عبد الله بن رواحة ، فقاتل حتى قُتل .

سقوط لواء المسلمين

وسقط اللواء ، فاختلط المسلمون والمشركون ، وانهزم المسلمون أسوأ هزيمة ، وقتلوا ، واتّبعهم المشركون . فجعل قطبة بن عامر يصيح : يا قوم : يُقتل الرجل مقبلا أحسن من أن يقتل مدبراً ! فما يثوب[6] إليه أحد . ثم تراجعوا ، فأخذ اللواء ثابت بن أقرم ، وصاح يا للأنصار ! ! فأتاه الناس من كل وجه وهم قليل ، وهو يقول : إلىّ أيها الناس .

أخذ اللواء لخالد بن الوليد

فلما نظر إلى خالد بن الوليد قال : خذ اللواء يا أبا سليمان ! فقال : لا آخذه ، أنت أحق به ، أنت رجل لك سنّ[7] ، وقد شهدت بدراً . قال ثابت : خذه أيها الرجل ! فوالله ما أخذته إلا لك ! فأخذه خالد فحمله ساعة ، وجعل المشركون يحملون عليه . فثبت حتى تكركر[8] المشركون ، وحمل بأصحابه ففضّ جمعاً من جمعهم ، ثم

(١) كناية عن الفزع والحيرة .

(٢) فى (خ) « بن أقوم » .

(٣) فى (خ) « عباية » .

(٤) فى (خ) (مما قبل من يديه) .

(٥) فى (خ) (اثنين وسبعين) .

(٦) يثوب : يرجع .

(٧) فى (خ) (شن) .

(٨) تكركر : ارتد ورجع .

دهمه منهم بشر كثير(١)، فانحاش(٢) بالمسلمين فانكشفوا راجعين . وقد قيل إن ابن رواحة قتل مساء . فبات خالد فلما أصبح غدًا ، وقد جعل مقدمته ساقة وساقته مقدمة ، وميمنته ميسرة وميسرته ميمنة ، [فانكر المشركون](٣) ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيأتهم ، فقالوا : قد جاءهم مدد ! ورعبوا ، فانكشفوا منهزمين، فقتلوا منهم مقتلة لم يقتلها قوم. والأول أثبت : أن خالداً انهزم بالناس فعيّروا بالفرار، وتشاءم الناس(٤) به .

مرجع المسلمين إلى المدينة

فلما سمع أهل المدينة بقدومهم تلقوهم ، وجعلوا يحثون فى وجوههم التراب ، ويقولون : يا فرّار !! أفررتم فى سبيل الله ؟ فيقول رسول الله ﷺ : ليسوا بفرار ، ولكنهم كرّار إن شاء الله .

خبر المنهزمين وما لقوا من الناس

فانصرفوا إلى بيوتهم فلزموها ، فإنهم كانوا إذا خرجوا صاحوا بهم : يا فرّار ! أفررتم فى سبيل الله ؟ وكان الرجل يدق عليهم فيأبون يفتحون له لئلا يقول(٥) : ألا تقدمت مع أصحابك فقتلت؟ حتى جعل رسول الله ﷺ يرسل إليهم رجلا رجلا ، يقول : أنتم الكرّار فى سبيل الله ! وكان بين أبى هريرة وابن عم له كلام ، إلا فراركم يوم مؤتة ! فما درى ما يقول له .

إخبار رسول الله ﷺ عن أهل القتال يوم مؤتة

وكان رسول الله ﷺ — لما التقى الناس بمؤتة — جلس على المنبر وكشف له ما بينه وبين الشأم ، فهو ينظر إلى معتركهم فقال :

زيد بن حارثة

أخذ الراية زيد بن حارثة ، فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة وكرّه إليه الموت فقال : الآن حين استحكم الإيمان فى قلوب المؤمنين ، تحبّب إلى الدنيا ! فمضى قدماً حتى استشهد : فصلى عليه وقال : استغفروا له ! وقد دخل الجنة وهو يسعى .

جعفر بن أبى طالب

ثم أخذ الراية جعفر بن أبى طالب فجاءه الشيطان فمناه الحياة وكره إليه الموت ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان فى قلوب المؤمنين تمنّينى الدنيا ! ثم مضى قدُماً حتى استشهد(٦) ، فصلى عليه ودعا له . ثم قال : استغفروا لأخيكم فإنه شهيد دخل الجنة ، فهو يطير فى الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة .

---

(١) فى (خ) « كبير » .
(٢) انحاش : جمعهم ثم انصرف بهم .
(٣) فى (خ) ما بين القوسين « فانكروا » ، وهى رواية (الواقدى) ج ٢ ص ٧٦٤ ، وما أثبتناه من (ط) .
(٤) أى بخالد . (٥) فى (خ) « تقول » . (٦) فى (خ) « فاستشهدوا » .

عبد الله بن رواحة

ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فاستشهد ، ثم دخل الجنة معترضاً . فشق ذلك على الأنصار ، فقال : أصابته الجراح . قيل : يا رسول الله ما إعراضه ؟ قال : لما أصابته الجراح نكل(١) ، فعاتب نفسه فشجع ، فاستشهد فدخل الجنة ، فسُرّى عن قومه :

سلمة بن الأكوع

وقال يومئذ : خير الفرسان أبو قتادة ، وخير الرجال(٢) سلمة بن الأكوع . ولما أخذ خالد الراية قال ﷺ الآن حمِىَ الوطيس(٣) :

دخول رسول الله ﷺ على أهل جعفر بن أبى طالب

ودخل ﷺ على أسماء بنت عميس(٤) امرأة جعفر بن أبى طالب فقال : يا أسماء أين بنو جعفر ؟ فجاءت بهم إليه ، فضمهم إليه وشمهم ، ثم ذرفت عيناه فبكى ، فقالت : أى رسول الله لعله بلغك عن جعفر شىء ؟ فقال : نعم ، قتل اليوم ! فقامت تصيح ، واجتمع إليها النساء فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا أسماء لا تقولى هُجْراً(٥)، ولا تضربى صدراً . وخرج حتى دخل على ابنته فاطمة عليها السلام وهو يقول : واعماه ! وقال(٦) : على مثل جعفر فلتبك(٧) الباكية ! ثم قال : اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم . وقد روى أن النبى ﷺ لما نعى لأسماء جعفراً ، مسح على رأس عبد الله بن جعفر ، وعيناه تُهراقان الدموع حتى لحيته تقطر(٨) ، ثم قال: اللهم إن جعفراً قد قدم إلىّ أحسن الثواب ، فاخلفه(٩) فى ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك فى ذريته ! ثم قال : يا أسماء ، ألا أبشرك ؟ قالت : بلى بأبى أنت وأمى ! قال : فإن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنة ! قالت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! فأعلم الناس ذلك .

خطبته فى أمر جعفر

فقام ، وأخذ بيد عبد الله بن جعفر . يمسح بيده رأس عبد الله حتى رقى المنبر ، وأجلس عبد الله أمامه على الدرجة السفلى ، والحزن يُعرف عليه ، فتكلم وقال : إن المرء كثير بأخيه وابن عمه . ألا إن جعفراً قد استشهد ،

---

(١) نكل : تخاذل .
(٢) الرجال : جمع راجل ، وهو الذى لا فرس له .
(٣) كناية عن شدة الحرب واحتدامها .
(٤) فى (خ) « عميش » .
(٥) الهُجْر : الإفحاش .
(٦) فى (خ) « فقال » .
(٧) فى (خ) « فلتبكى » .
(٨) فى (خ) « حتى تقطر لحيته » وهى رواية (الواقدى) ج ٢ ص ٧٦٧ وما أثبتناه من (ط) .
(٩) خلف الله عليك : دعاء لمن هلك له ما لا يعتاض عنه ، وأخلف الله عليك : دعاء لمن هلك له ما يعتاض عنه .

وقد جعل الله له جناحين يطير بهما فى الجنة، ثم نزل ، ودخل بيته وأمر بطعام يصنع لآل جعفر ، وأرسل إلى أخى عبد الله بن جعفر فتغديا عنده : شعيراً طحنته سلمى خادمه ، ثم نسفته[١] ، ثم أنضجته . وأدَمته بزيت ، وجعلت عليه فُلفُلا . وأقاما ثلاثة أيام فى بيته ، يدوران معه فى بيوت نسائه .

غنائم مؤتة

وغنم المسلمون بعض أمتعة بمؤتة وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ بخاتم ، فقال : قتلت صاحبه يومئذ ، فنفّله إياه ، وقتل خزيمة بن ثابت يومئذ رجلاً ، وعليه بيضة فيها ياقوتة ، فاخذها وأتى بها رسول الله ﷺ ، فنفّله إياها ، فباعها بمائة دينار . واستشهد بمؤتة ثمانية نفر .

غزوة ذات السلاسل

ثم كانت غزوة ذات السّلاسل . [ويقال السُّلسل] ، وهو ماء وراء وادى القرى من المدينة ، [بينه وبين المدينة][٢] عشرة أيام . وسببها أن جمعاً من بَلِىّ وقضاعة تجمعوا ليدنوا من أطراف المدينة ، فعقد رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص لواءً أبيض ، وجعل معه راية سوداء ، وبعثه فى جمادى الآخرة سنة ثمان على ثلاثمائة من سراة[٣] المهاجرين والأنصار ، وأمره أن يستعين بمن مر به من بلاد بلى وعذرة وبَلْقَين . وذلك أن عمرواً كان ذا رحم فيهم : كانت أم العاص ابن وائل بَلَوية ، فاراد عليه السلام يتألفهم بعمرو . فسار يكمن النهار ويسير الليل — وكان معه ثلاثون فرساً — حتى دنا منهم . فنزل على ماء بأرض جُذام[٤] يقال له السلاسل . وكان شتاء . فجمع أصحابه ليصطلوا فنمهم ، فشق ذلك عليهم ، حتى كلمه بعض المهاجرين بغلظة ، فقال عمرو : قد أمرت أن تسمع لى وتطيع ! قال : أفعل .

المدد واختلاف عمرو وأبى عبيدة على الإمارة

وبعث رافع بن مكيث الجهنى يخبر رسول الله ﷺ أن للقوم جمعاً كثيراً ويستمده ، فبعث أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواءً . وبعث معه سراة المهاجرين كأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وعدة من الأنصار . فسار فى مائتين ، وأمره أن يكونا جميعاً ولا يختلفا . فلما لحق بعمرو ، وأراد أن يؤم الناس ويتقدم عمرواً فقال له عمرو : إنما قدمت مدداً لى ، وليس لك أن تؤمنى ، وأنا الأمير ! فقال المهاجرون : كلا ! بل أنت أمير أصحابك ، وهو أمير أصحابه . فقال : لا ! أنتم مدد لنا . فقال أبو عبيدة — وكان حسن الخلق — انظرنّ يا عمرو ! تعلمنّ أن آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ أن قال : إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا ، وإنك والله إن عصيتنى لأطيعنك ! فكان عمرو يصلى بالناس . وسار — وقد صار فى خمسمائة — حتى وطىء بلاد بلى ودوّخها ، وكلما انتهى إلى موضع ، بلغه أنه قد كان به جمع فلما سمعوا به تفرقوا . حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلى وعُذْرة وبَلْقَين ولقى

(١) نسفته : أذهبت نُخالته وقشره.
(٢) زيادة للسياق من (ط) .
(٣) سراة القوم : أشرافهم وسادتهم .
(٤) فى (خ) « خدام » .

فى آخر ذلك جمعاً ، فقاتلهم ساعة وهزمهم . وأقام أياماً يبث سراياه ، فيؤتى بالشاة والنَّعم فينحرون ويذبحون . ولم يكن فى ذلك أكثر من هذا ، ولم تكن غنائم تقسم .

خبر صاحب الجزور

وخرج عوف بن مالك الأشجعى يوماً فى العسكر ، فمر بقوم[١] قد عجزوا عن نَحْر جزورهم وعملها ، فقال : أتعطونى عليها وأقسمها بينكم ؟ فجعلوا له عشيراً منها ، فنحرها ، وجزّأها بينهم ، وأخذ جزءه وأتى به إلى أصحابه ، فطبخوه وأكلوه ، فلما فرغوا ، قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . من أين لك هذا اللحم ؟ فأخبرهما ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ! ثم قاما يتقيآن ، وفعل ذلك الجيش : وقال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما لعوف : تعجلت أجرك ! ثم أتى أبا عبيدة رضى الله عنه فقال له مثل ذلك .

صلاة عمرو بالناس بغير غسل

واحتلم عمرو بن العاص رضى الله عنه فى ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد فقال لأصحابه : ما ترون ؟ قد والله احتلمت ، وإن اغتسلت مت ! فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم ، ثم قام فصلى بهم . وبعث عوف ابن مالك بريداً[٢] ، فقدم على رسول الله ﷺ فسلم عليه ، فقال عوف بن مالك؟ قال : عوف بن مالك يارسول الله ! قال صاحب الجزور ! قال : نعم ! قال : أخبرنى ! فأخبره بمسيرهم ، وما كان بين أبى عبيدة وبين عمرو ، ومطاوعة أبى عبيدة ! ثم أخبره أن عمرواً صلى وهو جنب ومعه ماء ، لم يزد على أن غسل وجهه بماء وتيمم ، فلما قدم عمرو وسأله رسول الله ﷺ عن صلاته قال : والذى بعثك بالحق لو اغتسلت لمت ، ولم أجد قط برد مثله ، وقد قال الله : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما »[٣] ، فضحك ﷺ ولم يقل شيئاً .

سرية الخبط

ثم كانت سرية الخَبَط[٤] أميرها أبو عبيدة عامر بن الجراح ، [وقيل : عبد الله ابن عامر بن الجراح][٥] ، والصحيح : عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشىّ الفهرىّ . بعثه رسول الله ﷺ — فى رجب على ثلاثمائة إلى حى من جهينة ، بالقَبَلِيّة مما يلى ساحل البحر ، على خمس ليال من المدينة فأصابهم جوع شديد ، فجمعوا زادهم حتى إن كانوا ليقتسمون[٦] التمرة ، ولم يكن معهم حمولة[٧] ، إنما كانوا على أقدامهم ، وأباعر يحملون عليها زادهم . فأكلوا الخبط ، حتى ما كادوا[٨]

(١) فى (خ) « فمر بقوم » .
(٢) البريد : الرسول .
(٣) الآية ٢٩ / النساء .
(٤) الخبط : ورق يُنفض بالخابط ويجفف ويُطحن ويُخلط بدقيق أو غيره . (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٩ .
(٥) ما بين القوسين مكرر فى (خ) . (٦) فى (خ) « ليقتسموا » .
(٧) الحمولة : ما يحتمل عليه الناس من الدواب ، وهنا كناية عن عدم وجود الزاد أو الميرة يحملونها على دواب .
(٨) فى (خ) « حتى ما كاد أن يكون » .

فى أسامة بن زَيْد ، وقيل فى محلِّم بن جَثامة . وقال ابن عباس : نزلت فى سَرِيَّة ، ولم يُسَمِّ أحداً . وقيل : نزلت فى غالب الليثى من بنى ليث ، يقال له فُلَيْت ، كان على السَّرِيَّة ، وقيل نزلت فى أبى الدَّرداء . وهذا اضطراب شديد جداً(١) .

غزوة الفتح وسببها

ثم كانت غزوة الفتح . وسببها أن أنس بن زُنَيْم الدِّيلِى هجا رسول الله ﷺ ، فسمعه غلام من خُزاعة فضربه شجَّه ، فثار الشَّرُّ بين بنى بكر [حلفُ قريش] ، وبين خُزاعة [حلف رسول الله ﷺ] . فلما دخل شعبانُ على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية — [وقال ابن إسحق : فمكثوا فى تلك الهدنة نحو السبعة عشر أو الثمانية عشر شهراً] — كانت بنو نُفاثة من بنى الدِّيل أشرافَ قريش أن يُعينوها بالرجال والسلاح على خزاعةَ ، فأمدوهم بذلك . وخرج إليهم صفوان بن أمية ، ومكرز بن حفص بن الأخيف(٢) ، وحويطب بن عبد العُزَّى ، وشيبة بن عثمان ، وسُهَيْل بن عمرو ، وأجلبوا معهم أرقَّاءهم فبيَّتُوا — مع بنى بكر ورأسهم نوفل بن معاوية الدُّؤَلِىّ — خُزاعة ليلاً وهم آمنون(٣) . فقتلوا منهم ثلاثة وعشرين رجلاً ، وذلك على ماء يُقال له الوتير قريب من مكة ، وعامتهم نساءٌ وصبيان وضَعَفَةُ الرِّجال ، حتى أدخلوهم دار بُدَيْل ابن وَرْقاء ، وقيل حتى انتهوا بهم إلى أنصاب الحرم(٤) .

ندم قريش على نقض العهد

وندمت قريشٌ ، وعرفوا أن هذا الذى صنعوا نقضٌ(٥) للمدة والعهد الذى بينهم وبين رسول الله ﷺ . وجاء الحارث بن هشام وجماعة إلى صفوان بن أمية ومن كان معه فلاموهم ، وقالوا لأبى سفيان بن حرب : هذا أمر لابد له من أن يُصلَح ، فاتفقوا على مسيره إلى رسول الله ﷺ ليزيد فى الهدنة ، ويجدِّد العهد ، فخرج لذلك وقد سار عمرو بن سالم بن حصيرة بن سالم الخزاعىّ فى أربعين راكباً من خزاعة ، حتى دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالسٌ فى أصحابه ، فقام ينشد شعراً ، وأخبره الخبر واستنصره ، فقام ﷺ وهو يجرُّ ثوبه ويقول : لا نُصِرْتُ إن لم أنْصُرْ بنى كعبٍ مما أنصُرُ منه نفسى !

قدوم أبى سفيان إلى المدينة

وقدم أبو سفيان فقال : يا محمد ! إنى كنت غائباً فى صلح الحديبية ، فاشدد العهد وزدنا فى المدة . فقال رسول الله ﷺ : ولذلك قدِمْتَ يا أبا سفيان ؟ قال نعم ! قال : هل كان قِبَلَكُم حَدَث ؟ قال : معاذ الله! قال: فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية ، لا نُغَيِّر ولا نُبَدِّل .

---

(١) راجع أسباب النزول للواحدى ص ١٢٧ — ١٣٠ .

(٢) فى (خ) « الأحيف » .

(٣) ذكر (ابن سعد) جـ ٢ ص ١٣٤ أنهم خرجوا « متنكرين متنقبين » .

(٤) أنصاب الحرم : حدوده التى تفصل بين الحل والحرم .

(٥) فى (خ) « نقضاً » .

أن تكون بهم حركة إليه ، فابتاع قيس بن سعد بن عُبادة خمسَ جزائر ، كل جزور بوسقَيْن من تمر : يقوم بها إذا رجع ، ونحرها — كلَّ يوم جزوراً — للقوم ، مدَّة ثلاثة أيام ، حتى وجدوا حوتاً يقال له العنبر قد ألقاه البَحر ، فأكلوا منه اثنتى عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلع من أضلاعه فنصبت ، ومرَّ تحتها راحلة برحلها فلم تُصِبها ، وكان يجلس فى حَماق(١) عين الحوت الجماعة من الناس .

سرية أبى قتادة إلى خضرة

ثم كانت سرية أبى قتادة بن رِبعىّ الأنصارىّ إلى خُضْرة ، وهى أرض محارب بنجد(٢) ، أميرها أبو قتادة الأنصارىّ ، [بعثه رسول الله ﷺ](٣) فى شعبان منها — فى خمسة عشر رجلا إلى غَطَفان نحو نجد . فساروا ليلاً وكَمَنوا نهاراً ، حتى أتوا ناحيتهم ، فهجموا على حاضر منهم(٤) عظيم ، وجرَّدوا سيوفهم وكبَّروا ، فقتلوا رجالاً ، واستاقوا النَّعم وحملوا النساء ، حتى قدموا بمائتى بعير ، وألف شاة وسبى كثير ، فعزلوا من ذلك الخُمس وقد غابوا خمس عشرة ليلة ، وكانت سهمانهم اثنى عشر بعيراً ، أو عدلها عن البعير عشرة من الغنم .

سرية أبى قتادة إلى بطن إضم

ثم كانت سرية أبى قتادة بن ربعىّ الأنصارىّ إلى بطن إضم — وهى فيما بين ذى خُشُب وذى المروة ، على ثلاثة بُرُدٍ من المدينة — فى رمضان ، على ثمانية أنفس . وذلك حين همَّ رسول الله ﷺ بغزوة الفتح ، ليُظَنَّ ظان أنه عليه السلام توجه إلى تلك الناحية ، ولأن تذهبَ بذلك الأخبار .

قتل المسلم

فلقيهم عامرُ بن الأضبط الأشجعىّ ، فسلَّم عليهم بتحية الإسلام ، فبدر إليه مُحَلِّمُ بن جَثّامة الليثى فقتله ، وأخذ بعيره وسلَبَه ، ثم لحقوا برسول الله وقد علموا مسيرَه فأدركوه بالسُّقيا ولم يلقَوْا جمعاً .

ما نزل فيه من القرآن

وفيهم نزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم فتبينوا ، إن الله كان بما تعملون خبيراً(٥) » .

الاختلاف فى سبب نزول الآية

وقال ابن عبد البرّ ، والاختلاف فى المراد بهذه الآية كثير مضطرب جداً ، قيل : نزلت فى المقداد ، وقيل: نزلت

---

(١) فى (خ) « حق » . والحماق : طرف العين مما يلى الأنف (ترتيب القاموس) جـ ٤ ص ١٩٧ .

(٢) فى (خ) « ثم كانت خُضرة أرض محارب سرية أبى قتادة بنجد » .

(٣) زيادة لسياق الكلام من (ط)

(٤) فى (خ) « على حاضرتهم عظيم » .

(٥) الآية ٩٤ / النساء ، وفى (خ) « . . . الحياة الدنيا ، الآية » .

خبر أبي سفيان في دار أم المؤمنين ابنته

ثم قام أبو سفيان فدخل على ابنته أم حبيبة[1] رضي الله عنها ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه وقالت : أنت امرؤ نَجِس مشرك ! ! فقال : يا بنية ! لقد أصابك بعدي شرٌّ ! قالت : هداني الله للإسلام ، وأنت يا أبتي سيد قريش وكبيرها ، كيف يسقط عنك دخولك الإسلام ؟ وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر ! قال : يا عجباه ! ! وهذا منك أيضاً ! أأترك ما كان يعبد آبائي ، وأتبع دين محمد ! ؟

مناشدة أبي سفيان لكبار أصحاب رسول الله ﷺ

ثم خرج فلقي أبا بكر رضي الله عنه فكلمه ، وقال : تكلم محمداً ، أو تجير[2] أنت بين الناس ! فقال : جواري في جوار رسول الله ﷺ ، ثم لقي عمر رضي الله عنه فكلمه بمثل ما كلم به أبا بكر فقال [عمر][3] : والله لو وجدت الذر[4] تقاتلكم لأعنتها عليكم ! فقال [أبو سفيان][3] : جزيت من ذي رحم شراً ، ثم دخل على عثمان رضي الله عنه فقال : إنه ليس في القوم أحد أقرب بي رحماً منك ! فزد في المدة وجدد العهد ، فإن صاحبك لن يرده عليك أبداً ! قال : جواري من جوار رسول الله ! فدخل على فاطمة وكلمها في أن تجير بين الناس ، فقالت إنما أنا امرأة ! قال : مري أحد ابنيك يجير بين الناس ! قالت : إنما هما صبيان ! وليس مثلهما يجير .

مناشدته عليا ومشورة علي

فأتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : يا أبا حسن ! أجر بين الناس أو تكلم محمداً يزيد في المدة ! فقال ويحك يا أبا سفيان ! إن رسول الله قد عزم أن لا يفعل ، وليس أحد يستطيع أن يكلمه في شيء يكرهه . قال : فما الرأي ؟ يسّرني[5] لأمري ، فإنه قد ضاق علي ، فرني بأمر ترى أنه نافعي . قال : والله ما أجد لك شيئاً أمثل من أن تقوم فتجير بين الناس ، فإنك سيد كنانة . قال : ترى ذلك مغنيا عن شيئا ؟ قال : لا أظن ذلك والله ، ولكني لا أجد لك غيره . فقام أبو سفيان بين ظهري الناس فصاح : ألا إني قد أجرت بين الناس ، ولا أظن محمداً يخفرني ! ثم دخل على النبي ﷺ فقال : يا محمد ! ما أظن أن ترد جواري ! فقال : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان ! ! ثم جاء [أبو سفيان][6] لسعد بن عبادة فقال : يا أبا ثابت ! قد عرفت الذي كان بيني وبينك ! وأني كنت لك في قومنا جاراً ، وكنت لي بيثرب مثل ذلك ، وأنت سيد هذه البحرة[7] ، فاجر بين الناس وزد في المدة . فقال : يا أبا سفيان ! جواري في جوار رسول الله ! ما يجير أحد على رسول الله .

---

(١) أم المؤمنين .
(٢) في (خ) (وتجير) .
(٣) زيادة للبيان من (ط) .
(٤) النمل الصغير .
(٥) في (خ) (بصرني) .
(٦) زيادة للبيان .
(٧) البحرة : البلدة .

ويقال : خرج أبو سفيان على أنه قال له رسول الله ﷺ : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان ! ! ويقال : لما صاح لم يقرب النبيَّ عليه السلام وركب راحلته وانطلق إلى مكة .

مرجع أبي سفيان إلى مكة وما قيل له

وكانت قد طالت غيبته ، واتهمته قريش أنه قد أسلم . فلما دخل على هند ليلا قالت : لقد حبست حتى اتهمك قومك ! فإن كنت مع طول الإقامة جئتهم بنجح ، فأنت الرجل ! ثم دنا منها فجلس منها مجلس الرجل من امرأته ، فجعلت تقول : ما صنعت ؟ فأخبرها الخبر وقال : لم أجد إلا ما قال لي علي ! فضربت برجليها في صدره ، وقالت : قبحت من رسول قوم ! وأصبح فحلق رأسه عند إساف ونائلة[1] ، وذبح لهما ومسح بالدم رؤوسهما ، وقال : لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبي .

وقالت له قريش : ما وراءك ؟ هل جئتنا بكتاب من محمد ، أو زيادة في مدة أماناً من أن يغزونا ؟ فقال : والله لقد أبى علي ، ولقد كلمت أصحابه عليه فما قدرت على شيء منهم ، إلا أنهم يرمونني بكلمة واحدة . إلا أن علياً قد قال — لما ضاقت بي الأمور — : أنت سيد كنانة ، فأجر بين الناس ! ! فناديت بالجوار ، ثم دخلت على محمد فقلت : إني قد أجرت الناس ، وما أظن أن ترد جواري ! فقال : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان ! ! لم يردني على ذلك . قالوا : ما زاد على أن تلعب بك تلعباً ! ! قال : والله ما وجدت غير ذلك .

جهاز رسول الله للفتح

ولما ولى أبو سفيان راجعاً قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : جهزينا واخفي أمرك . وقال عليه السلام : اللهم خذ من قريش الأخبار والعيون حتى نأتيهم[2] بغتة ، [وفي رواية : اللهم خذ على أبصارهم فلا يروني إلا بغتة ، ولا يسمعون بي إلا فجأة] . وأخذ ﷺ بالأنقاب[3] ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف عليها ويقول : لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه . وكانت الأنقاب مسلحة ، إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأل عنه .

خبر أبي بكر

ودخل أبو بكر رضي الله عنه على عائشة رضي الله عنها وهي تجهز رسول الله ﷺ ، تعمل قمحاً سويقاً ودقيقاً ، فقال : يا عائشة ، أهم رسول الله يغزو ؟ قالت : ما أدري ! قال : إن كان هم بسفر فآذنينا[4] نتهيأ له . قالت : ما أدري ! لعله يريد بني سليم ، لعله يريد ثقيفاً ! لعله يريد هوازن ! فاستعجمت عليه[5] حتى دخل رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله ، أردت سفراً ؟ قال : نعم ، قال أفأتجهز ؟ قال : نعم ، قال : فأين تريد يا رسول

---

(١) إساف ونائلة : من أصنام المشركين .
(٢) في (خ) (تأتيهم) .
(٣) الأنقاب جمع نقب ، وهو الطريق بين الجبلين .
(٤) آذنينا : أعلمينا وأخبرينا .
(٥) استعجمت عليه : لم تعطه جواباً بيناً .

الله ؟ قال : قريشاً ، وأخفِ ذلك يا أبا بكر ! وأمر ﷺ الناس بالجهاز ، وطوى عنهم(١) الوجه الذى يريد ، وقال أبو بكر : يا رسول الله ! أوليس بيننا وبينهم مدةٌ ؟ قال : إنهم غدروا ونقضوا العهد ، فأنا غازيهم ، واطْوِ ما ذكرت لك ! فظانٌّ يظن أنه يريد الشام ، وظانٌّ يظن ثقيفا ، وظانٌّ يظنّ هوازن .

خبر حاطب بن أبي بلتعة ورسالته إلى قريش

فلما أجمع ﷺ المسير إلى قريش وعلم بذلك الناس ، كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش، يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ فى أمرهم . وكان كتابه إلى ثلاثة نفر : صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، فيقول فيه : « إن رسول الله قد أذّن فى الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن يكون لى عندكم يدٌ بكتابى إليكم » ، وأعطى الكتاب إلى امرأة من مزينة من أهل العرج — [يقال لها كنود، ويقال لها سارة مولاة عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف] — وجعل لها ديناراً [وقيل : عشرة دنانير] ، على أن تبلّغه قريشاً ، وقال : أخفيه ما استطعتِ ، ولا تمرّى على الطريق فإن عليه حرساً(٢) . فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ، وسلكت على غير نقب ، حتى لقيت الطريق بالعقيق . وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطبٌ ، فبعث علياً والزّبير رضى الله عنهما فقال : أدركا امرأة من مزينة ، قد كتب معها حاطبٌ كتاباً يحذّر قريشاً فخرجا ، فأدركاها ، فاستنزلاها ، والتمساه(٣) فى رحلها فلم يجدا(٤) شيئاً . فقالا لها : إنا نحلف بالله ما كَذَب رسول الله ولا كُذِبنا، ولتُخرجِنّ هذا الكتاب ! ولنكشفنّكِ ! فلما رأت منهما الجد قالت : أعرضا عنّى ! فأعرضا عنها ، فحلّت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب . فجاءا به رسول الله ﷺ فدعا حاطباً فقال : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ! والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيّرتُ ولا بدّلت ، ولكنى كنت امرءاً ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم أهل وولد ، فصانعتهم . فقال عمر رضى الله عنه : قاتلك الله ! ترى رسول الله يأخذ بالأنقاب ، وتكتب إلى قريش تحذرهم !! دعنى يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد نافق . فقال : وما يدريك يا عمر ؟ لعل الله اطّلع يوم بدر على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم ، فقد غفرتُ لكم(٥) ، وأنزل الله فى حاطب : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربّكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى، تسرّون إليهم بالمودّة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل(٦) » .

ومضت سارّة إلى مكة ، وكانت مغنّية ، فأقبلت تتغنى بهجاء رسول الله ﷺ ، وقد ارتدت عن الإسلام .

---

(١) طوى عنهم : أخفى عنهم .
(٢) فى (خ) « حرساً » .
(٣) فى (خ) « والتماساه » .
(٤) فى (خ) « فلم يجد » .
(٥) أخرجه (أبو داود) جـ ٣ ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ باب فى حكم الجاسوس إذا كان مسلماً ، حديث رقم ٢٦٥٠ ، وأخرجه (البخارى) فى المغازى ، باب فضل من شهد بدراً ، وفى التفسير ، تفسير سورة الممتحنة ، وفى الأدب ، من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا ، (ومسلم) فى فضائل الصحابة باب فضائل أهل بدر ، (والترمذى) فى التفسير، تفسير سورة الممتحنة (والدارمى) فى الرقاق ، وأحمد فى (المسند) من حديث على بن أبي طالب رضى الله عنه وانظر أيضا (معالم السنة للخطابى) جـ ٣ ص ١١٠ .
(٦) أول سورة الممتحنة ، وفى (خ) « . . . تلقون إليهم بالمودة ، الآية » .

دعوة المسلمين من القبائل

فلما أبان رسول الله ﷺ الغزو ، أرسل إلى أهل البادية وإلى من حوله من المسلمين يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضُر رمضان بالمدينة . وبعث رسُلا فى كل ناحية حتى قدموا فقَدِمت أسلم ، وغِفار ، ومزينة، وجهينة ، وأشجع، المدينةَ ، وأتت بنو سُلَيم بقُدَيْد ، وعسكر ببئر أبي عِنَبة ، وعقد الألوية والرايات .

عدة المسلمين

وكان المهاجرون سبعمائة ، ومعهم ثلاثمائة فرس ؛ وكانت الأنصارُ أربعة آلاف، ومعهم خمسمائة فرس ، وكانت مزينة ألفاً ، فيها مائة فرس ومائة درع ؛ وكانت أسلم أربعمائة ، فيها ثلاثون فرساً ؛ وكانت جهينة ثمانمائة ، معها خمسون فرساً ؛ وكانت بنو كعب بن عمرو خمسمائة . ويقال : لم يعقد رسول الله ﷺ الألوية والرايات حتى انتهى إلى قُدَيْد .

الخروج إلى الفتح

وخرج يوم الأربعاء لعشر خلونَ من رمضان بعد العصر . وروى أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب من حديث شُعبة بن قتادة عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد الخدرى . قال خرجنا مع رسول الله حين فتح مكة لسبع عشرة أو تسع عشرة بقين من رمضان ؛ الحديث . ورواه سعيد(١) بن أبي عروبة ، عن قتـــادة بإسناده ، فقال فيه : خرجنا مع رسول الله ﷺ لثنتى عشرة . وقال هشام عن قتادة فيه بإسناده : لثمان عشرة . وعن عطية بن قيس ، عن قَزَعة(٢) ، عن أبي سعيد الخُدرى ، قال : آذنا(٣) رسول الله بالرحيـــل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، الحديث .

مسير المسلمين

وخرج المسلمون وقادوا الخيول ، وامتطوا الإبل ، وكانوا عشرة آلاف رجل ، وقال الحاكم : إثنا عشر ألفاً وقدّم ﷺ أمامه الزبير بن العوام رضى الله عنه فى مائتين ، فلما كان بالبيداء قال : إنى لأرى(٤) السحاب يستهلّ بنصر بنى كعب . ولما خرج من المدينة نادى مناديه : من أحبّ أن يصوم فليصم ، ومن أحب أن يفطر فليفطر . وصام هو ، حتى [إذا](٥) كان بالعرْج صبّ على رأسه ووجهه الماء من العطش . فلما كان بالكَديد — بين

---

(١) فى (خ) « سعد » .
(٢) هو « قزَعة بن يحيى » أبو الغادية البصرى .
(٣) فى (خ) « آذنا » .
(٤) فى (خ) « لا أرى » ، وفى (المغازى) جـ ٢ ص ٨٠١ « لأرى السحاب تستهل » . واستهل السحاب : أشرق قبل أول المطر .
(٥) زيادة للسياق .

الظهر والعصر أخذ إناءً من ماءٍ في يده حتى رآه المسلمون، ثم أفطر تلك الساعة ، ويقال كان فطره يومئذ بعد العصر. وبلغه أنَّ قوماً صاموا ، فقال : أولئك العصـــاة ! وقال بمرِّ الظهران : إنكم مصبِّحو (١) عدوِّكم . والفطر أقوى لكم .

منزل رسول الله بالعرج

فلما نزل العَـرْج ـ والناس لا يدرون أين يتوجه ! (٢) أإلى قريش ، أو إلى هوازن ، أو إلى ثقيف ؟ وأحبُّوا أن يعلموا (٣) ـ أتى كعب بن مالك رسول الله ﷺ — وقد جلس في أصحابه ، وهو يتحدث — ليعلم ذلك ، فأنشده شعراً ، فتبسَّم ولم يزد على ذلك . فلما نزل بقديد قيل : هل لك يارسول الله في بيض النساء وأُدْمِ الإبل ؟ فقال : إن الله حرَّمهم عليَّ بصلة الرحم ، ووكزهم في لبَّات الإبل . [وفي رواية : [إن] (٤) الله حرَّمهم عليَّ ببر الوالدين ووكزهم في لبَّات الإبل .] (٥) . وجاء عُيينة بن حصن بالعرج وسار (٦) وكان الأقرع بن حابس قد وافى بالسُّقيا في عشرة من قومه . فلما عقد ﷺ الألوية بقديد ندم عيينة ألاَّ يكون قدم بقومه .

خبر الكلبة

ونظر عليه السلام بعد مسيره من العرج إلى كلبة تَهِرُّ (٧) على أولادها ، وهُنَّ حولها يَرْضِعنها ، فأمر جُعيل بن سراقة يقوم حِذاءَها ، لا يعرضْ لها أحد من الجيش ولا لأولادها .

الطــلائع

وقدم من العَـرْج جريدة من خيل (٨) طليعة ، فأتوا بعين من هوازن ، فسأله عنهم فقال : تركتهم ببقعاء قد جمعوا الجموع وأجلبوا العرب ، وبعثوا إلى جُرَش (٩) في عمل الدبابات (١٠) والمنجنيق ، وهم سائرون إلى هوازن فيكونوا جميعاً . فقال [ﷺ] (١١) وإلى من جعلوا أمرهم ؟ قال : إلى مالك بن عوف . قال : وكل هوازن قد

(١) في (خ) « مصبحوا » بإثبات الألف بعد واو الجماعة .
(٢) في (خ) (توجه) .
(٣) في (خ) « فأتى » وفي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٨٠٢ : « فقال كعب بن مالك : آتي رسول الله ﷺ فأعلم لكم علم وجهه » .
(٤) زيادة للسياق من (ط) .
(٥) قال ابن الأثير في (النهاية) : لبات : جمع لبة ، وهي الهزمة التي فوق الصدر وفيها تُنحر الإبل ، وهذا كناية عن الكرم وصلة الرحم ، فلذلك استحقوا العفو .
(٦) وذلك بعد إسلامه ، ففي (الواقدي) ج ٢ ص ٨٠٤ « فدخل رسول الله ﷺ يومئذ مكة بين الأقرع وعيينة » .
(٧) تهر : تنبح وتكشر عن أنيابها دفاعاً عن أولادها .
(٨) في (خ) « من خيل جديدة » . والجريدة : الطائفة من الفرسان لا رجَّالة فيها (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٤٧١ .
(٩) جرش : مدينة في شرق جبل السواد من أرض البلقاء وحوران من عمل دمشق . (معجم البلدان) ج ٢ ص ١٢٧ .
(١٠) الدبابات : في عهدهم آلة تتخذ من جلود وخشب يُدخل فيها الرجال ، ثم يقربونها من الحصن المحاصَر والرجال في جوفها لينقبوه ، وسميت بذلك لأنها تدب دبيبا .
(١١) زيادة للبيان .

أجاب ؟ قال : أبطأ من بني عامر كعبٌ وكلاب ، وقد تركت بمكة فرأيتهم ساخطين لما جاء به أبو سفيان ، وهم خائفون . فقال النبي ﷺ حسبنا الله ونعم الوكيل ، ما أراه إلا صدقني ! وأمر خالد بن الوليد لحبسه حتى دخل مكة وفتحها فأسلم ، وهوازن فقتل بأوطاس .

إسلام أبي سفيان

وقدم بالأبواء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يريد الإسلام ، بعد ما عادى رسول الله ﷺ عشرين سنة وهجاه ، ولم يتخلف عن قتاله . فلما طلع ﷺ في موكبه ، وقف تلقاء وجهه ، فأعرض عنه . فتحرك إلى ناحيته فأعرض عنه مراراً ، وأعرض عنه الناس وتجهموا له ، فجلس على باب منزل رسول الله ﷺ يلازمه حتى فتح مكة ، وهو لا يكلمه ولا أحــد من المسلمين . فلما كان يوم هوازن ، ثبت فيمن ثبت مع رسول الله ، وأخذ العباس رضي الله بلجام بغلته ، وأخذ أبو سفيان بالجانب الآخر (١) ، فقال ﷺ : من هذا ؟ فقال العباس : يارسول الله! أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث (٢) ! فارض عنه ، أي رسول الله ! قال : قد فعلت ، فغفر الله له كلَّ عداوة عاداينها فقبل أبو سفيان رجله في الركاب . فالتفت عليه السلام إليه ، فقال : أخي لعمري ! ويقال . إنه جاء هو وعبد الله ابن أبي أمية — أخو أم سلمة — إلى نيق العقاب (٣) فطردهما ، فشفعت فيهما أم سلمة ، وأبلغته عنهما ما رققه عليهما ، فقبلهما .

العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل

وقدم العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل ، بالسقيا . وقيل ، بل قدم العبَّاس بذي الحُليفة — وقيل بالجحفة — فأسلم ، وبعث ثَـقَـلَه (٤) ومضى مع رسول الله ﷺ فأقام معه ، ولم يخرج من عنده حتى راح عليه السلام . وكان ينزل معه في كل منزل حتى دخل مكة .

رؤيا أبي بكر

ورأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه — في الليلة التي أصبح فيها بالجحفة — أن النبي ﷺ لما دنوا من مكة، خرجتْ عليهم كلبة تهرُّ ، فلما دنوا منها استلقت على ظهرها ، فإذا أطباؤها تشخبُ لبناً (٥) . فذكرها أبو بكر ،

(١) في (خ) « بالجناب » .
(٢) ذكرنا في أول الكتاب أنه أخوه من الرضاعة من قِبَل حليمة السعدية .
(٣) في (خ) ، (ط) « رنيق العقاب » وهو خطأ وصوابه « نِيقُ العقاب » وهي : (موقع بين مكة والمدينة قرب الجحفة ، لقي به أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة مهــاجر بن أبي أمية وهو يريد مكة عام الفتح) (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٣٣ .
(٤) الثَّـقَـل : متاع المسافر وحشمه (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٤١٢ .
(٥) الأطباء : جمع طُبْي ، والطُّبْي : بالكسر والضم : حلمات الضرع التي من خُف وظِلْف وحافر .

فقال رسول الله ﷺ : ذهب كَلَبُهم[1] ، وأقبل دَرُّهم[2] ، هم سائلوكم بأرحامكم ! وأنتم لاقون بعضهم ، فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه .

منزل المسلمين بقديد

فلما نزل عليه السلام قديداً لقيته سُلَيم — وهم تسعمائة على الخيول جميعاً ، مع كل رجل رمحه وسلاحه ، ويقال إنهم ألف — فجعلهم مقدمته مع خالد بن الوليد رضي الله عنه واجتمع المسلمون بمرّ الظهران ، ولم يبلغ قريشاً حرفٌ واحد من مسيرهم ، فأمر ﷺ المسلمين أن يوقدوا النيران ، فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وأمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل ليالىَ فتح مكة ، وفى غزوة بدر .

بعثة قريش أبا سفيان يتجسس

وبعثت قريشٌ أبا سفيان يتجسس الأخبار ، وإن لقى محمداً يأخذ لهم منه جواراً ، فإن رأى رقّة من أصحابه آذنه بالحرب ، فخرج ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، فرأوا الأبنية والعسكر والنيران بمرّ الظهران ، وسمعوا صهيل الخيل ورغاء الإبل فأفزعهم ذلك فزعاً شديداً وقالوا : هؤلاء بنو كعب جاشتها الحرب[3] ! فقال بديل . هؤلاء أكثر من بنى كعب ! قالوا : فتنجّعت[4] هوزان على أرضنا ! والله ما نعرف هذا إن هذا العسكر مثل حاجّ الناس ! وكان على الحرس تلك الليلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

خبر العباس وقدومه بأبى سفيان وصاحبيه على رسول الله

وقد ركب العباس رضى الله عنه دُلْدُلَ[5] ، على أن يصيب رسولا إلى قريش يخبرهم : أن رسول الله ﷺ داخل عليهم فى عشرة آلاف . فسمع صوت أبى سفيان ، فقال : أبا حنظلة ! فقال : يا لبيك ! أبا الفضل ؟ قال : نعم ! قال : فما وراءك ؟ قال هذا رسول الله فى عشرة آلاف من المسلمين ، فأسلم ، ثكلتك أمك وعشيرتك . وأقبل على حكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء فقال : أسلما ، فإنى لكما جارٌ حتى تنتهوا إلى رسول الله ، فإنى أخشى أن تقتطعوا دون النبى ! قالوا فنحن معك .

ويروى أن أبا سفيان وحكيما وبديلا لما طلعوا مرّ [الظهران][6] عشاءً ، ورأوا النيران والفساطيط والعسكر راعهم ذلك فبيناهم كذلك لم يشعروا حتى أخذهم نفرٌ — كان رسول الله ﷺ بعثهم عيوناً له — بخطمهم[7] أبعرتهم ، وأتوا بهم العسكر ، فلقيهم عند ذلك العباس فأجارهم .

---

(١) الكَلَب : صياح من عضه الكلب الكَلِب ، وجنون الكلاب المُعْتَرى من أكل لحم الإنسان ، وشبه جنونها المعترى للانسان من عضها . (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٧٠ والمقصود هنا : كناية عن عداء قريش لرسول الله ﷺ .

(٢) الدَّرّ : اللبن يسيل من الثدى ، وهذا كناية عن ادبار شرهم واقبال خيرهم .

(٣) جاشتها الحرب : هاجتها ، كما تجيش النارُ القدر فيغلى بها .

(٤) من الانتجاع ، وهو طلب الكلأ أيام الربيع .

(٥) اسم بغلة كانت لرسول الله ﷺ .

(٦) زيادة للبيان ، وفى (خ) « عشاء » .

(٧) خُطمهم : جمع خِطام ، وهو الحبل الذى يقاد به البعير .

دخولهم على رسول الله

وأتى بهم العباس ودخل رسول الله ﷺ فقال . يا رسول الله ! أبو سفيان ، وحكيم بن حزام ، وبُديل ابن ورقاء ، قد أجرتُهم ، وهم يدخلون عليك ! فقال : أدخلهم . فدخلوا عليه . فمكثوا عنده عامة الليل ليستخبرهم ، ودعاهم إلى الإسلام ، فأسلم حكيمٌ وبُديل . وقال أبو سفيان : أشهد أنْ لا إله إلا الله . فقال رسول الله : وأنى رسول الله . قال : والله يا محمد ، إن فى النفس من هذا لشيئاً بعد ، فأرْجِها[1] . ثم قال العباس : قد أجرتُهم ، اذهب بهم إلى منزلك فذهب بهم .

خبر أبى سفيان بعد سماع الأذان

فلما أذَّن الصبح ، أذَّن العسكر كلهم ، ففزع أبو سفيان من أذانهم وقال : ما يصنعون ؟ أمروا فىَّ بشىء ؟ قال : لا ! ولكنهم قاموا إلى الصلاة ! قال أبو سفيان : كم يصلون فى اليوم والليلة ؟ قال : يصلون خمس صلوات . قال : كثير والله ! فلما رآهم أبو سفيان يبتدرون وضوء النبى ﷺ قال : ما رأيت يا أبا الفضل مُلكاً كهذا ! لا مُلك[2] كسرى ولا ملك بنى الأصفر ! فقال العباس : وَيحك آمِن ! قال : أدخلنى عليه . فأدخله ، فقال يا محمد ! استنصرتُ إلهى واستنصرتَ إلهك ، فلا والله ما لقيتك من مرّة إلا ظُفِرْتَ علىّ ، فلو كان إلهى حقاً وإلهك مبطلاً لقد غلبتك ! وشهد أن محمداً رسول الله .

مقالة أبى سفيان وحكيم بن حزام

ثم قال أبو سفيان وحكيم : يا محمد ! جئت بأوباش الناس — من تعرف ومن لا تعرف[3] — إلى عشيرتك وأصلك ! فقال ﷺ : أنتم أظلم وأفجر ، غدرتم عهد الحديبية ، وظاهرتم على بنى كعب بالإثم والعدوان فى حرم الله وأمنه . فقال أبو سفيان وحكيم بن[4] حزام : يا رسول الله ! لو كنت جعلت جدّك[5] ومكيدتك بهوازن ، فهم أبعد رحماً وأشدّ لك عداوة ! فقال : إنى لأرجو[6] من ربّى أن يجمع ذلك لى كله : فتح مكة وإعزاز الإسلام بها ، وهوازن ، وأن يغنّمنى الله أموالهم وذراريّهم ، فإنى راغب إلى الله فى ذلك .

وقيل : إن أبا سفيان ركب خلف العباس ، ورجع حكيم بن حزام وبديل ابنى ورقاء .

خبر عمر بن الخطاب حين رأى أبا سفيان

فلما مرّ العباس بعمرَ بن الخطاب ، ورأى أبا سفيان قال : أبا سفيان ! عدوُّ الله ! الحمد لله الذى أمكن منك

---

(١) من الإرجاء وهو التأخير ، وقد سُهِّلت الهمزة .

(٢) فى (خ) « إلا ملك كسرى » .

(٣) فى (خ) « من تعرف ومن لا تعرف » .

(٤) فى (خ) « فقال أبو سفيان يا رسول الله وحكيم بن حزام » .

(٥) الجدّ : الشدة ، وهى فى (خ) « جدك » .

(٦) فى (خ) « لأرجوا » .

بلا عهد ولا عقد . ثم خرج نحو رسول الله ﷺ يشتدّ ، فركض العباس البغلة حتى اجتمعوا على باب رسول الله ﷺ ، فدخلوا . فقال عمر : يا رسول الله ! هذا أبو سفيان عدوّ الله ، قد أمكن الله منه بلا عهد ولا عقد ، فدعنى أضرب عنقه . فقال العباس : إنى قد أجرته ! ثم التزم(١) رسول الله ، فقال : والله لا يناجيه الليلة أحدٌ دونى . فلما أكثر عمر فى أبى سفيان قال العباس : مهلا يا عمر ! وتلاحيا(٢) . فقال النبى عليه السلام للعباس : اذهب به فقد أجرتُه ، فليبت عندك حتى تغدوَ به علينا إذا أصبحت . فغدا به . فقال له رسول الله : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك(٣) أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال ، بأبى أنت ! ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوَك ! قد كان يقع فى نفسى أن لو كان مع الله إله (٤) لقد أغنى عنّى شيئاً بعد . قال : يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ [قال](٥) : بأبى أنت وأمى ! ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوَك ! أمّا هذه فوالله إنّ فى النفس منها لشيئاً بعد ، فقال العباس : ويحك ! إشهدْ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل والله أن تُقتل ! فشهد شهادة الحق .

من دخل دار أبى سفيان فهو آمن

فقال العباس : يا رسول الله ! إنك قد عرفت أبا سفيان وحبّه الشرف والفخر ، اجعل له شيئاً . قال : نعمْ ! من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق [عليه](٦) داره فهو آمنٌ . وأمر ألا يُجهز على جريح ، ولا يتّبع مدبر ، ويروى أن أبا سفيان وحكيما قالا : يا رسول الله ! أدع الناس إلى الأمان ! أرأيت إن اعتزلَتْ قريشٌ وكفت أيديها ، آمنون هم ؟ قال : نعم ! من كفّ يده وأغلق [عليه](٦) بابه فهو آمن . قالوا : فابعثنا نؤذّن فيهم بذلك . قال : انطلقوا ، فمن دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن ، ودارك يا حكيم ، و [ومن](٦) كفّ يده فهو آمن .

رد أبى سفيان بعد فراقه

فلما توجهوا قال للعباس : إنى لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن إسلامه ويكفر ، فاردده حتى يفقه ويرى جنود الله معك . فأدركه عباسٌ فحبسه ، فقال : أغدراً يا بنى هاشم ؟ قال : ستعلم أنّا لسنا بغُدُر(٧) ، ولكن لى إليك حاجة ، فأصبح حتى تنظر إلى جنود الله ، وإلى ما أعدّ للمشركين . فحبسه بالمضيق — دون الأراك إلى مكة — حتى أصبحوا . وقيل : بل قال عليه السلام للعباس بعد ما خرج أبو سفيان : احبسه بمضيق الوادى حتى تمر به جنود الله فيراها . فعدل به العباس فى مضيق الوادى ، وأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى : لتصبح كلُّ قبيلة قد ارتحلت ووقفت مع صاحبها عند رايته ، وتظهر كل ما معها من العُدّة .

---

(١) التزمه : اعتنقه .
(٢) تلاحيا : تنازعا .
(٣) ألم يأن : ألم يَحِن .
(٤) فى (خ) « إلاه » .
(٥) زيادة للسياق .
(٦) زيادة للسياق .
(٧) غُدُر : جمع غدور ، وهو الغادر .

تعبئة المسلمين ومرورهم على أبى سفيان

فأصبح الناس على ظهر(١) ، وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه ، فجعل أبا عبيدة بن الجراح على المقدّمة ، وخالد ابن الوليد على الميمنة ، والزبير بن العوام على الميسرة ، وهو ﷺ فى القلب ، وقدم بين يديه الكتائب فمرّت القبائل على قادتها ، والكتائب على راياتها . فقدم خالد بن الوليد فى بنى سُلَيْم — وهم ألف يحمل لواءهم عباس بن مرداس ، وخفاف بن ندبة — فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال العباس : خالد بن الوليد ، فلما حاذى خالدٌ العباس وأبا سفيان ، كبر بمن معه ثلاثاً ومَضَوْا . ثم مر على إثره الزبير بن العوام : فى خمسمائة ومعه رايةٌ سوداء ، فلما حاذاهما كبّر ثلاثاً وكبر أصحابه ، فقال [أبو سفيان](٢) : من هذا ؟ قال [العباس] : الزبير بن العوام . قال : ابن أختك ؟ قال : نعم ! ومرّت بنو غفار فى ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذرٍّ الغفارىّ [ويقال : إيماء ابن رحضة] ، فلما حاذوهما كبّروا ثلاثاً ، فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال العباس : بنو غفار . فقال : مالى ولبنى غفار ! ثم مضت أسلم فى أربعمائة — فيها لواءان يحمل أحدهما بُريدة بن الحصيب ، والآخر ناجيةُ بن الأعجم . فلما حاذوهما كبّروا ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : أسلم . قال مالى ولأسلم ! ما كان بيننا وبينهم ترةٌ(٣) قط . قال العباس : هم قوم مسلمون دخلوا فى الإسلام ثم مرّت بنو كعب بن عمرو فى خمسمائة ، يحمل لواءهم بسر بن سفيان . قال من هؤلاء ؟ قال : بنو كعب بن عمرو . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . ثم مرت مُزَيْنَة فى ألف — فيها ثلاثة ألوية ومائة فرس ، يحمل ألويتها : النعمان بن مقرّن ، وبلال بن الحارث ، وعبد الله بن عمرو — فلما حاذوه كبرّوا ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : مزينة . قال : مالى ولمزينة ! جاءتنى تقعقع من شواهقها(٤) ! ثم مرّت جهينة فى ثمانمائة — معها أربعة ألوية يحملها أبو روعة (٥) معبد بن خالد ، وسويد بن صخر ، ورافع بن مكيث ، وعبد الله بن بدر — فلما حاذوهما كبّروا ثلاثاً . ثم مرت كنانة : [بنو ليث ، وضمرة ، وسعد بن بكر] فى مائتين ، يحمل لواءهم أبو واقد الليثى ، فلما حاذوهما كبروا ثلاثاً ، فقال أبو سفيان . من هؤلاء ؟ قال ، بنو بكر . قال : أهل شؤم ! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ، أما والله ماشُووِرت(٦) فيه ولا علمته ، ولقد كنت له كارها حيث بلغنى ، ولكنه أمر حُمّ(٧) ! قال العباس : قد خار الله لك(٨) فى غزو محمد لكم . ودخلتم فى الإسلام كافة . ومرّت بنو ليث — وهم مائتان وخمسون يحمل لواءهم الصعب بن جثامة — فلما حاذوهما كبروا ثلاثاً فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال . بنو ليث . ثم مرّت أشجعُ — وهما ثلاثمائة معهم لواءان يحملهما (٩) معقل بن سنان ، ونعيم بن مسعود —

---

(١) على استعدادٍ للسفر .
(٢) زيادة للبيان .
(٣) التِّرةُ : الثأر ، كناية عن عداوتهم .
(٤) القعقاع : من إذا مشى سمع لمفاصل رجليه تقعقع (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٦٦٠ والشواهق : جمع شاهق ، وهى الجبال العالية ، وكانت مزينة من أصحاب الجبال . وكنى أبو سفيان بذلك عن أنهم أجلاف غلاظ .
(٥) فى (خ) « أبو زرعة » .
(٦) شُووِرتُ : من المشاورة ، وفى (خ) « شووت » .
(٧) فى (خ) « جم » ، وحمّ الأمرُ : مضى وأُنفِذ .
(٨) خار الله لك : اختار لك خير الأمرين .
(٩) فى (خ) « لوان يحملهما » .

فقال أبو سفيان : [من هؤلاء ؟ قال : بنو أشجع . قال] : (١) هؤلاء كانوا أشدّ العرب على محمد ! فقال العباس : أدخل الله قلوبهم الإسلام : فهذا من فضل الله .

كتيبة رسول الله ﷺ

فلما طلعت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء ، طلع سوادٌ وغبرةٌ من سنابك الخيل ، ومرّ الناس حتى مرّ رسول الله ﷺ على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير — وهو يحدثهما — ، ومعه المهاجرون (٢) والأنصار ، — فيها الرايات والألوية ، مع كل بطن من بطون الأنصار راية ولواء — في الحديد لا يُرى منهم إلا الحَدَق ، ولعمر بن الخطاب فيها زجل (٣) ، وعليه الحديد ، وهو يزعها (٤) فقال أبو سفيان : لقد أمِرَ أمْرُ عديّ (٥) بعد قلة وذلة ! فقال العباس : إن الله يرفع مايشاء ، وإن عمر ممن رفعه الإسلام .

مقالة سعد بن عبادة لأبي سفيان

وكان في الكتيبة ألفا دارع . وسعد بن عبادة يحمل راية رسول الله ﷺ أمام الكتيبة ، فنادى : يا أباسفيان ! اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحَلّ الحرمة ، اليوم أذلّ الله قريشاً ! فنادى أبو سفيان — عندما حاذاه النبي عليه السلام — يارسول الله ، أمرتَ بقتل قومك ؟ زعم سعدٌ ومن معه كذا — وذكر ماقاله سعدٌ — وإني أنشدك الله في قومك ! فأنت أبرّ الناس ، وأرحم الناس وأوصل الناس ! !

عزل سعد راية رسول الله

فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان : يارسول الله ! ما نأمن من سعد أن تكون منه في قريش صولة . فقال رسول الله ﷺ : يا أبا سفيان ! اليوم يوم الرحمة (٦) ، اليوم أعزّ الله فيه قريشاً ! وأرسل إلى سعد فعزله ، وجعل اللواء إلى قيس بن سعد ، فأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمارة ، فأرسل ﷺ بعمامته ، فدفع اللواء إلى ابنه قيس . ويقال : دخل سعدٌ بلوائه حتى غرزه بالحجون . ويقال إن رسول الله ﷺ أمر علياً فأخذ الراية ، فذهب بها حتى دخل بها مكة فغرزها عن الركن . وقيل . بل أمر الزبير بن العوام فأخذ اللواء (*) وصححه جماعة .

مقالة أبي سفيان حين رأى ما راى

وقال أبو سفيان : مارأيت مثل هذه الكتيبة قط ، ولا خبّرنيه مخبر ! ما لأحدٍ بهذه طاقة ولا يدان ! لقد أصبح

(١) زيادة للسياق .
(٢) في (خ) « المهاجرين » .
(٣) زجل : جلبة وصوت .
(٤) يكفها عن التفرق والانتشار .
(٥) أمِر أمره : ارتفع شأنه .
(٦) في (الواقدي) ج ٢ ص ٨٢٢ « اليوم يوم المرحمة »
(*) راجع (زاد المعاد) ج ٣ ص ٤٠٤ .

ملك ابن أخيك الغداة عظيما ! فقال له العباس : يا أبا سفيان ! ليس بملك ولكنه نبوّة . قال : فنعر (١) ! قال فانج ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم .

خروج أبي سفيان إلى مكة وما كان منه

فخرج أبو سفيان فتقدم الناس كلهم حتى دخل مكة من كداء وهو يقول : من أغلق بابه فهو آمن ! حتى انتهى إلى هند بنت عتبة ، فأخذت برأسه فقالت : ماوراءك؟ قال : هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد . وقد جعل لي : من دخل داري فهو آمن ! قالت : قبحك الله رسولَ قوم ! وجعل يصرخ بمكة ! يامعشر قريش ! ويحكم ! إنه قد جاء مالا قبل لكم به ! هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد فأسلموا تسلموا ! قالوا ! قبحك الله وافد قوم ! وجعلت هند تقول ! أقتلوا وافدكم هذا ، قبحك الله وافد قوم ! فيقول ! ويلكم ! لا تغرنكم هذه من أنفسكم رأيت مالم تروا (٢) ! رأيت الرجال والكراع والسلاح ، فما لأحد (٣) بهذا طاقة !

خبر العباس في مكة

وذكر عمر بن شبّة (٤) : أن العباس ركب بغلة رسول الله ﷺ من مر [الظهران] (٥) ليدعو أهل مكة فقدمها وقال: يا أهل مكة أسلموا تسلموا، قد استُبطِنتم بأشهب بازل(٦). وأعلمهم بمسير الزبير من أعلى مكة ، ومجيء خالد بن الوليد من أسفلها لقتالهم ، ثم قال : من ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

موقف المسلمين

وانتهى المسلمون إلى ذي طوًى ، فوقفوا ينظرون إلى رسول الله ﷺ حتى تلاحق الناس ، وقد كان صفوان ابن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو دعوا إلى القتال ، واجتمع إليهم — من قريش وغيرهم — جماعة عليهم السلاح ، يحلفون بالله لا يدخلها محمد عَنْوةً أبداً .

دخول رسول الله مكة

وأقبل رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء — على ناقته القصواء ، معتجراً بشقّة بُرْد حبرة ، [وفي رواية : وهو معتجر بشقة برد أسود] ، وعليه عمامة سوداء ، ورايته سوداء ، ولواؤه أسود — حتى وقف بذي طوًى وتوسط الناس ، وإن عُثْنونه(٧) ليمسّ واسطة الرّحل أو يقرب منه ، تواضعاً لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين ، ثم قال : العيش عيش الآخرة .

(١) نعر : صوّت صوتا شديداً من خيشومه .
(٢) في (خ) « مالا تروا » . (٣) في (خ) « مال أحد » .
(٤) في (خ) « عمرو بن شبة » (٥) زيادة للسياق .
(٦) استبطان الوادي : دخول بطنه ، الأشهب الأبيض : الجيش ، والبازل : البعير الذي أتم السنة الثامنة ، وهي تمام قوته ، والمعنى : أتاكم رميتم بهذا الجيش الصعب الذي لا طاقة لكم به .
(٧) العُثْنون : اللحية ، أو ما فضل منها بعد العارضين ، أو ما نبت على الذقن وتحته سفلا ، أو هو طولها . (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ١٥٦ .

مداخل المسلمين إلى مكة

وأمر الزبير بن العوام أن يدخل من كداء من أعلى مكة ، وأن ينصب رايته بالحجون ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من اللِّيط : وهى كداء من أسفل مكة . [ويقال : بعث الزبير بن العوام من أعلى مكة ، وأمر سعد ابن عبادة أن يدخل من كداء] . ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر .

النهى عن القتال

ونهى عن القتال . ويقال : بل أمرهم بقتال من قاتلهم ، فتراموا بشيء من النبل . فظهر عليهم رسول الله ﷺ فأمن الناس إلا خزاعة عن(١) بنى بكر . وذكر جماعة أنه لم يؤمِّنهم . وقيل : أمر بقتل ستة نفر ، وأربع نسوة : عكرمة بن أبي جهل ، وهبَّار بن الأسود ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومقيس بن صبابة الليثى ، والحويرث بن نقيذ(٢) بن بجير بن عبد قصىّ ، وهلال بن عبد الله بن عبد مناف بن أسعد بن جابر بن كبير بن تيمِ بن غالب بن فهر(٣) ، فتيم هو الأدرم(٤) [وعبد بن عبد مناف هو عبد الله بن خطل الأدرمى] . وهند بنت عتبة بن ربيعة ، وسارة مولاة عمرو بن هشام ، وقينتين لابن خطل : فرتنا وقريبة ، ويقال : فرتنا وأرنبة .

قتال خالد بن الوليد

فكل الجنود دخل فلم يلق جمعاً ، إلا خالد بن الوليد ، فإنه وجد جمعاً من قريش وأحابيشها : فيهم صفوان ابن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، فمنعوه الدخول ، وشهروا السلاح ، ورموا بالنبل ، وقالوا : لا تدخلها عَنْوة أبداً . فصاح خالد فى أصحابه وقاتلهم ، فقتل منهم أربعة وعشرين رجلاً من قريش ، وأربعةً من هُذيل ، [وقيل : بل قتل من المشركين ثلاثة عشر رجلاً] ، وانهزموا أقبح هزيمة . وقُتل من المسلمين ثلاثة .

خبر راعش المشرك

وكان راعش(٥) ، أحد بنى صاهلة الهذلى ، [وقيل : حماس(٦) بن قيس بن خالد أحد بنى بكر] ، يُعِدُّ سلاحاً ، فقالت له امرأته : لم تعدُّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ! فقالت له : ما أرى أن يقوم لمحمد وأصحابه شيء ! فقال : والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال :

---

(١) فى (خ) « غير » .
(٢) فى (خ) « نقيد » ، وبعد هذا فى (خ) « وابن بجير » والصواب حذف واو العطف .
(٣) فى (خ) « فهم » .
(٤) فى (خ) بعد قوله : « هو الأدرم » ما نصه : (عبدالله بن عبد مناف بن أسعد بن جابر بن كبير بن تيم بن غالب بن فهم) وهو تكرار من الناسخ .
(٥) فى (ابن هشام) ج ٤ ص ٣٧ (الرعاش الهذلى) .
(٦) المرجع السابق ص ٣٨ .

إن تقدموا اليوم فما بى علّه … هذا سلاح كامل وألّه(١)
وذو غرارين سريع السَّلّه(٢)

هزيمة المشركين

ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل ، فهزمهم خالد بن الوليد ، فرّ حماس(٣) منهزماً حتى دخل بيته ، وقال لامرأته : أغلقى علىَّ بابى ! فقالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال(٤) :

إنك إن شهدت يوم الخندمه … إذ فر صفوان وفر عكرمه
واستقبلتنا بالسيوف المسلمه … يقطعن كل ساعد وجُمجمه
ضرباً فلا تُسمع إلا غمغمه … لهم نَهيت خلفنا وهمهمه
لم تنطقى فى اللوم(٥) أدنى كلمه

التأمين

واتبعهم المسلمون ، وأبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام يصيحان : يا معشر قريش ! علام تقتلون أنفسكم؟ من دخل داره فهو آمن . ومن وضع السلاح فهو آمن ! فاقتحم الناس الدور وأغلقوا عليهم الأبواب ، وطرحوا السلاح فى الطرق ، فأخذها المسلمون . ويروى أن رسول الله ﷺ عقد لأبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن — أحد الفزع بن شهران بن عفرس بن خلف بن أفتل [وهو خثعم] — لواء ، وأمره أن ينادى : من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن .

---

(١) الألّة : الحربة ذات السنان الطويلة .   (٢) غرارين : حدّين .   (٣) فى (خ) « حاس » .
(٤) هذه الأبيات فى (ابن هشام) ج ٤ ص ٣٨ هكذا :

إنك لو شهدت يوم الخندمة … إذ فر صفوان وفرّ عكرمة
وأبو يزيد قائم كالمؤتمة … واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة … ضرباً فلا يسمع إلا غمغمة
لهم نهيت خلفنا وهمهمة … لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمة

وفى (الواقدى) ج ٢ ص ص ٨٢٧ ، ٨٢٨ :

وأنت لو شهدتنا بالخندمة … إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة
وأبو يزيد كالعجوز المؤتمة … لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمة
وضربتنا بالسيوف المسلمة … لهم زئير خلفنا وغمغمة

ومن معانى هذه الأبيات :
النهيت والهمهمة : أصوات الأبطال فى الحرب .
الزئير : صوت الأسد .
أبو يزيد : هو سهيل بن عمرو .
المؤتمة : المرأة التى قُتل زوجها فبقى لها أيتام .
(٥) فى (خ) « فى اليوم » .

قتال خالد بن الوليد

ولما ظهر(١) رسول الله ﷺ على ثنية أذاخر ، نظر إلى البارقة(٢) فقال : ما هذه البارقة ؟ ألم أنه عن القتال؟ فقيل : يا رسول الله ، خالد بن الوليد قوتل ، ولو لم يقاتل ما قاتل ! فقال : قضاء الله خير .

ابن خطل

وأقبل ابن خطل من أعلى مكة فى الحديد على فرس بيده قناة ، وبنات سعيد بن العاص قد نشرن رؤوسهن ويضربن بخمرهن(٣) وجوه الخيل ، فقال لهن : أما والله لا يدخلها محمد حتى ترين ضرباً كأفواه المزاد(٤) ! فلما انتهى إلى الخندمة ، ورأى خيل المسلمين وقتالهم ، دخله رعب حتى ما يستمسك من الرعدة ، فانتهى إلى الكعبة فنزل ، وطرح سلاحه ، ودخل بين أستارها . فأخذ رجل من بنى كعب درعه ومغفره وبيضته وسيفه وفرسه ، ولحق بالنبي ﷺ بالحجون .

دخول الزبير مكة

وأقبل الزبير بمن معه حتى انتهوا إلى الحجون ، فغرز به الراية . ولم يقتل من المسلمين إلا رجلان(٥) أخطآ الطريق ، هما : كرز بن جابر الفهرى ، وخالد الأشعرى الخزاعى .

منزل رسول الله بمكة

ولما أشرف رسول الله ﷺ على أذاخر فنظر بيوت مكة ، وقف فحمد الله وأثنى عليه ، ونظر إلى موضع قبته فقال : هذا منزلنا يا جابر ، حيث تقاسمت علينا قريش فى كفرها ! وكان أبو رافع قد ضرب لرسول الله ﷺ بالحجون قبة من أدم ، فأقبل حتى انتهى إلى القبة فى يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ، وقيل لثلاث عشرة(٦) مضت من رمضان . فمضى الزبير بن العوام برايته حتى ركزها عند قبة رسول الله ، وكان معه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما . وقيل : يا رسول الله ، ألا تنزل منزلك من الشعب ؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل منزلا ؟ وكان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل رسول الله ﷺ ومنزل إخوته ، والرجال والنساء بمكة فقيل : يا رسول الله ، فانزل فى بعض بيوت مكة فى غير منازلك ، فقال : لا أدخل البيوت . فلم يزل مضطرباً(٧) بالحجون لم يدخل بيتاً ، وكان يأتى المسجد من الحجون لكل صلاة .

خبر إجارة أم هانىء عبد الله بن أبي ربيعة والحارث بن هشام

وكانت أم هانىء بنت أبي طالب تحت(٨) هبيرة بن أبي وهب المخزومى ، فدخل عليها حموان لها — عبد الله

(١) ظهر : ارتفع عليها .
(٢) البارقة : بريق السلاح ولمعانه .
(٣) الخمر : جمع خمار ؛ وهو غطاء الرأس عند المرأة .
(٤) المزاد : جمع مزادة ، وهى كالقربة للماء ، والمعنى أنه يريد ضرباً ينفجر منه الدم كما ينفجر الماء من المزاد إذا أرسل فمه .
(٥) فى (خ) « إلا رجلين » وهو خطأ ، وما أثبتناه حق اللغة .
(٦) فى (خ) جملة « وقيل لثلاث عشرة » مكررة .
(٧) مضطربا : ضاربا قبته .
(٨) فى (خ) « تحت » ، والتصويب من (المغازى) ج ٢ ص ٨٢٩ .

ابن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر(١) بن مخزوم المخزومى ، والحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر(١) بن مخزوم — يستجيران بها فأجارتهما . فدخل عليها أخوها على بن أبي طالب يريد قتلهما ، وقال : تجيرين المشركين ؟ فحالت دونهما وقالت : والله لتبدأن بى قبلهما ! فخرج ولم يكد ، فأغلقت عليهما بيتاً ، وذهبت إلى خباء رسول الله ﷺ بالبطحاء ، فشكت إلى فاطمة عليها السلام علياً فلم تشكها ، وقالت لها : لم تجيرين المشركين ؟ وإذا برسول الله ﷺ عليه(٢) رهجة الغبار(٣) ، فقال: مرحباً بفاختة أم هانىء ، فقالت : ماذا لقيت من ابن أمى على ! ما كدت أنفلت منه ! أجرت حموين لى من المشركين ، فتفلت عليهما ليقتلهما ، فقال : ما كان ذلك له ! قد أمنا من أمنت ، وأجرنا من أجرت . ثم أمر فاطمة عليها السلام فسكبت له ماء فاغتسل ، وصلى ثمانى ركعات فى ثوب واحد ملتحفاً به ، وذلك ضحى . ورجعت أم هانىء فأخبرتهما ، فأقاما عندها يومين ثم مضيا . وأتى آت فقال : يا رسول الله ! الحارث بن هشام وابن أبي ربيعة جالسان فى ناديهما فى الملاء المزعفر(٤) ! فقال : لا سبيل إليهما فقد أمناهما .

تجهز رسول الله للطواف بالبيت

ومكث ﷺ فى منزله ساعة من نهار ، واغتسل وضفر رأسه ضفائر أربع ، [وقيل : بل اغتسل فى بيت أم هانى بمكة] ، وصلى ثمانى ركعات ، وذلك ضحى ، وذلك فى الصحيحين(٥) ، وزاد أبو داود : سلم من كل ركعتين . ثم لبس السلاح ومغفراً من حديد ، وقد صف له الناس ، وركب القصواء ، ومر وأبو بكر رضى الله عنه إلى جنبه يحادثه ، وعبد الله بن أم مكتوم بين يديه من بين الصفا والمروة وهو يقول :

يا حبذا مكة من وادى ... [أرض] بها أهلى وعوادى(٦)
[أرض] بها أمشى بلا هادى ... [أرض] بها ترسخ أوتادى(٧)

حتى انتهى إلى الكعبة ، فتقدم على راحلته فاستلم الركن بمحجنه وكبر ، فكبر المسلمون لتكبيره حتى ارتجت مكة تكبيراً . فأشار إليهم أن اسكتوا ! والمشركون فوق الجبال ينظرون .

الأصنام التى حول الكعبة

ثم طاف ، ومحمد بن مسلمة(٨) آخذ بزمامها ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما مرصصة بالرصاص

(١) فى (خ) « عمرو » .
(٢) فى (خ) « عليها » .
(٣) رهجة الغبار : آثار الغبار .
(٤) الملاء جمع ملاءة : وهى الريطة (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٢٧٤ والمزعفر : الأسد الورد (المرجع السابق) ج ٢ ص ٤٠٣ .
(٥) صحيح البخارى ج ٣ ص ٦٢ .
(٦) ما بين الأقواس زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ١٤١ .
(٧) فى (خ) « ترتع » .
(٨) فى (خ) « سلمة » .

— وهُبَل أعظمها وهو وِجاه الكعبة على بابها ، وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون — فجعل رسول الله ﷺ كلما مرّ بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » . فيقع الصنم لوجهه . فطاف سبعاً يستلم الركن بمحجنه في كل طواف . فعطش ﷺ[(١)] — وكان يوماً صائفاً — فاستسقى[(٢)] فأُتيَ بقدح من شراب زبيب ، فلما أدناه من فيه وجد له ريحاً شديدة فردّه . ودعا بماء من زمزم فصبّه عليه حتى فاض من جوانبه ؛ وشرب منه ، ثم ناوله الذي عن يمينه . فلما فرغ من [سُبْعه][(٣)] نزل عن راحلته ، وجاء معمر ابن عبد الله بن نضلة فأخرج راحلته . وانتهى رسول الله إلى المقام — وهو يومئذ لاصق بالكعبة ، والدّرع والمغفر عليه ، وعمامة لها طرف بين كتفيه — فصلى ركعتين ، ثم انصرف إلى زمزم فاطّلع فيها وقال : لولا أن يُغلَبَ بنو عبد المطلب لنزعت منها دَلْواً ! فنزع له العباس بن عبد المطلب دَلْواً فشرب منه . ويقال : الذي نزع الدلو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . ولم يَسْعَ بين الصفا والمروة لأنه لم يكن يومئذ معتمراً .

كسر هبل

وأمر بهبل فكُسّر وهو واقف عليه ، فقال الزبير بن العوّام لأبي سفيان بن حرب : يا أبا سفيان ! قد كسر هبل ! أما إنك قد كنت منه يوم أحد في غرور ، حين تزعُم أنه قد أنعم ! فقال : دع عنك هذا يا ابن العوام ، فقد أرى لو كان مع إله محمد غيرُه لكان غيرُ ما كان .

خبر زمزم

ثم انصرف رسول الله ﷺ فجلس ناحية من[(٤)] المسجد والناس حوله ، فأُتيَ بدلو من زمزم فغسل منها وجهه ، فما يقع منه قطرة إلا في يد إنسان : إن كانت قدر ما يحسوها حساها ، وإلا تمسح بها . والمشركون ينظرون ، فقالوا : ما رأينا مَلِكاً قطُّ أعظم من اليوم . ولا قوماً أحمق من القوم يتصل به .

إسلام قريش والبيعة

وجاءته قريش فأسلموا طوعاً وكرهاً وقالوا : يا رسول الله اصنع بنا صنع أخ كريم . فقال : أنتم الطلقاء ! وقال مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » . ثم اجتمعوا لمبايعته ؛ فجلس على الصفا ، وجلس عمر بن الخطاب أسفل مجلسه يأخذ على الناس ، فبايعوا على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، فقال : لا هجرة بعد الفتح .

غسل الكعبة

وتجرد الرجال[(٥)] من الأزُر ، ثم أخذوا الدّلو فغسلوا ظهر الكعبة وبطنها حتى انبعج[(٦)] الوادي من الماء

(١) ما بين القوسين في (خ) بعد قوله صائفا » وهذا موضعه .
(٢) استسقى : طلب أن يُسقى .
(٣) سُبْعه : الطواف سبعة أشواط .
(٤) في (خ) « من من » مكررة .
(٥) في (خ) « في » .   (٦) في (خ) « ان بعج » .

فلم يدعوا فيه صورة ولا أثراً من آثار المشركين إلا محوه . وكان ﷺ لما جلس ناحية من المسجد ، توضأ بسَجْل[(١)] من زمزم قريباً من المقام ، والمسلمون يبادرون وضوءه يصبونه على وجوههم ، والمشركون يتعجبون ويقولون : ما رأينا ملكاً قط بلغ هذا ولا شبيها به !

مفتاح الكعبة

ثم أرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة ليأتيه بمفتاح الكعبة فمنعته أمه ، حتى جاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فدفعته إلى ابنها فأتى به رسول الله ﷺ . فلما تناوله قال العباس : يارسول الله ، اجمع لنا بين السقاية والحجابة . فقال عليه السلام : أعطيكم ما ترزأون فيه ولا أعطيكم ما ترزأون به[(٢)] . وقيل بل جاء عثمان بن طلحة بالمفتاح إلى رسول الله ﷺ لما بلغ رأس الثنية .

محو الصور

وقيل : بعث ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من البطحاء — ومعه عثمان بن طلحة — ليفتح البيت ، ولا يدع صورة إلا محاها ، [ولا تمثالاً][(٣)] ، فترك عمرُ صورة إبراهيم عليه السلام حتى محاها عليه السلام .

دخوله الكعبة

ودخل ﷺ الكعبة — ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة — فمكث فيها وصلى ركعتين ، ثم خرج والمفتاح في يده ووقف على الباب خالد بن الوليد يذبّ الناس عنه حتى خرج رسول الله ﷺ ، فوقف على باب البيت وأخذ بعِضادتيه[(٤)] ، وأشرف على الناس وفي يده المفتاح ، ثم جعله في كُمّه ، وقال — وقد جلس الناس — :

خطبة رسول الله على باب البيت

الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده : [يا معشر قريش][(٥)] ؛ ماذا تقولون ؟ وماذا تظنون ؟ قالوا : نقول خيراً ونظن خيراً ، أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريم ، وقد قدرت . فقال : فإني أقول كما قال أخي يوسف : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » .

ألا إن كل ربا في الجاهلية أو دم ، أو مال ، أو مأثرة فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج .

ألا وفي قتيل العصا والسوط الخطأ شبه العمد ، الدّية مغلظة مائة ناقة ، منها أربعون في بطونها أولادُها .

إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتكبرها بآبائها ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، وأكرمكم عند الله أتقاكم .

(١) السَّجْل : الدلو الكبيرة .
(٢) يقول رسول الله ﷺ : أعطيكم ما يصيبُ الناسُ به من خير أموالكم ، ولا أعطيكم ما تصيبون به من خير الناس .
(٣) (المغازي) جـ٢ ص ٨٣٤ .
(٤) عضادتا الباب : الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله .
(٥) زيادة للبيان .

ألا إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرام الله، لم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد كائن بعدي، ولم تحلّ لي إلا ساعة من النهار(*). ألا لا يُنَفَّر صيدها، ولا يعضد عضاها(١)، ولا تحلّ لقطتها إلا لمنشد(٢)، ولا يختلى خلاها(٣). فقال العباس: إلا الإذخرَ يا رسول الله؛ فإنه لابد منه لقبور وظهور البيوت! فسكت ساعة ثم قال: إلا الإذخر فإنه حلال.

ولا وصية لوارث. وإنّ الولد للفراش وللعاهر الحَجَرُ، ولا يحل لامرأة تعطى من مالها إلا بإذن زوجها. والمسلم أخو المسلم، والمسلمون إخوة. والمسلمون يدٌ واحدةٌ على من سواهم، يتكافؤون دماءهم، يرد عليهم أقصاهم، ويعقد عليهم أدناهم، ومُشِدُّهم على مضعفهم(٤) ومسيِّرهم(٥) على قاعدهم، ولا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده. ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين. ولا جَلَب ولا جَنَب(٦). ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلا في بيوتهم وأفنيتهم. ولا تنكح المرأة على عمتها وخالتها(٧). والبينة على من ادعى، واليمين على من أنكر. ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث إلا مع ذي محرم(٨). ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح. وأنهاكم عن صيام يومين(٩): يوم الأضحى ويوم الفطر، وعن لبستين: لا يحتبي أحدكم في ثوب واحد يفضي بعورته إلى السماء، ولا يشتمل الصَّمَّاء(١٠)، ولا إخالكم إلا وقد عرفتموها.

(*) على معنى دخوله إياها من غير إحرام لأنه ﷺ دخلها وعليه عمامة سوداء، وقيل إنما أحلت له في تلك الساعة إراقة الدم دون الصيد وقطع الشجر وسائر ما حرم على الناس منه (معالم السنن للخطابي) ج ٢ ص ٥١٨، ٥١٩.

(١) العضاه: شجر عظام له شوك.

(٢) المنشد: المعرِّف الذي يُعرف الضالة واللقطة.

(٣) أي لا يقطع حشيشها من بقول الربيع ما دام رطباً. راجع سنن أبي داود ج ٢ ص ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١ باب تحريم حرم مكة الأحاديث أرقام ٢٠١٧، ٢٠١٨.

(٤) المُشِدّ: ذو الدواب الشديدة. والمضعف: ذو الدواب الضعيفة.

(٥) في (خ) «متسيرهم»، والمسير الذي خرج من بلده للغزو، والقاعد الذي لم يخرج له.

(٦) الجَلَب والجَنَب: هو أن يُرسلَ في الحلبة فيجتمع له جماعة تصيح به ليرد عن وجهه، أو هو أن لا تُجلب الصدقة إلى المياه والأمصار، ولكن يتصدق بها في مراعيها، أو أن ينزل العامل موضعاً ثم يُرسلَ من يجلب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها، أو أن يتبع الرجل فرسه فيركض خلفه ويزجره ويجلب عليه. (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٥٠٨، ٥٠٩.

(٧) (سنن ابن ماجه) ج ١ ص ٦٢١ حديث رقم ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١ (سنن أبي داود) ج ٢ ص ٥٠٣ حديث رقم ٢٠٦٥.

(٨) (سنن أبي داود) ج ٢ ص ٣٤٨ حديث رقم ١٧٢٧.

(٩) (سنن أبي داود) ج ٢ ص ٨٠٢ حديث رقم ٢٤١٦.

(١٠) اشتمال الصماء: (في النهاية): هو أن يتجلل بثوبه ولا يرفع منه جانباً. وإنما قيل لها «صماء» لأنه يسد على يديه ورجليه المنافذ كلها. كالصخرة الصماء التي ليس فيها خرق ولا صدع. والفقهاء يقولون: هو أن يتغطى بثوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه، فتنكشف عورته.
وعن الاحتباء: (في النهاية):
هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما. وإنما نهى عنه لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك، أو زال الثوب. فتبدو عورته. راجع (سنن ابن ماجه) ج ٢ ص ١١٧٩ الأحاديث رقم ٣٥٥٩، ٣٥٦٠، ٣٥٦١ باب ما نهى عنه من «اللباس» (وسنن أبي داود) ج ٤ ص ٣٤٢ حديث رقم ٤٠٨١.

رد المفتاح إلى عثمان بن طلحة

ثم نزل ومعه المفتاح، فتنحى ناحية من المسجد فقال: ادعوا إليّ عثمان بن طلحة، فدُعي. وكان ﷺ قال له يوماً بمكة وهو يدعوه إلى الإسلام، ومع عثمان المفتاح، فقال: لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئتُ! فقال له عثمان: لقد هلكتْ إذن قريشٌ وذلتْ! فقال ﷺ: بل عَمَرت وعزت يومئذ! فأقبل عثمان، فقال عليه السلام: خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة، ولا ينزعها منكم إلا ظالم! يا عثمان! إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا بالمعروف. فلما ولّى عثمان ناداه عليه السلام فرجع إليه، فقال له: ألم يكن الذي قلت لك؟ فذكر عثمان قوله له بمكة، فقال: بلى أشهد أنك رسول الله. فقال: قم على الباب، وكل بالمعروف. ودفع عليه السلام السقاية إلى العباس رضي الله عنه.

معاتبة خالد بن الوليد من أجل قتاله

وقال لخالد بن الوليد رضي الله عنه: لم قاتلت وقد نُهيتَ عن القتال؟ فقال: هم يا رسول الله بدأونا بالقتال، ورشقونا بالنَّبل، ووضعوا فينا السلاح، وقد كففت ما استطعت، ودعوتهم إلى الإسلام وأن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فأبوا، حتى إذا لم أجد بداً قاتلتهم، فظفرنا الله عليهم وهربوا في كل وجه يا رسول الله! فقال: فكفِّ عن الطلب. قال: قد فعلتُ يا رسول الله. قال: قضاء الله خير.

النهي عن القتال إلا خزاعة عن بني بكر

ثم قال: يا معاشر المسلمين! كفوا السلاح، إلا خزاعة عن بني بكر إلى صلاة العصر، فخبطوهم ساعةً. وهي الساعة التي أحلّت لرسول الله ﷺ لم تُحلّ لأحد قبله. وقيل: خبطوهم إلى نصف النهار. وكان ﷺ نهى أن يُقتل من خزاعةَ أحدٌ. وبعث تميم بن أسد الخُزاعي يجدّد أنصاب الحرم. ودخل جُنيدب بن الأدلغ [الهذليّ] (١) مكة يرتادُ وينظر — والناس آمنون — فرآه جندب بن الأعجم (٢) الأسلمي. فقال: جنيدب ابن الأدلع! قاتلُ أحمر [بأساً]! (٣) فقال: نعم! فخرج جُندب [بن الأعجم] يستجيش عليه حيَّه، فلقي خراش بن أمية الكعبيَّ فأخبره. فاشتمل خراشٌ على السيف ثم أقبل إليه — والناسُ حوله وهو يحدثهم — فحمل عليه فقتله، ويقال إنه قتله بالمزدلفة.

خطبته لما كثر القتل بين خزاعة وبني بكر

فلما بلغ رسولَ الله ﷺ قتلُه، قام خطيباً — الغد من يوم الفتح بعد الظهر — فقال: يا أيها الناس، إن الله حرّم مكة يوم خلقَ السماوات والأرض، ويوم خلقَ الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين، فهي حرام إلى يوم القيامة لا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً. ولا يعضد فيها شجراً لم تُحلّ لأحدٍ كان قبلي،

---

(١) زيادة للبيان من (ط).

(٢) في (خ) «الأعجر».

(٣) زيادة من (الواقدي) ج ٢ ص ٨٤٣ وانظر (ابن هشام) ج ٤ ص ٤٢.

ولا تحلُّ لأحد [يكون] (١) بعدى ، ولم تُحلَّ لى إلا ساعة من نهار ، ثم رجعت حرمتها بالأمس ، فليبلغ شاهدكم غائبكم ، فإن قال قائل : قد قاتل فيها رسول الله ! فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم يامعشر خزاعة ! ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد والله كثر إن نفع (٢) . وقد قتلتم هذا القتيل ، والله لأدينّه ! فمن قُتل بعد مقامى هذا فأهله بالخيار : إن شاءوا قدّمُ قتيلهم، وإن شاءوا فعقله (٣) . ويروى أنه قام خطيباً فقال: إن أعدى الناس على الله : من قتل فى الحرم ، ومن قتل غير قاتله ، ومن قتل بذحول الجاهلية (٤) . ويقال : إن قتـــل خراش لجنيدب كان بعد مانهى النبى ﷺ عن القتل ، وإنه عليه السلام قال : لو كنتُ قاتلاً مؤمناً بكافر لقتلت خراشاً بالهُذلى : ثم أمر خزاعة يخرجون ديته ، فأخرجوها مائة من الإبل ، فكان أول قتيـــل وداه (٥) رسول الله ﷺ فى الإسلام .

اذان بلال على ظهر الكعبة ومقالة قريش

وجاءت الظهر ، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذن فوق ظهر الكعبة. وكانت قريش فوق رؤوس الجبال وقد فرّ وجوههم وتغيبوا خوفاً أن يقتلوا . فلما أذّن بلال ورفع صوته كأشدّ مايكون وقال : أشهد أن محمداً رسول الله — قالت جُويرية بنت أبى جهل : قد لعَمرى رفع لك ذكرك ! أما الصلاة فسنصلى ، والله لانحب من قتل الأحبّة أبداً ، ولقد كان جاء أبى الذى جاء محمداً من النبوّة فردّها ، وكره خلافة قومه . وقال خالد بن الأسيد . الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع هذا اليوم ! وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ! ليتنى مت قبل هذا اليوم قبل أن أسمع بلالا ينهق فوق الكعبة ! وقال الحكم بن أبى العاص : هـــذا والله الحدث العظيم . أن يصيح عبد بنى جمح على بنية (٦) أبى طلحه ! وقال سهيل بن عمرو : إن كان هذا سخطاً لله فسيغيره ، وإن كان لله رضى فسيقرّه . وقال أبو سفيان بن حرب اما أنا فلا أقول شيئاً ، لو قلتُ شيئاً لأخبرته هذه الحصباء ! فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم .

أمية بن أبى عبيـــدة

أتاه يعلى بُنية بن بأبيه . فقال : يارسول الله ، بايع أبى على الهجرة . فقال : لا ! بل أبايعه على الجهاد فقد انقضت الهجرة .

سهيـــل بن عمرو

وكان سهيل بن عمرو أغلق عليه [بابه] (٧) ، وبعث إلى ابنه عبد الله بن سهيل أن يأخذ له أماناً ، فأمّنه رسول

---

(١) زيادة من (ابن هشام) ج ٤ ص ٤٣ .
(٢) فى (خ) « كثر أن يقع » وما أثبتناه من (الواقدى) ج ٢ ص ٨٤٤ و (ابن هشام) ج ٤ ص ٤٢ وهو هناك « كثر [القتل] إن نفع » .
(٣) فى (خ) « نعقله » ، والعقل : دية القتيل .
(٤) ذحول : جمع ذَحل ، وهو الثأر والعداوة .
(٥) وداه : دفع ديته .
(٦) البنية : البيت المبنى .
(٧) زيادة للبيان .

الله ﷺ وقال . من لقى سهيل بن عمرو فلا يشد النظر إليه ! فلعمرى إن سهيلا له عقل وشرف ، وما مثل سهيل جهل الإسلام ، ولقد رأى ما كان يوضع فيه (١) أنه لم يكن له بنافع . فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره ، فقال سهيل: كان والله براً صغيراً وكبيراً ! فخرج وشهد حنيناً ، وأسلم بالجعرانة .

هبيرة بن أبى وهب وابن الزبعرى

وهرب هُبيرة بن أبى وهب زوج أم هانىء بنت أبى طالب — هو وعبد الله بن الزِّبَعْرى بن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم القرشىّ السَّهْمى — إلى نجران . فبعث حسان بن ثابت بشعر إلى ابن الزبعرى فجاء وإما نظر رسول الله ﷺ إليه قال : هذا ابن الزبعرى ومعه وجه فيه نور الإسلام ! فأسلم . ومات هبيرة بنجران مشركا .

حويطب بن عبد العزى

وهرب حُويطب بن عبد العزّى بن أبى القيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى القرشى العامرى ! فأمّنه أبو ذر رضى الله عنه ومشى معه ، وجمع بينه وبين عياله .

إسلام نساء من قريش

وأسلمت هند بنت عتبة ، وأم حكيم بنت الحـــارث بن هشام : إمرأة عكرمة بن أبى جهل ، والبغوم بنت المعذّل (٢) : إمرأة صفوان بن أمية ، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وهند بنت منبّه بن الحجاج : أم عبد الله بن عمرو بن العاص فى عشر نسوة من قريش .

بيعة النساء وخبر هند بنت عتبة

فأتين رسول الله ﷺ بالأبطح — وعنده زوجتاه وفاطمة ابنته، فى نساء من نساء بنى عبد المطلب ، فبايعنه، ولم تمسّ يده يد إمرأة . وقيل : وضع على يده ثوباً ثم مسحن على يده . وقيل : أدخل يده فى قدح فيه ماء ، ثم دفعه إليهن فأدخلن أيديهنّ فيه . وقيل : بل كانت بيعة النساء عُقيب بيعة الرجال عند الصّفا . ورؤيت (٣) فيهن هند وهى متنكّرة لأجل صنيعها بحمزة — وكان زوجها أبو سفيان حاضراً — فعرفها رسول الله ﷺ وقال: إنك لهند ! فقالت : أنا هند ، فاعفُ عما سلف . فبايعهُن عمر رضى الله عنه واستغفر لهن رسول الله ﷺ .

إسلام عكرمة بن أبى جهل

وطلبت أم حكيم أماناً لعكرمة ، وقد هرب إلى اليمن فأمّنه . فخرجت إليه حتى قدم . فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ يأتيكم عكرمة بن أبى جهل مؤمناً مهاجراً ، فلا تسبوا أباه ، فإنّ سبّ الميت يؤذى الحىّ ولا يبلغ

---

(١) أوضع الأمر : اشتد فيه .
(٢) فى (خ) « المعزل » .
(٣) فى (خ) « رأت » .

إليه ! فلما رآه وثب إليه فرحاً ، فوقف — ومعه امرأته منتقبة — فقال : يا محمد ، إنّ هذه أخبرتني أنك أمنتني ! فقال : صدقت ، فأنت آمن ! فأسلم .

صفوان بن أميـــة

وهرب صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشيُّ الجمحيُّ . فأخذ له عمير بن وهب بن خلف ابن وهب بن حذافة أماناً ، وخرج في أثره حتى رجع ، وشهد هوازن كافراً ، وأسلم بالجعرّانة .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح

وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح ممن أهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح ، فأتى به عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وسأله أن يهبه له ، فوهب له جُرمه ، وأسلم .

الحويرث بن نقيذ

وأهدر ﷺ دم الحويرث بن نقيذ(١) بن بُجير بن عبد قُصيّ ، فضرب عليٌّ رضي الله عنه عنقه ، وكان مؤذياً لله ولرسوله .

هبار بن الأسود

وأهدر دم هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى بن قصي بن الأسدي القرشيّ ، فأسلم .

إبن خطل

وأخرج أبو بَرْزة الأسلميُّ عبدَ الله بن خطل — وهو متعلق بأستار الكعبة — فضرب عنقَه بين الركن والمقام . [ويقال : قتله سعيد بن حُرَيث المخزوميّ ، ويقال : عمّار بن ياسر . وقيل نَضلة بن عبد الله بن الحارث بن حيال بن ربيعة (٢) بن دعْبل بن أنس بن خزيمة بن حديدة بن مازن بن الحارث (٣) بن سلامان بن أسلم بن أفْصَى بن حارثة بن عمرو مُزَيْقيا (٤) ويقال : شريك بن عَبْدَةَ العجلاني (٥) [وأثبته أبو بَرْزة] . وفيه نزلت « لا أقسم بهذا البلد وأنت حِلٌّ بهذا البلد » ، وفي المستدرك الحاكم ، عن السائب بن يزيد قال : رأيت

---

(١) في (خ) « نقيد » .
(٢) في (خ) « ربيع » .
(٣) في (خ) « الحرب » .
(٤) كذا في (ط) ، (خ) ، ونسبه في (الاستيعاب) ج ١٠ ص ٢٩٥ هكذا :
« نضلة بن عبيد بن الحارث ، أبو برزة الأسلمي . غلبت عليه كنيته ، واختلف في اسمه ، فقيل : نضلة بن عبيد بن الحارث ، وقيل : نضلة بن عبد الله بن الحارث ، وقيل : عبد الله بن نضلة ، وقيل سلمة بن عبيد » ، « وروى عن أبي برزة أنه قال : أنا قتلت ابن خطل ، وهو متعلق بأستار الكعبة » .
(٥) « وهو شريك بن السحماء » ، وسماه أمه .

رسول الله ﷺ أخرج عبد الله بن خطل من بين أستار الكعبة فقتله صبراً (١) ، ثم قال : لا يُقتَل أحــدٌ من قريش بعد هذا صبراً .

سـارة

وقتلت سارة مولاة عمرو بن هشام (٢) ، وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة . قتلها علي رضي الله عنه ، ويقال غيره .

أرنب

وقتلت أرنب [أو قُرَيبة] وأسلمت فَرْتَنَى .

مقيس بن صبـــابة

وقتل مقيسَ بن صُبابة نُميلةُ بن عبد الله الليثي . وقيل رآه المسلمون بين الصفا والمروة فقتلوه بأسيافهم .

مقالة أبي سفيان في القتلى

ولما قتل النفر الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم ، سُمِع النُّوح عليهم . وجاء أبو سفيان بن حرب فقال : فداك أبي وأمي ! البقية في قومك ! فقال ﷺ : لا تقتل قريش صبراً بعد اليوم [يعني على كفر] وفي رواية : لا تغزى قريشٌ بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة . [يعني على كفر] .

الأمر بقتل وحشى

وأمر عليه السلام بقتل وحشي ، ففرّ إلى الطائف حتى قدم في وفدهم فأسلم : فقال له عليه السلام : غيِّب عني وجهك ! فكان إذا رأى النبيَّ ﷺ توارى (٣) عنه .

سلف رسول الله من بعض قريش

واستسلف ﷺ من عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم فأعطاه ، فردّها عليه من غنائم هوازن ، وقال : إنما جزاء السَّلَف الحمــد والأداء . وقال بارك الله لك في مالك وولدك ! واستقرض من صفوان بن أميّة خمسين ألف درهم فأقرضه . واستقرض من حوَيْطب بن عبد العزّى أربعين ألف درهم . فكانت ثلاثين ومائة ألف قسمها بين أهل الضَّعف ، فأصاب الرجل خمسين درهماً وأقلّ وأكثر . وبعث من ذلك إلى بني جذيمة .

---

(١) قتل صبراً : في غير حرب ولا معركة ولا خطأ .
(٢) في (خ) « هاشم » .
(٣) في (خ) « تورى » .

هــــدية الخمر

وأهدى له يومئذ راوية خمر فقال : إن الله حرّمها ! فسارّ الرجل غلامه : إذهب بها إلى الحزورة (١) فبعها . فقال : بم أمرته ؟ قال : ببيعها ! فقال : إن الذى حرّم شربها حرّم بيعها ! ففرّغت بالبطحاء . ونهى يومئذ عن ثمن الخمر ، وثمن الخنزير ، وثمن الميتة ، وثمن الأصنام ، وحلوان الكاهن .

تحريم شحوم الميتــــة

وقيل له يومئذ : ماترى فى شحوم الميتة يُدهن بها السّقاء ؟ فقال قاتل الله يهود ! حرّم عليهم الشحوم فباعوها ، فأكلوا ثمنها .

وحرّم متعة النساء يومئذ ، وقال يومئذ — وهو بالحزورة — : والله إنك لخير أرض الله إلىّ ، ولولا أنى أخرجت منك ماخرجت (٢) .

العفو عن بعض أهل مكة

وهبط ثمانون من أهل مكة على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ، فأخذهم سلماً (٣) فعفا عنهم ، ونزل فيهم : « وهو الذى كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً » (٤) .

حد شارب الخمر

وأتى بشاربٍ فضربوه بما فى أيديهم ، فمنهم من ضَرَبَ بالسوط وبالنّعل وبالعصـــا ، وحثا عليه النبى ﷺ التراب .

إســـــلام جبر

وجاء جَبْر غلام بنى عبد الدار — وقد كان يكتم إسلامه — فأعطاه ثمنه ، فاشترى نفسه فعتق .

نذر رجل الصلاة فى بيت المقدس

وقال رجل يومئذ : إنى نذرت أن أصلى فى بيت المقدس إن فتح الله عليك مكة ، فقال ﷺ ، والذى نفسى بيده ! لصلاةٌ ها هنا أفضل من ألف صلاةٍ فيما سواه من البلدان .

---

(١) كانت الحزورة سوق مكة ، وقد دخلت فى المسجد لما زيد فيه ؛ وفى الحديث : وقف النبى ﷺ بالحزورة وقال : يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة وأحبك إلى ولولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك (معجم البلدان) ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٢) لفظ الحديث فى التعليق السابق ، وفى (خ) « أخرجت » .

(٣) مستسلمين بغير حرب .

(٤) الآية ٢٤ / الفتح ، وفى (خ) إلى قوله تعالى « أظفركم عليهم » .

نذر ميمونة أم المؤمنين

وقالت ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها : يارسول الله ، إنى جعلت على نفسى — إن فتح الله عليك مكة — أن أصلى فى بيت المقدس ! فقال : لا تقدرين على ذلك ، ولكن ابعثى بزيت يستصبح (١) لك فيه به ، فكأنك أتيته (٢) . وكانت ميمونة تبعث إلى بيت المقدس كل سنة بمال ليشترى به زيت يستصبح به فى بيت المقدس ، حتى ماتت فأوصت بذلك .

نساء قريش وجمالهن

وجلس عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فى مجلس فيه جماعة — منهم سعد بن عبادة رضى الله عنه — فمرّت نسوةٌ من قريش فقال سعد : قد كان يذكر لنا من نساء قريش حسنٌ وجمال (٣) ، مارأيتهنّ كذلك ! فغضب عبد الرحمن بن عوف حتى كاد أن يقع بسعد وأغلظ له (٤) ، ففرّ منه سعدٌ حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، ماذا لقيت من عبد الرحمن ؟ فقال : وماله ؟ فأخبره بما كان ، فغضب ﷺ حتى كان وجهه ليتوقد (٥) ، ثم قال : رأيتهنّ وقد أصبن بآبائهن وأبنائهنّ وإخوتهنّ وأزواجهن ! خير نساءٍ ركبن الإبل نساء قريش ! أحناه على ولد ، وأبذله لزوج بما ملكت يدٌ .

هدية هند بنت عتبة بعد إسلامها

وأهدت هند بنت عتبة بعد إسلامها هدية لرسول الله ﷺ — وهو بالأبطح — مع مولاة لها ، جديين (٦) مرضوفين وقدٍ (٧) . فانتهت الجارية إلى خيمته ، فسلمت واستأذنت فأذن لها فدخلت ورسول الله ﷺ بين أم سلمة وميمونة ونساء بنى عبد المطلب ، فقالت : إن مولاتى أرسلت إليك بهذه الهدية ، وهى معتذرة إليك ، وتقول : إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة . فقال : بارك الله لكم فى غنمكم ، وأكثر والدتها ! فسُرت هند لما أخبرتها مولاتها بذلك ، ورأوا من كثرة غنمهم ووالدتها مالم يكن من قبل ولا قريباً ، وكانت هند تقول : هــذا بدعاء رسول الله وبركته .

إحدى نساء بنى سعد وخبر وفاة حليمة السعدية

وأتتنه ﷺ إحدى نساء بنى سعد بن بكر — إمّا خالةٌ أو عمةٌ — بنحى (٨) مملوءٍ سمناً وجراب

---

(١) الاستصباح : الاستسراج ، أى اشعال السراج به .

(٢) فى (خ) « أتيتيه » .

(٣) فى (خ) « حسناً وجمالا » .

(٤) فى (خ) « وأغلظ » .

(٥) توقد : تلألأ .

(٦) فى (خ) « جديين » .

(٧) المرضوف : المشوى ، والقد : سقاء صغير متخذ من جلد السخلة يكون فيه لبن .

(٨) النحى : زق من الجلد يكون فيه السمن خاصة .

إقطٍ (١) — وهو بالأبطح — فعرفها، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت، وأخبرته بوفاة حليمة (٢) فذرفت عيناه، وقالت: أخوالك وأخواتك محتاجون! فأمر لها بكسوة وجمل مائتي درهم، فقالت: نِعْمَ والله المكفول كنت صغيراً، ونعم المرءُ كنتَ كبيراً، عظيم البركة.

السرايا وهدم الأصنام

وبعثَ ﷺ سراياه وأمرهم أن يغيروا على من لم يسلم. فخرج هشام بن العاص في مائتين قِبَل يَلَمْلَم. وخرج خالد بن سعيد بن العاص في ثلاثمائة قِبَل عُرَنَة. وبعث خالد بن الوليد إلى العُزّى في ثلاثين فارساً فهدمها لخمس (٣) بقين من رمضان، وكانت بنخلة. وبعث الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم (٤) الدوسي إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة فحرقه بالنار، وبعث سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة بالمشلل (٥) فهدمه. وبعث عمرو بن العاص إلى صنم هذيل سواعٍ فهدمه. ونادى منادي رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يدعنّ في بيته صنما إلا كسره أو حرّقه، وثمنه حرام. فجعل المسلمون يكسرون الأصنام، ولم يكن رجل من قريش بمكة إلا وفي بيته صنم: إذا دخل مسحه وإذا خرج مسحه: تبركاً به. وكان عكرمة بن أبي جهل لما أسلم لم يسمع بصنم في بيتٍ إلا مشى إليه حتى يكسره. وجعلت هند بنت عتبة تضرب صنما في بيتها بالقدوم فِلذةً فِلذةً (٦) وهي تقول: كنا منك في غرورٍ!!

مدة المقام بمكة

وأقام ﷺ بمكة — على ما في صحيح البخاري — خمسَ عشرة ليلة. [وفي رواية تسع عشرة، وفي أبي داود تسع عشرة، وفي الترمذي ثماني عشرة، وقيل عشراً، وقيل بضع عشرة، وقيل: عشرين ليلة] يصلي ركعتين، ويأمر أهلَ مكة أن يتموا، كما رواه النسائي. وأفطر بقية شهر رمضان.

بعثة خالد بن الوليد إلى بني جذيمة وقتلهم، وكانوا مسلمين

ولما رجع خالد بن الوليد من هدم العزّى، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني جذيمة بن عامر بن عمرو بن مناة بن كنانة يدعوهم إلى الإسلام فخرج أول شوّال في ثلاثمائة وخمسين إلى أسفل مكة وانتهى إليهم، فقالوا: نحن مسلمون! فقال خالد: استأسروا! فكتف بعضهم بعضاً، ودفع خالد إلى كل رجل من أصحابه رجلا أو رجلين، فباتوا في وثاق إلى السَّحر. فنادى خالدٌ: من كان معه أسيرٌ فليذافّه (٧). فقتل بنو سليم من كان في أيديهم،

(١) الأقط: يتخذ من ألبان الإبل.
(٢) حليمة السعدية، ظئره وحاضنته ﷺ.
(٣) في (خ) «بخمس».
(٤) في (خ) «سالم بن فهر»، وما أثبتناه من (الإصابة) جـ ٥ ص ٢٢٣ ترجمة رقم ٤٢٤٧.
(٥) جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر (معجم البلدان) جـ ٥ ص ١٣٦.
(٦) الفلذة: القطعة.
(٧) فليذافّه: فليجهز عليه.

وكانوا قريباً من ثلاثين رجلا. وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أساراهم وقالوا: اذهبوا حيث شئتم! فغضب خالدٌ على من أرسل أسيره. فقال له أبو أسيد السّاعديّ: اتق الله يا خالد! ما كنا لنقتل قوماً مسلمين! قال: وما يدريك؟ قال: نسمع إقرارهم بالإسلام، وهذه المساجد بساحتهم! فلما قدم خالدٌ على رسول الله ﷺ عاب (١) عبد الرحمن بن عوف عليه ما صنع، فتلاحيا، وأعانه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأعرض رسول الله ﷺ عنه وقال له — وقد بلغه ما صنع بعبد الرحمن بن عوف —: يا خالد! ذروا لي أصحابي! متى يُنكأ أنف المرء ييجع (٢)! لو كان أحدٌ ذهباً تنفقه قيراطاً قيراطاً في سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن بن عوف! ورفع ﷺ يديه حتى رُئي بياض إبطيه، وهو يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد!!

بعثة علي بالديات إلى بني جذيمة

وبعث علياً رضي الله عنه إلى بني جذيمة بمال فودَى لهم ما أصاب خالدٌ، ودفع إليهم مالهم، فبقيت لهم بقية مال، فبعث عليٌّ أبا رافع إلى النبي ﷺ ليستزيده فزاده مالاً، فودى لهم كلَّ ما أصاب [خالد]، حتى إنه ليدي لهم ميلغة (٣) الكلب وبقي مع عليٍّ شيء من المال. فقال: هذه البقية من هذا المال لكم من رسول الله ﷺ مما أصاب خالدٌ، مما لا يعلمه ولا تعلمونه. فأعطاهم ذلك وعاد؟ فأخبر النبي ﷺ بما صنع فقال: أصبتَ! ما أمرتُ خالداً بالقتال، إنما أمرته بالدعاء! ثم أقبل على خالد رضي الله عنه وقال: لا تسبّوا خالد بن الوليد، فإنما هو سيفٌ من سيوف الله سله على المشركين.

فتح مكة

وقد اختلف في فتح مكة، فقال الأوزاعيّ ومالك وأبو حنيفة: إنما فتحت عَنْوة ثم أمّنَ أهلها. وقال مجاهد والشافعيّ: فتحت صلحاً بأمانٍ عقده. وقيل: فتح أسفلها عَنوةً وأعلاها صُلحاً (٤).

وروى أنه يوم فتح مكة حام حمام الحرم (٥) فأظلته ﷺ، فدعا لها بالبركة. وكان يحبّ الحمام.

(١) في (خ) «غاب».
(٢) كذا في (ط)، وفي (خ) «متى ينكأ أنف المرء وينكأ»، ولم أجد هذا المثل في (مجمع الأمثال للميداني) ولا في (جمهرة الأمثال للعسكري). ونكأ القرحة: قشرها.
(٣) في (خ) «مبلغة».
(٤) يقول ابن القيم في (زاد المعاد) جـ ٣ في الإشارة إلى ما في الغزوة من الفقه واللطائف ص ٤٢٩: «وفيها البيان الصريح بأن مكة فتحت عنوة كما ذهب إليه جمهور أهل العلم، ولا يعرف في ذلك خلاف إلا عن الشافعي وأحمد في أحد قوليه» ثم قال: «قال أصحاب الصلح: لو فتحت عنوة لقسمها رسول الله ﷺ بين الغانمين كما قسم خيبر»، «ولو فتحت عنوة لملك الغانمون رباعها ودورها»، «قال أرباب العنوة: لو كان قد صالحهم لم يكن لأمانه المقيد بدخول كل واحد داره، وإغلاق بابه، وإلقاء سلاحه فائدة».
«وأيضاً فلو كان فتحها صلحاً، لم يقل: إن الله قد أحلها لي ساعة من نهار، فإنها إذا فتحت صلحاً كانت باقية على حرمتها».
(٥) في (خ) «الحرر».

غزوة حنين

« هوازن »

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة حنين : وذلك وادٍ — ويقال ماء — بينه وبين مكة ثلاث ليال فى قرب الطائف . سمّى بحُنين بن قانية بن مهلائيل من جرهم ، وقيل : حنين بن مانقة بن مهلان بن مهليل بن عبيل بن عوص بن إرم بن سام (١) بن نوح .

جموع هوازن وثقيف

وذلك أن أشراف هوازن وثقيف حشدوا ، وقد جعلوا أمرهم إلى مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة (٢) بن دُهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن النصرىّ ، وهو ابن ثلاثين سنة . وأقبلت ثقيف ونصرٌ وجشم ، وكان فى ثقيف سيّدان (٣) لها هما : قارب بن عبد الله بن الأسود . بن مسعود الثقفىّ ، وذو الخمار سبيع بن الحارث ، [ويقال : الأحمر بن الحارث] ، واجتمع إليهم من بنى هلال بن عامر نحو المائة ، ولم يحضرهم أحد من كعب ولا كلاب [من هوازن] (٤) وحضر دُرَيد بن الصِّمَّة بن [الحارث بن] (٥) بكر بن علقمة ابن خزاعة بن غزيّة (٦) بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن فى بنى جشم ، وهو ابن ستين ومائة سنة لا شىء فيه ، إلا أنهم يتيمنون برأيه ، ومعرفته بالحرب ودربته (٧)

منزل هوازن

وجاءوا جميعاً بأموالهم ونسائهم وأبنائهم يريدون حرب رسول الله ﷺ حتى نزلوا بأوطاس ، فقال دريد : بأىّ وادٍ أنتم؟ قالوا . بأوطاس فقال : نعم مجال الخيل ! لا حزنٌ ضرسٌ ، ولا سهلٌ دهسٌ (٨) . ثم قال لمالك بن عوف : مالى أسمع بكاء الصغير ، ورغاء البعير ، ونهاق الحمير ، ويُعار الشاة ؟ قال مالك : يا أبا قرة ! إنى سقت مع الناس أموالهم وذراريهم ، وأردت أن أجعل خلف كلّ رجل منهم أهله وماله يقاتل عنه ، فأنقض به دريد ، ثم قال : رُوَيْعِى ضأنٍ والله ! وهل يردّ المنهزم شىء ؟ وقال : هذا يوم لم أشهده (٩) ، ولم أغب عنه ! وقال :

يا ليتنى فيها جذع (١٠) أخُبُّ فيها وأضع (١١)

(١) فى (خ) « سلام » .

(٢) فى (خ) « واثله » .

(٣) فى (خ) « سيدبان » .

(٤) زيادة للبيان .

(٥) زيادة من نسبه من (ط) .

(٦) فى (خ) « عربة » .

(٧) فى (خ) « ذربته » .

(٨) الحزن : الغليظ من الأرض . الضرس : الغليظ الخشن الدهس : اللين الوطء من الأرض .

(٩) فى (خ) « أشهد » .

(١٠) جذع : صغير السن ، وفى (خ) « جزع » .

(١١) الخب والوضع : ضربان من العدو والوضع أشد .

أقود وطفاء الزَّمَع (١) كأنها شاة صدَع (٢)

[قوله : « أنقض به دريد » يريد أنه نقر بلسانه فى فيه كما يزجر الشاة أو الحمار . وقوله : « رويعى ضأن » (٣) ، يستجهله] .

خروج رسول الله إلى حنين

فغدا ﷺ يريدهم يوم السبت لستٍ خلون من شوال ، وقيل قدم مكة لثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمانٍ ، وأقام بها إثنى عشرة ليلة ، ثم أصبح غداة الفطر غادياً إلى حنين . وخرج معه أهل مكة — لم يتأخر منهم كبير أحد — ركباناً ومشاة ، حتى خرج معه النساء يمشين : على غير دين نظاراً ينظرون ويرجون الغنائم ، ولا يكرهون الدّولة لرسول الله ﷺ . واستعمل على مكة عتّاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس القرشىّ الأموىّ — وله نحو عشرين سنة . ، وجعل معه معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدىّ ابن كعب بن عمرو بن أدىّ بن سعد بن على بن أسد بن ساردة (٤) بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصارىّ الخزرجى ، يعلمهم السُّنن والفقه . وخرج معه إثنا عشر ألف رجل : عشرة آلاف من المدينة وألفان من أهل مكة ، وهم الطلقاء .

إعجاب المسلمين بكثرتهم يوم حنين

فقال رجل من بنى بكر : لو لقينا بنى شيبان ما بالينا ، ولا يغلبنا اليوم أحدٌ من قلة ! فأنزل الله تعالى : « ولقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحُبت ثم وليتم مدبرين » (٥) .

عارية السلاح

واستعار رسول الله ﷺ من صفوان بن أمية مائة درع ، وقيل أربعمائة درع ، بأداتها ، وخرج [صفوان] (٦) وهو مشرك مع المسلمين .

خبر ذات الأنواط

فمرّوا بشجرة عظيمةٍ خضراء يقال لها ذات أنواطٍ — كانت العرب من قريش وغيرها يأتونها كل سنة

(١) فى (خ) « الرمع » ، والوطفاء : الغزيرة الشعر والزمع جمع زمعة : وهى شعرة مدلاة خلف الرسغ .

(٢) الصدع : الوعل الحديث السن .

(٣) رويعى : تصغير « راع » .

(٤) فى (خ) « ماردة » .

(٥) الآية ٢٥ / التوبة ، وفى (خ) « . . . كثرتكم الآية » .

(٦) زيادة للبيان .

يعلقون عليها أسلحتهم ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوماً — فقالوا : يارسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط : فقال : الله أكبر ! قلتم — والذى نفسى بيده — كما قال قوم موسى : «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» قال إنكم قوم تجهلون » (١) . إنها السُّنن ، سُنن من كان قبلكم [وفى رواية : لتركبُنّ سنن من قبلكم] (٢) .

خبر الرجل الذى أراد قتل رسول الله

ونزل ﷺ تحت شجرة دون أرطاس ، وعلق بها سيفه وقوسه ، فجاء رجل وهو نائم فسلّ السيف ، وقام على رأسه ففزع به (٣) وهو يقول : يامحمد ! من يمنعك منّى اليوم ؟ فقال : الله ! فأتى أبو بُردة بن نِيَار يريد أن يقتل الرجل ، فمنعه النبي عليه السلام من قتله وقال : يا أبا بردة ، إن الله مانعى وحافظى حتى يُظهر دينه على الدِّين كلِّه .

وانتهى ﷺ إلى حنين مساءً ليلة الثلاثاء لعشر ليالٍ خلون من شوال .

عيون هوازن ورعب المشركين

فبعث مالك بن عوف ثلاثة رجال متفرقين فى العسكر [يأتونه بخبر أصحاب رسول الله ﷺ] (٤) ، فرجعوا وقد تفرقت أوصالهم [من الرعب] (٤) ، وقالوا : رأينا رجالا بيضاً على خيل بُلْق ، فوالله ماتماسكنا أن أصابنا مانرى ! وقالوا : مانقاتل أهلَ الأرض إنما نقاتل إلا أهلَ السماء ! وإنْ أطعتنا رجعت بقومك . فشتمهم وحبسهم . ثم بعث آخر فعاد إليه بمثل ماقال الثلاثة ، فلم ينته . وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمىّ ، فطاف عسكرهم ، وسمع كلام مالك بن عوف وما يدبّره من أمره ، وعاد بذلك . وبات أنيس بن مَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغنوىُّ تلك الليلة على فرسه وهو يحرس المسلمين .

خروج غير المسلمين إلى حنين

وكان قد خرج رجال من مكة على غير دين ، ينظرون على من تكون الدائرة ، فيصيبون من الغنائم ، منهم أبو سفيان بن حرب (٥) ، ومعه معاوية بن أبى سفيان — خرج ومعه الأزلام (٦) فى كنانته ، وكان يسير فى أثر العسكر ، كلّما مرّ بترس ساقط أو رمح أو متاع حمله ، حتى أوقر جمله (٧) — ، وصفوان بن أمية ، ومعه حكيم بن حزام ، وحويطب بن عبد العُزّى ، وسُهَيل بن عمرو ، والحارث بن هشام (٥) ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، فلما كانت الحرب وقفوا خلف الناس .

(١) الآية ١٣٨ / الأعراف . (٢) سنن الطريق : نهجه ووجهه . (٣) فزع به : أتبه .

(٤) زيادة من ابن سعد ج ٢ ص ١٥٠ .

(٥) كذا فى (خ) و (الواقدى) ج ٣ ص ٨٩٥ ، وهو غريب ، فمن الثابت أن أبا سفيان بن حرب أسلم ليلة الفتح ، ومعاوية أسلم يوم الفتح ، والحارث بن هشام أسلم يوم الفتح أيضاً .

(٦) الأزلام : سهام كانوا يستقسمون بها فى الجاهلية .

(٧) أوقر الجمل : أثقل حمله .

تعبئة المسلمين

وعبّأ مالك بن عوف أصحابه فى الليل بوادى حُنَين ، وعبأ له رسول الله ﷺ أصحابه فى السَّحر ، ووضع الألوية والرايات فى أهلها . فحمل رايات المهاجرين : علىّ وسعدُ بن أبى وقّاص ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم ، وحمل رايات الأنصار الحُبابُ بن المنذر ، وقيل كان لواء الخزرج الأكبر مع سعد بن عُبادة ، ولواء الأوس مع أسيد بن حُضَير . وفى كل بطن لواء أو راية . وكانت رايات المهاجرين سوداً وألويتهم بيضاء ، ورايات الأنصار خُضْراً وحُمْراً ، وكانت فى قبائل العرب رايات ، وبقيت سُلَيم كما هى فى مقدمة الخيل ، وعليهم خالد بن الوليد .

المسير إلى القتال

وانحدر رسول الله ﷺ بأصحابه فى وادى حنين . وهو على تعبئته ، وقد ركب بغلته البيضاء دُلْدُل ، ولبس درعين والمغفر والبيضة ، وحضّ على القتال ، وبشر بالفتح إن صدقوا وصبروا .

انهزام المسلمين

فاستقبلتهم هوازن فى غَبَش الصُّبح (١) بكثرة لم يَرَوا مثلها قط ، وحملوا على المسلمين حملة واحدة ، فانكشف أول الخيل خيل [بنى] (٢) سُلَيم مولّية ، فولوا وتبعهم أهل مكة ، وتبعهم الناس منهزمين مايلوون على شىء .

انهزام المشركين بغير قتال

فالتفت رسول الله ﷺ يميناً وشمالا — والناس منهزمون حتى بلغوا مكة ، فلم يرجع آخرهم إلا والأسارى بين يدى النبى عليه السلام — وهو يقول : يا أنصارَ الله وأنصارَ رسول الله ؟ أنا عبد الله ورسوله ! ! ثم تقدّم بحربته أمام الناس . وانهزم المشركون ، وماضرب أحدٌ من المسلمين بسيف ولا طعن برمح . ورجع ﷺ إلى العسكر ، وأمر أن يُقتلَ كلُّ من قُدِر عليه من المشركين ، وقد ولت هوازن ، وثاب من انهزم من المسلمين .

الذين مع رسول الله فى الهزيمة

ولم يثبت معه ﷺ وقت الهزيمة إلا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد أخذ (٣) بثَفَر البغلة ، والعباس وقد أخذ بحَكَمَتها (٤) ، وهو يركضها إلى وجه العدوّ ، وينوّه باسمه فيقول :

أنـا النبىُّ لا كذِبْ أنـا ابنُ عبـد المطَّلِبْ

(١) غبش الصبح : الظلمة يخالطها البياض فى بقية الليل .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) هذه الكلمة غير واضحة فى (خ) ، وأثبتناها من (الواقدى) ج ٣ ص ٨٩٨ ومعناها : السير فى مؤخر السرج (ترتيب القاموس) .

(٤) الحكمة : ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه وفيها العذاران (ترتيب القاموس) .

دعوة المنهزمين

وقال ﷺ ياعباس ! اصرخ : يامعشر الأنصار ! يا أصحاب السَّمُرَة (١) ! فنادى بذلك — وكان رجلا صَيِّتاً (٢) — ، فأقبلوا كأنهم الإبل إذ حنّت إلى أولادها يقولون يالبَّيك .. يالبيك ! فأشرف ﷺ كالمتطاول فى ركابيه ، فنظر إلى قتالهم وقال : الآن حمى الوطيس ! ثم أخذ بيده من الحصا فرماهم به وهو يقول : شاهت الوجوه ، حم لاينصرون ! ثم قال : انهزموا وربّ الكعبة ! فمازال أمرهم مدبراً وانهزموا : فانحاز ﷺ ذات اليمين ، وهو على بغلته قد جرّد سيفه .

عدد من ثبت معه

وثبت معه (٣) سوى ماذكرنا : علىٌّ ، والفضل بن عباس ، وربيعة بن الحارث [بن عبد المطلب] (٤) ، وأيمن بن عُبَيد الخزرجى ، وأسامة بن زيد ، وأبو بكر وعمر ، رضى الله عنهم . وقيل لما انكشف الناس عنه قال رسول الله ﷺ لحارثة بن النُّعمان الأنصارى : كم تَرى الناسَ الذين ثبتوا ؟ فحزرهم مائة ، وهذه المائة هى التى كرّت بعد الفِرار ، فاستقبلوا هوازن واجتلدوا هم (٥) وإياهم وكان دعاؤه يومئذٍ — حين انكشف الناسُ عنه ، فلم يبق إلا فى المائة الصابرة — : اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان (٦) ! ويقال إن المائة الصابرة يومئذ : ثلاثة وثلاثون من المهاجرين ، وسبعة وستون من الأنصار . وكان علىٌّ ، وأبو دجانة ، وعثمان بن عفان ، وأيمن بن عُبيد رضى الله عنهم يقاتلون بين يدى النبى ﷺ .

خبر على وقتاله يوم حنين

قال الحارث بن نَوفل حدثنى الفضلُ بن العباس قال : التفت العباس يومئذ وقد أقشع (٧) الناس عن بكرة أبيهم — فلم يرَ علياً فيمن ثبت ، فقال : شوهةٌ وبوهةٌ (٨) ! أوَفى مثل هذه (٩) الحال يرغب ابن أبى طالب بنفسه عن رسول الله ﷺ ؟ وهو صاحبه فيما هو صاحبه ! ! [يعنى المواطن المشهورة له] فقلت : بعضَ قولك لابن أخيك ! أما تراه فى الرَّهَج ؟ قال : أشعِره (١٠) لى يابُنى . قلت هو ذو كذا ، ذو كذا ، ذو البُردَة .

(١) السمرة : قال فى (النهاية) الشجرة التى كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية .
(٢) صيتاً : عالى الصوت رفيعه .
(٣) فى (خ) « وما معه » .
(٤) زيادة قبيان من (ط) .
(٥) اجتلدوا : ضربوا بالسيف .
(٦) فى (الواقدى) ج ٣ ص ٩٠١ بعد قوله « المستعان » « قال له جبريل : لقد لقنت الكلمات التى لقن الله موسى يوم فلق البحر أمامه وفرعون خلفه » ومعنى لقن : فهم .
(٧) أقشع الناس : تفرقوا .
(٨) فى (خ) « شوهة بوهة » وهذا يقال فى الدعاء والذم ، كذا فى (ط) ولم أجد المثل فى مجمع الأمثال ولا فى جمهرة الأمثال .
(٩) فى (خ) ، (ط) « هذا » وما أثبتناه حق اللغة .
(١٠) الرهج : غبار الحرب وأشعره لى : أذكر لى شعاره الذى يعرف به بين رفقته .

قال : فما تلك البرقة ؟ قلت : سيفه يرفل به بين الأقران (١) . فقال برٌّ ابن برٍّ ! فداه عم وخال ! قال : فضرب علىٌّ يومئذ أربعين مبارزاً كلهم يقده حتى يقدّ أنفه وذكره . قال : وكانت ضرباته مبتكرة .

قتال أم عمارة وصواحباتها

وكانت أم عمارة فى يدها سيف صارم ، وأم سليم معها خنجر قد حزمته على وسطها وهى يومئذ حامل بعبد الله بن أبى طلحة ، وأم سَلِيط ، وأم الحارث — حين انهزم الناس — يقاتلن : وأم عمارة تصيح بالأنصار : أيّةُ عادة هذه ! مالكم وللفِرار ! وشدّت على رجل من هوازن فقتلته وأخذت سيفه .

موقف رسول الله ﷺ

ورسول الله ﷺ قائم مُصْلِتٌ السيف بيده ، وقد طرح غِمده ينادى : يا أصحاب سورة البقرة ! فكرّ المسلمون، وجعلوا يقولون : يابنى عبد الرحمن ! يابنى عبد الله ! يابنى عُبَيد الله ! ياخيل الله ! — وكان ﷺ قد سمّى خيله خيل الله — [وكان شعار (٢) المهاجرين بنى عبد الرحمن ، وشعار الأوس بنى عبيد الله ، وشعار الخزرج بنى عبد الله] . فكرّت الأنصار ، ووقفت هوازن حلبة ناقة (٣) ، ثم كانت هزيمتهم أقبح هزيمة، والمسلمون يقتتلون ويأسرون .

تحريض أم سليم

وأم سليم بنت مِلحان تقول : يارسول الله ! مارأيتَ هؤلاء الذين أسلموا وفرّوا عنك وخذلوك ! لاتعف عنهم إذا أمكنك الله منهم ، فتقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين ! فقـــال : يا أم سُليم ! قد كفى الله ، عافيةُ الله أوسع .

النهى عن قتل الذرية

وحنِقَ المسلمون على المشركين فقتلوهم حتى شرعوا (٤) فى قتل الذُّرية . فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ قال : مابالُ أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية ! ألا لا تُقتَلُ الذرية . فقال أُسَيد بن الحُضَير : يارسول الله ! أليس إنما هم أولاد المشركين ! ؟ فقال : أوَليس خياركم أولاد المشركين ؟ كل نَسمةٍ تولد على الفطرة حتى يُعرِبَ عنها لسانُها ، وأبواها يُهوِّدانها أو يُنصِّرانها (٥) !

خبر النمـــل

وقال جُبَير بن مُطعِم : لما تراءينا نحن والقومُ ، رأينا سواداً لم نرَ مثله قط وكثرة ، وإنما ذلك السواد نَعَم حملوا النساء عليه . فأقبل مثلُ الظُّلّة السوداء من السماء ، حتى أظلت علينا وعليهم وسدّت الأرض .

(١) يرفل : يتبختر ، الأقران : النظائر والأكفاء .
(٢) فى (خ) « وجعل شعار » .
(٣) فى (خ) « حلت » ، والمعنى : وقفوا مقدار ما تحمل الناقة رحلها .
(٤) فى (خ) « أشرعوا » .
(٥) أى يحملانها على شريعة يهودية أو نصرانية .

فنظرت فإذا وادي حُنَين يسيل بالنمل ، نملٍ أسودَ مبثوث . لم أشكّ أنه نصرٌ أيدنا الله به ، فهزمهم الله . وحدّث شيوخ من الأنصار قالوا : رأينا كالبُجُد (١) السود هَوَت من السماء ركاماً فنظرنا فإذا نمل مبثوث ، فإنْ كنا لننفضه عن ثيابنا ، فكان نصراً أيّدنا الله به .

نصر الملائكة

وكانت سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمراً (٢) قد أرخوها بين أكتافهم ، وكان الرعب الذي قذف الله في قلوب المشركين يومئذ كوقع الحصاة في الطَّسْت : له طنين ، فيجدون في أجوافهم مثل ذلك . ولما رمى رسول الله ﷺ بتلك الكفّة من الحصا ، لم يبق أحد من المشركين إلا وهو يشكو القذى في عينه ، ويجدون في صدورهم خفقاناً كوقع الحصا في الطِّساس (٣) : ما يهدأ ذلك عنهم . ورأوا رجالا بيضاً على خيل بُلْق ، عليهم عمائم حُمر قد أرخوها بين أكتافهم ، وهم بين السماء والأرض : كتائبَ كتائب ، فما كانوا يستطيعون أن يتأمّلوهم من الرعب منهم .

القتلى في ثقيف

واستحرّ القتلُ من ثقيف [في] (٤) بني مالك ، فقتل منهم قريب من مائة رجل تحت رايتهم ، وذو الخمار ، وهربت ثقيف .

إسلام شيبة بن عثمان

وكان شيبة بن عثمان بن أبي طلحة قد تعاهد هو وصفوان بن أمية يومئذ إن رأيا على رسول الله ﷺ دَبْرة أن اكونا عليه ، وهما خلفه . قال شيبة : فأدخل الله الإيمان قلوبنا . ولقد هممت بقتله ، فأقبل شيء حتى يغشى فؤادي ، فلم أطق ذلك ، وعلمت أنه قد منع مني . وفي رواية : غشيتني ظلمة حتى لا أبصر ، فعرفت أنه ممتنع مني ، وأيقنت بالإسلام . وفي رواية : أن شيبة قال : لما رأيت النبي ﷺ غزا مكة فظفر بها وخرج إلى هوازن ، قلت : أخرج لعلي أدرك ثأري ! وذكرت قتلَ أبي يوم أحد [قتله حمزة] ، وعمي [قتله علي] . فلما انهزم أصحابه جئته عن يمينه ، فإذا العباس قائم عليه درع بيضاء كالفضة ، فقلت : عمه ! لن يخذله ! ثم جئته عن يساره ، فإذا بأبي سفيان بن الحارث ، فقلت : ابن عمه ! ولن يخذله (٥) ! فجئته من خلفه، فلم يبق (٦) إلا أن أسَوِّره بالسيف (٧) ، إذ رُفِعَ لي — فيما بيني وبينه — شواظ (٨) من النار كأنه برق ، وخفت

(١) البجد : جمع بجاد ، وهو كساء مخطط من أكسية الأعراب .
(٢) في (خ) : «حمر» .
(٣) الطساس : جمع طست .
(٤) زيادة للسياق من (ابن هشام) ج ٤ ص ٦٩ .
(٥) في (خ) : «أن يخذله» .
(٦) في (خ) : «أبق» .
(٧) أسوره : علاه ، أي يعلوه فيأخذه بالسيف .
(٨) في (خ) «شوظ» .

أن يمحشني (١) ، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى . فالتفت إليّ وقال : ياشيب ! أدن مني ! فوضع يده على صدري وقال : اللهم أذهب عنه الشيطان ! فرفعت رأسي إليه وهو أحبّ إليّ من سمعي وبصري وقلبي، ثم قال : ياشيب ! قاتل الكفار ! فتقدمت بين يديه أحب والله أقيه بنفسي كل شيء . فلما انهزمت هوازن ، رجع إلى منزله ودخلت عليه ، فقال : الحمد لله الذي أراد بك خيراً مما أردت . ثم حدثني بما هممت به .

خبر المنافقين

ولما كانت هزيمة المسلمين ، تكلم قوم بما نفوسهم من الضغن والغش ، فقال أبو سفيان بن حرب: لاتنتهي هزيمتهم دون البحر ! فقال [أبو مُعَتِّب بن قُشَير] (٢) : أما والله أني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن قتلك لقتلتك ! وقال كَلَدة بن حنبل — أخو صفوان لأمه — ألا بطل سحر محمد اليوم ! فقال له صفوان : أسكت فضّ الله فاك ! لأن يربني رب من قريش أحب إلي من أن يربني رب من هوازن ! وقال سهيل بن عمرو : [والله] (٣) لا يجتبرها (٤) محمد وأصحابه [أبداً] (٣) ! فقال له عكرمة [ابن أبي جهل] (٣) : إن هذا ليس بقول ! إنما الأمر بيد الله ، وليس إلى محمد الأمر شيء ! إن أديل (٥) عليه اليوم فإن له العاقبة (٦) غداً . فقال له سهيل : والله إن عهدك بخلافه لحديث ! قال : يا أبا يزيد ، إنا كنا والله نوضع في غير شيء وعقولنا عقولنا (٧) نعبد حجراً لاينفع ولايضر ! !

النهي عن قتل النساء والمماليك

ومرّ رسول الله ﷺ بامرأة مقتولة : قتلها خالد بن الوليد . فبعث إليه: إن رسول الله ﷺ ينهاك أن تقتل امرأة أو عسيفاً (٨) .

خبر بني سليم

ولما هزم رسول الله ﷺ هوازن، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ، نادت بنو سليم: ارفعوا عن بني أمكم القتل ! فقال رسول الله ﷺ اللهم عليك ببني بُثْكُمَة ! أمّا في قومي فوضعوا السلاح وضعاً ، وأما عن قومهم فرفعوا رفعاً ، [وبُثْكُمة بنت مرّ أم سليم ، وهي أخت تميم بن مرّ]

(١) يمحشني : يحرق الجلد حتى يبدو العظم .
(٢) كذا في (خ) ، (ط) ، وفي (الواقدي) ج ٣ ص ٩١٠ «يقول رجل من أسلم يقال له أبو رهم ... الخ» .
(٣) زيادة للبيان .
(٤) يجتبرها : يصلحها .
(٥) أديل : من الدولة ، بمعنى النصر .
(٦) في (خ) «العاقبة» .
(٧) كذا في (الواقدي) ج ٣ ص ٩١١ ، وفي بعض كتب السيرة «وعقولنا ذاهبة» .
(٨) العسيف : «الأجير» :

خبر بجاد السعدى

وأمر عليه السلام بطلب القوم ، وقال : إن قدرتم على بجاد فلا يفلتنّ منكم ! وكان [بجادٌ](١) من بنى سعد [بن بكر بن هوازن](١) وقد قطّع رجلاً مسلماً وحرّقه بالنار ، فأخذته الخيل ، وجاءوا إلى الشيماء بنت الحارث بن عبد العُزّى — أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة — وأتوا بهما فرحّب بالشيماء وأجلسها على ردائه ، وأعطاها — بعد ما أسلمت — ثلاثة أعبدٍ وجاريةً ، فاستوهبته بجاداً فوهبه لها .

هزيمة هوازن وقتل دريد بن الصمة

ومرّت هوازن فى هزيمتها إلى الطائف ، وإلى أوطاس ، وإلى نخلة . فسارت الخيل تريد من أتى نخلةَ . فأدرك ربيع بن ربيعة بن رفيع ابن أهبان (٢) بن ثعلبة بن ضبيعة بن ربيعة بن يربوع بن سمّال بن عوف بن امرىء القيس بن بهثة بن سُليم السُّلمى — [وكان يقال له : ابن الدُّغُنّة ، وهى أمه فغلبت على اسمه](٣) — دُرَيدَ بن الصِّمّة فقتله .

أبو عامر الأشعرى

وتوجّه أبو عامر الأشعرى — أخو أبى موسى [الأشعرى](٣) — إلى أوطاس ، ومعه لواء فى عدةٍ من المسلمين ، وقد عسكر المشركون ، فقاتلهم وقتل منهم تسعة ثم أصيب ، فاستخلف أخاه أبا موسى ففتح الله عليه . ولحق مالكُ بن عوف بالطائف .

الغنائم والسبى

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت ، ونادى مناديه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغلّ ! وأصاب المسلمون سبايا ، فكانوا يكرهون أن يقعوا عليهن ولهن أزواج ، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله « والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم ، وأحل لكم وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ، إن الله كان عليماً حكيماً » (٤) وقال ﷺ يومئذ : لا توطأ حامل من السبى حتى تضع حملها ، ولا غير ذات حمل حتى تحيض . وسألوه يومئذ عن العزل (٥) ، فقال : ليس من كل الماء يكون الولد ، وإذا أراد الله أن يخلق شيئاً لم يمنعه شىء .

---

(١) زيادة للبيان . (٢) فى (خ) « أهان » .

(٣) زيادة للبيان من (ط) . (٤) الآية ٢٤ / النساء ، وفى (خ) « . . . أيمانكم ، الآية » .

(٥) (سنن ابن ماجه) جـ ١ ص ٦٢٠ (باب العزل) « حديث رقم ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ » و (سنن أبى دواد) جـ ٢ ص ٦٢٢ وما بعدها (باب ما جاء فى العزل) « حديث رقم ٢١٧٠ ، ٢١٧١ ، ٢١٧٢ ، ٢١٧٣ » .
وقال الخطابى فى (معالم السنن) جـ ٢ ص ٦٢٤ عند التعليق على الحديث رقم ٢١٧٢ : « وأخرجه البخارى فى النكاح باب العزل رقم ٩٧ (٧ / ٤٢) ومسلم فى النكاح باب حكم العزل حديث رقم ١٤٣٨ والنسائى فى النكاح باب العزل (٦/١٠٧) » .
والعزل : أن يعزل الرجل الماء عن النساء حذر الحمل .

دية عامر بن الأضبط

وقام عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى يطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعى — وقد قتله مُحلِّم ابن جثّامة بن قيس الليثى فى سرية رسول الله ﷺ إلى إضَم — بعد ما حيّا بتحية الإسلام — فدافع عنه الأقرعُ بن حابس ، فأشار النبى ﷺ بالدية فقبلوها .

شارب الخمر

وأُتى يومئذ بشارب ، فأمر عليه السلام من عنده (١) فضربوه بما كان فى أيديهم ، وحثا عليه التراب .

الشهـــداء والسبى

وجميع من استشهد (٢) بحنين أربعة (٣) . وفى هذه الغزاة قال رسول الله ﷺ : من قتل قتيلاً فله سَلَبُه .

وكان أبو طلحة قد قتل عشرين رجلاً فأعطاه سلبهم . وذكر الزبير بن بكّار : أن رسول الله ﷺ سبى يوم حُنين ستةَ آلاف — بين غلام وامرأة — فجعل عليهم أبا سفيان بن حرب . ومات رجل من أشجع أيام حنين ، فقال رسول الله ﷺ : صلّوا على صاحبكم فإنه قد غلّ . فنظروا ، فإذا فى بُرْدِهِ خرزٌ لا يساوى درهمين .

غزوة الطائف

ثم كانت غزوة الطائف . وذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح حُنيناً ، بعث الطفيل بن عمرو بن طريف ابن العاص بن ثعلبة بن سالم بن فهم الدَّوْسى إلى ذى الكفّين — صنم عمرو بن حُمَمَة — يهدمه ، وأمره أن يستمدّ قومه ويوافيه بالطائف ، وقال له : أفش السلام ، وابذل الطعام — واستحى من الله كما يستحى

---

(١) فى (خ) « بن عبدة » .

(٢) فى (خ) « ما استشهد » .

(٣) وهؤلاء الأربعة هم :

١ — من قريش ثم من بنى هاشم : أيمن بن عبيد .
٢ — من بنى أسد بن عبد العزى : يزيد بن زمعة .
٣ — ومن الأنصار : سراقة بن الحارث بن عدى .
٤ — ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعرى .
(ابن هشام) جـ ٤ ص ٧٦ .

وفى (الواقدى) جـ ٣ ص ٢٢ : رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بدلا من يزيد بن زمعة .
وقال محقق (الواقدى) أنه أثبته من ابن حزم فى (جوامع السيرة) ص ٢٤٤ (تعليق رقم (١) ص ٩٢٢ من الواقدى) .

الرجلُ ذا هيئةٍ من أهله(١) ، إذا أسأت فأحسن ، فإن الحسناتِ يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين(٢) . فخرج إلى قومه فهدّم ذا الكفين ، وجعل يحشُّ النار فى وجهه ويحرقه ويقول :

يا ذا الكفّين لست من عبّادكا ... ميلادنا أقدم من ميلادكا

أنا حششت(٣) النار فى فؤادكا

ووافى معه بأربعمائة من قومه ، بعد ما قدم عليه السلام الطائف بأربعة أيام ، ومعه دبّابة ومنجنيق . ويقال: بل اتخذ المنجنيق سلمان الفارسىّ ، وقدم بالدبّابة خالد بن سعيد بن العاص من جُرَش(٤) . وكان مع رسول الله ﷺ حَسَك من خشب(٥) يطيف بعسكره .

بعثة خالد بن الوليد على المقدمة

وقدَّم ﷺ خالد على مقدّمته ، وبعث بالسبي والغنائم إلى الجِعِرّانة مع بُديل بن ورقاء الخزاعىّ ، وسار إلى الطائف وقد رمّوا حصنهم ، ودخل فيه من انهزم من أوطاسٍ ، واستعدوا الحرب وأُتِىَ ﷺ — فى طريقه بِليَّة(٦) — برجل من بنى ليثٍ قتل رجلاً من هذيل ، فضرب أولياؤه عنقه ، وكان أول دمٍ أُقِيدَ(٧) به فى الإسلام ، وحرّق بلِيّة(٨) قصر مالك بن عوف .

منزل المسلمين بالطائف

ثم نزل قريباً من حصن الطائف وعسكر به ، فرموا بنبلٍ كثير أصيب به جماعة من المسلمين بجراحة ، فحوّل عليه السلام أصحابه ، وعسكر حيث لا يصيبهم رمى أهل الطائف . وثار المسلمون إلى الحصن ، فقُتِل يزيد بن زمعة ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزىّ بن قُصىّ القرشىّ الأسدى ، فظفر أخوه يعقوب بن زَمَعة بهذيل بن أبى الصلت ، [أخى أميّة بن الصلت] . وقال : هذا قاتل أخى ! فضرب عنقه ، وأقام ﷺ على حصار الطائف ثمانية عشر يوماً ، وقيل تسعة عشر يوماً ، وصحح بن حزم إقامته عليه السلام بضع عشرة ليلة وفى الصحيح عن أنس بن مالك قال : فحاصرناهم أربعين يوماً . يعنى ثقيفاً .

(١) كذا فى (خ) ، (ط) وفى (الواقدى) ج ٣ ص ٩٢٢ « كما يستحى الرجل ذو الهيئة من أهله» وذو الهيئة: ذو الوقار .
(٢) الآية ١١٤/هود كالآتى: «وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين» .
(٣) فى (الواقدى) ج ٣ ص ٩٢٣ « حشوت النار فى فؤادكا » . وحش النار : جمع إليها ما تفرق من الحطب .
(٤) فى (خ) « بن جرش » وجرش اسم مدينة سبق شرح اسمها راجع (معجم البلدان) ج ٢ ص ١٢٧ .
(٥) الحسكُ : نبات تعلّق ثمرته بصوف الغنم ، ورقه كورق الرِّجلة وأدق ، وعند ورقه شوكٌ ملززٌ صلبٌ ذو ثلاث شعب ، وله ثمر شربه يفتت حصى الكليتين والمثانة . وكذا شرب عصير ورقه جيد للباءة ، وعسر البول ونهش الأفاعى ، ورشه فى المنزل يقتل البراغيث ، ويعمل على مثال شوكه أداة للحرب من حديد أو قصب . فيلقى حول العسكر ويسمى باسمه . (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٦٤١ .
(٦) ليّة : من نواحى الطائف مرّ به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حنين يريد الطائف (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٠ .
(٧) من القَوَد : وهو القصاص .
(٨) فى (خ) « وحرق عليه » .

مصلى رسول الله ﷺ

فكان فى إقامته يصلّى ركعتين بين قبّتين قد ضربتا لزوجتيه أمّ سلمة وزينب رضى الله عنهما . فلما أسلمت ثقيف ، بنى أمية بن عمرو بن وهب بن معتّب بن مالك(١) على مصلى النبى ﷺ مسجداً ، وكان فيه سارية — [فيما يزعمون(٢)] — لا تطلع الشمس عليها [يوماً](٢) من الدهر إلا يسمع لها نقيض أكثر من عشر مرارٍ ، وكانوا يرون أن ذلك تسبيح(٣) .

محاصرة حصن الطائف

ونصب ﷺ المنجنيق على حصن الطائف ، وقد أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه ، وقد عمله بيده ، وقيل : قدم به يزيد بن زمعة ومعه دبابتان(٤) ، وقيل : قدم به الطُّفيل بن عمرو ، وقيل : قدم به وبدبابتين خالد بن سعيد من جُرَش(٥) ونثر ﷺ الحسك حول الحصن ، ودخل المسلمون تحت الدبابتين ، ثم زحفوا(٦) بها إلى جدار الحصن ليحفروه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك(٧) الحديد محماةً بالنار فحرقت الدبابتين — وكانتا من جلود البقر — فأصيب من المسلمين جماعة ، وخرج من بقى من تحتها فقُتلوا بالنبل . فأمر عليه السلام بقطع أعنابهم وتحريقها ، فقطعها المسلمون قطعاً ذريعاً . فنادى سفيان بن عبد الله الثقفى : يا محمد ! لِمَ تقطع أموالنا ؟ إما أن تأخذها إن ظهرت علينا ، وإما أن تدعها [لله](٨) وللرحم كما زعمت ! فقال عليه السلام : فإنى أدعها لله وللرَّحم ! وكفَّ عنها .

النازلون من حصن الطائف

ونادى منادى رسول الله ﷺ : أيّما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر !(٩) فخرج بضعة عشر رجلاً : أبو بكرة ، والمنبعث ، والأزرق [أبو عقبة الأزرق] ، ووردان ، ويُحَنَّس النَّبّال ، وإبراهيم بن

(١) كذا فى (خ) ، (ط) ، واسمه محل خلاف عند أهل السير ، فى (الواقدى) ج ٣ ص ٩٢٧ « أمية بن عمرو بن وهب» وفى (ابن هشام) ج ٤ ص ٩٤ : « عمرو بن أمية بن وهب » وفى (الطبرى) ج ٣ ص ٨٤ « أبو أمية بن عمرو بن وهب » .
(٢) زيادة من الطبرى ج ٣ ص ٨٤ وابن هشام ج ٤ ص ٩٤ .
(٣) فى (خ) « تسبيحاً » .
(٤) فى (خ) « دبابتين » .
(٥) فى (خ) « بن جرش » .
(٦) فى (خ) « رجلوا » .
(٧) السكة : الحديدة التى يحرث بها الأرض .
(٨) زيادة للسياق .
(٩) يقول ابن كثير فى (البداية والنهاية) ج ٤ ص ٣٤٧ : [هذا الحديث تفرد به أحمد ومداره على الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف ، لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا ، فعنده أن كل عبد جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عُتق حكماً شرعياً ، مطلقاً عاماً ، وقال آخرون : إنما كان هذا شرطاً لا حكماً عاماً ، ولو صح هذا الحديث لكان التشريع العام أظهر كما فى قوله عليه السلام : « من قتل قتيلاً فله سلبه »] .

جابر ، ويَسـار ، ونافع ، وأبوالسائب(١) ، ومرزوق ، فأعتقهم ﷺ ودفع كلَّ رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه ويحمله ، وأمرهم أن يقرئوهم القرآن ويعلموهم السنن ، فشق ذلك على أهل الطائف .

خبر هيت ومانع

وكان مع رسول الله ﷺ مولىً لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، يقال له « مانع » ، وآخر يقال « هيت » . وكان « مانع »(٢) يدخل بيوته ويُرى أنه لا يفطن لشيء من أمر النساء ولا إربة له ، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد ، [ويقال لعبد الله بن أبي أمية(٣) بن المغيرة] : إن افتتح رسول الله الطائف غداً فلا تفلتنَّ منك بادية بنت غيلان ! فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، وإذا جلست تثنت ، وإذا تكلمت تغنت ، وإذا اضطجعت تمنت ، وبين رجليها مثل الإناء المكفأ ، مع ثغر كأنه الأقحوان(٤) ، فقال عليه السلام : ألا أرى هذا الخبيث يفطن لما أسمع ! ! لا يدخلن على أحد من نسائكم ! وغربهما إلى الحمى ، فشكيا الحاجة(٥) ، فأذن لهما أن ينزلا كل جمعة يسألان ثم يرجعان إلى مكانهما . فلما توفي عليه السلام دخلا مع الناس ، أخرجهما أبو بكر رضي الله عنه . فلما توفي [دخلا مع الناس ، فأخرجهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فلما توفي](٦) دخلا مع الناس .

خبر خولة بنت حكيم

وقالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص السُّلمية امرأة عثمان بن مظعون : يارسول الله ، أعطني - إن فتح الله عليك [الطائف](٧) - حليَّ الفارعة بنت الخزاعي(٨) أو بادية بنت غيلان . فقال لها : وإن كان لم يؤذن

(١) كذا في (ط) وفي (خ) « ونافع أبو السائب » وهي رواية (الواقدي) ج ٣ ص ٩٣١ .

(٢) يقول (ابن حجر) في (فتح البـاري) ج ٩ ص ٣٣٤ ، : « وحكى أبو موسى المديني في كون مانع لقب هيت أو العكس أو أنهما اثنان خلافاً ، وجزم الواقدي بالتعدد فإنه قال : كان هيت مولى عبد الله بن أبي أمية ، وكان مانع مولى فاختة » .

(٣) في (خ) « عبد الله بن أمية » .

(٤) « قال الخطابي : يريد أن لها في بطنها أربع عكن فإذا أقبلت رؤيت مواضعها بارزة متكسراً بعضها على بعض ، وإذا أدبرت كانت أطراف هذه العكن الأربع عند منقطع جنبيها ثمانية ، وحاصله أنه وصفها بأنها مملوءة البدن بحيث يكون لبطنها عكن وذلك لا يكون إلا للسمينة من النساء ، وجرت عادة الرجال غالباً في الرغبة فيمن تكون بتلك الصفة » .
(المرجع السابق) ص ٣٣٥ .

والعكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٢٨٨ .
والثغر : الفم والأسنان .
والأقحوان : نبت زهره أصفر أو أبيض ، ورقه مؤلل كأسنان المنشار ، وكثر في الأدب العربي تشبيه الأسنان بالأبيض المؤلل منه .
(المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٢ ، ص ٩٧ .

(٥) في (خ) « فشكيا » .

(٦) ما بين القوسين زيادة للسياق من (الواقدي) ج ٣ ص ٩٣٤ بمعناه .

(٧) زيادة للسياق من (ط) .

(٨) كذا في (خ) ، و (ط) ، و (الواقدي) ج ٣ ص ٩٣٥ وفي ابن هشام ج ٤ ص ٩٥ « الفارعة بنت عقيل » .

لنا في ثقيف يا خولة ! فذكرت ذلك لعمر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ! ما حديث حدثتني خولة أنك قلته(١) ! قال : قلته ! قال : ولم يؤذن لك فيهم ؟ قال : لا ! قال أفلا أؤذن في الناس(٢) بالرحيل ؟ قال : بلى .

أذان عمر بالرحيل عن الطائف

فأذَّن عمر بالرحيل ، فشق على المسلمين رحيلهم بغير فتح . ورحلوا ، فأمرهم عليه السلام أن يقولوا : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . فلما استقلوا المسير قال : قولوا آيبون إن شاء الله تائبون عابدون لربنا حامدون(٣) . وقيل له لما ظعن : يارسول الله : أدع الله على ثقيف ! فقال : اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم ! وكان من استشهد بالطائف أحد عشر رجلاً(*) .

خبر أبي رهم

وسار ﷺ إلى الجعرانة . فبينا هو يسير - وأبو رُهم الغفاري إلى جنبه على ناقة له ، وفي رجليه نعلان غليظتان - إذ زحمت ناقته ناقة رسول الله ﷺ فوقع حرف نعله على ساق رسول الله فأوجعه فقال : أوجعتني ! [أخر رجلك ! وقرع رجله بالسوط ، قال أبو رهم : فأخذني ما تقدم من أمري وما تأخر ، وخشيت أن ينزل في قرآن لعظيم ما صنعت ، فلما أصبحنا بالجعرانة ، خرجت أرعى الظهر - وما هو يومي - فرقاً أن يأتي النبي عليه السلام رسول يطلبني ! فلما روحت الركاب سألت . فقالوا طلبك النبي ﷺ ، فقلت : إحداهن والله(٤) ! فجئته وأنا أترقب . فقال : إنك [أوجعتني](٥) برجلك فقرعتك بالسوط ، فخذ هذه الغنم عوضاً من(٦) ضربتي [قال أبو رهم : فرضاه عني كان أحب إلي من الدنيا وما فيها](٧) .

وحادثة عبد الله بن أبي حدرد(٨) الأسلمي في مسيره ، فلصقت ناقته بناقة النبي ﷺ فأصاب رجله ، فقال :

أخ(٩) !! أوجعتني ! ودفع رجل عبد الله بمحجن في يده ، فلما نزل دعاه وقال له : أوجعتك بمحجني البارحة !

(١) كذا في (ط) ، وفي (خ) « حديث خولة ما حدثتني » وفي (الواقدي) ج ٣ ص ٩٢٥ « حدثت خولة ما حدثتني أنك قلته » . وفي (ابن هشام) ج ٤ ص ٩٥ . « ما حديث حدثتنيه خولة زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته » .

(٢) في (خ) « للناس » . (*) وفي (ابن سعد) ج ٢ ص ١٥٨ « اثنى عشر رجلا » .

(٣) (الأذكار للنووي) ص ٢٠٣ ، باب ما يقول إذا رجع من سفره .

(٤) إحدى الدواهي التي كان يتوقعها .

(٥) زيادة للسياق .

(٦) في (خ) (عن) وما أثبتناه من (المغازي) ج ٣ ص ٩٣٩ .

(٧) زيادة يتم بها الخبر من المرجع السابق .

(٨) في (خ) (جدرد) ، والتصويب من المرجع السابق .

(٩) كذا في (خ) ، (ط) ، وفي (المغازي) أخ .

خذ هذه القطعة من الغنم . فأخذها فوجدها ثمانين شاة ضائنة (١) . ولما أراد أن يركب من قرْن (٢) راحلته ، وطىء له على يدها أبو روعة الجُهَني ، ثم ناوله الزمام بعد ما ركب ، فخاف عليه السلام الناقة بالسوط ، فأصاب أبا روعة فالتفت إليه وقال : أصابك السوط ؟ قال : نعم ، بأبي وأمي ! فلما نزل الجعرانة صاح : أين أبو روعة ؟ قال : ها أنذا ! قال خذ هذه الغنم بالذي أصابك من السَّوطِ أمس . فوجدها عشرين ومائة .

خبر سراقة بن مالك بن جعشم

ولقيه سراقةُ بن مالك بن جُعْشُم وهو متحدر إلى الجعرانة . فجعل الكتاب الذي كتبه أبو بكر رضي الله عنه بين إصبعيه ونادى : أنا سراقة ، وهذا كتابي ! فقال عليه السلام : هذا يوم وفاءٍ وبر ، فأدْنَوْه منه ، فأسلم وساق إليه الصَّدَقة . وسأله عن الضالة من الإبل تغشى حياضه وقد ملأها لإبله ، فهل له من أجر إن سقاها ؟ فقال عليه السلام : نعم ! في كل ذاتِ كبدٍ حرَّى (٣) أجرٌ .

هدية رجل من أسلم

واعترض له رجل من أسلم معه غنم فقال يارسول الله ! هذه هدية قد أهديتها لك ! — وكان قد أسلم وساق صدقته إلى بريدة بن الحُصَيْب لما خرج مصدِّقاً — فقال ﷺ : نحن على ظهر كما ترى فالحقنا بالجعرانة . فخرج يعدو عِراض ناقة (٤) رسول الله ﷺ وهو يقول . يارسول الله ، وأسوق الغنم معي إلى الجعرانة ؟ فقال : لاتسقها ، ولكن تقدم علينا الجعرانة فنعطيك غنما أخرى إن شاء الله . فقال : يارسول الله ! تدركني الصلاة وأنا في عطن الإبل (٥) ، أفأصلِّي فيه ؟ قال : لا ! قال : فتدركني وأنا في مُرَاح الغنم (٥) ، أفأصلي فيه ؟ قال : نعم ! قال : يارسول الله ! ربما تباعد بنا الماء ومع الرجل زوجته ، فيدنو منها ؟ قال : نعم ! ويتيمم . قال : يارسول الله ! وتكون فينا الحائض ؟ قال : تتيمم ! فلحقه عليه السلام بالجعرانة فأعطاه مائة شاة .

سؤال الأعراب

وجعلت الأعراب في طريقه يسألونه [أن يقسم عليهم فيئهم من الإبل والغنم] (٦) ، وكثَّروا عليه حتى اضطروه إلى سَمُرة فخطفت رداءه فنزعته (٧) ، فوقف وهو يقول : أعطوني ردائي ! لو كان عدد هذا العضاه نعماً لقسمته بينكم ، ثم لاتجدونني بخيلا ولا جباناً ولا كذَّاباً .

---

(١) الضأن من الغنم : ذو الصوف والأنثى ضائنة .

(٢) قرْن : قال القاضي عياض : «قرن المنازل ، وهو قرن الثعالب بسكون الراء : ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة» . (معجم البلدان) ج ٤ ص ٣٣٢ .

(٣) أي في كل روح من الحيوان أجر .

(٤) في (خ) (يعدو إعراض ناقة رسول الله) ، وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٣ ص ٩٤٢ ، ومعناه كما في النهاية : أي يسير حذاءه معارضاً له .

(٥) العطن : مبرك الإبل . المراح : الموضع الذي تروح الماشية إليه ليلا لتبيت فيه .

(٦) زيادة للبيان .

(٧) في (الواقدي) «انتزعته عن مثل شقة القمر» ج ٣ ص ٩٤٢ .

منزله بالجعرانة

وانتهى إلى الجعرَّانة ليلة الخميس لخمسٍ خلوْن من ذي القعدة ، والسَّبي والغنائم بها محبوسة ، وقد اتخذ السَّبي حظائر يستظلون بها من الشمس ، وكانوا ستة آلاف ، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير — فيها إثنا عشر ألف ناقة — والغنم أربعين ألفاً ، وقيل أكثر . فأمر بُسْر (١) بن سفيان الخزاعي يقدم مكة فيشتري للسبي ثياباً يكسوهن ، وكساهم كلهم . واستأنى ﷺ بالسَّبي ، وأقام يتربَّص أن يقدم وفدهم وكان قد فرَّق منه وهو بحنين ؛ فأعطى عبد الرحمن بن عوف امرأة . وأعطى صفوان بن أميَّة ، وعلياً ، وعثمان ، وعمر ، وجبير بن مطعم ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبا عبيدة بن الجرَّاح ، والزبير بن العوام رضي الله عنهم .

عطاء المؤلفة قلوبهم

فلما رجع إلى الجعرَّانة بدأ بالأموال فقسمها ، فأعطى المؤلفة قلوبهم أوَّل الناس ، وكان مما غنم أربعة آلاف أوقية فضة .

عطاء أبي سفيان

فجاء أبو سفيان بن حرب والفضَّة بين يديه ، فقال : يارسول الله ! أصبحتَ أكثر قريش مالا ! فتبسَّم عليه السلام ، فقال أبو سفيان : أعطني من هذا يارسول الله ، قال : يابلال ، زن لأبي سفيان أربعين أوقية ، وأعطوه مائة من الإبل . قال : إبني يزيد ! قال : زنوا ليزيد أربعين أوقية ، وأعطوه مائة من الإبل . قال : إبني معاوية يارسول الله ! قال : زن له يابلال أربعين أوقية وأعطه مائة من الإبل . قال أبو سفيان : إنك لكريم فداك أبي وأمي ! والله لقد حاربتك فنعم المحاربُ كنت ! ثم سالمتك فنعم المسالم أنت .

عطاء حكيم بن حزام

وسأل حكيم بن حزام يومئذ مائة من الإبل فأعطاه ، ثم سأل مائة فأعطاه ، ثم قال [ﷺ] (٢) : ياحكيم بن حزام ! إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفسٍ بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس (٣) لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا (٤) خيرٌ من اليد السُّفلى (٥) ، وابدأ بمن تعول (٦) . فأخذ حكيم المائة الأولى ثم ترك ماعداها .

---

(١) في (خ) «بشر» وما أثبتناه من كتب السيرة .

(٢) زيادة للايضاح .

(٣) إشراف النفس : تطلعها إلى المال بحرص وطمع .

(٤) اليد العليا : يد المعطي .

(٥) اليد السفلى : يد السائل .

(٦) أي بمن تجب عليك نفقتهم .

عطاء النضير بن الحارث

وأعطى النضير بن الحارث بن [علقمة] [١] بن كلدة — أخا النضر بن الحارث — مائة من الإبل ، وأعطى أسيد بن جارية [٢] — حليف بنى زهرة — مائة من الإبل ، وأعطى العلاء بن جارية خمسين بعيراً ، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وسعيد بن يربوع خمسين بعيراً ، وصفوان بن أميّة مائة بعير .

عطاء صفوان بن أمية

وفى صحيح مسلم عن الزهرىّ أن رسول الله ﷺ أعطى يومئذ صفوان بن أمية ثلاثمة من الإبل . ويقال إنه طاف مع النبى ﷺ وهو يتصفّح الغنائم إذ مرّ بشعب مما أفاء الله عليه . فيه غنم وإبلٌ ورعاؤها مملوء ، فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه ، فقال : أعجبك يا أبا وهب هذا الشّعب ؟ قال : نعم ! قال هو لك وما هو فيه ! فقال : أشهد ما طابت بهذا نفس أحد قطّ إلا نبى ، وأشهد أنك رسول الله

عطاء جماعة من المؤلفة قلوبهم

وأعطى قيس بن عَدِىّ مائة من الإبل ، وأعطى عثمان بن وهب خمسين بعيراً ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل ، وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل ، وأعطى هشام بن عمرو خمسين بعيراً ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمىّ مائة من الإبل ، وأعطى عيينة بن حصن الفزارىّ مائة من الإبل ، وأعطى أبا عامر العبّاس بن مِرداس بن أبى عامر بن حارثة [٣] بن عبد بن عَبس بن رفاعة بن الحارث [بن يحيى بن الحارث] [٤] بن بهثة بن سليم [بن منصور السُّلمىّ] [٤] دون المائة ، فعاتب النبى ﷺ فى شعرٍ قاله ، فقال رسول الله ﷺ اقطعوا عنى لسانه ! فأعطوه مائة ، ويقال خمسين بعيراً ؛ وأثبت القولين أن هذا العطاء كان من الخمس .

منع جعيل بن سراقة من العطاء

وقال يومئذ سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : يارسول الله ، أعطيتَ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة ، وتركتَ جُعيل بن سراقة الضمرىّ !؟ فقال : أما والذى نفسى بيده ، لجعيل بن سراقة خير من طِلاع [٥] الأرض كلها مثل عيينة والأقرع . ولكنى أتألفهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه .

خبر ذى الخويصرة التميمى

وجلس ﷺ يومئذ ، وفى ثوب بلال رضى الله عنه فضة يُقَبِّضها للناس على ما أراه الله ، فأتى ذو الخويصرة التميمىّ — (واسمه حرقوص) : فقال : أعدل يارسول الله ! فقال : ويلك ! فمن يعدل إذا لم أعدل ، قال عمر

(١) زيادة من نسبه من (ط) .
(٢) فى (خ) « بن حارثة » .
(٣) فى (خ) « جارية » .
(٤) زيادات من نسبه من (ط) .
(٥) فى (خ) « طلائع » ، وطلاع الأرض : ملؤها .

رضى الله عنه : إيذن لى أن أضرب عنقه ! قال : دعه ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم [١] ، وصيامه مع صيامهم [١] ويقرأون القرآن لا يجاوز تراقيَهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمية [٢] : [ينظرُ إلى نَصْله فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر إلى رصافه [٣] فما يوجد فيه شىء ، ثم ينظر إلى نضيِّه [٤] — وهو قدحه — فلا يوجد فيه شىء ، ثم] ينظر إلى قُذَذِه [٥] فلا يوجد فيه شىء [٦] قد سبق الفَرْثَ [٧] والدّمَ . آيتهم رجلٌ أسود ، إحدى عَضُدَيْه مثل ثدى المرأة ، أو مثل البَضْعة تَدَرْدَرُ [٨] ويخرجون على حين فرقةٍ من الناس [٩] .

مقالة رجل من المنافقين

وقال مُعتِّب بن قُشَير العمْرِىّ يومئذ ، ورسول الله ﷺ يعطى تلك العطايا : إنها العطايا ما يراد بها وجه الله ! ! فأخبر عبدُ الله بن مسعود رضى الله عنه رسولَ الله ﷺ بذلك فتغير لونه ، ثم قال : يرحم الله أخى موسى ! قد أوذى بأكثر من هذا فصبر [١٠] .

إحصاء الناس والغنائم وقسمها

ثم أمر رسولُ الله ﷺ زيدَ بن ثابت رضى الله عنه بإحصاء الناس والغنائم ثم فضَّها [١١] على الناس . وكانت سهمانهم : لكل رجل أربعٌ من الإبل وأربعون شاة . وإن كان فارساً أخذ اثنى عشرة من الإبل أو عشرين ومائة شاةٍ ، وإن كان معه أكثر من فرسٍ واحد لم يسهم له .

وفد هوازن وإسلامهم

وقدم وفد هوازن : وهم أربعة عشر رجلاً — رأسهم [١٢] أبو صُرَد زهير بن صُرَد الجُشَمى السعدىّ — قد أسلموا وأخبروا بإسلام مَن وراءهم من قومهم فقال أبو صرد : يا رسول الله ، إنّا أصلٌ وعشيرة [١٣] .

(١) فى (خ) « صلاته مع صلاته » ، « وصيامه مع صيامه » .
(٢) مرق السهم من الرمية : نفذ فيها وخرج طرفه من الجانب الآخر . والرمية هى الطريدة التى يرميها الصائد
(٣) الرصاف : العقبة تلوى فوق مدخل سنخ النصل فى عود السهم .
(٤) النضى . هو من عود السهم .
(٥) قذذ السهم : جمع قُذة ، وهى الريش يكون على السهم . وفى (خ) « فى قذذه » .
(٦) كذا فى (ط) ، وفى (خ) « فلا يرى فيه شيئاً » ورواية (الواقدى) ج ٣ ص ٩٤٨ « فلا يرى شيئاً » .
(٧) الفَرْث : ما يكون فى كرشى الحيوان من طعامه .
(٨) تدردر : قال فى (النهاية) : أى ترجرج ، تجىء وتذهب .
(٩) راجع (المغازى للواقدى) ج ٣ ص ٩٤٨ .
(١٠) راجع (صحيح البخارى) ج ٣ ص ٧٠ .
(١١) فضها : فرّقها .
(١٢) فى (خ) « وأسهم » .
(١٣) كذا فى (ط) ، وفى (خ) « أصلك وعشيرتك » ، وهى رواية (الواقدى) ج ٣ ص ٩٥٠ .

وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك ، إنما فى هذه الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ، ولو أنَّا ملحنا(١) للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منا أحدهما بمثل الذى نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته(٢) ، وأنت خير المكفولين .

[وفى رواية(٣) أنه قال : إنما فى هذه الحظائر أخواتك وعماتك وبنات عماتك وبنات خالاتك ، وأبعدهن قريب منك يارسول الله ! بأبى أنت وأمى ! حضنَّك فى حجورهن ، وأرضعنك بثديهن ، وتوركنك على أوراكهن ! وأنت خير المكفولين] .

أمنن علينا رسول الله فى كرم	فإنك المرءُ نرجوه وندَّخـــرُ
أمنن على نسوةٍ قد كنت ترضعها	إذ فوك يملأه من محضها الدِّرر
أمنن على نسوة إعتاقها(٤) قدرٌ	مزّقٌ شملها فى دهرها غِيَر
أبقت لنا الدهرَ هتَّافاً على حزن	على قلوبهم الغمّاءُ والغَمَرُ
اللاتِ(٥) إذ كنتَ طفلاً كنت ترضعها	وإذ يزينك(٦) ماتأتى وماتذرُ
إلا تداركها نعماءُ تنشرها	يا أرجح الناس حلماً حين يختبرُ
فألبس العفو من قد كنتَ ترضعه	من أمهاتك إن العفو مشتهر
ياخير من مرحت كُمتُ الجياد به	عند الهياج إذ ما استوقد الشررُ
إنا نؤمّل عفـــواً منك تلبسه	هذى البريّةَ إذ تعفو وتنتصر (٧)
فاعفُ عفا الله عما أنت راهبه	يوم القيامة إذ يُهدى لك الظفرُ
لا تجعلنّا كمن شالت نعامته	واستبق منا فإنا معشرٌ زُهُرُ
إنا لنشكر آلاءً وإن قدمت	وعندنا بعد هذا اليوم مدَّخرُ

جواب رسول الله

فقال رسول الله ﷺ : إن أحسن الحديث أصدقه ، وعندى ماترون من المسلمين ، فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ قالوا : يارسول الله ! خيّرتنا بين أحسابنا وأموالنا (٨) ! ! وماكنا نعدل بالأحساب شيئاً ، فردّ علينا أبناءنا ونساءنا . فقال : أمَّا ما [كان] (٩) لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وأسأل لكم الناس . فإذا

(١) ولو أنا ملحنا : قال فى (النهاية) : « أى لو كنا أرضعنا لهما » .
(٢) العائدة : الفضل .
(٣) هى رواية (الواقدى) جـ ٣ ص ٩٥٠ .
(٤) فى (الواقدى) « قد عالها قدر » وذكرها (السهيلى) كذلك فى (الروض الأنف) .
(٥) فى (خ) « اللاتى » وفى الواقدى « اللائى » وكلها بمعنى .
(٦) فى (خ) « يريبك » وما أثبتناه من (السهيلى) .
(٧) فى (خ) « تنتصروا » .
(٨) كذا فى (ط) وفى (خ) و (الواقدى) « وبين أموالنا » .
(٩) زيادة للسياق من (ط) .

[أنا] (١) صليت الظهر بالناس [فقوموا] (١) فقولوا (٢) : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله ! فإنى سأقول لكم . ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وسأطلب لكم إلى الناس .

رضى المهاجرين والأنصار ورد غيرهم

فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر بالناس ، قاموا فتكلموا بما أمرهم به ، فأجابهم بما تقدم فقال المهاجرون : فما كان لنا فهو لرسول الله ! وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ؟ وقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ! وقال عيينة بن حصن : أما أنا وفزارة فلا ! وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سُليم فلا : فقالت بنو سُليم : ما كان لنا فهو لرسول الله ! فقال عباس : وهّنتمونى (٣) .

خطبة رسول الله فى أمر هوازن

ثم قام رسول الله ﷺ فى الناس خطيباً فقال : إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت بهم فخيرتهم بين النساء (٤) والأبناء والأموال ، فلم يعدلوا بالنساء والأبناء ، فمن كان عنده منهن شىء فطابت (٥) نفسه أن يردّه فسبيل (٦) ذلك ، ومن أبى منكم وتمسك بحقه فليرد عليهم ، وليكن قرضاً علينا ستُّ فرائض من أول ما يفىء الله علينا به ! فقالوا : يارسول الله ! رضينا وسلمنا ! قال . فمروا عرفاءكم أن يرفعوا ذلك إلينا حتى نعلم . فكان زيد بن ثابت على الأنصار يسألهم : هل سلموا ورضوا ؟ فخبروه أنهم سلموا ورضوا ، ولم يتخلف منهم رجل واحد . وبعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى المهاجرين يسألهم ، فلم يتخلف منهم أحد . وكان أبو رهم الغفارى يطوف على قبائل العرب ، ثم جمعوا العرفاء ، واجتمع الأمناء الذين أرسلهم رسول الله ﷺ ، فاتفقوا على قول واحد : أنهم سلموا ورضوا . ودفع عند ذلك السَّبْىَ إليهم . وتمسكت بنو تميم مع الأقرع بن حابس بالسبى ، فجعل رسول الله ﷺ الفداء ست فرائض : ثلاثَ حقاقٍ وثلاثَ جذاعٍ (٧) وقال يومئذ : لو كان ثابتاً (٨) على أحدٍ من العرب ولاءٌ أو رقٌ لثبت اليوم ، ولكن إنما هو إسارٌ أو فدية : وجعل أبا حذيفة العدوى على مقاسم المغنم .

سؤاله عن مالك بن عوف

وقال للوفد (٩) : مافعل مالك بن عوف ؟ قالوا : هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف فقال : إنه إن يأت (١٠)

(١) زيادة للسياق من (ط) .
(٢) فى (خ) « فقالوا » وما أثبتناه من (ط) و (الواقدى) .
(٣) وهنتمونى : أضعفتمونى .
(٤) فى (خ) « الشاء » وما أثبتناه من (الواقدى) جـ ٣ ص ٩٥٢ .
(٥) فى (خ) « فطبت » وما أثبتناه من (الواقدى) جـ ٣ ص ٩٥٢ .
(٦) كذا فى (ط) ، وفى (خ) « فسبل » . وفى (الواقدى) « فليرسل » .
(٧) الحقاق : جمع حقة وهى الناقة التى استكملت السنة الثالثة فى شبابها . والجذاع جمع جذعة ، وهى التى استكملت الرابعة ودخلت فى الخامسة .
(٨) فى (خ) « ثابت » . (٩) فى (خ) « للوفد » . (١٠) فى (خ) « يأت » .

مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل . وكان قد حبس أهل مالك بمكة عند [عمتهم أم عبد الله بهمة(١) ابنة أبي أمية](٢) ، ووقف ماله فلم تجر فيه السهام . فلما بلغ ذلك مالكا(٣) مر من ثقيف ليلا ، وقدم الجعرانة وأسلم ، وأخذ أهله وماله ومائة من الإبل . ويقال : بل قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة واستعمله على قومه ، وعقد له لواء فقاتل أهل الشرك . وأغار على ثقيف وقاتلهم وقتل وغنم كثيراً . وبعث إلى رسول الله ﷺ بالخمس مما يغير عليه : فبعث مرة مائة بعير ، ومرة ألف شاة .

مقالة الأنصار إذ منعوا العطاء

ولما أعطى رسول الله ﷺ عطاياه وجد(٤) الأنصار في أنفسهم — إذ لم يكن فيهم منها شيء — وكثرت القالة ، فقال واحد : لقي رسول الله قومه ! أما حين القتال فنحن أصحابه ! وأما حين القسم فقومه وعشيرته ! ووددنا أنا نعلم ممن كان هذا ؟ إن كان هذا من الله صبرنا ، وإن كان هذا من رأي رسول الله استعتبناه . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فغضب غضباً شديداً . ودخل عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال له : مايقول قومك ؟ قال : ومايقولون يارسول الله ؟ ! فذكر له مابلغه وقال : فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ فقال يارسول الله ، ما أنا إلا كأحدهم وإنا لنحب أن نعلم من أين هذا ؟ قال : فاجمع لي من كان هاهنا من الأنصار . فلما اجتمعوا ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

خطبة رسول الله ﷺ

يامعشر الأنصار ! مقالة بلغتني عنكم ؟ وجِدَة(٥) وجدتموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضُلّالا فهداكم الله ؟ وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ! الله ورسوله أمن وأفضل ! قال : ألا تجيبوني ؟ قالوا : وماذا نجيبك يا رسول الله ؟ قال : أما والله لو شئتم قلتم فصدقتم : آتيتنا مكذّباً فصدّقناك ! ومخذولا فنصرناك ، وطريداً فآويناك ! وعائلا فآسيناك ! [وخائفاً فأمّنّاك](٦) وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في شيء من الدنيا تألّفت به قوماً أسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ! أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن تذهب الناس [إلى رحالهم](٦) بالشاء والبعير ، وترجعون برسول الله إلى رحالكم ؟ والذي نفسي بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك(٧) الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار . أكتب لكم بالبحرين كتاباً من بعدي تكون لكم خاصة دون الناس ؟ قالوا : وما حاجتنا بعدك يارسول الله ؟ قال : إمّا لا فسترون

(١) في (خ) « بهيت » .

(٢) يقول محقق (ط) : « ولم أجد أم عبد الله هذه ولا خبرها » ، ونقول : « أم عبد الله هذه وخبرها بتمامه في (المغازي للواقدي) جـ ٣ ص ٩٥٥ » .

(٣) في (خ) (مالك) .

(٤) وجد الأنصار في أنفسهم : غضب الأنصار في أنفسهم .

(٥) وجدة : من المَوْجِدَة وهي الغضب .

(٦) زيادة من كتب السيرة .

(٧) في (خ) « ولولا سلك » .

بعدي أثرة ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ، فإن موعدكم الحوض ، وهو كما بين صنعاء وعمان ، وآنيته أكثر من عدد النجوم . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار(١) ! ! فبكوا حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله حظاً وقسماً . وانصرفوا(٢) .

مقامه بالجعرانة

وأقام عليه السلام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة . وخرج ليلة الأربعاء لثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة ، وأحرم ولبى حتى استلم الركن . وقيل : لما نظر إلى البيت قطع التلبية ، وأناخ راحلته على باب بني شيبة ، وطاف فرَمَل(٣) في الأشواط الثلاثة . ولما أكمل طوافه سعى بين الصفا والمروة على راحلته ، ثم حلق رأسه عند المروة حلقه أبو هند عند بني بياضة ، وقيل حلقه خراش بن أمية . ولم يسق هدياً . ثم عاد إلى الجعرانة من ليلته ، فكان كبائت بها .

مسيره إلى المدينة

وخرج يوم الخميس على سَرِف إلى مر الظهران ، واستعمل على مكة عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ابن عبد شمس ، وخلّف معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري يعلمان الناس القرآن والتفقه في الدين . وقال لعتاب : أتدري على من استعملتك ؟ قال : الله ورسوله أعلم ! قال : استعملتك على أهل الله ، بلّغ عني أربعاً : لا يصلح شرطان في بيع ، ولا بيع وسلف ، ولا بيع ما لم يضمن ، ولا تأكل ربح ما ليس عندك(٤) .

خبر الفتح بالمدينة

وكان أول من قدم المدينة بفتح حُنين رجلان من بني عبد الأشهل ، هما : الحارث بن أوس ، ومعاذ بن أوس بن عبيد بن عامر(٥) . وقدم ﷺ المدينة يوم جمعة لثلاث بقين من ذي القعدة .

بعثة عمرو بن العاص إلى ابني الجلندي

وفي هذه السنة — وهي سنة ثمان — بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الجلندي بعمان مصدّقاً ، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردّها على فقرائهم ، وأخذ الجزية من المجوس ، وهم كانوا أهل البلد . وقيل : كان ذلك في سنة سبع . وفيها تزوج ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية ثم فارقها .

(١) كذا في (ط) ؛ وفي (خ) ، و (الواقدي) جـ ٣ ص ٩٥٨ : (وأبناء أبناء الأنصار) .

(٢) راجع (صحيح البخاري) جـ ٣ ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ .

(٣) رَمَل : هرول .

(٤) (سنن ابن ماجة) جـ ٢ كتاب التجارات ، باب رقم ٢٠ في النهي عن بيع ما ليس عندك وعن ربح ما لم يضمن ، حديث رقم ٢١٨٧ ، ٢١٨٨ ، ٢١٨٩ ص ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، (المغازي) جـ ٣ ص ٩٥٩ ، (سنن النسائي) جـ ٧ ص ٢٨٨ باب (بيع ما ليس عند البائع) .

(٥) لم أجد (معاذ بن أوس) هذا في (الإصابة) ولا في (الاستيعاب) ، وهكذا هو في (خ) .

مولد إبراهيم عليه السلام

وفيها ولدت مارية إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فى ذى الحجة . وفيها أقام عتاب بن أسيد بالناس الحج ، وحج الناس على ما كانت عادة العرب تحج ، وحج ناس من المشركين على مدتهم .

فريضة الصدقات وبعثه المصدقين

ثم كانت فريضة الصدقات وبعثه المصدقين فى هلال المحرم سنة تسع . فبعث رسول الله ﷺ بريدة بن الحصيب ابن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدى بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم ابن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر الأسلمى — إلى أسلم وغفار يصدقهم . [ويقال : بل بعث كعب بن مالك الأنصارى .] وبعث عباد بن بشر الأشهلى إلى سليم ومزينة . وبعث عمرو بن العاص إلى فزارة . وبعث الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبى بكر بن كلاب الكلابى إلى بنى كلاب ، وبعث بسر (١) بن سفيان الكعبى إلى بنى كعب . وبعث ابن اللتبية الأزدى إلى بنى ذبيان ، وبعث رجلا من بنى سعد هذيم على صدقاتهم .

خبر بسر على صدقات بنى كعب

خرج بسر (١) بن سفيان على صدقات بنى كعب ، [ويقال : إنما خرج ساعياً عليهم نعيم بن عبد الله النحام العدوى] ، فجاء وقد حل بنواحيهم من بنى تميم : بنو عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، فهم يشربون على غدير لهم بذات الأشظاظ ، [ويقال على عسفان] ، ثم أمر بجمع مواشى خزاعة ليأخذ منها الصدقة ، فحشرت عليه خزاعة الصدقة من كل ناحية . فاستكثرت ذلك بنو تميم ، ومنعوا المصدق وشهروا سيوفهم ، ففر إلى المدينة ، وأخبر رسول الله ﷺ بذلك .

خبر خزاعة

وأما خزاعة فإنها أخرجت التميميين من محالها إلى بلادهم وندب النبى ﷺ الناس لحربهم ; فانتدب (٢) عيينة بن حصن الفزارى ، فبعثه فى خمسين فارساً ليس فيهم مهاجرى ولا أنصارى . فسار إلى العرج وخرج فى آثارهم ، حتى وجدهم قد عدلوا من السقيا يؤمون أرض بنى سليم . فلما رأوا الجمع ولوا ، وأخذ منهم أحد عشر رجلا وإحدى عشر امرأة وثلاثين صبياً ، فجلبهم إلى المدينة . فأمر ﷺ بهم فحبسوا فى دار رملة بنت الحارث .

وفـــد تميم

وقدم وفد بنى تميم ، وهو عشرة من رؤسائهم : عطارد بن حاجب بن زرارة فى سبعين ، والزبرقان بن بدر بن امرىء القيس بن خلف (٣) بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم البهدلى التيمى السعدى أبو عياش (٤) . [وقيل أبو شذرة] ، وقيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر المنقرى ، وقيس

---

(١) فى (خ) (بشر) .　　(٢) انتدب : أسرع وبادر .
(٣) فى (خ) « خالد » .　　(٤) فى (خ) « أبو عياش » .

ابن الحارث ، ونعيم بن سعد ، وعمرو بن الأهتم بن سنان بن خالد بن منقر ، والأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، [والحتات بن يزيد المجاشعى] (١) ، ورياح بن الحارث بن مجاشع ، — [وكان رئيس الوفد : الأعور بن بشامة العنبرى] (٢) — ودخلوا المسجد قبل الظهر ، ورسول الله ﷺ فى بيت عائشة رضى الله عنها ، وقد أذن بلال والناس ينتظرون الصلاة . فنادوا : يا محمد ! اخرج إلينا ! ورفعوا أصواتهم فخرج عليه السلام . وقيل : إنما ناداه رجل واحد : يا محمد ! إن مدحى زين ، وإن شتمى شين ! وأقام بلال الصلاة ، فتعلقوا به يكلمونه ، فوقف معهم ملياً ، ثم مضى فصلى بالناس الظهر : فلما انصرف إلى بيته ركع (٣) ركعتين ، ثم خرج فجلس .

خطبة عطارد بن حاجب

وقدموا عطارد بن حاجب خطيبهم فقال : الحمد لله الذى له الفضل علينا ، والذى جعلنا ملوكاً ، وأعطانا الأموال نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم مالا وأكثرهم عدداً . فمن مثلنا من الناس ؟ ألسنا برؤوس الناس وذوى (٤) فضلهم ؟ فمن يفاخر فليعدد مثل ما عددنا . ولو شئنا لأكثرنا من الكلام ، ولكنا نستحى من الإكثار فيما أعطانا الله . أقول قولى هذا لأن تؤتى بقول هو أفضل من قولنا .

جواب ثابت بن قيس

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس : قم فأجب خطيبهم . فقام — وكان من أجهر الناس صوتاً — وما درى من ذلك بشىء ، ولا هيأ قبل ذلك ما يقول ، فقال : الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن (٥) أمره ووسع كل شىء علمه ، فلم يكن شىء إلا من فضله . ثم كان ما قدر أن جعلنا ملوكاً ، اصطفى لنا من خلقه رسولا ، أكرمهم نسباً وأحسنهم زياً ، وأصدقهم حديثاً . أنزل عليه كتابه ، وائتمنه على خلقه ، وكان خيرته من عباده ، فدعا إلى الإيمان فآمن المهاجرون من قومه وذوى رحمه (٦) ، أصبح الناس وجهاً ، وأفضل الناس فعالا . ثم كنا أول الناس إجابة حين (٧) دعا رسول الله ، فنحن أنصار الله ورسوله ، نقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله . فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه فى ذلك ، وكان قتله علينا يسيراً ، أقول قولى هذا واستغفر الله [لى ولكم و] (٨) للمؤمنين والمؤمنات . ثم جلس .

---

(١) فى (خ) ما بين القوسين ما نصه « وحباب » وما أثبتناه من كتب السيرة .
(٢) زيادة من (ط) .
(٣) فى (خ) « فركع » .
(٤) فى (خ) « وذى » .
(٥) فى (خ) « فيهما » .
(٦) فى (خ) « وذى رحمه » .
(٧) فى (خ) (حنين) .
(٨) زيادة من (ابن كثير) وفى (خ) و (الواقدى) بدون هذه الزيادة .

شعر الزبرقان بن بدر

وقالوا : يارسول الله إيذن لشاعرنا ، فأذن له ، فأقاموا الزبرقان بن بدر ، فقال :

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا (١) … فينا الملوك وفينا تُنصب البِيَعُ
وكم قسرنا (٢) من الأحياء كلِّهمُ … عند النِّهاب وفضل الخير يُتَّبعُ
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا … من الشديف إذا لم يؤنس القَزَعُ
[ثم ترى النَّاس تأتينا سَراتهم … من كلِّ أرضٍ هُويّاً ثم نصطنعُ] (٣)
وننحر الكوم عبطاً في أرومتنا … للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
[فلا ترانا إلى حيٍّ نفاخرهم … إلا استقادوا ، فكاد الرأس يُقتطع
فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه … فيرجع القوم والأخبار تُستمع] (٣)
إنا أبينا ولا يأبى لنا أحدٌ (٤) … إنا كذلك عند الفخر (٥) نرتفع
تلك المكارم حزناها (٦) مقارعة … إذا الكرام على أمثالها اقترعوا

شعر حسان

وقال رسول الله ﷺ : ياحسان ! أجبهم . فقام فقال :

إنَّ الذوائب من فهرٍ وإخوتهم … قد بيَّنوا (٧) سنة للناس تُتَّبعُ
يَرضى بها كلُّ من كانت سريرته … تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهم … أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجيَّةٌ تلك منهم غير محدَثة … إن الخلائق فاعلم شرُّها البدعُ
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم … عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ولا يضنون عن جارٍ بفضلهمُ … ولا ينالهمُ من مطمعٍ طَبَعُ (٨)
إن كان في الناس سباقون بعدهمُ … فكل سبق لأدنى سبقهم تبعُ
أكرمْ بقوم رسول الله شيعتهم … إذا تفرقت الأهواء والشيعُ
أعفةٌ ذُكرت في الوحي عفتهم … لا يطمعون ولا يرديهم طمعُ

(١) في (خ) ، (الواقدي) « نحن الملوك فلا حي يقاربنا » وما أثبتناه من (الطبري) ج ٣ ص ١١٦ .
(٢) في (خ) « قرنا » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٣ ص ٩٧٧ .
(٣) زيادة من (الطبري) ج ٣ ص ١١٧ .
(٤) في (خ) « إذا أبينا فلا يأبانا أحد » .
(٥) في (خ) « النجر » .
(٦) في (خ) « خرقاها » .
(٧) في (خ) « قد شرعوا » وما أثبتناه من (ديوان حسان) ص ٢٣٨ .
(٨) في (خ) « طبعوا » وما أثبتناه من (الديوان) ص ٢٣٨ . وفي (ابن هشام والطبري) :
لا يبخلون على جارٍ بفضلهمُ … ولا يمسهم من مطمع طبع

كأنهم في الوغى والموت مكتنعٌ … أسدٌ ببيشة في أرساغها فدَعُ (١)
لا فخر إن هم أصابوا من عدوِّهم … وإن أصيبوا فلا خُورٌ ولا جزعُ (٢)
إذا نصبنا لحي (٣) لم نَدِبَّ لهم … كما يَدِبُّ إلى الوحشيَّة الذَّرَعُ
نسمو إلى الحرب نالتنا مخالبها … إذا الزعانف من أظفارها خشعوا (٤)
خذ منهمُ ما أتوا عفواً إذا غضبوا … ولا يكن همُّك الأمرَ الذي منعوا (٥)
فإن في حربهم فاترك عداوتهم … سمّاً غريضاً عليه الصاب والسَّلَعُ
أهدى لهم مدحه قلبٌ يؤازره … فيما أحبَّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ
فإنهم أفضل (٦) الأحياء كلهمُ … إن جدَّ بالناس جدُّ القول أو شمعوا (٧)

فسُرَّ رسول الله ﷺ والمسلمون بمقام ثابت وحسَّان ، وخلا الوفد فقالوا : إن هذا الرَّجل مؤيد مصنوع له — [وفي رواية : إن هذا الرجل لمؤتًى له] — والله لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولهو أحلم منا ! فأسلموا ، وكان الأقرع [بن حابس] (٨) أسلم قبل ذلك .

ما نزل من القرآن في وفد تميم

وفيهم نزل قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ◦ إن الذين يغضُّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيم ◦ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ◦ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم » (٩) .

رد أسرى تميم

فرد عليهم ﷺ الأسرى والسَّبي . ويقال : سألوه أن يحسن إليهم في سبيهم ، فقال لسَبْرة بن عمرو : هذا

(١) في (خ) « فزع » .
(٢) في (خ) « لا فرح إن أصابوا في عدوهم » وما أثبتناه من (الديوان) ص ٢٣٩ ورواية (الواقدي) « لا يفخرون إذا نالوا عدوهمُ » ج ٣ ص ٩٧٨ .
(٣) في (خ) « وإن أصبنا » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٣ ص ٩٧٨ .
(٤) في (خ) « من أظفارها خشع » وهي رواية الواقدي ، وما أثبتناه من (الديوان) .
(٥) في (خ) « الذي منع » والتصويب من (الديوان) .
(٦) في (خ) « فإن أفضل » وما أثبتناه من (الديوان) .
(٧) في (ط) « أو سمعوا » وصوابها « شمعوا » بالشين المعجمة وهي رواية (خ) ، (الواقدي) .
ومعنى شمعوا : أي هزلوا ، وأصل الشمع الطرب واللهو .
(٨) زيادة للإيضاح من (ط) .
(٩) الآيات ٢ — ٥ من سورة الحجرات ، وفي (خ) « فوق صوت النبي ... الآية » .

يحكم بيننا وبينكم ! فقالوا : عمه فينا وهو أفضل منه ! فأبى النبي ﷺ . فحكم سبرة أن يمنّ على الشطر ويفدوا الشطر ، ففعل .

رئيس وفد تميم

كان رئيسهم الأعور بن بشامة العنبرى ، وكانت أخته صفية سُبِيت ، فعرض النبيّ عليها نفسه فاختارت زوجها ، فردها . وقام عمرو بن الاهتم يومئذ يهجو قيس بن عاصم ، وقد أجازهم النبيّ ﷺ كما كان يجيز الوفود إذا قدموا عليه ، وقال : هل بقى منكم من لم نجزه ؟ فقالوا : غلامٌ فى الرّحل . فقال : أرسلوه نجزه ! فقال قيس بن عاصم : إنه غلامٌ لاشرف له ! فقال : وإن كان ، فإنه وافد وله حقٌ !! فقال عمرو (١) شعراً يريد به قيســاً . وكانت جوائزهم على يد بلال رضى الله عنه : لكل واحد ثنتى عشر أوقية ونصف ، والغلام هو أصغرهم خمس أواق .

بعثة الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق

ثم كانت بعثة الوليد بن عقبة [بن أبي مُعيط] (٢) إلى بنى المصطلق ليأخذ صدقاتهم ، فخرجوا يلقونه بالجزر والغنم فرحاً به ، فولّى راجعاً إلى المدينة ، وأخبر أنهم يلقونه بالسلاح ليحُولوا بينه وبين الصدقة . فبلغهم ذلك عنه ، فقدم وفدهم وقالوا : يارسول الله ! سل هل ناطقنا أو كلمنا ؟ فنزلت فيه : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (٣) ، فقرأها عليهم رسول الله ﷺ ، وقال : من تحبون أن أبعث إليكم ؟ قالوا : عبّاد بن بشر ، فخرج معهم يقرئُهم القرآن ويعلمهم شرائع الإسلام ، وقد قال له : خذ صدقات أموالهم ، وتوقّ كرائم أموالهم . فأقام عندهم عشراً ثم انصرف راضياً .

سرية قطبة بن عامر إلى خثعم

وكانت سرية قطبة بن عامر إلى خثعم فى صفر سنة تسع ، فخرج فى عشرين رجلا معهم عشرة أبعرة يعتقبونها . [فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم ، فجعل يصيح بالحاضر ويحذرهم . فضربوا عنقه ، ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فشنّوا عليهم الغارة ، فاقتتلوا قتالا شديداً حتى كثر الجرحى فى الفريقين جميعاً : وقتل قطبةُ بن عامر مَنْ قتل ، وساقوا النعَم والشاء والنساء إلى المدينة : وجاء سيلٌ أتِيٌّ (٤) فحال بينهم وبينه ، فما يجدون إليه سبيلا . وكانت سُهمانهم أربعة أبعرة أربعة أبعرة ، والبعير يُعدل بعشر من الغنم بعد أن أخرج الخُمُس] (٥) .

سرية الضحاك بن سفيان إلى بنى كلاب

وكانت سرية الضحاك بن سفيان (٦) بن عوف بن كعب بن أبى بكر بن كلاب الكلابىّ إلى بنى كلاب ، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ، فقاتلهم بمن معه وهزمهم (٧) وذلك فى ربيع الأوّل .

---

(١) ق (خ) « عمر » .   (٢) زيادة للبيان من (ط) .   (٣) الآية ٦ / الحجرات .
(٤) السيل الأتىّ الذى لا يُدرى من أين أتى !!
(٥) ما بين القوسين زيادة لتمام الخبر من (ابن سعد) ج ٢ ص ١٦٢ .
(٦) ق (خ) « إلى سفيان » .   (٧) ق (خ) « وهربهم » .

كتاب رسول الله إلى بنى حارثة بن عمرو

وكتب ﷺ إلى حارثة بن عمرو بن قريظ يدعوهم إلى الإسلام مع عبد الله بن عوسّجة من عُريْنة (١) ، مستهلّ ربيع الأول . فأخذوا (٢) الصحيفة فغسلوها ورقعوا بها دَلْوَهم ، وأبوا أن يجيبوا ، فقال ﷺ — لما بلغه ذلك — : مالهم ؟ أذهبَ الله عقولهم ! فصاروا أهل رِعْدة وعَجلة وكلام مختلط ، وأهلَ سفه .

وقدم وفد بَلِىّ فى ربيع الأول هذا ، فنزلوا على رُويفع [بن ثابت] (٣) البلوىّ .

خبر رعية السحيمى

قال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال: أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن الشّعبى : أن رسول الله ﷺ كتب إلى رِعْيةَ السُّحَيْمى بكتاب ، فأخذ الكتاب فرقع به دلوهُ . فبعث رسول الله ﷺ سرية فأخذوا أهله وماله ، وأفلت رِعْية — على فرس له — عرياناً ليس عليه شىء فأتى ابنته — وكانت متزوّجة فى بنى هلال ، وكانوا أسلموا فأسلمت معهم ، وكانوا دعوه إلى الإسلام [فأبى] (٤) — وكان مجلس القوم بفناء بيتها ، فأتى البيت من وراء ظهره . فلما رأته ابنته عرياناً ألقت عليه ثوباً وقالت : مالك ؟ قال كلُّ الشرّ ! ما تُرك لى أهل ولا مال ! أين بعلك ؟ قالت : فى الإبل ! فأتاه فأخبره ، فقال : خذْ راحلتى برحلها ، ونزودك من اللبن : قال : لاحاجة لى فيه ، ولكن اعطنى قَعودَ (٥) الرّاعى وإدواة من ماءٍ (٦) ، فإنى أبادر محمداً لا يقسم أهلى ومالى ! فانطلق وعليه ثوب : إذا غطى به رأسه خرجت إسته ، وإذا غطى إسته خرج رأسه . فانطلق حتى دخل المدينة ليلا ، فكان بحذاء (٧) رسول الله ﷺ . فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر ، قال له : يارسول الله ! أبسط يدك لأبايعك ! فبسط رسول الله ﷺ يده ، فلما ذهب رِعْية ليمسح عليها ، قبضها رسول الله ﷺ ، ثم قال له رعية : يارسول الله ! أبسط يدك لأبايعك ! فبسط رسول الله ﷺ يده ، فلما ذهب رعية ليمسح عليها قبضها رسول الله ﷺ ، ثم قال: يارسول الله ! أبسط يدك، قال : ومن أنت ؟ قال رعية السحيمى ! قال : فأخذ رسول الله ﷺ بعضده فرفعه (٨) ثم قال : أيها الناس ! هذا رعية السحيمى الذى كتبت إليه فأخذ كتابى فرقع بها دلوه !! فأسلم ، ثم قال : يارسول الله ! أهلى ومالى ! فقال : أما مالك فقد قسم بين المسلمين ، وأما أهلك فانظر من قدرت عليه منهم ! قال [رعية] (٩) ، فخرجت فإذا ابنٌ لى قد عرف الراحلة ، وإذا هو قائمٌ عندها ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : هذا ابنى ! فأرسلَ معى بلالا فقال : انطلق معه فسله : أبوك هو ؟ فإن قال نعم ، فادفعه إليه .

---

(١) ق (خ) « بن عرينة » .
(٢) ق (خ) « فأخذ » وما أثبتناه من (الواقدى) ج ٣ ص ٩٨٢ .
(٣) زيادة للإيضاح من (ط) .
(٤) ق (خ) بعد قوله « دعوه إلى الإسلام » ما نصه : « فأتى ابنته » ، وما أثبتناه من (ط) .
(٥) القعود فى الإبل : ما يتخذه الراعى للركوب وحمل متاعه وزاده .
(٦) الإدواة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء .
(٧) ق (خ) « بجدار » .
(٨) ق (خ) « فرفعها » .
(٩) زيادة للسياق والإيضاح من (ط) .

قال [رعية](١) : فأتاه بلال فقال : أبوك هو ؟ قال : نعم ، فدفعه إليه . قال : فأتى بلال رضى الله عنه النبي ﷺ فقال : والله ما رأيت واحداً منه مستعبراً إلى صاحبه ! فقال رسول الله ﷺ : ذاك جفاء الأعراب !

وقال أبو عمر بن عبد البر رعية السحيمي ، [ويقال : الربعي ، ويقال العرني وهو الصواب . يروى أنه من سحيمة عرينة] كتب إليه رسول الله ﷺ قطعة أدم . فرقع دلوه بكتاب رسول الله ﷺ ، فقالت له ابنته(٢) ما أراك إلا ستصيبك قارعة ! عمدت إلى كتاب سيد العرب فرقعت به(٣) دلوك ؟ [وكانت ابنته قد تزوجت في بنى هلال وأسلمت](٤) . وبعث إليه رسول الله ﷺ خيلا(٤) . فأخذوا أهله وماله وولده [ونجا هو عرياناً](٤) ، فأسلم ، وقدم على النبي ﷺ فقال : أغير على أهلى ومالى وولدى ! فقال رسول الله ﷺ : أما المال فقد اقتسم ، ولو أدركته قبل أن يقسم كنت أحق به ! وأما الولد ، فاذهب معه يا بلال ، فإن عرف(٥) ولده فادفعه إليه ، فذهب معه فأراه إياه ، فقال لابنه : تعرفه ؟ قال : نعم ! فدفعه إليه .

سرية علقمة بن مجزز إلى الشعيبة

كانت سرية علقمة بن مجزز المدلجي في ربيع الآخر — في ثلاثمائة رجل — إلى ساحل البحر بناحية مكة ، وقد تراءى أهل(٦) الشعيبة ناساً من الحبشة في مراكب . [فانتهى علقمة وأصحابه إلى جزيرة في البحر ، وقد خاض إليهم البحر](٧) ، ففروا منه ، فرجع . واستأذنه بعض جيشه في الانصراف فأذن لهم . وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي — وكانت فيه دعابة — فأمر أصحابه أن يتواثبوا في نار(٨) لهم ، فلما أرادوا ذلك قال : إنما كنت أضحك معكم ! ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : من أمركم بمعصية فلا تطيعوه .

سرية على بن أبي طالب إلى الفلس صنم طيء

ثم كانت سرية على بن أبي طالب رضى الله عنه إلى الفلس — صنم طيء — ليهدمه ، في ربيع الآخر ، في خمسين ومائة رجل من وجوه الأنصار ، على مائة بعير وخمسين فرساً ، حتى أغاروا على أحياء من العرب ، وشنوا الغارة مع الفجر على محلة آل حاتم ، فسبوا حتى ملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء . وهدم على رضى الله عنه الفلس صنم طيء وخربه ، ثم عاد . وكانت رايته سوداء ، ولواؤه أبيض ، ويحمل الراية سهل بن حنيف ، واللواء جبار ابن صخر السلمي ، ودليله حريث من بني أسد . وكان فيمن سبي سفانة بنت حاتم الجواد بن عبد الله بن سعد بن

---

(١) زيادة للبيان والإيضاح من (ط).
(٢) زيادة من (الاستيعاب لابن عبد البر) جـ ٣ ص ٣٠٣ .
(٣) فى (خ) (رقعت به) .
(٤) زيادة من (ط) نقلها من (أسد الغابة).
(٥) فى (خ) « فإن عرف ولده » وهو فاسد المعنى .
(٦) فى (خ) « براما » وفى (ابن سعد) جـ ٢ ص ١٦٣ « تراءاهم أهل جدة » .
(٧) زيادة من (ط) لتمام المعنى .
(٨) فى (خ) « على نار » وما أثبتناه حق السياق .

الحشرج بن امرىء القيس بن عدى بن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء ، ومن(١) أسر أسلم . ووجد في بيت الفلس ثلاثة أسياف : رسوب والمخذم(٢) واليماني وثلاثة أدراع . واستعمل على السبي أبا قتادة ، وعلى الماشية والرثة(٣) عبد الله بن عتيك . وقسم السبي والغنائم إلا آل حاتم فإنه قدم بهم المدينة ، وبالخمس مما غنموا ، وبالأسياف الثلاثة صفيا لرسول الله ﷺ .

خبر سفانة بنت حاتم الطائى

فنزلت [سفانة بنت حاتم](٤) أخت عدي بدار رملة بنت الحارث . وكان عدى بن حاتم قد فر — لما سمع بحركة على رضى الله عنه — إلى الشام ، فكانت أخت عدي إذا مر النبي ﷺ تقول : يا رسول الله ! صلى الله عليك وسلم ! هلك الولد وغاب الوافد فامنن علينا من الله عليك ! فيسألها : من وافدك ؟ فتقول : عدى بن حاتم ! فيقول : الفار من الله ورسوله ؟ ! حتى يئست . فلما كان اليوم الرابع مر(٥) ، فأشار إليها على رضى الله عنه : قومى فكلميه ! فكلمته فخلى عنها ووصلها . فأتت أخاها عدي بن حاتم — وقد لحق بالشام — فحسنت له أن يأتى رسول الله ﷺ . فقدم المدينة وأسلم ، وله في إسلامه قصة .

موت النجاشي

وفى رجب سنة تسع نعى رسول الله ﷺ النجاشي للمسلمين ، وصلى عليه بمن معه فى اليوم الذى مات فيه ، على بعد ما بين الحجاز وأرض الحبشة ، فكان ذلك علما(٦) من أعلام النبوة كبيراً(٦) .

غزوة تبوك

ثم كانت غزوة تبوك — وتسمى غزوة العسرة(٧) — فى غرة رجب ، وسببها أن أخبار الشأم كانت بالمدينة عند المسلمين ، لكثرة من يقدم من الأنباط بالدرمك(٨) والزيت ، فذكروا أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة(٩) بالشأم ، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة ، وأقبلت معه لخم وجذام(١٠) وغسان وعاملة . وزحفوا ، وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها ، وتخلف هرقل بحمص . ولم يكن ذلك ، إنما ذلك شىء قيل لهم فقالوه .

---

(١) فى (خ) « وممن » .
(٢) فى (خ) « والمخزم » .
(٣) الرثة : المتاع ، وهى فى (خ) « والورثة » .
(٤) زيادة للإيضاح من (ط) .
(٥) فى (خ) « مر يتكلم » .
(٦) فى (خ) « علم » ، « كبير » .
(٧) فى (خ) « العشرة » .
(٨) الدرمك : الدقيق الأبيض الجيد الخالص .
(٩) فى (خ) « كبيرة » .
(١٠) فى (خ) « خدام » .

الخبر عن الغزو والبعثة إلى القبائل

وكان رسول الله ﷺ لا يغزو غزوة إلا ورَّى بغيرها — لئلا تذهب الأخبار بأنه يريد كذا وكذا — حتى كانت غزوة تبوك فغزاها فى حرٍّ شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، وعدداً كثيراً ، فجلى(١) للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته ، وأخبرهم بالوجه الذى يريد . وبعث إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم إلى عدوهم . فبعث بُريدة بن الحُصيب وأمره أن يبلغ الفُرُع ، وبعث أبا رُهم الغفارى إلى قومه ، وأبا واقد الليثى إلى قومه ، وأبا جَعْدة الضمْرىّ إلى قومه بالساحل ، ورافع بن مَكيث بن جُندب بن جُنادة إلى جُهينة ، ونعيم بن مسعود إلى أشجع ، وبُديل بن ورقاء وعمرو بن سالم وبُشر بن سفيان إلى بنى كعب بن عمرو ، والعباس بن مرداس إلى بنى سليم . وحضَّ على الجهاد ورغَّب فيه .

صدقات المسلمين للغزو

وأمر بالصدقة فحملت صدقاتٌ كثيرة . وأول من حمل صدقته أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، جاء بماله كله أربعة آلاف درهم ، فقال له رسول الله ﷺ . هل أبقيت شيئاً ؟ قال : اللهَ ورسولَه ! وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله ، فقال له رسول الله ﷺ هل أبقيت شيئاً ؟ قال : نعم ، نصف مالى ما جئت به . وبلغ عمرَ ما جاء به أبو بكر رضى الله عنه فقال : ما استبقنا إلى خيرٍ إلا سبقنى إليه . وحمل العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مالاً يقال إنه تسعون ألفاً . وحمل طلحة بن عبيد الله مالاً . وحمل عبد الرحمن بن عوف مائتى أوقية . وحمل سعد بن عُبادة ومحمد بن مسلمة(٢) مالاً . وتصدق عاصم بن عَدىّ بتسعين وسقاً(٣) تمراً ، وجهز عثمان بن عفان رضى الله عنه ثلث ذلك الجيش ، فكان من أكثرهم نفقةً ، حتى كفى ثلث ذلك الجيش مؤنتهم ، حتى إن كان ليقال : ما بقيت له حاجة ! ! لجاء بألف دينار ففرغها فى حجر النبى ﷺ ، فجعل يقلبها ويقول ﷺ : ما ضرَّ عثمانَ ما فعل بعد هذا اليوم ! قالها مراراً .

ورغب عليه السلام أهل الغنى فى الخير والمعروف ، فتبادر المسلمون فى ذلك ، حتى إن الرجل ليأتى بالبعير إلى الرجل والرجلين ويقول : هذا البعير بينكما تعتقبانه ؛ ويأتى الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج .

صدقات النساء

وأتت النساء بكل ماقدرن عليه ، فكن يلقين — فى ثوب مبسوط بين يدى النبى ﷺ — المَسَك ، والمعاضد والخلاخل ، والأقرطة ، والخواتيم ، والخدمات(٤) . وكان الناس فى حرٍ(٥) شديدٍ ، وحين طابت الثمار ، وأحبِّت الظلال ، والناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص عنها . وأخذ ﷺ الناس بالجد وعسكر بثنية الوداع ، والناس كثيرٌ لا يجمعهم كتاب .

---

(١) فى (خ) « وحكى » ، وجلّ الأمر : أظهره وأبانه .

(٢) فى (خ) « بن سلمة » . (٣) فى (خ) « وسنا » .

(٤) سبق شرح معانى هذه الألفاظ . (٥) فى (خ) « فى عسر شديد » .

خبر المخلفين

وقال ﷺ للجدّ بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عَدىّ بن غنم بن كعب بن سَلِمة الأنصارى : أبا وهب ! هل لك العام تخرجَ معنا لعلك تحتقب من بنات الأصفر(١) ؟ قال : أو تأذن لى ولا تفتنّى ؟ فوالله لقد عرف قومى ما أحدٌ أشدُّ عُجْباً بالنساء منى ، وإنى لأخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر عنهن . فقال : قد أذنت لك ! فجعل يثبّط قومه ويقول : لا تنفروا فى الحرّ . فنزل فيه قوله تعالى : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحرّ قلْ نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون »(٢) .

وقوله تعالى : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنّى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين »(٣) .

البكاءون

وجاء البكاءون — وهم سبعةٌ : أبو ليلى المازنى ؛ وسلمة بن صخرٍ الزُّرَقى ، وثعلبة بن غنمة السُّلمى ، وعلبة بن زيد الحارثى ، والعرباض بن سارية السُّلمى ، وهرمى بن عمرو المزنى وسالم بن عمير . [وقيل : وإن فيهم عبد الله بن المغفَّل ومعقل بن يسار . وقيل : البكاءون بنو مقرّن السبعة ، وهم من مزينة] — يستحملون رسول الله ﷺ ، وكانوا أهل حاجةٍ فقال : لا أجد ما أحملكم عليه فولَّوْا يبكون(٤) فلقى اثنان منهم يامين ابن عُمير بن كعب [ابن عم عمرو بن جحاش النضرى](٥) فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا إلى رسول الله ﷺ ليَحْملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى(٦) به على الخروج ، ونحن نكره أن تفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ . فأعطاهما ناضحاً له(٧) فارتحلاه ، وزوَّد كلَّ واحدٍ صاعين من تمر . وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين ، وحمل عثمان بن عفان منهم ثلاثة .

النهى عن خروج أصحاب الضعف

وقال ﷺ : لا يخرجنّ معنا إلا مُقْوٍ(٨) . فخرج رجلٌ على بكر صعب(٩) فصرعه بالسويداء ، فقال الناس : الشهيدَ الشهيدَ ! ! فبعث رسول الله ﷺ منادياً ينادى : لا يدخلَ الجنة إلا مؤمن — [أو إلا نفسٌ مؤمنة] — ، ولا يدخل الجنة عاصٍ .

---

(١) بنات الأصفر : بنات الروم الكاثوليك .

(٢) الآيتين ٨١ — ٨٢ / التوبة ، وفى (خ) « . . . وقالوا لا تنفروا فى الحر ، الآية » .

(٣) الآية ٤٩ / التوبة ، وفى (خ) « . . . ولا تفتنى ، الآية » .

(٤) خبر البكائين فى سورة التوبة ، الآية ٩٠ وما بعدها .

(٥) فى (خ) مكان ما بين القوسين « بن عمرو بن جحاش النضرى » ، وما أثبتناه من (ط) .

(٦) فى (خ) « نقوى » . (٧) الناضح : البعير الذى يحمل عليه الماء .

(٨) فى (خ) « نقوى » ، يقال : رجلٌ مقوٍ : أى ذو دابة قوية .

(٩) الصعب : الذى لا ينقاد .

المنافقون

وجاء ناسٌ من المنافقين يستأذنون رسول الله ﷺ من غير علةٍ فأذن لهم، وهم بضعة وثمانون رجلا. وجاء المعذرون(١) من الأعراب فاعتذروا وهم نفرٌ من بنى غفار — فيهم خفاف بن إيماء بن رحضة — : اثنان وثمانون رجلاً، فلم يعذرهم الله. وجاء عبد الله بن أُبَىّ بن سلول بعسكره — معه حلفاؤه من اليهود والمنافقين — فضربه على ثنية الوداع. فكان يقال: ليس عسكر ابن أُبَىّ بأقل العسكرين.

وكان رسول الله ﷺ يستخلف على العسكر أبا بكر رضى الله عنه، فلما أجمع على المسير استخلف على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغفارى، [وقيل محمد بن مسلمة].

تخليف على بن أبى طالب

وخلف على بن أبي طالب رضى الله عنه على أهله، فقال المنافقون: ما خلفه إلا استثقالاً له! فأخذ سلاحه ولحقَ رسولَ الله ﷺ بالجُرُف وأخبره ما قالوا، فقال: كذبوا! إنما خلّفتُك لما ورائى! فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلكَ، أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبيَّ بعدى، فرجَع.

الأمر بحمل النعال

وسار عليه السلام وقال: استكثروا من النعال، فإن الرجل لا يزال راكباً ما دام منتعِلاً.

تخلف المنافقين

فلما سار تخلف ابن أُبَىّ فيمن تخلف من المنافقين وقال: يغزو محمدٌ بنى الأصفر — مع جهد الحال والحر والبلد البعيد — إلى ما لا قبل له به؟! يحسب محمدٌ أن قتال بنى الأصفر اللعب؟! ونافق بمن معه ممن هو على مثل رأيه، ثم قال: والله لكأنى أنظر إلى أصحابه غداً مقرنين فى الحبال.

الألوية

فلما رَحل رسول الله ﷺ من ثنيّة الوداع عقد الألوية والرايات. فدفع لواءه الأعظم إلى أبى بكر رضى الله عنه، ورايته العظمى إلى الزبير، وراية الأوس إلى أسيد بن الحُضير، ولواء الخزرج إلى أبى دُجانة، [ويقال: إلى الحباب بن المنذر بن الجموح]، وأمر كل بطنٍ من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواءً أو راية.

خبر العبد المملوك

فلقيه عبدٌ لامرأة من بنى ضمرةَ وهو متسلح، فقال: أقاتل معك يا رسول الله؟ فقال: وما أنت؟ قال: مملوكٌ لامرأة من بنى ضمرة سيئة المَلَكة(٢) فقال: ارجع إلى سيّدتك! لا تقتَلْ معى فتدخل النار!!

(١) المعذرون: الذين يعتذرون، ولا عذر لهم على الحقيقة.
(٢) وفى الحديث: «لا يدخل الجنة سيىء الملكة» أى الذى يسىء صحبة مماليكه وعبيده.

عدة المسلمين

وسار ومعه ثلاثون ألفاً، وعشرة آلاف فرسٍ، واثنا عشر ألف بعير. وقال: أبو زُرْعة: كانوا سبعين ألفاً. وفى رواية: أربعين ألفاً.

تخلف نفر من المسلمين

وتخلف نفرٌ من المسلمين أبطأت بهم النيةُ من غير شك ولا ارتياب، منهم. كعب بن مالك بن أبى كعب عمرو بن القين(١) بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارىّ، وهلال بن أمية الواقفىّ، وأبو خيثمة عبد الله بن خيثمة السالمىّ، ومرارة بن الربيع العمرى. ثم إن أبا خيثمة أدرك رسول الله ﷺ بتبوك.

وكان دليله عليه السلام علقمة بن الفغواء(٢) الخزاعى. وجمع — من يوم نزل ذا خشب — بين الظهر والعصرَ فى منزله: يؤخر الظهر حتى يبرد ويعجّل العصر، ثم يجمع بينهما. فكان ذلك فعله حتى رجَع من تبوك.

المتخلفون

ولما مضى من ثنية الوداع، جعل يتخلف عنه قومٌ، فيقولون: يا رسول الله! تخلف فلانٌ! فيقول: دعُوه! فإن يكُ فيه خيرٌ فسيُلحِقه الله بكم، وإن يكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه. وخرج معه ناسٌ من المنافقين كثير، لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمة.

خبر أبى ذر

وأبطأ أبو ذرٍ رضى الله عنه من أجل بعيره: كان نضواً أعجف(٣)، ثم عجز فتركه وحمل متاعه على ظهره: وسار ماشياً فى حرٍ شديد وحده، حتى لحق رسول الله ﷺ نصف النهار وقد بلغ منه العطش، فقال له: مرحباً بأبى ذر! يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده! ما خلفك؟ فأخبره خبر بعيره، فقال: إن كنت لمن أعزّ أهلى علىّ تخلفاً! لقد غفر الله لك بكلّ خطوة ذنباً إلى أن بلغتنى.

خبر أبى رهم

وسايرهُ أبو رهمٍ — كلثوم بن الحصين الغفارى — ليلة فألقى عليه النّعاس، فزاحمت عليه راحلته راحلة رسول الله ﷺ — ورجله فى الغَرْز — فما استيقظ إلا بقوله: حسّ(٤)! فقال: يا رسول الله، استغفر لى، فقال: سر! وجعل يسأله عمّن تخلّف من بنى غفارٍ وغيره، فقال: ما منع أحدَ أولئك حين تخلف أن يحمل

(١) فى (خ) «القيس».   (٢) فى (خ) «الفغواء».
(٣) النضو: الأعجف: الذى أهزلته الأسفار وأذهب الجوع سمنه.
(٤) كلمة تقال للتوجع.

على بعيره رجلاً نشيطاً فى سبيل الله فى يخرج معنا ، فيكون له مثل أجر الخارج ! إن كان لمن أعزّ أهلى علىّ أن يتخلف عنّى : المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم .

جهد المسلمين

ومرّ على بعير قد تركه صاحبه من الضعف . فمرّ به مارّ فعلفه أياماً ثم حمله وقد صلح ، فخاصمه فيه صاحبه ، فقال رسول الله ﷺ : من أحيا خفاً أو كراعاً بمهلكة من الأرض فهو له . وشكوا إليه ﷺ ؛ بظهرهم من الجهد ، فتحين رسول الله ﷺ مضيقاً سارّ الناس فيه وهو يقول : مرّوا باسم الله ، فجعل ينفخ(١) بظهورهم وهو يقول : اللهم احمل عليها فى سبيلك ، فإنك تحمل على القوى والضعيف ، والرطب واليابس ، والبر والبحر ! فلما بلغوا المدينة جعلت تنازعهم أزقتها بدعوته ﷺ .

وصلى يوماً بأصحابه وعليه جُبّة صوف وقد أخذ بعنان فرسه ، فبال الفرس فأصاب الجبة فلم يغسله . وقال : لا بأس بأبوالها ولعابها وعرقها . لكن يعارضه قوله : استنزهوا من البول ، وهو أصح .

مقالة المنافقين

وكان رهط من المنافقين يسيرون ، منهم : وديعة بن ثابت أخو بنى عمرو بن عوف ، والجلاس بن سويد ابن الصامت ، ومخشى بن حمير من أشجع حليف بنى سلمة ، وثعلبة بن حاطب ، وقال ثعلبة : تحسبون قتال بنى الأصفر كقتال غيرهم ؟ والله لكأنى بكم غداً مقرنين فى الحبال ! وقال وديعة بن ثابت : مالى أرى قراءنا(٢) هؤلاء أرغبنا [بطونا](٣) ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ؟ قال الجلاس بن سويد — زوج أم عمير(٤) — : هؤلاء سادتنا وأشرافنا وأهل الفضل منا ، والله لئن كان محمد صادقاً لنحن شر من الحمير ! ورسول الله ﷺ الصادق وأنت الكاذب ! وقال مخشى بن حمير : والله لو وددت أنى أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وأننا ننفلت من أن ينزل فينا قرآن بمقالتكم !

وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر رضى الله : أدرك القوم فإنهم قد اخترقوا(٥) ، فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ! قد قلتم كذا وكذا ! فذهب إليهم فقال لهم ، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه . فقال وديعة بن ثابت — ورسول الله ﷺ على ناقته ، وقد أخذ بحقبها(٦) — : يا رسول الله ! إنما كنا نخوض

(١) ل (خ) « ينفخ » ، ينفح : يدفع .
(٢) ل (خ) « قرائنا » .
(٣) هذه الكلمة غير بينة ل (خ) وفى (الواقدى) ، « أوعبنا بطوناً » ج ٣ ص ١٠٠٣ .
(٤) عمير بن سعد الأنصارى .
(٥) ل (خ) « اخترقوا : بالخاء المهملة » والأجود بالخاء ، من الاختراق ، وهو الاختلاق والكذب ، من ذلك قوله تعالى : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » راجع هامش (ط) ، وفى (زاد المعاد) ج ٣ ص ٥٣٦ « اخترقوا » وأيضاً فى (الطبرى) ج ٣ ص ١٠٨ .
(٦) الحقب : حزام يشد به البعير .

ونلعب ! فأنزل الله فيه : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب . قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين »(١) .

وقال مخشى بن حمير : يا رسول الله ! قعد بى اسمى واسم أبى ! فكان الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشى ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر .

وجاء الجلاس فحلف ما قال من ذلك شيئاً . فأنزل الله فيه : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا ، وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ، فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير »(٢) .

وكان للجلاس دية فى الجاهلية على بعض قومه — وكان محتاجاً — فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذها له فاستغنى بها .

وادى القرى

ومرّ رسول الله ﷺ فى وادى القرى على حديقة امرأة فقال : اخرصوها فجاء خرصها عشرة أوسق(٣) فقال لها : احفظى ما خرج منها حتى نرجع إليك .

نزول الحجر وهبوب الريح

فلما أمسى بالحجر قال : إنها ستهب الليلة ريح شديدة ، فلا يقومن منكم أحد إلا مع صاحبه ، ومن كان له بعير فليوثق عقاله ، فهاجت ريح شديدة ولم يقم أحد إلا مع صاحبه ، إلا رجلين من بنى ساعدة : خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعيره . فأما الذى خرج لحاجته ، فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح فطرحته بجبل طيىء . فأخبر عليه السلام خبرهما فقال : ألم أنهكم أن يخرج رجل إلا معه صاحب له ؟ ثم دعا للذى أصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر فإن طيئاً قدمت به إلى المدينة .

هدية بنى عريض

وأهدى له عليه السلام بنو عريض اليهودى هريساً فأكلها ، وأطعمهم أربعين وسقاً ، فلم تزل جارية عليهم(٤) .

خبر بئر الحجر

واستقى الناس من بئر الحجر(٥) وعجنوا ، فنادى منادى النبى ﷺ : لا تشربوا من مائها ولا توضئوا منه

(١) الآيتان ٦٥ ، ٦٦ / التوبة ، وفى (خ) « ... نخوض ونلعب ، الآية » .
(٢) الآية ٧٤ / التوبة ، وفى (خ) « ولقد قالوا كلمة الكفر » وقوله تعالى : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ، الآية » .
(٣) الأوسق : جمع وسق ، وهو حمل بعير .
(٤) فى (خ) « فلم يزل جارية عليهم » وفى (الواقدى) ج ٣ ص ١٠٠٦ « فهى جارية عليهم » .
(٥) الحِجْر : ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام .

الصلاة ، وما كان من عجين فاعلفوه الإبل . فجعل الناس يهريقون ما فى أسقيتهم ؛ وتحوّلوا إلى بئر صالح عليه السلام فارتووا منها . وقال يومئذٍ : لا تسألوا نبيكم الآيات ! هؤلاء قوم صالحٍ سألوا نبيهم آية ، فكانت الناقة ترد عليهم من هذا الفجّ ، تسقيهم من لبنها يومَ وردِها ما شربت من مائهم . فعقروها ، فأوعدوا ثلاثاً ، وكان وعد الله غير مكذوبٍ ، فأخذتهم الصيحة . وقال يومئذٍ : لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ، فيصيبكم ما أصابهم .

وجاء رجل بخاتمٍ وجده فى الحجر فى بيوت المعذبين ، فأعرض عنه واستتر بيده أن ينظروا إليه ، وقال : ألقه ! فألقاه .

وقال لأصحابه حين حاذاهم : إن هذا وادى القرى ! فجعلوا يوضعون فيه ركابهم حتى خرجوا منه . وأوضع ﷺ راحلته .

قلة الماء ، ودعاء رسول الله بالمطر

وارتحل من وادى القرى فأصبح ولا ماء معهم ، فشكوا ذلك إليه ، فاستقبل القبلة ودعا — ولا يُرى فى السماء سحابٌ — فما برح يدعو حتى تألف السحاب من كل ناحية ، فما رام مقامه حتى سحب عليهم السماء بالرواء . ثم كشف الله السماء من ساعتها والأرضُ غُدُرٌ[(1)] ، فسقى الناس وارتووا من آخرهم ، فكبر رسول الله ﷺ وقال : أشهد أنى رسول الله ! فقال عبد الله بن أبى حدردٍ لأوس بن قيظى — [ويقال لزيد بن اللُّصيت القينقاعىّ] — وكان من المنافقين : ويحك ! ! بعد هذا شىء ؟ فقال : سحابةٌ مارةٌ .

خبر ناقة رسول الله التى ضلت ومقالة المنافق

وارتحل عليه السلام فأصبح فى منزل ، فضلّت ناقته القصواء ، فخرج المسلمون فى طلبها . وكان زيد بن اللصيت أحد بنى قينقاع ، وكان يهودياً فأسلم فنافق ، وكان فيه خبث اليهود وغشهم ، وكان مظاهراً لأهل النفاق ، وقد نزل فى رحل عمارة بن حزم ، وعمارة عند رسول الله — فقال زيدٌ : أليس محمدٌ يزعم أنه نبىٌّ وهو يخبركم بأمر السماء ، ولا يدرى : أين ناقته؟ وإنى والله لا أعلم إلا ما علمنى الله ، وقد دلنى عليها ، وهى فى الوادى فى شعب كذا وكذا — لشِعبٍ به[(2)] — حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتوا بها[(3)] . فذهبوا ، فجاءوا وقد وجدها الحارث بن خزَمة[(4)] الأشهلى ، كما قال عليه السلام . فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال : العجب من شىء حدّثناه رسول الله آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه قال كذا وكذا ! ! — للذى قال زيدٌ — فقال أخوه عمرو بن حزم : ولم يحضر رسول الله ﷺ : إن زيداً هو قائل هذه المقالة قبل أن تطلع علينا ! . فأقبل عمارة ابن حزمٍ على زيد بن اللُّصيت يجأه[(5)] فى عنقه ويقول : إن فى رحلى لداهية[(6)] وما أدرى ! ! أخرج يا عدو الله

(١) فى (خ) « غدراً » ، وغُدُر : جمع غدير وهو مستنقع الماء يغادره السيل .

(٢) فى (خ) « لشعب إليه » .

(٣) فى (خ) « حتى يأتوا » .

(٤) فى (خ) « حزمة » .

(٥) وجأ : لكز ووكز .

(٦) فى (خ) « أراهيا » .

من رحلى ! فقال زيد : لكأنى لم أسلم إلا اليوم ! قد كنت شاكّاً فى محمد ، وقد أصبحت وأنا فيه ذو بصيرة ، أشهد أنه رسول الله ! فقيل : إنه تاب ، وقيل : لم يزل فسلاً[(1)] حتى مات .

نبوءة الفتوح

وقال ليلةً وهم يسيرون : إن الله أعطانى الكنزين : فارس والروم ، وأمدنى بالملوك ملوك حمير : يجاهدون فى سبيل الله ، ويأكلون فىء الله[(2)] .

تأخره ﷺ عن صلاة الصبح

ولما كان بين الحجر وتبوك ذهب لحاجته — وكان إذا ذهب أبعد — ، فتبعه المغيرة بن شعبة بماء فى إداوةٍ بعد الفجر . فأسفر الناس بصلاتهم حتى خافوا الشمس ، فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فصلى بهم . فلما فرغ ﷺ من حاجته ، صبّ عليه المغيرة من الإداوة فغسل وجهه . ثم أراد أن يغسل ذراعيه فضاق كم الجبة — وكان عليه جُبّة رومية — فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما ومسح خفيه .

صلاة رسول الله ﷺ بصلاة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه

وانتهى إلى عبد الرحمن رضى الله عنه وقد ركع بالناس ركعةً ، فسبح الناس حين رأوا رسول الله حتى كادوا أن يفتتنوا ، فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص وراءه ، فأشار إليه عليه السلام : أن اثبت ! فصلى رسول الله ﷺ خلفَ عبد الرحمن ركعةً ، فلما جلس عبد الرحمن تواثب الناس ، وقام ﷺ للركعة الباقية ثم سلم بعد فراغه منها ، وقال أحسنتم ، إنه لم يُتوفَّ[(3)] نبى حتى يؤمه رجل صالح من أمته .

خبر الأجير ورجل من العسكر

وأتاه[(4)] يومئذ يَعلَى بن مُنْيَة بأجيرٍ له قد نازع رجلاً من العسكر فعضه الرجل ، فانتزع الأجير يده من فى[(5)] العاضّ فانتزع ثنيته ، فلزمه المجروح وبلغ به النبى ﷺ فقال : يعمِد أحدكم فيعَضُّ أخاه كما يعض الفحل ! فأبطل ﷺ ما أصاب من ثنيته .

نهيه ﷺ عن الشرب من عين تبوك حتى يقدم

وقال : إنكم ستأتون غداً إن شاء الله تعالى عين تبوك : وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمسّ من مائها حتى آتى . فسبق رجلان من المنافقين إليها — والعين تبضّ بشىء[(6)] من ماء — فسألهما عليه

(١) الفسل : الردىء الذى لا مروءة له .

(٢) فى (خ) « فى الله » بغير همز ، والذى حقق (ط) بغير همز أيضاً مما أدى إلى فساد المعنى ، الأمر الذى جعله يقول : « ولم أجد الخبر » وما أثبتناه من (الواقدى) ج ٣ ص ١٠١١ .

(٣) فى (خ) « ولم يتوفى » .

(٤) فى (خ) « وإياه » .

(٥) من فى : من فم .

(٦) بضّ الماء : إذا خرج قليلاً قليلا .

السلام : هل مسستما من مائها شيئاً ؟ قالا : نعم ! فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول . ثم غرفوا من العين بأيديهم قليلاً حتى اجتمع فى شىء ، ثم غسل فيه وجهه ويديه ثم أعاده فيها ، فجاءت العين بماء كثير فاستسق الناس . ثم قال [لمعاذ بن جبل](١) : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد مُلىء جناناً !
وقال يوماً فى مسيره : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرمه الله على النار .

خبر الحية التى سلمت عليه

وعارض الناسَ فى سيرهم حية ذكر من عظمها وخلقها شىء كثير ، فأقبلت حتى واقفت رسول الله ﷺ وهو على راحلته طويلاً ، والناس ينظرون إليها ، ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة ، فأقبل الناس حتى لحقوا رسول الله ﷺ ، فقال لهم : هل تدرون من هذا(٢) ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إلىّ يستمعون القرآن ، فرأى عليه من(٣) الحق — حين ألمّ رسول الله ببلده — أن يسلم عليه ، وها هو ذا يقرئكم السلام فسلّموا عليه ! فقال الناس جميعاً : وعليه السلام ورحمة الله ، فقال : أجيبوا عباد الله من كانوا .

رقاده ﷺ عن صلاة الفجر

ولما كان من تبوك على ليلة ، رقد(٤) ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيدَ رُمح(٥) ، فقال : يا بلال ، ألم أقل لك اكلأنا الليلة(٦) ؟ فقال : يا رسول الله ذهبَ بىَ النوم ، ذهب بى الذى ذهب بك ! فارتحل عليه السلام من ذلك المكان غير بعيد ثم صلى ركعتين قبل الفجر ، ثم صلى الفجر ، ثم سار يومه وليلته فأصبح بتبوك فجمع الناس ثم قال :

خطبته ﷺ بتبوك

أيها الناس ، أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنن محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عواقبها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف القتل قتل الشهداء ، وأعمى الضلالة الضلالة بعد الهدى ، وخير الأعمال ما نفع ، وخير الهدى ما اتُّبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة . ومن الناس من

(١) زيادة للبيان من (ط) .
(٢) فى (خ) « ما هذا » وما أثبتناه من (الواقدى) ج ٣ ص ١٠١٥ .
(٣) فى (خ) « من من » مكررة .
(٤) كذا فى (ط) وفى (خ) ، (والواقدى) ج ٣ ص ١٠١٥ « استرقد » .
(٥) أى قدر رمح فى ارتفاعها .
(٦) اكلأنا : احفظنا .

لا يأتى الجمعة إلا نزرا ، ومنهم من لا يذكر الله إلا مُهْجِراً . ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب . وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما ألقى فى القلب اليقين ، والارتياب من الكفر . والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جمر جهنم ، والسكر كىّ من النار . والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حِبالة إبليس ، والشباب شعبة من الجنون . وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المال أكل مال اليتيم ، والسعيد من وُعظ بغيره ، والشقىّ من شقى فى بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع . والأمر إلى آخره ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الرؤيا رؤيا الكذب ، وكلّ ما هو آتٍ قريب . وسباب المؤمن فسوق ، وقتل المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه . ومن يتألّ(١) على الله يكذّبه ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوّضه الله . ومن يتتبع السُّمعة يسمّع الله به(٢) . ومن يصبر يضاعف الله له ، ومن يعص الله يعذّبه . اللهم اغفر لى ولأمتى . اللهم اغفر لى ولأمتى ، أستغفر الله لى ولكم .

عظته ﷺ وهو يطوف بالناس

وطاف على ناقته بالناس وهو يقول : يا أيها الناس ، يد الله فوق يد المعطى ، ويد المعطى الوسطى ويد المعطَى السفلى ، أيها الناس ، فتغنّوا ولو بحزم الحطب . اللهم هل بلغت ! ثلاثاً . فقال له رجل من بنى عذرة — يقال له عدى — : يا رسول الله ، إن امرأتين لى اقتتلتا ، فرميت فأصبت إحداهما فى رميتى ؟ [يعنى ماتت] ، فقال له : تعقلها(٣) ولا ترثها .

قوله فى أهل اليمن وأهل المشرق

ونظر بتبوك نحو اليمن ، ورفع يديه يشير إلى أهلها وقال : الإيمان يمانٍ ! ونظر نحو المشرق ، وأشار بيده وقال : إن الجفاء وغلظ القلوب فى الفدّادين(٤) أهل الوبر من المشرق حيث يطلع الشيطان قرنيه .

خبر البركة فى الطعام

وجلس بتبوك فى نفر من أصحابه هو سابعهم ، فجاء رجل من بنى سعد هذيم فسلم فقال : اجلس ، فقال : يا رسول الله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ! فقال : أفلح وجهك ، ثم قال : يا بلال ، أطعمنا ! فبسط نطعاً(٥) ، ثم أخرج من حميتٍ(٦) له خرجات من تمر معجون بسمن وأقط ، ثم قال عليه السلام : كلوا ! فأكلوا حتى شبعوا ، فقال الرجل : يا رسول الله : إن كنت لآكل هذا وحدى ! فقال : الكافر يأكل فى سبعة

(١) أى يحكم عليه ويحلف كأن يقول : والله ليدخلن الله فلاناً النار ، ونحوه .
(٢) سمع الله به : فضحه وشهر به فى أسماع الناس .
(٣) تعقلها : تدفع ديتها .
(٤) الفدادون : أصحاب الإبل الكثيرة .
(٥) النطع : مفرش من الجلد .
(٦) الحميت : زق من الجلد لا شعر عليه يكون فيه السمن ونحوه .

أمعاء والمؤمن يأكل في معًى واحد . ثم جاء من الغد متحيّناً الغداء ليزداد في الإسلام يقيناً ، فإذا عشرة حوله عليه السلام فقال : هات أطعمنا يا بلال ! فجعل يخرج من جراب تمراً بكفه قبضة قبضة ، فقال : أخرج ولا تخف من ذي العرش إقتاراً ! فجاء بالجراب فنثره فحزره الرجل مُدَّين ، فوضع ﷺ يده على التمر ، ثم قال : كلوا باسم الله ! فأكل القوم وأكل الرجل — وكان صاحب تمر — حتى ما يجد [له](١) مسلكا ، وبقي على النطع مثل الذي جاء به بلال ، كأنهم لم يأكلوا منه تمرة واحدة . ثم عاد الرجل من الغد ، وعاد نفر . فكانوا عشرة أو يزيدون رجلاً أو رجلين ، فقال عليه السلام : يا بلال أطعمنا ! فجاء بذلك الجراب بعينه فنثره ، ووضع ﷺ يده عليه وقال : كلوا باسم الله ! فأكلوا حتى نهلوا(٢) ، ثم رفع مثل الذي صب . ففعل ذلك ثلاثة أيام .

بعثة هرقل رجلا من غسان

وكان هرقل ملك الروم قد بعث رجلاً من غسان إلى النبي ﷺ ينظر إلى صفته وإلى علامته ، فوعى أشياء من حاله ، وعاد إليه فذكر ذلك . فدعا هرقل الروم إلى التصديق به ، فأبوا حتى خافهم على مُلكه ، وهو في موضعه لم يتحرك ولم يوجف(٣) . وكان الذي خُبّر النبي ﷺ — عن تعبئته أصحابه ، ودُنوّه إلى أدنى الشام — باطلا(٤) ، ثم لم يُرِدْ ذلك هرقل ولا همّ به .

المشورة في السير إلى القتال

وشاور رسول الله ﷺ في التقدم ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن كنت أمرت بالمسير فسر ! فقال : لو أمرت ما استشرتكم فيه . قالوا : يا رسول الله ، إن للروم جموعاً كثيرة ، وليس بها أحد من أهل الإسلام ، وقد دنوتَ منهم حيث ترى ، وقد أفزعهم دُنوّك ، فلو رجعتَ هذه السنة حتى ترى ، أو يحدث الله لك في ذلك أمراً .

هبوب الريح لموت المنافق

وهاجت ريح شديدة بتبوك فقال عليه السلام : هذا لموت منافق عظيم النفاق ، فلما قدموا المدينة وجدوا منافقاً قد مات عظيم النفاق .

وأُتِيَ بجُبْنة فقالوا : هذا طعام تصنعه فارس ، وإنا نخشى أن يكون فيه مَيْتة ، فقال : ضعوا فيه السكين واذكروا اسم الله .

---

(١) زيادة للسياق من (الواقدي) ج ٣ ص ١٠١٨ .

(٢) كذا في (خ) ، و (الواقدي) ، وفي (ط) « حتى شبعوا » ، يقول محقق (ط) [ونهل لا يكون إلا للشراب بشربه الرجل حتى يروى ، فهو كالشبع من الطعام وذلك آثرنا تغيير الحرف ، فلعله من الناسخ أو المملى ، أخطأ] والقول : النهل من الطعام ما أكل ، راجع (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٤٥٣ .

(٣) في (خ) « يرجف » ، أوجف خيله : أسرع بها المسير .

(٤) في (خ) « باطل » .

النهي عن إخصاء الخيل

وأهدى إليه ﷺ رجل من قضاعة فرساً ، فأعطاه رجلا من الأنصار وأمر أن يربطه حياله ، استئناساً بصهيله . فلم يزل كذلك حتى قدم عليه السلام المدينة ففقد صهيله ، فسأل عنه صاحبه فقال : خصيته يا رسول الله ! فقال : مَه ! (١) فإن الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : وقام بتبوك إلى فرسه الظرب فعلّق عليه شعيره ومسحَ ظهره (٢) بردائه .

غزوة أكيدر بدومة الجندل

ثم كانت غزوة أُكَيْدِر بدومة الجندل ، بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد من تبوك في أربعمائة وعشرين فارساً — إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك بدومة الجندل في رجب ، وهي على ليال من المدينة . وكان أكيدر من كِندة قد ملكهم ، وكان نصرانياً . فقال خالد : يا رسول الله : كيف لي به وهو وَسَط بلاد كلب ، وإنما أنا في أناس يسير ؟ فقال ستجده يصيد البقر فتأخذه ! وقال : فلا تقتله وأت (٣) به إليّ ، فإن أبَى فاقتلوه ! فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له من الحر ، ومعه امرأته — الرباب بنت أنيف بن عامر — ، وقينته تغنيه وقد شرب ، فأقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن : فأشرفت امرأته فرأت البقر فقالت : من يترك هذا ؟ ! قال : لا أحد ! !

قال أكيدر : والله ما رأيت جاءتنا ليلا بقر غير تلك الليلة ! ولقد كنت أضمّر لها الخيل — إذا أردت أخذها — شهراً أو أكثر ، ثم أركب بالرجال وبالآلة .

فنزل فأمر بفرسه فأسرج ، وأمر بخيل فأسرجت ، وركب معه نفر من أهل بيته معه : أخوه حسان ومملوكان له . فخرجوا من حصنهم بمطاردهم (٤) ، وخيل خالد تنتظرهم : لا يصهل منها فرس ولا يتحرك ، فساعة فصل (٥) أخذته الخيل . وقاتل حسّان حتى قُتل عند باب الحصن : وهرب المملوكان ومن كان معهما . واستلب خالد بن الوليد حسّاناً قباءَ ديباج مخوّصاً بذهب ، فبعث [به] (٦) إلى رسول الله ﷺ مع عمرو بن أمية الضمري ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه ، فقال عليه السلام : تعجبون من هذا ! والذي نفسي بيده ، لمناديل سعد بن مُعاذ في الجنة أحسن من هذا !! وأسلم حُرَيث [بن عبد الملك ، أخو] (٧) أكيدر ، على ما في يده فسَلِمَ له .

---

(١) مه : اسم فعل أمر بمعنى « أكفف » .

(٢) في (خ) « مسح بظهره » .

(٣) في (خ) « ولا تقتله وأت » .

(٤) المطارد : جمع مِطْرَد : وهو الرمح القصير .

(٥) فصل : خرج .

(٦) زيادة للسياق من (الواقدي) ج ٣ ص ١٠٢٦ .

(٧) في (خ) « حريث أكيدر » ، وهذه الزيادة للسياق من (ط) .

فتـــح الحصن

وقال خالد لأكيدر : هل لك أن أجيرك من القتل حتى آتى بك رسول الله على أن تفتح لى دومة ؟ قال : نعم ! فانطلق به فى وثاق حتى أدناه من الحصن فنادى أهله : افتحوا باب الحصن ! فأرادوا ذلك ، فأبى عليهم مضادٌ (١) أخوه ، فقال أكيدر لخالد : تعلم والله لايفتحون لى ما رأونى فى وثاقك ، فخلّ عنى ، ولك الله والأمانة أن أفتح لك الحصن إن أنت صالحتنى على أهله . قال : فإنى أصالحك (٢) فقال أكيدر إن شئت حكّمتك وإن شئت حكّمتنى . قال خالد : بل نقبل منك ما أعطيت . فصالحه على ألفى بعير ، وثمانمائة رأس ، وأربعمائة درع ، وأربعمائة رمح — على أن ينطلق به وأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيهما حكمه . فخلّى سبيله ففتح الحصن ، ودخله خالد وأوثق مضاداً أخا أكيدر ، وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلاح .

الرجوع بأكيدر إلى المدينة

ثم خرج قافلا إلى المدينة ومعه أكيدر ومضادٌ ، وعلى أكيدر صليب من ذهب ، وعليه الديباج ظاهرٌ ، ومع خالد الخمس مما غنموا ، وصفىٌّ خالص لرسول الله ﷺ . وكانت السُّهمان خمس فرائض لكلّ رجل معه سلاح ورماح . فلما قدم بأكيدر ، صالحه رسول الله ﷺ على الجزية . وخلى سبيله وسبيل أخيه ، وكتب لهم أماناً وختمه بظُفره : لأنه لم يكن فى يده خاتم . وأهدى [أكيدر] (٣) إلى رسول الله ﷺ ثوب حرير ، فأعطاه علياً فقال . شقّقه خُمُراً (٤) بين الفواطم (٥) .

كتاب رسول الله لأكيدر

ونسخة الكتاب بعد البسملة (٦) : « هذا كتابٌ من محمد رسول الله لأكيدر ، حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام . مع خالد بن الوليد فى دومة الجندل وأكنافها : أن له (٧) الضاحية من الضحل والبور والمعامى

(١) فى (ط) « مصاد » وفى (الواقدى) « مضاد » .

(٢) بعد هذه العبارة وضع محقق (ط) عبارة [أهل الحصن قال أكيدر] وقال فى الهامش : « هذه الزيادة يوجبها السياق . ولم أجد الخبر » ونقول : « الخبر بتمامه بدون أية زيادة ، فى (المغازى للواقدى) ج ٣ ص ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ » .

(٣) زيادة للبيان من (ط) (٤) خُمُر . جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة .

(٥) الفواطم : أراد بهن فاطمة بنت رسول الله ، وفاطمة بنت أسد ، وفاطمة بنت حمزة . (النهاية) ج ٣ ص ٤٥٨ والحديث فى سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١١٨٩ — باب لبس الحرير والذهب للنساء حديث رقم ٣٥٩٦ .

(٦) سنعتمد فى تحقيقنا لنصوص كتب النبى ﷺ وشروحها اللغوية كتاب (مكاتيب الرسول) لعلى بن حسين على الأحمدى ، باختصار وتصرف يسير ، بالإضافة إلى كتاب (الأموال) لأبى عبيد .

(٧) فى (خ) ، وفى (الأموال) ، وفى (مكاتيب الرسول) « ولنا » وما أثبتناه من (ط) والضمير فى قوله « له » أى لخالد بن الوليد ، وبذلك يستقيم المعنى ، وانظر أيضاً (معجم البلدان) ج ٢ ص ٤٨٨

معانى المفردات : الضاحى : البارز . الضحل : الماء القليل . البور : الأرض التى لم تستخرج . المعامى : الأرض المجهولة . الأغفال : التى لا آثار فيها . الحلقة : الدروع . الحافر : الخيل والبراذين والبغال والحمير . الحصن : دومة الجندل . الضامنة : النخل الذى معهم فى الحصن . المعين : الظاهر من الماء الدائم . لا تعدل سارحتكم : أى لايصدقها المصدّق إلا فى مراعيهـا . لا تعد فاردتكم : أى لاتضم الفاردة إلى غيرها ثم يصدق الجميع فيجمع بين متفرق الصدقة . والسارحة : الماشية التى تسرح فى المراعى . والفاردة : الزائدة على فريضة الصدقات .

وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ، ولكم الضامنةُ من النخل والمعينُ من المعمور بعد الخمس ، لاتعدل سارحتكم ، ولاتعدّ فاردتكم ، ولايحظر عليكم النبات (١) ، ولا يؤخذ منكم إلا عشر الثبات (٢) . تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك العهدُ والميثاق ، ولكم بذلك الصدقُ والوفاء ، شهد الله ومن حضر من المسلمين » .

عودة أكيدر

وعاد أكيدر إلى حصنه . وقيل : إنه أسلم ثم ارتدّ ، فقتله خالد بن الوليد فى الردّة . وقيل : لما منع فى خلافة أبى بكر ما كان يؤديه إلى رسول الله ، أخرج من جزيرة العرب فى دومة ، فلحق بالجزيرة (٣) ، وابتنى بهـا — [قرب عين التمر] — بناءً سمّاه دومة .

قدوم يوحنا بن رؤبة وأهل أيلة

وخاف أهل أيلة (٤) وتيماء ، فقدم يوحنا بن رؤبة — ومعه أهل جرباء ، وأذرح — ، وعليه صليبٌ من ذهب ، وقد عقد ناصيته . فلما رأى النبىَّ عليه السلام ، كفّر (٥) وأومأ برأسه ، فأومأ إليه : [أن] (٦) ارفع رأسك ! وكساه بُرداً ، وأنزله عند بلال . فصالحهم عليه السلام ، وقطع عليهم الجزية ، فوضع على أهل أيلة ثلاثمائة دينار ، وكانوا ثلاثمائة رجل . وكتب لهم بعد البسملة :

كتابه ﷺ لأهل أيلة ويوحنا بن رؤبة

« هذه (٧) أمَنةٌ من الله ومحمد النبى رسول الله ليوحنا بن رؤبة وأهل أيلة : سفنهم وسيّاراتهم (٨) فى البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد النبى (٩) ، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن (١٠) أحدث منهم حدثاً فإنه لايحول ماله دون نفسه ، وإنه طيبٌ لمن أخذه من الناس . وإنه لايحلّ أن يمنعوا ماءً يردونه ، ولا طريقاً يريدونه ، من برٍّ أو بحرٍ . هذا كتاب جُهَيم بن الصّلت ، وشُرَحبيل بن حسنة ، بإذن رسول الله » .

(١) وفى (خ) « الثياب » ، وما أثبتناه من كتب السيرة .

(٢) فى (خ) « الثبات » — والثبات : النخل القديم « هامش (ط) » .

(٣) الجزيرة : هى جزيرة أقور ، بين دجلة والفرات ، كذا فى هامش (ط) ، وفى (معجم البلدان) ج ٢ ص ٤٨٨ . « ولحق بالحيرة ، وابتنى قرب عين التمر بناءً وسماه دومة » .

(٤) فى (خ) « والله »

(٥) كفّر : طأطأ رأسه فى خضوع وذلة .

(٦) زيادة للسياق .

(٧) فى (خ) « هذا » .

(٨) فى (خ) « وسائرهم » .

(٩) فى (خ) « رسول الله » .

(١٠) فى (خ) « ومن »

وقال الدولابي : أهدى أهل أيلة إلى النبي ﷺ القلقاس فأكله وأعجبه ، وقال : ماهذا ؟ فقالوا : شحمة الارض فقال : إن شحمة الارض لطيبة !

كتابه ﷺ إلى أهل جرباء

وكتب لأهل جرباء :

« هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل جرباء [وأذرح] (١) : أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل [عليهم] (٢) » .

كتابه ﷺ إلى اهل أذرح

ونسخة كتاب أذرح (٣) بعد البسملة :

« من محمد النبي [رسول الله] (٤) لأهل أذرح : أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين ، ومن لجأ [إليهم] (٥) من المسلمين من المخافة ، والتعزير إذا خشوا على المسلمين وهم (٦) آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه » (٧) .

كتابه ﷺ إلى أهل مقنا

وكتب لأهل مقنا : أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم ربع غزولهم وربع ثمارهم .

وكان عبيد بن ياسر بن نمير (٨) . ورجل من جذام قد قدما بتبوك وأسلما ، فأعطاهما ربع مقنا مما يخرج من البحر ومن الثمر من نخلها . وربع الغزل (٩) وأعطى عبيد بن ياسر مائة ضفيرة [يعني حلة] (١٠) لأنه كان فارساً ، والجذامي راجلا ، ثم قدما مقنا وبها يهود ، فكانت تقوم على فرسه ، وأعطاها ستين ضفيرة من ضفائر فرسه وأهدى عبيد للنبي ﷺ فرساً عتيقاً يقال له مراوح ، وقال : إنه سابق ! فأجرى عليه السلام الخيل بتبوك فسبق الفرس ، ثم أعطاه المقداد بن عمرو .

---

(١) زيادة من كتب السيرة .
(٢) زيادة من (ابن سعد) .
(٣) في (خ) « أدرج » .
(٤) كذا في (خ) وليس في كتب السيرة .
(٥) زيادة من (ابن سعد) .
(٦) في (خ) « فهم » .
(٧) قوله « وهم آمنون حتى يحدث محمد إليهم قبل خروجه » فكأنه جعل الخيار لرسول الله ﷺ في نقض العهد أو تغيير بعض شرائطه الى أن يخرج من تبوك لعدم الأمن من مكر اليهود وغوائلهم . (مكاتيب الرسول) ص ٢٩٦ .
(٨) في الإصابة : (عبيد بن يسر) .
(٩) في (خ) « المغزل » .
(١٠) كذا في (خ) .

تحريم النهبة

ومر عليه السلام بتبوك لحاجته ، فرأى أناساً مجتمعين على بعير قد نحره رافع بن مكيث الجهني ، وأخذ منه حاجته ، وخلى بين الناس وبينه ، فأمر أن يرد رافع مما أخذ الناس ثم قال : هذه نهبة لا تحل ! قيل : يارسول الله ، أن صاحبه أذن في أخذه ! فقال وإن أذن في أخذه .

أفضل الصدقة

وقال له رجل : أي الصدقة أفضل ؟ قال : ظل خباء في سبيل الله ، أو خدمة خادم في سبيل الله ، أو طروقة فحل (١) في سبيل الله .

وقال بتبوك : اقطعوا قلائد الإبل من الأوتار . قيل : يا رسول الله ! فالخيل قال . لا تقلدوها بالأوتار (٢) .

الحرس بتبوك

وكان قد استعمل على حرسه بتبوك عباد بن بشر . وكان يطوف في أصحابه بالعسكر مدة إقامته عليه السلام . فسمع صوت تكبير من ورائهم في ليلة . فإذا هو سلكان بن سلامة خرج في عشرة على خيولهم يحرسون الحرس . فقال ﷺ : رحم الله حرس الحرس في سبيل الله ، فلكم قيراط من الأجر على من حرستم من الناس جميعاً أو دابة .

وفد بني سعد هذيم

وقدم من بني سعد هذيم قوم فقالوا : يارسول الله ! إنا قدمنا عليك وتركنا أهلنا على بئر لنا قليل ماؤها وهذا القيظ ، ونحن نخاف إن تفرقنا أن نقتطع ، لأن الإسلام لم يفش حولنا ، فادع الله لنا في مائنا ، فإنا إن روينا به فلا قوم أعز منا ، لا يقربنا أحد مخالف لديننا . فقال : ابغوني حصيات ، فدفع إليه ثلاث حصيات فمركهن بيده ، ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيات إلى بئركم فاطرحوا واحدة واحدة وسموا الله . فانصرفوا ، ففعلوا ذلك لجاشت بئرهم بالرواء (٣) ، ونفوا (٤) من قاربهم من المشركين ووطئوهم . فما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك حتى أوطأوا من حولهم غلبة ، ودانوا بالإسلام .

الصيد في تبوك

واستأذنه رافع بن خديج في الصيد فقال ﷺ : إن ذهبت فاذهب في عدة من أصحابك ، وكونوا على خيل ، فإنكم متفرقون من العسكر . فانطلق في عشرة من الأنصار فيهم أبو قتادة — وكان صاحب طرد بالرمح ، وكان

---

(١) طروقة فحل : هي الناقة التي بلغت من السن أن يضربها الفحل للنتاج .
(٢) كذا في (خ) ورواية مسند أحمد ج ٤ ص ٣٤٥ « ولا تقلدوها الأوتار » بغير باء التعدية .
(٣) الرواء : الكثير .
(٤) في (خ) « ولموا » .

راقع رامياً — وأتوا بخمسة أحمرة وظباء كثيرة . فأمر عليه السلام راضاً لجعل يعطى القبيلة بأسرها الحمار والظبي حتى فرّق ذلك ، وصار لرسول الله ظبيٌ واحد ، فطبخه ، ودعا أضيافه فأكلوا .

آية الطعام يوم تبوك

وكان عرباض بن سارية يلزم باب رسول الله ﷺ في الحضر والسفر ، فرجع ليلة من حاجته بتبوك — وقد تعشّى عليه السلام ومن معه من أضيافه ، وهو يريد أن يدخل قبّته على أم سلمة — فلما رأى العرباض سأله عن غيبته فأخبره . ثم جاء جعال بن سراقة وعبد الله بن مغفّل المزنى — وهم ثلاثتهم جياع — ، فطلب عليه السلام في بيته شيئاً يأكله فلم يجده ، فنادى بلالا : هل من عشاء لهؤلاء النفر ؟ فقال : لا ، والذي بعثك بالحق ، لقد نفضنا جُربنا وحُسُنُتَنا (١) ! قال : أنظر ، عسى أن تجد شيئاً ! فأخذ الجربَ ينفضها جراباً جراباً ، فتقع التمرة والتمرتان حتى اجتمع سبع تمرات ، فوضعها عليه السلام في صحفة وسمى الله ، ثم قال : كلوا باسم الله ! فأكلوا . وأحصى عرباض أربعاً وخمسين تمرة أكلها يعدها ونواها في يده الأخرى ، وأكل كلٌّ واحد من الآخرين خمسين تمرة ، ورفعوا أيديهم ، فإذا التمرات السبع (٢) كما هي ، فقال : يا بلال ، ارفعها في جرابك ، فإنه لا يأكل منها أحدٌ حتى نَهِل شبعا ! فبات الثلاثة حول قبة رسول الله ﷺ فقام يتهجد على عادته ، فلما صلى بالناس الصبح جلس بفناء قبته وحوله عشرة من الفقراء ، فقال : هل لكم في الغداء ؟ فقال عرباضٌ في نفسه : أي غداءٍ ؟ فدعا بلالا بالتمر فوضع يده عليه في الصحفة ثم قال : كلوا باسم الله ! فأكلوا حتى شبعوا ، وإذا التمرات كما هي ، فقال عليه السلام لولا أني أستحيي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نردَ المدينة من آخرنا ! وأخذ التمرات فدفعها إلى غلامٍ ، فولّى الغلام يلوكهنّ .

موت ذى البجادين

ومات بتبوك عبد الله [بن عبد نهم المزنى] (٣) ذو البجادين (٤) . فنزل ﷺ قبره عشاءً وهياه لشقه ، وقد دلاه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . ثم قال : اللهم إني قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه ، فقال عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب هذا اللحد .

مدة الإقامة بتبوك

وأقام عليه السلام بتبوك عشرين ليلة — وقيل بضع عشر ليلة — يصلى ركعتين .

العسرة والجوع وآية النبوة

فلما أجمع المسيرَ أرمل الناس (٥) إرمالا شديداً ، فشخص على ذلك ، حتى استأذنوه أن ينحروا ركابهم فأذن

---

(١) الجرُب والحت : أسماء أوعية من الجلد .
(٢) في (خ) « فإذا السبع التمرات » .
(٣) زيادة للإيضاح من (ط)
(٤) لقب عبد الله بن نهم .
(٥) أرمل الناس : نفد زادهم

لهم . فلقيهم عمر رضى الله عنه وهم على نحرها ، فأمرهم أن يمسكوا ، ودخل على رسول الله ﷺ فقال : أذنت للناس في حمولتهم يأكلونها (١) ؟ فقال : شكوا إليّ مابلغ منهم من الجوع فأذنت لهم ، تنحر الرفقة البعير والبعيرين ، ويتعاقبون فيما فضل من ظهرهم ، هم قافلون إلى أهليهم ! فقال : يارسول الله ! لا تفعل ، فإن يك في الناسِ فضل من ظهرهم يكن (٢) خيراً ، ولكن ادع بفضل أزوادهم ، ثم اجمعها فادع الله فيها بالبركة — كما فعلت في منصرفنا من الحديبية حيث أرملنا — ، فإن الله مستجيب لك . فنادى مناديه : من كان عنده فضل زادٍ فليأت به . وأمر بالأنطاع فبسطت ، فجعل الرجُل يأتى بالمدّ الدقيق والسويق أو التمر ، أو القبضة من الدقيق والسويق والتمر (٣) ، والكسر ، فيوضع كلُّ صنفٍ على حدَته ، وكلُّ ذلك قليل . فكان جميعُ ماجاءوا به من الدقيق والسويق والتمر . ثلاثة أفرُق حَزْراً (٤) ثم توضأ وصلى ركعتين ودعا الله ، ونادى مناديه هلمّوا (٥) إلى الطعام خذوا منه حاجتكم ! فأقبل الناسُ فجعل كلٌّ من جاء بوعاءٍ ملأه ، فقال بعضُهم : لقد طرحتُ يومئذٍ كسرةً من خبز وقبضة من تمرٍ ، ولقد رأيت الأنطاع تفيضُ ، وجئت بجرابين فملأت أحدهما سويقاً والآخر خبزاً ، وأخذتُ في ثوبي دقيقاً ماكفانا إلى المدينة . فجعل الناس يتزودون حتى نهلوا من آخرهم ، حتى كان آخرَ ذلك أن أخِذَت الأنطاع ونثر ماعليها ، فجعل رسول الله ﷺ يقول وهو واقفٌ : أشهد أن لا إله إلا الله وأني عبده ورسوله ، وأشهد أنه لايقولها أحدٌ من حقيقة قلبه إلا وقاه الله حرَّ النار .

خبر النهى عن الماء وخلاف المنافقين

وأقبل قافلا حتى كان بين تبوك وواد يقال له وادى الناقة (٦) — وهو وادى المشقّق (٧) ، وكان فيه وشلٌ (٨) يخرج منه في أسفله قدر ما يروى الراكبين والثلاثة — فقال : من سبقنا إلى ذلك الوشل (٩) فلا يستقينّ منه شيئاً حتى نأتى . فسبق إليه أربعة من المنافقين : معتب بن قُشَير والحارث بن يزيد الطائى حليف بنى عمرو بن عوف (١٠) ، ووديعة بن ثابت ، وزيد بن اللصيتِ ؛ فقال عليه السلام : ألم أنهكم ؟ ! ولعنهم ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده في الوشل ، ثم مسحه بإصبعه حتى اجتمع منه في كفه ماءٌ قليل ، ثم نضحه به ، ثم مسحه بيده ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق الماءُ (١١) . قال معاذ بن جبل : والذى نفسى بيده ، لقد سمعت له من شدة انخراقه مثلَ

---

(١) الحمولة من الإبل . التى تحمل الأثقال
(٢) في (خ) « يكون .
(٣) في (خ) « والسمن » وما أثبتناه من (ط) .
(٤) في (خ) « أفراق » والفرَق : ستة عشر رطلا .
(٥) كذا في (خ) ، والأولى : « هلمّ » ، راجع (بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروزابادى جـ ٥ ص ٤٢١ .
(٦) يقول محقق (ط) [لم أجد من سمى هذا الوادى « وادى الناقة » في غير هذا الكتاب] . ونقول : (راجع الخبر بتمامه في (المغازى) [جـ ٣ ص ١٠٣٩] .
(٧) في (خ) (المشقق » .
(٨) الوَشَل : الجبل أو الصخرة يقطر منه الماء قليلا .
(٩) رواية الواقدى ص ١٠٣٩ « إلى ذلك الوشل » .
(١٠) يقول محقق (ط) : [لم أجد ذكر الحارث بن يزيد هذا] ونقول : [أنظر المرجع السابق] .
(١١) انخرق الماء : السح والدفق .

الصواعق ! فشرب الناس ما شاءوا ، وسقوا ما شاءوا ؛ ثم قال عليه السلام : لئن بقيتم — أو من بقى منكم — لتسمعن بهذا الوادى وهو أخصب ما(١) بين يديه وما خلفه ، فقال سلمة بن سلامة بن وقش لوديعة بن ثابت : ويلك(٢) ! أبعد ما ترى شىء(٣) ؟ أما تعتبر ! فقال : قد كان يفعل مثل هذا قبل هذا .

خبر أبى قتادة

ثم سار عليه السلام ، وعن أبى قتادة قال : بينما نحن فى الجيش نسير مع رسول الله ﷺ ليلا — وهو قافل وأنا معه — إذ خفق خفقة(٤) وهو على راحلته فمال على شقه ، فدنوت منه فدعمته(٥) فانتبه ، فقال : من هذا ؟ قلت : أبو قتادة يا رسول الله ، خفت أن تسقط فدعمتك ، فقال : حفظك الله كما حفظت رسوله ، ثم سار غير كبير ثم فعل مثلها ، فأدعمه فانتبه ، فقال : يا أبا قتادة ، هل لك فى التعريس(٦) ؟ فقلت : ما شئت يا رسول الله .

التعريس ، والنوم عن الصلاة

فقال : أنظر من خلفك ؟ فنظرت فإذا رجلان أو ثلاثة ، فقال : ادعهم ، فقلت ، أجيبوا رسول الله ! فجاءوا فعرسنا ، ونحن خمسة برسول الله ﷺ ، ومعى إداوة فيها ماء : فنمنا فما انتبهنا إلا بحر الشمس ، فقلت : إنا لله ! فاتنا الصبح ! فقال رسول الله ﷺ . لنغيظن الشيطان كما غاظنا ! فتوضأ من ماء الإداوة ففضل فضلة ، فقال : يا أبا قتادة ، احتفظ بما فى الإداوة والركوة(٧) فإن لهما شأناً . ثم صلى بنا الفجر بعد طلوع الشمس ، فقرأ بالمائدة .

ظمأ الجيش بتبوك

فلما انصرف من الصلاة قال : أما إنهم لو أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا . وذلك أنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما(٨) ، فنزلوا على غير ماء بفلاة(٩) من الأرض . فركب رسول الله ﷺ . فلحق الجيش عند زوال الشمس — ونحن معه — ، وقد كادت تقطع أعناق الرجال والخيل والركاب عطشاً .

آيات النبوة فى الماء بتبوك

فدعا بالركوة فأفرغ ما فى الإداوة فيها ، فوضع أصابعه عليها فنبع الماء من بين أصابعه . وأقبل الناس

(١) فى (خ) « مما » وهى رواية (الواقدى)
(٢) فى (خ) « ونك » .
(٣) فى (خ) « شيئاً » .
(٤) خفق خفقة : نام نومة خفيفة فحرك رأسه من مس النوم .
(٥) دعمه : أسنده .
(٦) التعريس : الاستراحة فى السفر مع النوم القليل .
(٧) الركوة : إناء صغير من جلد .
(٨) فى (خ) [علبل عليهما] .
(٩) فى (خ) « بفلادة » ، والفلاة : الأرض الواسعة التى لا ماء فيها ولا أنيس .

فاستقوا ، وفاض الماء حتى ترووا وأرووا خيلهم وركابهم ، وإن كان فى العسكر إثنا عشر ألف بعير — ويقال خمسة عشر ألف بعير — والناس ثلاثون ألفاً ، والخيل عشرة آلاف فرس ؛ وذلك قول النبى ﷺ لأبى قتادة إحتفظ بالركوة والإداوة .

وكان فى تبوك أربعة أشياء(١) : فبينا رسول الله ﷺ يسير منحدراً إلى المدينة — وهو فى قيظ شديد — عطش العسكر بعد المرتين الأوليين عطشاً شديداً ، حتى لا يوجد للشفة ماء قليل ولا كثير ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأرسل أسيد بن حضير — فى يوم صائف وهو متلثم — فقال : عسى أن تجد لنا ماء ! فخرج أسيد — وهو فيما بين الحجر وتبوك — فجعل يضرب فى كل وجه ، فيجد راوية من ماء مع امرأة من بلى ، فكلمها وخبرها خبر رسول الله ﷺ ، فقالت : هذا الماء ، فانطلق به ، فدعا فيه ﷺ بالبركة ، ثم قال : هلموا(٢) أسقيتكم ! فلم يبق معهم سقاء إلا ملأوه ، ثم دعا بركابهم وخيولهم فسقوها حتى نهلت . ويقال إنه ﷺ أمر بما(٣) جاء به أسيد فصبه(٤) فى قعب عظيم من عساس(٥) أهل البادية ، فأدخل فيه يديه وغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم صلى ركعتين ، ثم رفع يديه مداً ، ثم انصرف وإن القعب ليفور ، فقال للناس(٦) ردوا ، فاتسع الماء وانبسط للناس ، حتى يصف عليه المائة والمائتان ، فارتووا وإن القعب ليجيش بالرواء . ثم راح مبرداً متروياً(٧) من الماء .

كيد المنافقين بإلقاء رسول الله ﷺ من الثنية

ولما كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق مكر به أناس من المنافقين ، وائتمروا أن يطرحوه من عقبة ، فلما بلغ تلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه فأخبر خبرهم ، فقال للناس(٦) ، اسلكوا بطن الوادى فإنه أسهل لكم وأوسع . فسلك الناس بطن الوادى ، وسلك ﷺ العقبة ، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها ، وأمر حذيفة بن اليمان يسوق خلفه ، فبينا رسول الله ﷺ يسير فى العقبة ، إذ سمع حس القوم قد غشوه فغضب وأمر حذيفة أن يردهم ؛ فرجع إليهم فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن فى يده ، فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس ، وأتى حذيفة فساق به . فلما خرج من العقبة ونزل الناس قال : يا حذيفة ، هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم ؟ قال : يا رسول الله ، عرفت راحلة فلان وفلان ، وكان القوم متلثمين فلم أعرفهم من أجل ظلمة الليل .

(١) فى (خ) « أشياء » وما أثبتناه من (ط) .
(٢) كذا فى (خ) والأولى « هلم » ، فيها نزل القرآن .
(٣) فى (خ) « بماء » .
(٤) فى (خ) « وصبه »
(٥) العساس : جمع عس : وهو قدح ضخم .
(٦) فى (خ) « فقال الناس » .
(٧) من الإبراد والرى .

وقال ابنُ قتيبة(١) إن الذين همّوا بالنبي ﷺ عبد الله بن أبي [ابن سلول] ، وسعد بن أبي سرح : [وهو الذي كان يكتبُ لرسول الله ﷺ وكان «غفور رحيم» ، «عزيز حكيم»] ، وأبو حاضر الأعرابيّ ، والجُلاس بن سويد [بن صامت] ، ومُجَمِّع بن جارية(٢) ، ومُليح التَّيْمي : [وهو] الذي سرق طيب الكعبة وارتد [عن الإسلام] وانطلق فلا يدرى أين ذهب ، وحِصْن بن نُمير : [وهو الذي أغار على تمر الصدقة فسرقه] ، وطُعيمة بن أُبيرق ، ومُرّة بن ربيع ، [وكان أبو عامر رأسهم ، وله بنَوا مسجد الضرار ، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة](٣) . واعترض عليه بأن ابن أبي لم يشهد تبوك ، وأن أبا عامر فرّ عن النبي ﷺ قبل هذا .

أصحاب مسجد الضرار

وأقبل ﷺ نزل بذي أوان : ـ بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ـ ، وقد كان جاءه أصحاب مسجد الضرار(٤) ، وهم خمسة : مُعَتِّب بن قشير ، وثعلبة بن حاطب ، وخِذام(٥) بن خالد ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وعبد الله بن نَبْتَل بن الحارث ، فقالوا : يا رسول الله ، إنّا رُسُل مَنْ خلفنا من أصحابنا ، إنا قد بنينا مسجداً لذي العِلّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، ونحن نحب أن تأتينا فتصلي فيه ! وكان يتجهز إلى تبوك ، فقال : إني على جناح سَفرٍ وحالِ شغل ـ [أو كما قال ﷺ](٦) ، ولو قدِمْنا ـ إن شاء الله ـ أتيناكم فصلينا بكمْ فيه .

الوحي بخبر المسجد وإرصاده لأبي عامر الفاسق

فلما نزل بذي أوان أتاه(٧) خبر المسجد(٨) وخبر أهله من السماء ، وكانوا إنما بنوه [يريدون ببنائه السُّوآى ، ضراراً لمسجد رسول الله ﷺ ، وكفراً بالله ، وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لأبي عامر الفاسق](٩) ، قالوا بينهم : يأتينا أبو عامر فيتحدث عندنا فيه ، فإنه يقول : لا أستطيع أن آتي مسجد بني عمرو بن عوف ، إنما أصحابُ محمد يلحظوننا بأبصارهم . يقول الله تعالى : «وإرصاداً لمن حاربَ اللهَ ورسوله» يعني أبا عامرٍ .

---

(١) راجع كتاب المعارف لابن قتيبة بتحقيق الدكتور ثروت عكاشة . طبعة دار المعارف بمصر ص٣٤٣ باب [أسماء المنافقين الذين أرادوا أن يلقوا رسول الله ﷺ من الثنية في غزوة تبوك] ، وما بين الأقواس زيادات منه .
(٢) في (خ) «محمد بن جارية» ، وفي (ابن قتيبة) «مجمع بن حارثة» .
(٣) في (خ) مكان ما بين القوسين «وأبو عامر» .
(٤) ويسمى أيضاً مسجد الشقاق .
(٥) في (خ) «خدام» .
(٦) زيادة من كتب السيرة .
(٧) في (خ) «أتاه أتاه» مكررة
(٨) في (خ) «أتاه خبره» وما أثبتناه من (ط) أبين للسياق .
(٩) زيادة للسياق من تفسير الطبري عند الآية ١٠٧ / التوبة .

التقاط ماسقط من المتاع

وكانوا قد أنفروا برسول الله ﷺ فسقط بعض متاع رحله ، فكان(١) حمزة بن عمرو الأسلميّ يقول : فنور لي في أصابعي الخمسُ(٢) ، فأضاءت حتى كنّا نجمع ماسقط ، السَّوطَ والحبلَ وأشباههما ، حتى ما بقى من المتاع شيءٌ إلا جمعناه . وكان [حمزة بن عمرو الأسلمي](٣) قد لحق برسول الله ﷺ بالعقبة .

أمر المنافقين

فلما أصبح [رسول الله ﷺ](٣) قال له أسيد بن الحضير : يا رسول الله ، ما منعك البارحة من سلوك الوادي ، فقد كان أسهل ؟ فقال : يا أبا يحيى ! أتدرى ما أراد البارحة المنافقون وما همّوا به ؟ قالوا : نتبعه في العقبة ، فإذا أظلم الليل عليه قطعوا أنساع(٤) راحلتي ونخسوها حتى يطرحوني عن راحلتي ؟

مشورة أسيد بن الحضير في قتل المنافقين

فقال أسيد : يا رسول الله ، فقد اجتمع الناسُ ونزلوا ، فمُرْ كلَّ بطن أن يقتلَ الرجلَ الذي همّ بهذا ، فيكون الرجل الذي يقتله من عشيرته ، وإن أحببتَ فنبئني بهم ، فوالذي بعثك بالحق لا تبرحُ(٥) حتى آتيك برءوسهم ، وإن كانوا في النَّبيتِ(٦) كفيتهم ، وأمرتَ سيد الخزرج فكفاك من ناحيته ، فإن مثل هؤلاء لا يتركون يا رسول الله ! حتى متى نداهنهم ، وقد صاروا اليوم في القلة والذلة وضرب الإسلام بجرانه ؟ ! فما تستبقي من هؤلاء ؟ قال : يا أسيد ، إني أكرهُ أن يقول الناسُ إن محمداً ـ لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين ـ وضع يده في قتل أصحابه ! فقال : يا رسول الله ، وهؤلاء ليسوا بأصحاب ! قال : أوليس يُظهرون شهادة ألا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولا شهادة لهم ! قال : أو ليس يظهرون أني رسول الله ؟ قال بلى ، ولا شهادة لهم ! قال : فقد نُهيتُ عن قتل أولئك .

عدة أهل العقبة أصحابِ الكيد

وكان أهلُ العقبة الذين أرادوا ما أرادوا ـ ثلاثة عشر رجلاً ، قد سمّاهم رسول الله ﷺ لحذيفة وعمّارٍ . وقيل : أربعة عشر ، وقيل : خمسة عشر ، وقيل : اثنى عشر ، وهو الثَّبْت .

---

(١) في (خ) «وكان» .
(٢) في (خ) «الخمسة» .
(٣) زيادة للبيان من (ط) .
(٤) الأنساع : قال في (النهاية) جمع نسعة ، وهي سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره .
(٥) في (خ) «وإن أحببت والذي بعثك بالحق فنبئني بهم فلا تبرح» وهي رواية (الواقدي) وما أثبتناه من (ط) .
(٦) النبيت : لقب عمرو بن مالك جد الأوس .

هدم المسجد وتحريقه

فدعا رسول الله ﷺ عاصم بن عدي العجلاني ، ومالك بن الدخشم السالمي ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه ثم حرّقاه . فخرجا مريعين - على أقدامهما - حتى أتيا مسجد بني سالم [بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم] (١) ، فقال مالك لعاصم : انظرني (٢) حتى أخرج (٣) إليك بنار من أهلي فدخل إلى (٤) أهله فأخذ سعفاً من النخيل وأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يعدوان حتى انتهيا إليهم بين المغرب والعشاء وهم فيه ، وإمامهم مجمّع بن جارية ، فأحرقاه ، - وثبت من بينهم زيد بن جارية بن عامر حتى احترقت أليته (٥) - ، وهدماه حتى وضعاه بالأرض .

هجران أرض المسجد وشؤم أخشابه

فلما قدم ﷺ المدينة عرض على عاصم بن عدى المسجد يتخذه داراً ، فقال : ما كنت لأتخذ مسجداً قد نزل فيه ما نزل داراً ! فأعطاه ثابت بن أقرم (٦) وأخذ أبو لبابة بن عبد المنذر خشباً من مسجد الضرار - كان قد أعانهم به ، وكان غير مغموص عليه في النفاق - فبنى به منزلاً له ، فلم يولد له في ذلك البيت مولود ، ولم يقف فيه حمام ، ولم تحضن فيه دجاجة قط .

عدة من بنى مسجد الضرار

وكان الذين بنوا مسجد الضرار إثنى عشر (٧) رجلا : جارية بن عامر بن مجمّع (٨) بن العطاف - وهو حمار الدار - ، وابناه (٩) مجمّع بن جارية ، [وزيد بن جارية] (١٠) ، ووديعة بن ثابت ، وعبد الله بن نبتل (١١) ، ونجاد بن عثمان ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، ومعتب بن قشير ، وعباد بن حنيف ، وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد ، وخزام (١٢) بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ، [وبخزج من بني ضبيعة] (١٣) .

من خبر المنافقين أصحاب المسجد

وقال رسول الله ﷺ : زمام خير من خزام ، وسوط خير من نجاد : وكان عبد الله بن نبتل يستمع حديث

---

(١) زيادة من ابن هشام . (٢) أنظرني : انتظرني .
(٣) في (خ) « حتى أخرج حتى أخرج » مكررة .
(٤) في (خ) « فدخل على أهله » و « إلى أهله » حق المعنى .
(٥) الألية : العجيزة . (٦) في (خ) « أقدم » . (٧) في (خ) « إثنا عشر » .
(٨) في (خ) « جارية بن عمرو بن العطاف » وما أثبتناه هو ما اتفقت عليه كتب التراجم والسير .
(٩) في (خ) « وابنه » ، والمثنى أولى .
(١٠) زياده من (ابن هشام) ج ٤ .
(١١) في (ابن هشام) ج ٤ « ونبتل بن الحارث من ضبيعة » ولم يذكر « عبد الله بن نبتل » .
(١٢) في (خ) « خدام » .
(١٣) زيادة من (ابن هشام) ج ٤ ، وبها تم عدة من بني مسجد الضرار .

رسول الله ﷺ ثم يأتي به المنافقين ، فقال جبريل : يا محمد ! إن رجلا من المنافقين يأتيك فيستمع حديثك ، ثم يذهب به إلى المنافقين ، فقال : أيهم (١) هو ؟ قال : الرجل الأسود ذو الشعر الكثير ، الأحمر العينين ، كأنهما قدران من صفر ، كبده كبد حمار وينظر بعين شيطان .

ما نزل فيهم من القرآن

وفيهم نزل قوله تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين (٢) » .

وأرادوا ببنائه : أنهم كانوا يجتمعون في المسجد فيتناجون فيما بينهم ، ويلتفت بعضهم إلى بعض ، فيلحظهم المسلمون بأبصارهم ، فشق ذلك عليهم ، وأرادوا مسجداً يكونون فيه لا يغشاهم فيه إلا من يريدون ممن هو على مثل رأيهم . وكان أبو عامر يقول : لا أقدر أن أدخل مربدكم هذا (٣) ! وذلك أن أصحاب محمد يلحظونني وينالون مني ما أكره . فقالوا : نحن نبني مسجداً تتحدث فيه عندنا

المتخلفون عن تبوك

[وقد كان تخلف عن رسول الله ﷺ رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك الأنصاري السلمي ، ومرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية الواقفي فقال رسول الله ﷺ : لا تكلمن أحداً من هؤلاء الثلاثة ! فاعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة] (٤) . وأجمع كعب بن مالك أن يصدق رسول الله ﷺ .

مقدمه إلى المدينة ودعاؤه ﷺ

فقدم ﷺ المدينة في رمضان ، فقال : الحمد لله على ما رزقنا في سفرنا هذا من أجر وحسبة ومن بعدنا شركاؤنا فيه . فقالت عائشة رضي الله عنها . أصابكم العسر (٥) وشدة السفر ، ومن بعدكم شركاؤكم فيه ؟ فقال : إن بالمدينة لأقواماً ما سرنا من مسير ، ولا هبطنا وادياً إلا كانوا معنا ، حبسهم المرض ، أو ليس الله يقول

---

(١) في (خ) « أيهم » .
(٢) الآيتان ١٠٧ و ١٠٨ / التوبة ، وفي (خ) « الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً » ، إلى قوله تعالى : والله يحب المطهرين .
(٣) المربد : فناء وراء البيوت ، ربما حبست فيه الغنم فبناه رسول الله ﷺ مسجداً ، ولكن عدو الله الفاسق كان يسمى المسجد باسم ما كان عليه أولا .
(٤) ما بين القوسين ساقط في (خ) وأثبتناه من (ابن هشام) ج ٤ ص ١٢٩ .
(٥) في (خ) « أصابكم السفر » وهي رواية (الواقدي) عن عائشة . أنظر (المغازي) ج ٣ ص ١٠٥٦ ، وما أثبتناه من (ط) .

فى كتابه «وما كان المؤمنون لينفروا كافة»[1] ؟ فنحن غزاتهم وهم قَعَدتنا[2] ، والذى نفسى بيده ، لدعاؤهم أنفذ فى عدونا من سلاحنا !!.

دخول المسجد والنهى عن كلام المتخلفين

ولما قدم بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس . فجاء المخلفون فجعلوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، - وكانوا بضعة وثمانين رجلا - ، فقبلَ منهم علانيتهم وأيمانهم . وقيل : بل خرج[3] عامّة المنافقين إليه بذى أوان ، فقال : لا تكلموا أحداً عن تخلف عنا ، ولا تجالسوه حتى آذن لكم ، فلم يكلموهم .

المعذرون وقبول أعذارهم

فلما قدم المدينة جاءه المعذرون يحلفون له ، فأعرض عنهم وأعرض المؤمنون ، حتى إن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وعمه ، فجعلوا يأتون النبى ﷺ ويعتذرون بالحمّى والأسقام ، فيرحمهم ويقبل علانيتهم وأيمانهم ، وحلفوا فصدّقهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله .

خبر كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين خلفوا

وجاء كعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد ، فلما سلم عليه تَبَسَّمَ تبسمَ المغضب ثم قال : تعالَ ! فجاء حتى جلس بين يديه ، فقال : ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك[4] ؟ فقال : بلى يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنّى سأخرج من سخطهِ بعذر ، لقد أعطيت جدلا ، ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كاذباً لترضى عنى ، ليوشكنَّ الله أن يسخط علىَّ ، ولئن حدثتك اليوم حديثاً صادقاً تجد علىّ[5] فيه ، إنى لأرجو عقبىَ الله فيه . لا والله ما كان لى عذرٌ ! والله ما كنت أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك ! فقال عليه السلام : أمّا أنت فقد صدقت ! فقم حتى يقضىَ الله فيك .

فقام ومعه رجال من بنى سلمة ، فقالوا له : والله ما علمناك كنت أذنبتَ ذنباً قبل هذا ! ولقد عجزت ألا تكونَ اعتذرتَ بما اعتذرَ به المخلفون ، قد كان كافيكَ ذنبك استغفار رسول الله لك . حتى كاد أن يرجع فيكذّب نفسه ، فلقيه معاذ بن جبلَ وأبو قتادة[6] فقالا : لا تطع أصحابَك وأنت على الصدق ، فإن الله سيجعل لك فرجاً ومخرجاً إن شاء الله تعالى ، فأما هؤلاء المعذرون ، فإن كانوا صادقين فسيرى الله ذلك ويعلم نبيه ، وإن كانوا على غير ذلك يذمهم أقبح الذم ويكذّب حديثهم فقال لهما : هل أتى هذا (أحدٌ)[7] غيرى ؟

---

(١) من الآية ١٢٢ / التوبة .

(٢) القعدة : جمع قاعد ، وهو الذى قعد عن الغزو .

(٣) فى (خ) « بلخرج » .

(٤) الظهر : الركاب التى تحمل الأثقال .

(٥) تجد على : تغضب على .

(٦) فى (خ) « وأبا قتادة » .

(٧) زيادة من (ابن هشام) ج ٤ .

قالا : نعم ! رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ! قال : من هما ؟ قالا : مرارة بن ربيع العمرىّ وهلال بن أمية الواقفىّ .

النهى عن كلام الثلاثة وتمام أخبارهم

ونهى رسول الله ﷺ عن كلام الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبهم الناس وتغيّروا لهم ، حتى تنكرّت لهم أنفسهم ، فلبثوا على ذلك خمسين ليلة . وقد قعد مرارة وهلالٌ فى بيوتهما ، وكان كعب يخرجُ فيشهد الصلوات مع المسلمين ويطوف بالأسواق فلا يُكلّمه أحد . ويأتى رسول الله ﷺ — وهو فى مجلسه بعد الصلوات — فيسلم عليه ويصلى قريباً منه يُسارقهُ النظر وهو معرض عنه .

وتسَوَّرَ يوماً جدار حائط أبى قَتادة — وهو ابن عمه وأحبُّ الناس إليه — فسلم عليه فلم يردَّ عليه السلام ، فقال : يا أبا قتادة ! أنشُدُك الله ! هل تعلمنى أحبُّ الله ورسوله ؟ فسكت ، وكرر ذلك فقال فى الثالثة : الله ورسوله أعلم ! ففاضت عيناه وانصرف : فلما مضت أربعون ليلة بعث إليه رسول الله ﷺ — وإلى هلال بن أميه ومُرارة بن ربيع — مع خزيمة بن ثابت يأمرهم أن يعتزلوا نساءهم ؛ فقال كعبٌ لامرأته : الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض !!

هلال بن أمية

وبكى هلال بن أمية وامتنع عن الطعام ، وواصل اليومين والثلاثة ما يذوق طعاماً ، إلا أن يشرب الشَّربة من الماء أو الضَّيْح[1] من اللبن ، ويصلى الليل ولم يخرج من بيته لأن أحداً لا يكلمه ، حتى إن الولدان يهجرونه لطاعة رسول الله ﷺ . وجاءت امرأته فقالت : يارسول الله ، إن هلال بن أمية شيخٌ كبيرٌ ضائعٌ لاخادم له ، وأنا أرفقُ به من غيرى ، فإن رأيتَ أن تدعنى أخدُمُه فعلتُ ! قال : نعم ، ولكن لا تدعيه يصل إليك ، فقالت : يارسول الله ، ما به من حركة إلىّ ! والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . وإن لحيته لتقطر دموعاً الليل والنهار ولقد ظهر البياض على عينيه حتى تخوّفتُ أن يذهب بصره .

التوبة على الثلاثة وما نزل من القرآن

فلما كملت خمسون ليلة — وهم كما قال الله تعالى : «حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحُبت وضاقت عليهم أنفسهم» — أنزل الله توبتهم بقوله تعالى : «لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العُسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوبُ فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إن الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»[2] .

---

(١) فى (خ) « النصيح » ، والضيح : اللبن يصب عليه الماء حتى يرق .

(٢) الآيات ١١٧ ـ ١١٩ / التوبة ، وفى (خ) « الأنصار » الآيات .

فأعلم رسول الله ﷺ بذلك عند الصُّبح . فخرج أبو بكر رضى الله فأرقى على سَلْع (١) فصاح : قد تاب الله على كعب بن مالك ! يبشره . فأتاه حمزة بن عمرو فبشره ، فنزع ثوبيه وكساهما إياه ، ولا يملك غيرهما ، واستعار ثوبين من أبي قتادة فلبسهما ، ثم انطلق إلى رسول الله والناس يهنئونه ، وخرج أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل إلى هلال بن بشرى فلما أخبره سجد ولقيه الناس يهنئونه ، فما استطاع المشى — لما أصابه من الضعف والحزن والبكاء — حتى ركب حماراً . وبشَّر مرارة بن ربيع سلكان بن سلامة ابن وقش ، فأقبل حتى توافدوا عند النبي ﷺ .

إنخلاع كعب من ماله

فقام طلحة بن عبيد الله يتلقى كعب بن مالك . فلمَّا سلَّم على رسول الله ﷺ قال له — ووجهه يبرق من السرور — : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ! فقال : أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال : من عند الله ، وتلا عليه الآيات (٢) فقال كعب : يارسول الله ، إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة ! فقال : أمسك عليك [بعض] (٣) مالك فهو خير لك . قال : فالثلثان ؟ قال : لا ، قال : فالنصف (٤) ؟ قال : لا ، قال : فالثلث (٥) ؟ قال : نعم .

مانزل فى المعذرين الكاذبين

ونزل فى الذين كذبوا قوله تعالى : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجسٌ ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإنَّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » (٦) .

توهم المسلمين انقطاع الجهاد

وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون . قد انقطع الجهاد ! فجعل أهل القوى منهم يشتريها لفضل قوَّته ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فنهاهم عن ذلك وقال : لاتزال (٧) عصابة من أمتى ظاهرين يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجَّال :

مانزل من القرآن فى تبوك

وأنزل الله فى غزوة تبوك : « يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثَّاقلتم إلى الأرض

(١) سلع : جبل بسوق المدينة .
(٢) أى الآيات ١١٧ — ١١٩ / التوبة .
(٣) زيادة لا بد منها من (ابن هشام) ج ٤ .
(٤) فى (خ) « بالنصف » .
(٥) فى (خ) « بالثلث » .
(٦) الآيتان ٩٥ — ٩٦ / التوبة ، وفى (خ) .
(٧) فى (خ) « لا تزل » .

أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل » (١) ؛ الآيات من سورة براءة (٢) . وكشفت « براءة » منهم ما كان مستوراً ، وأبدت أضغانهم ونفاق من نافق منهم .

وفد ثقيف وإسلام عروة بن معتب

وفى شهر رمضان هذا قدم وفد ثقيف .

وكان عروة بن مسعود بن معتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفى — حين حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف — بجُرش ، ثم رجع بعد منصرف رسول الله ﷺ ، فقذف الله فى قلبه الإسلام . فقدم المدينة بعد رجوع أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من الحج ، فيما ذكر عروة بن الزبير وموسى بن عقبة . وقيل : بل لحق رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فأسلم ، وهو قول ابن اسحق .

دعاؤه ثقيف

ثم إنه (٣) أراد أن يرجع إلى ثقيف فيدعوهم إلى الإسلام ، فقال له عليه السلام . إنهم إذاً قاتلوك : [قال : لأنا أحبُّ إليهم من أبكار أولادهم ! ثم استأذنه الثانية ، ثم الثالثة ، فقال : إن شئت فأخرج] (٤) ، وعاد إلى الطائف عِشاءً ، فدخل منزله ولم يأت الرَّبَّة (٥) ، فأنكر قومه ذلك ، وأتوه منزله ، فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه وآذوه ، وخرجوا يأتمرون مايصنعون به . حتى إذا طلع الفجر أوفى على غُرفة فأذَّن بالصلاة ، فرماه وهب بن جابر — ويقال : أوس بن عوف من بنى مالك — فأصاب أكحله فلم يرقأ دمه ، ومات ، فلما بلغ رسول الله ﷺ قتله قال : مَثَلُ عروة مَثَلُ صاحب ياسين (٦) ، دعا قومه إلى الله تعالى فقتلوه ! ولحق إبنه أبو مُليح وابن أخيه قاربُ بن الأسود برسول الله ﷺ فأسلما ، ونزلا على المغيرة بن شعبة .

مشورة ثقيف عمرو بن أمية

وكان عمرو بن أمية — أحد بنى عِلاج — من أدهى العرب ، وكان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو ، فمشى إليه ظهراً حتى دخل داره . [ثم أرسل إليه : إن عمرو بن أمية يقول لك : أخرج إلىّ ! فقال عبدُ ياليل للرسول : ويلك ! أعمروٌ أرسلك إلىّ ؟ قال : نعم ، وهاهو ذا واقفاً فى دارك ! فقال : إن هذا شىء ماكنت أظنه ، لعمرو كان أمنع فى نفسه من ذلك !] (١) فخرج إليه ، فدعاه إلى الدخول فى الإسلام ، [وقال له : إنه قد نزل بنا أمرٌ

(١) الآية ٣٨ / التوبة . ، وفى (خ) إلى قوله تعالى : « إلى الأرض » .
(٢) براءة : اسم من أسماء سورة التوبة ، وأكثرها نزل فى تبوك .
(٣) فى (خ) « وإنه » .
(٤) ما بين القوسين زيادة من كتب السيرة .
(٥) الربة : صخرة تعبدها ثقيف بالطائف .
(٦) هو الذى يقول الله فيه « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين » الآيات من ٢٠ — ٣٠ سورة يس .

ليست معه هجرة ! إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد أسلمت العرب كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم !] (١) فقال [عبد ياليل] (١) : والله قد رأيت ما رأيت ، فائتمرت ثقيف فيمن يرسلونه إلى النبي ﷺ .

وفد ثقيف والأحلاف

حتى أجمعوا على أن يبعثوا [عبد ياليل بن عمرو بن عمير ورجلين [معه] (٢) من الأحلاف . وثلاثة من بنى مالك ، فبعثوا عبد ياليل [ومعه] الحكم بن عمرو بن وهب بن معتّب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة — وهما من الأحلاف رهط عروة بن مسعود — ؛ وبعثوا من بنى مالك : عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد ابن دُهمان أخا بنى يسار ، وأوس بن عوف ، ونمير بن خرشة بن ربيعة ، ستة نفر ، ويقال إن الوفد قد كانوا بضعة عشر رجلا فيهم : سفيان بن عبد الله ، والحكم بن عمرو بن وهب .

مقدم الوفد إلى المدينة

فخرجوا — ورأسهم عبد ياليل — حتى قاربوا المدينة فإذا المغيرة بن شعبة يرعى فى نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ — وكانت رعيتها نوباً على أصحابه — فسلم عليهم وترك الركاب عندهم ، وخرج يشتد يبشر النبي ﷺ بقدومهم ، فبشّره ثم عاد إليهم . فأتوا إلى المسجد فقال الناس : يارسول الله ! يدخلون المسجد وهم مشركون ؟ فقال : إن الأرض لاينجسها شيء .

ضيافة الوفد

ثم أنزلهم المغيرة فى داره ، وأمر لهم عليه السلام بخيمات ثلاث من جريد فضُرِبن فى المسجد . فكانوا يستمعون القراءة بالليل وتهجّد الصحابة ، وينظرون صفوفهم فى الصلوات المكتوبات ، ويرجعون إلى منزل المغيرة فيطعمون ويتوضأون . وكان رسول الله ﷺ يجرى لهم الضيافة فى دار المغيرة فكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد بن سعيد بن العاص ، فإنه كان يمشى بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى أسلموا .

بعض اعتراضهم

وكانوا يسمعون خطبة رسول الله ﷺ ولا يسمعونه يذكر نفسه فقالوا : يأمرنا نشهد أنه رسول الله، ولا يشهد به فى خطبته ! فلما بلغ رسول الله ﷺ قولهم قال : أنا أول من شهد أنى رسول الله ، ثم قام فخطب ، وشهد أنه رسول الله فى خطبته .

---

(١) زيادات من (ابن سعد) ، و (ابن هشام) .

(٢) زيادة السياق من (ط) .

إسلام عثمان بن أبي العاص

فمكثوا أياماً يغدون على النبي ﷺ ، ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم — وكان أصغرهم — فكانوا إذا رجعوا وناموا بالهاجرة ، خرج فعمد إلى النبي ﷺ فسأله عن الدين ، فاستقرأه القرآن وأسلم سراً وتفقه وقرأ من القرآن سوراً

جدال الوفد فى الزنا والربا والخمر

هذا ورسول الله ﷺ يدعو الوفد إلى الإسلام ، فقال له عبد ياليل : هل أنت مقاضينا (١) حتى نرجع إلى قومنا ؟ فقال : إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم ، وإلا فلا قضية ولا صلح بينى وبينكم . فقال عبد ياليل : أرأيت الزنا ! فإنا قوم عزّاب (٢) لابد لنا منه ، ولا يصبر أحدنا على العزبة (٣) ! قال . هو مما حرّم الله ؛ قال : أرأيت الربا ! قال : الربا حرام ! قال فإن أموالنا كلها ربا ! قال : لكم رؤوس أموالكم ، قال : أفرأيت الخمر ! فإنها عصير أعنابنا ولا بد لنا منها ! قال : فإن الله حرّمها . فخلا بعضهم ببعض ، وقال عبد ياليل : ويحكم ! نرجع إلى قومنا بتحريم هذه الخصال ! ! لا تصبر ثقيف عن الخمر ولا عن الزنا أبداً .

كتاب الصلح

ومشى خالد بن سعيد بن العاص بينهم وبين النبي ﷺ حتى كتبوا الكتاب — وكتبه خالد — وأسلموا ، وتعلموا فرائض الإسلام وشرائعه ، وصاموا بقية شهر رمضان . فأمّر عليهم رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص ، وهو أصغرهم ، وقال له : اتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً : وخرجوا إلى الطائف .

هدم ربة ثقيف

وسار فى إثرهم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الربة صنمهم ، فدخل القوم الطائف ، وكانت لهم مع قومهم أنباء حتى أسلموا . ودخل المغيرة فى بضعة عشر رجلا فهدموا الرَّبَّة ، وانتزع كسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة . فأعطى رسول الله ﷺ مما وجد فيها أبا مُليح بن عروة ، وقارب بن الأسود ، وناساً ، وجعل فى سبيل الله وفى السلاح منها .

ثم كتب لثقيف بعد البسملة :

كتابه ﷺ لثقيف

« من محمد النبي رسول الله (٤) ، [هذا كتاب من النبي رسول الله] (٥) ، إلى المؤمنين : إن عِضَاهَ وَجّ

---

(١) قاضى مقاضاة : جعل بينه وبينه قضاة حكماً .

(٢) فى (خ) « عذاب » .

(٣) فى (خ) « العدبة » ، والعزبة والعزوبة بمعنى .

(٤) فى (خ) « ورسول الله » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ج ٤ .

(٥) هذا الكتاب ، أعاد المؤلف صياغته من روايات مختلفة وكلها صحيحة إلا أنه لم ينبه على اختلاف الرواية .

وصيده لا يُعضَد (١) ، ومن وجدَ يفعل [شيئاً] (٢) من ذلك يجلد وتنزع ثيابُه ، فإن تعدى [ذلك] (٢) فإنه يؤخذ فيبلغ [به] (٢) النبيَّ محمداً ، وإن (٣) هذا أمرُ النبي محمد رسول الله . وكتب خالدُ بن سعيد بأمر النبيّ محمد بن عبد الله ، فلا يتعدهُ أحدٌ فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله » .

حمى وج

ونهى ﷺ عن قطع عضاهِ (٤) وجٍّ وعن صيده ، فكان الرجل يؤخذ يفعل ذلك ، فتنزَع ثيابه . واستعمل على حمى وجّ سعد بن أبي وقّاص رضى الله عنه .

إسلام كعب بن زهير

وفى هذه السنة كان إسلام كعب بن زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح المزنيّ من ، مزينة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضَر : وذلك أنه خرج هو وأخوه بجير إلى أبرق العراق ، فتركه بجيرٌ فى غنمه وقدم المدينة فأسلم ، فقال كعبٌ شعراً غضب منه رسول الله ﷺ وأهدرَ دمه . فكتب إليه بجير بعد عودة رسول الله ﷺ من الطائف ، وقال له : النَّجاء النَّجاء ! ! وما أراك أن تفلتَ ، ثم كتب إليه يدعوه إلى الإسلام فأسلم ، وقدم على رسول ﷺ المدينة وأنشده :

« بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » . . القصيد

خبره وخبر البردة

فكساه بُردة كانت عليه . وقيل : أمر ﷺ بقتله لأنه كان يشبّب بأمّ هانىء بنت أبي طالب . وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة منصرفاً عن الطائف كتب بجير بن زهير إلى أخيه كعب ، فذكر الحديث . وقيل : إن رسول الله ﷺ رأى زهيراً وله مائة سنة فقال : اللهم أعذنى من شيطانه ! فما لاك بيتاً حتى مات . وقال ابن قتيبة (٥) : أعطى رسول الله ﷺ كعب بن زهير راحلة وبرداً ، فباع البرد من معاوية (٦) بعشرين ألفاً ، فهو عند الخلفاء إلى اليوم .

الوفود

ولما أسلمت ثقيف ضربتْ إليه وفود العرب من كل وجه لمعرفتهم أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله أفواجاً .

---

(١) فى (خ) « عضاة » .
(٢) زيادات من (ابن هشام) ج ٤ .
(٣) فى (خ) « فإن » وهذا نص (ابن هشام) ج ٤ .
(٤) فى (خ) « عضاة » .
(٥) فى كتاب (الشعر والشعراء) ج ١ ص ١٦٢ طبعة ثالثة بتحقيق أحمد محمد شاكر سنة ١٩٧٧ .
(٦) فى (خ) معوله » .

وفد بنى أسد

فقدم وفد بنى أسد وقالوا : أتيناك قبل أن ترسل إلينا ! ! فأنزل الله : « يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين » (١) :

كتب ملوك حمير

وقدمت كتب [ملوك] (٢) حمير [ورسولهم إليه بإسلامهم] (٣) : الحارث بن عبد كلال ، [ونعيم بن عبد كلال] (٢) ، والنعمان قيل ذى رُعَين ، [ومعافر] (٢) وهمدان ، أقرّوا بالإسلام .

وفد بهراء

وقدم وفد بهراء ، فنزلوا على المقداد بن عمرو [البهرانى] (٤) .

وفود أخر

وقدم وفد بنى البكاء ، ووفد فزارة وفيهم خارجة بن حصين ، ووفد ثعلبة ، ووفد سعد بن بكر ووافدهم ضمام بن ثعلبة ، ووفد الداريين من لخم وهم عشرة (٥) .

موت عبد الله بن أبى

ومرض عبد الله بن أبيّ فى ليالٍ من شوّال ، ومات فى ذى القعدة وكان مرضه عشرين يوماً ، كان رسول الله ﷺ يعوده فيها ، فلما دخل عليه وهو يجود بنفسه قال له : قد نهيتك عن حبّ يهود ! فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فما نفعه ؟ ! ثم قال : يارسول الله ، ليس بحين عتاب ، هو الموت ! فإن مت فاحضر غُسلى ، وأعطنى قميصك أكفن فيه ! فأعطاه قميصه الأعلى — وكان عليه قميصان — ، فقال : الذى يلى جلدك ! فنزع قميصه الذى يلى جلده فأعطاه ثم قال : صلّ علىّ واستغفر لى .

---

(١) آية ١٧ / الحجرات ، وفى (خ) « أن أسلموا الآية » .
(٢) زيادة من ابن هشام .
(٣) زيادة من ابن هشام ، وفى (خ) « وقدمت كتب حمير مع الحارث بن عبد كلال » وهذا خطأ ، فإن من الحارث والنعمان لم يفدا على رسول الله ﷺ بل هو الذى كتب إليهما ، وهذا هو نص كتابه ﷺ إليهما « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبى رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذى رعين ، وهمدان ومعافر ؛ أما بعد فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم وخبر ما قبلتم وأنبأنا بإسلامكم ، وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهدايته إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم نبيه وصفيه . (راجع مكاتيب الرسول) ص ١٨٧ . (وتاريخ الطبرى) ج ٣ ص ١٢٠ ، ١٢١ .
(٤) زيادة للإيضاح من (ط) .
(٥) فى (خ) « ووفد الدواس من لخم وهم عشيرة » وما أثبتناه من (الطبرى) ج ٣ ص ١٢٢ .

حضور رسول الله ﷺ

ويروى أن النبي ﷺ جاء بعد موته إلى قبره ، فأمر به فأخرج ، فكشف عن وجهه ، ونفث عليه من ريقه وأسنده إلى ركبتيه ، وألبسه قميصه الذي يلي جلده : قال الواقدي (١) : والأول أثبت أنه حضر غسله وكفنه .

الصلاة عليه واعتراض عمر في ذلك

ثم حمل إلى موضع الجنائز ، فتقدم ﷺ ليصلي عليه ، فلما قام وثب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يارسول الله ، تصلي على ابن أبي ؟ فإنه قال يوم كذا كذا (٢) ، ويوم كذا كذا ، فعدد عليه قوله ، فتبسم وقال : أخر عني ياعمر ، فإني خيرت فاخترت ، [وقد قيل لي : « استغفر لهم أو لاتستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم »] (٣) ولو (٤) أعلم أني إن زدت (٥) على السبعين غفر له زدت عليه !! فصلى عليه وأطال الوقوف .

مانزل من القرآن في المنافقين

ونزل قوله تعالى : « ولاتصل على أحد منهم مات أبداً ولاتقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ، ولاتعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ، وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين . رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون ، (٦) فعرف عليه السلام في هذه الآية المنافقين فكان من مات منهم لم يصل عليه .

دفن عبد الله واجتماع المنافقين

ثم حمل ابن أبي إلى قبره ، وقد غلب عليه المنافقون كسعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، وسلامة (٧) بن الحمام (٨) ونبهان بن أبي عامر (٩) ، ورافع ابن حرملة (١٠) ، ومالك بن أبي نوفل (١١) ، وداعس ، وسويد ، وهؤلاء

(١) (المغازي) ج ٣ ص ١٠٥٧ .
(٢) في (خ) « يوم كذا وكذا » وما أثبتناه من (الواقدي)
(٣) من الآية ٨٠ / التوبة ، وما بين القوسين زيادة للسياق من (ابن هشام) ج ٤ .
(٤) في (ط) « ولو أعلم » وما أثبتناه من (خ) و (الواقدي) .
(٥) في (ط) « إن زدت » وفي (خ) و (الواقدي) « إذا زدت »
(٦) الآيات ٨٤ ـ ٨٧ / التوبة ، وفي (خ) « على قبره ، الآيتان » .
(٧) يقول محقق (ط) « ولم أجد له خبراً ولا ذكراً » ، والقول : « الخبر بتمامه في (المغازي للواقدي) ج ٣ ص ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ومنه صوبنا بعض الأسماء والأنساب » .
(٨) في (ط) « سلالة » .
(٩) في (ط) « ونبهان بن أوفى بن عمرو » .
(١٠) في (ط) « حريملة » .
(١١) في (ط) « قوقل » .

أخابث المنافقين ، وهم الذين كانوا يمرضونه ، وكان يقول : لايليني غيرهم ، ويقول لهم : أنتم والله أحب إلي من الماء على الظمأ ! ويقولون : ليت إنا نفديك بالأنفس والأموال والأولاد ! فلما وقفوا على حفرته ـ ورسول الله ﷺ واقف بالحطام ـ ازدحموا على النزول في حفرته ، وارتفعت الأصوات ، حتى أصيب أنف داعس وسال الدم ، وكان يريد أن ينزل فنحي ، وجعل عبادة بن الصامت رضي الله عنه يذبهم ويقول : اخفضوا أصواتكم عند رسول الله ، ونزل حفرته رجال من قومه أهل فضل وإسلام ، وهم : ابنه [عبد الله] (١) وسعد بن عبادة ، وعبادة بن الصامت ، وأوس بن خولي حتى بنوا عليه ، ودلاه عليهم (٢) الصحابة وأكابر الأوس والخزرج ، وهم قيام مع النبي ﷺ ودلاه عليه السلام بيديه إليهم ، ثم قام على القبر حتى دفن ، وعزى ابنه وانصرف . وحثا المنافقون عليه تراب قبره وهم يقولون : ياليت أنا فديناك بالأنفس وكنا قبلك . وحثوا على رؤوسهم التراب .

ابنته وحزنها

ولم تتخلف امرأة من الأوس والخزرج حتى أتت ابنته جميلة بنت عبد الله بن أبي ، وهي تقول : واجبلاه ! واركناه ! وا أبتاه ! ومانهاها أحد ولايعيب عليها .

حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ثم كانت حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة تسع (٣) . وكان رسول الله ﷺ ـ قبل أن ينزل عليه سورة براءة ـ قد عاهد ناساً من المشركين عهداً . فلبث بعد مرجعه من تبوك أربعة أشهر وحضر الحج ، فكره أن يخرج ذلك العام حتى ينبذ (٤) إلى كل من عهد إليه من المشركين عهده .

حج المشركين

وكانوا يحجون مع المسلمين ، فإذا قال المسلمون « لبيك لاشريك لك » عارضهم المشركون بقولهم [لبيك] (٥) « لاشريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك » ، عالية أصواتهم ليغلطوهم بذلك ، ويطوف رجال منهم عراة ، ليس على أحد منهم ثوب ، يعظمون بذلك الحرمة (٦) ، ويقول أحدهم : أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم .

(١) زيادة من (ط) .
(٢) في (خ) « عليه » وما أثبتناه من (ط) .
(٣) في (خ) « سنة سبع » وهو خطأ .
(٤) نبذ العهد : نقضه .
(٥) زيادة للسياق من (ط) .
(٦) حرمة البيت الحرام .

الخروج إلى الحج

فكره رسول الله ﷺ أن يحج ذلك العام، فاستعمل أبا بكر على الحج، [وكتب له بنفس الحج، لأنه اشتكى أنه لاعلم له بالقضاء] (١). فخرج فى ثلاثمائة رجل. وبعث معه بعشرين بَدَنَةً قلدها النعال وأشعرها بيده فى الجانب الأيمن، واستعمل عليها ناجية بن جُندُب الأسلمى، وساق أبو بكر رضى الله عنه خمس بدنات. وحج عامئذ عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فأهدى بُدْناً. وأهلّ أبو بكر رضى الله عنه من ذى الحليفة، وسار حتى [إذا] كان بالعرج فى السَّحر سمع رغاء القصواء، فإذا على بن أبى طالب رضى الله عنه عليها فقال: قد استعملك رسول الله ﷺ على الحج؟ قال: لا ولكن بعثنى اقرأ براءة على الناس: فأنبذ إلى كل ذى عهد عهده. وقيل أدركه علىٌّ رضى الله عنهما بضجنان.

صفة الحج

وكان رسول الله ﷺ عهد إلى أبى بكر رضى الله عنه أن يخالف المشركين: فيقف يوم عرفة بعرفة ولا يقف بجمع، ولا يدفع من عرفة حتى تغرب الشمس، ويدفع من جمع قبل طلوع الشمس. فخرج حتى أتى مكة وهو مُفرِد بالحج، فخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر، وطاف يوم التروية — حين زاغت الشمس — بالبيت سبعاً ثم ركب راحلته من باب بنى شيبة! وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح بمنى. ولم يركب حتى طلعت الشمسُ على ثبير، فانتهى إلى نمرة، فنزل فى قبة من شَعر فقال فيها وركب راحلته لما زاغت الشمس فخطب ببطن عرفة، ثم أناخ فصلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم ركب راحلته فوقف بالهضاب من عرفة، فلما أفطر الصائم دفع يسير العَنَق (٣) حتى نزل بجمع — قريبا من النار التى على قزح (٤) فلما طلع الفجر صلى الفجر ثم وقف، فلما أسفر دفع. وجعل يقول فى وقوفه: يا أيها الناس. أسفروا (٥). ثم دفع قبل الشمس. وكان يسير العَنَق (٣) حتى انتهى إلى محسِّر فأوضع راحلته، فلما جاز وادى مُحَسِّر عاد إلى مسيره الأول حتى رمى الجمرة راكبا بسبع حَصَيات، ثم رجع إلى المنحر فنحر ثم حلق

قراءة براءة

وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه — يوم النحر عند الجمرة — براءة، ونبذ إلى كل ذى عهد عهده، وقال: إن رسول الله ﷺ يقول: لايحج بعد هذا العام مُشرِكٌ، ولايطوف بالبيت عُريان.

خطبة أبو بكر

وخطب أبو بكر رضى الله عنه يوم النحر بعد الظهر على راحلته، وأقام يرمى الجمار ماشيا: ذاهبا وجائيا؛

---

(١) كذا فى (خ)، وليس لهذه العبارة أو لمناها نظير فى كتب السيرة.
(٢) زيادة للبيان من (ط).
(٣) العنق: ضرب من السير سريع.
(٤) قزح: هو القرن الذى يقف الإمام عنده بالمزدلفة.
(٥) أسفر بالفجر: أطال الصلاة حتى يتبين الفجر.

فلما رمى يوم الصدر (١) وجاوز العقبة، ركب. ويقال: رمى يومئذ راكبا، وصلى بالأبطح الظهر والعصر، وصلى بمكة المغرب والعشاء، ثم خرج من ليلته قافلا إلى المدينة.

سيرة النبي ﷺ قبل براءة

[وكانت سيرة النبي ﷺ] (٢) — قبل نزول براءة —: أن يقاتل من قاتله، ومن كفّ يده كفّ عنه؛ فنسخت براءة ذلك.

وكان العرب إذا تحالف سيدهم أو زعيمهم مع آخر لم ينقُض ذلك إلا الذى يحالفُ أو أقربُ الناس قرابة به. وكان علىّ رضى الله عنه هو الذى عاهد المشركين، فلذلك بعثه رسول الله ﷺ ببراءة.

ولما رجع المشركون من حجهم لام بعضهم بعضا وقالوا: ماتصنعون وقد أسلمت قريش؟! فأسلموا:

وفود غسان وغامد ونجران

ثم كانت سنة عشر. وفيها كان وفد غسّان (٣) ووفد غامد فى شهر رمضان.

وقدم وفد نجران: وكان رسول الله ﷺ أرسل خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثا، فإن أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الإسلام، وإن أبوا قاتلهم. فخرج إليهم فى ربيع الأول سنة عشر، ودعاهم فأجابوا وأسلموا، وأقام فيهم. وكتب إلى رسول الله ﷺ يعلمه إسلامهم، ثم عاد ومعه وفدهم، فيهم: قيس بن الحصين بن يزيد بن شداد ويقال له ابن ذى الغصة (٤)، ويزيد بن عبد المدان، فى آخرين، ثم عادوا فى بقية شوال أو فى ذى القعدة، وأمّر عليهم قيس بن الحصين.

إسلامهم وكتاب النبي لهم

وخرج إليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم. وكتب له رسول الله ﷺ كتابا ليحملهم على مافيه، وبين فيه الأحكام والزكوات ومقادير الديات ويقال: كان ذلك فى شهر ربيع الآخر، وقيل فى جمادى الأولى. فتوفى رسول الله ﷺ وعمرو بن حزم على نجران.

المباهلة

وأرسل نصارى نجران العاقب والسيد فى نفر، فأرادوا مباهلة (٥) رسول الله ﷺ، فخرج ومعه فاطمة

---

(١) يوم الصدر: اليوم الرابع من أيام النحر.
(٢) هذه العبارة مكررة فى (خ).
(٣) فى (خ) «غيثان». والتصويب من (الطبرى) جـ ٣ ص ١٢٧.
(٤) فى (خ) الغصة.
(٥) أنظر آية المباهلة، وهى الآية رقم ٦١ / آل عمران، وأسباب النزول للواحدى ص ٧٤.

وعلىٌّ والحسن والحسين عليهم السلام ، فلما رأوهم قالوا : هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها !! ولم يباهلوا ، وصالحوه على ألفى حُلةٍ : ثمن كل حلة أربعون درهماً ، وعلى أن رسل رسول الله ﷺ ، وجعل لهم عليه السلام ذمّة الله وعهده على ألا يفتنوا عن دينهم ، ولا يعشروا (١) ولا يحشروا (٢) ، ولا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا [به] (٣) .

سرية على بن ابى طالب إلى اليمن

ثم كانت سرية على رضى الله عنه فى رمضان : بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن [حين] (٤) تتام أصحابه ، وعقد له لواءً : أخذ عمامة فلفها مثنية مربعة وجعلها فى رأس الرمح ، ثم دفعها إليه وقال : هاك هذا اللواء ! وعممه عمامةً ثلاثة أكوار ، وجعل ذراعها بين يديه وشبراً من ورائه ، ثم قال : هكذا العمّة (٥) !

وصية رسول الله ﷺ له

وقال له : إمض ولا تلتفت ! فقال على : يارسول الله ، كيف أصنع ؟ قال : إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك . فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منك قتيلا ، فإن قتلوا منك قتيلا فلا تقاتلهم، تلوّمهم (٦) حتى تريهم أناة . ثم تقول لهم : هل لكم أن تقولوا لا إله إلا الله ؟ فإن قالوا : نعم ، فقل هل لكم إلى أن تصلوا ؟ فإن قالوا : نعم ، فقل لهم : هل لكم إلى أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردّونها على فقرائكم ؟ فإن قالوا : نعم، فلا تبغ منهم غير ذلك . والله لأن يهدى الله على يديك رجلا واحداً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت .

الغنـــائم

خرج فى ثلاثمائة فارس حتى انتهى إلى أرض مذحج ففرّق (٧) أصحابه ، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك ، فكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد ، فجعل على الغنائم بريدة بن الحصيب ثم لقى جمعاً فدعاهم إلى الإسلام ، فأبوا ورموا بالنبل والحجارة ساعة ، فصف أصحابه ، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان السلمى ، وحمل عليهم بمن معه ، فقتل منهم عشرين رجلا ، فانهزموا فلم يتبعهم ، ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا . وبايعه نفرٌ من رؤسائهم على الإسلام وقالوا : نحن على من وراءنا ، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله .

---

(١) فى (خ) « يعاشروا » ، ومعنى لا يعشروا : لا يؤخذ عشر أموالهم فى التجارات .
(٢) لا يحشروا : لا يندبون إلى المغازى .
(٣) زيادة من (ط) من (فتوح البلدان) ص ٧١ .
(٤) زيادة للسياق من (ط) .
(٥) العمة : هيئة الاعتمام ، والعمامة : ما يعتمم به .
(٦) تلومهم : انتظرهم .
(٧) فى (خ) « فعرق » .

قسمة الغنائم إلا الخمس

وجمع علىٌّ الغنائم وجزأها خمسة أجزاء . وأقرع عليها ، وكتب فى سهم منها ، فخرج أول السهام سهم الخمس، ولم ينفل منه أحداً من الناس شيئاً .

وكان من قبله من الأمراء يعطون أصحابهم — الحاضرَ دون غيرهم — من الخمس ، ثم يخبرَ بذلك رسول الله ﷺ فلا يردّه عليهم ، فطلبوا ذلك من علىّ فأبى وقال : الخمس أحمله إلى رسول الله ﷺ يرى فيه رأيه ، وهذا رسول الله ﷺ يوافى الموسم ، ونلقاه به فيصنع ما أراه الله ! فانصرف راجعاً ، وحمل الخمس، وساق معه ما كان ساق . وكان فى الخمس ثياب من ثياب اليمن أحمال معكومةٌ ، ونعم مما غنموا ، ونعم من صدقة أموالهم .

ثم تعجل ، وجعل أبا رافع على أصحابه وعلى الخمس ، وكان علىٌّ ينهاهم عن ركوب إبل الصدقة . فسأل القومُ أبا رافع أن يكسوهم ثياباً يحرمون فيها ، فكساهم ثوبين .

خبر أبى رافع فى الإعطاء من الخمس

فلما خرج علىٌّ يتلقاهم — وهم داخلون مكة ليقدم بهم — رأى عليهم الثياب فعرفها ، فقال لأبى رافع : ماهذا ! فأخبره ، فقال : قد رأيتَ إبائى عليهم ذلك ، ثم أعطيتهم ، وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلفتُ فتعطيهم ؟ ! وجرّد بعضهم من ثوبيه . فلما قدموا على رسول الله ﷺ شكوه ، فدعاه (١) وقال . ما لأصحابك يشكونك ؟ فقال : ما أشكيتهم : قسمتُ عليهم ماغنموا . وحبست الخمس حتى تقدم عليك وترى رأيك فيه ، وقد كانت الأمراء يفعلون أموراً : ينفلون من أرادوا من الخمس ، فأردت أن أحمله إليك لترى فيه رأيك ! فسكت عليه السلام .

قدوم على فى الحج

وكان علىٌّ رضى الله عنه قد كتب إلى رسول الله ﷺ لما ظهر على عدوّه — مع عبد الله بن عمرو بن عوف المزنىّ — بما كان من لقاء القوم وإسلامهم ، فأمر أن يوافيه فى الموسم ، فعاد إليه عبد الله .

وقدم علىٌّ من اليمن فوجد فاطمة عليها السلام ممن حلّ ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها فقالت : أمرنى بهذا أبى ، فذهب إلى رسول الله ﷺ محرّشاً عليها (٢) ، مستفتياً فى الذى ذكرتْ ، وأخبره ، فقال : صدقَتْ ! ماذا قلتَ حين فرضتَ الحج؟ قال : قلت: اللهم إنى أهلّ بما أهلّ به رسولك ! قال: فإن معى فلا تحل ، وكان الهدْىُ الذى جاء به علىّ رضى الله عنه والذى ساقه النبىّ ﷺ بالمدينة مائة بدنة، فأشرك علياً فى هديه (٣) .

وفد الأزد

وفيها قدم (٤) وفدُ الأزد ، ورأسُهم صردُ بن عبد الله فى بضعة عشر رجلا فأسلم ، وأمره رسولُ الله ﷺ

---

(١) فى (خ) « فدعاهم » .
(٢) التحريش : الإغراء والتهييج بذكر ما يوجب العتاب .
(٣) فى (خ) « هدية » .
(٤) فى (خ) «تقدم» .

على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد المشركين فسار إلى مدينة جُرَش، فحصرهم نحو شهر، ثم رجع كأنه منهزم، فخرجوا إليه، فعطف عليهم فقتلهم أشد قتل. وكان أهل جُرَش قد بعثوا رجلين إلى رسول الله ﷺ ينظران حاله، فأخبرهما بما كان من أمر صُرَد بن عبد الله، فرجعا، فوجدا أصحابهما قد أصيبوا في تلك الساعة من ذلك اليوم الذي ذكر ﷺ فيها حالهم. فقدم وفد جُرَش فأسلموا، وحمى لهم النبي ﷺ حول القرية للفرس والراحلة والمثيرة. والمثيرة: بقرة الحرث[1] [لأنها تثير الأرض] (٢).

وفد مراد

وقدم وفد مراد مع فَرْوَة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث بن كريب القطيفي ثم المرادي (٣)، مفارقاً لملوك كِنْدَة؛ فاستعمله رسول الله ﷺ على مُراد وزُبَيدة ومَذْحِج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة. وقيل: كان إسلام فروة سنة تسع.

وفد فروة الجذامي

وقدم وفد فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي، عامل الروم على فلسطين وماحولها وعلى من يليه من العرب، وكان موضعه بمَعان من أرض فلسطين. وكتب بإسلامه وأهدى إلى رسول الله ﷺ بغلة بيضاء، فطلبه الروم وحبسوه ثم قتلوه.

وفد زبيد

وقدم وفد زبيد مع عمرو (٤) بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو حَشَم (٥) بن عمرو بن زُبَيد، ثم عاد. وقيل: كان إسلامه سنة تسع.

وفد عبد القيس

وقدم وفد عبد القيس، وفيهم الجارود بن عمرو بن حنش (٦) بن يعلى، وكان نصرانياً فأسلم، وأسلم من معه.

وفد بني حنيفة

وقدم وفد بني حنيفة، وفيهم مسيلمة الكذاب بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن

(١) في (خ) «والمثرة بقر الحارث».
(٢) زيادة للبيان من (ط).
(٣) راجع (عيون الأثر) ج ٢ ص ٢٣٩.
(٤) في (خ) «عمر».
(٥) في (خ) «حطم».
(٦) في (خ) «خنش».

عدي، فنزل دار ابنة الحارث، الأنصارية، وعاد إلى اليمامة فتنبأ وادعى أنه شريك رسول الله ﷺ في النبوة، فاتبعه بنو حنيفة.

وفد كنده

وقدم وفد كِنْدَة — وهم ستون راكباً — مع الأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية بن جبلة (١) ابن عدي بن ربيعة بن معاوية [الأكرمين] (٢) بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مُرَتِّع [واسمه عمرو] (٣) بن معاوية بن ثور بن عُفَيْر [وثور بن عُفَير هو كندة، لأنه كَنَد أباه النعمة] (٣) بن عدي بن مرة بن أدد بن زيد الكندي، فقال: نحن بنو آكل المُرار. وأنت يا محمد ابن آكل المرار! فقال النبي ﷺ: نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا (٤).

وفد محارب

وقدم وفد مُحارب؛ ووفد الرُّهاويين — وهم بطن من مَذْحِج — ينسبون إلى رَهاء [بفتح الراء] بن منبه بن حرب بن عُلَة بن خالد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان:

وكانوا خمسة عشر رجلا فأسلموا، وأجازهم رسول الله ﷺ كما كان يجيز الوفد، وتعلموا القرآن والفرائض وعادوا إلى بلادهم. ثم قدم منهم نفر فحجوا من المدينة مع رسول الله ﷺ، وأقاموا حتى تُوفي، فأوصى لهم عند موته بجادِّ مائة وَسْق من الكتيبة بخيبر جارية عليهم، وكتب لهم بها كتاباً، ثم خرجوا في بعث أسامة إلى الشام.

وفد عبس والصدف وخولان وبنى عامر بن صعصعة

ووفد عبس، ووفد الصدف، ووفد خولان، وكانوا عشرة، ووفد بني عامر بن صعصعة، فيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر، فأراد عامر الغدر برسول الله (٥) ﷺ فقال له قومه. إن الناس قد أسلموا فأسلم! فقال: لا أتبع عَقِب هذا الفتى! ثم قال لأربد: إذا قدمنا عليه فإني شاغله عنك فاعله بالسيف من خلفه. فلما قدموا جعل عامر يكلم رسول الله ﷺ [يقول: يا محمد خالني! قال: لا والله حتى تؤمن بالله وحده. قال: يا محمد! خالني! وجعل يكلم رسول الله ﷺ، وينتظر من أربد ما كان من أمره به، فجعل أربد لا يحير شيئاً، فلما رأى عامر ما يصنع أربد، قال: يا محمد! خالني!

(١) في (خ) «حبله».
(٢) زيادة من (ط) عن (أسد الغابة).
(٣) زيادة من (ط) من (أسد الغابة).
(٤) في (خ) «لا يقفوا امنا، ولا ننتفي من أبينا».
(٥) في (خ) «يا رسول الله».

قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له . فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله) (١) لأملأنها عليك خيلا ورجلا ! فلمّا ولّى قال ﷺ : اللهم اكفني عامراً ! فلما خرجوا قال عامر لأربد : لم لا قتلته ؟ قال : كلما هممت بقتله دخلت بيني وبينه حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟ ! فأرسل الله في طريقهم على عامر الطاعون ، فقتله وهو في بيت امرأة سلولية حتى مات ؛ وأرسل الله على أربد صاعقة فأحرقته .

وفد طيء

وقدم وفد طيء : فيهم زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي فأسلم ؛ وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير ، وقال : ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته دون الصفة غيرك . وأقطع له أرضين في ناحيته ؛ وأسلم قومه .

كتاب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله

وكتب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ : « من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد ، فإني قد أشركت معك في الأمر ، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً قوم يعتدون » .

كتاب رسول الله إليه

فكتب إليه رسول الله ﷺ بعد البسملة : « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد ، فالسلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

وقدم بكتاب مسيلمة رجلان ، فسألهما رسول الله ﷺ عنه فصدّقاه ، فقال أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما . وقيل أن دعوى مسيلمة ، والأسود العنسي ، وطليحة النبوة ، إنما كانت بعد حجة الوداع .

وكان ﷺ إذا قدم الوفود لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك .

البعثة على الصدقات

وفيها بعث رسول الله ﷺ أمراءه إلى الصدقات ، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم القرشي إلى صنعاء ؛ وبعث زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن أمية بن بياضة الأنصاري البياضي إلى حضرموت ؛ وبعث عدي بن حاتم بن عبد الله (٢) بن سعد بن حشرج بن امرىء القيس بن عدي (ابن أخزم بن أبي أخزم) (٣) بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء بن أدد بن زيد بن كهلان الطائي على صدقة طيء وأسد ؛ وبعث مالك بن نويرة صدقات حنظلة ؛ وجعل الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي ، وقيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث (وهو مقاعس) بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم المنقري التميمي على صدقات سعد بن زيد مناة ؛ وبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين .

(١) زيادة للسياق من (ط) .
(٢) في (خ) « بن عبد الله بن عبد الله » مكررة .
(٣) زيادة من نسبه من (ط) عن (أسد الغابة) .

بعثة علي رضي الله عنه إلى نجران

وبعث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى نجران على صدقاتهم وجزيتهم ، فقدم على رسول الله ﷺ في حجته ، وأحرم كإحرامه ، وذكر بعضهم أن علياً رضي الله عنه سار في هذه السنة إلى اليمن — بعد توجيه خالد بن الوليد إليها — فقرأ على أهل اليمن كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت كلها في يوم واحد فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : السلام على همدان ، وكرر ذلك ثلاثاً ؛ ثم تتابع (١) أهل اليمن على الإسلام ، فلما كتب بذلك علىّ سجد ﷺ شكراً لله تعالى . وأنه بعثه ﷺ إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ، فلقيه عليه السلام بمكة في حجة الوداع . ولم يذكر الواقدي في مغازيه بعثة علي رضي الله عنه سوى إلى اليمن كما تقدم — في رمضان .

حجة الوداع

ثم كانت حجة الوداع ، ويقال حجة الإسلام ، وحجة البلاغ ، وحجة التمام ، وقد أجمع ﷺ الخروج في ذي القعدة سنة عشر من مهاجره (٢) ، وقد أسلمت جزيرة العرب ومن شاء الله من أهل اليمن — فصلى الظهر بذي الحليفة ، وأذّن في الناس بالحج ، فقدم المدينة بشر كثير يريدون أن يأتموا برسول الله ﷺ ويعملوا بعمله (٣) .

المسير وصفة إحرامه ﷺ

وسار من المدينة — متدهّناً (٤) مترجّلا (٥) [متجرداً في ثوبين صحاريين : إزار ورداء ، وذلك] (٦) يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة — ومعه أزواجه ، وأهل بيته ، وعامة المهاجرين والأنصار ومن شاء من قبائل العرب وأفناء (٧) الناس .

وقال ابن حزم : الصحيح أنه خرج لست بقين (من ذي القعدة) ، فصلى الظهر بذي الحليفة ركعتين ، وأحرم عند صلاة الظهر من يومه ذلك . ويقال : انتهى إلى ذي الحليفة عند الظهر فبات لأن يجتمع إليه أصحابه والهدي ، حتى أحرم عند الظهر من الغد في ثوبين صحاريين . إزار ورداء أبدلها بالتنعيم بثوبين من جنسهما .

وقيل صلى الظهر يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة ، ثم خرج فصلى العصر بذي الحليفة ؛ واجتمع إليه نساؤه وحج بهن جميعاً في الهوادج .

فلما انتهى إليه اجتماع أصحابه والهدي ، دخل مسجد ذي الحليفة بعد أن صلى الظهر فصلى ركعتين ، ثم خرج

(١) في (خ) « تتابع » .
(٢) في (خ) « مهاجرة » .
(٣) في (خ) « ويعملون بعمله » .
(٤) متدهنا : بالطيب والزيت .
(٥) مترجلا : مسرحاً شعره وممشطه .
(٦) ما بين القوسين زيادة من (ابن سعد) ج ٢ .
(٧) الأفناء : الأخلاط .

فدعا بالهدى فأشعره (١) فى الجانب الأيمن بيده ، ووجّهه إلى القبلة ، وقلده نعلين نعلين (٢) ثم ركب ناقته ، فلما استوى بالبيداء أحرم . وقيل : أشعر هديه وقلده قبل أن يحرم . والقول — أنه لم يبت — أثبت .

الهـــدى

وساق مائة بدنة ، ويقال : إنه أمر أن يشعر ما فضل من البدن ناجية بن جندب ، واستعمله على الهدى . وكان مع ناجية بن جندب فتيان من أسلم ، وكانوا يسوقونها سوقاً ، يتبعون بها الرعى ، وعليها الجلال (٣) ، فقال ناجية بن جندب : يارسول الله ، أرأيت ما عطب (٤) منها كيف أصنع به ؟ قال تنحره ، وتلق قلائده فى دمه ، ثم تضرب به صفحته اليمنى (٥) ، ثم لا تأكل منه ولا أحد من أهل رفقتك .

وأمر من كان معه هدى أن يحل كما أهل ، وسار ، وبين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله أمم لا يحصون كثرة : كلهم قد قدموا ليأتموا (٦) به ﷺ .

ويقال : كان معه تسعون ألفاً ، ويقال : مائة وأربعة عشر ألفاً ، ويقال : أكثر من ذلك .

ومر ﷺ برجل يسوق بدنة ، فقال : إركبها ، ويلك ! قال : إنها بدنة ! قال : إركبها ! وكان يأمر المشاة أن يركبوا على بدنه .

إحرام عائشة

وطيّبته عائشة رضى الله عنها لإحرامه بيدها ، وأحرمت وتطيبت ، فلما كانوا بالقاحة (٧) سال من الصفرة على وجهها (٨) ، فقال : ما أحسن لونك الآن ياشقيراء (٩) .

الصلاة

وكان يصلى بين مكة والمدينة ركعتين آمناً لا يخاف إلا الله . فلما قدم مكة صلى بهم ركعتين ثم سلم وقال : أتموا صلاتكم يا أهل مكة فإنا سفر .

الاهلال بالعمرة والحج

وقد اختلف فيما أهل به : فعن أبى طلحة ، أنه قرن مع حجته عمرة ، وعن حفصة رضى الله عنها قالت :

---

(١) أشعر البدنة : أعلمها بشق جلدها ليعرف أنها هدى .
(٢) قلد البدنة : علق فى عنقها قلادة من نعل ونحوه ليعلم أنها هدى .
(٣) الجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .
(٤) عطب البعير : اعترته آفة تمنعه من السير .
(٥) الصفحة : الجانب .
(٦) فى (خ) « ليأبوا » .
(٧) القاحة أو القاجة : مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل (معجم البلدان) ج ٤ ص ٢٩٠ .
(٨) يريد صفرة الطيب لما فيه من الزعفران .
(٩) فى (خ) « شقير » وفى (ابن سعد) : « إن لونك الآن يا شقراء لحسن » .

قلت : يارسول الله ، تأمر الناس أن يحلوا ولم تحل أنت من عمرتك ؟ فقال : إنى لبدت رأسى ، وقلدت هديى ، فلا أحل حتى أنحر هديى . وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : أهل رسول الله ﷺ بالعمرة وساق الهدى . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أفرد رسول الله ﷺ الحج : وقد صح أنه أتاه آت من ربه فى وادى العقيق ، يأمره عن ربه أن يقول فى حجته : هذه حجة فى عمرة . ومعنى هذا أن الله أمره بأن يقرن الحج مع العمرة . فأصبح فأخبر الناس بذلك ، وطاف على نسائه بغسل واحد ، ثم اغتسل وصلى عند المسجد ركعتين ، وأهل بحجة وعمرة معاً روى ذلك عنه ستة عشر صحابياً ، وعنهم ستة عشر تابعياً .

منازل السـير

وأصبح ﷺ يوم الأحد بيلملم ، ثم راح فتعشى بشرف السيالة (١) وصلى المغرب والعشاء ، ثم صلى الصبح بعرق الظبية ، بين الروحاء والسيالة ، وهو دون الروحاء . ثم نزل الروحاء فإذا بحمار عقير فقال : دعوه حتى يأتى صاحبه . فأهداه له ﷺ ، فأمر به أبا بكر رضى الله عنه فقسمه بين الصحابة . وقال : صيد البر لكم حلال إلا ما صدتم أو صيد لكم . ثم راح من الروحاء فصلى العصر بالمنصرف ، وصلى المغرب والعشاء بالمتعشى وتعشى به ، وصلى الصبح بالأثاية ، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج .

خبر غلام أبى بكر الذى أضل بعيره

وكان أبو بكر رضى الله عنه قال لرسول الله ﷺ بالمدينة : إن عندى بعيراً نحمل عليه زادنا . فقال : فذاك إذاً ! فكانت زاملة (٢) رسول الله ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه واحدة . وأمر ﷺ بزاد : دقيق وسويق ، فجعل على بعير أبى بكر رضى الله عنه . فكان غلامه يركب عليه عقبة (٣) ، فلما كان بالأثاية عرس الغلام وأناخ بعيره ، فغلبته عيناه . فقام البعير يجر خطامه آخذاً فى الشعب ، وقام الغلام فلزم الطريق — يظن أنه سلكها — وهو ينشده ، فلا يسمع له بذكر . ونزل رسول الله ﷺ فى أبيات بالعرج ، فجاء الغلام ، فقال أبو بكر رضى الله عنه أين بعيرك ؟ قال : ضل منى ! قال : ويحك ! لو لم يكن إلا أنا لهان الأمر (٤) ، ولكن رسول الله وأهله ! فلم ينشب (٥) أن طلع به صفوان بن المعطل وكان على ساقة (٦) الناس — فأناخه ، وقال لأبى بكر رضى الله عنه : أنظر هل تفقد شيئاً من متاعك ؟ فنظر فقال ما نفقد شيئاً إلا قعباً كنا نشرب به ! فقال الغلام : هذا القعب معى ! فقال أبو بكر رضى الله عنه أدى الله عنك الأمانة !

رواية اخرى فى خبر غلام أبى بكر

ورُوى أنه عليه السلام لما نزل بالعرج جلس وأبو بكر إلى جنبه ، وعائشة إلى جنبه الآخر ، وأسماء

---

(١) شرف السيالة : موضع بين ملل والروحاء . (معجم البلدان) ج ٣ ص ٣٣٦ .
(٢) الزاملة : البعير الذى يحمل عليه الزاد والمتاع .
(٣) العقبة : مقدار فرسخين .
(٤) فى (خ) « لهان عن الأمر » .
(٥) لم ينشب : ونشبه الأمر ، لزمه (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٣٧٠ .
(٦) الساقة : المؤخرة .

بجنب أبي بكر رضوان الله عليهم ، وأقبل الغلام فقال له أبو بكر : أين بعيرك ؟ قال : أضلني ! فقام إليه فضربه ويقول : بعيرٌ واحد يضل عنك ؟ ! فجعل ﷺ يتبسّم ويقول : ألا ترون هذا المحرم وما يصنع ؟ ! ولم ينهه

طعام آل نضلة لرسول الله ﷺ

وخُبِّر آل نضلة الأسلميون أن زاملة رسول الله ﷺ ضلت ، فحملوا جفنة من حَيْس (١) ، فأقبلوا بها حتى وضعوها بين يديه ، فقال : هلمّ يا أبا بكر ! فقد جاءك الله بغداء طيب ! وجعل أبو بكر رضي الله عنه يغتاظ على الغلام ، فقال النبي ﷺ : هوّن عليك ! فإن الأمر ليس إليك ولا إلينا معك ! فقد كان الغلام حريصاً على ألا يضلّ بعيره . فن هذا خَلَفٌ مما كان معه . فأكل رسول الله ﷺ وأهله وأبو بكر ، وكلّ من كان يأكل مع رسول الله ﷺ ، حتى شبعوا .

مجيء البعير ، وبعير سعد بن عبادة

ويجيء (٢) سعد بن عبادة رضي الله عنه وابنه قيس بن سعد براملة حتى يجدان رسول الله ﷺ واقفاً قد أتى الله بزاملته ، فقال سعدٌ : يارسول الله ! بلغنا أن زاملتك أضلّت الغلام ، وهذه زاملة مكانها . فقال : قد جاء الله بزاملتنا ، فارجعا بزاملتكما بارك الله عليكما ! أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك منذ نزلنا المدينة ؟ فقال سعد : يارسول الله ! المنّة لله ولرسوله ، والله يارسول الله ، الذي تأخذ من أموالنا أحب إلينا من الذي تدع ! قال صدقتم يا أبا ثابت ! أبشر فقد أفلحتَ إن الأخلاف (٣) بيد الله ، فن شاء أن يمنحه منها خلفاً صالحاً منحه ، ولقد منحك الله خلفاً صالحاً . فقال سعد : الحمد لله ، هو فعل ذلك .

سيادة بيت سعد بن عبادة

قال ثابت بن قيس بن شمّاس : يارسول الله : إن أهل بيت سعدٍ في الجاهلية سادتنا ، والمطعمون في المَحْل منّا (٤) ، فقال رسول الله ﷺ : الناس معادن : خيارهم في الجاهليّة خيارُهم في الإسلام إذا فقهُوا ، لهم ما أسلموا عليه (٥) .

---

(١) الحيس : الخلط ، وتمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه وربما جعل فيه سويق . (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٧٤٩ .

(٢) في (خ) « وجاء » ، والفعل المضارع أنسب لسياق العبارة .

(٣) الأخلاف : جمع خلف ، وهو العوض . (٤) المحل : الشدة .

(٥) في (خ) « له ما أسلم عليه » ، يقول محقق (ط) وكما أحفظه أثبته ، ولم أوفق الوقوف على مرجعه الآن » والحديث ذكره (السخاوي) في (المقاصد الحسنة) ص ٤٤١ حرف النون ، حديث رقم ١٢٣٨ وقال : « حديث الناس معادن كمعادن الذهب والفضة . العسكري من حديث أوس بن الربيع عن أبي حصين عثمان بن عاصم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة به مرفوعاً ، ولأبي هريرة في المرفوع حديث آخر لفظه : الناس معادن في الخير والشر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، أخرجه الطيالسي وابن منيع والحارث وغيرهم كالبيهقي من حديث ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وأصله في الصحيح . والديلمي عن ابن عباس مرفوعاً : الناس والعرق دساس » .
وانظر أيضاً : (كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) ج ١ ص ٤١٢ حديث رقم ٢٧٩٢ .

احتجام رسول الله ومسيره

واحتجم ﷺ بلَحْيي جمل (١) - وهو محرمٌ - في وسط رأسه ونزل السقيا يوم الأربعاء وأصبح بالأبواء ، فأهدى له الصعْب بن جثامة بن قيس الليثي عجز حمارٍ يقطر دماً ، فرده وقال : أنا محرم . وأكل بالأبواء لياءً مقليّ (٢) أهدي له من ودّان ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ (٣) ثم راح من الأبواء ، ونزل يوم الجمعة الجُحْفة ثم راح منها ، وكان يوم السبت بقديد .

خبر المرأة وصغيرها

ومرّ يومئذ بامرأة في محفتها (٤) ، ومعها ابنٌ لها صغيرٌ ، فأخذت بعضده فقالت : يارسول الله ، ألهذا حج ؟ قال : نعم ، ولك أجرٌ ! !

وكان يوم الأحد بعسفان ، ثم راح . فلما كان بالغميم اعترض المشاة ، فصفّوا صفوفاً فشكوا إليه المشيّ ، فقال استعينوا بالنَّسَلان (٥) . ففعلوا ، فوجدوا لذلك راحة . وكان يوم الإثنين بمر الظهران ، فلم يبرح حتى أمسى ، وغربت له الشمس بسَرِف ، فلم يصلّ المغرب حتى دخل مكة . وكان الناس لا يذكرون إلا الحجّ ، فلما كانوا بسَرِف أمر عليه السلام النّاس أن يحلوا بعمرة إلا من ساقّ الهدْيَ .

دخول مكة وعمل رسول الله وقوله

ولما انتهى إلى الثنيتين بات بينهما - بين كداء وكدى - ثم أصبح فاغتسل ، ودخلها نهار الاثنين الرابع من ذي الحجّة . وذكر الواقدي : أنه دخل مكة يوم الثلاثاء من كدَاء على راحلته القصواء إلى الأبطح ، فدخل مكة من أعلاها حتى انتهى إلى باب بني شيبة ، فلما رأى البيتَ رفع يديه ، فوقع زمام راحلته فاخذه بشماله ، ثم قال حين رأى البيت اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيما وتكريماً ومهابة وبراً ، ولما دخل المسجد بدأ بالطواف قبل الصلاة . قال طاوس : وطاف راكباً على راحلته فلما انتهى إلى الركن استلمه وهو مضطبع بردائه ، وقال : بسم الله والله أكبر . ثم رمل ثلاثة ثلاثة (٦) من الحجر إلى الحجرَ . وكان يأمر من استلم الركن أن يقول : بسم الله

---

(١) لحي جمل : هي عقبة الجحفة على سبعة أميال من السقيا ، وقد ذُكر في حديث الحكم بن بشار في كتاب مسلم أنه ماء (معجم البلدان) ج ٥ ص ١٥ .

(٢) اللياء : اسم نبات ، واحدته لياءة ، ويقال : هو اللوبيا ، مقلي : مقشر .

(٣) فيه دليل على أن هذا اللياء كان مقليا .

راجع (سنن ابن ماجه) ج ١ ص ١٦٥ حديث رقم ٤٩٠ وفيه « ... فقال جعفر بن عمرو بن أمية أشهد على أبي أنه شهد على رسول الله ﷺ أنه أكل طعاماً مما غيرت النار ، ثم صلى ولم يتوضأ » . « وقال علي بن عبد الله بن عباس : وأنا أشهد على أبي بمثل ذلك » .

(٤) المحفة : كالهودج إلا أنها لا تقبب .

(٥) النسلان : مشي سريع دون العدو .

(٦) رمل : أسرع في مشيته .

والله أكبر ، إيماناً بالله ، وتصديقاً بما جاء به محمد ﷺ وقال فيما بين الركن اليماني والأسود : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » . ولم يستلم من الأركان إلا اليماني والأسود . ومشى أربعة(١) ، ثم انتهى خلف المقام فصلى ركعتين ، يقرأ فيهما : « قل يا أيها الكافرون » ، و « قل هو الله أحد » ، ثم عاد إلى الركن فاستلمه .

نهى عمر عن مزاحمة الطائف

وقال لعمر رضى الله عنه : إنك رجلٌ قوى ، إن وجدت الركن خالياً فاستلمه ، وإلا فلا تزاحمْ عليه فتؤذى [الناس من يستلم الركن] (٢) . وقال لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : كيف صنعت بالركن يا أبا محمد(٣) ؟ فقال : استلمت وتركتُ ، فقال : أصبت .

صفة سعيه بين الصفا والمروة

ثم خرج إلى الصفا من باب بنى مخزوم ، وقال : أبدأ بما بدأ الله به . وسعى على راحلته ، لأنه قدم وهو شاك وقيل : سعى على بغلته ، والمعروف على راحلته . فصعد على الصفا فكبَّر سبع تكبيرات وقال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . ثم دعا بين ذلك . ونزل إلى المروة ، فلما انصبت قدماه فى الوادى رمل . وقال فى المشى . أيها الناس ! إن الله كتب عليكم السعى فاسعوا ؛ وسعى حتى انكشف إزاره عن فخذه . وقال فى الوادى : ربِّ اغفر وارحم ، وأنت الأعزُّ الأكرم ، فلما انتهى إلى المروة فعــل عليها مثل مافعل على الصفا ، فبدأ بالصفا وختم بالمروة .

فسخ حج من لم يسق الهدى إلى عمره

وأمر من لم يسق الهدى أن يفسخ حجه إلى عمرة ، ويتحلل حِلا تاماً ، ثم يهلّ بالحج (٤) وقتَ خروجه إلى مِنى ، وقال: لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ماسُقت الهدىَ ولجعلتها عمْرة . وقدم علىٌّ من اليمن، فقال له : بم أهللت ؟ قال : بإهلال كإهلال النبىّ ﷺ . فقال : إنى سُقت الهدىَ وقرنتُ(٥) . هكذا روى أبو داود بسند صحيح (٦) .

---

(١) رمل ثلاثة ، ومشى أربعة ، تلك أشواط الطواف السبعة .
(٢) زيادة للبيان .
(٣) فى (خ) « يا محمد » .
(٤) الإهلال لغة : أن يرفع المعتمر بالبيت الحرام صوته بالتلبية ، ثم قالوا : أهل المحرم بحجة أو بعمرة : أحرم بها .
(٥) القران بين الحج والعمرة : أن يجمع بينهما بنية واحدة وتلبية واحدة ، وإحرام واحد ، وطواف واحد، وسعى واحد ؛ فيقول : « لبيك بحجة وعمرة » وذلك الفعل هو القران : أى الجمع بين الحج والعمرة .
(٦) (سنن أبى داود) ج ٢ ص ٢٩٩ حديث رقم ١٨٠٧ ، ١٨٠٨ [باب ٢٥ الرجل يهل بالحج ثم يجعلها عمرة] .

نزول رسول الله بالأبطح

وكان قد اضطرب (١) بالأبطح ، فقالت أم هانىء : يارسول الله ، ألا تنزلُ فى بيوت مكة ؟ فأبَى ، ولم يزل بالأبطح حتى خرج يوم التروية (٢) ، ثم رجع من منًى فنزل بالأبطح حتى خرج إلى المدينة ، ولم يدخل بيتــاً ولم يُظِلـه .

دخوله الكعبة وصلاته بها

ودخل الكعبة بعد ماخلع نعليه ، فلما انتهى إلى بابها خلع نعليه . ودخل معه عثمان بن أبى طلحة ، وبلالٌ وأسامة بن زيد رضى الله عنهم ، فأغلقوا عليهم الباب طويلا ثم فتحوه ، وصلى فيه ركعتين بين الاسطوانتين المقدَّمتين ، وكان البيت على ستة أعمدة . وقيل : بل كبَّر فى نواحيه ولمْ يصَلّ . وروى أنه دخل على عائشة رضى الله عنها حزيناً ، فقالت : مالك يارسول الله ؟ قال : فعلتُ اليوم أمراً ليتنى لم أكُ فعلته ! دخلتُ البيت ، فعسى الرجلُ من أمتى لايقدرُ أن يدخله ، فتكون فى نفسه حزازةٌ(٣) ، وإنما أمرنا بالطواف ولم نؤمر بالدخول وكسا البيتَ الحِبَرات (٤) : وكانت الكعبة يومئذ ثمانية عشر ذراعاً .

مدة إقامته بمكة

وأقام بمكة يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس ، وكان يوم التروية يوم الجمعة ، فخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر بمكة . وقام يوم التروية بين الركن والمقام ، فوعظ الناس وقال : من استطاع أن يصلى الظهر بمنى فليفعل . فصلى فى حجته هذه صلاة أربعة أيام — وهو مقيم بمكة — حتى خرج إلى منى ، وهو فى كل ذلك يقصر (٥) . ولم تكن إقامته هــذه إقامةً ، لأنها ليست له بدار إقامة ، [وأنه لم ينو ﷺ أن] (٦) يتخذها دار إقامة ولا وَطن ، وإنما كان مقامه بمكة إلى يوم التروية كمقام المسافر فى حاجة يقضيها فى سَفَره منصرفاً إلى أهله ، فهو مقام من لانية له فى الإقامة . فلم ينو ﷺ جعلها مقامه . بل نوى الخروج منها إلى منًى يوم التروية عاملا فى حجته حتى ينقضىَ وينصرف إلى المدينة .

مسيره إلى منى

وركب حين زاغت الشمس فى يوم التروية بعد أن طاف بالبيت أسبوعاً فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء

---

(١) اضطرب بناء أو خيمة : إذا أقامه على أوتاد مضروبة فى الأرض .
(٢) يوم التروية . اليوم الثامن من ذى الحجة .
(٣) الحزازة : وجع القلب من غيظ ونحوه . (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٦٣٢ وفى (الواقدى) ج ٣ ص ١١٠٠ «حرارة» وما أثبتناه من (ابن سعد) .
(٤) الحبرات : جمع حبرة .
(٥) يقصر أى فى صلاته ، فيصلى الصلاة الرباعية ركعتين ركعتين .
(٦) ما بين القوسين بياض فى (خ) وما أثبتناه من (ط) .

والصبح بمنى ، وكان بلال إلى جانب رسول الله ﷺ فى مسيره إلى منى ، وبيده عود عليه (ثوبا وشىء) (١) . يظله من الشمس . وقالت له عائشة : يارسول الله ، ألا نبنى لك كنيفا (٢) ؟ فأبى ، وقال : منى منزل من سبق ! وقيل : بنى بمنى ليلة الجمعة التاسع من ذى الحجة .

مسيره إلى عرفة

ثم أصبح فسار إلى عرفة . ولم يركب من منى حتى رأى الشمس قد طلعت فركب إلى عرفة ، ونزل بنمرة ، وقد ضرب له بها قبة من شعر . ويقال : إنما قال إلى فىء صخرة (٣) ، وميمونة رضى الله عنها تتبع ظلها حتى راح عنها ، وأزواجه فى قباب — أو فى قبة — خز له . فلما كان حين زاغت الشمس أمر براحلته القصواء فرحلت برحل رث وقطيفة لاتسوى أربعة دراهم ، فلما توجه قال : اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة ! ثم أتى بطن الوادى — بطن عرفة (٤) — ، وكانت قريش لاتشك أنه لايتجاوز المزدلفة يقف بها ، فقال نوفل بن معاوية الديلى — وهو يسير إلى جنبه — : يارسول الله ! ظن قومك أنك تقف بجمع ! فقال : لقد كنت أقف بعرفة قبل النبوة خلافا لهم ، وكانت قريش كلها تقف بجمع (٥) ، إلا أن شيبة بن ربيعة من بينهم فإنه كان يقف بعرفة

صلاته بعرفة وخطبته ﷺ

وخطب ﷺ — حين زاغت الشمس — ببطن عرفة على ناقته ، فلما كان آخر خطبته أذن بلال ، وسكت ﷺ من كلامه .

فلما فرغ بلال من أذانه تكلم بكلمات ، وأناخ راحلته ، وأقام بلال ، فصلى — عليه السلام — الظهر ، ثم أقام فصلى العصر : جمع بينهما بأذان وإقامتين ثم ركب وهو يشير بيده إلى الناس : ارتفعوا إلى عرفة . وكان من خطبته بعرفة قبل الصلاتين .

خطبة عرفة

أيها الناس : إنى والله ما أدرى لعلى لا ألقاكم بمكانى هذا ، بعد يومكم هذا ، رحم الله امرأ سمع مقالتى فوعاها ، فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ! واعلموا أن أموالكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، واعلموا أن الصدور لا تغل على ثلاث : (٦)

(١) فى (غ) « عليه شىء يظله » وما أثبتناه من (ابن سعد) ج ٢ ص ١٧٧ .

(٢) الكنيف : كل ما ستر من بناء أو حظيرة من الخشب يستظل بها من حر الشمس .

(٣) قال : من القيلولة وهى نوم الظهيرة . والفىء : ما كان شمسا فزالت عنه ونسخه الظل .

(٤) بطن عرنة : وادى بحذاء عرفات .

(٥) جمع : هو مزدلفة .

(٦) من الإغلال وهو الخيانة ، أو من الغل وهو الحقد .

إخلاص العمل لله ، ومناصحة أهل الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم (١) . ألا أن كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ، وأول دماء الجاهلية أضع دم إياس بن ربيعة ابن الحارث [بن عبد المطلب] (٢) — [كان مسترضعا فى بنى سعد [بن بكر] (٢) فقتلته (٣) هذيل] — ، وربا الجاهلية موضوع (٤) كله وأول ربا أضعه ربا عباس بن عبد المطلب : اتقوا الله فى النساء ، إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، [وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة] (٥) ، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ، [فإن انتهين] (٥) ، فلهن (٦) عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله وأنتم مسؤلون عنى ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ! ثم قال بإصبعه السبابة يشير إلى السماء يرفعها وينكبها ثلاثا : اللهم اشهد .

المبلغ عنه بعرفة

وكان الذى يبلغ عنه بعرفة (٧) ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس ، فإنه شهد الخطبة نحو من أربعين ألفا .

ذكر المناسك

ووقف بالهضاب من عرفة وقال : كل عرفة موقف إلا بطن عرنة ، وكل مزدلفة موقف إلا (٨) بطن محسر ، وكل منى منحر إلا خلف العقبة .

وبعث إلى من هو بأقصى عرفة فقال : الزموا مشاعركم ، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم عليه السلام .

دعاؤه ﷺ بعرفة

ومد يديه — وهو واقف بعرفة — ثم أقبل براحتيه على وجهه وقال : إن أفضل دعائى ودعاء من كان قبلى من الأنبياء : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير .

الاختلاف فى صيامه بعرفة

واختلفوا فى صيامه ﷺ يومئذ : فقالت أم الفضل (٩) أنا أعلم لكم علم ذلك ، فأرسلت إليه بعس من لبن (١٠) ، فشرب وهو يخطب .

(١) أى تحوطهم وتحفظهم .

(٢) زيادات البيان من (ط) .

(٣) فى (غ) « فقتله » .

(٤) فى (غ) « موضع » .

(٥) زيادات من كتب السيرة .

(٦) فى (غ) « ولهن » .

(٧) فى (غ) « عرفة »

(٨) فى (غ) « إلى »

(٩) أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ .

(١٠) العس : قدح يسع ثمانية أرطال .

نزول آية الدين

ووقف على راحلته حتى غربت الشمس يدعو ! ونزل عليه وهو واقف بعرفة ، « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم »(١)

النفر من عرفة

وكان أهل الجاهلية يدفعون (٢) من عرفة إذا كانت الشمس على رؤوس الجبال كهيئة العمائم على رؤوس الرجال ، وظنت قريش أنه عليه السلام يدفع كذلك ، فأخر دفعه حتى غربت الشمس . ثم سار عشية ، وأردف أسامة ابن زيد(٣) من عرفة إلى مزدلفة .

الافاضة

وذكر الزبير بن بكار ، أن رسول الله ﷺ أفاض (٤) . عن يمينه أبو سفيان بن حرب ، وعن يساره الحارث ابن هشام ! وبين يديه يزيد ومعاوية ابنا أبي سفيان على فرسين ، فكان يسير العنق (٥) ، فإذا وجد فجوة نص (٦) وقال : أيها الناس ، على رسلكم (٧) ، عليكم بالسكينة ، ليدفع قويكم عن ضعيفكم .

النزول إلى مزدلفة

ومال إلى الشعب — وهو شعب الأذاخر ، عن يسار الطريق بين المأزمين (٨) — فبال . ولم يصل حتى نزل قريباً من الدار التي على قزح ، وصلى المغرب والعشاء بالمزدلفة [بأذان واحد لهما ، وبإقامتين ، لكل صلاة منهما إقامة] (٩) ، ولم يسبح بينهما ، ولا إثر واحدة منهما . فلما كان في السحر أذن — لمن استأذنه من أهل الضعف من الذرية والنساء — في التقدم من جمع قبل حطمة الناس(١٠) . وحبس نساءه حتى دفعن بدفعه(١١) حين أصبح . فرمى (١٢) الذين تقدموا الجمرة قبل الفجر أو مع الفجر .

---

(١) من الآية ٣/ المائدة ، وفي (خ) « دينكم ، الآية » .
(٢) يدفعون : ينطلقون .
(٣) أردفه : أركبه خلفه .
(٤) الإفاضة في الحج : اندفاع الناس بكثرة إلى منى متفرقين متفرقين بعد اجتماعهم في عرفة .
(٥) العنق : السير الهادي .
(٦) النص : السير السريع ، والفجوة : الفسحة بين جماعة الناس .
(٧) الرسل : الصبر وعدم العجلة .
(٨) المأزمان : بين المشعر الحرام وعرفة وبه المسجد الذي يجمع فيه الحجيج بين صلاتي الظهر والعصر .
(٩) في (خ) مكان ما بين القوسين « بإقامة إقامة » .
(١٠) الحطمة : زحمة الناس .
(١١) في (خ) « بدفعة » .
(١٢) في (خ) « فرأى » .

الدفع من مزدلفة

ولما برق الفجر ، صلى عليه السلام الصبح ، ثم ركب راحلته ووقف على قزح . وكان أهل الجاهلية لا يدفعون من جمع حتى تطلع الشمس على ثبير ، يقولون : « أشرق ثبير ، كيما نغير » فقال رسول الله ﷺ : إن قريشاً خالفت عهد ابراهيم . فدفع قبل طلوع الشمس .

موقفه بمنى

وأردف الفضل بن العباس من مزدلفة إلى منى . وقال : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف .

جمع الجمرات من مزدلفة

وحمل حصى العقبة من المزدلفة ، وأوضع في وادي محسر ولم يقطع التلبية حتى رمى الجمرة ، ورمى جمرة العقبة يوم النحر على ناقته (١) ، ولا ضرب ولا طرد ، ولا إليك إليك (٢) .

نحر الهدى وتفريقه والأكل منه

ولما انتهى إلى المنحر (٣) قال : هذا المنحر ، وكل منى منحر ، وكل فجاج مكة طريق ومنحر ، ثم نحر بيده ثلاثاً وستين بدنة بالحربة ، ثم أعطى رجلاً فنحر ما بقي ، ثم أمر من كل بدنة نحرها ببضعة (٤) فجعل في قدر فطبخه ، فأكل من لحمها وحسا من مرقها . وأمر علياً رضي الله عنه أن يتصدق بجلال البدن وجلودها ولحومها ، ولا يعطي منها في جزرها شيئاً .

التحليق

ولما فرغ من نحر الهدي دعا الحلاق ، وحضر المسلمون يطلبون شعره ، فناول (٥) الحلاق شق رأسه الأيمن ، ثم أعطاه أبا طلحة الأنصاري [ثم ناوله الشق الأيسر فحلقه . فأعطاه أبا طلحة ، فقال أقسم بين الناس] (٦) .

ناصية رسول الله لخالد بن الوليد ، وحديث أبي بكر في أمر خالد

وكلمه خالد بن الوليد في ناصيته حين حلق ، فدفعها إليه ، فكان يجعلها في مقدم قلنسوته (٧) ، فلا يلقى جمعاً إلا فضه . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : كنت أنظر إلى خالد بن الوليد وما نلقى منه في أحد ،

---

(١) في (خ) « راقبها » .
(٢) إليك إليك : تنبيه يراد به الزجر ، والمعنى أن الحج سمته الهدوء والرفق .
(٣) في (خ) « النحر » .
(٤) البضعة : القطعة من اللحم .
(٥) في (خ) « وأعطى الحلاق » وما أثبتناه من (ط) . وهي رواية الواقدي .
(٦) ما بين القوسين تتمة من (ط) عن السيرة الحلبية .
(٧) وفي (الواقدي) « كان يضعها على عينيه وفيه » .

وفى الخندق ، وفى الحديبية ، وفى كل موطن لاقانا ، ثم نظرت إليه يوم النحر يتقدّمُ إلى رسول الله ﷺ بدنة وهى تعتب فى العقل (١) ، ثم نظرتُ إليه ورسول الله ﷺ يحلق رأسه وهو يقول : يارسول الله ! ناصيتك ! لا تؤثر علىّ بها أحداً (٢) ! فداك أبى وأمى ! فأنظر إليه أخذ ناصية رسول الله ﷺ فكان يضعها على عينيه وفيه .

تفريق شعره ﷺ بين الناس

وفرق ﷺ شعره فى النّاس . ولما حلق رأسه . أخذ من شاربه وعارضيه ، وقلم أظافره ، وأمر بشعره وأظفاره أن يدفنا .

المحلقون والمقصرون

وقصّر قومٌ وحلّق آخرون فقال ﷺ : رحم الله المحلقين ! ثلاثاً ، كلّ ذلك يقال : والمقصرين يارسول الله ! فقال : والمقصرين فى الرابعة .

وأصاب الطيب بعد أن حلق ، ولبس القميص ، وجلس الناس ، فما سئل يومئذ عن شىء قدّم أو أخر (٣) إلا قال : أفعله ولا حرج .

النهى عن الصيام أيام منى

وبعث عبد الله بن حذافة السهمى — وقيل كعب بن مالك — ينادى فى الناس بمنىً : إن رسول الله قال : إنها أيام أكل وشرب وذكر الله . فانتهى المسلمون عن صيامهم ؛ إلا مُحْصَرٌ (٤) أو متمتع بالعمرة إلى الحج . فإن الرخصة من رسول الله ﷺ أن يصوموا أيام منىً .

الافاضة يوم النحر إلى مكة

وأفاض ﷺ يوم النحر وأردف معاوية بن أبى سفيان من منىً إلى مكة واختلف أين صلى الظهر يومئذ ؟ ويقال أفاض من نسائه مساء يوم النحر ؛ وأمر أصحابه فأفاضوا بالنهار .

الشرب من زمزم

وأتى زمزم فأمر بدلو فنزع ؛ فشرب منه وصبّ على رأسه وقال : لولا أن تغلبوا عليها ياولد عبد المطلب لنزعتُ منها . ويقال : إنه نزع دلواً لنفسه .

(١) أى تمشى على ثلاث .
(٢) فى (خ) « أحد » .
(٣) أى مناسك الحج على مراتبها .
(٤) من الإحصار وهو الحبس .

رمى الجمرات

وكان يرمى الجمار حين تزيغ الشمس قبل الصلاة ماشياً — ذاهباً وراجعاً — فى اليومين ، ورمى يوم الصدر حين زاغت الشمس قبل الصلاة . وكان إذا رمى الجمرتين علاهما ، ويرمى جمرة العقبة من بطن الوادى وكان يقف عند الجمرة الأولى أكثر مما يقف عند الثانية ، ولا يقف عند الثالثة ، فإذا رماها انصرف . وكان إذا رمى الجمرتين وقف عندهما ورفع يديه ، ولا يفعل ذلك فى رمى العقبة ، فإذا رماها انصرف .

النهى عن المبيت بسوى منى

ونهى أن يبيت أحدٌ ليالىَ منىً بسوى منىً ، ورخص للرعاء أن يبعدوا عن منىً . ومن جاء منهم فرمى بالليل رخص له فى ذلك . وقال ارموا بمثل حصى الخذف . وكان أزواجه يرمين مع الليل .

عدة الخطب فى حجة الوداع

وخطب فى حجته ثلاثَ خطبٍ : الأولى قبل التروية بيوم بعد الظهر بمكة ، والثانية يوم عرفة بعرفة حين زاغت الشمسُ على راحلته قبل الصلاة ، والثالثة يوم النحر بمنىً بعد الظهر على راحلته القصواء ، وقيل : بل خطب الثانية ثانى يوم النحر .

وقال المحبُّ الطبرى : دلت الأحاديثُ على أنّ الخُطَبَ فى الحج خمسٌ : خطبة يوم السابع من ذى الحجّة ، وخطبة يوم عَرَفة ، وخطبة يوم النحر ، وخطبة يوم القَرّ (١) وخطبةُ يوم النفر الأول (٢) ، قال الواقدى : فقال — يعنى فى خطبة يوم النَّحر بمنىً — :

خطبة يوم النحر بمنى

أيها الناس ، اسمعوا من قولى واعقلوه ، فإنى لا أدرى ؛ لعلى لا ألقاكم بعدَ عامى هذا ! أيها الناس ! أىُّ شهرٍ هذا ؟ فسكتوا ، فقال : هذا شهر حرام ؛ وأى بلدٍ هذا ؟ فسكتوا ، فقال : بلد حرام . وأى (٣) يوم هذا ؟ فسكتوا ، قال : يوم حرامٌ ، ثم قال : إن الله قد حرّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ،

(١) يوم القر : الغد من يوم النحر .
(٢) أيام الحج : اليوم السادس من ذى الحجة : يوم الزينة .
اليوم السابع من ذى الحجة : يوم التروية .
اليوم الثامن من ذى الحجة : يوم منى .
اليوم التاسع من ذى الحجة : يوم عرفة .
اليوم العاشر من ذى الحجة : يوم الأضحى يوم الحج الأكبر .
أيام التشريق : اليوم الحادى عشر من ذى الحجة : يوم القر .
اليوم الثانى عشر من ذى الحجة : يوم النفر الأول .
اليوم الثالث عشر من ذى الحجة : يوم النفر الآخر .
(٣) فى (خ) « أى » بغير واو قبلها ، وهى رواية الواقدى .

في يومكم هذا إلى أن تلقوا ربكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد ، ثم قال : إنكم سوف تلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا هل بلغت ؟ قال الناس : نعم ، قال : اللهم اشهد ، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع ، وإن كل دم في الجاهلية موضوع ، [ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله] (١) وأول دمائكم أضع دم إياس بن ربيعة بن الحارث — [كان مسترضعاً في بني سعد بن ليث فقتلته هذيل] — ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، ألا إن كل مسلم محرم على كل مسلم ، ولا يحل مال امرئ مسلم إلا ما أعطى عن طيب نفس .

فقال عمرو بن يثربي : يارسول الله ، أرأيت إن لقيت غنم ابن عمي ، أجتزر (٢) منها شاة ؟ فقال : إن لقيتها [نعجة] (٣) تحمل شفرة [وأزناداً] (٣) بخبت الجميش (٤) فلا تهجها !

ثم قال : أيها الناس : « إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله (٥) ، [ويحرموا ما أحل الله] (٦) ، ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا (٧) عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية : ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذي يدعى شهر مضر : الذي جاء بين جمادى الآخرة وشعبان ، والشهر تسعة وعشرون وثلاثون ، ألا هل بلغت ؟ فقال الناس : نعم ، فقال : اللهم اشهد .

ثم قال : أيها الناس ، إن للنساء عليكم حقاً ، وإن لكم عليهن حقاً : فعليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً ولا يدخلن بيوتكم أحداً تكرهونه إلا بإذنكم ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع (٨) ، وأن تضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان (٩) ، لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت ؟ قال الناس : نعم ، قال : اللهم اشهد .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه [من أعمالكم] (١٠) . إن كل مسلم أخو المسلم ، وإنما المسلمون أخوة ، ولا يحل لامرئ مسلم دم أخيه ولا ماله

(١) ما بين القوسين تمام الخطبة من (ابن هشام) ج ٤ ص ١٨٥ .
(٢) في (خ) « أجزر » ، وما أثبتناه من (مسند أحمد) ج ٥ ص ١١٣ .
(٣) زيادات من كتب السيرة .
(٤) علم الصحراء بين مكة والمدينة (معجم البلدان) ج ٢ ص ٣٤٣ .
(٥) من الآية ٣٧ / التوبة ، وفي (خ) إلى قوله تعالى « ليواطئوا عدة ما حرم الله » .
(٦) زيادة من (ابن هشام) ج ٤ .
(٧) في (خ) « اثني عشر » .
(٨) في (خ) « بالمضاجع » .
(٩) العواني : جمع « عانية » وهي الأسيرة .
(١٠) زيادة من (ابن هشام) ج ٤ ، كان مكانها في (خ) « فقد رضي به » .

إلا بطيب نفس منه ، وإنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ، وحسابهم على الله ، ولا تظلموا أنفسكم ، ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . إني قد تركت فيكم ما لا تضلون به : كتاب الله . ألا هل بلغت ؟ قال الناس : نعم ، قال : اللهم اشهد .

يوم الصدر

ثم انصرف إلى منزله ، وصلى الظهر والعصر يوم الصدر بالأبطح . قالت عائشة رضي الله عنها : إنما نزل رسول الله ﷺ بالمحصب لأنه كان أسمح (١) لخروجه .

خبر صفية وعائشة

وذكر صفية بنت حيي رضي الله عنها ، فقيل له : قد حاضت ! فقال : أحابستنا هي ؟ فقيل : يارسول الله ، إنها قد أفاضت ، قال : فلا إذن ، فلما جاءت عائشة رضي الله عنها من التنعيم وقضت عمرتها ، أمر بالرحيل ، ومر بالبيت فطاف به قبل الصبح .

الرجوع إلى المدينة ومدة إقامة المهاجر بمكة

ثم انصرف راجعاً إلى المدينة . وقال إنما هي ثلاث يقيم بها (٢) المهاجر بعد الصدر . وسأل سائل أن يقيم بمكة ، فلم يرخص له أن يقيم إلا ثلاثة أيام ، وقال : إنها ليست بدار مكث ولا إقامة .

عيادة سعد بن أبي وقاص

وجاء سعد بن أبي وقاص بعد حجه يعوده من وجع أصابه . فقال : يارسول الله ، قد بلغ بي ما ترى من الوجع (٣) ، وأنا ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة لي ، فأتصدق بثلث (٤) مالي ؟ قال : لا ! قال : فالشطر ؟ قال : لا ! [قال : فالثلث ؟] (٥) قال الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تترك (٦) ورثتك أغنياء خير (٧) من أن تتركهم عالة يتكففون [الناس] (٨) ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها ، حتى ما تجعل في امرأتك ! فقال : يارسول الله ، أخلف بعد أصحابي ؟ فقال : إنك إن تخلف فتعمل صالحاً تزدد خيراً ورفعة ، ولعلك إن تخلف ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون . اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم .

(١) أسمح لخروجه : أسهل لخروجه من مكة إلى المدينة .
(٢) أي بمكة .
(٣) بلغ به : أي بلغ به المرض كل مبلغ .
(٤) في (خ) « بثلث » .
(٥) زيادة من (ابن سعد) .
(٦) في (خ) « إنك أنت تترك » .
(٧) في (خ) « خيراً » .
(٨) زيادة (من ابن سعد) .

موت سعد بن خولة بمكة

لكن البائس سعد بن خولة ! يرثى له أنْ مات بمكة . [وذلك أن رسول الله ﷺ كان يكره لمن هاجر أن يرجع إليها ، أو يقيم بها أكثر من انقضاء نسكه] (١) .

وخلّف على سعد بن أبي وقاص رجلا ، وقال : إنْ مات سعد بمكة فلا تدفنه بها . يكره [ﷺ] (٢) أن يموت الرجل في الأرض التي هاجر منها .

وداع البيت الحرام

ولما ودّع ﷺ البيتَ وكان في الشوط السابع ، خلّف البيتَ [من باب الحزورة] (٣) .

وكان إذا قفل من حجّ أو عمرة أو غزوة ، فأوفى على ثنية أو فدفد ، كبّر ثلاثاً ثم قال . لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لايموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير . آيبون تائبون ساجدون عابدون ، لربّنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده (٤) ، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال ، اللهم بلّغنا بلاغاً صالحاً يبلغ إلى خير ، مغفرة منك ورضواناً .

النزول بالمعرس والنهى عن طروق النساء ليلا

ولما نزل بالمعرّس (٥) ، نهى أن يطرقوا النساء ليلا ، فطرق رجلان أهليهما ، فكلاهما وجد مايكره .

وأناخ بالبطحاء ، وكان إذا خرج إلى الحج سلك على الشجرة (٦) ، وإذا رجع من مكة دخل المدينة من معرّس الأبطح ، فكان في معرّسه في بطن الوادي ، وكان فيه عامّة الليل ، فقيل له : إنك ببطحاء مباركة .

إسلام جرير بن عبد الله البجلى

وفي هذه السنة — وهي العاشرة — قدم جرير بن عبد الله بن جابر — وهو الشليل (٧) — بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف (٨) بن خزيمة (٩) بن حرب بن علي (١٠) بن مالك بن سعد بن نذير (١١) بن

(١) زيادة لتمام الخبر من (ابن سعد) .
(٢) زيادة للبيان .
(٣) كذا في (ط) ، وفي (خ) « خلف البيت يعني الباب وهو كلام مضطرب » وفي (عيون الأثر) ج ٢ ص ٢٨٠ « ثم خرج من كدى أسفل مكة من الثنية السفلى » .
(٤) في (خ) « بعده » .
(٥) المعرس : هو مسجد ذي الحليفة .
(٦) هي الشجرة التي ولدت عندها أسماء بنت محمد بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) .
(٧) في (خ) « جابر بن السليل » .
(٨) في الإصابة « عوف » .
(٩) في (خ) « خزيمة » .
(١٠) في (خ) « عدى » .
(١١) في (خ) « زيد » .

قسر (١) — وهو مالك — بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث البجلي (٢) — مسلماً في شهر رمضان .

إسلام فيروز وباذان بن منبه ، ووفد النخع

وفيها أسلم فيروز من الأبناء (٣) ، وباذان ، ووهب بن منبّه ، باليمن . وللنصف من محرم سنة إحدى عشرة ، قدم وفد النخع — وهم مائتا رجل ، فنزلوا دار رملة بنت الحارث بن عداء ، وكان نصرانياً .

بعث أسامة بن زيد إلى أبنى ، غزو الروم ،

ثم كان بعث أسامة بن زيد إلى أهل أبنى (٤) بالشراة (٥) ناحية بالبلقاء ، وذلك أن رسول الله ﷺ أقام — بعد حجته — بالمدينة بقيّة ذي الحجة والمحرّم ، ومازال يذكر مقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم ، ووجد عليهم وجداً شديداً . فلما كان يوم الإثنين — لأربع بقين من صفر سنة إحدى عشرة [من مهاجر رسول الله ﷺ] (٦) ، أمر رسول الله ﷺ بالتهيّؤ لغزو الروم ، وأمرهم بالجدّ .

أمر أسامة بالغزو وتأميره

ثم دعا من الغد — يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر — أسامة بن زيد فقال : يا أسامة ، سِرْ على اسم الله وبركته حتى تنتهيَ إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيلَ ، فقد وليتك هذا الجيشَ ، فأغِرْ صباحاً على أهل أبنى (٤) وحرّق عليهم ! وأسرع السيرَ تسبق الخبرَ ، فإن أظفرك الله فأقلل اللبثَ (٧) فيهم وخذ معك الأدلاء ، وقدّم العيون أمامك والطلائع .

إبتداء مرض رسول الله ﷺ ووصيته لأسامة

فلما كان يوم الأربعاء — لليلتين بقيتا من صفر — ابتدأ مرض رسول الله ﷺ فصُدّع (٨) وحُمّ . وعقد يوم الخميس لأسامة لواءً بيده . وقال . يا أسامة ! أغز بسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله (٩) . اغزوا ولاتغدروا ، ولاتقتلوا وليداً ولا امرأة ، ولاتمنّوا لقاء العدوّ ، فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم ، ولكن قولوا : اللهم اكفناهم ، واكفف بأسهم عنّا ؛ فإن لقوكم قد أجلبوا وصيحوا فعليكم بالسكينة والصمت ،

(١) في (خ) « اس » .
(٢) البجلي : نسبة إلى « بجيلة » وهي أم ولد أنمار بن إراش وإليها ينسبون .
(٣) الأبناء : هم قوم من أبناء فارس باليمن .
(٤) في (خ) « ابنا » .
(٥) في (خ) « بالشراة » .
(٦) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ .
(٧) في (خ) « اللبث » .
(٨) صدع : (بالبناء المجهول والتشديد) أصابه الصداع ، وهو وجع الرأس .
(٩) في (ابن سعد) « فقاتل من كفر بالله » .

ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وقولوا اللهم إنا عبادك ، نواصينا ونواصيهم بيدك وإنما تغلبهم أنت ! واعلموا أن الجنة تحت البارقة (١) .

خروج أسامة وجيشه

فخرج أسامة فدفع لواءه إلى بريدة بن الحصيب ، فخرج به إلى بيت أسامة ، وعسكر بالجُرف ، وخرج الناس . ولم يبق أحد من المهاجرين الأولين [والأنصار] (٢) إلا انتدب (٣) فى تلك الغزوة ، كعمر بن الخطاب (٤) ، وأبى عبيدة ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبى الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنهم ، فى رجال آخرين ، ومن الأنصار عدة مثل ، قتادة بن النعمان ، وسلمة بن أسلم بن حريش .

طعن رجال من المهاجرين فى تأمير أسامة

فقال رجال من المهاجرين — وكان أشدهم فى ذلك قولا عياش بن أبى ربيعة — : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟! فكثرت القالة ، وسمع عمر رضى الله عنه بعض ذلك فرده على من تكلم ، وأخبر رسول الله ﷺ به فغضب غضباً شديداً ! وخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

خطبة رسول الله ﷺ فى أمر أسامة رضى الله عنه

أما بعد أيها الناس ، ما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ؟ ! والله لئن طعنتم فى إمارتى أسامة لقد طعنتم فى إمارتى أباه من قبله ! وايم الله . إن كان للإمارة لخليقاً ، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلىّ ، وإنهما لمخيلان (٥) لكل خير ، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم .

توديع الغزاة

ثم نزل فدخل بيته ، وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول . وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ فيهم عمر رضى الله عنه .

الأمر بإنفاذ بعث أسامة

فقال : أنفذوا بعث أسامة . ودخلت أم أيمن رضى الله عنها فقالت يارسول الله لو تركت أسامة يقيم فى معسكره حتى تماثل ، فإن أسامة إن خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه ، فقال أنفذوا بعث أسامة .

---

(١) البارقة : السيوف .
(٢) زيادة من (ابن سعد)
(٣) انتدب : أسرع فى النهوض إليها .
(٤) ذكر (ابن سعد) « أبا بكر الصديق » قبل « عمر بن الخطاب » .
(٥) كذا فى (ط) ، و (الواقدى) ، وفى (خ) « لمخيلان » .

دخول أسامة على رسول الله ﷺ ودعاؤه له

فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد ، ونزل أسامة يوم الأحد — ورسول الله ﷺ ثقيل مغمور (١) ، وهو اليوم الذى لدُّوه فيه (٢) ، — فدخل عليه وعيناه تهملان (٣) — وعنده العباس ، والنساء حوله — فطأطأ عليه أسامة فقبله ، وهو [ﷺ] (٤) لا يتكلم ، إلا أنه يرفع يده إلى السماء ثم يصبُّها على أسامة ، كأنه يدعو له . فرجع أسامة إلى معسكره . وغدا منه يوم الاثنين . فأصبح رسول الله ﷺ مفيقاً ، وجاءه أسامة ، فقال ، أغد على بركة الله ، فودعه أسامة ورسول الله ﷺ مفيق .

خروج أبى بكر إلى السنح

ودخل أبو بكر رضى الله عنه فقال : يارسول الله ، أصبحت مفيقاً بحمد الله ، واليوم يوم ابنة خارجة (٥) فأذن [لى] (٦) فأذن له ، فذهب إلى السُّنح (٧)

خروج الجيش

وركب أسامة إلى معسكره ، وصاح فى أصحابه اللحوق بالعسكر ، فانتهى إلى معسكره فنزل ، وأمر الناس بالرحيل وقد متع النهار .

إبلاغ خبر وفاة رسول الله ﷺ لجيش أسامة

فبينا هو يريد أن يركب من الجرف ، أتاه رسول أمه — أم أيمن — يخبره أن رسول الله ﷺ يموت . فأقبل إلى المدينة معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما ، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت : فتوفى ﷺ حين زاغت الشمس يوم الإثنين لاثنى عشرة خلت من ربيع الأول .

يوم وفاته ﷺ

وقال السهيلى : لا يصح أن تكون وفاته يوم الاثنين إلا فى ثانى الشهر ، أو ثالث عشره ، أو رابع عشره ، (أو خامس عشره) (٨) ، وذكر الكلبى وأبو مخنف أنه توفى فى الثانى من ربيع (٩) ، وقد صححه ابن حزم وغيره . وقال الخوارزمى : توفى أول ربيع .

---

(١) مغمور : مغمى عليه .
(٢) لدوه : أعطوه الدواء ، واللدود : ما يصب بالمسعط من الدواء فى أحد شقى الفم (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ١٣٥ .
(٣) تسيل دمعهما . (٤) زيادة .
(٥) فى (خ) « ابنه خارجه » ، وهى زوج أبى بكر الصديق والدة أم كلثوم بنت أبى بكر .
(٦) زيادة للسياق .
(٧) السنح : إحدى محال المدينة من أطرافها وكان بها منزل أبى بكر .
(٨) زيادة من (الروض الأنف)
(٩) فى (خ) « فى ثامن ربيع » ، وما أثبتناه من (الروض الأنف) .

رجوع الغزاة إلى المدينة

ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة، ودخل بُريدةُ ابن الحُصَيْب باللواء فغرزه معقوداً عند باب رسول الله ﷺ ، فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه أمر بُرَيْدَةَ أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ، وألا يحُلّه أبداً حتى يَغْزُوَهم أسامة .

أمر أبي بكر بتوجيه الغزو

وقال [أبو بكر] لأسامة : أنفذْ في وجهك الذي وجهك فيه رسول الله ﷺ . وأخذ الناس بالخروج فعسكروا في موضعهم الأول ، وخرج بريدة باللواء ، ومشى أبو بكر رضي الله عنه إلى أسامة في بيته ، فكلّمه في أن يترك عمر رضي الله عنه ، ففعل وخَرَجَ فنادى مناديه : عزمةً مِنّي ألا يتخلّف عن أسامة من بَعْثِه أحدٌ ممن انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ ، فإني لن أوتَى بأحدٍ بطّأ عن الخروج إلا ألحقته به ماشياً . فلم يتخلّف عن البعث أحدٌ .

تشييع أبي بكر أسامة

ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه يشيِّعُ أسامة فركب من الجُرُف لهلال ربيع الآخر في ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس ، وسار أبو بكر رضي الله عنه إلى جنبه ساعةً وقال : أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، إني سمعتُ رسول الله [ﷺ] يوصيك ، فأنفذ لأمر رسول الله ، فإني لستُ آمرك ولا أنهاك عنه ، إنما أنا منفذ لأمر أمر به رسول الله [ﷺ] .

غزو أسامة

فخرج سريعاً فوطئ بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الإسلام — جهينة وغيرها من قضاعة — حتى نزل وادي القرى ، فقدّم عيناً له من بني عذرة يدعى حُرَيثاً ، فانتهى إلى أُبْنَى (١) ، ثم عاد فلقيَ أسامة على ليلتين من أُبنى فأخبره أن الناس غارّون ولا جموع لهم ، وحثّه على سرعة السير قبل اجتماعهم ، فسار إلى أُبنى وعبأ أصحابه ، ثم دفع عليهم الغارةَ فقتل وسَبَى ، وحرّق بالنار منازلهم وحرثهم ونخلهم ، ورحل مساءً حتى قدم المدينة ، وقد غاب خمسة وثلاثين يوماً . وقيل : قدِمَ لشهرين وأيام .

خبر وفاة رسول الله ﷺ ونعيه إلى نفسه

وكان من خبر وفاة رسول الله ﷺ أن الله تعالى أنذره بموته حين أنزل عليه : « إذا جاء نصر الله والفتح » ، فقال : نُعِيَتْ إليّ نفسي ! فحج حجّة الوداع .

عرض القرآن في رمضان

وكان جبريل ينزل عليه في كل سنة مرّةً ، وفي شهر رمضان . فيعرض عليه القرآن مرةً واحــدة ، وكان

---

(١) في (خ) « أبنا » .

يعتكف العشر الأواخر [من رمضان] (١) . فلما كان في سنة موته ، عرض عليه جبريل القرآن مرّتين ، فقال [ﷺ] : ما أظنّ أجلي إلا قد حضر ! فاعتكف العَشْرَ الأواسط (٢) والعشر الأواخر ، وكان هذا نذيراً (٣) بموته .

الخروج إلى البقيع والاستغفار لأهله

ثم أمر بالخروج إلى البقيع ليستغفر لأهله والشهداء ويصلي عليهم ، ليكون توديعاً للأموات قبل الأحياء ، فوثب من مضجعه في جوف الليل ، فقالت عائشة رضي الله عنها : أين ؟ بأبي وأمي ! أي رسول الله ! قال : أمرت أن أستغفر لأهل البقيع . فخرج ومعه مولاه أبو مويهبة — ويقال : أبو موهبة ، ويقال : أبو رافع — حتى جاء البقيع ، فاستغفر لهم طويلا ، ثم قال : ليهنكم (٤) ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ! !

التخيــير

ثم قال : يا أبا مويهبة (٥) ! إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة ، فخُيِّرتُ بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة ! فقال بأبي وأمي ! خذ خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة ! فقال : يا أبا مويهبة ! لقد اخترت لقاء ربّي والجنة .

خبر شكوى رسول الله ﷺ

ثم انصرف ، وذلك ليلة الأربعاء ، فأصبح يوم الأربعاء محموماً — لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشر — وهو في بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها واشتكى شكوى جديدة حتى قيل : هو مجنون ، يعني ذات الجَنْب (٦)

مدة الشكوى

واجتمع إليه نساؤه كلهن ، فاشتكى ثلاث عشرة ليلة ، وقيل أربعة عشر يوماً ، وقيل : اثني عشر (٧) ، بُدِئَ ﷺ في بيت ميمونة رضي الله عنها .

صفة الشكوى

وأخذته بُحّة شديدة مع حُمّى مُوَصِّمَة (٨) مع صُداع ، وكان ينفث في علته شيئاً يشبه نفثَ آكل

---

(١) زيادة للبيان من (ط) .
(٢) في (خ) « الأوسط » .
(٣) في (خ) « نذير » .
(٤) في (خ) « ليهنكم » .
(٥) في (خ) « موهبة » .
(٦) وذات الجنب عند الأطباء نوعان : حقيقي وغير حقيقي ، فالحقيقي : ورم حار يعرض في نواحي الجنب في الغشاء المستبطن للأضلاع . وغير الحقيقي : ألم يشبهه يعرض في نواحي الجنب عن رياح غليظة مؤذية تحتقن بين الصفاقات ، فتحدث وجعاً قريباً من وجع ذات الجنب الحقيقي ، إلا أن الوجع في هذا القسم ممدود ، وفي الحقيقي ناخس (زاد المعاد) ج ٤ ص ٨١ .
(٧) في (خ) « اثنا عشر » .
(٨) في (خ) « معظمة » ، وما أثبتناه من (ط) ، ومعنى حمى موصمة : من قولك : وصمته الحمى توصيماً فتوصم ، آلمته فتألم (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٦٢١ .

الزبيب . ودخلت عليه أمّ بشر بن البراء بن معرور فقالت : يارسول الله ! ماوجدت مثل هذه الحُمَّى التى عليك على أحد ! فقال : إنا يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر ، ما يقول الناس ؟ قالت : يقولون يارسول الله : ذات الجنب ! فقال : ما كان الله ليسلطها على رسوله ، إنها همزة من الشيطان .

أكلة خيبر من الشاة المسمومة

ولكنها من الأكلة التى أكلت أنا وابنك بخيبر من الشاة ، وكان يصيبنى منها صداع مرة بعد مرة ، فكان هذا أوان انقطع أبهرى ! فمات ﷺ شهيداً .

الخروج إلى الصلاة

وكان إذا خفّ عنه ما يجده خرج فصلى بالناس ، وإذا وجد ثقلة قال : مروا الناس فليصلوا

خبر اللدود

واشتد شكوه حتى غمر من شدة الوجع ، فاجتمع عنده أزواجه ، وعمه العباس ، وأم الفضل بنت الحارث ، وأسماء بنت عميس رضى الله عنهم ، فتشاوروا فى لدِّه (١) حين غُمِر — وهو مغمور — فلدوه ، فوجدوا فى جوفه حفلا (٢) ، فلما أفاق قال من فعل هذا ؟ هذا عمل نساء جئن من هاهنا ! وأشار بيده إلى أرض الحبشة . وكانت أم سلمى وأسماء [بنت عميس] (٣) رضى الله عنهما لدَّتاه ، فقالوا : يارسول الله ، خشينا أن يكون بك ذات الجنب ، قال : فبم (٤) لددتمونى ؟ قالوا : بالعود الهندى ، وشىء من ورس ، وقطرات من زيت . فقال : والله ما كان ليعذبنى بذلك الداء (٥) .

أمره ألا يبقى فى البيت أحد إلا لد

ثم قال : عزمت عليكم لا يبقى فى البيت أحد إلا لُدَّ ، إلا عم النبى ﷺ (٦) — فجعل بعضهن يلدّ بعضاً ، والتدت ميمونة وهى صائمة ، لقسم رسول الله ﷺ .

إقامته ﷺ فى بيت ميمونة رضى الله عنها

وأقام ﷺ فى بيت ميمونة سبعة أيام ، يبعث إلى نسائه أسماء بنت عميس يقول لهن : إن رسول الله يشق عليه

(١) سبق شرح معناه .
(٢) كذا فى (خ) ، و (ط) ولم أجد ذكر هذه الكلمة ولا معناها فيما عندى من كتب السيرة .
(٣) زيادة للبيان من (ط) .
(٤) فى (خ) « فيما » وما أثبتناه من كتب السيرة .
(٥) فى (خ) « الداير » وما أثبتناه من كتب السيرة .
(٦) يعنى « العباس » .

أن يدور عليكن ، فحللنه . فكن يحللنه . ويروى أن فاطمة عليها السلام — بنت رسول الله ﷺ — هى التى كانت تدور على نسائه وتقول ذلك .

طوافه على نسائه فى شكواه

ويروى أنه كان يُحْتَمَل فى ثوب يطاف به على نسائه ، وذلك أن زينب بنت جحش كلمته فى ذلك قال : فأنا أدور عليكن . فكان يُحْتَمَل فى ثوب يحمل بجوانبه الأربع ، يحمله أبو رافع مولاه ، وأبو مويهبة ، وشقران وثوبان حتى يقسم لهن كما كان يقسم . فجعل يقول : أين أنا غداً ؟ فيقولون : عند فلانة ، فيقول : أين أنا بعد غد ؟ فيقولون . عند فلانة ! فعرف أزواجه أنه يريد عائشة رضى الله عنها .

هبة أمهات المؤمنين أيامهن لعائشة

فقلن يارسول الله . قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة ويروى أنه لما ثقل واشتد وجعه ، استأذن أزواجه أن يمرض فى بيت عائشة ، فأذن له ، فخرج بين الفضل بن العباس وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما . تخط رجلاه فى الأرض (١) — وذلك يوم الأربعاء الآخر (٢) — حتى دخل بيت عائشة رضى الله عنها ، فأقام فى بيتها حتى توفى .

اشتداد الحمى وإراقة الماء عليه

ولما اشتد وجعه بعد أن دخل بيتها . قال . أهريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن (٣) ، لعلى أعهد إلى الناس ، فأجلسوه فى مخضب (٤) لحفصة رضى الله عنها من صفر ، ثم صبوا عليه تلك القرب ، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم : وكانت تلك القرب من بئر أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه .

خطبته قبل وفاته

وخرج فى يوم السبت عاشر ربيع الأول — مشتملا قد طرح طرفيه على عاتقيه ، عاصبا رأسه بخرقة — فأحدق الناس به وهو على المنبر . فقال : والذى نفسى بيده ، إنى لقائم على الحوض الساعة — ثم تشهد واستغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد — ثم قال :

ذكر التخيير

إن عبداً من عباد الله خيره بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله العبد ! فبكى أبو بكر رضى الله عنه فقال : بأبى وأمى ! نفديك بآبائنا وأمهاتنا ، وبأنفسنا وأموالنا ! فقال : على رسلك [يا أبا بكر] (٥) سدوا هذه الأبواب الشوارع (٦) إلى المسجد إلا باب أبى بكر ، فإنى

(١) فى (خ) « ورجلاه تخط الأرض » وما أثبتناه من (ابن سعد) ج ٢ ص ٢٣٢ .
(٢) قوله : « يوم الأربعاء الآخر » أى التالى للأربعاء الأول الذى بدىء فيه .
(٣) أريقوا ، أهريقوا : صبوا ، والأوكية جمع وكاء ، وهو الخيط الذى يشد به فم السقاء أو الوعاء .
(٤) فى (خ) « مخصب » ، والمخضب إناء واسع تغسل فيه الثياب .
(٥) زيادة للبيان من (ابن سعد) . (٦) الشوارع : النافذة والمؤدية إلى المسجد .

أمنّ (١) الناس علىّ في صُحبته وماله أبو بكر ، فلو كنتُ متخذاً في الناس خليلا لاتخذتُ أبا بكر خليلا . ولكن أخوة الإسلام ومودته . فقال عمر رضى الله عنه : دعنى يارسول الله أفتح كوة : أنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة، فقال : لا . أيها الناس ، [وكان بابُ أبى بكر رضى الله عنه فى غربىّ المسجد (٢)] . ثم ذكر أسامة بن زيد فقال، أنفذوا بعث أسامة — وكرر ذلك ثلاثاً — فلعمرى لئن قلتم فى إمارة أبيه من قبله . وإنه والله لخليقٌ للامارة ، وأبوه من قبله ، وإن كان لمنْ أحبِّ الناسِ الناسِ إلىّ .

ويروى أنه قال أيضاً — بعد [ذكر] (٣) — : يامعشر المهاجرين ! إنكم أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لاتزيدُ ، هى على هيئتها التى هى عليها اليوم ، وإن الأنصار عيبتى التى أويتُ إليها ، ونعلى التى أطأ بها ، وكرشى التى آكلُ فيها ، فاحفظونى فيهم ، فأكرموا كريمهم ، وأقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن من مسيئهم ، فقال رجل : يارسول الله ! مابالُ أبوابٍ أمرتَ بها أن تفتح : وأبوابٍ أمرتَ بها أن تغلق ؟ قال : مافتحتها ولاسددتها عن أمرى ! !

خبر كتاب رسول الله عند موته

واشتدَّ به ﷺ وجعه يوم الخميس ، فقال : ائتونى بدواةٍ وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ! فتنازعوا فقال بعضهم : ماله ؟ أهجر ؟ (٤) ؟ استعيدوه ! وقالت زينب بنت جحش وصواحبها : ائتوا رسول الله ﷺ حاجته . فقال عمرُ رضى الله عنه : قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتابُ الله ، من لفلانة وفلانة ؟ يعنى مدائن الروم — فإن النبي ﷺ ليس بميتٍ حتى يفتحها ، ولو مات لا نتظرته كما انتظرت بنو إسرائيل موسى !! فلما لغطوا عنده قال : دعونى ! فما أنا فيه خير مما تسألونى ، ثم أوصاهم بثلاث (٥) : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفدَ بنحو مما كنتم ترونى أجيزهم ، وأنفذوا جيشَ أسامة ، قوموا .

خبر الكنيسة التى بالحبشة

وتذاكر (٦) بعض نسائه كنيسة رأينها (٧) فى أرض الحبشة . فذكرت أمُّ حبيبة بنت أبى سفيان وزينب بنت جحش (٨) كنيسةً رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية ، ومافيها من التصاوير ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال . أولئك [قومٌ] (٩) إذا ماتَ الرجل الصالح منهم بنوا على قبره مسجداً ثم صوّروا تلك الصور . أولئك

(١) أى : أجود عاله وذات يده .
(٢) فى (ح) سياق هذه العبارة مضطرب ، وما أثبتناه من (ط) .
(٣) زيادة للسياق من (ط) .
(٤) هجر المريض أو النائم إذ هذى وتكلم .
(٥) فى (ح) « ماوصهم » ، و « ثم » ص حق العبارة .
(٦) فى (ح) « وتذكر » .
(٧) فى (ح) « رأتها » .
(٨) المعروف أن « أم سلمة » رضى الله عنها هى التى هاجرت إلى الحبشة ، ولم يذهب أحد من رواة السيرة إلى أن « زينب بنت جحش » رضى الله عنها ، هاجرت إلى الحبشة .
(٩) زيادة من (ابن سعد) .

شرارُ الخلق عند الله ! وطفق يلقى خميصة (١) على وجهه ، فإذا اغتمَّ بها ألقاها عن وجهه . ويقول : لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ! [يحذّرهم مثل ماصنعوا] لايبقين دينان بأرض العرب .

مقالته فى شكواه

ولم يشتك شكوى إلا سأل الله العافية ، حتى كان مرضه الذى مات فيه ، فإنه لم يكن يدعو بالشفاء ، وطفقَ يقول : يانفسُ مالك تلوذين كلَّ ملاذ (٢) ؟

التخيير بين الشفاء والغفران

وأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن ربك يقرئك السلام ويقول : إذا شئت شفيتك وكفيتك ، وإن شئتَ توفيتك وغفرت لك ! ! فقال : ذلك إلى ربى يصنع بى مايشاء .

مقالته فى كرب الموت

وكان لما نزل به ، دعا بقدحٍ من ماءٍ ، فجعل يمسح على وجهه ويقول : اللهم أعنّى على سَكَرَاتِ الموت ، وأخذته بحةٌ شديدة فجعل يقول : مع الرفيق الأعلى ! وقد شخص بصره (٣) .

وفاته فى حجر عائشة وخبر الذهب

وتوفى فى حجر عائشة رضى الله عنها وقد قال لها لما حُضِر (٤) — وهو مستند إلى صدرها — : مافعلت الذّهب ؟ فأتته بها وهى تسعة دنانير ، فقال : أنفقيها ! ! ماظنُّ محمد بربه لو لقى الله وهى عنده ؟ !

مسـارّة فاطمة

ودعا ﷺ ابنته فاطمة عليها السلام ، فسارّها فبكت ، ثم دعاها فسارّها فضحكتْ ، فسئلتْ عن ذلك بعد، فقالت : دعانى اول مرةٍ فقال : إن القرآن كان يعرض على فى كل عام مرةً ، وعرض علىَّ العام مرتين، ولا أرانى إلا ميِّتاً فى مرضى هذا ! فبكيت . ثم دعانى فقال : أنتِ أسرع أهلى لحوقاً بى ! فضحكت . فماتت بعد وفاته بستة أشهر ، وقيل : أقل من ذلك .

إمامة أبى بكر رسول الله قبل موته

وقال [ﷺ] (٥) : ماهلك نبيٌّ حتى يؤمّه رجل من أمته . فلما كان يوم الإثنين ، صلى أبو بكر رضى الله عنه

(١) الخميصة : كساء من الصوف أسود مربع له علمان .
(٢) الملاذ : الملجأ .
(٣) شخص بصره : إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف .
(٤) حضر بالبناء للمجهول : إذا دنا منه الموت أو نزل به .
(٥) زيادة للبيان .

بالناس الصبح ، فأقبل رسول الله ﷺ يتوكأ على الفضل بن عباس وثوبان ، ولم يبق امرأة ولا رجل إلا أصبح في المسجد؛ لوجعه عليه السلام ، فخرج حتى جلس إلى جنب أبي بكر ، فصلى بصلاة أبي بكر ، فلما قضى صلاته جلس — وعليه خميصة له — فقال : إنكم والله لا تمسكون عليّ بشيء ، إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ، ولا أحرّم إلا ما حرم الله في كتابه ! يافاطمة بنت محمد ! ويا صفيّة بنت عبد المطلب ! ! إعملا لما عند الله ، لا أملك لكما من الله شيئاً ! وصلى أبو بكر رضي الله عنه بالناس — إلى أن توفّى رسول الله ﷺ — سبع عشرة صلاة .

وفاته

وتوفي رسول الله ﷺ ضحى يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مهاجره — وقيل مستهله ، وقيل ثانيه — ، فبعث العبّاس رضي الله عنه في طلب أبي عبيدة بن الجراح ، وكان يشقّ : يضرح (١) وبعث في طلب أبي طلحة ، وكان يلحد (٢) ، وقال اللهم اختر لنبيك ! فوجد أبو طلحة .

حيث دفن

وقال أبو بكر رضي الله عنه — وقد اختلفوا أين يدفن — : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما مات نبيّ قط إلا دفن حيث يقبض . فخط له ﷺ حول الفراش ، ثم حوّل بالفراش في ناحية البيت ، وحفر أبو طلحة القبر ، فانتهى به إلى أصل الجدار إلى القبلة ، وجعل رأسه ﷺ مما يلي بابه الذي كان يخرج منه إلى الصلاة . ثم غسّلوه من بئر غرس ، وكان يشرب منها .

جهاز رسول الله ﷺ

ولما أخذوا في جهازه أمر العباس رضي الله عنه فأغلق الباب ، فنادت الأنصار نحن أخواله ، ومكاننا من الإسلام مكاننا ، وهو ابن أختنا ! ! ونادت قريش : نحن عصبته (٣) . فأدخل من الأنصار أوس بن خولّى . وأحضروا الماء من بئر غرس ، وأحضروا سدراً وكافوراً ، فأرسل الله عليهم النوم فما منهم رجل إلا واضعاً لحيته على صدره وقائل يقول ماندري من هو ! : اغسلوا نبيكم وعليه قميصه ! فغسّل في القميص . وغسّل الأولى بالماء القراح ، والثانية بالماء والسّدر والثالثة بالماء والكافور .

الغسل

وغسّله عليّ والفضل بن عباس — وكان الفضل رجلاً أيّداً (٤) — ، وكان يقلّبه شقران . ووقف العباس بالباب وقال : لم يمنعني أحضر غسله إلا أني كنت أراه يستحي أن أراه حاسراً (٥) . وذهب

---

(١) ضرح الضريح للميت : حفر له شقاً في وسط القبر (وكان ذلك عمل أهل مكة لموتاهم) .
(٢) لحد اللحد للميت : حفر وشق في جانب القبر (وكان ذلك عمل أهل المدينة لموتاهم) .
(٣) عصبة الرجل : أقاربه من جهة الأب .
(٤) الأيد : الشديد القوى .
(٥) حاسراً : كاشفاً ثيابه .

عليّ رضي الله عنه يلتمس من بطن النبي ﷺ ما يلتمس من بطن الميت ، فلم يجد شيئاً ، فقال : بأبي وأمي ! ! ما أطيبك حياً وميتاً ! ! وقيل غسله علي ، والعباس وابنه الفضل يعينانه ، وقثم وأسامة وشقران يصبون الماء .

الكفن

واشترى له عليه السلام حُلّة حبرة بتسعة دنانير ونصف ليكفّن بها ، ثم بدا لهم فتركوها ، فابتاعها عبد الله بن أبي بكر . وكفّن ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية بيض (١) ، أحدها بُرْدُ حبرة . وقيل : أحدها حلة حبرة ليس فيها قميص ولا عمامة وأدرج في أكفانه .

وقيل : كفّن في حلة حبرة وقميص . وفي رواية : في حلة حمراء نجرانية وقميص وقيل : إن الحلة اشتريت له فلم يكفّن فيها . وقيل كفّن في سبعة أثواب ، وهو شاذ . وقيل : كفن في ثلاثة أثواب : قميصه الذي مات فيه ، وحلة نجرانية ، وهو ضعيف . وحُنّط بكافور ، وقيل : بمسك (٢) .

الصلاة على رسول الله ﷺ

ثم وضع على سريره ، وكان أولها ثم أحدث له بعد ذلك قوائم . ووضع السرير على شفير القبر ، ثم كان الناس يدخلون زمراً زمراً ، يصلون عليه .

الصلاة على رسول الله ﷺ

وأول من صلى عليه العباس وبنو هاشم ، ثم خرجوا ودخل المهاجرون ، ثم الأنصار : زمرة ، زمرة ، ثم دخل الصبيان ، ثم النساء .

وقيل صلّى عليه إثنتان وسبعون صلاة (٣) .

خبر أمهات المؤمنين

وقد قامت أمهات المؤمنين يلتدمن على صدورهن (٤) ، وقد وضعن الجلابيب عن رؤوسهن ، ونساء الأنصار يضربن الوجوه ، وقد نُبحت حلوقهن من الصياح (٥) .

---

(١) سحولية : نسبة إلى سحول ، وهي قرية باليمن
(٢) الحنوط : طيب يخلط للميت
(٣) في (خ) « اثنان وسبعون » .
(٤) لدمت المرأة صدرها أو التدمت صدرها : ضربته .
(٥) لم يثبت عن أمهات المؤمنين أنهن قد قمن بشيء من لطم الخدود وغير ذلك من الأعمال المنهي عنها شرعاً على لسان النبي ﷺ ، وكل ما ورد في ذلك ما رواه (ابن سعد) ج ٢ ص ٢٨٩ : « حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء فكان منهن صوت وجزع لبعض ما يكون منهن فسمعن هدة في البيت ففرقن فسكتن » . وروى (ابن الأثير) في (الكامل) ج ٢ ص ٣٢٠ : « أن النبي ﷺ قال : « دنا الفراق والمنقلب إلى الله وسدرة المنتهى والرفيق الأعلى ... » إلى أن قال ﷺ : « ... ثم ادخلوا على فوجاً فوجاً فصلوا علي ولا تؤذوني بتزكية ولا رنة » . وانظر أيضاً : (البداية والنهاية) ج ٥ ص ٢٧٨ .

الصلاة عليه

ولم يزل ﷺ موضوعاً على سريره ، من حين زاغت الشمس في يوم الإثنين إلى حين زاغت الشمس يوم الثلاثاء ، فصلّ عليه وسريره على شفير قبره .

يوم دفنه

ودفنوه ليلة الأربعاء سَحَراً . وقيل : دفن يوم الثلاثاء ، وقيل : ليلة الثلاثاء . وقيل : يوم الإثنين عند الزوال ، قاله الحاكم وصحّحه . وقال ابن عبد البرّ : أكثر الآثار على أنه دُفن يوم الثلاثاء ، وهو قول ، أكثر أهل الأخبار .

فلما أرادا أن يقبروه (١) نحّوا السرير قِبَل رجليه (٢) ، فأدخل من هناك .

لحده ومن دخل فيه

ودخل حفرته العبّاس ، والفضل بن عباس ، وقُثَم بن عباس ، وعلي ، وشقران رضي الله عنهم . ويروى أنه نزل أيضاً أسامة بن زيد وأوس بن خَوْليّ : وبني عليه في لحده بتسع لبنات ، وطُرح في لحده سَمَلُ قطيفة نجرانية كان يلبسها (٣) .

ثم خرجوا وهالوا التراب ، وجعلوا ارتفاع القبر شبراً وسطّحوه ، وجعلوا عليه حصباء ، ورش بلالٌ رضي الله عنه على القبر الماء بقربة : فبدأ من قِبَل رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجليه ، ثم ضرب بالماء إلى الجدار ، ولم يقدر أن يدور من الجدار .

عمره عند وفاته ﷺ

وكان عمره ﷺ يوم توفاه الله ثلاثاً وستين سنة على الصحيح . وقيل كان ستين . وقيل خمساً وستين . وهذه الأقوال الثلاثة في صحيح البخاريّ عن ابن عباس رضي الله عنه (*) .

فصل في ذكر أسمائه ﷺ

إعلم أن لرسول الله ﷺ عدة أسماء : منها ما سماه الله — عز وجل — به في القرآن الكريم ، ومنها ما سمى به رسول الله ﷺ نفسه . وقد سُمّي بعدة أسماء كثيرة .

(١) في (خ) « يقبره » .
(٢) نحى الشيء : أبعده ناحية .
(٣) السمل : الخلق البالي من الثياب .
(*) آخر النسخة (ط) وهو ما يقابل السطر الثالث والعشرين من ص ١٧٩ من النسخة (خ) .

فذكر الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر — رحمه الله — عشرين إسماً .

وذكر الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي — رحمه الله — ثلاثة وعشرين إسماً (١) .

وقال الحافظ أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية — رحمه الله — ثلاثمائة اسم في كتابه (المستوفى في أسماء المصطفى) [وقال] (٢) : أنه إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن العظيم والحديث النبوي بلغت ثلاثمائة اسم .

وذكر أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحرالي تسعة وتسعين إسماً .

وذكر القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري في شرح جامع الترمذي عن بعض الصوفية : أن لله تعالى ألف إسم ، وللنبي ﷺ ألف إسم ، عرف منها أربعة وستون إسماً فذكرها .

وأشهر أسمائه ﷺ (محمد) و (أحمد) ، وهما إسمان من أسماء الأعلام التي يراد بها التمييز بين الأشخاص ، وكل منهما ومن بقية أسمائه يشتمل على معنى من معاني الفضل .

ومن تأمل علم أنه ليس من أسماء الناس اسم يجمع من [معاني صفات الحمد] (٣) ما يجمعه هذان الإسمان ، فأحمد إسم منقول من صفة لأفعل ، وتلك الصفة — أفعل — التي يراد بها التفضيل . فمعنى أحمد : أي أحمد الحامدين لربه ، والأنبياء عليهم السلام كلهم حامدون لله تعالى ، إلا أن نبينا ﷺ أكثرهم حمداً . فيكون هو الأحق بالحمد ، ومحمد هو البليغ في الحمد ، فمن سُمّي بهذين الإسمين فقد سُمّي بأجمع الأسماء لمعاني الفضل .

يقال رجل محمد ومحمود ، إذا كثرت خصاله المحمودة ، ومعنى الإسمين واحد ، فإنْ وصف الشخص بأنه أحق بالحمد مبالغة في حمده ، والمبالغة في حمده تقديرٌ له في الحمد على من لا يبالغ في حمده ، فأحمد على هذا هو محمد ، ومحمّد أحمد .

وقد ذكر الله جل جلاله هذين الإسمين في كتابه فقال تعالى « محمد رسول الله » (٤) ، وقال : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » (٥) . وقال : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » (٦) .

وخرّج الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري — رحمه الله — في صحيحه من حديث سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم ؟ — يشتمون مذمماً ، ويلعنون مذمماً ، وأنا محمد (٧) .

(١) (كتاب صفة الصفوة لابن الجوزي) ج ١ ص ٥٤ ، ٥٥ باب ذكر أسماء رسول الله ﷺ .
(٢) زيادة للسياق .
(٣) ما بين القوسين غير واضح في التصوير من النسخة (خ) ولعل ما أثبتناه هو المناسب .
(٤) من آية ٢٩ / الفتح .
(٥) من آية ١٤٤ / آل عمران .
(٦) من آية ٦ / الصف .
(٧) (صحيح البخاري) ج ٢ ص ٢٧٠ باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ .

وخرّج النسائى أيضاً . وذكر أبو الربيع بن سالم أنه روى عن عبد المطلب إنما سماه ﷺ محمداً لرؤيا رآها ، زعموا أنه رأى فى منامه سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الأرض ، وطرف فى المشرق وطرف المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها فى نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها . فعبّرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلذلك سماه محمداً ، مع ماحدثته آمنة به (١) .

وقال أبو القاسم السهيلى (٢) : لايعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة طمع آباؤهم حيث سمعوا بذكر محمد وبقرب زمانه وأنه يبعث بالحجاز ، أن يكون ولداً لهم ، ذكرهم ابن فورك فى كتاب الفصول ، وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد (٣) الفرزدق الشاعر ، والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف مالك بن الأوس ، والآخر : محمد بن حمران بن ربيعة .

وكان آباؤهم الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث النبى ﷺ وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلّف امرأته حاملا ، فنذر كل واحد منهم : إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك .

وذكر القاضى عياض من تسمى بمحمد فى الجاهلية فبلغوا ستة ، ثم قال فى هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر ، هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمّى بهما أحد قبل زمانه ، أما أحمد الذى أتى فى الكتب وبشرت به الأنبياء ، فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمّى به أحد غيره ، ولا يُدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب ، أو شك (٤) .

وكذلك محمد أيضاً لم يسمّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده ، أن نبيـاً يبعث اسمه محمد ، فسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك ، رجاء أن يكون أحدهم هو ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وهم : محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسى ، ومحمد بن مسلمة الأنصارى ، ومحمد بن براء البكرى ، ومحمد ابن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حمران الجعفى ، ومحمد بن خزاعى السلمى ، لاسابع لهم (٤) .

ويقال : أول من سمى محمداً ، محمد بن سفيان ، واليمن تقول : بل محمد بن اليحمد من الأزد ، ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدّعى النبوة ، أو يدعيها أحد له ، أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً فى أمره ، حتى تحققت السمتان له ﷺ ولم ينازع فيهما .

قال كاتبه . وذكر محمد بن مسلمة الأنصارى فيهم ، فيه نظر من حيث أنه ولد بعد ولادة النبى ﷺ بنحو عشر سنين ، ولكنه صحيح من حيث أنه لم تكن النبوة ظهرت ، والله أعلم .

---

(١) (الروض الأنف) ج ١ ص ١٨٢ « مع ما حدثته به أمه حين قيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وضعته فسميه محمداً » .

(٢) (المرجع السابق) ج ١ ص ١٨٢ .

(٣) فى (خ) « جد الفرزدق » وما أثبتناه من (السهيلى) ج ١ ص ١٨٢ .

(٤) (الشفاء للقاضى عياض) ج ١ ص ١٤٥ .

وذكر ابن سعد فيهم : محمد الجشمى فى بنى سراة ، ومحمد الأسيدى ، ومحمد الفقيمى ،

وقال أبو العباس المبرد : فتش المفتشون فما وجدوا بعد نبينا ﷺ من اسمه أحمد قبل أبى الخليل بن أحمد .

والبخارى من حديث الزهرى ، أخبرنى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت رسول الله ﷺ يقول (١) : إن لى أسماء ، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب الذى ليس بعدى أحد ، وقد سماه الله رءوفاً رحيماً . ذكره البخارى فى التفسير ، وانتهى حديثه عند قوله : وأنا العاقب .

وذكره مسلم أيضاً من حديث عقيل ، قال : قلت : لابن شهاب وما العاقب ؟ قال : الذى ليس بعده نبى (٢) .

ومن حديث معمر وعقيل : وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر (٣) ، وللبخارى من حديث مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : لى خمسة أسماء : أنا محمد وأحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب .

وذكره البخارى فى المناقب فى باب ماجاء فى أسماء رسول الله ﷺ قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : تفرد برفعه عن مالك جويرية بن أسماء ، ورواه عبد الله بن وهب ، وبشر بن عمرو الزهرانى ، ويحيى بن عبد الله بن بكير المصرى عن مالك مرسلا لم يذكر فيه جبيراً ، ورفعه صحيح عن الزهرى ، فقد وصله عنه يونس بن يزيد ، وشعيب ابن أبى حمزة الحمصى ، وسفيان بن عيينة (انتهى)

وقد رفعه عن مالك غير جويرية بن أسماء قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر : وقد ذكر حديث مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم أن النبى هكذا روى هذا الحديث [ورواه] (٤) يحيى مرسلا لم يقل عن أبيه ، وتابعه على ذلك أكثر رواة الموطأ ، وممن تابعه على ذلك القعنبى وابن بكير ، وابن وهب وابن القاسم ، وعبد الله ابن يوسف ، وابن أبى أويس ، وعبد الله بن مسلم الدمشقى ، وأسنده عن مالك معن بن عيسى ، ومحمد بن المبارك الصورى ، ومحمد بن عبد الرحيم ، وابن شروس الصنعانى ، وإبراهيم بن طهمان ، وحبيب ومحمد بن وهب ، وأبو حذافة ، وعبد الله بن نافع ، وأبو المصعب الزهرى ، كل هؤلاء رواه عن مالك مسنداً عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه .

وخرجه مسلم من حديث سفيان عن الزهرى ، سمع محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه : أن النبى ﷺ قال : أنا أحمد ، وأنا محمد ، وأنا الماحى الذى يُمحى بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبى ، وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى (٥) .

---

(١) فى رواية (البخارى) ج ٢ ص ٢٢٠ « سمعت رسول الله ﷺ يقول : لى أسماء » .

(٢) (مسلم بشرح النووى) ج ١٥ ص ١٠٦ .

(٣) فى (خ) « الكفرة » .

(٤) زيادة للسياق .

(٥) (صحيح مسلم بشرح النووى) ج ١٥ ص ١٠٤ .

وخرجه عبد الرازق ، أخبرنا معمر عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيـه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن لى أسماء : إنى أنا أحمد وأنا محمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب ، قال : قلت للزهرى : وما العاقب ؟ قال : الذى ليس بعده نبى .

وخرجه مسلم أيضاً عن عبد بن حميد عن عبد الرازق ، وأخرجه أيضاً من حديث يونس بن يزيد عن الزهرى ، وقال فى الحديث : وأنا العاقب الذى بعده أحد ، وقد سمّاه الله رءوفاً رحيماً ، (١) ويحتمل أن تكون تفسير العاقب من قول محمد بن شهاب الزهرى ، كما بيّنه معمر ، وقوله : وقد سماه الله رءوفاً رحيماً ، من قول الزهرى ، والله أعلم .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : سألت سفيان — يعنى ابن عيينة — عن العاقب فقال لى : آخر الأنبياء .

قال أبو عبيد : وكذلك كل شىء خلف بعد شىء فهو عاقب ، وقد عقب يعقب عقباً ، ولهذا قيل : ولد الرجل بعده عقبة ، وكذلك آخر كل شىء عقبه .

وقوله يحشر الناس على قدمى : أى قدّامى وأمامى ، أى أنهم يجتمعون إليه ، وينضمون حوله ، ويكونون أمامه يوم القيامة ووراءه .

وقال الخليل بن أحمد حشرتهم السنة : إذا ضمتهم من البوادى ، وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٢) .

وقد روى : يحشر الناس على قدمى بالإفراد مخفف الياء ، وروى بتشديد الياء على التثنية (٣) .

وقيل معناه أنه أول من يبعث من القبر ، وكل من عداه إنما يبعثون بعده ، وهو أول من يذهب به من المحشر ثم الناس فى إثره .

وقيل معنى قوله وأنا الماحى ، يعنى تمحى به سيئات من اتبعه .

وخرج أبو داود الطيالسى من حديث لجابر [عن] نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا محمد وأحمد والحاشر ونبى التوبة ونبى الملحمة .

ولمسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيده عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسمى لنا نفسه أسماء فقال : أنا محمد وأحمد (٤) والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى الملحمة (٥) .

وقد روى من عدة طرق عن الليث بن سعد رحمه الله قال : حدثنى خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن عتبة عن مسلم عن نافع بن جبير بن مطعم أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : أتحصى أسماء

(١) المرجع السابق ص ١٠٥ .
(٢) من آية ٤٠ / الأحزاب .
(٣) (شرح النووى على مسلم) جـ ١٥ ص ١٠٥ .
(٤) فى (ح) « أنا محمد ومحمد وأحمد » .
(٥) ونحوه (فى سنن الترمذى) جـ ٤ ص ٢١٤ حديث رقم ٢٩٩٦ وفى (الشمائل المحمدية للترمذى) ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

رسول الله التى كان جبير بن مطعم يعدها ؟ قال نعم ، هى ستة : محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحى ، فأما حاشر : فبعث مع الساعة نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، وأما عاقب ، فإنه عقب الأنبياء ، وأما ماحى ، فإن الله عزّ وجلّ محا به سيئات من اتبعه .

وذكره الحاكم فى المستدرك وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ، وقد قيل أنه إنما سمى نبى التوبة لأنه أخبر أن الله يقبل التوبة من عباده إذا تابوا ، وسمى نبى الملحمة لأن الله فرض عليه قتل الكفار ، وجعله شرعاً باقياً إلى قيام الساعة ، فما فتح مصراً من الأمصار إلا بالسيف أو خوفاً من السيف ، إلا المدينة النبوية فإنها فتحت بالقرآن .

وقيل معنى المقفى : المتبع للأنبياء عليهم السلام ، يقال قفوته أقفوه ، وقفيته أقفيه إذا اتبعته ، وقافية كل شىء آخره ، وقيل لأنه قفى ابراهيم عليه السلام .

وقيل المقفى لموسى وعيسى عليهما السلام ، لنقل قومها من اليهودية والنصرانية إلى الحنفية .

وقيل إنما اقتصر ﷺ على هذه الأسماء مع أن له أسماء غيرها ، لأنها موجودة فى الكتب المتقدمة ، وعند الأمم السالفة .

وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنما أنا رحمة مهداة ، ورواه وكيع عن الأعمش عن أبى صالح منقطعاً .

وروى الكلبى عن أبى صالح عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى قول الله سبحانه : « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » (١) ، يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، وكان يقوم الليل على رجليه ، فهى لغة عك (٢) ، إن قلت لعكّ يا رجل ، لم يلتفت ، فإذا قلت له طه ، التفت إليك (٣) .

وقال الخليل بن أحمد : خمسة من الأنبياء ذووا إسمين : محمد وأحمد نبينا ﷺ ، وعيسى والمسيح ، وإسرائيل ويعقوب ، ويونس وذو النون ، وإلياس وذو الكفل ، عليهم السلام (٤) .

وقال أبو زكريا بن محمد العنبرى : ولنبينا محمد ﷺ خمسة أسماء فى القرآن : محمد ، وأحمد ، وعبد الله ، وطه ويس ، قال الله تعالى فى ذكر محمد ﷺ : « محمد رسول الله » وقال : « ومبشراً برسول يأتى من بعدى إسمه أحمد » (٥) وقال : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه » (٦) : يعنى النبى ﷺ ليلة الجن « كادوا يكونون عليه لبداً » (٦) ، وإنما كانوا يقعون بعضهم على بعض كما أن اللبد تتخذ من الصوف فيوضع بعضه على بعض فيصير لبدا .

(١) أول سورة طه .
(٢) عك : قبيلة يضاف إليها مخلاف باليمن (معجم البلدان) جـ ٤ ص ١٤٢ .
(٣) وفى (الطبرى) فى معنى قوله تعالى : « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » : « والذى هو أولى بالصواب عندى من الأقوال فيه قول من قال : معناه : يا رجل ، لأنها كلمة معروفة فى عك فيما بلغنى ، وأن معناها فيهم : يا رجل » (تفسير الطبرى) جـ ١٦ ص ١٣٦ .
(٤) ذكره (القرطبى) فى الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٢٨١ .
(٥) من آية ٦ / الصف . (٦) آية ١٩ / الجن .

وقال تعالى : «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» ، والقرآن إنما نزل على رسول الله ﷺ دون غيره .

وقال تعالى : «يس» يعني يا إنسان ، والإنسان هاهنا : هو محمد ﷺ ، «إنك لمن المرسلين» ، وقد سماه الله تعالى في القرآن الكريم رسولا نبياً أمياً ، وسماه شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وسماه رءوفاً رحيماً ، وسماه نذيراً مبيناً ، وسماه مذكراً ، وجعله رحمة [للعالمين ﷺ] (١) .

وعن كعب الأحبار قال : قال الله تعالى لمحمد ﷺ : عبدي المختار .

وعن سفيان بن عيينة قال : سمعت علي بن زيد يقول : اجتمعوا فتذاكروا أي بيت أحسن فيما قالت العرب ؟ قالوا الذي قاله أبو طالب . للنبي ﷺ :

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن أسمائه : الضحوك القتال ، والأمين ، والقثم ، والحيد ، لأنه يحيد أمته عن نار جهنم ، فهو محمد وأحمد والأمين ، والأمي والحاشر والخاتم ، والرسول ، ورسول الله والشاهد والضحوك ، والعاقب والفاتح ، والقتال والقثم ، والماحي والمصطفى ، والمتوكل والمقفى ، والنبي والنذير ، ونبي الرحمة ، ونبي الملاحم

فصل في ذكر كنية رسول الله ﷺ

إعلم أن الكنية إنما وضعت لاحترام المكني بها وإكرامه وتعظيمه ، كي لا يصرح في الخطاب باسمه ، ومنه قول [الشاعر] (٢) :

أكنيه حين أناديه لأكرمه ... ولا ألقبه والسوءة اللقبا

ويقال كنيت الرجل بأبي فلان ، وأبا فلان على تعدية الفعل بعد إسقاط الحرف كنية بكسر الكاف وضمها .

وكذلك يقال : كنيته ، وكنية فلان أبو فلان ، وكذلك كنيته بالكسر ، أي الذي يكنى به .

وقال اللحياني : يقال كُنية ، وكِنية ، وكُنوة ، وكِنوة .

وقال المبرد : الكنية من الكناية ، والكناية ضرب من التعظيم والتفخيم ، فيعظم الرجل أن يدعى باسمه فيكنى ، ووقعت الكنية في الصبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد ويدعى به ، وفي الكبير بأن يصان اسمه باسم ابنه ، وقال غيره : يقال كنوته وكنيته .

وقال المطرزي : يقال أيضاً : أكنيته من الكنية ، ويقال : إن الأصل في سبب الكنى في العرب أن ملكا من ملوكهم الأول ولد له ولد ، توسم فيه النجابة ، فشغف به حتى إذا نشأ وترعرع لأن يؤدب أدب الملوك ، أحب أن يفرد له موضعاً بعيداً من العمارة ، يكون فيه مقيما يتخلق بأخلاق الملوك من مؤدبيه ، ولا يعاشر من يضيع عليه بعض زمانه ، فبنى له في البرية منزلا ونقله إليه ، ورتب إليه من يؤدبه بأنواع الآداب العلمية والملكية ،

(١) ما بين القوسين مطموس في (خ) يقدر كلمتين أو ثلاثة ولعل ما أثبتناه هو المناسب .
(٢) ما بين القوسين بياض في (خ) .

فأقام له ما يحتاج إليه من أمر دنياه ، ثم أضاف إليه من أقرانه وأضرابه من أولاد بني عمه ، وأمرائه ليؤنسوه ويتأدبوا بآدابه ، ويحببوا إليه الأدب بموافقتهم له عليه ، وكان الملك في رأس كل سنة [يذهب] (١) إلى ولده ، ويستصحب معه من أصحابه من له عند ولده ولد ، ليبصروا أولادهم ، وكانوا إذا وصلوا إليهم سأل ابن الملك عن أولئك الذين جاءوا مع أبيه ليعرفهم بأعيانهم ، فيقال له : هذا أبو فلان ، وهذا أبو فلان ، يعنون آباء الصبيان الذين هم عنده ، فكان يعرفهم بإضافتهم إلى أبنائهم ، فمن هنالك ظهرت الكنى في العرب .

وكان رسول الله ﷺ يكنى بأبي القاسم ، وبأبي إبراهيم ، خرّج البخاري ومسلم من حديث حميد عن أنس رضي الله عنه قال : نادى رجل رجلا بالبقيع : يا أبا القاسم ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال [الرجل] (٢) يا رسول الله إني لم أعنك ! ! إنما دعوت فلاناً ، فقال رسول الله ﷺ : تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي . واللفظ لمسلم (٣) .

وقال البخاري : دعا رجل رجلا . وقال : سموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي . ذكره في البيوع في باب ما ذكر في الأسواق . وفي لفظ له : كان النبي ﷺ في السوق ، فقال رجل : يا أبا القاسم ، فالتفت إليه النبي ﷺ ، فقال [الرجل] (٤) : إنما دعوت هذا . فقال النبي ﷺ : سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي (٥) . وذكره أيضاً في المناقب .

وخرج البخاري ومسلم من حديث شعبة عن سليمان ومنصور وقتادة ، سمعوا سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : ولد لرجل منا من الأنصار غلام ، فأراد أن يسميه محمداً ، قال شعبة في حديث منصور أن الأنصاري قال : حملته على عنقي ، فأتيت به النبي ﷺ ، وفي حديث سليمان : ولد له غلام فأراد أن يسميه محمداً ، قال : سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فإني جعلت قاسماً أقسم بينكم . ذكره البخاري في كتاب الخمس وفي كتاب الأدب .

وذكر له مسلم عدة طرق ، في بعضها : تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فإنما أنا قاسم أقسم بينكم . وفي بعضها : فإنما بُعثتُ قاسماً أقسم بينكم ، وفي بعضها : فإني أنا أبو القاسم أقسم بينكم .

(١) مكان هذه الكلمة في (خ) ما رسمه « يمنى » ، ولم أتبين معناها ، ولعل ما أثبتناه يتم المعنى .
(٢) زيادة للإيضاح .
(٣) (صحيح البخاري) ج ٢ ص ٢٧٠ ، (سنن ابن ماجة) ج ٢ ص ١٢٣٠ ، ١٢٣١ باب (٣٣) الجمع بين اسم النبي ﷺ وكنيته ، الأحاديث أرقام ٣٧٣٥ ، ٣٧٣٦ ، ٣٧٣٧ .
(٤) زيادة للإيضاح .
(٥) سنن الترمذي ج ٤ ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ باب ما جاء في كراهية الجمع بين اسم النبي ﷺ وكنيته ، الأحاديث أرقام ٢٩٩٧ ، ٢٩٩٨ ، ٢٩٩٩ ، ٣٠٠٠ وقال فيه : حدثنا محمد بن بشار ، أخبرنا يحيى بن سعيد القطان ، أخبرنا فطر بن خليفة حدثني منذر ، وهو الثوري عن محمد ، وهو ابن الحنفية عن علي بن أبي طالب أنه قال : « يا رسول الله أرأيت إن ولد لي بعدك أسميه محمداً وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم ، قال : فكانت رخصة لي » ، هذا حديث حسن صحيح ، أنظر أيضاً : سنن أبي داود ج ٥ باب رقم ٧٤ ، ورقم ٧٥ ، ورقم ٧٦ الأحاديث أرقام ٤٩٦٥ ، ٤٩٦٦ ، ٤٩٦٧ ، ٤٩٦٧ .

والترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لاتجمعوا بين اسمى وكنيتى، أنا أبو القاسم ، الله يرزق وأنا أقسم .

وخرج الدارمى من حديث عقيل عن ابن شهاب عن أنس أنه لما ولد ابراهيم ابن النبى ﷺ من مارية جاريته ، كان يقع فى نفس النبى ﷺ منه حتى أتاه جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم (١) .

قال جامعُه : وللناس فى التكنى بأبى القاسم ثلاثة مذاهب : المنع مطلقاً ؛ وإليه ذهب الشافعى ، والجواز مطلقاً ، وأن النهى خاص بحياة الرسول ﷺ (٢) . والثالث : لا يجوز لمن اسمه محمد ، ويجوز لغيره .

قال الرافعى : ويشبه أن يكون هذا هو الأصح : لأن الناس مازالوا يفعلونه فى جميع الأعصار من غير إنكار.

وقال النووى : هذا مخالف لظاهر الحديث ، وأما إطباق الناس عليه ففيه تقوية للمذهب الثانى .

وحكى الطبرى مذهباً رابعاً له هو المنع من التسمية بمحمد مطلقاً ومن التكنية بأبى القاسم مطلقاً (٣) .

فصل فى ذكر صفة رسول الله ﷺ

إعلم أن رسول الله ﷺ كان ربعه ، بعيد ما بين المنكبين ، أبيض اللون مشرباً حُمرة ، يبلغ شعره شحمة أذنيه ، وكان شعره فوق الجمة ، ودون الوفره ، ودخل مكة وله أربع غدائر ، وكان سبط الشعر ، فى لحيته كثاثة ومات ﷺ ولم يبلغ الشيب فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ، وكان ظاهر الوضاءة ، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، وكان كما وصفته عائشة رضى الله عنها بما قاله شاعره حسان بن ثابت رضى الله عنه (٤) :

متى يبد فى الداجى البهيم جبينه   يلُحْ مثل مصباح الدجى المتوقد

فمن كان أو قد يكون كأحمد   نظامٌ لحق أو نكالٌ لملحد

وكما كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول إذا رآه ﷺ :

أمين مصطفى بالخير يدعو   كضوء البدر زايله الظلام

وكما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينشد إذا رآه :

لو كنت من شىء سوى بشر   كنت المنور لليلة البدر

(١) (فتح البارى) جـ ٩ ص ٦٠٥ باب كنية النبى .

(٢) أنظر التعليق السابق .

(٣) ذكر (البيهقى) فى (السنن الكبرى) جـ ٩ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ فى باب ما يكره أن يتكنى به : «قال رسول الله ﷺ : تسموا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى ، فإنما أنا قاسم بعثت أقسم بينكم » ، وفى باب من رأى الكراهة فى الجمع بينهما : أن النبى ﷺ قال : « من تسمى باسمى فلا يكتنى بكنيتى ، ومن تكنى بكنيتى فلا يتسمى باسمى » ، وفى باب ما جاء فى الرخصة فى الجمع بينهما ما رواه محمد بن الحنفية عن على رضى الله عنه ، ثم قال : والحديث مختلف فى وصله ، وتعقبه صاحب (الجوهر النقى) ص ٣٠٩ بأن (الترمذى) قد أخرج هذا الحديث ، وصححه ، وذهب الى جواز التكنى بأبى القاسم لمن اسمه محمد ، مذهب مالك وجمهور السلف وفقهاء الأمصار وجمهور العلماء ، وقد اشتهر جماعة تكنوا بأبى القاسم فى العصر الأول ، وفيما بعد ذلك إلى اليوم مع كثرة فاعل ذلك ، وعدم الإنكار ، كذا فى شرح مسلم للنووى .

(٤) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٨٠ .

وكان أبيض اللون ، ليس بالأبيض الأمهق (١) ولا بالآدم (٢) ، أقنى العرنين (٣) ، سهل الخدين ، أزج الحاجبين (٤) أقرن (٥) ، أدعج العينين (٦) ، فى بياض عينيه عروق حمر دقاق ، حسن الخلق معتدلة ، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، دقيق المسربة ، كأن عنقه إبريق فضة ، من لبته إلى سرته شعر يجرى كالقضيب ، ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره ، شثن الكف والقدم ، ضليع(٧) الفم أشنب ، مفلج الأسنان (٨) ، بادناً متماسكاً (٩) سواء البطن والصدر . ضخم الكراديس(١٠)، أنور المتجرد ، أشعر الذراعين والمنكبين ، عريض الصدر طويل الزندين ، رحب الراحة ، شائل الأطراف (١١) خمصان (١٢) ، بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمام يشبه جسده ، إذا مشى كأنما يتحدر من صبب (١٣) وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر (١٤) ، إذا التفت التفت جميعاً ، كأن عرقه اللؤلؤ ، ولريح عرقه أطيب من ريح المسك .

(١) مهق مهقاً : كان لونه أبيض للسع البياض بغير حمرة ، وهو معيب فى لون الإنسان ، فهو أمهق (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٨٩٠ .

(٢) أدم أدماً وأدمة : اشتدت سمرته . فهو آدم . المرجع السابق جـ ١ ص ١٠ .

(٣) قوله : أقنى العرنين : القنا أن يكون فى عظم الأنف احديداب فى وسطه ، والعرنين : الأنف (صفة الصفوة) جـ١ ص١٦٢.

(٤) أزج الحاجبين : أى مقوس الحاجبين .

(٥) القرن (بالتحريك) : اقتران الحاجبين بحيث يلتقى طرفاهما .

(٦) الأدعج : الشديد سواد العينين .

(٧) الضليع : الواسع ، والعرب تمدح ذلك ، لأن سعته دليل الفصاحة .

(٨) الفلج : انفراج ما بين الأسنان .

(٩) البادن السمين المعتدل السمن .

(١٠) الكراديس : رءوس العظام .

(١١) السائل والشائل : الطويل .

(١٢) أخمص القدم هو الموضع الذى لا يمس الأرض عند الوطء من وسط القدم .

(١٣) ، (١٤) أى إذا مشى رفع رجليه بقوة . وفى رواية : (تكفأ تكفؤا) وهى تأكيد لما قبلها .

(١٥) وقد أورد ابن الجوزى فى (صفة الصفوة) جـ ١ ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ فصلا جامعاً فى تفسير غريب أحاديث صفة النبى ﷺ نذكره هنا بصفة إجمالية .

الفخم المفخم : هو العظيم المعظم فى الصدور والعيون .

المشذب : الطويل الذى ليس بكثير اللحم .

الرجل الشعر : الذى فى شعره تكسر ، فإذا كان الشعر منبسطاً قيل شعر سبط .

والعقيقة : الشعر المجتمع فى الرأس .

الأزهر اللون : النير .

أزج الحواجب : أى طويل امتدادها لوفور الشعر فيهما وحده إلى الصدغين .

الأشم : الذى عظم أنفه طويل الى طرف الأنف .

وضليع الفم : كبيره ، والعرب تمدح بذلك وتهجو بصغره .

والدمية : الصورة وجمعها دمى .

بادن متماسك : أى تام خلق الأعضاء ليس بمسترخى اللحم ولا كثيره .

سواء البطن والصدر : معناه أن بطنه ضامر وصدره عريض ، فلهذا ساوى بطنه صدره .

أنور المتجرد : أى نير الجسد إذا تجرد من الثياب .

والنير : الأبيض المشرق .

وقال عند أم سليم (١) فعرق ، فجاءت بقارورة فجعلت تسكب العرق فيها ، فاستيقظ ﷺ فقال : يا أم سليم ، ماهذا الذى تصنعين ؟ قالت : هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو أطيب من الطيب .

وكان فى صوته صهل وفى عنقه سطع ، إن سكت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحلاه وأجمله من قريب ، حلو المنطق خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، أجود الناس كفاً ، وأرحب الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى (٢) الناس بعهده ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه [معرفة] أحبه .

يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

فأما صفة رأسه المقدس

فقد خرج أبو عيسى الترمذى من حديث جميع بن عمر العجلى قال : حدثنى رجل عن ابن لأبى هالة عن الحسن ابن على عن خاله هند بن أبى هالة قال : كان رسول الله ﷺ عظيم الهامة (٣) .

وقال شريك عن عبد الملك بن عمير عن نافع بن جبير قال : وصف لنا على رضى الله عنه النبى ﷺ فقال : كان عظيم الهامة (٣) .

وأما وجهه الكريم

فخرج البخارى من حديث إسحق بن منصور قال : أخبرنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى إسحق ، قال : سمعت البراء يقول : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ، ليس بالطويل الذاهب وليس بالقصير (٤) .

= مسيح القدمين : أى ليس بكثير اللحم فيهما وعلى ظاهرهما ،
ذريع المشية : واسع المشية من غير أن يظهر منه استعجال .
المهين : الحقير
يسوق أصحابه : يقدمهم بين يديه ومن ورائه .
لكل حال عنده عتاد : أى عدة ، يعنى أنه قد أعد للأمور أشكالها .
وقوله : يرد بالخاصة على العامة : فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : أنه كان يعتمد على أن الخاصة ترفع علومه وآدابه إلى العامة ، ومعنى ذلك أن العامة كانت لا تصل إليه فى هذا الوقت ، فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعت منه ، فكأنه أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة .
والثانى : أن المعنى يجعل المجلس للعامة بعد الخاصة . فتنوب الباء عن (من) ، و (على) عن (إلى) .
والثالث : فيرد ذلك بدلا من الخاصة على العامة ، فتفيد الباء معنى البدل .
(١) قال : من القيلولة وهى نوم الظهيرة .
(٢) فى (خ) « وأوفاه » .
(٣) (الشمائل المحمدية للترمذى) ص ٩ .
(٤) الحديث رقم ٣٥٤٩ (صحيح البخارى) بشرح (ابن حجر) فى (الفتح) .

وقال البخارى : ليس بالطويل البائن . ذكره فى باب صفة النبى ﷺ (١)

وخرجه ابن أبى خيثمة ، من حديث ابراهيم بن يوسف كما رواه مسلم والبخارى والترمذى من حديث أبى نعيم ، حدثنا زهير عن أبى إسحق قال : سئل البراء أكان وجه النبى ﷺ مثل السيف ؟ قال لا ، مثل القمر (٢) . قال : هذا حديث حسن (٣) .

ولمسلم من حديث أبى بكر بن أبى شيبة عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن سماك ، أنه سمع جابر بن سمرة قال له رجل : أكان رسول الله ﷺ وجهه كالسيف ؟ قال جابر : لا ، مثل الشمس والقمر مستديراً .

وقال المحاربى عن أشعث عن أبى إسحق عن جابر بن سمرة قال : رأيت رسول الله ﷺ فى ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهو أحسن كان فى عينى من القمر ، وفى لفظ قال : رأيت رسول الله ﷺ فى ليلة أضحيان (٤) ، وعليه حلة حمراء ، فجعلت أماثل بينه وبين القمر (٥) .

وخرج البخارى من حديث يحيى بن بكير ، أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك ، أن عبد الله بن كعب — وكان قائد كعب من بنيه حين عمى — قال : سمعت كعب بن مالك يقول : لما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه ، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه (٦) .

وخرج أيضاً من حديث يحيى عن عبد الرازق قال : أخبرنا ابن جريج عن ابن شهاب عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل النبى ﷺ يوماً مسروراً وأسارير وجهه تبرق فقال : ألم تسمعى ماقال مجزز المدلجى ، ورأى زيداً وأسامة قد غطيا رءوسهما ، وبدت أقدامهما ، فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض (٧) .

وخرّجه مسلم عن عبد بن حميد عن عبد الرازق ، وقال أبو إسحق الهمدانى عن امرأة من همدان سمّاها قالت حججتُ مع النبى ﷺ مرات فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة ، بيده محجن ، عليه بردان أحمران يكاد يمس منكبه ، إذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ، ثم يرفعه إلى فمه فيقبله ، قال أبو إسحق : فقلت لها شبّهيه ، قالت : [كان] كالقمر ليلة البدر ، ولم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ (٨) .

وخرّج عبد الله بن محمد بن إسحق الفاكهى من حديث أسامة بن زيد عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : قلنا للربيع بنت معوذ : صفى لى رسول الله ﷺ قالت : لو رأيته لقلت : الشمس طالعة (٨) .

---

(١) (المرجع السابق) الحديث رقم ٣٥٤٨ .
(٢) (المرجع السابق) الحديث رقم ٣٥٥٢ .
(٣) (الجامع الصحيح للترمذى) ج ٥ ص ٢٥٩ حديث رقم ٣٧١٠ .
(٤) أضحيان : أى مضيئة .
(٥) أخرجه الترمذى فى (الشمائل المحمدية) ص ١٢ .
(٦) (فتح البارى) ج ٦ ص ٦٥٠ حديث رقم ٣٥٥٦ ، وفى (خ) « ذلك منه » وما أثبتناه رواية البخارى .
(٧) المرجع السابق ، حديث رقم ٣٥٥٥ ولفظه : « ألم تسمعى ما قال المدلجى لزيد وأسامه ورأى أقدامهما » .
(٨) (البداية والنهاية) ج ٦ ص ١٥ .

وخرّج الترمذي من حديث عبد الوهاب الثقفي عن حميد عن أنس ، قال : كان النبي ﷺ ربعة ، ليس بالطويل ، ولا بالقصير ، حسن الجسم ، أسمر اللون ، كان شعره ليس بجعد ولا سبط ، إذا مشى يتوكأ . قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب (١) .

ولمسلم من حديث الجريري عن أبي الطفيل قال : قلت له : رأيت رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، كان أبيض مليح الوجه (٢) .

وله أيضاً من حديث الجريري عن أبي الطفيل قال : رأيت رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري ، قال : قلت : فكيف رأيته ؟ قال : كان أبيض مليح الوجه مقصداً (٢) .

وخرجه ابن أبي خيثمه والبخاري ومسلم من حديث محمد بن فضيل عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي جحيفة قال : رأيت رسول الله ﷺ قد شاب ، وكان الحسن بن علي يشبهه (٣) .

ولأبي داود الطيالسي من حديث عثمان بن عبد الله بن عرزم عن نافع بن جبير عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ مشرباً وجهه حمرة .

قال البيهقي : ويقال إن المشرب بالحمرة ما أضحى للشمس والرياح بوما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر .

وقال ابن اسحق عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم ، عن أبيه أن سراقة بن جعشم قال : أتيت رسول الله ﷺ [وكان راكباً] على ناقته ، أنظر إلى ساقه كأنها جمّارة (٤) .

وخرج الحافظ يعقوب بن سفيان الفسوي من حديث مزاحم بن أبي مزاحم عن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد ابن أسيد عن محرش الكعبي قال : اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ليلا فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة .

وخرج من حديث ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يصف رسول الله ﷺ فقال : كان شديد البياض .

وللترمذي في الشمائل من حديث صالح بن أبي الأخضر عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ أبيض كأنما صيغ من فضة ، رجل الشعر (٥) قلت : صالح بن أبي الأخضر ضعيف في الزهري ، قال ابن معين : ليس بشيء في الزهري ، وفي رواية صالح بن أبي الأخضر بغير ضعيف (٦) .

وقال ابن المبارك : أخبرني رشدي بن سعد قال : أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي يونس مولى أبي هريرة أنه

---

(١) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ٥ .
(٢) (مسلم بشرح النووي) ج ١٥ ص ٩٣ .
(٣) كذا في (خ) ورواية البخاري : « رأيت النبي ﷺ ، وكان الحسن يشبهه » (فتح الباري) ج ٦ ص ٥٦٣ حديث رقم ٣٥٤٣ .
(٤) الجمار : قلب النخل ، واحدته : جمارة (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٢٤ .
(٥) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ١٢ .
(٦) « وقال البخاري وأبو حاتم لين ، وقال البخاري والنسائي ضعيف ، وقال الترمذي يضعف في الحديث ـ ضعفه يحيى القطان وغيره ، وقال ابن عدي : وفي بعض حديثه ما ينكر وهو من الضعفاء الذين يكتب حديثهم » (تهذيب التهذيب) ج ٤ ص ٣٨١ .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان رسول الله ﷺ فخما مفخما (١) يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، خرجه الترمذي (٢) .

وله من حديث علي رضي الله عنه : كان في وجه رسول الله تدوير .

ولأحمد من حديث عبد الرازق قال : أخبرنا إسرائيل عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة يقول : كان وجه رسول الله ﷺ مستديراً .

وفي حديث أم معبد قالت (٣) : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه (تعني مشرق الوجه مضيئه) ، ومنه : تبلج الصبح إذا أسفر .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان سهل الخدين ، وقال قتادة : مابعث الله نبياً إلا بعثه حسن الوجه وحسن الصوت ، حتى بعث نبيكم ﷺ فبعثه حسن الوجه حسن الصوت ، ولم يكن يرجّع ، ولكن كان يمد بعض المد .

وأما صفة لونه

خرج البخاري في باب صفة النبي ﷺ من حديث يحيى بن بكير قال : حدثني الليث عن خالد عن سعيد ابن أبي هلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : سمعت أنس بن مالك يصف النبي ﷺ قال : كان ربعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير ، أزهر اللون ، ليس بأبيض أمهق ولا بآدم ، ليس بجعد قطط . ولا سبط رجل ، أنزل عليه وهو ابن أربعين ، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه : وبالمدينة عشر سنين ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء . قال ربيعه . فرأيت شعراً من شعره فإذا هو أحمر ، فسألت . فقيل : احمر من الطيب (٤) .

ولمسلم من حديث إسماعيل بن جعفر وسليمان بن بلال . كلاهما عن ربيعة عن أنس أنه سمعه يقول : كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ولا بالجعد القطط ، ولا بالسبط ، كان أزهر ، بعثه الله على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، وتوفاه الله على دابر ستين سنة ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء (٥) .

لم يقل في حديث إسماعيل على رأس ستين سنة . قال الحافظ أبو نعيم : هذا حديث صحيح ثابت متفق عليه ، رواه عن ربيعة يحيى بن سعيد الأنصاري ، وعمرو بن يحيى المازني ، وعبادة بن غزية ، وسعيد بن هلال وأسامة ابن زيد ، ونافع بن أبي نعيم ، ومحمد بن إسحق ، وعبد الله بن عمر ، وفليح . وأبو أويس ، وعبد العزيز الماجشون ، والدراوردي : والثوري ، ومالك والأوزاعي ، وسعد ، وأبو بكر بن عياش ، وقرة بن جبريل ، وأبو زكين ، وأنس بن عياض ، ومنصور بن أبي الأسود ، وإبراهيم بن طهمان في آخرين .

---

(١) في (خ) « فخما فخما » وما أثبتناه من (الشمائل) .
(٢) (الشمائل المحمدية للترمذي) ج ٩ ، ص ١٧٦ .
(٣) الحديث بتمامه في آخر كتاب (الشمائل المحمدية للترمذي) .
(٤) (فتح الباري) ج ٦ ص ٥٦٤ حديث رقم ٣٥٤٧ .
(٥) (صحيح مسلم بشرح النووي) ج ١٥ ص ١٠٠ .

سمع أبا هريرة قال : مارأيت شيئاً أحسن من النبي ﷺ كأن الشمس تجرى فى وجهه ، ومارأيت أحداً أسرع فى مشيته منه ، كأن الأرض تُطوى له ، إنا لنجتهد وإنه (١) غير مكترث .

وخرجه أبو عيسى الترمذى من حديث قتيبة قال : أخبرنا ابن لهيعة عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : مارأيت [شيئاً أحسن من النبي ﷺ] (٢) .

وخرجه تقى بن مخلد من حديث حرملة قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرنى عمرو بن الحارث أن أبا يونس مولى أبي هريرة حدثه عن أبي هريرة أنه سمعه يقول : مارأيت شيئاً أحسن من رسول ﷺ ، كأنما الشمس تجرى فى وجهه . ومارأيت أحداً أسرع من رسول فى مشيته كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهـد أنفسنا وإنه لغير مكترث .

قال الترمذى : هذا حديث غريب : قال مؤلفه : إسناد تقى هذا الحديث أجود من إسناد الترمذى ، وإسناد تقى على شرط مسلم .

وقد روى مسلم عن حرملة بن يحيى هذا غير ماحدث ، ولم يخرج هو ولا البخارى من حديث ابن لهيعة شيئاً .

وخرَّج مسلم من حديث محمد بن جعفر قال : أخبرنا شعبة عن سماك بن حرب قال : سمعت جابر بن سمرة قال : كان رسول الله ﷺ ضليع الفم ، أشكل العينين ، منهوس العقبين (٣) .

قال : قلت لسماك : ماضليع الفم ؟ قال . عظيم الفم ، قلت ، ما أشكل العينين ؟ قال . طويل شق العينين ، قلت : مامنهوس العقب ؟ قال : قليل لحم العقب .

قال قاسم بن ثابت فى كتاب الدلائل : وتفسير سماك على ماذكره إلا فى الشكلة ، فإن ابن الهيثم أخبرنا عن داود بن محمد عن ثابت بن عبد العزيز قال : الشكلة فى العين حمرة تخالط البياض ، وقال أبو عبيد : الشكلة كهيئة الحمرة تكون فى بياض العين ، والشهلة غير الشكلة ، وهى حمرة فى سواد العين .

وخرجه الترمذى من حديث أبي قطن قال : أخبرنا شعبة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : كان رسول الله ﷺ أشكل العينين منهوس العقب ، قال : هذا حديث حسن صحيح .

وخرج من حديث محمد بن جعفر عن شعبة مثل حديث مسلم ، وقال فى تفسيره : قال شعبة : قلت لسماك : ماضليع الفم ؟ قال : واسع الفم . . الحديث .

وخرجه أبو داود من حديث شعبة بسنده ولفظه : كان رسول الله ﷺ أشهـل العينين منهوس العقب ضليع الفم .

وللترمذى من حديث عباد بن العوام ، أخبرنا الحجاج عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : كان فى ساق رسول

---

(١) فى (خ) « وأنا » .

(٢) (الشمائل المحمدية) ص ٦٠ حديث رقم ١١٥ ولفظه « أسرع فى مشيته من رسول الله ﷺ » .

(٣) فى (الشمائل المحمدية) « منهوس العقب » ص ١١ حديث رقم ٨ وما أثبتناه من (خ) ومن رواية صحيح مسلم « (مسلم بشرح النووى) ج ١٥ ص ٩٣ » .

الله ﷺ حموشة ، وكان لايضحك إلا تبسما ، وكنت إذا نظرت إليه قلت : أكحل وليس بأكحل . قال أبو عيسى . هذا حديث حسن غريب صحيح (١) .

وله من حديث عمر بن عبد الله مولى غُفْرة قال : حدثنى إبراهيم بن محمد من ولد على رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أدعج العينين أهدب الأشفار (٢) ، والدعج : سواد العينين ، والأهدب : الطويل الأشفار ، وهو الشعر المتعلق به الأجفان .

وقال حجاج : حدثنا حماد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن على عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ عظيم العينين أهدب الأشفار مشرب العين بحمرة .

وخرَّج سعيد بن منصور من حديث خالد بن عبد الله عن عبيد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبي طالب عن أبيه عن جده قال : قيل لعلى رضى الله عنه : إنعت لنا رسول الله ﷺ فقال : كان أبيض مُشرَباً بياضه حمرة ، وقال : كان أسود الحدقة أهدب الأشفار .

وله من حديث عيسى بن يونس قال ، حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد من ولد على قال : كان على رضى الله عنه إذا نعت رسول الله ﷺ قال : كان فى الوجه تدوير أبيض مشرب ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار .

ومن حديث ابن أبي ذئب : حدثنا صالح مولى التوءمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه كان ينعت النبي ﷺ قال . كان أهدب أشفار العين .

أما صفة جبينه وأنفه وحاجبيه وفمه وأسنانه ونكهته

خرَّج يعقوب بن سفيان من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيّب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال : كان خاشّ الجبين أهدب الأشفار .

وفى حديث أبي هالة : كان رسول الله ﷺ واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشمّ ، سهل الخدين ضليع الفم أشنب ، مفلج الأسنان .

وقال موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين ، كان إذا تكلم رؤى كالنور بين ثناياه ، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كنت قاعدة أغزل والنبي ﷺ يخصف نعله ، فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولد نوراً ، فبُهِتُّ ، فنظر إلىّ فقال : مالك ؟ قلت : جعل جبينك يعرق ، وجعل عرقك يتولد نوراً ، فلو رآك أبو كثير الهذلى لعلم أنك أحق بشعره ، قال : ومايقول أبو كثير ؟ قلت : يقول :

---

(١) (الشمائل المحمدية) ص ١١٤ حديث رقم ٢٢٦ ، والحموشة : الدقة ، والكحل (بفتحتين) : سواد فى أجفان العين .

(٢) (سنن الترمذى) ج ٥ ص ٧٦٠ حديث رقم ٢٢١٧ .

وإذا نظرت إلى أسرّة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

فقام فقبّل بين عيني ، وقال : جزاك الله ياعائشة عني خيراً ، ماسررت مني كسروري منك . أخرجه ابن عساكر في تاريخه .

ولابن حبان من حديث أبي جعفر الداري ، عن أبي مرثم عن يونس بن عبيد (مولى لأنس) عن أنس قال : صحبت رسول الله ﷺ عشر سنين ، وشممت العطر كله ، فلم أشم نكهة أطيب من نكهته (١) .

وأما بلوغ صوته حيث لايبلغ صوت غيره

خرج أبو نعيم من حديث حمزة الزيات عن أبي إسحق عن البراء قال : خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في خدورهن ، ينادي بأعلى صوته : يامعشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورة أخيه أتبع الله عورته ، ومن اتبع الله عورته فضحه في جوف بيته (٢) .

وخرجه من حديث عمران بن وهب عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي بردة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة العليا بصوت يُسمع العواتق في خدورهن فقال : يامعشر من آمن بلسانه . . فذكره .

ومن حديث أبي نميلة قال : حدثنا جريج بن هلال الطائي ، حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : صلينا خلف النبي ﷺ يوماً ، فلما انفتل من صلاته أقبل علينا غضبان فنادى بصوت أسمع العواتق في أجواف الخدور فقال : يامعشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تسبوا المسلمين ولا تطلبوا عوراتهم ، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم هتك الله ستره ، وأبدى عورته ولو كان في جوف بيته ، أو في ستر بيته (٣) .

وخرّج أيضاً من حديث يعقوب بن كاسب قال : أخبرنا فضالة بن يعقوب عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس : اجلسوا ، فسمع عبد الله بن رواحة فجلس في بني غنم ، فقيل يارسول الله ، ذاك ابن رواحة جالس في بني غنم ، سمعك وأنت تقول للناس اجلسوا فجلس في مكانه (٤) .

وله من حديث مسدد قال : أخبرنا عبد الوارث عن حميد الأعرج عن محمد بن ابراهيم التيمي بن عبد الرحمن ابن معاذ — وكان من أصحاب النبي ﷺ — قال : خطبنا رسول الله ﷺ بمنى ، ففتحنا أسماعنا حتى إن كنا لنسمع مايقول ونحن في منازلنا ، فطفق يعلمهم مناسكهم ثم قال : عليكم بحصى الخذف (٥) .

وقال سفيان عن سعد عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن أم هانىء قالت : كنت أسمع قراءة النبي ﷺ وأنا على عريش أهلي .

(١) ونحوه في البخاري ، أنظر (فتح الباري) ج ٦ ص ٦٦ ، حديث رقم ٣٥٦١ بلفظ آخر .
(٢) (دلائل النبوة لأبي نعيم) ج ٢ ص ١٥٧ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٨ .
(٥) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٨ .

وقال هلال بن حباب : نزلت أنا ومجاهد على يحيى بن جعدة بن أم هانىء فحدثنا عن أم هانىء قالت : كنا نسمع قراءة رسول الله ﷺ في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي .

وأما صفة لحيته

ففي حديث علي رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس واللحية ، وفي رواية : كان ضخم الهامة عظيم اللحية (١) .

وللترمذي من حديث أبي هالة : كان رسول الله ﷺ كثّ اللحية .

ورواه حماد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ كث اللحية .

وليعقوب بن سفيان من حديث الزهري عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال : كان أسود اللحية حسن الشعر .

وقال محمد بن المثنى : حدثنا يحيى بن كثير عن أبي ضخم قال : نزلت بالرجيع فقيل لي : هاهنا رجل رأى النبي ﷺ فأتيته فقلت : رأيت رسول الله ؟ قال نعم ، رأيته رجلا مربوعاً حسن السَّبْلة ، قال : وكانت اللحية تدعى في أول الإسلام سَبَلة .

وقال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله ﷺ كان يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسَّوية .

وروى ابن عبد البر من طريق جنادة بن مروان الأزدي عن جرير بن عثمان عن عبد الله بن بسر قال : كان شارب رسول الله ﷺ بحيال شفته .

وقال محمد بن عائذ : قال ابن شهاب الزهري : أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها . انصرف رسول الله ﷺ من جنازة سعد بن معاذ ويده في لحيته .

وقال ابن شهاب : أخبرني سعيد بن المسيب عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا وجد (٣) فإنما يده في لحيته يفتلها أو يحركها .

قال محمد بن عمرو عن علقمة الليثي عن عائشة قالت . بكى أصحاب رسول الله ﷺ على سعد — يعني ابن معاذ — حتى إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر رضي الله عنهما ، قالت : وكانوا كما قال الله عزّ وجلّ : « رحماء بينهم (٢) » . فقال : يا أمتاه ! فما صنع رسول الله ﷺ ؟ فقالت : ما كانت عيناه تكاد تدمعان على أحد ، ولكنه كان إذا وجد (٣) فإنما يده في لحيته .

وقال حماد بن سلمة : أخبرنا عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبري عن ابن جريج أنه قال لابن عمر : رأيتك تحفي شاربك ، قال : رأيت النبي ﷺ يحفي شاربه .

(١) ونحوه في (البداية والنهاية) ج ٦ ص ١٨ .
(٢) من الآية ٢٩ / الفتح .
(٣) من الوجد وهو الحزن والأسى .

وقال الفضل بن دكين : أخبرنا مندل عن عبد الرحمن بن زياد عن أشياخ لهم قالوا : كان رسول الله ﷺ يأخذ الشارب من أطرافه .

وأما صفة شعره

فخرج مسلم من حديث أنس كان رسول الله ﷺ رجل الشعر ليس بالسبط ولا بالجعد القطط .

وأخرجه من حديث مالك وغيره عن ربيعة ، وللبخاري من حديث مسلم بن إبراهيم : أخبرنا جرير عن قتادة عن أنس : كان النبي ﷺ ضخم اليدين لم أرَ بعده مثله ، وكان شعر النبي ﷺ رجلا لا جعداً ولا سبطاً .

ومن حديث وهب بن جرير قال : حدثني أبي عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك عن شعر النبي ﷺ فقال : كان شعر رسول الله رجلا ليس بالسبط ولا الجعد ، بين أذنيه وعاتقه . ذكرهما في اللباس . وخرّج مسلم من هذه الطريق نحو هذا (١) .

ولأبي داود من حديث عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس قال : كان شعر رسول الله ﷺ إلى شحمة أذنيه (١) .

وقال حميد عن أنس كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه .

وللبخاري من حديث أبي إسحق سمعت البراء بن عازب قال : كان رسول الله ﷺ مربوعاً بعيد ما بين المنكبين ؛ يبلغ شعره شحمة أذنيه . الحديث .

وأخرجه مسلم ولفظه : مارأيت أحداً من خلق في حُلة حمراء يعني أحسن من رسول الله ؛ إن (٢) لمّته تضرب قريباً من منكبيه .

وفي حديث علي رضي الله عنه كان كثير شعر الرأس رَجِله .

ولأبي داود من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان شعر رسول الله ﷺ فوق الوفرة ودون الجمة .

وقال سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قالت أم هانئ : قدم النبي ﷺ مكة وله أربع غدائر يعني ضفائر .

وفي الصحيحين من حديث ابن شهاب عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يحب

---

(١) (مسلم بشرح النووي) جـ ١٥ ص ٩٢ .

(٢) (سنن أبي داود) جـ ٤ ص ٤٠٥ باب ما جاء في الشعر الأحاديث ٤١٨٣ ، ٤١٨٤ ، ٤١٨٥ ، ٤١٨٦ ، ٤١٨٧ . انظر أيضاً : (البخاري) في (اللباس) باب الجعد ، و(مسلم) في الفضائل باب صفة النبي ، و (النسائي) في الزينة حديث ٥٢٣٤ باب اتخاذ الجمة .

(٣) اللمة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر يسترخي عن شحمة الأذن ولا يصل إلى المنكبين .

موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه ، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم ، وكان المشركون يفرقون دونهم ، فسدل رسول الله ناصيته ثم فرق بعد (١) .

وقال ابن إسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت . أنا فرقت لرسول الله ﷺ رأسه [صدعت(٢)] فرقه عن يافوخه ، وأرسلت ناصيته بين عينيه .

قال ابن إسحق والله أعلم : ذلك لقول رسول الله ﷺ : لاتكف ثوباً ولاشعراً ، وهي سيما كان يتوسم بها . قال ؛ وقد قال محمد بن جعفر وكان فقيها : ماهي إلا سيما من سيم الأنبياء تمسكت بها النصارى من بين الناس .

وخرّج البخاري من حديث أنس : توفي رسول الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء (٣) .

ولمسلم عنه أن النبي ﷺ لم يختضب ، إنما كان شمط عند العنفقة يسيراً وفي الصدغين يسيراً وفي الرأس يسيراً .

وروى أبو إبراهيم محمد بن القاسم الأسدي ، حدثنا شعبة بن الحجاج عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : كان لرسول الله ﷺ جمة جعدة . قال ابن شاهين : تفرد بهذا الحديث محمد بن القاسم الأسدي عن شعبة ، لا أعلم حدّث به غيره ، وهو حديث غريب .

وأما صفة عنقه وبعد ما بين منكبيه

ففي حديث أم معبد (٤) أنها قالت : في عنقه سطع ، يعني الطول ، وفي حديث هند بن أبي هالة : كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة (٥) .

وفي حديث علي رضي الله عنه كان عنقه إبريق فضة ، وفي حديث البراء : كان رسول الله ﷺ مربوعاً بعيد ما بين المنكبين ، وفي حديث الزهري عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال : كان بعيد ما بين المنكبين .

وقال النضر بن شميل ، حدثنا صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ كأنما صيغ من فضة ، رَجِل الشعر [سواء] (٦) البطن [والصدر](٦) ، عظيم مُشاش المنكبين (٧) ، يطأ بقدميه جميعاً ، إذا أقبل أقبل جميعاً ، وإذا أدبر أدبر جميعاً .

---

(١) (سنن أبي داود) جـ ٤ ص ٤٠٧ باب ما جاء في الفرق حديث رقم ٤١٨٨ ، وأخرجه (البخاري) في (اللباس) باب الفرق ، (ومسلم) في الفضائل باب في سدل النبي ﷺ شعره وفرقه ؛ (وابن ماجة) في (اللباس) حديث ٣٦٣٣ باب اتخاذ الجمة والذوائب ، (النسائي) في الزينة حديث ٥٢٤٠ باب فرق الشعر ، و (الترمذي) في (الشمائل) حديث ٢٩ .

(٣) هذه التكملة من (سنن أبي داود) حديث رقم ٤١٨٩ جـ ٤ ص ٤٠٨ .

(٤) هي عاتكة بنت خالد الخزاعية (أم معبد) (الإصابة) جـ ١٣ ص ٣٣ ترجمة ٦٩١ وص ٢٨٩ من المرجع ذاته ترجمة رقم ١٥٠١ ، وفي (خ) « في » .

(٥) (الشمائل المحمدية) ص ٢٢٢ .

(٦) ما بين الأقواس تكملة من (صفة الصفوة) جـ ١ ص ١٥٦ .

(٧) يريد رءوس المناكب ، والمشاش (بضم الميم) : مفردها مُشاشة ، وهي رأس العظم .

وخرّج الترمذي من حديث غفرة قال : حدثني إبراهيم بن محمد عن علي كان رسول الله ﷺ جليل الكتد ؛ الكتد : مجمع الكتفين ، وهو الكاهل . والمنكب : مجمع رأس العضد في الكتف .

وأما صفة صدره وبطنه

ففي حديث هند بن أبي هالة : كان عريض الصدر سواء البطن والصدر ، وفي حديث أم معبد : لم يعبه ثجلة ، والثجلة عِظَم البطن واسترخاء أسفله .

وفي حديث أم هانىء : مارأيت بطن رسول الله ﷺ إلا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض .

وفي حديث علي رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ أجرد ذو مَسْربة . وفي حديث هند بن أبي هالة : كان أنور المتجرد (١) ، دقيق المسربة (٢) ، موصول ما بين اللبّة (٣) والسُّرة بشعر يجري كالخيط . عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر .

أما صفة كفيه وقدميه وإبطيه وذراعيه وساقيه وصدره

خرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ ضخم اليدين ، لم أر بعده مثله . . الحديث .

وفي رواية : كان النبي ﷺ ضخم الرأس والقدمين ، وكان سبط (٤) الكفين . وخرّج من حديث همام : أخبرنا قتادة عن أنس أو عن رجل عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ شثن (٥) الكفين والقدمين .

وفي رواية عن قتادة عن أنس أو جابر بن عبد الله كان النبي ﷺ ضخم الكفين والقدمين ، لم أر بعده شبهاً له .

وللفسوي من حديث ابن أبي ذؤيب حدثنا صالح مولى التوءمة قال : كان أبو هريرة ينعت النبي ﷺ قال : كان شبح (٦) الذراعين بعيد ما بين المنكبين ، أهدب أشفار العينين .

وفي حديث علي رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ شثن (٥) الكفين والقدمين ، ضخم الكراديس . وفي حديث ابن أبي هالة : كان رحب الراحة ، وفي حديث أنس : مامسست قط خزاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله (٧) .

---

(١) أنور المتجرد : أي نير الجسد إذا تجرد من الثياب ، والنير : الأبيض المشرق .
(٢) المَسْرُبة : الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السُّرة .
(٣) اللبة (بفتح اللام وتشديد الباء) : أعلى الصدر مما يلي العُنق .
(٤) السبط : المسترسل .
(٥) الشثن : الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين .
(٦) الشبح : الطويل (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٦٧٨ .
(٧) (سنن الدارمي) ج ١ ص ٣١ .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان طويل الزندين ضخم الكراديس ، وفي حديث شعبة عن سماك عن جابر : كان رسول الله ﷺ ضليع الفم أشكل العينين منهوس العقبين ، يعني قليل لحم العقب .

وفي حديث أبي هريرة كان يطأ بقدميه جميعاً ، ليس له أخمص ، وفي حديث هنـــد بن أبي هالة : كان خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء (١) .

وخرج البيهقي من حديث زيد بن هارون ، أخبرنا عبد الله بن يزيد بن مقسم قال : حدثتني عمتي سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت كردم قالت رأيت رسول الله ﷺ بمكة وهو على ناقة له وأنا مع أبي ، وبيد رسول الله ﷺ درة كدرة الكتاب ، فدنا منه أبي فأخذ بقدمه نقبلة (٢) رسول الله ، قالت : فما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه .

وفي الصحيحين من حديث مالك بن مغول قال : سمعت عون بن أبي جحيفة ذكر عن أبيه قال : دفعت إلى النبي ﷺ بالأبطح في قبة بالهاجرة ، فخرج بلال فنادى بالصلاة ، ثم دخل فأخرج فضل وضوء رسول الله ﷺ فدفع الناس يأخذون منه ، قال : ثم دخل فأخرج العَنَزة ، ثم خرج رسول الله ﷺ كأني أنظر إلى وبيض ساقيه فركز العنزة (٣) ثم صلى بنا الظهر ركعتين (٤) ، يمر بين يديه المرأة والحمار (٥) .

وفيهما من حديث أنس : رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بيـــاض إبطه ، يعني في الاستسقاء .

---

(١) خمصان الأخمصين : معناه أن أخمص رجله شديد الارتفاع من الأرض ، والأخمص : ما يرتفع من الأرض من وسط باطن الرجل ، وهو الموضع الذي لا يلصق بالأرض من القدم عند الوطء ، والخمصان (بضم الخاء) : البالغ منه .
وقوله مسيح القدمين : أي ليس بكثير اللحم فيهما وعلى ظاهرهما ، ولذلك ينبو الماء عنهما .
(٢) نقبلة العضد : كزبلة الفخذ (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٤٣٢ ، وفي (خ) « لاقرلة » ولعل ما أثبتناه هو الصواب .
(٣) (مسلم بشرح النووي) ج ٤ ص ٢١٩ .
والعنزة (بفتح العين والنون) : عصا أقصر من الرمح ، وقيل : هي الحربة الصغيرة (معالم السنن للخطابي) ج ١ ص ٤٤٣ .
وفي (مسلم بشرح النووي) ج ٤ ص ٢١٩ « هي عصا في أسفلها حديدة » ورواية مسلم « ثم ركزت له عنزة » وفيها دليل على جواز استعانة الإمام بمن يركز له عنزة ونحو ذلك ، فيه « بياض ساقيه » .
(٤) فيه دليل على أن الأفضل قصر الصلاة في السفر وإن كان بقرب بلد ما لم ينو الإقامة أربعة أيام فصاعداً وفيه أيضاً أن الساق ليست بعورة ، وهذا مجمع عليه (المرجع السابق) .
(٥) في رواية (مسلم) « يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود » ، يقول النووي في شرح (مسلم) ج ٤ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ « اختلف العلماء في هذا ، فقال بعضهم يقطع هؤلاء الصلاة ، وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه : يقطعها الكلب الأسود وفي قلبي من الحمار والمرأة شيء ، ووجه قوله أن الكلب لم يجيء في الترخيص فيه شيء يعارض هذا الحديث ، وأما المرأة ففيها حديث عائشة رضي الله عنها المذكور بعد هذا — وفيه « لقد شبهتمونا بالحمير والكلاب والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يصلي وإني على السرير بيني وبينه القبلة » — وفي الحمار حديث ابن عباس السابق — وفيه « يمر بين يديه الكلب والحمار لا يمنع » — وقال مالك وأبو حنيفة والشافعي رضي الله عنهم وجمهور العلماء من السلف والخلف : لا تبطل الصلاة بمرور شيء من هؤلاء ولا من غيرهم ، وتأول هؤلاء هذا الحديث على أن المراد بالقطع نقص الصلاة بشغل القلب بهذه الأشياء » راجع : (صحيح مسلم بشرح النووي) ج ٤ « باب سترة المصلي والندب إلى الصلاة إلى سترة والنهي عن المرور بين يدي المصلي والصلاة إلى الراحلة والأمر بالدنو من السترة وبيان قدر السترة وما يتعلق بذلك » .

وفى حديث حجاج عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : كان رسول الله ﷺ لا يضحك إلا تبسماً ، وكان فى ساقيه حموشه . . الحديث .

وخرّج البيهقى وأحمد من حديث يحيى بن يمان ، حدثنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : كانت أصبع رسول الله ﷺ خنصره من رجله متظاهرة .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا سعيد بن محمد الثقفى ، حدثنا سالم أبو النضر عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ كان إذا أشفق من الحاجة (يعنى ينساها) ربط فى خنصره أو فى خاتمه الخيط .

وأما قامته

فنى حديث أنس : أنه كان ربعة من القوم ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، وفى حديث البراء : ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير .

وفى حديث على : ليس بالقصير ولا بالطويل ، وفيه : إذا مشى تكفأ تكفيا (١) كأنما ينحط من صبب ، وفى رواية : كان لا قصير ولا طويل ، وكان يتكفأ فى مشيته كأنما يمشى فى صبب (٢) .

وفى رواية كان لاقصير ولا طويل ، وهو إلى الطول أقرب . قال : إذا مشى تكفأ كأنما يمشى فى صعد (٣) .
وفى رواية كان ليس بالذاهب طولاً ، فوق الربعة . إذا جامع القوم غمرهم ، وفى حديث أبى هريرة : كان رجلاً ربعة وهو إلى الطول أقرب ، وكان يقبل جميعاً و يدبر جميعاً .

وفى رواية الترمذى : لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد ، كان ربعة من القوم ، قال الترمذى : سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول : سمعت الأصمعى يقول : الممغط : الذاهب طولا ، والمتردد : الداخل بعضه فى بعض قصراً .

وفى حديث هند بن أبى هالة : كان أطول من المربوع وأقصر من المشذب ، وقال عبد العزيز بن عبد الصمد العمى ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، وهشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ، وربما مشى [بين] (٤) الرجلين الطويلين يتطولهما ، فإذا فارقاه نسباه إلى الطول ، ونسب هو إلى الربعة .

وأما اعتدال خلقه ورقة بشرته

فنى حديث هند : كان رسول الله ﷺ معتدل الخلق بادناً متماسكاً (٥) ، يعنى كان تام خلق الأعضاء ، ليس بمسترخى اللحم ولا كثيره .

---

(١) أى إذا مشى رفع رجليه بقوة .
(٢) الصبب : الأرض المنحدرة .
(٣) الصعد : الكبد والوثاق .
(٤) زيادة للسياق والمعنى
(٥) فى (خ) « بادن متماسك » .

وخرّج الحافظ أبو نعيم الأصفهانى من حديث محمد بن بكر الحضرى ، حدثنا يزيد بن عبد الله القرشى عن عثمان بن عبد الملك قال حدثنى خالى — وكان من أصحاب علىّ قدم صفين — عن على رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ رقيق البشرة .

وقال عبد الأعلى بن حماد : حدثنا معمر عن حميد عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ ألين الناس كفاً [وما] (١) مسست خزاً ولا حريراً ألين من كفه .

وأما حسنه وطيب رائحته وبرودة يده ولينها فى يد من مسها وصفة قوته

فنى حديث البراء بن عازب رضى الله عنه ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ [وسأله رجل : أكان وجهه] مثل السيف ؟ قال : لا ، مثل القمر . انفرد بإخراجه البخارى (٢)
وخرّج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن أبى يونس أنه سمع أبا هريرة يقول ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تخرج فى وجهه .

وقال جابر بن سمرة رأيت النبى ﷺ فى ليلة أضحيان (٣) ، وعليه حلة حمراء ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهو أحسن فى عينى من القمر (٤) .

وقال البراء ما رأيت أحداً فى حلة حمراء مترجلاً أحسن من رسول الله . . الحديث .

وفى حديث أبى الطفيل كان أبيض مليحاً مقصداً (٥) ، وفى حديث أم معبد كان أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب . وعن أبى هريرة : كأنما صيغ من فضة .

وخرّج الحافظ أبو نعيم من حديث عبد العزيز العمى عن جعفر بن محمد وهشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأنورهم لوناً .

ومن حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى هريرة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه : كان وجه رسول الله ﷺ كدارة القمر .

وخرّج الدارمى من حديث عبيد الله بن موسى عن أسامة بن زيد عن أبى عبيدة محمد بن عمار قال : قلت للربيع بنت معوذ صفى لى رسول الله ، فقالت : يابنى ، لو رأيته رأيت الشمس طالعة (٦) .

وقال أحمد بن عبد الله الغدانى أخبرنا عمرو بن أبى عمرو عن محمد بن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنه : لم يكن لرسول الله ظل ، ولم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوءه ضوء الشمس ، ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوءه على ضوء السراج .

---

(١) زيادة يتم بها المعنى .
(٢) (فتح البارى) ج ٦ ص ٥٦٥ حديث رقم ٣٥٥٢ ، (الشمائل المحمدية) ص ١٢ حديث رقم ١٠ ، و (سنن الترمذى) ج ٥ ص ٥٩٥ حديث رقم ٣٧١٥ . (٣) أضحيان : مضيئة . (٤) (سنن الدارمى) ج ١ ص ٣٠ .
(٥) مقصدا (بفتح الصاد المشددة) : وهو الذى ليس بجسيم ولا نحيف ، ولا طويل ولا قصير .
(٦) (سنن الدارمى) ج ١ ص ٣١ .

وخرّج ابن عساكر من حديث عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال : كنت أصافح النبي ﷺ أو يمس جلدى جلده ، فأعرف فى يدى بعد ثالثة أطيب من ريح المسك .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه مامسست بيدى ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً ألين من كف رسول الله ، ولا شممت رائحة قط أطيب من ريح رسول الله ﷺ .

وفى رواية ، قال أنس : ما شممت شيئاً قط — مسكاً ولا عنبراً — أطيب من ريح رسول الله ، ولا مسست شيئاً قط — حريراً ولا ديباجاً — ألين مسًّا من رسول الله ﷺ .

وفى رواية : كان رسول الله ﷺ أزهر اللون ، كأن عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفأ ، وما مسستُ حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب رائحة من رسول الله ﷺ (١) .

وقال جابر بن سمُرة : وأما أنا فمسح خدى فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجهما من جؤنة(٢) عطار .

وقال شعبة عن يعلى بن عطاء : سمعت جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو بمنى فقلت له : يارسول الله ، ناولنى يدك ! فناولنيها ، فإذا هى أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك .

وخرّج أبو نعيم من طريق الحميدى قال : أخبرنا سفيان(٣) بن عيينة عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال : أتى النبي ﷺ بدلو من ماء فشربَ ثم توضأ ، فمضمض ثم مجه فى الدلو مسكاً أو أطيب من المسك ، واستنثر خارجاً من الدلو .

وخرّجه البيهقى من طريق يعقوب بن سفيان ومن حديث مسعر عن عبد الجبار بن وائل قال : حدثنى أخى(٤) عن أبى قال : أتى النبي ﷺ بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم مج فى الدلو ثم صب فى البئر ، أو قال : شرب من الدلو ثم مج فى البئر ففاح منها مثل رائحة المسك .

وخرّج مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : دخل علينا النبي ﷺ فقال(٥) عندنا ، فعرق ، وجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق ، فاستيقظ النبي ﷺ ، فقال : يا أم سليم ! ما هذا الذى تصنعين ؟ قالت : هذا عَرَق نجعله لطيبنا ، وهو أطيب من الطيب (٦) .

ومن حديث أيوب عن أبى قلابة عن أنس عن أم سليم أن النبى ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها فتبسط له نطعاً فيقيل عليه — وكان كثير العرق — فكانت تجمع عرقه فتجعله فى الطيب والقوارير ، فقال النبى ﷺ : يا أم سليم ! ما هذا ؟ قالت : عرقك أدوف به طيبى (٦) .

وخرّج أبو نعيم من حديث أبى يعلى الموصلى قال : أخبرنا بشر بن سنحان ، أخبرنا عمرو بن سعيد الأشج ، أخبرنا سعيد عن قتادة عن أنس قال : كنا نعرف رسول الله ﷺ إذا أقبل بطيب ريحه .

---

(١) (مسلم بشرح النووى) جـ ١٥ ص ٨٦ ، وفيه «مسكة ولا عنبرة» .
(٢) الجونة والجؤنة : بمعنى ، وهى السقط الذى فيه متاع العطار ، هكذا فسره الجمهور ، وقال صاحب (العين) : وهى سليلة مستديرة مغشاة (المرجع السابق) .
(٣) فى (خ) « ياسفين » . (٤) فى (خ) « أهل » . (٥) «قال : من القيلولة وهى نوم الظهيرة .
(٦) (مسلم بشرح النووى) جـ ١٥ ص ٨٦ ، ٨٧ .

وخرّج من حديث مغيرة بن عطية عن أبى الزبير عن جابر قال كان فى رسول الله ﷺ خصال : لم يكن فى طريق فسلكه أحد إلا عرف مسلكه من طيب عَرْفه أو ريح عَرَقه(١) .

وأما صفة خاتم النبوة

خرج البخارى من حديث حاتم بن إسماعيل عن الجعد بن عبد الرحمن قال سمعت السائب بن يزيد يقول : ذَهَبت بى خالتى إلى رسول الله ﷺ ، فقالت يا رسول الله ، إن ابن أختى وجع ، فمسح رأسى ودعا لى بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة . ذكره فى كتاب المناقب ، وفى كتاب الدعاء فى باب الدعاء للصبيان ، وفى كتاب المرضى فى باب من ذهب بالصبي المريض ليُدعى له ، وقال فيه : فنظرت إلى خاتمه ، وذكره فى الطهارة فى باب استعمال فضل وضوء الناس ، وفيه : أن ابن أختى وقع ، وفيه : فنظرت إلى خاتم النبوة (٢) .

وخرّجه مسلم من طرق ، ولمسلم من حديث عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة يقول : كان رسول الله ﷺ قد شمط مقدّم رأسه ولحيته ، وكان إذا ادّهن لم تتبين ، وإذا شعث رأسه تبين ، وكان كثير شعر اللحية ، فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟ قال : لا : بل مثل الشمس والقمر ، وكان مستدير الرأس ، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده(٣) .

وله من حديث شعبة عن سماك قال : سمعت جابر بن سُمرة قال : رأيت خاتماً فى ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام .

وله من حديث حامد بن محمد البكراوى قال : أخبرنا عبد الواحد ـ يعنى ابن زياد ـ أخبرنا عاصم عن عبد الله ابن سرجس قال رأيت النبى ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً ، أو قال : ثريداً ، قال : قلت له أستغفرلك النبى ﷺ ؟ قال : نعم ، ولك ، ثم تلا هذه الآية « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » (٤) ، قال : ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض(٥) كتفه اليسرى ، جُمعاً عليه خيلان كأمثال الثآليل(٦) .

وخرجه النسائى ولفظه : عن عبد الله بن سرجس قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس فى ناس من أصحابه فدرت من خلفه فعرف الذى أريد ، فألقى الرداء عن ظهره فرأيت موضع الخاتم على موضع كتفيه مثل الجمع كأنها الثآليل ، فجئت حتى استقبلته ، فقلت : غفر الله لك يا رسول الله ، قال : ولك — قال بعض القوم استغفر لك رسول الله ؟ قال(٧) : نعم ولكم ، ثم تلا « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » . ذكره فى التفسير .

---

(١) (سنن الدارمى) جـ ١ ص ٣٢ ، والعَرْف : الرائحة مطلقاً ، وأكثر ما يستعمل فى الرائحة الطيبة . وانظر أيضاً (دلائل النبوة) لأبى نعيم ص ١٠٨ . (٢) (صحيح البخارى بحاشية السندى) جـ ٤ ص ٧ .
(٣) (مسلم بشرح النووى) جـ ١٥ ص ٩٧ . (٤) من الآية ١٩ سورة محمد .
(٥) الناغض : أعلى الكتف ، وقيل هو العظم الرقيق الذى على طرفه ، وقيل ما يظهر عند التحرك .
(٦) وقوله « جمعاً » فبضم الجيم وإسكان الميم ، ومعناه : أنه كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها ، وأما « الخيلان » فبكسر الخاء المعجمة وإسكان الياء : جمع خال وهو الشامة فى الجسد (مسلم بشرح النووى) جـ ١٥ ص ٩٨ ، ٩٩ والثآليل : جمع ثؤلول ، وهو بثر صغير صلب مستدير يظهر على الجلد كالحمصة أو دونها (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٩٣ .
(٧) (الشمائل المحمدية للترمذى) ص ١٨ ، ١٩ حديث رقم ٢٢ .

وخرج أبو داود الطيالسى من حديث قرة بن خالد قال : أخبرنى معاوية بن قرة عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ، أرنى الخاتم ، قال : أدخل يدك ، قال : فأدخلت يدى فى جربانه ، فجعلت ألمس أنظر إلى الخاتم ، فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة ، فما منعه ذلك أن جعل يدعو لى ، وإن يدى لفى جربانه .

وخرج الفسوى من حديث عبيد الله بن إياد قال : حدثنى أبي عن أبى رمثة قال : انطلقت مع أبى نحو النبي ﷺ فنظر إلى مثل السلعة بين كتفيه ، فقال : يارسول الله ، إنى كأطب الرجال ، أفأعالجها لك ؟ فقال : لا ، طبيبها الذى خلقها .

وقال الثورى عن إياد بن لقيط فى هذا الحديث : فإذا خلف كتفه مثل التفاحة ، وقال عاصم بن بهدلة عن أبى رمثة : فإذا فى نغض كتفه مثل بعرة البعير أو بيضة الحمامة .

وخرّج البيهقى من حديث عبد الله بن ميسرة ، حدثنا عتاب قال : سمعت أبا سعيد يقول : الخاتم الذى بين كتفى النبي ﷺ لحمة نابتة . وخرّج البيهقى من حديث سماك بن حرب عن سلامة العجلى عن سلمان الفارسى قال : أتيت رسول الله ﷺ فألقى إلىّ رداءه وقال : يا سلمان انظر إلى ما أمرت به ، قال : فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة .

فصل جامع فى صفة رسول الله ﷺ

روى أبو نعيم من حديث المسعودى عن عثمان بن عبد الله بن هرمز عن نافع بن جبير بن مطعم عن على رضى الله عنه قال : لم يكن رسول الله بالطويل ولا بالقصير ، وكان(١) شثن الكفين والقدمين ، ضخم الرأس واللحية مشرباً وجهه حمرة ، ضخم الكراديس ، طويل المسربة ، إذا مشى يمشى تقلعاً كأنما ينحدر من صبب .

وفى رواية : إذا مشى تكفأ تكفياً كأنما ينحط من صبب ، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وروى الفسوى من حديث عيسى بن يونس ، حدثنا محمد بن عبد الله مولى غفرة ، قال : حدثنى إبراهيم بن محمد من ولد على قال : كان على إذا نعت رسول الله ﷺ قال : لم يكن بالطويل الممغط ، ولا القصير المتردد ، وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط ، ولا بالسبط ، كان جعداً رجلاً ، ولم يكن بالمطهم ولا المكلثم ، وكان فى الوجه تدوير أبيض ، مشرب أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتف ، أو قال الكتد ، أجرد ذا مسربة ، شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلع كأنما يمشى فى صبب ، وإذا التفت التفت معاً ، بين كتفيه خاتم النبوة(٢) ، أجود الناس كفاً وأرحب الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس بذمة ، وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وفى رواية لم يكن بالطويل الممغط ولا القصير المتردد ، لم يكن بالمطهم ولا المكلثم ، أبيض مشرب ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتد ، شثن الكفين والقدمين ، دقيق المسربة ، إذا مشى تقلع كأنما يمشى فى صبب ، وإذا التفت التفت معاً ، ليس بالسبط ولا بالجعد القطط .

---

(١) ل (خ) « وكاشثن » .

(٢) ل (خ) بعد قوله : « خاتم النبوة » عبارة « خاتم النبيين » والسياق يقتضى حذفها .

وفى رواية : كان أزهر ، ليس بالأبيض الأمهق ؛ وفى رواية : كان فى عينيه شكلة ، وفى رواية : كان شبح الذراعين .

فالممغط : الذى ليس بالبائن الطويل ، ولا القصير ، وقيل : الممغط : الذاهب طولا ، والمتردد : الذى تردد خلقه بعضه على بعض ، فهو مجتمع .

يقول : ليس هو كذلك ، ولكن ربعة بين الرجلين ، كما جاء فى حديث آخر : أنه كان ضرب اللحم بين الرجلين .

والمطهم : المنتفخ الوجه ، وقيل الفاحش السمن ، وقيل النحيف الجسم ، وقيل : الطامة فى اللون أن تتجاوز حمرته إلى السواد ، والمكلثم : المدور الوجه ، وقيل : هو القصير الحنك الدانى الجبهة مع الاستدارة .

يقول : فليس كذلك ، ولكنه مسنون ، وقوله : مشرب أى أشرب حمرته ، والأدعج العين : الشديد سوادها ، والجليل المشاش : العظيم رءوس العظام ، مثل الركبتين والمرفقين ، والكتد : الكاهل وما يليه من الجسد ، وقيل : الكتد : مجمع الكتفين ، وهو الكاهل .

وقوله : شثن الكفين والقدمين : يعنى أنهما إلى الغلظ . وقيل الشثن الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين ، وقوله إذا مشى تقلع كأنما يمشى فى صبب : القلع : أن يمشى بقوة ، والصبب الانحدار ، والقطط : الشديد الجعودة من أشعار الحبش ، والسبط : الذى ليس فيه تكسر ، يقول : فهو جعد رجل ، والأزهر الأبيض النير البياض ، لا يخالط بياضه حمرة ، والأمهق الشديد البياض الذى لا يخالط بياضه شىء من الحمرة وليس بنيّر ، ولكن كلون الجص أو نحوه ، يقول : فليس هو كذلك .

والشكلة : كهيئة الحمرة تكون فى بياض العين ، والشهلة : حمرة فى سواد العين ، والمرهة : بياض لا يخالطه غيره ، وأهدب الأشفار : يعنى طويلها ، وقوله : شبح الذراعين : يعنى عبل الذراعين عريضهما ، والمسربة الشعر المستدق ما بين اللبة إلى السرة .

وقال يعلى بن عبيد عن مجمع بن يحيي الأنصارى عن عبد الله بن فران عن رجل من الأنصار أنه سأل علياً رضى الله عنه عن نعت رسول الله ﷺ فقال : كان رسول الله ﷺ أبيض اللون مشرباً حمرة ، أدعج العينين ، سبط الشعر ذو وفرة ، دقيق المسربة ، كأن عنقه إبريق فضة ، من لبته إلى سرته شعر يجرى كالقضيب ، ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره ، شثن الكف والقدم ، إذا مشى كأنما ينحدر من صبب ، وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر ، وإذا التفت التفت جميعاً ، كأن عرقه اللؤلؤ ، ولريح عرقه أطيب من المسك [ ](١) ، ليس بالطويل ولا بالقصير ؟ لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وقال إبراهيم بن طهمان عن حميد الطويل عن أنس قال : لم يكن النبي ﷺ بالآدم ولا الأبيض الشديد البياض ، فوق الربعة ودون البائن(٢) الطويل ، كان من أحسن ما رأيت من خلق الله ، وأطيبهم ريحاً وألينهم كفاً ، ليس بالجعد الشديد الجعودة ، وكان يرسل شعره إلى أنصاف أذنيه ، وكان يتوكأ إذا مشى .

---

(١) مكان هذا البياض فى (خ) كلمة ممحوجة لم أتبين معناها .   (٢) فى (خ) « للبائن » .

وقال عبد الرازق : أخبرنا معمر عن الزهرى قال : سُئل أبو هريرة رضى الله عنه عن صفة النبى ﷺ فقال : أحسن الناس صفة وأجملها ، كان ربعة إلى الطول ، ما هو بعيد ما بين المنكبين ، أسيل الجبين ، شديد سواد الشعر ، أكحل العينين أهدب ، إذا وطىء بقدمه وطىء بكلها ، ليس أخمص ، إذا وضع رداءه عن منكبه فكأنه سبيكة فضة ، وإذا ضحك يتلألأ . لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وفى حديث أم معبد عاتكة بنت خالد بن خليف الخزاعية : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متباج الوجه(١) ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولا تزريه صعلة ، وسيما قسيما ، فى عينيه دَعَج ، وفى أشفاره وَطَف ، وفى صوته صَحَل(٢) ، وفى عُنقه سَطع ، وفى لحيته كثاثة ، أزجّ أقرَن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نَزْر ولا هَذْر ، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، لا تشنؤه(٣) من طول ، ولا تقتحمه عين من قِصر ، غصناً بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محسود ، لا عابس ولا مُفنَّد ﷺ ، [وسيأتى] حديث أم معبد بطوله مشروحاً عند ذكر المعجزات إن شاء الله تعالى .

وخرّج الحافظ أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوى(٤) من حديث جميع بن عمر العجلى ، قال حدثنى رجل بمكة عن ابن لأبى هالة عن الحسن بن على قال سألت خالى هند بن أبى هالة التميمى — وكان وصافاً — عن حلية النبى ﷺ وأنا أشتهى أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به ، فقال : كان رسول الله ﷺ فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع ، وأقصر من المشذّب ، عظيم الهامة ، رَجِل الشعر . إن انفرقت عقيصته فرق ، وإلا فلا يتجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفّره ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزجّ الحواجب سوابغ فى غير قرن ، بينهما عرق يُدرّه الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشمّ ، كثّ اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، أشنب ، مفلج الأسنان ، دقيق المسربة ، كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادناً متماسكا ، سواء البطن والصدر ، عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، أنور المتجرد ، موصول ما بين اللبة والسُّرة بشعر يجرى كالخط ، عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر ، طويل الزندين ، رحب الراحة ، سبط العقب ، شثن الكفين والقدمين ، سائل الأطراف ، خمصان الأخمصين ، مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ، فإذا زال زال قلعاً ، يخطو تكفياً ، ويمشى هوناً ، ذريع المشية كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلّ نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام ، قلت : صف لى منطقه ، قال : كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، طويل السكوت ، لا يتكلم فى غير حاجة ، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم ، فصلا لا فضول ولا تقصير ، دمثاً ، ليس

(١) أى يشرق بالنور . (٢) صحل : بحة .
(٣) فى (خ) « لا يأس » وما أثبتناه من (الشمائل المحمدية) ص ٢٢٣ .
(٤) (نسبة إلى فسا) من بلاد فارس (لسان الميزان) ج ٦ ص ٣٠٧ ترجمة رقم ١١٠١

بالجافى ولا المهين ، يعظم النعمة وإن دقّت ، ولا يذم منها شيئاً ، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً (١) ، ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها ، فإذا تعوطى الحق لم يعرفه أحد ولم يكن يقوم لغضبه شىء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها ، فيضرب بباطن راحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غضّ طرفه ، جُلّ ضحكه التبسم ، يفتر عن مثل حب الغمام .

قال الحسن : فكتمها الحسين زماناً ثم حدثته فوجدته قد سبقنى إليه . فسأله عما سألته . فوجدته قد سأل (يعنى علياً) رضى الله عنه عن مدخله ومخرجه ، وشكله فلم يدع منه شيئاً .

قال الحسين عليه السلام : سألت أبى هريرة عن دخول رسول الله ﷺ فقال : كان دخوله لنفسه مأذوناً له فى ذلك ، فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء ، جزءاً لله عزّ وجلّ ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه ، ثم جزءاً جزأه بينه وبين الناس ، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئاً .

وكان من سيرته فى جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه (٢) على قدر فضلهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم ، وإخبارهم بالذى ينبغى لهم . ويقول : ليبلغ الشاهد الغائب ، وأبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى حاجته ، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبّت الله قدميه يوم القيامة ، لا يذكر عنده إلا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره ، يدخلون عليه رواداً ولا يفترقون إلا عن ذواق ، ويخرجون أدلة (يعنى فقهاء) (٣) .

قال : وسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه (٤) إلا فيما (٥) يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بِشْرَه ولا خلقه ، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس (٦) ، ويحسّن الحسَن ويقويه ، ويقبّح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر ، غير مختلف ، ولا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا ، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يجوزه (٧) الذين يلونه من الناس ، خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة .

قال : فسألته عن مجلسه كيف كان يصنع فيه ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر . ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها (٨) ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك ، يعطى كل جلسائه نصيبه ، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، ومن جالسه أو قاومه فى حاجة صابره ، حتى يكون هو المنصرف ، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناسَ منه بسطه وخلقه ،

(١) الذواق (بفتح الذال وتخفيف الواو) المأكول والمشروب .
(٢) فى (خ) « وقسمته » وما أثبتناه من (صفة الصفوة) ج ١ ص ١٥٨ .
(٣) كذا فى (خ) ، وفى المرجع السابق « يعنى على الخير » .
(٤) فى (خ) « يحزن » ، وما أثبتناه من المرجع السابق . (٥) فى (خ) « مما » ، وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٦) كذا فى (خ) وفى المرجع السابق « عما فى أيدى الناس » .
(٧) كذا فى (خ) ، وفى المرجع السابق « يجاوزه » . (٨) إيطان المكان : التعود على الجلوس فى مكان بعينه .

فصار لهم أباً . وصاروا عنده فى الحق متقاربين ، مُتفاضلين بالتقوى متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب .

قال : قلت : كيف كانت سيرته فى جلسائه ؟ قال : كان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب (١) ولا فحاش ولا عيّاب ولا مدّاح ، يتغافل عما لا يشتهى . ولا يؤيس (٢) منه ، ولا يخيّب فيه مؤمليه (٣) ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والإكثار ، وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : لا يذم أحداً ، ولا يعيّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعوا عنده الحديث ، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أوليهم (٤) ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته (٥) ، حتى كان أصحابه ليستجلبوهم (٦) [فى المنطق] (٧) ، ويقول . إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدوه ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ (٨) ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهى أو قيام (٩) .

قال : سألته كيف كان سكوته ؟ قال : كان سكوت رسول الله ﷺ على اربع : الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكر ؛ فأما تقديره فى تسوية النظر ، والاستماع بين الناس ، وأما تذكره — أوقال : تفكره — ففيم يبقى ويفنى (١٠) .

وجمع له ﷺ الحلم والصبر ، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه ، وجمع له الحذر فى أربع : أخذه بالحسن ليقتدى به ، وتركه القبيح لينتهى عنه ، واجتهاد الرأى فيما أصلح أمته ، والقيام لهم فيما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة ﷺ .

وحديث جميع بن عمرو قال : حدثنى رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبى هالة لم يُسَمّ ، عن الحسن بن على قال : سألت خالى هند بن أبى هالة — وكان وصّافاً — عن حلية رسول الله فقال : كان رسول الله فخماً مفخماً . (الحديث . هكذا رواه الترمذى فى الشمائل ، والطبرانى فى معجمه الكبير ، ورواه العقيلى فى الضعفاء من طريق جميع بن عمر ، حدثنا يزيد بن عمر التميمى عن أبيه عن الحسن ، فبين ذلك المبهمين فى الإسناد الأول .

والفَخْم المفخَّم : العظيم المعظم فى العيون والصدور ، أى كان جميلا مهيباً عند الناس .

---

(١) الصخّاب والسخّاب : يعنى ، وهو الصياح .
(٢) ق (خ) « يؤيس » وما أثبتناه من (صفة الصفوة) ج ١ ص ١٦٠ .
(٣) ق (خ) « ولا يجيب فيه » وما أثبتناه من (صفة الصفوة) ج ١ ص ١٦٠ .
(٤) كذا ق (خ) وق المرجع السابق « أولهم » .
(٥) أى أنه يصبر على ما يبدو من الغريب من غلظة فى كلامه وسؤاله .
(٦) كذا ق (خ) ، وق (صفة الصفوة) « ليستجلبونهم » .
(٧) ما بين القوسين ليس ق (صفة الصفوة) .
(٨) ق (خ) « مكلف » وما أثبتناه من المرجع السابق ومن (النهاية لابن الأثير) .
(٩) رواه (الترمذى) . (١٠) هذه الفقرة من (الطبرانى) زيادة من رواية (الترمذى) .

والمشذب : الطويل البائن الطول مع نقص فى لحمه ، أى ليس بنحيف طويل ، بل طوله وعرضه متناسبان على أتم صفة .

والشعر الرَّجِل الذى ليس شديد الجعودة ولا شديد السبوطة ، بل بينهما ، والعقيصة : الشعر المجموع كهيئة المضفور ، والعقيقة : الشعر الذى يخرج على رأس الصبى حين يولد وسمى الشعر عقيقة لأنه منها ونباته من اصولها ، وقيل العقيقة هنا تصحيف ، وإنما هى العقيصة .

والأزهر : الأبيض المستنير ، وهو أحسن الألوان ، وليس بالشديد البياض .

الأزَجّ : وهو دقة الحاجبين وسبوغهما إلى محاذاة آخر العين مع تقوس ، والقرن : أن يلتقى طرفاهما مما يلى أعلى الأنف ، وهو محمود عند العرب ، ويستحبون البلج وهو بياض مابين رأسيهما وخلوه من الشعر ، والمراد أن حاجبيه قد سبغا وامتدا حتى كادا يلتقيان فيه ولم يلتقيا ، ونفى القرن هو الصحيح فى صفته عليه السلام ، دون ما وصفته به أم معبد ، ويمكن أن يقال : لم يكن بالأقرن ، ولا بالأبلج حقيقة ، بل كان بين حاجبيه فرجة كبيرة ، لا تتبين إلا لمن حقق النظر إليها ، كما ذكر فى صفة أنفه فقال : يحسبه من لم يتأمله أشم ولم يكن أشم .

والسوابغ : جمع سابغ ، وهو التام الطويل ، و « يدرّه » الغضب : أى يحركه ويظهره ، كان إذا غضب امتلأ ذلك العرق دماً كما يمتلئ الضرع لبناً إذا دَرّ ، فيظهر ويرتفع .

والعرنين : الأنف ، والقنا : طول الأنف ودقة أرنبته مع ارتفاع فى وسط قصبته ، والشمم : ارتفاع رأس الأنف وإشراف الأرنبة قليلا ، واستواء أعلى القصبة ، أى كان مُحسّباً لحسن قناه قبل التأمل أشم ، فليس قناؤه بفاحش مفرط ، بل يميل إلى الشمم .

والشعر الكث : الكثيف المتراكب من غير طول ولا رقة ، وسهل الخدين : أى ليس فى خديه نتوء وارتفاع ، وقيل أراد أن خديه أسيلان قليلا اللحم رقيقا الجلدة .

والضليع الفم : العظيم الواسع ، وكانوا يذمون صغر الفم ، وقال أبو عبيد : أحسبه جله فى الشفتين ، وغلظة فيهما .

والشنب : رقة الأسنان ودقتهما ، وتحدد أطرافهما ، وقيل : هو بردها وعذوبتها .

والفلج : تباعد مابين الثنايا والرباعيات ، والمسربة : مادق من شعر الصدر مائلاً إلى السرة .

والجيد : العنق ، والدمية الصورة المصورة فى جدار أو غيره .

واعتدال الخلق : تناسب الأعضاء والأطراف ، وأن لا تكون متباينة فى الدقة والغلظ ، والصغر والكبر ، والطول والقصر .

والبادن : الضخم التام اللحم ، والمتماسك : الذى لحمه ليس بمسترخ ولا مترهل ، ولما وصفه بالبدانة أتبعها بالتماسك ، كأن لحمه لاكتنازه واصطحابه يمسك بعضه بعضاً ، لأن الغالب على السمن الاسترخاء .

قوله : سواء البطن والصدر : أى متساويهما ، يعنى أن بطنه غير خارج ، فهو مساوٍ لصدره ، وصدره عريض فهو مساوٍ لبطنه .

والمشكبان : اعلا الكتفين ، وبعد ما بينهما يدل على سعة الصدر والظهر ، والكراديس : جمع كردوس ،

وهو رأس كل عظم كبير ، وملتقى كل عظمين ضخمين كالمنكبين والمرفقين ، والوركين والركبتين ، ويريد به ضخامة الأعضاء وأغلظها .

والمتجرد ما كشف عنه الثوب من اليدين ، يعنى أنه كان مشرق الجسد ، نيّر اللون ، فوضع الأنور موضع النيّر .

والأشعر : الذى عليه الشعر من البدن ، واللبة (بفتح اللام) الوهدة فى أعلى الصدر وفى أسفل الحلق بين الترقوتين .

وقوله : عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك ؛ أى أن ثدييه وبطنه ليس عليهما شعر سوى المسربة المقدم ذكرها ، الذى جعله جارياً كالخط .

والزندان : العظمان اللذان يليان السكف من الذراع ، رأس أحدهما يلى الإبهام ، ورأس الآخر يلى الخنصر .

والراحة : السكف ، ورحبها : سعتها ، وهو دليل الجود ، والشثن : الغليظ الأطراف والأصابع وكونها سائلة أى ليست بمنقدة ولا متجعدة ، فهى مع غلظها سهلة سبطة .

والقُصُب : جمع القصبة ، وهى كل عظم أجوف فيه مخ ، والسبط : الممتد فى استواء ليس فيه تعقد ولا نتوء .

والأخمص من القدم : الموضع الذى لا يصل إلى الأرض منها عند الوطء ، والخمصان : المبالغ منه ، أى أن ذلك الموضع منه شديد التجافى عن الأرض . وسئل ابن الأعرابى عنه فقال : إذا كان خمص الأخمص بقدر لم يرتفع جداً ولم يستو أسفل القدم جداً فهو أحسن ما يكون ، وإذا استوى أو ارتفع جداً فهو ذم .

فيكون المعنى حينئذ : معتدل الخمص بخلاف الأولى ، وكلا القولين متجه يحتمله اللفظ ، ومسيح القدمين : أى أن ظاهرهما ممسوح غير متعقد ، فإذا صُب عليهما الماء مرّ سريعاً لملاستهما فينبو عنهما الماء ولا يقف ، يقال ، نبا الشىء ينبو(١) إذا تباعد .

وقال الهروى : أراد أنهما ملساوان ، ليس فيهما وسخ ولا شقاق ولا تكسر ، فإذا أصابهما الماء نبا عنهما .

وقوله : إذا زال زال قلعاً كأنما ينحط من صبب ، والانحدار من صبب والتقلع من الأرض قريب بعضه من بعض . أراد أنه كان يستعمل التثبت ، ولا يبين منه فى هذه الحال استعجال ومبادرة شديدة .

وفى حديث آخر : إذا مشى تقلّع ، أراد به قوة المشى ، وأنه كان يرفع رجليه من الأرض رفعاً قوياً ، لا كمن يمشى اختيالاً ، ويقارب خطوه ، فإن ذلك من مشى النساء .

والتكفؤ : تمايل الماشى إلى قدام كالغصن إذا هبت به الريح ، والهون : المشى فى رفق ولين غير مختال ولا معجب ، والذريع : السريع ، أى أنه كان واسع الخطو فيسرع مشيه ، وربما يُظن أن هذا ضد الأول ، ولا تضاد فيه ؛ لأن معناه أنه كان مع تثبته فى المشى يتابع الخطوات ويوسعها فيسبق غيره .

والصَّبَب : الموضع المنحدر من الأرض ، وذلك دليل سرعة مشيه ، لأن المنحدر لا يكاد يثبت فى مشيه .

(١) فى (خ) « يلبوا » .

وفى رواية كأنما يهوى من صبوب بضم الصاد : جمع صبب ، وهو المنحدر من الأرض ، وبفتح الصاد : اسم لما يُصب على الإنسان من ماء وغيره . وهو يهوى : إذا نزل من موضع عال .

وقوله : وإذا التفت التفت جميعاً : أى لم يكن يلوى عنقه ورأسه إذا أراد أن يلتفت إلى ورائه ، فعل الطائش العجل ، إنما يدير بدنه كله وينظر ، وقيل : أراد أنه لا يسارق النظر ، وخفض الطرف ضد رفعه ، وجُلّ الشىء معظمه ، والملاحظة : أن ينظر بلحظ عينيه وهو شقها الذى يلى الصدغ والأذن . ولا يحدق (١) إلى الشىء تحديقاً .

والطرف العين . وكانت الملاحظة معظم نظره وأكثره ؛ وهو دليل الحياء والكرم . ويسوق أصحابه : أى يقدمهم أمامه ، ويمشى وراءهم ، والسكت : السكوت ، وجوامع الكلم : القليلة الألفاظ الكثيرة المعانى ، جمع جامعة وهى اللفظة الجامعة للمعانى والقول الفَصْل : هو البين الظاهر المحكم الذى لا يعاب قائله ، وحقيقته الفاصل بين الحق والباطل ، والخطأ والصواب .

والفضول من الكلام : مازاد عن الحاجة وفَصَّل ، ولذلك عطف عليه (ولا تقصير) ، والدمث : السهل اللين الخلق ، والجافى : المعرض المتباعد عن الناس ، وقيل : الغليظ الخلقة والطبع ، والمهين (بضم الميم) من الإهانة وهى الإذلال والإطراح ، أى لا يهين أحداً من الناس ، و (بفتح الميم) من المهانة وهى الحقارة والصغر .

ويعظم النعمة : أى لا يستصغر شيئاً أوتيه وإن كان صغيراً ، والذَّواق : اسم لما يذاق باللسان ، أى لا يصف الطعام بطيب ولا بشاعة ، وقالوا : وقوله : تُعوطى الحق لم يعرفه أحد ؛ أى إذا نيل من الحق أو أهمل أو تعرض للقدح فيه ، تنكر عليهم وخالف عادته معهم ، حتى لا يكاد يعرفه أحد منهم ، ولا يثبت لغضبه شىء حتى ينتصر للحق .

وقوله : إذا تحدث اتصل بها ، أى أنه كان يشير بكفه إلى حديثه ، وتفسير ، قوله فيضرب بباطن راحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى ؛ وأشاح : إذا بالغ فى الإعراض وجد فيه . المشيح المبالغ فى كل أمر ، أى إذا غضب لم يكن ينتقم ويؤاخذ ، بل يقنع بالإعراض عمن أغضبه .

وغض الطرف عند الفرح دليل على نفى البَطَر والأشَر ، والتبسم : أقل من الضحك ، ويفتر : أى يكشف عند التبسم عن أسنانه من غير قهقهة . وحب الغمام : البرد : وقوله : فيرد ذلك على العامة بالخاصة : أراد أن العامة كانت لا تصل إليه فى هذا الوقت ، وكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعت منه فكأنه أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة ، وقيل أن الباء فى الخاصة تخبر العامة : بمعنى منْ ، أى يجعل وقت العامة بعد وقت الخاصة وبدلاً منهم .

والرُّوَّاد : جمع رائد ، وهو الذى يتقدم القوم . يكشف لهم حال الماء والمرعى قبل وصولهم ، ويخرجون أدلة : أى يدلون الناس بما قد علموه منه وعرفوه . يريد أنهم يخرجون من عنده فقهاء .

ومن قال أذلة (بذال معجمة) فيكون جمع ذليل ، أى يخرجون من عنده متواضعين ، وقوله لا يفترقون إلا عن ذواق : ضرب الذَّواق مثلا لما ينالون عنده من الخير ، أى لا يفترقون إلا عن علم يتعلمونه يقوم لهم مقام الطعام والشراب ، لأنه يحفظ الأرواح كما يحفظ الأجسام .

(١) نحوه فى (مسلم بشرح النووى) جـ ١٥ ص ٦٩ .

وقوله : لا تؤبن فيه الحرم : أى لا تقذف وترمى بعيب ، والحرم : جمع حرمة ؛ وهى المرأة . ولا تنثى فلتاته : أى لا يتحدث عن مجلسه بهفوة أو زلة إن حدثت فيه من بعض القوم ، يقال : نثوت الحديث إذا أذعته . والفلتات جمع فلتة ، وهى الزلة والسقطة .

وقيل معناه : أنه لم يكن فيه فلتات فتنثى . والبشر : طلاقة الوجه وبشاشته . والفظ : السيء الخلق . والسخاب فعال من السخب ، وهو الضجة واختلاط الأصوات .

والخصام والفحاش والعياب : فعال من الفحش فى القول وعيب الناس والوقيعة بينهم .

وقوله : لا يقبل الثناء إلا من مكافىء : يريد أنه كان إذا ابتدأ بثناء ومدح كره ذلك ، وإذا اصطنع معروفاً فأثنى عليه ، هش وشكر له قبل ثنائه .

وأنكر ابن الأعرابى هذا التأويل وقال : المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه من لا يعرف حقيقة إسلامه ويكون من المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم .

وقال الأزهرى : معناه لا يقبل الثناء إلا من مقارب غير مجاوز حد مثله ، ولا مقصر عما رفعه الله إليه . والمكافأة : المجازاة على الشيء .

فصل فى ذكر شمائل رسول الله ﷺ وأخلاقه

قال الله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم(١) » ، قال ابن سيده : والخلُق والخُلُق الخليقة ، أعنى الطبيعة ، وفى التنزيل : « وإنك لعلى خُلق عظيم » ، والجمع أخلاق ، وتخلق بخلق كذا : استعمله من غير أن يكون موضوعاً فى فطرته ، وفى قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » ثلاثة أقوال : أحدها : دين الإسلام ؛ قاله عبدالله ابن عباس ومجاهد ، والثانى : أدب القرآن ، قاله الحسن وعطية العوفى ، وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، تعنى كان على ما أمره الله به فى القرآن ، واختار هذا القول الزجاج . والثالث : أنه الطبع الكريم ، وهذا القول هو الظاهر ، وحقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب . وسمى خُلُقاً لأنه يصير كالخلقة فى الإنسان .

وأما ما طبع عليه من الآداب فهو الخيم ، فيكون الخلُق هو الطبع المتكلف ، والخيم هو الطبع الغريزى ، وقد اجتمع فى رسول الله ﷺ مكارم الأخلاق ، وشهد له ربه تعالى بالحكمة البالغة ، والأخلاق السمية الرفيعة ، والمنازل العلية الرصينة .

قال أبو القاسم الجنيد : سمى خُلقُه عظيما ، لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى .

وقيل لأنه امتثل أمر ربه فى قوله تعالى : « خذ العفو وَأمُرْ بالعرف وأعرض عن الجاهلين(٢) » .

ويخرّج البخارى من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير فى قوله تعالى : « خذ العفو » ، قال : أمرنى ربى أن آخذ(٣) العفو من أخلاق الناس .

---

(١) الآية ٤ / القلم . (٢) الآية ١٩٩ / الأعراف .
(٣) (سنن أبى داود) ج ٥ ص ١٤٣ ، حديث رقم ٤٧٨٧ .

وقيل : عظم خلقه حيث صغرت الأكوان فى عينه بعد مشاهدة مكونها سبحانه . وكان ﷺ كما قالت عائشة رضى الله عنها حيث سئلت عن خلقه : القرآن ؛ يغضب لغضبه ، ويرضى لرضاه ، ولا ينتقم لنفسه ، ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمات الله .

وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد ، فيكون غضبه لربه ، وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه ، [وقد](١) عرض عليه أن ينتصر بالمشركين وهو فى قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده فى عدد من معه فأبى(٢) وقال : إنا لا نستعين بمشرك .

وكان أشجع الناس وأسخاهم وأجودهم ، ما سئل شيئاً فقال لا ، ولا يبيت فى بيته درهم ولا دينار ، فإن فضل ولم يجد من يأخذه وجنه الليل لم يرجع إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، ولا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت أهله عاما فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ثم يؤثر من قوت أهله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام .

ولم يشغله الله تعالى من المال بما يقضى محبة فى فضوله ولا أحوجه إلى أحد ، بل أقامه على حد الغنى(٣) بالقوت ، ووفقه لتنفيذ الفضل فيما يقرب من ربه تعالى .

وكان أحلم الناس ، وأشدّ حياءاً من العذراء فى خدرها ، وكان خافض الطرف . نظره الملاحظة ، لا يثبت بصره فى وجه أحد تواضعاً ، يجيب من دعاه من غنى أو فقير ، أو حر أو عبد ، وكان أرحم الناس ؛ يصغى الإناء للهرّة ، وما يرفعه حتى تروى رحمة لها .

وكان أعفّ الناس ، لم تمس يده يد امرأة إلا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه ، وكان أعدل الناس ؛ وجد أصحابه قتيلا من خيارهم وفضلائهم ، فلم يحف(٤) لهم من أجله على أعدائه من اليهود ، وقد وجد مقتولا بينهم ! ! بل وداه(٥) مائة ناقة من صدقات المسلمين وإن بأصحابه حاجة إلى بعير واحد يتقوون به ، وودى بنى خزيمة وهم غير موثوق بإيمانهم ، إذ وجب بأمر الله ذلك .

وكان أكثر الناس إكراماً لأصحابه ، لا يمد رجليه بينهم ، ويوسع لهم إذا ضاق بهم المكان ، ولم تكن ركبتاه تتقدم ركبة جليسه ، وكان له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا له ، وإن أمر تبادروا لأمره ، وكان يتحمل لأصحابه ويتفقدهم ويسأل عنهم ؛ فن مرض عاده(٦) ، ومن غاب تفقده وسأل عنه ، ومن مات استرجع فيه وأتبعه الدعاء له ، ومن تخوّف أن يكون وَجَد فى نفسه شيئاً انطلق إليه حتى يأتيه فى منزله .

ويخرج إلى بساتين أصحابه ويأكل ضيافتهم ، ويتألف أهل الشرف ، ويكرم أهل الفضل ، ولا يطوى بشره عن أحد ، ولا يجفو عليه ، ويقبل(٧) معذرة المعتذر إليه ، والضعيف والقوى فى الحق عنده سواء ، ولا يدع أحداً يمشى خلفه ، ويقول : خلّوا ظهرى للملائكة ، ولا يدع أحداً يمشى معه وهو راكب حتى يحمله ، فإن أبى قال : تقدمنى إلى المكان الفلانى .

ويخدم من خدمه ، وله عبيد وإماء لا يرتفع عنهم [فى شيء](٨) من مأكل ولا ملبس ، قال أنس بن مالك رضى الله عنه : خدمته نحواً من عشرين سنة ، فوالله ما صحبته فى حضر ولا سفر إلا كانت خدمته لى أكثر من

---

(١) زيادة للسياق . (٢) فى (خ) « فأبا » . (٣) فى (خ) « الغنا » .
(٤) من الحيف وهو الميل من العدل . (٥) وداه : دفع ديته . (٦) فى (خ) « عاداه » .
(٧) فى (خ) « ويقبل » . (٨) ما بين القوسين مطموس فى (خ) ولعل الصواب ما أثبتناه .

وقوله : لا تؤبن فيه الحرم : أى لا تقذف وترمى بعيب ، والحرم : جمع حرمة ؛ وهى المرأة . ولا تنثى فلتاته : أى لا يتحدث عن مجلسه بهفوة أو زلة إن حدثت فيه من بعض القوم ، يقال : نثوت الحديث إذا أذعته . والفلتات جمع فلتة ، وهى الزلة والسقطة .

وقيل معناه : أنه لم يكن فيه فلتات فتنثى . والبشر : طلاقة الوجه وبشاشته . والفظ : السيء الخلق . والسخاب فعال من السخب ، وهو الضجة واختلاط الأصوات .

والخصام والفحاش والعياب : فعال من الفحش فى القول وعيب الناس والوقيعة بينهم .

وقوله : لا يقبل الثناء إلا من مكافىء : يريد أنه كان إذا ابتدأ بثناء ومدح كره ذلك ، وإذا اصطنع معروفاً فأثنى عليه ، هش وشكر له قبل ثنائه .

وأنكر ابن الأعرابى هذا التأويل وقال : المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه ممن لا يعرف حقيقة إسلامه ويكون من المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم .

وقال الأزهرى : معناه لا يقبل الثناء إلا من مقارب غير مجاوز حد مثله ، ولا مقصر عما رفعه الله إليه . والمكافأة : المجازاة على الشىء .

فصل فى ذكر شمائل رسول الله ﷺ وأخلاقه

قال الله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم[1] » قال ابن سيده : والخلُق والخُلُق الخليقة ، أعنى الطبيعة ، وفى التنزيل : « وإنك لعلى خُلق عظيم » ، والجمع أخلاق ، وتخلق بخلق كذا : استعمله من غير أن يكون موضوعاً فى فطرته ، وفى قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » ثلاثة أقوال : أحدها : دين الإسلام ؛ قاله عبدالله ابن عباس ومجاهد ، والثانى : أدب القرآن ؛ قاله الحسن وعطية العوفى ، وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، تعنى كان على ما أمره الله به فى القرآن ، واختار هذا القول الزجاج . والثالث : أنه الطبع الكريم ، وهذا القول هو الظاهر ، وحقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب ، وسمى خُلُقاً لأنه يصير كالخلقة فى الإنسان .

وأما ما طبع عليه من الآداب فهو الخيم ، فيكون الخلُق هو الطبع المتكلف ، والخيم هو الطبع الغريزى ، وقد اجتمع فى رسول الله ﷺ مكارم الأخلاق ، وشهد له ربه تعالى بالحكمة البالغة ، والأخلاق السمية الرفيعة ، والمنازل العلية الرصينة .

قال أبو القاسم الجنيد : وسمى خُلقُه عظيماً ، لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى .

وقيل لأنه امتثل أمر ربه فى قوله تعالى : « خذ العفو وأمُر بالعرف وأعرض عن الجاهلين[2] » .

ويخرج البخارى من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير فى قوله تعالى : « خذ العفو » ، قال : أمرنى ربى أن آخذ[3] العفو من أخلاق الناس .

---

(١) الآية ٤ / القلم . (٢) الآية ١٩٩ / الأعراف .
(٣) (سنن أبى داود) جـ ٥ ص ١٤٣ حديث رقم ٤٧٨٧ .

وقيل : عظم خلقه حيث صغرت الأكوان فى عينه بعد مشاهدة مكونها سبحانه . وكان ﷺ كما قالت عائشة رضى الله عنها حيث سئلت عن خلقه : القرآن ؛ يغضب لغضبه ، ويرضى لرضاه ، ولا ينتقم لنفسه ، ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمات الله .

وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد ، فيكون غضبه لربه ، وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه ، [وقد][1] عرض عليه أن ينتصر بالمشركين وهو فى قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده فى عدد من معه فأبى[2] وقال : إنا لا نستعين بمشرك .

وكان أشجع الناس وأسخاهم وأجودهم ، ما سئل شيئاً فقال لا ، ولا يبيت فى بيته درهم ولا دينار ، فإن فضل ولم يجد من يأخذه وفجئه الليل لم يرجع إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، ولا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت أهله عاما فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ثم يؤثر من قوت أهله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام .

ولم يشغله الله تعالى من المال بما يقضى نحبة فى فضوله ولا أحوجه إلى أحد ، بل أقامه على حد الغنى[3] بالقوت ، ووفقه لتنفيد الفضل فيما يقرب من ربه تعالى .

وكان أحلم الناس ، وأشد حياءاً من العذراء فى خدرها ، وكان خافض الطرف . نظره الملاحظة ، لا يثبت بصره فى وجه أحد تواضعاً ، يجيب من دعاه من غنى أو فقير ، أو حر أو عبد ، وكان أرحم الناس ؛ يصغى الإناء للهرة ، وما يرفعه حتى تروى رحمة لها .

وكان أعف الناس ، لم تمس يده يد امرأة إلا بملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه ، وكان أعدل الناس ؛ وجد أصحابه قتيلا من خيارهم وفضلائهم ، فلم يحف[4] لهم من أجله على أعدائه من اليهود ، وقد وجد مقتولا بينهم ! ! بل وداه[5] مائة ناقة من صدقات المسلمين وإن بأصحابه حاجة إلى بعير واحد يتقوون به ، وودى بنى خزيمة وهم غير موثوق بإيمانهم ، إذ وجب بأمر الله ذلك .

وكان أكثر الناس إكراماً لأصحابه ، لا يمد رجليه بينهم ، ويوسع لهم إذا ضاق بهم المكان ، ولم تكن ركبتاه تتقدم ركبة جليسه ، وكان له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا له ، وإن أمر تبادروا لأمره ، وكان يتحمل لأصحابه ويتفقدهم ويسأل عنهم ؛ فمن مرض عاده[6] ، ومن غاب تفقده وسأل عنه ، ومن مات استرجع فيه وأتبعه الدعاء له ، ومن تخوف أن يكون وجد فى نفسه شيئاً انطلق إليه حتى يأتيه فى منزله .

ويخرج إلى بساتين أصحابه ويأكل ضيافتهم ، ويتألف أهل الشرف ، ويكرم أهل الفضل ، ولا يطوى بشره عن أحد ، ولا يجفو عليه ، ويقبل[7] معذرة المعتذر إليه ، والضعيف والقوى فى الحق عنده سواء ، ولا يدع أحداً يمشى خلفه ، ويقول : خلوا ظهرى للملائكة ، ولا يدع أحداً يمشى معه وهو راكب حتى يحمله ، فإن أبى قال : تقدمنى إلى المكان الفلانى .

ويخدم من خدمه ، وله عبيد وإماء لا يرتفع عنهم [فى شىء][8] من مأكل ولا ملبس ، قال أنس بن مالك رضى الله عنه : خدمته نحواً من عشرين سنة ، فوالله ما صحبته فى حضر ولا سفر إلا كانت خدمته لى أكثر من

---

(١) زيادة للسياق . (٢) فى (خ) « فأبا » . (٣) فى (خ) « الغنا » .
(٤) من الحيف وهو الميل من العدل . (٥) وداه : دفع ديته . (٦) فى (خ) « عاداه » .
(٧) فى (خ) « ويقبل » . (٨) ما بين القوسين مطموس فى (خ) ولعل الصواب ما أثبتناه .

خدمتي له . وماقال لي أف قط ، ولا قال لشيء فعلته : لم فعلت كذا ؟ ولا قال لشيء لم أفعله : ألا فعلت كذا ؟ ! ! (١) .

وكان ﷺ في سفر ، فأمر بإصلاح شاة ، فقال رجل : يارسول الله ، على ذبحها وقال آخر على سلخها ، وقال آخر : على طبخها . فقال رسول الله ﷺ : وعليّ جمع الحطب ! فقالوا : يارسول الله ، نحن نكفيك ، فقال : قد علمت أنكم تكفونى . ولكنى أكره أن أتميز عليكم ؛ فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه وقام لجمع الحطب .

وكان في سفر فنزل إلى الصلاة ثم كر راجعاً ، فقيل : يارسول الله ، أين تريد ؟ قال : أعقل ناقتي فقالوا : نحن نعقلها . قال : لايستعين أحدكم بالناس في قضمة من سواك .

وكان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر . وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس ، ويأمر بذلك ويعطى كل جلسائه نصيبه . لايحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ؛ وإذا جلس إليه أحدهم لم يقم ﷺ حتى يقوم الذى جلس إليه ، إلا أن يستعجله أمر فيستأذنه ، ولا يقابل أحداً بما يكره ، ولا يجزى السيئة بمثلها . بل يعفو ويصفح . وكان يعود المرضى ويحب المساكين ويجالسهم . ويشهد جنائزهم . ولا يحقر فقيراً لفقره ؛ ولا يهاب ملكا لملكه ؛ ويعظم النعمة وإن قلت . ولايذم منها شيئا : وما عاب طعاماً قط ؛ إن اشتهاه أكله وإلا تركه .

وكان يحفظ جاره ويكرم ضيفه . وكان أكثر الناس تبسماً ، وأحسنهم بشرا ، ولا يمضى له وقت في غير عمل الله ، أو فيما لابد منه . وما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، إلا أن يكون إثما أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه .

وكان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع اللحم معهن ، ويركب الفرس والبغل والحمار ، ويردف خلفه عبده أو غيره من الناس ، ويمسح وجه فرسه بطرف ردائه .

وكان يحب الفأل ويكره الطيرة ، وإذا جاءه ما يحب قال : الحمد لله رب العالمين ، وإذا جاءه ما يكره قال : الحمد لله على كل حال ، وإذا رفع الطعام من بين يديه قال : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين .

وكان أكثر جلوسه وهو مستقبل القبلة ، ويكثر ذكر الله تعالى ، ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة ، وكان يسمع لصدره وهو في الصلاة أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، وكان يقوم الليل في الصلاة حتى ورمت قدماه .

وكان يصوم الإثنين والخميس ، وثلاثة أيام من كل شهر ، وعاشوراء . وقلما كان يفطر يوم الجمعة ، وكان أكثر صيامه في شعبان ، وكان يصوم حتى يقال : لا يفطر ، ويفطر حتى يقال : لا يصوم .

وكان عليه السلام تنام عيناه ولاينام قلبه انتظاراً للوحى ، وإذا نام نفخ ولا يغط ، وإذا رأى في منامه مايكره قال : هو الله لا شريك له ، وإذا أخذ مضجعه قال : رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك ؛ وإذا استيقظ قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور .

(١) في (خ) « ولا يحدق شيئاً إلى الشيء » وما أثبتناه أولى بالسياق والمعنى .

وكان لا يأكل الصدقة ، ويأكل الهدية ويكافىء عليها ، ولا يتأنق في مأكل ، ويعصب على بطنه الحجر من الجوع ! هذا وقد آتاه الله مفاتح خزائن الأرض فلم يقبلها ، بل زهد في الدنيا ، واختار عليها الله والدار الآخرة .

وأكل الخبز بالخل ، وقال نعم الإدام الخل ، وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى ، وكان يأكل ما وجد ، ولا يرد ما حضر ، ولا يتكلف ما لم يحضر ، ولا يتورع عن مطعم حلال ، إن وجد تمراً دون خبز أكله ، وإن وجد شواءاً أكله وإن وجد خبز بُرّ أو شعير أكله ، وإن وجد حلوى أو عسلا أكله ، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد ، وكان له من أصحابه من يبرد الماء وقال للهيثم بن التيهان(١) كأنك علمت حبنا اللحم ، وكان لا يأكل متكئاً ، ولم يأكل على خوان ، ولم يشبع من خبز بر ثلاثاً تباعاً حتى لقى الله عز وجل ، وكان يفعل ذلك إيثاراً على نفسه ، لا فقراً ولا بخلاً .

وكان يحضر الوليمة إذا دُعى إليها ، ويجيب دعوة العبد والحر ، ويقبل الهدايا ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ، وكان يحب من المآكل الدباء وذراع الشاة ، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن ، وكان منديله باطن قدميه ، ويأكل خبز الشعير بالتمر ، وأكل البطيخ بالرطب ، والقثاء بالرطب ، والتمر بالزبد ، وكان يحب الحلوى والعسل ، ويشرب قاعداً ، وربما شرب قائماً ؛ وكان يتنفس في الإناء ثلاثاً ، مُبيناً للإناء عن فمه ، ويبدأ بمن عن يمينه إذا سقاه ، وشرب لبناً وقال : من أطعمه الله طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه ، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .

وقال : ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن وشرب النبيذ الحلو (وهو الماء الذى قد نقع فيه تمرات يسيرة حتى يحلو) ، وكان يلبس الصوف وينتعل بالمخصوف ، ولا يتأنق في ملبس ، ويحب من اللباس الحبرة (وهى برود من اليمن فيها حمرة وبياض) .

وأحب الثياب إليه القميص ، وكان يقول إذا لبس ثوباً استجده اللهم لك الحمد كما ألبستنيه . أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له . وتعجبه الثياب الخضر ، وربما لبس الإزار الواحد . أو عليه غيره ، يعقد طرفه بين كتفيه ، ويلبس يوم الجمعة برده الأحمر ويعتم ويلبس خاتماً من فضة نقشه (محمد رسول الله) في خنصره الأيمن ، وربما لبسه في الأيسر .

ويحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة ، ويقول : إن الله جعل لذتى في النساء والطيب ، وجُعلت قرة عينى في الصلاة ، وكان يتطيب بالغالية والمسك ويتطيب بالمسك وحده ، ويتبخر بالبخور والكافور ، ويكحل بالإثمد ، وربما اكتحل وهو صائم ، ويكثر دهن رأسه ولحيته ، ويدهن غبّاً(٢) ويكتحل وتراً ، ويحب التيمن في ترجله وفي تنعله وفي طهوره وفي شأنه كله . وينظر في المرآة ، ولا تفارقه قارورة الدهن في سفره ، والمرآة والمشط والمقراض والسواك والإبرة والخيط ، ويستاك في ليله ثلاث مرات : قبل نومه وبعده ، وعند القيام لورده ، وعند القيام لصلاة الصبح ، وكان يحتجم .

(١) هو مالك بن التيهان ، واسم التيهان أيضاً : مالك بن عتيك بن عمرو بن الأعلم بن عامر بن زعوراء بن جشم بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك الأنصارى حليف بنى عبد الأشهل ، كان أحد النقباء ليلة العقبة ثم شهد بدراً ، واختلف في وقت وفاته ؛ فأصح ما قيل فيه : إنه شهد مع على صفين ، وقتل فيها رحمه الله ، يقول السهيلى : « وأحسب ابن إسحق وابن هشام تركا نسبه على جلالته في الأنصار ، وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، لا خلاف فيه » وقد أضاف أبو الهيثم رسول الله ﷺ ، في منزله ومعه أبو بكر وعمر فذبح لهم عناقا وأتاهم بقنو من رطب (الروض الأنف للسهيلى) جـ ٢ ص ١٩٥ .

(٢) الغبّ (بكسر الغين وتشديد الباء) اليوم بعد اليوم .

وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً ، قد جمع الله له كمال الأخلاق ومحاسن الأفعال ، وآتاه علم الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز وهو أميّ لا يكتب ولا يقرأ ، ولا معلم له من البشر ، بل نشأ فى بلاد الجهل والصحارى ، وآتاه الله ما لم(١) يؤت أحداً من العالمين ، واختاره على الأولين والآخرين ، وعصمه من الناس . ورفع له ذكره ، وضمن له إظهار دينه على الدين كله . وجعل شانئه الأبتر ، وأعزه بالنصر على كل عدوّ ، وأوجب طاعته على جميع الإنس والجان ، وأكرمه برسالته ، وأمنه من كل بشر ، وأكب عدوّه لوجهه ، وغفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ ، وسيأتى هذا فى مظانه مبسوطاً إن شاء الله تعالى .

اما حسن خلقه

فخرج من حديث أبى بكر بن أبى شيبة قال : حدثنا محمد بن بشر العبدى ، حدثنا سعيد بن أبى عروة ، حدثنا قتادة عن زرارة بن أوفى ، عن سعد بن هشام أنه قال لعائشة رضى الله عنها يا أم المؤمنين ، أنبئينى عن خلق رسول الله ﷺ ، قالت(٢) : ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى ، قالت : فإن خلق رسول الله كان القرآن ،

وخرّج الإمام أحمد من حديث مبارك عن الحسن عن سعد بن هشام بن عامر قال : أتيت عائشة فقلت : يا أم المؤمنين ، أخبرينى بخُلُق رسول الله : قالت : كان خُلُقُه القرآن ، أما تقرأ القرآن « وإنك(٣) لعلى خلق عظيم » الحديث .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا جعفر بن سليمان عن أبى عمران عن يزيد بن بابنوس(٤) : قلنا لعائشة رضى الله عنها : يا أم المؤمنين ، كيف كان خُلق رسول الله ﷺ ؟ قالت كان خُلق رسول الله القرآن ، ثم قالت : تقرأ سورة المؤمنين ، اقرأ « قد أفلح المؤمنون » إلى العشر ، [فقرأ](٥) حتى بلغ العشر [آيات](٥) ، فقالت : هكذا كان خلق رسول الله ﷺ .

وقال زيد بن واقد عن بُسر بن عبيد الله عن أبى إدريس الخولانىّ ، عن أبى الدرداء قال : سألت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ، ويسخط لسخطه .

وخرّج البخارى من حديث مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ؛ وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل فينتقم الله بها .

لم يذكر فيه مسلم (فينتقم الله بها) ، وفى لفظ : ما خُيِّر رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه . وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شىء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله ، فينتقم الله ، ولم يذكر مسلم فى حديث مالك (فينتقم الله) .

وقال البخارى فى رواية : والله ما انتقم لنفسه فى شىء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله .

وفى لفظ له عن عائشة قالت : ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شىء يؤتى إليه حتى ينتهك من حرمات الله ، فينتقم لله .

(١) فى (خ) « مل لم » . (٢) فى (خ) « قال » . (٣) فى (خ) « إنك » .

(٤) بابنوس بموحدتين بينهما ألف ثم نون مضمومة وواو ساكنة ومهملة (تهذيب التهذيب) ج ١١ ص ٣١٦ .

(٥) زيادة البيان .

ولمسلم من حديث أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر ، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، [فإن كان إثماً(١)] كان أبعد الناس منه .

وفى لفظ : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد فى سبيل الله عز وجل ، وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شىء من محارم الله عز وجل فينتقم(٢) .

وخرّج الإمام أحمد من حديث محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ، قال : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط ، ولا امرأة له قط ، ولا ضرب بيده إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، وما نيل منه شىء فانتقمه إلا من صاحبه إلا أن ينتهك محارم الله فينتقم لله عز وجل ، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما إلا أن يكون مأثماً ، فإنه كان أبعد الناس منه .

ولابن سعد من حديث وكيع عن داود بن أبى عبد الله عن ابن جدعان عن جدته عن أم سلمة : أن النبى ﷺ أرسل وصيفة له فأبطأت ، فقال : لولا القصاص لأوجعتك بهذا السواك .

وخرّجه أبو بكر بن أبى شيبة وأبو يعلى به ، وروى منصور بن المعتمر عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من ظلامة ظُلمها قط ، إلا أن ينتهك من محارم الله ، فإذا انتهك من محارم الله شىء كان أشدهم فى ذلك ، وما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما .

وفى لفظ : ما رأيت رسول الله منتصراً من ظالمة قط ما لم ينتهك من محارم الله شىء ، فإذا انتهك من محارم الله شىء كان أشدّهم فى ذلك غضباً ، وما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً .

وروى محمد بن إسحق عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين قطّ إلا اختار أيسرهما ما لم يكن حراماً ، فإن كان حراماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شىء يُصاب منه إلا أن تُصاب حرمة الله فينتقم لله .

وخرّج البخارى فى الأدب المفرد من حديث محمد بن سلام : أخبرنا يحيى بن محمد أبو محمود البصرى قال : سمعت عمر مولى المطلب قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ : لست من دَدٍ ، ولا الدَّدُ منى : يعنى ليس الباطل منى بشىء .

وخرّج البخارى فى كتاب الديات فى باب من استعان عبداً أو صبياً ، من حديث إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا عبد العزيز عن أنس رضى الله عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدى فانطلق بى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إن أنساً غلام كيّس فليخدمك ، قال : فخدمته فى الحضر والسفر ، فوالله ما قال لى لشىء صنعته لم صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشىء لم أصنعه لم تصنع هذا هكذا ؟

وخرجه مسلم بنحوه ، وخرّج البخارى فى كتاب الوصايا(٣) فى باب استخدام اليتيم فى السفر والحضر إذا كان

(١) زيادة للسياق ساقطة فى (خ) وأتممناها من (مسلم بشرح النووى) ج ١٠ ص ٨٣ .

(٢) ونحوه فى (سنن أبى داود) كتاب الأدب — باب فى التجاوز فى الأمر ، وأخرجه مسلم فى الفضائل باب مباعدته ﷺ للآثام ، وابن ماجة فى النكاح باب ضرب النساء ، ونسبه المنذرى الى النسائى .

(٣) (صحيح البخارى بحاشية السندى) ج ٢ ص ١٣١ .

صلاحاً له ، من حديث ابن عليه ، أخبرنا عبد العزيز عن أنس قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم ، فأخذ أبو طلحة بيدى (الحديث بمثله) ، غير أنه لم يقل (فوالله) .

وخرّج فى كتاب الأدب فى باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ، من حديث سلام بن مسكين : سمعت ثابتاً يقول : أخبرنا أنس قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، وما قال لى : أف ، ولا لم صنعت ؟ ولا ألاّ صنعت ؟ !

وخرجه مسلم فى المناقب من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، والله ما قال لى أفاً قط ، وما قال لى لشىء : لم فعلت كذا أو هلا فعلت كذا ؟ !

ومن حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ، ليس كل أمرى كما يشتهى صاحبى أن يكون عليه ، ما قال لى فيها أف قط ، ولا قال لى : لم فعلت هـذا ؟ وألا فعلت هذا ؟

وله من حديث زكريا قال : حدثنى سعيد وهو ابن أبى برده عن أنس قال : خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين فما أعلمه قال لى قط : لم فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب على شيئاً قط .

ولمسلم وأبى داود من حديث عمر بن يونس قال : أخبرنا عكرمة — وهو ابن عمار — قال : قال إسحق : قال أنس : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقاً ، فأرسلنى يوماً لحاجة فقلت : لا أذهب ، وفى نفسى أن أذهب لما أمرنى به رسول الله ، فخرجت حتى أمرّ على الصبيان وهم يلعبون فى السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاى من ورائى ، قال : فنظرت إليه وهو يضحك ، فقال : يا أنيس ، أذهبتَ حيث أمرتك ؟ قلت : نعم ، أنا أذهب يا رسول الله . وقال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشىء صنعته : لم فعلت كذا وكذا ؟ أو لشىء تركته : هلا فعلت كذا وكذا [1] ؟

وخرّج أبو بكر بن أبى شيبة من حديث أبى معاوية عن جعفر بن برقان عن عمران القصير عن أنس قال : خدمت رسول الله عشر سنين ، فما أرسلنى فى حاجة قط لم تُهيأ إلا قال : لو قضى لكان ، أو لو قدر لكان .

ولمسلم من حديث عبد الوارث عن أبى التياح عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً .

وخرّج البخارى من حديث عبد الوارث عن أبى التياح عن أنس قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلُقاً وكان لى أخ يقال له أبو عمير : أحسبه فطيم ، وكان إذا جاء قال : يا أبا عُمَير : ما فعل النُّغَير ؟ — نغر كان يلعب به — فربما حضر الصلاة وهو فى بيتنا ، فيأمر بالبساط الذى تحته ، فيكنس وينضح ، ثم يقوم ونقوم خلفه ، فيصلى بنا ترحماً عليه (باب الكنية للصبى) .

وخرّجه مسلم ولفظه : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً ، وكان لى أخ يقال له : أبو عمير ، قال : وأحسبه قال : كان فطيما ، فكان إذا جاء رسول الله فرآه قال : أبا عمير ، ما فعل النغير ؟ قال : فكان يلعب به .

---

(١) (سنن أبى داود) ج ٥ ص ١٣٤ كتاب الأدب ، باب فى الحلم وأخلاق النبى ﷺ حديث رقم ٤٧٧٣ .

وخرّجه أبو داود من حديث حماد قال : حدثنا ثابت عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يدخل علينا ولى أخ صغير يكنى أبا عمير ، وكان له نُغَير يلعب به فمات ، فدخل النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزينا ، فقال : ما شأنه ؟ قالوا : مات نغره ! فقال : يا أبا عمير ، مافعل النُّغَيْر ؟ ترحم عليه (باب الرجل يتكنى وليس له ولد) .

وفى هذا الحديث من وجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستون وجهاً ، جمعها أبو العباس أحمد بن القاضى الفقيه الشافعى فى جزء [1] .

وخرّج البخارى فى كتاب الأدب فى باب حُسن الخُلق وما يكره من البخل ، من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس (الحديث) .

وخرّج فى باب ما ينهى من السباب واللعن من حديث فليح بن سليمان أخبرنا هلال بن على عن أنس بن مالك قال : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعّاناً ولا سبّاباً ، كان يقول عند المعتبة : ماله تربت جبينه .

وخرّج البخارى من حديث شعبة عن سليما ، سمعتُ أبا وائل ، سمعت مسروقاً قال : قال عبد الله بن عمرو من حديث الأعمش عن شقيق بن سلمة عن مسروق قال : دخلنا على عبد الله بن عمر حين قدم مع معاوية إلى الكوفة ، فذكر رسول الله ﷺ فقال : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، وقال : قال رسول الله : إن من أخيركم أحسنكم خلقاً (ذكره فى كتاب الأدب وفى صفة النبي ﷺ) .

وخرّجه مسلم ، ولفظه عن مسروق قال : دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم معاوية إلى الكوفة ، فذكر رسول الله ﷺ فقال : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، وقال : قال رسول الله ﷺ : إن من خياركم أحاسنكم أخلاقا .

ولأبى داود الطيالسى من حديث شعبة عن ابن إسحق قال : سمعت أبا عبد الله الجدلى يقول سمعت عائشة رضى الله عنها سُئلت عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا سخّاباً فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أو قالت يعفو ويغفر (شك أبو داود) .

وخرّج البخارى فى كتاب البيوع فى باب كراهية السخب فى الأسواق من حديث فليح : أخبرنا هلال عن عطاء بن يسار : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، قلت : أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة ، قال : أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يدفع

---

(١) أبو عمير هذا — بضم العين وفتح الميم وسكون الياء — هو أخو أنس بن مالك لأمه ، أمهما : أم سُليم ، لا يعرف له اسم ، وتوفى فى حياة النبى ﷺ وهو الذى توفى وجرى لأم سليم مع زوجها أبى طلحة فيه ما جرى ، [يراجع ذلك فى أبواب الجنائز من كتب السنن] . والنُّغَير (بضم النون وفتح الغين) : طائر صغير يجمع على النُّغران وفيه من الفقه ما يأتى :
— أن صيد المدينة مباح . — إباحة التسجيع فى الكلام . — جواز الدعابة ما لم يكن إثما . — وفيه إباحة تصغير الأسماء .
— وفيه أنه كنّاه ، ولم يكن له ولد فلم يدخل فى باب الكذب . — وقوله (يلعب به) : أى يتلهى بحبسه وإمساكه .
أخرجه أبو داود فى (السنن) كتاب الأدب باب ما جاء فى الرجل يتكنى وليس له ولد ، و (البخارى) فى الأدب باب الانبساط إلى الناس ، و (مسلم) فى الأدب باب استحباب تحنيك المولود ، و (الترمذى) فى الصلاة باب ما جاء فى الصلاة على البُسط وقال : وحديث أنس صحيح ، وفى البر باب ما جاء فى المزاح ، و (ابن ماجة) فى الأدب باب المزاح ، من حديث أبى التياح — يزيد بن حميد الضبعى — عن أنس بن مالك ، ونسبه (المنذرى للنسائى أيضاً) .

بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيناً عميا ، وآذاناً صما ، وقلوباً غلفاً(١) .

وخرّج في تفسير سورة الفتح من حديث عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن أبي هلال ، عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو ، أن هذه الآية التي في القرآن : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » ، قال في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً [ومبشراً](٢) وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعيناً عميا وآذاناً صما ، وقلوباً غلفاً .

وخرّج يعقوب بن سفيان الفسوي من حديث آدم وعاصم بن علي قالا : أخبرنا ابن أبي ذويب ، حدثنا صالح مولى التوءمة قال : كان أبو هريرة رضي الله عنه ينعت النبي ﷺ فقال : كان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً ، بأبي وأمي ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق (زاد آدم : ولم أر مثله قبله ، ولم أر بعده) .

وذكر الواقدي أن أعرابياً أقبل من تهامة ، فقال له أصحاب رسول الله ﷺ : تعالَ سلّم على رسول الله ، قال : وفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال : فأيكم رسول الله ؟ قالوا هذا ، قال : أنت رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فما في بطن ناقتي هذه إن كنت صادقاً ؟ قال سلمة بن سلامة بن وقش : نكحتها ، فهي حبلى منك ، فكره رسول الله ﷺ مقالته وأعرض عنه ، ذكر ذلك في توجه رسول الله إلى بدر ، ثم ذكره في عود رسول الله ﷺ إلى بدر(٣) .

قال : ولقيه الناس يهنئونه بالروحاء بفتح الله ، فلقيه وجوه الخزرج ، فقال سلمة بن سلامة بن وقش : ما الذي تهنئوننا به ؟ فوالله ما قتلنا إلا عجائز صلعا ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : يا ابن أخي ، أولئك الملأ لو رأيتهم لهبتهم ، ولو أمروك لأطعتهم ، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته ، وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيهم ، فقال سلمة بن سلامة : أعوذ بالله من غضبه ، وغضب رسوله ، إنك يا رسول الله لم تزل عني معرضاً منذ كنا بالروحاء في بدائنا ، فقال رسول الله : أما ما قلتَ للأعرابي وقعت على ناقتك فهي حبلى منك ، ففحشت وقلت ما لا علم لك به ، وأما ما قلتَ في القوم ، فإنك عمدت إلى نعمة من نعم الله تعالى تزهدها ، فقبل منه رسول الله ﷺ معذرته ، وكان من علية أصحابه .

وذكر الخطيب من حديث أبي داود : أخبرنا طلحة عن عبد الله عن عبيد الله عن أم سلمة قالت : ما طعن رسول الله في حسب ولا نسب قط .

وخرّج البخاري في المناقب من حديث شعبة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أشدّ حياءً من العذراء في خدرها ، وزاد في رواية : وإذا كره شيئا عُرف في وجهه ، وذكره في كتاب الأدب ولفظه : فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه ، وخرّجه مسلم بنحوه(٤) .

---

(١) في (خ) « أعين عمي وآذان صم وقلوب غلف » وما أثبتناه من : (الطبقات الكبرى) لابن سعد ج ١ ص ٣٦١ ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض ج ١ ص ١٥ .

(٢) زيادة من المرجعين السابقين .

(٣) راجع هذا الخبر عند الكلام على غزوة بدر من هذا الجزء تحت عنوان : « خبر الأعرابي بعرق الظبية » ، وانظر أيضا (سيرة ابن هشام) ج ٢ ص ١٨٧ تحت عنوان « الطريق إلى بدر » .

(٤) (صحيح مسلم بشرح النووي) ج ١٥ ص ٧٨ باب كثرة حيائه ﷺ .

ولأبي داود والبخاري في الأدب المفرد من حديث حماد بن زيد قال : حدثنا سَلْم(١) العلوي عن أنس أن رجلا دخل على رسول الله ﷺ وعليه أثر صُفرة ، وكان رسول الله ﷺ قلّ ما يواجه رجلاً في وجهه بشيء يكرهه ، فلما خرج قال : لو أمرتم هذا أن يغسل ذا عنه(٢) !

وله من حديث الأعمش عن سليم(٣) عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل : ما بال فلان يقول ؟ ولكن يقول : ما بال من يقولون كذا وكذا ؟ .

وفي لفظ : إذا بلغه الشيء عن الرجل لم قلت كذا وكذا أثر ذكره .

وخرّج البخاري ومسلم من حديث مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُردٌ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذاً شديداً حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ وقد أثّرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد ! مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، قال : فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ، ثم أمر له بعطاء(٤) .

وخرّج الحاكم من حديث عبد الله بن يوسف التنيسي حدثنا عبد الله بن سالم ، حدثنا محمد بن حمزة بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سالم(٥) عن أبيه عن جده ، أن زيد بن سعنة — كان(٦) من أحبار اليهود — أتى النبي ﷺ يتقاضاه فجبذ ثوبه عن منكبه الأيمن . ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مُطْل ، وإني بكم لعارف ، قال : فانتهره عمر ، فقال له رسول الله ﷺ [يا عمر](٧) : أنا وهو كنّا إلى غير هذا منك أحوج ، أن تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضي ، إنطلق يا عمر وفّه حقّه ، أما إنه قد بقي من أجله ثلاث ، فزده(٨) ثلاثين صاعاً لتزويرك(٩) عليه . قال الحاكم : صحيح الإسناد(١٠) .

وخرّجه الفسوي من حديث الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال : كان رجل من الأنصار يدخل على النبي ﷺ ، فدنا منه وإنه عقد له عُقَداً وألقاه في بئر ، فنزّع ذلك النبي ﷺ ، فأتاه ملكان يعودانه فأخبراه أن فلاناً عقد له عُقداً وهي في بئر فلان ، ولقد اصفرّ الماء من شدة عُقَده ، فأرسل النبي ﷺ فاستخرج العُقَد فوجد الماء قد اصفرّ ، فحل العُقَد ونام النبي عليه السلام ، ولقد رأيت الرجل بعد ذلك يدخل على النبي ﷺ ، فما رأيته في وجه النبي عليه السلام حتى مات .

ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث عباد بن العوام ، عن النعمان بن ثابت عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أنس قال : ما أخرج رسول الله ﷺ ركبتيه بين يدي جليس قط ، ولا ناول يده أحداً قط فتركها حتى يكون هو يدعها ، وما جلس إلى رسول الله أحد قط فقام حتى يقوم ، وما وجدت شيئاً قط أطيب ريحاً من رسول الله ﷺ .

---

(١) قال أبو داود : سَلْم ليس هو علوياً ، كان يبصر في النجوم ، وشهد عند عدي بن أرطاة على رؤية الهلال فلم يجز شهادته .

(٢) (سنن أبي داود) ج ٥ ص ١٤٣ حديث رقم ٤٧٨٩ .

(٣) في (خ) « مسلم » .

(٤) ونحوه في سنن أبي داود ج ٥ ص ١٣٣ كتاب الأدب باب في الحلم وأخلاق النبي حديث رقم ٤٧٧٥ .

(٥) في (خ) « سلام » .

(٦) في (خ) « وكان » .

(٧) زيادة من (المستدرك) .

(٨) في (خ) « وزده » .

(٩) في (خ) « لتذورك » .

(١٠) وقال الذهبي في (التلخيص) : « قلت : مرسل » راجع المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٣٢ كتاب البيوع .

وخرّج الفسوى من حديث عمران بن زيد الملائى قال : حدثنى زيد العمى عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل . لا ينزع ، وإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف ، ولم يُرَ مقدماً ركبتيه بين يدى جليس له .

وخرّج أبو داود من حديث مبارك بن فضالة(١) عن ثابت عن أنس قال : ما رأيت رجلاً التقم أذن النبي ﷺ فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه ، وما رأيت رسول الله أخذ بيده رجل(٢) فترك يده حتى يكون الرجل هو الذى يدع يده(٣) .

وفى الأدب المفرد للبخارى من حديث عبد الوارث ، حدثنا عتبة بن عبد الملك ، حدثنى زراة بن كريم بن الحارث بن عمرو السهمى ، أن الحارث بن عمرو السهمى حدثه قال : أتيتُ النبي وهو بمنى أو بعرفات ، وقد أطاف به الناس ، ويجىء الأعراب فإذا رأوا وجهه قالوا : هذا وجه مبارك ، قلت يا رسول الله استغفِرْ لى ، فقال : اللهم اغفر لنا ، فدرتُ فقلتُ : استغفِرْ لى فقال : اللهم اغفر لنا ، فدرت فقلت استغفر لى فقال : اللهم اغفر لنا ، فذهب بيده بزاقه ومسح به نعله ، كره أن يصيب أحداً من حوله .

وخرّج الحاكم من حديث محمد بن إسحق عن يعقوب بن عتبة عن عمر بن عبد العزيز عن يوسف بن عبد الله ابن سلام عن أبيه قال : كان رسول الله إذا جلس يتحدث كثيراً يرفع طرفه إلى السماء .

وفى الصحيحين من حديث الأعمش عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه(٤) .

وخرّج البخارى فى كتاب الأدب من حديث ابن وهب ، أخبرنا عمرو أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنمــا كان يتبسم(٥) . وخرج مسلم بنحوه .

وخرّج مسلم من حديث يحيى بن يحيى ، أخبرنا أبو خيثمة عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال نعم ، كثيراً ما كان لا يقوم من مصلاه الذى يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعتْ قام ، وكان يتحدثون ويأخذون فى أمر الجاهلية ، فيضحكون ويتبسم ﷺ(٦) .

وخرّجه الترمذى من حديث شريك عن سماك ، عن جابر بن سمرة قال : جالستُ النبي ﷺ أكثر من مائة

(١) هو ابن فضالة ، أبو فضالة القرشى العدوى ، مولاهم البصرى . قال عفان بن مسلم : ثقة . وضعّفه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والنسائى وغيرهم . (٢) فى (أبى داود) : « وما رأيت رجلاً أخذ بيده فترك يده » .

(٣) (سنن أبى داود) جـ ٥ ص ١٤٦ حديث رقم ٤٧٩٤ كتاب الأدب .

(٤) أخرجه البخارى فى المناقب باب صفة النبى ﷺ ، ومسلم فى الأشربة باب لا يعيب الطعام ، والترمذى فى البر باب ترك العيب للنعمة وقال : حسن صحيح ، وابن ماجة فى الأطعمة باب النهى أن يعاب الطعام ، وأبو داود كتاب الأطعمة باب كراهية ذم الطعام ولفظه : « ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه » .

(٥) (صحيح البخارى بحاشية السندى) جـ ٤ ص ٦٤ من كتاب الأدب .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى) جـ ١٥ ص ٧٩ ، ولفظه « فيأخذون فى أمر الجاهلية » وفيه : استحباب الذكر بعد الصبح وملازمة مجلسها ما لم يكن عذر وفيه جواز الحديث بأخبار الجاهلية وغيرها من الأمم ، وجواز الضحك ، والأفضل الاقتصار على التبسم كما فعله رسول الله ﷺ فى عامة أوقاته .

مرة ، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم(١) قال هذا حديث حسن صحيح .

وقال الليث بن سعد عن الوليد بن أبى الوليد أن سليمان بن خارجة أخبره عن خارجة بن زيد أن نفراً دخلوا على أبيه زيد بن ثابت فقالوا : حدثنا عن بعض أخلاق رسول الله ﷺ فقال : كنت جاره فكان إذا نزل الوحى بعث إلىّ فآتيه فأكتب الوحى ، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، فكل هذا يحدثكم عنه .

وخرّج البخارى فى المناقب من حديث سفيان عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، أن النبي ﷺ كان يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه(٢) . ومن حديث يونس عن ابن شهاب أنه قال : أخبرنى عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : ألا يعجبك(٣) أبا فلان جاء فجلس إلى جانب حجرتى(٤) يحدث عن رسول الله ﷺ يسمعنى ذلك ، وكنت أسبّح فقام قبل أن أقضى سُبحتى ، ولو أدركته لرددتُ عليه إن رسول الله ﷺ لم يكن يسْرُدُ(٥) الحديث [كسردكم](٦) .

وخرّج مسلم من حديث ابن وهب قال : أخبرنى يونس عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدّث أن عائشة قالت : ألا تعجبك أبا هريرة جاء فجلس إلى جانب حجرتى يحدث عن النبي ﷺ يسمعنى ذلك ، وكنت أسبح فقام قبل أن أقضى سبحتى ، ولو أدركته لرددت عليه أن رسول الله لم يكن يسرد الحديث كسردكم .

وخرّج أيضاً من حديث سفيان بن عيينة عن هشام عن أبيه قال : كان أبو هريرة يحدث ويقول : اسمعى يا ربة الحجرة ، وعائشة رضى الله عنها تصلى ، فلما قضت صلاتها قالت لعروة : ألا تسمعى إلى هذا أو مقالته آنفاً ؟ إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه .

وخرّج الترمذى من حديث عبد الله بن المثنى عن أبيه عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتُعْقَل عنه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب(٧) .

ولابن حبان من حديث حسين بن علوان الكوفى ، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما كان أحد أحسنَ خُلُقاً من رسول الله ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك ، فلذلك أنزل الله : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

وخرج أبو بكر الشافعى من حديث عثمان بن مطر ، عن ثابت عن أنس قال : مرّ علينا النبى ﷺ ونحن صبيان فقال : السلام عليكم يا صبيان .

(١) (الشمائل المحمدية) ص ٢٦ حديث ٢٤٦ ولفظه ، وربما تبسم معهم » .

(٢) (فتح البارى) جـ ٦ ص ٥٦٧ حديث رقم ٣٥٦٧ .

(٣) فى (خ) « تعجل » . (٤) فى (خ) « حجرى » . (٥) فى (خ) « ليرد » .

(٦) هذه التكملة غير واضحة فى (خ) والتكملة من المرجع السابق حديث رقم ٣٥٦٨ .

(٧) (الشمائل المحمدية) ص ١١٣ حديث رقم ٢٢٤ ، وأخرجه الترمذى فى المناقب والاستئذان ، والبخارى فى العلم والاستئذان .

وقال عبد الملك بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء قال : بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث ، فبقيت له بقية ، فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذاك ، فنسيت يومي والغد ، فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال : يا بني ! لقد شققت عليّ ، إني ها هنا منذ ثلاث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق .

وقال محمد حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر[1] عن عبد الله بن مسعود قال : كنا يوم بدر نتعاقب ثلاثة على بعير ، وكان عليّ وأبو لبابة زميلَي رسول الله ، فكان إذا كانت عقبة رسول الله يقولان له : اركب حتى نمشي ، فيقول : إني لست بأغنى عن الأجر منكما ، ولا أنتما بأقوى على المشي مني . خرجه الحاكم[2] ، وقال[3] صحيح الإسناد . وخرّجه ابن حبان أيضاً في صحيحه . وخرّج أبو يعلى من حديث يونس بن بكير : حدثنا إبراهيم ابن إسماعيل ، حدثني عثمان بن كعب ، حدثني ربيع — رجل من بني النضر وكان في حجر صفية — عن صفية بنت حيي قالت : ما رأيت قط أحسن خلقاً من رسول الله ، لقد رأيته ركب [ ][4] من خيبر على عجز ناقته ليلاً فجعلت أنعس فيضرب رأسي مؤخرة الرحل ، فيمسكني بيده ويقول : يا هذه مهلاً ، ياصفية بنت حيي !! حتى إذا جاء الصهباء[5] قال : أما إني اعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك ! ! إنهم قالوا لي كذا وكذا .

وعن وهب بن منبه قال : قرأت أحداً وسبعين كتاباً ، فوجدت في جميعها أن محمداً ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً .

وأما شجاعته

خرّج البخاري في كتاب الأدب من حديث حماد بن زيد عن ثابت قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق الناس قِبَل الصوت ، فاستقبلهم رسول الله ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول : لم تُراعوا لم تُراعوا ، وهو على فرس لأبي طلحة عُري (ما عليه سرج) ، في عنقه سيف ، قال : وجدناه بحراً أو إنه لبحر[6] .

وخرّجه مسلم[7] وقال : فانطلق ناس[8] . وقال : فتلقاهم رسول الله راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت[9] . وذكره البخاري في مواضع من كتاب الجهاد .

(١) في (خ) « ذر » والتصويب من (المستدرك) .

(٢) (المستدرك على الصحيحين) جـ ٣ ص ٢٠ ولفظه : « كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، قال : وكان عليّ وأبو لبابة زميلي رسول الله ﷺ ، قال : وكان إذا كانت عقبته قلنا : اركب حتى نمشي ، فيقول : ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكم » وفي (خ) « بأغنا » . (٣) وقال : هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٤) مكان ما بين القوسين في (خ) كلمة لم أتبين معناها . (٥) صهباء : اسم موضع بينه وبين خيبر روحة ، (معجم البلدان) جـ ٣ ص ٤٣٥ . (٦) (صحيح البخاري بشرح الكرماني) جـ ٢١ ص ١٨٣ حديث رقم ٥٦٦٢ ، ولفظه : « فقال : لقد وجدناه بحراً أو إنه البحر » . (٧) (صحيح مسلم بشرح النووي) جـ ١٥ ص ٦٧ باب شجاعته ﷺ .

(٨) في المرجع السابق « فانطلق ناس قبل الصوت » .

(٩) ومعنى قوله : لن تراعوا ، أي روعاً مستقراً ، أو روعاً يضركم ، وفيه فوائد ، منها : بيان شجاعته ﷺ من شدة =

وخرج النسائي من حديث أبي خيثمة عن ابن إسحق عن حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه قال : كنا إذا حمي البأس والتقى القوم اتقينا برسول الله ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه .

وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحق عن حارثة عن علي قال : لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله ، وكان أشد الناس بأساً ، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه .

ولابن حبان من حديث زكريا عن أبي إسحق عن البراء قال : كنا والله إذا احمرّ البأس نتقي به ، يعني النبي ﷺ ، وإن الشجاع منا الذي يحاذي به . وله من حديث إسحق بن راهويه ، حدثنا عمرة بن محمد ، حدثنا عمر الزيات عن سعيد بن عثمان البعدري عن عمران بن الحصين قال : ما لقي النبي ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب .

وخرّج الدارمي من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا سعد عن عبد الملك بن عمير قال : قال ابن عمر : ما رأيت أحداً أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أرضأ من رسول الله ﷺ[1] :

وأما سعة جوده ﷺ

خرّج البخاري في فضائل القرآن ، وخرّج مسلم في المناقب من حديث شهاب عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان إن جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ الشهر ، فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن ، فإذا لقيه جبريل ، كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة (اللفظ لمسلم)[2] .

ولفظ البخاري : كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ، وأجود ما يكون في شهر رمضان ، لأن جبريل كان يلقاه [في][3] كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود من الريح المرسلة ، (هذا اللفظ في كتاب فضائل القرآن) .

ولفظه في كتاب الصيام بنحوه إلا أنه قال : وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان (الحديث) .

= عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس ، وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعاً بعد أن كان يبطأ ، وهو معنى قوله ﷺ وجدناه بحراً ، أي واسع الجري ، وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك ، وفيه جواز العارية ، وجواز الغزو على الفرس المستعار ، وفيه استحباب تبشير الناس بعدم الخوف (صحيح مسلم بشرح النووي) جـ ١٥ ص ٦٧ و ٦٨ باب شجاعته ﷺ .

(١) (سنن الدارمي جـ ١ ص ٣٠ وفيه « ولا أضوأ ولا أوضأ » .

(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي) جـ ١٥ ص ٦٨ ، ٦٩ باب سعة جوده ﷺ ، والمراد كالريح في إسراعها وعمومها ، وفي هذا الحديث فوائد منها : بيان عظم جوده ﷺ ومنها استحباب إكثار الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم ، ومنها استحباب مدارسة القرآن .

(٣) زيادة من (البخاري) جـ ٣ ص ٢٢٧ .

وذكره فى أول كتابه ، ولفظه : كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة .

وذكره أيضاً فى المناقب ، وفى كتاب بدء الخلق وقال فيه : لرسول الله حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة .

ولابن سعد من حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس وعائشة قالا : كان رسول الله ﷺ إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل (١) . وخرّج من حديث سفيان عن ابن المنكدر ، سمعت جابراً يقول : ماسُئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال لا ! (٢) .

ولفظ مسلم : ماسئل رسول الله شيئاً فقال لا (٣) ! ذكره البخارى فى كتاب الأدب ، ولمسلم من حديث حميد عن موسى بن أنس عن أبيه قال : ماسئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، قال : فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : ياقوم أسلموا ، فإن محمداً يعطى عطاء لا يخشى الفاقة (٣) .

ومن حديث حماد بن سلمة عن أنس أن رجلا سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين فأعطاه إياه ، فأتى قومه فقال ياقوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطى عطاء مايخاف الفقر ، فقال أنس : إن كان الرجل ليسلم مايريد إلا الدنيا ، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وماعليها (إنفرد به مسلم) (٣) .

وله من حديث ابن شهاب قال : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح (فتح مكة) ، ثم خرج بمن معه من المسلمين ، فاقتتلوا بحنين ، فنصر الله دينه والمسلمين ، فأعطى رسول الله يومئذ صفوان بن أمية مائة من النَّعم ، ثم مائة ، قال ابن شهاب : حدثنى سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقد أعطانى رسول الله ﷺ ، وإنه لأبغض الناس إلىّ ، فما برح يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلىّ (٤) .

ولأحمد بن حنبل رحمه الله ، من حديث الزهرى عن عمر بن محمد بن جبير بن مطعم قال : حدثنى محمد بن جبير قال : أخبرنى جبير بن مطعم قال : سار رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله من حنين ، فعلقه الأعراب فسألونه حتى اضطروه إلى سمُرة فخطفت رداءه ، فوقف وقال : ردوا على ردائى ، أتخشون علىّ البخل : فلو كان عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ، ثم لاتجدونى بخيلا ولا كذاباً ولا جباناً (٥) . (أخرجه البخارى وانفرد بإخراجه)

وخرّج الإمام أحمد من حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى قال : قال عمر : يارسول الله ! لقد سمعت فلاناً وفلاناً بحسان الثناء ، يذكران أنك أعطيتهما ديناراً ، ثم قال : قال النبي ﷺ : والله لكن فلاناً ماهو كذلك ، لقد أعطيته من عشرة إلى مائة ، فما يقول ذلك ، أما والله إن أحدكم ليخرج مسألته من عندى يتأبطها

(١) (الطبقات الكبرى لابن سعد) جـ ١ ص ٣٧٧ باب ذكر حسن خلقه وعشرته ﷺ .
(٢) (سنن الدارمى) جـ ١ ص ٣٤ ، وفيه يقول أبو محمد : قال ابن عيينة : « إذا لم يكن عنده وعد » .
(٣) (صحيح مسلم بشرح النووى) جـ ١٥ ص ٧١ ، ٧٢ باب فى سخائه ﷺ . (٤) المرجع السابق ص ٧٣ .
(٥) فى (الكامل لابن الأثير) جـ ٢ ص ٢٦٩ « ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا هوازن ركب واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله أقسم علينا فيئنا ، حتى ألجئوه إلى الشجرة ، فاختطفت رداؤه ، فقال : ردّوا علىّ ردائى أيها الناس ، فوالله لو كان لى عدد شجر تهامة نعمٌ لقسمتها عليكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا جباناً ولا كذاباً » .

(يعنى حتى تكون تحت إبطه ، يعنى ناراً) ، قال : قال عمر : يارسول الله ! تعطيها إياهم ؟ قال : فما أصنع يأبون إلا ذاك ؟ ويأبى الله لى البخل ! !

وقال عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده صبر من تمر ، فقال : ماهذا يابلال ؟ قال : أدّخره يارسول الله ، قال : أما تخشى أن يكون له بخار فى النار ؟ أنفق يابلال ولاتخشى من ذى العرش إقلالا (١) .

وخرّج الترمذى من حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فسأله أن يعطيه ، فقال : ماعندى شيء ولكن ابتع على ، فإذا جاءنى شيء قضيته ، فقال عمر : يارسول الله لقد أعطيته وماكلفك الله مالا بعد فكره النبي عليه السلام قول عمر ، فقال رجل من الأنصار : يارسول الله ! أنفق ولاتخش من ذى العرش إقلالا ، فتبسم رسول الله ، وعرف البشر فى وجهه لقول الأنصارى ثم قال : بهذا أمرت .

وقال قتيبة : حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا ثابت عن أنس أن النبي ﷺ كان لايدخر شيئاً لغد .

ولأبى داود الطيالسى عن زمعة عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال : كان رسول الله ﷺ حيياً لايسأل شيئاً إلا أعطى (٢) .

وقال ابن سعد أخبرنا أحمد بن محمد الأزرق المكى ، حدثنا مسلم بن خالد الزنجى ، حدثنى زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر (٣) قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : ما(٤) سئل النبي ﷺ شيئاً قط فقال : لا .

أخبرنا الفضل بن دكين ، حدثنا أبو العلاء الخفاف (٥) خالد بن طهمان عن المنهال بن عمرو ، عن محمد بن الحنفية قال : كان رسول الله ﷺ لايكاد يقول لشيء لا ، فإذا هو سئل فأراد أن يفعل قال : نعم ، وإن لم يرد أن يفعل سكت ، فكان قد عرف ذلك منه .

وقال أبو يعلى : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، أخبرنا أبى ، حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمه ، أن رجلا كان يلقب حماراً وكان يهدى لرسول الله ﷺ العكة من السمن والعكة من العسل ، فإذا صاحبه يتقاضاه جاء به إلى رسول الله ﷺ فيقول : يارسول الله ! أعط هذا ثمن متاعه ، فما يزيد رسول الله ﷺ (٦) على أن يتبسم ، ويأمر به فيعطى .

ولابن حبان من حديث الأوزاعى عن هارون بن رياب عن أنس قال : قدم على رسول الله ﷺ سبعون ألف درهم — هو أكثر مال أتى به — فوضع على حصير ثم قام فقسمه ، فما رد سائلا حتى فرغ منه .

(١) (البداية والنهاية) جـ ٦ ص ٥٤ ولفظه : « أن رسول الله ﷺ دخل على بلال فوجد عنده صبراً . . . » .
(٢) فى (خ) « أعطاه » .
(٣) فى (خ) « المنكدر المنكدر » وهو تكرار من الناسخ (٣) (سنن الترمذى) ص ١٠ حديث رقم ٢٤١٧ .
(٤) فى (خ) « يا » .
(٥) فى (خ) « الخفاف » وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) جـ ١٢ ص ١٩٢ ترجمة رقم ٨٨٧ .
(٦) فى (خ) بعد قوله ﷺ « فيقول يا رسول الله » مكررة .

وقال الواقدي في حجة الوداع (١) : ثم راح رسول الله ﷺ من الروحاء (٢) ، فصلى العصر بالمنصرف (٣) ثم صلى المغرب والعشاء وتعشى به (٤) ، وصلى الصبح بالاثاية (٥) ، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج (٦) ، فحدثني أبو حمزة عبد الواحد بن مصون (٧) عن عروة بن الزبير ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : كان أبو بكر رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ بالمدينة : إن عندي بعيراً نحمل عليه زادنا ، قال رسول الله ﷺ فذاك إذاً قالت : فكانت زاملة رسول الله وأبي بكر واحدة ، فأمر النبي ﷺ بزاد ، دقيق وسويق ، فجعلا على بعير أبي بكر ، فكان غلامه يركب عليه عقبة ، فلما كان بالاثاية (٨) عرّس الغلام وأناخ بعيره ، فغلبته عيناه ، فقام البعير يجر خطامه آخذاً في الشعب ، وقام الغلام فلزم الطريق يظن أنه سلكها وهو ينشده فلا يسمع له بذكر ، ونزل رسول الله في أبيات بالعرج ، فجاء الغلام مظهراً ، فقال أبو بكر : أين بعيرك ؟ قال : ضل مني ، قال : ويحك ! لو لم يكن إلا أنا لهان الأمر ، ولكن رسول الله وأهله ، فلم يلبث (٩) أن طلع به صفوان بن المعطل — وكان صفوان على ساقة الناس — وأناخه على باب منزل النبي ﷺ ، فقال لأبي بكر : أنظر هل تفقد شيئاً من متاعك ؟ فنظر ، فقال ، ما نفقد شيئاً إلا قعبا كنا نشرب به ، فقال الغلام : هذا القعب معي ، فقال أبو بكر رضي الله عنه أدى الله عنك الأمانة .

حدثني يعقوب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عيسى بن معمر ، عن عباد بن عبد الله ، عن أسماء بنت أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ لما نزل العرج ، جلس معنا منزله ثم جاء أبو بكر فجلس إلى جنبه ، فجاءت عائشة فجلست إلى جنبه الآخر ، وجاءت أسماء فجلست إلى جنب أبي بكر رضي الله عنه ، فأقبل غلام أبي بكر متدربلا ، فقال له أبو بكر : أين بعيرك ؟ قال : أضلني ، فقام إليه يضربه ويقول : بعير واحد يضل منك ، فجعل رسول الله ﷺ يتبسّم ويقول : ألا ترون إلى هذا المحرم وما يصنع ، وما ينهاه رسول الله ﷺ .

وحدثني أبو حمزة عن عبد الله بن سعد الأسلمي عن آل نضلة الأسلمي (١٠) أنهم أُخبِروا (١١) أن زاملة رسول الله ﷺ ضلّت فحملوا جفنة من حيس ، فأقبلوا (١٢) بها ، حتى وضعوها بين يدي رسول الله ، فجعل يقول : هلمّ يا أبا بكر ، فقد جاءك (١٣) الله بغداء طيب ، وجعل أبو بكر يغتاظ على الغلام ، فقال النبي عليه السلام : هون عليك ، فإن الأمر ليس إليك ولا إلينا معك ، قد كان الغلام حريصاً أن لا يضل بعيره ، وهذا أخلف (١٤)

(١) (المغازي للواقدي) ج ٣ ص ١٠٩٣ .
(٢) الرَّوحاء : من الفُرُع على نحو أربعين يوماً ، (معجم البلدان) ج ٣ ص ٧٦ .
(٣) المنصرف : موضع بين مكة وبدر بينهما أربعة بُرُد (معجم البلدان) ج ٥ ص ٢٠٩ .
(٤) في (خ) « ثم صلى المغرب والعشاء بالمتعشى وتعشى به » وما أثبتناه رواية (الواقدي) .
(٥) الأثاية : موضع في طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخاً . (معجم البلدان) ج ١ ص ٩٠ .
(٦) العَرْج : قرية جامعة في واد من نواحي الطائف (معجم البلدان) ج ٤ ص ٩٢ .
(٧) في (خ) « بن ميمون » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٣ ص ١٠٩٣ .
(٨) في (خ) « الاثابة » في المواضع كلها ، والتصويب من (معجم البلدان) و (المغازي) .
(٩) في (خ) « لم يغشب » وما أثبتناه من (المغازي) .
(١٠) في (خ) « الأسلميين » وما أثبتناه من (المغازي) ج ٣ ص ١٠٩٤ .
(١١) في (خ) « أخبروا » وما أثبتناه من المرجع السابق . (١٢) في (خ) « وأقبلوا » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(١٣) في (خ) « جاء » وما أثبتناه من المرجع السابق . (١٤) كذا في (خ) وفي (المغازي) « خلف » .

مما كان معه ، فأكل رسول الله وأهله وأبو بكر ، وكل من كان (١) مع رسول الله حتى شبعوا — قال : وجاء سعد ابن عبادة وابنه قيس بن سعد رضي الله عنه بزاملة تحمل زاداً يؤمان رسول الله ﷺ حتى يجد رسول الله واقفاً عند باب منزله ، قد أتى الله بزاملته ، فقال سعد : يا رسول الله ! قد بلغنا أن زاملتك أضلت مع الغلام (٢) ، وهذه زاملة مكانها ، فقال رسول الله ﷺ : قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكما (٣) ، بارك الله عليكما ، أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك منذ نزلنا المدينة ؟ قال : يا رسول الله ! المنّة لله ولرسوله ، والله يا رسول الله ، للذي تأخذ من أموالنا أحب إلينا من الذي تدع ، قال صدقتم يا أبا ثابت ، أبشر فقد أفلحتَ ، إن الأخلاق بيد الله ، فمن أراد الله أن يمنحه منها خلقاً صالحاً منحه ، ولقد منحك الله خلقاً صالحاً ، فقال سعد : الحمد لله [الذي] (٤) هو فعل ذلك ، قال ثابت بن قيس : يا رسول الله ، إن أهل بيت سعد في الجاهلية سادتنا ، والمطعمون في المحل منا ، قال رسول الله ﷺ الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، لهم (٥) ما أسلموا عليه . قال ابن أبي الزناد : يقول له جميل ذكره .

وأما تواضعه وقربه

خرج سعيد بن منصور وأبو بكر بن أبي شيبة من حديث أبي الأحوص عن مسلم الأعور عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويشهد الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم خيبر على حمار ، ويوم قريظة على حمار مخطوم (٦) من ليف تحته إكاف (٧) ليف .

وخرّجه الترمذي من حديث علي بن مسهر (٨) عن مسلم الأعور عن أنس بنحو هذا ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مسلم عن أنس ، ومسلم الأعور يُضعّف ، وهو مسلم بن كيسان الملائي ، ذكره الترمذي في الجنائز (٩) .

وخرّج البخاري في الأدب المفرد (١٠) من حديث ابن المبارك ، أخبرنا سلمى أبو قتيبة ، أخبرنا يونس بن أبي إسحق عن أبي إسحق قال : سمعت زيد ابن أرقم يقول : رمدت عيني فعادني النبي ﷺ ثم قال : يا زيد ، لو أن عينك لما بها ، كيف كنتَ تصنع ؟ قال : كنتُ أصبر وأحتسب ، قال : لو أن عينك لما بها ثم صبرت واحتسبت كان ثوابك الجنة .

وخرّج أيضاً من حديث حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : ذهبت بعبد الله

(١) في (خ) « وكل ما كان يأكل » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٢) في (خ) « أضلت الغلام » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٣) في (خ) بزاملتيكما » وما أثبتناه من المرجع السابق . (٤) زيادة من المرجع السابق . (٥) في (خ) « له » .
(٦) مخطوم وهو الزمام الحبل من الليف . (٧) الإكاف : هو كالسرج للفرس . (٨) في (خ) « مسهر » .
(٩) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ١٧٣ حديث رقم ٣٢٥ ، (سنن الترمذي) ج ٢ ص ٢٤١ حديث رقم ١٠٢٢ ، (سنن ابن ماجة) ج ٢ ص ١٣٩٨ حديث رقم ٤١٨٨ بنحو ذلك ، ومسلم بن كيسان هذا قال عنه أبو داود : ليس بشيء ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال ابن حبان : اختلط في آخر عمره فكان لا يدري ما يحدث به ... انظر (تهذيب التهذيب) ج ١٠ ص ١٣٥ ترجمة رقم ٢٤٧ . (١٠) (الأدب المفرد) .

ابن أبي طلحة آتى النبي ﷺ يوم ولد ، والنبي ﷺ في عباءة يهنو بعيراً له فقال : أمعك تمرات ؟ قلت : نعم ، فناولته تمرات فلاكهن ثم فغرفا الصبي ، فأوجدهن إياه ، فتلمظ الصبي فقال النبي ﷺ حب الأنصار ، وسماه عبد الله .

وخرج البخاري في الصحيح من حديث إبراهيم عن الأسود قال : سألت عائشة رضي الله عنها(١) ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله — (تعني خدمة أهله) — فإذا حضرت الصلاة ، خرج إلى الصلاة ، ذكره في كتاب الصلاة ، وترجم عليه باب من كان في حاجة أهله ، وأقيمت الصلاة فخرج ، وذكره في كتاب النفقات ولفظه : سألت عائشة : ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت ؟ قالت : في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج ، ترجم عليه باب خدمة الرجل في أهله وذكره ، وذكره في كتاب الأدب ولفظه : ما كان النبي يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله ؟ فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة ، ترجم عليه كيف يكون الرجل في أهله(٢) ؟ .

وخرج عبد الرازق من(٣) حديث الزهري ، وهشام بن عروة عن أبيه ، قال سأل رجل عائشة : أكان رسول الله ﷺ يعمل في بيته ؟ قالت : نعم كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ؟ ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته .

وقال معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت : قيل لعائشة ما كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته ؟ قالت : كان بشراً من البشر ، يفلي ثوبه ويحلب شاته(٤) ويخدم نفسه .

وخرج البخاري في كتاب الأدب من حديث هيثم ، أخبرنا حميد الطويل ، أخبرنا أنس قال : إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت(٥) .

وخرج مسلم من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم ، قال : أخبرنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها(٦) ، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها(٦) .

وخرج من حديث يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت : يا رسول الله ، إن لي إليك حاجة ، فقال : يا أم فلان ، انظري أي السكك شئت حتى أقضي إليك حاجتك ، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها(٧) .

---

(١) في (خ) « عنه » . (٢) صحيح البخاري بشرح الكرماني) ج ٢١ ص ١٨٦ حديث رقم ٥٦٦٨ .

(٣) في (خ) « بن حديث » . (٤) في (خ) بعد قوله : « يحلب شاته » عبارة « ويفلي ثوبه » وهو تكرار من الناسخ .

(٥) والمقصود من الأخذ بيده لازمه وهو الرفق والانقياد ، يعني كان خلق رسول الله ﷺ بهذه المرتبة وهو أنه لو كان لأمة حاجة إلى بعض مواضع المدينة وتلتمس منه مساعدتها في تلك الحاجة واحتاج أن يمشي معها لقضائها لما تخلف عن ذلك حتى تقضي حاجتها . وفيه أنواع من المبالغة من جهة أنه ذكر المرأة لا الرجل ، والأمة لا الحرة ، وعمم بلفظ الإماء : أي أي أمة كانت ، وبقوله : « حيث شاءت » من المكانات ، وعبر عنه بلفظ الأخذ باليد الذي هو غاية التصرف . (صحيح البخاري بشرح الكرماني) ج ٢١ ص ٢٠٦ كتاب الأدب حديث رقم ٥٧٠٠ . (٦) في (خ) « فيه » وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

(٧) (صحيح مسلم بشرح النووي) ج ١٥ ص ٨٢ . « وفي هذه الأحاديث بيان بروزه ﷺ للناس وقربه منهم ليصل =

وقال علي بن الحسين بن واقد عن أبيه قال : سمعت يحيى بن عقيل يقول : سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول : كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، ولا يستنكف أن يمشي مع العبد والأرملة حتى يفرغ لهم من حاجاتهم(١) .

وخرج الإمام أحمد عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ ، وذكر الحديث .

وخرجه مسلم عن إسماعيل بن علية عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس ، ورواه حماد بن زيد عن أيوب عن أنس (لم يذكر عمرو بن سعيد) .

وخرّج البخاري من حديث علي بن الجعد قال : حدثنا شعبة عن شيبان بن أبي الحكم عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مرّ على صبيان فسلم عليهم(٢) ، وأخرجه مسلم أيضاً وقال ابن لهيعة : حدثني عمارة بن غزية عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس مع صبي .

وخرّج البخاري في الأدب المفرد عن طريق وكيع عن معاوية بن أبي برد عن أبيه عن أبي هريرة قال : أخذ النبي ﷺ بيد الحسن أو الحسين ثم وضع قدميه فوق قدميه ثم قال ترق .

ومن طريق عبد الله بن صالح قال : حدثني معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن يعلى بن مُرَّة أنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ ودعينا إلى طعام ، فإذا بحسين يلعب في الطريق ، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه ، فجعل يمر مرة ها هنا ، ومرة ها هنا يضاحكه ، حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه ثم اعتنقه فقبّله ، ثم [قال] : حسين مني وأنا منه ، أحبّ الله من أحب الحسن والحسين ، سبطان من الأسباط .

ومن طريق ابن أبي فديك قال : حدثني هشام بن سعد عن نعيم المجمر عن أبي هريرة قال : ما رأيته حسناً إلا فاضت عيناي دموعاً ، وذلك أن النبي ﷺ خرج يوماً فوجدني في المسجد فأخذ بيدي ، فانطلقت معه ، فما كلمني حتى جئنا سوق بني قينقاع ، فطاف به ونظر ثم انصرف وأنا معه حتى جئنا المسجد ، فاحتبى ثم قال :

= أهل الحقوق إلى حقوقهم ويرشد مسترشدهم ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيقتدى بها ، وهكذا ينبغي لولاة الأمور ، وفيها صبره ﷺ على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين وإجابته من سأل حاجته أو تبريكا بمس يده وإدخالها في الماء كما ذكروا ، وفيه التبرك بآثار الصالحين وبيان ما كانت الصحابة عليه من التبرك بآثاره ﷺ وتبركهم بإدخال يده الكريمة في الآنية . . . . وبيان تواضعه بوقوفه مع المرأة الضعيفة ، وقوله : « خلا معها في بعض الطرق » أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها لكن لا يسمعون كلامها لأن مسألتها مما لا يظهره والله أعلم » (صحيح مسلم بشرح النووي) ج ١٥ ص ١٢ ، ٨٣ .

(١) (سنن الدارمي) ج ١ ص ٣٥ ونصه : « . . . ولا يأنف ولا يستنكف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهما حاجتهما » .

(٢) (صحيح البخاري) ج ٤ ص ٨٩ باب التسليم على الصبيان ، وأخرجه (مسلم) في باب السلام على الصبيان ، والترمذي في الاستئذان باب ما جاء في التسليم على الصبيان وقال : هذا حديث صحيح ، والنسائي ، وأخرج ابن ماجة نحوه — عن حميد بن أنس — في الأدب باب السلام على الصبيان ، وأبو داود في كتاب الأدب في باب السلام على الصبيان ج ٥ ص ٣٨٢ حديث ٥٢٠٢ ، ٥٢٠٣ بنحو .

أين لكاع ؟ أدع لي لكاعاً ، فجاء حسن يشتد فوقع في حجره ، ثم أدخل يده في لحيته ، ثم جعل النبي ﷺ يفتح فمه في فيه ثم قال : اللهم إني أحبه فأحببه ، وأحب من يحبه .

وخرج الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلاً قال : يا محمد — يا سيدنا وابن سيدنا — وخيرنا وابن خيرنا ! فقال : رسول الله ﷺ : يا أيها الناس قولوا بقولكم ، لا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبدُ الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ، وخرجه النسائي بنحوه .

وروى النضر بن شميل عن شعبة عن قتادة قال : سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أنت سيد قريش ، فقال : السيد الله . فقال : أنت أعظمها فيها طولاً ، وأعلاها فيها قولاً ، فقال رسول الله ﷺ يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان — وخرجه أبو داود والنسائي بنحوه أو قريباً منه .

وخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث مسدد ، وأخبرنا بشر بن المفضل ، أخبرنا أبو مسلمة عن أبي نضرة عن مطرف ، قال : إني انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقالوا : أنت سيدنا ، فقال : السيد الله ، قالوا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً ، فقال : قولوا بقولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان(١) .

وللبخاري من حديث شعبة عن أبي إسحق عن البراء قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بطنه(٢) ،

وخرج الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن أنس قال : ما كان شخص أحب إليهم من رسول ﷺ ، وكانوا [إذا] رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك(٣) .

---

(١) قوله : « السيد الله » ، يريد السؤدد حقيقة لله عزّ وجلّ ، وأن الخلق كلهم عبيده ، وإنما منعهم أن يدعوه سيداً ، مع قوله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم » وقوله لبني الخزرج — قبيلة سعد — : قوموا إلى سيدكم » — يريد سعد بن معاذ — من أجل أنهم قوم حديثو عهد بالإسلام ، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كهي بأسباب الدنيا ، وكان لهم رؤساء يعظمونهم وينقادون لأمرهم ، ويسمونهم : « السادات » فعلمهم الثناء عليه وأرشدهم إلى الأدب في ذلك فقال : « قولوا بقولكم » يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم وادعوني نبياً ورسولا ، كما سماني الله عز وجل في كتابه فقال : « يا أيها النبي » ، « يا أيها الرسول » ولا تسموني سيداً كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ، ولا تجعلوني مثلهم فإني لست كأحدهم ، إذ كانوا يسودونكم بأسباب الدنيا ، وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة ، فسموني نبياً ورسولا ، وقوله : « بعض قولكم » فيه حذف واختصار ، ومعناه : دعوا بعض قولكم واتركوه ، يريد بذلك الاقتصار في المقال وقوله : « لا يستجرينكم الشيطان » معناه لا يتخذنكم جرياً ، والجرى : الوكيل ويقال : الأجير أيضاً : (معالم السنن للخطابي) جـ ٥ ص ١٥٤ — ١٥٥ .

(٢) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ ٣ ص ٢٣ ولفظه : « لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة . . . » .

(٣) وفي (الترغيب والترهيب) جـ ٣ ص ٤٣١ : « وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من أحب أن يتمثل » له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » رواه أبو داود بإسناد صحيح والترمذي » وقال حديث حسن .

وقوله : « يتمثل » أي يقابل بتعظيم الوقوف ، وقوله : « فليتبوأ » أي فليأخذ مكانه في جهنم استكباراً وجزاء منازعته فالكبرياء والتعظيم لله وحده سبحانه .

وخرجه الترمذي ولفظه : لم يكن شخص . . . ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وخرجه البخاري في الأدب المفرد .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح أن رجلاً سمع عبادة بن الصامت يقول : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه : قوموا نستغيث إلى رسول الله من هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ لا يقـــام إلي ، إنما يقام لله تبارك وتعالى .

وخرج من حديث معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن أنه ذكر رسول الله ﷺ فقال : لا والله ما كانت تغلق دونه الأبواب ، ولا يقوم دونه الحجاب ولا يغدى عليه بالجفان(١) ، ولا يراح عليه بها ، ولكنه كان بارزاً ، من أراد أن يلقى نبي الله لقيه ، كان يجلس بالأرض ، ويوضع طعامه بالأرض ، ويلبس الغليظ ، ويركب ويردف معه ، ويلعق والله يده(٢) .

وقال جعفر بن عون : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن أبي مسعود ، أن النبي ﷺ كلم رجلاً فأرعد فقال : هوّن عليك ، فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد . قال ابن الجوزي : وكذا رواه هاشم بن عمرو الحمصي عن يونس عن إسماعيل عن قيس بن جرير ، وكلاهما وَهْم ! والصواب : عن إسماعيل ، عن قيس مرسلاً عن النبي ﷺ . وذكر حديث حميد بن الربيع قال : حدثنا هشيم ، حدثنا إسماعيل ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن رجلا أتى النبي ﷺ فلما قام بين يديه استقبله رعدة ! فقال له النبي ﷺ : هوّن عليك ، فإني لست ملكا ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد(٣) ،

قال : وكذلك رواه يحيى بن سعيد القطان ، وزهير بن أبي معاوية عن أبي خالد .

وخرّج الحاكم من حديث عباد بن العوام عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال : أُتي النبي ﷺ برجل ترعد فرائصه ، قال : فقال له : هوّن عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في هذه البطحاء . ثم تلا جرير بن عبد الله البجلي « وما أنت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

وخرج ابن حبان من حديث أبي بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبيد بن سعيد بن العاص الأموي عن علي بن زيد قال : قال أنس بن مالك . أن كانت الوليدة من ولائد المدينة تجيء فتأخذ بيد رسول الله فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت .

---

(١) الجفان : مفردها جفنة ، وهي القصعة الكبيرة يؤكل فيها .

(٢) (صفة الصفوة) جـ ١ ص ١٦٩ وفيه : « ويركب الحمار ويردف عبده ، ويعلف دابته بيده ﷺ » .

(٣) (سنن ابن ماجة) جـ ٢ ص ١١٠١ كتاب الأطعمة باب القديد حديث رقم ٣٣١٢ ولفظه : « هون عليك فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد » .

قال أبو عبد الله : إسماعيل وحده وَصَلَه ، وفي الزوائد : هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات .

(ترعد) أرعد الرجل أخذته الرعدة ، والرعدة : الاضطراب . وأرعدت أيضاً فرائصه عند الفزع .

(الفرائص) واحدتها فريصة ، لحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع .

(القديد) هو اللحم المملح المجفف في الشمس : فعيل بمعنى مفعول .

وله من حديث شعبة عن علي بن زيد عن أنس : أن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ، فيدور بها في حوائجها حتى تفرغ ، ثم يرجع .

وله من حديث المحاربي عن عبيد الله بن الوليد الوصافي عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله ، كُلْ — جعلني الله فداك — متكئاً ، فإنه أهون عليك ، قال : لا ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد(١) .

وله من حديث أبي معشر عن سعيد المقبري ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : جاءني ملك فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول : إن شئت نبياً عبداً ، وإن شئت نبياً ملكاً . فنظرت إلى جبريل عليه السلام ، فأشار إليَّ أن ضع نفسك ، فقلت نبياً عبداً(٢) .

وخرَّج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من حديث أيوب بن نهيك قال : سمعت أبا حازم قال : سمعت بن عمر رضي الله عنه يقول : لقد هبط عليَّ ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي ، ولا يهبط على أحـــد بعدي — وهو إسرافيل — فقال : السلام عليك يا محمد ، وقال : أنا رسول ربك إليك ، أمرني أن أخبرك إن شئت نبياً عبداً ، وإن شئت نبياً ملكاً ، فنظر إليَّ جبريل فأومأ إليَّ أن تواضعْ ، فقال النبي ﷺ عند ذلك : نبياً عبداً ، فقال النبي ﷺ : لو أني قلت نبياً ملكاً ثم أمرت لصارت معي الجبـــال ذهباً . قال أبو نعيم : هذا حديث غريب من حديث أبي حازم وابن عمر ، تفرد به أيوب بن نهيك ، وأبو حازم مختلف فيه ، فقيل سلمة ابن دينار ، وأقيل محمد بن قيس المزني والله أعلم(٢) .

وله من حديث أيمن بن نايل قال : سمعت قدامة بن عبد الملك قال : رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة على ناقة صهباء ، لا ضرب ولا طرد ، ولا إليك إليك(٣) .

وخرَّج البخاري في الأدب المفرد من طريق الأعمش عن سلام بن شرحبيل عن حبه بن خالد وسواء بن خالد(٤) أنهما أتيا النبي ﷺ وهو يعالج حائطاً أو بناءه ، فأعاناه .

---

(١) ونحوه في (صحيح البخاري) ج ٣ ص ٢٩٤ باب الأكل متكئاً ، (سنن ابن ماجة) ج ٢ ص ١٠٨٦ حديث رقم ٣٢٦٢ .

(٢) وفي (البداية والنهاية) ج ٦ ص ٤٨ عن يعقوب بن سفيان : حدثني أبو العباس حيوة بن شريح ، أخبرنا بقية عن الزبيدي عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عباس قال : كان ابن عباس يحدث أن الله أرسل إلى نبيا ملكا من الملائكة معه جبريل ، فقال الملك لرسوله : « إن الله يخيرك بين أن تكون عبداً نبياً وبين أن تكون ملكا نبيا » فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له ، فأشار جبريل إلى رسول الله أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ : بل أكون عبداً نبيا ، قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعاماً متكئا حتى لقي الله عز وجل » .

وهكذا رواه البخاري في التاريخ عن حيوة بن شريح ، وأخرجه النسائي عن عمرو بن عثمان كلاهما عن بقية بن الوليد به ، وأصل هذا الحديث في الصحيح بنحو من هذا اللفظ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة — ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة — قال : جلس جبريل إلى رسول الله ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل ، فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد أرسلني إليك ربك : أفملكا نبيا يجعلك أو عبداً رسولا ؟

(٣) هو كما يقال : الطريق الطريق ، ويفعل بين يدي الأمراء ، ومعناه تنحّ وأبعد . وتكريره للتأكيد . (النهاية) ج ١ ص ٦٤ .

(٤) حبه بن خالد أخو سواء الأسدي وقيل العامري وقيل الخزاعي ، عدادهما في أهل الكوفة ، لهما عندهما حديث واحد عن النبي ﷺ في عدم اليأس من الرزق رواه الأعمش عن سلام أبي شراحيل عنهما . قلت : لم يروه عنهما غيره قاله الأزدي (تهذيب التهذيب) ج ٢ ص ١٧٧ ترجمة رقم ٣٢٠ ، ج ٤ ص ٢٦٥ ترجمة رقم ٤٥٥ .

وخرَّج الحاكم من حديث عبد الله بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا جعفر بن سليم عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ دخل مكة وذنا منه على رحله متخشعاً . قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

وله من حديث الحسين بن واقد ، حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ بحمار وهو يمشي ، فقال : اركب يا رسول الله ، فقال : إن صاحب الدابة أحق بصدرها(١) . [إلا أن تجعله لي ، قال : قد فعلت](٢) .

وأما رقته ورحمته ولطفه

خرج مسلم من حديث سليمان بن المغـــيرة قال : حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ولد لي الليلة غلامٌ فسميته باسم أبي إبراهيم ، ثم دفعته إلى أم سيف — امرأة قين(٣) يقال له أبو سيف — فانطلق يأتيه واتبعته ، فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره ، قد امتلأ البيت دخاناً ، فأسرعت بين يدي رسول الله فقلت : يا أبا سيف ! أمسك جاء رسول الله ﷺ فأمسك ، فدعا النبي ﷺ فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول ، فقال أنس لقد رأيته وهو يكيد بنفسه(٤) بين يدي رسول الله ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال : تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون(٥) .

وخرَّج من حديث إسماعيل بن علية عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس بن مالك قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ ، قال : كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة(٦) ، فكان ينطلق ونحن معه ، فيدخل البيت وإنه ليدخَّن ، وكان ظئره قيناً فيأخذه فيقبله ثم يرجع ، قال عمرو : فلما مات إبراهيم قال رسول الله ﷺ إن إبراهيم ابني وإنه مات في الثدي ، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة .

وخرج البخاري(٧) ومسلم(٨) من حديث بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : تقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم ! فقال النبي ﷺ : أوَ أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟ .

---

(١) (المستدرك) ج ٢ ص ٦٤ وفيه « أحق بصدر دابته » .

(٢) زيادة من (المستدرك) و (سنن الدارمي) ج ٢ ص ٢٨٥ باب في صاحب الدابة أحق بصدرها .

(٣) (القين بفتح القاف) : الحداد ، وفيه جواز تسمية المولود يوم ولادته ، وجواز التسمية بأسماء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

(٤) أي يجود بها ، ومعناه وهو في النزع .

(٥) فيه جواز البكاء على المريض والحزن ، وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر بل هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما المذموم الندب والنياحة والويل والثبور ونحو ذلك من القول الباطل ، ولهذا قال ﷺ ولا نقول إلا ما يرضى ربنا . (صحيح مسلم بشرح النووي) ج ١٤ ص ٧٤ — ٧٥ .

(٦) أما العوالي : فالقرى التي عند المدينة ، وقوله : أرحم بالعيال ، هذا هو المشهور الموجود في النسخ والروايات ، قال القاضي : وفي بعض الروايات بالعباد ، ففيه بيان كرم خلقه ﷺ ورحمته للعيال والضعفاء ، وفيه جواز الاسترضاع ، وقوله : وإنه مات في الثدي وإن له ظئرين تكملان له رضاعه في الجنة ، معناه مات في الثدي أو في حال تغذيه بلبن الثدي ، وأما الظئر فبكسر الظاء مهموزة وهي المرضعة ولد غيرها ، وزوجها ظئر لذلك الرضيع ، فلفظة الظئر تقع على الأنثى والذكر ، ومعنى تكملان رضاعه أي تتمانه سنتين ، فإنه توفي وله ستة عشر شهراً أو سبعة عشر فترضعانه بقية السنتين فإنه تمام الرضاعة بنص القرآن ، قال القاضي : واسم أبي سيف هذا : البراء ، واسم أم سيف زوجته : خولة بنت المنذر الأنصارية كنيتها : أم سيف وأم بردة . (المرجع السابق) ص ٧٦ . (٧) (صحيح البخاري بشرح الكرماني) ج ٢١ ص ١٦٤ حديث رقم ٥٦٢٧ .

(٨) (صحيح مسلم بشرح النووي) ج ١٥ ص ٧٦ .

وفى لفظ مسلم عن عائشة قالت : قدم ناس من الأعراب على رسول الله فقال : تقبلون صبيانكم ؟ فقالوا نعم، قالوا : لكنا ما نقبل ، فقال رسول الله ﷺ : وأملك إن كان الله قد نزع منكم الرحمة(١) ؟

وقد خرجا من حديث أنس : رويدك يا أنجشة ، سوقك بالقوارير ، يعنى النساء ، وفى لفظ : ويحك يا أنجشة، رويدك بالقوارير ، وفى آخر يا أنجشة رويداً سوقك بالقوارير ، وفى آخر : أيا أنجشـــة رويداً سوقك بالقوارير .

وخرج البخارى فى الأدب المفرد(٣) عن طريق مبارك(٤) عن ثابت عن أنس قال : كان النبى ﷺ إذا أتى بالشىء يقول : اذهبوا به إلى فلانة ، فإنها كانت صديقة خديجة ، اذهبوا به إلى بيت فلانة فإنها كانت تحب خديجة.

وقال الواقدى فى مغازيه وقد ذكر فتح مكة : حدثنى عبد الرحمن بن محمد عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال : لما سار رسول الله ﷺ من العَرْج ، رأى كلبة تهر على أولادها وهن حولها يرضعنها ، فأمر رجلاً من أصحابه يقال له جُعيل بن سراقة أن يقوم حذاها ، لا يعرض لها أحد من الجيش ولا لأولادها(٥) .

وخرج ابن حبان فى صحيحه من حديث عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهرى عن يحيى بن سعيد بن العاص عن عائشة أن النبى ﷺ استعذر أبا بكر من عائشة ، ولم يظن النبى ﷺ أن ينال منها بالذى نال منها ، فرفع أبو بكر يده فلطمها وصكّ فى صدرها ، فوجد من ذلك النبى ﷺ وقال : يا أبا بكر ، ما أنا بمستعذرك منها بعد هذا أبداً .

° ° °

تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه الجزء الأول ، ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى وأوله {

وأما حسن عهده عليه السلام

(١) المرجع السابق .

(٢) (صحيح مسلم بشرح النووى) ج ١٥ ص ٨٠ باب رحمته ﷺ النساء والرفق بهن . قال العلماء : سمى النساء قوارير لضعف عزائمهن تشبيهاً بقارورة الزجاج لضعفها وإسراع الانكسار إليها ، واختلف العلماء فى المراد بتسميتهن قوارير على قولين ذكرهما القاضى وغيره ، أصحهما عند القاضى وآخرين ، وهو الذى جزم به الهروى وصاحب « التحرير » وآخرون أن معناه : أن أنجشة كان حسن الصوت وكان يحدو بهن وينشد شيئاً من القريض والرجز وما فيه تشبيب ، فلم يأمن أن يفتنهن ويقع فى قلوبهن حداؤه ، فأمره بالكف عن ذلك ، ومن أمثالهم المشهورة « الغنا رُقْيَةُ الزنا » ، قال القاضى : هذا أشبه بمقصوده ﷺ وبمقتضى اللفظ . . . ، والقول الثانى . أن المراد به الرفق فى السير لأن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت فى المشى واستلذته فأزعجت الراكب وأتعبته فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عند شدة الحركة ، ويخاف ضررهن وسقوطهن ، وأما « ويحك » فهكذا وقع فى مسلم ووقع فى غيره « ويلك » ، قال القاضى : قال سيبويه : « ويل » : كلمة تقال لمن وقع فى هلكة ، و« ويح » زجر لمن أشرف على الوقوع فى هلكة ، وقال الفراء : ويل وويح وويس بمعنى . . . وفى هذه الأحاديث جواز الحداء ـ وهو بضم الحاء ممدود ـ وجواز السفر بالنساء واستعمال المجاز ، وفيه مباعدة النساء من الرجال ومن سماع كلامهم إلا الوعظ ونحوه .

(٣) (الأدب المفرد) ج ١ ص ٣٢٠ حديث رقم ٢٣٢ ، وأخرجه الحاكم والبزار وابن حبان .

(٤) « مبارك » هو ابن فضالة البصرى ، جالس الحسن البصرى ثلاث عشر سنة أو أربع عشر سنة ، مات سنة ١٦٥ ، قال أحمد : ما روى عن الحسن يحتج به (فضل الله الصمد) هامش ص ٣٢٠ .

(٥) كذا فى (خ) ، ورواية الواقدى : « لما سار رسول الله ﷺ من العرج ، فكان فيما بين العرج والطلوب ، نظر إلى كلبة تهر على أولادها وهم حولها يرضعونها ، فأمر رجلاً من أصحابه يقال له جُعيل بن سُراقة أن يقوم حذاءها ، لا يعرض لها أحدٌ من الجيش ولا لأولادها . والطَّلوب : ماء فى الطريق بين المدينة ومكة . (المغازى للواقدى) ج ٢ ص ٨٠٤ .

ملحـــــــق

ثبت بأشهر مؤلفات المقريزى المخطوطة والمطبوعة(*)

إعـــداد : كوركيس بن عواد خبير المخطوطات العربية

تعليق وتذييل : أبى منصور الحافظ

١ ـ إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء :

منه نسخة بخط المؤلف فى مكتبة غوطا GOTHA [ألمانيا] . الرقم ١٦٥٢ .

١ ـ نشره ـ بونز HUGO BUNZ (القدس ـ ليبسك ١٩٠٩) .

٢ ـ نشره ـ د . جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٤٨) (١) .

٢ ـ أخبار قبط مصر :

وهو فى تاريخ الأقباط ، مستخرج من كتاب « المواعظ والاعتبار » .

١ ـ نشره ـ هماكر H. A. HAMAKER (أمستردام ١٨٢٤) .

٢ ـ نشره ـ وستنفلد F. WUSTENFELD (غوطا ١٨٤٥) .

٣ ـ إزالة التعب والعناء فى معرفة الحال فى الغناء : منه نسخة خطية فى :

١ ـ دار الكتب المصرية (فهرس الخديوية ٧/ ٥٦٤) . ٢ ـ المكتبة الوطنية فى باريس .

٤ ـ الإشارة والإيماء (٢) فى حل لغز الماء : منه نسختان خطيتان فى :

٢ ـ دار الكتب المصرية (فهرس الدار ٣/ ١٢) . ٢ ـ مكتبة نور العثمانية فى استانبول الرقم ٤٩٣٧/١٥ .

٥ ـ إغاثة الأمة بكشف الغمة : منه نسختان خطيتان فى :

١ ـ دار الكتب المصرية (فهرس الدار ٥/ ٣٦) . ٢ ـ نور العثمانية الرقم ٤٩٣٧/ ١

٦ ـ الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام : منه نسخ خطية فى :

١ ـ مكتبة جامعة ليدن ـ الرقم ٩٩٢ ـ ٩٩٣ . ٢ ـ نور العثمانية ـ الرقم ٤٩٣٧/ ١١

٣ ـ دار الكتب المصرية الرقم ٥٠٠ د (فهرس الدار ٥/ ٣٨) .

(*) جميع التعليقات التى تذيل بـ : (س) هى اختصار عن (أبى منصور) .

(١) أعاد طبعه مجلس الشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف . صدر الجزء الأول بتحقيق المحقق نفسه سنة ١٩٦٧ ، وصدر الجزء الثالث بتحقيق محمد بن حلمى بن أحمد سنة ١٩٧٣ م راجع : معجم المخطوطات المطبوعة ـ لصلاح المنجد ٣/ ١٤٠ ـ ١٤١ ، و ٤/ ١٤٢ (س) .

(٢) فى فهرس الدار « الإيماء » ولعله الأصوب راجع : فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية ٣/ ١٢ (قسم آداب اللغة)

٤ — باريس (نسخة تاريخها سنة ٨٤١ هـ) . وظهرت لهذا الكتاب طبعتان :

١ — نشره F. R. RINCK (ليدن سنة ١٧٩٠ م) .　　٢ — نشر فى القاهرة سنة ١٣١٣ هـ .

٧ — إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع : منه نسخة خطية فى :

١ — مكتبة شهيد على باشا (ضمن المكتبة السليمانية) فى استانبول . الرقم ١٨٤٧ ، وهى بخط المؤلف .

٢ — مكتبة كوبريلى باستانبول (الرقم ١٠٠٤) (١)　٣ — دار الكتب المصرية (فهرس الدار ٥ - ٣٩) (٢) .

٤ — غوطا الرقم ١٨٣٠ ، وهى فى ٦ أجزاء (٣)　٥ — ليدن الرقم ٨٧١ (٤) .

طبع المجلد الأول منه بتحقيق محمود بن محمد شاكر (القاهرة ١٩٤١) (٥) .

٨ — الأوزان والأكياس الشرعية : وهى رسالة فى الموازين والمكاييل ، منها نسخة خطية فى :

١ — ليدن الرقم ١٠١٤ .　　٢ — دار الكتب المصرية (فهرس الخديوية ٥ : ١٨٦) .

نشرها تيكسن D. G. TYCHSEN (روستك فى ألمانيا ١٨٠٠ م) .

٩ — البيان المفيد فى الفرق بين التوحيد والتلحيد (٦) : منه نسختان خطيتان فى :

١ — ليدن (فهرس أمين المدنى ١٨٨) وهى بخط المؤلف .

٢ — دار الكتب المصرية (فهرس الخديوية ٧ / ٥٦٥) .

١٠ — البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب : منه نسخة خطية فى :

١ — دار الكتب المصرية (فهرس الدار ٥ / ٦٤)　　٢ — مكتبة ستراسبورغ .

٣ — مكتبة جامعة كمبرج . الرقم ١٥٧ .　　٤ — نور العثمانية . الرقم ٤٩٣٧ / ١٠

٥ — ليدن . الرقم ٩٧٥ .　　٦ — المكتبة الوطنية فى باريس . الرقم ١٧٢٥ .

٧ — فينة . الرقم ٩١٠ (٧)

ظهرت لهذا الكتاب طبعتان :

(أ) نشره وستنفلد (غوطا ١٨٤٧ م) .　　(ب) نشر فى القاهرة سنة ١٣٢٤ .

---

(١) كوبريلى زاده محمد باشا كتبخانة سنده مخطوط صحيفة ٦٦ وهى فى جزء واحد ضخم (س)

(٢) هذه النسخة مصورة عن النسخة السكبراية لاثقة وتقع فى تسعة أقسام (س)

(٣) هذه النسخة ضمن النسخ المعتمدة فى التحقيق وهى الناقصة　وقد أنكر أمناء مكتبة غوطة (جوتا) أن تكون فى ستة أجزاء (س)

(٤) كتبت إلى مكتبة جامعة لايدن فى هولندة حول هذه النسخة فأجابوا بأنها نسخة صغيرة من المقدمة تقع فى زهاء سبع عشرة ورقة (س) وتوجد من إمتاع الأسماع نسخة أخرى فى خزانة عموجه حسين باشا فى الآستانة برقم ٣٠٤ وسنحاول جلب صورتها إن شاء الله ، راجع : المختار من مخطوطات الآستانة ـ تصنيف العلامة أحمد بن تيمور باشا ص ٥٢ (س)

(٥) كما طبع نفس هذا الجزء مصوراً (أوفست) فى قطر بإشراف الشيخ عبد الله الأنصارى منذ عهد قريب (س) .

(٦) لا يوجد هذا الاسم فى فهرس دار الكتب المصرية ـ راجع : فهرس الكتب العربية بالدار ١ / ١٦٦ ـ وجاء فى فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة أن هذه المخطوطة لمؤلف أحمد علماء المائة الثامنة الهجرية وأن المقريزى ناسخها فقط : فهرس المخطوطات المصورة ١ / ١١٩ عمود ٢ (س) .

(٧) Die Arb, Pers, u Turk. Hdss. Der Kaiser Konigl Hofbibliothek Wien, Bd-3, p. 538

١١ — تاريخ بناء الكعبة (١) : منه نسخة خطية فى :

١ — دار الكتب الظاهرية فى دمشق ، وهى بخط المؤلف .

٢ — ليدن . (الرقم ٩٤٢) .　　٣ — الظاهرية بدمشق (الرقم ٤٨٠٥) .

١٢ — تجريد التوحيد المفيد : منه نسخة خطية فى :

١ — مكتبة البلدية بالاسكندرية . الرقم ٩٩ / ٦ فنون .　　٢ — نور عثمانية . الرقم ٤٩٣٧ / ٢ .

٣ — باريس . الرقم ١٢ .　　٤ — مكتبة جامعة برنستن (مجموعة كاريت GHRRETT الرقم ١٤٩٦ .

٥ — ليدن (هولندا) . الرقم ٩٩٣ .　　وقد طبع الكتاب فى القاهرة سنة ١٣٤٣ هـ .

١٣ — جنى الأزهار من الروض المعطار : منه نسخة خطية فى :

١ — مكتبة برلين . الرقم ٦٠٤٩ (٢) .　　٢ — مكتبة فينة . الرقم ١٢٦٦ (٣) .

٣ — دا الكتب المصرية (فهرس الدار ٦ / ٢٥) .　　٤ — باريس (نسخة تاريخها ٨٤١ هـ) .

١٤ — حصول الإنعام والمير فى سؤال خاتمة الخير (٤) :

منه نسخة خطية فى ، نور عثمانية . الرقم ٤٩٣٧ / ١٤ .

١٥ — الخبر عن البشر (٥) : وهو تاريخ عام كبير ، منه نسخة خطية فى ليدن الرقم ١٠٨٠ .

١٦ — درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة : منه نسخة خطية فى :

١ — الموصل لدى الدكتور محمود الجليلى ، فى جزءين ، تاريخها ٨٧٨ هـ .

٢ — غوطا . (المجلد الأول منه بخط المؤلف) (٦) .

١٧ — الدرر المضيئة فى تاريخ الدول الاسلامية : منه نسخة خطية فى كمبرج . الرقم ٣٦٥ .

١٨ — الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك : منه نسخة خطية فى :

١ — مكتبة الاسكوريال [فى أسبانية] . الرقم ١٧٧١ .　　٢ — كمبرج . الرقم ٤٤٢ - ٤٤٣ .

٣ — نور عثمانية . الرقم ٤٩٣٧ / ٦

وقد نشره الدكتور جمال الدين الشيال . (القاهرة ١٩٥٥) .

١٩ — السلوك فى معرفة دول الملوك : منه نسخة خطية فى :

١ — دار الكتب المصرية (فهرس الدار ٥ : ١٢٩)　　٢ — الظاهرية بدمشق . مجلد برقم ٧٣٠٤ .

---

(١) فى فهرس العمومية : « بناء الكعبة » مراجع فهرس المكتبة العمومية (التاريخ) صنفه يوسف العش ص ١٠٥ .

(٢) Verzeichnis der Arabichen Hdss, der Konigl Bibliothek zu Berlin Bd, x / 441

(٣) راجع Die Arb. Prs. u, Turk Hdss. der K. K. Hofbibliothek Bd-3 P. 564

(٤) توجد نسخة أخرى منه فى خزانة ولى الدين فى الآستانة ضمن مجموع خطى برقم ٣١٩٥ ـ دفتر كتبخانة ولى الدين صحيفة ١٩٥ (س) .

(٥) منه نسخة أخرى فى مكتبة أيا صوفية فى الآستانة تقع فى ستة أجزاء متسلسلة ، أرقام (٣٣٦٢ — ٣٣٦٦) ونسخة ثالثة فى خزانة الفاتح فى الآستانة أرقام (٤٣٣٨ — ٤٣٤١) وتشمل الأجزاء : ١ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ (غير متسلسلة) دفتر كتبخانة أيا صوفية صحيفة ٢٠٢　　دفتر فاتح كتبخانة سى صحيفة ٢٤٨ (س) .

(٦) Die Arab, Mdss. der Herzoglichen Bibliothek zu Gotha Bd, V. P. 134,

٣ — كوبريلى . الرقم ١١٣٧ (١) .
٤ — مكتبة ينى جامع [ضمن المكتبة السليمانية فى استانبول] (٢) . الرقم ٨٨٧ .
٥ — مكتبة بانتا [فى الهند] ١/١٦٦/ [٢٢٢٣]   ٦ — غوطا . الرقم ١٦٢٠ — ١٦٢١ (٣) .
٧ — باريس ، الرقم ١٧٢٦ — ١٧٢٨ ،   ٨ — الفاتيكان ، (٥ : ٧٢٥) .
٩ — مكتبة جستر بيتى فى دبلن (٤) ، (فيها المجلد الثامن منه ، برقم ٤١٠٢) .
١٠ — مكتبة المتحف البريطانى . (الذيل ٤٨٠) .   ١١ — كمبرج الرقم ٥٢٦ — ٥٢٧ .
طبع هذا الكتاب بكماله فى القاهرة فى أربعة أجزاء (٥) .
— الجزء الأول فى ثلاثة أقسام — تحقيق محمد بن زيادة (القاهرة ١٩٣٤ — ١٩٣٩ م)
— الجزء الثانى   »   »   »   »   )   »   ١٩٤١ — ١٩٥٨ م)
— الجزء الثالث   »   »   سعيد بن عاشور (»   ١٩٧٠ — ١٩٧٢ م)
— الجزء الرابع   »   »   »   »   )   »   ١٩٧٢ — ١٩٧٣ م)

٣٠ — شذور العقود فى ذكر النقود : منه نسخة خطية فى :
١ — نور العثمانية . الرقم ٤٩٣٧ .   ٢ — برلين . الرقم ٦٠٢٤ (٦) .
٣ — ليدن ، الرقم ١٠١٢ — ١٠١٣ .   ٤ — كمبرج ، الرقم ٤٧٥ .
٥ — الاسكوريال . الرقم ١٧٧١ (*) وقد ظهرت لهذا الكتاب طبعات مختلفة ، وهى :
(ا) نشرها ـ تيكسن D. G. TYCHSEN (دروستك ١٧٩٧ م) .
(ب)   »   ـ أحمد فارس الشدياق (مطبعة الجوائب) استانبول (١٢٩٨ هـ) ، ضمن « ثلاث رسائل » .
(ج)   »   ـ ماير L. A MAYER (الاسكندرية ١٩٣٣) .
(د)   »   محمد آل بحر العلوم (النجف ١٩٣٨) ثم توالت طبعاته لهذا الكتاب فى النجف فكانت الخامسة سنة ١٩٦٧ .
(هـ) نشرها : الأب أنستاس الكرملى (ضمن كتابه « النقود العربية وعلم النميات ») . (القاهرة ١٩٣٩) .

٣١ — الطرفة الغريبة فى أخبار حضرموت العجيبة (٧) : منها نسخة خطية ، فى :
١ — نور العثمانية ، ٤٩٣٧ / ٤   ٢ — ليدن ، الرقم ٨١٠ .
٣ كمبرج ، الرقم ٦٥٤ — ٦٥٥   ٤ — مكتبة جستر بيتى ، الرقم ٤١١٨ / ٣ .

---

(١) كوبريلى زاده محمد باشا كتبخانة سنده مخطوط صحيفة ٧١ (س)   (٢) ينى جامع كتبخانة سنده مخطوط صحيفة ٤٦ (س)
(٣) راجع : (س) Die Arab. M.ss Der Herzoglichen Bibliothek Zu Gotha, Bd- V, P. 154.
(٤) (س) Hand List of Arabic Manuscripts In Chester Beaty Library Vol. 5, P. 82.
(٥) ليس فى هذه الطبعة أى ترجمة للمقريزى لا فى الجزء الأول ولا فى الجزء الأخير وليس فيها ثبت . ولفاته ولا غاليا فاقتضى التنويه (س)
(٦) لا توجد هذا الاسم ضمن أسماء المخطوطات العربية فى مكتبة الدولة فى برلين (المكتبة الملكية سابقاً) راجع : (س) Vereichnis der arabischen Hds der Konigl Bibliothek, By W. Ahlwardt. Bd-X P.471.
(٧) فى فهرس مكتبة جستر بيتى « الطرفة الغريبة من أخبار وادى حضرموت العجيبة » راجع : Handlist of Arab. Mss. In. Chester Beaty Library. Vol. 5, P. 37 (س) .

وقد نشرها : نوسكوى P. B. NOSKOWYJ مع ترجمة لاتينية ، (بون ١٨٦٦) .

٢٢ — مختصر . الكامل فى معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة ، لعبد الله بن عدى :
منه نسخة بخط المقريزى ، مؤلف هذا المختصر ، كتبها سنة ٧٩٥ هـ ، وهى فى مكتبة مراد ملا باستانبول ، الرقم ٥٦٩ .

٢٣ — معرفة مايجب لآل البيت الشريف من الحق على من عداهم : منه نسخة خطية فى فينة . الرقم ٨٩٠ (١) .

٢٤ — المقاصد السنية لمعرفة الأجسام المعدنية (٢) : منه نسخة خطية فى :
١ — نور عثمانية . الرقم ٤٩٣٧/٩   ٢ — باريس ، (نسخة تاريخها ٨٤١ هـ)   ٣ — كمبرج . الرقم ١٠٨٢

٢٥ — المقفى الكبير فى تراجم أهل مصر والوافدين عليها :
كان يقدر لهذا الكتاب أن يخرج فى ثمانين مجلداً ، ولكن المؤلف توفى قبل أن يتمه ، ولم تصلنا كل الأجزاء التى أتمها المؤلف ، وإنما وصلنا بعضها وضاع بعضها الآخر ، فما انتهى إلينا منها نسخ خطية فى :
١ — باريس ، الرقم ٢١٤٤ بخط المؤلف .   ٢ — ميونيخ ، الرقم ٩٥٧ .
٣ — ليدن ، الارقام ١٠٣٢ ، ١٨٤٧ ، ١٨٥١ .

٢٦ — مقتضب التذكرة ، فى التاريخ ، لابن حمدون : منه نسخة خطية ، فى :
١ — دار الكتب المصرية (فهرس الدار ٥ / ٣٦٨) .   ١ — باريس ١٥١٤ .

٢٧ — المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار : وتعرف بخطط المقريزى ، منها نسخة خطية فى :
١ — دار الكتب المصرية (فهرس الخديوية ١ / ١٦٢) .
٢ — العمومية بدمشق (٣) ، الأرقام ٣٤٣٧ ، ٥٦٩٦ ، ٥٦٩٧ ، ٧٠٠٤ .
٣ — مكتبة آيا صوفيا باستانبول ، الأرقام ٣٤٧١ — ٣٤٨٤ (٤) .
٤ — مكتبة طوب قبو سراى باستانبول ، الأرقام ٢٩٤٧ — ٢٩٥٤ .
٥ — مكتبة محمد الفاتح باستانبول . الرقم ٤٤٩٥ — ٤٤٩٩ (٥) .
٦ — مكتبة ينى جامع (٦) [ضمن المكتبة السليمانية] باستانبول ، الرقم ٩٠٢ — ٩٠٤ .
٧ — مكتبة المشهد الرضوى فى إيران ، ١٤ : ٣٠ [٨٤] .   ٨ — برلين ، الرقم ٦٠١٨ — ٦٠١٩ ( )
٩ — ليدن ، الرقم ٩٧١ — ٩٧٤ .   ١٠ — كمبرج ، الرقم ١١٣٢ .
١١ — منشستر ، الرقم ٢٧٦ — ٢٧٨ .   ١٢ — مكتبة الفاتيكان ، ٥ : ٧٢٤ .

---

(١) لا يوجد هذا الاسم ضمن أسماء خطيات مكتبة ويانة القيصرية راجع : Die Arab. Pers. U. Turk. Hdss. der K. K. Hofbibliothek (Wien) By Gostaf Flugel, Bd- 3 P. 595.
وقد تم طبع هذا المخطوط بتحقيق محمد بن أحمد بن عاشور بيروت سنة ١٣٩٢ هـ معجم المخطوطات المطبوعة ٤ / ١٤٢ (س)
(٢) منه نسخة أخرى فى خزانة ولى الدين والآستانة ضمن مجموع خطى برقم ٣١٩٥ دفتر كتبخانة ولى الدين صحيفة ١٩٥ (س)
(٣) فهرس مخطوطات المكتبة العمومية بدمشق (التاريخ) ٢ / ٤٨٧ — ٤٩٠ ضعة خالد الريان (س) .
(٤) دفتر كتبخانة أيا صوفية صحيفة ٢٠٧ (س) .   (٥) دفتر فاتح كتبخانة سى صحيفة ٢٠٧ (س) .
(٦) ينى جامع كتبخانة سنده مخطوط صحيفة ٤٧ (س) .
(٧) Verzeichnis der arabischen Hdss der Konigl Bibliothek Bd- X, P. 533.
(م ٤٨ ـ امتاع الأسماع ج ١)

١٣ — غوطا ، الرقم ١٦٧٥ ، ١٦٨٢ [1] . ١٤ — ميونيخ (G L. 107, 116)

١٥ — باريس ، الأرقام ١٧٢٩ ، ١٧٦٤ ، ٢٢٦٥ ، ٥٨٦٥ .

وقد طبع هذا الكتاب غير مرة :

١ — طبع فى مجلدين (بولاق ١٢٧٠ هـ) [2] وقد أعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه بالأوفست .

٢ — طبع فى أربعة أجزاء (مطبعة النيل ـ القاهرة ١٣٢٤ — ١٣٢٦ هـ) .

٣ — طبعت منه خمسة أجزاء بتحقيق المستشرق الآثارى فييت GASTON WIET (القاهرة ١٩١١ — ١٩٢٧) ولم تتم .

وظهرت لهذا الكتاب طبعات جزئية نذكر منها :

١ — أخبار قبط مصر . (وقد سبقت الإشارة إليه فى الرقم ٢ من هذا الثبت)

٢ — القول الإبريزى للعلامة المقريزى ـ نشرة مينا اسكندر (القاهرة ١٨٩٨) ، وهو يتضمن تاريخ الأقباط وأحوالهم ، نقلا عن خطط المقريزى .

٢٨ — نحل عبر النحل [3] : منه نسخة خطية فى :

١ — نور عثمانية ، الرقم ٤٩٢٧ / ٠٣ . ٢ — كمبرج ، الرقم ٦٦٤ ، ٩٣٣ .

٣ — مكتبة جستر بيتى فى دبلن ، الرقم ٤١١٨ / ٢

وقد حققه الدكتور جمال الدين الشيال ، ونشره فى القاهرة سنة ١٩٤٦ .

٢٩ — التنازع والتخاصم فى ما بين بنى أمية وبنى هاشم : ويعرف أيضاً بـ « التنازع والتخاصم » .

منه نسخة خطية فى :

١ — دار الكتب المصرية ، (فهرس اندار ٥ / ٢٨٥) . ٢ — الظاهرية بدمشق ، الرقم ٣٧٣١ .

٣ — نور عثمانية ، الرقم ٤٩٣٧ . ٤ — مكتبة ستراسبورغ .

٥ — ليدن ، الرقم ٨٨٥ . ٦ — فيينة ، الرقم ٨٨٦ [4]

وقد طبع هذا الكتاب مرتين :

١ — نشره : فوس G. VOS (ليدن ١٨٨٨) . ٢ — طبع فى القاهرة سنة ١٩٢٧ .

وهنالك مؤلفات أخرى للمقريزى ، منها ماقد امتدت إليها يد الضياع ، ومنها مايكون قد سلم ، ولكن لم يصل لدينا شىء من نسخها الخطية نذكر منها :

١ — الأخبار عن الأعذار . ٢ — تراجم ملوك الغرب [5] .

٣ — شارع النجاة (فى أصول الديانات واختلاف البشر فيها) .

٤ — ضوء السارى فى معرفة أخبار تميم الدارى [6] . ٥ — عقد جواهر الأسفاط فى تاريخ مدينة الفسطاط .

٦ — مجمع الفرائد ومنبع الفوائد . ٧ — نبذة على عظم قدر أهل البيت .

---

(١) Die Ababischen Mdss, der Herzoglichen Biblioth k zu Go ha Bd· V. P. 217

(٢) بهذه الطبعة نقص كما قرر ذلك الأستاذ يوسف العشى . فهرس العمومية بدمشق (التاريخ) ص ١٠٢ (س) .

(٣) فى فهرس مكتبة جستر بيتى « رسالة فى ذكر النحل » راجع : Head List of Arabic Miss. In Chester Beayty Library Vol, 5, P, 87 (س)

(٤) راجع Die Arb, Pers, u. Turk Hdss. Der Kaiser Konigl Hofbibliothek, Bd· 3, P. 598.

(٥) راجع ملحق هذا الثبت / فقرة ٣٦ (س) . (٦) راجع ملحق هذا الثبت / فقره ٣١ (س) .

ذيـــل الثبت

استـــدراك على الأستاذ كوركيس

٣٠ — رسالة فى النقود الاسلامية : فى خزانة ولى الدين فى الآستانة .

٣١ — الضوء السارى بمعرفة تميم الدارى [1] : فى خزانة ولى الدين فى الآستانة .

٣٢ — نبذة من أخبار الطائفة الإسلامية ببلاد الحبشة : فى خزانة ولى الدين فى الآستانة .

٣٣ — رسالة فى حرص النفوس على الذكر [2] : فى خزانة ولى الدين فى الآستانة .

والأربع رسائل تلك محفوظة فى الخزانة المذكورة برقم ٣١٩٥ [3] ، وهى ضمن مجموع خطى يشمل خمس عشرة رسالة كلها للمقريزى ، وبقية هذه الرسائل مبثوثة فى ثبت الأستاذ كوركيس .

راجع الفقرات : ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ .

٣٤ — النحل ومافيه من غرائب الحكمة : منه نسخة فى مكتبة جامعة كمبرج [4] .

٣٥ — ذكر ماورد فى بنى أمية وبنى العباس من الأقوال : منه نسخة فى مكتبة ويانة الملكية القيصرية [5] .

٣٦ — تراجم ملوك الغرب (فيه أخبار أبى حمو وأخلافه من ملوك تلمسان) [6] . منه نسختان [7] .

(أ) ليدن . (ب) مكتبة ويانة القيصرية [8] .

---

(١) تم طبع هذا المخطوط تحت اسم « ضوء السارى فى خبر تميم الدارى » بتحقيق الأستاذ محمد بن أحمد بن عاشور ونشر دار الاعتصام بالقاهرة وبيروت سنة ١٣٩٢ هـ اعتماداً على نسختين خطيتين : الأولى منقولة من الخزانة الوليدية فى الآستانة ـ وأظنها نفس خزانة ولى الدين آنفة الذكر — ويدل على ذلك الرقم الذى بينه المحقق فهو نفس رقم المجموع الذى منه « ضوء السارى » . والأخرى منقولة من المكتبة الأهلية فى باريس (س) .

(٢) جاء فى « تاريخ آداب اللغة العربية اسم المخطوط : مقالة لطيفة . . فى حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر ـ وأنه محفوظ فى المتحفة البريطانية فى لندن / راجع : تاريخ آداب اللغة العربية تأليف جرجى بن زيدان ٣ / ١٧٨ .

(٣) دفتر كتبخانة ولى الدين صحيفة ١٩٠ (س) .

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية تأليف جرجى بن زيدان ٣ / ١٧٨ فقرة ١٢ .

(٥) لايوجد هذا الاسم فى ثبت أسماء مخطوطات هذه المكتبة : راجع Die Arb, Pers, Turk, Hdss. Der Kaiser Konigl Hofbibliothek. — Wien, Bd· 3, P. 570 (س)

(٦) تاريخ آداب اللغة العربية ٣ / ١٧٩ فقرة ٢٦ (س) . (٧) المصدر السابق ٣ / ١٧٩ / ف ٢٦ (س) .

(٨) لايوجد هذا الاسم أيضا فى ثبت أسماء خطيات خزانة ويانة القيصرية راجع : Die A·b, pers, u. Turk. Hdss der K K H. B, Othek. Bd· 3, P. 561 (س)

وهذه الخطيات الثلاث الآنفة ذكرها جرجى بن زيدان فى كتابه المومأ إليه (س) .

ثبت المصـــادر والمراجع

أولا : المراجع العربية

١ — تاريخ آداب اللغة العربية — الجزء الثالث — تأليف جورجى بن زيدان ، مطبعة الهلال ١٣٣١ هـ . (١٩١٣ م) .

٢ — فهرس مخطوطات المكتبة العمومية بدمشق (التاريخ) ، صنعة يوسف الدش .

٣ — مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٣٦٦ هـ .

٤ — دفتر فاتح كتبخانة سى ، طبع الآستانة بدون تاريخ .

٥ — دفتر كتبخانة آيا صوفيا .

٦ — محمود بك مطبعة سى — الآستانة سنة ١٣٠٤ هـ .

٧ — كوبريللى زادة محمد باشا كتبخانة سنده محفوظ ، الآستانة بدون تاريخ .

٨ — فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية — الجزء الثالث (آداب اللغـــة) مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) .

٩ — فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية — الجزء الأول (العلوم الدينية) مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) .

١٠ — فهرس مخطوطات المكتبة العمومية بدمشق (التاريخ) الجزئى صنعة خالد الريان ؛ مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٣٩٣ هـ .

١١ — فهرس المخطوطات المصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة — الجزء الأول ، نشر دار الرياض بالقاهرة سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) .

١٢ — المختار من المخطوطات العربية فى الآستانة (رسالة العلامة أحمد بن تيمور باشا إلى الأستاذ جورجى ابن زيدان سنة ١٣٣١ هـ ، نشر وتعليق العلم صلاح المنجد . دار الكتاب الجديد — بيروت ، سنة ١٣٨٨ هـ . (١٩٦٨ م) .

١٣ — معجم المخطوطات المطبوعة — صنعة صلاح المنجد — الجزء الثالث ، دار الكتاب الجديد — بيروت . سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

١٤ — معجم المخطوطات المطبوعة — الجزء الرابع (نفس المصنف) ، دار الكتاب الجديد — بيروت . سنة ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) .

١٣ — ينى جامع كتبخانة سنده محفوظ — الآستانة بدون تاريخ .

ثانياً : المراجع الأجنبيـــة

A Hand List of Arabic Manuscripts In Chester Beaty Library In Dublin, Published By Hodges Figgis & Co. Ltd. Dublin 1962.
Editor : Arthur. J Arbery,

Die. Arab, Pers, U. Turk. Hdss. Der Kaiser Konigl Hofbiliothek.
By. Gustaf Leberecht Flugel. Band/3
Wien 1863,

Die Arabischen Mdss. Der Herzoglichen Bibliothek Zu Gotha.
By. W. Persch. Bd. 5 — Gotha — 1892.

Verzeichnis der Arabischen Hdss. Der Konigl Bibliothe.
By. W. AHLWARDT. Bd-10, Berlin 1887.

تم الاستدراك وذيله والحمـــد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

وكتبه
أبو منصـــور الحافظ
ابن محمد سعيد الحافظ

قادسية الكويت فى : ٦ ربيع الأول سنة ١٤٠٢ هـ
غرة كانون الثانى سنة ١٩٨٢ م

ثبت بمراجع تحقيق الجزء الأول

١ – حسان بن ثابت الأنصاري (٥٤ هـ) .

– الديوان : تحقيق د . سيد حنفي حسنين . ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٤ م .

٢ – عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (٦٨ هـ) .

– تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ط . المكتبة الشعبية – بيروت – (د . ت)

٣ – أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك (١٧٩ هـ) .

– كتاب الموطأ : إعداد أحمد راتب عرموش – ط . دار النفائس – بيروت – ١٤٠٠ هـ .

٤ – محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) (٢٠٧ هـ) .

– كتاب المغازي : تحقيق د . مارسدن جونس ط . عالم الكتب – بيروت ١٩٦٦ م .

٥ – أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (٢١٣ هـ) .

السيرة النبوية . تقديم وتعليق طه عبد الرءوف سعد ط . مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ١٩٧٨ م .

٦ – أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (٢١٩ هـ) .

– مسند الحميدي : تحقيق وتعليق حبيب الرحمن الأعظمي ط . عالم الكتب – بيروت – ١٣٨٢ هـ .

٧ – محمد بن سعد بن منيع البصري (٢٣٠ هـ) .

– الطبقات الكبرى : تقديم د . إحسان عباس ط . دار صادر – بيروت – ١٩٦٨ م .

٨ – أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) .

– المسند : ط . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر – بيروت ١٩٧٨ م .

٩ – أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (٢٥٥ هـ) .

– سنن الدارمي : ط . بعناية محمد أحمد دهمان دار الكتب العلمية – بيروت . (د . ت) .

١٠ – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ) .

– صحيح البخاري بحاشية السندي ط . دار المعرفة – بيروت – بيروت ١٩٧٨ م

١١ – أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١ هـ) .

– صحيح مسلم بشرح النووي : ط . المطبعة المصرية – القاهرة ١٣٤٩ هـ .

١٢ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ) .

– سنن أبي داود : تعليق عزت عبيد الدعاس ط . حمص – سوريا ١٩٦٩ م .

١٣ – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجة) (٢٧٥ هـ) .

– سنن ابن ماجه – تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ط . عيسى الحلبي – القاهرة (د . ت) .

١٤ – أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦ هـ) .

– كتاب المعارف : تحقيق وتقديم د . ثروت عكاشة ط دار المعارف – القاهرة ١٩٦٩ .
الشعر والشعراء : تحقيق احمد محمد شاكر ط . دار التراث العربي – القاهرة ١٩٧٧ م .

١٥ – أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩ هـ) .

– الجامع الصحيح (سنن الترمذي) تحقيق عبد الوهاب عبداللطيف ط : دار الفكر – بيروت ١٣٩٨هـ .
– الشمائل المحمدية : تعليق عزت عبيد الدعاس . ط مؤسسة الزعبي – بيروت ١٣٩٦ هـ .

١٦ – أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي (٣٠٣ هـ) .

– سنن النسائي بحاشية السندي وشرح السيوطي ط . المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة ١٣٤٨ هـ .

١٧ – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) .

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن ط . مصطفى الحلبي – القاهرة ١٩٦٨ م .

– تاريخ الرسل والملوك : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط . دار المعارف – القاهرة ١٩٦٧ م .

١٨ – حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي (٣٨٨ هـ) .

– معالم السنن (على هامش سنن أبي داود) تعليق عزت عبيد الدعاس ط حمص – سوريا ١٩٦٩ م .

١٩ – أبو هلال العسكري (بعد ٣٩٥ هـ) .

– جمهرة الأمثال : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد الحميد قطامش ط . المؤسسة العربية الحديثة – القاهرة ١٩٦٤ م .

٢٠ – أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ) .

– المستدرك على الصحيحين ط . مكتب المطبوعات الإسلامية – بيروت (د . ت) .

٢١ – أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (٤٣٠ هـ) .

– دلائل النبوة ط . حيدر آباد – الهند ١٣٢٩ هـ .

٢٢ – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (٤٦٣ هـ) .

– الاستيعاب في معرفة الأصحاب (على هامش الإصابة) ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٦٨ م .

٢٣ – أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨ هـ) .

– أسباب النزول ، ط . عالم الكتب ، بيروت ١٣١٦ هـ .

٢٤ – أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (٥١٨ هـ) .

– مجمع الأمثال ، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ط . دار الفكر ، بيروت ١٩٧٢ م .

٢٥ – القاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤ هـ) .

– الشفا بتعريف حقوق المصطفى . ط . دار الكتب العربية الكبرى (د . ت) .

٢٦ – أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (٥٨١ هـ) .

– الروض الأنف (على هامش السيرة لابن هشام) تقديم وتعليق طه سعد . ط . القاهرة ١٩٧١ م .

٢٧ – جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٨٣ هـ) .

– الفائق في غريب الحديث : تحقيق علي البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ط . عيسى الحلبي – القاهرة (د.ت)

٢٨ – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٧ هـ) .

— تلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير : ط . مكتبة الآداب — القاهرة ١٩٧٥ .
— صفة الصفوة : تحقيق وتعليق محمود فاخورى ط . دار الوعى — حلب ١٣٩٣ هـ .

٢٩ — فخر الدين الرازى أبو عبد الله محمد بن عمر (٦٠٦ هـ) .
— مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : ط . دار الكتب العلمية — طهران (د . ت) .

٣٠ — مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (٦٠٦ هـ) .
— النهاية فى غريب الحديث والأثر : تحقيق طاهر الزاوى ومحمود الطناحى ط . دار إحياء التراث العربى بيروت ١٩٦٣ م .

٣١ — شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ) .
— معجم البلدان : دار صادر — بيروت ١٩٧٧ م .

٣٢ — عز الدين الحسن بن الأثير (٦٣٠ هـ) .
— الكامل فى التاريخ — دار صادر — بيروت ١٩٧٩ م .

٣٣ — محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى (٦٧٦ هـ) .
— الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار : ط . دار الكتب العلمية — بيروت ١٩٧٩ م .
— تهذيب الأسماء واللغات : ط . دار الكتب العلمية — بيروت (د . ت) .
— شرح صحيح مسلم : ط . المطبعة المصرية — القاهرة ١٣٤٩ هـ .

٣٤ — أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (٦٧١ هـ) .
— الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) : ط دار الشعب — القاهرة .

٣٥ — أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (٧٣٢ هـ) .
— تقويم البلدان : ط . باريس ١٨٣٠ م .

٣٦ — فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس (٧٣٤ هـ) .
— عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير : ط . دار المعرفة — بيروت (د . ت)

٣٧ — شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى (ابن القيم) (٧٥١ هـ) .
— زاد المعاد فى هدى خير العباد : تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط . ط . الرسالة - بيروت ١٩٧٩ .

٣٨ أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى (٧٧٤ هـ) .
— البداية والنهاية : ط . مكتبة المعارف — بيروت ١٩٧٧ م .

٣٩ — مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (٨١٧ هـ) .
— القاموس المحيط : (ترتيب القاموس) بترتيب طاهر الزاوى . ط . عيسى الحلبى — القاهرة ١٩٧٠ م .
— بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز : تحقيق محمد على النجار ثم عبد العليم الطحاوى . ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية — القاهرة .

٤٠ — أحمد بن على بن حجر العسقلانى (٨٥٢ هـ) .
— الإصابة فى تمييز الصحابة : ط . مكتبة الكليات الأزهرية — القاهرة ١٩٦٨ م .

— تهذيب التهذيب : ط . حيدر آباد — الهند ١٣٢٧ هـ .
— فتح البارى بشرح صحيح البخارى : تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز . ط المكتبة السلفية (د . ت) .
— مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ط . بيروت (د . ت) .
— المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى . ط . المطبعة العصرية بالكويت ١٩٧٢ .

٤١ — شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى (٩٠٢ هـ) .
— المقاصد الحسنة فى الأحاديث الجارية على الألسنة : ط . دار الكتاب العربى — بيروت (د . ت) .

٤٢ — حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى (٩٦٦ هـ) .
— تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس : ط . مؤسسة شعبان — بيروت ١٢٨٣ هـ .

٤٣ — مصطفى بن عبد الله (حاجى خليفة) (١٠٦٧ هـ) .
— كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : ط . مكتبة المثنى — بغداد (د . ت) .

٤٤ — إسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى (١١٦٢ هـ) .
— كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : تعليق أحمد القلاش — ط . مؤسسة الرسالة — بيروت ١٣٩٩ هـ .

٤٥ — محمد بن على بن محمد الشوكانى (١٢٥٥ هـ) .
— نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار . ط . دار الجيل — بيروت ١٩٧٣ م .

٤٦ — أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادى (. . . .) .
— عون المعبود شرح سنن أبى داود : تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان . ط . المكتبة السلفية — المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ .

٤٧ — على بن حسينعلى الأحمدى (. . . .)
— مكاتيب الرسول ﷺ : ط . دار المهاجر — بيروت ١٣٨٢ هـ .

٤٨ — محمد فؤاد عبد الباقى (١٩٦٨) .
— المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ط . مؤسسة جمال للنشر — بيروت (د . ت) .

٤٩ — دكتور ا . ى . ونسنك .
— المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى : ط . مكتبة بريل - ليدن ١٩٣٦ م .

٥٠ — د . إبراهيم أنيس ، وآخرون .
— المعجم الوسيط : ط مجمع اللغة العربية — القاهرة ١٩٧٢ م .

٥١ — اسماعيل باشا البغدادى (. . . .) .
— هدية العارفين ، أسماء الكتب وآثار المصنفين : ط . استانبول ١٩٥١ م .

٥٢ — خير الدين الزركلى (. . . .) .
— الأعلام : ط . بيروت ١٩٦٩ .

شكر

وعند الختـــام . . فإنى أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من ساهم فى إخراج هذا العمل الجليل ، سواء من دار الأنصار للطبع والنشر ، أو من دار الثقافة العربيـــة للطباعة ، وأخص بالذكر : الأستاذ محمد فوزى حمزة ، الذى تفضل مشكوراً بمعالجة تجارب الطبع والتصحيح .

وكذلك الأستاذة الفاضلة / فاطمة على عبد القادر — خبيرة التصنيف والتكشيف — التى قامت بعمل الفهارس العامة والفنية ، والملحقة بالجزء العاشر من الكتاب .

والله نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فى ليلة القدر ١٤٠٢ هـ

محمد عبد الحميد النميسى

فهرس الجزء الأول

من كتاب إمتاع الأسماع بما للنبى ﷺ من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع

رقم الايداع ٨٢/٣٨٢٨ الترقيم ٢ - ٠٠١ - ٤٣٢ - ٩٧٧

تصويب الخطــأ

ص	س	الخطأ	الصواب
٣	٧	الرسول	رسول
١٢	١٦	بجرمة	بجرع
١٦	١٦	أولا	أولا
١٧	٨	ورلة	ورق
٣٠	٩	كلاب ابن	كلاب بن
٣١	٥	التابعين	التابعين
٣١	٨	قدوم	قدم
٣١	١٣	يزدجر	يزدجرد
٣١	١٤	بهرام جود	بهرام جور
٣١ه	٣	لوراً	لورد
٣٢ه	٩	فى المهد فى المهد	فى المهد على الفدان
٣٤	١٧	أتم	أتم
٣٨ه	٢	فسل	فضل
٣٩	١٤	الفارس	الفارسى
٦٤ه	١	قدير	قديد
٦٦	١٥	لواء	لواءا
٦٩	١٧	حلقة	حالقة
٧٠	٤	لهسان	كيسان
٧١	٣	وتأملنا	وتأمننا
٧٦ه	٤	المسلمون	المسلمين
٧٧	١٣	المطمون	المطعون
٧٧	١٥	المطمون	المطعون
٧٨	٥	غيرهم	عيرهم
٨٠	٢	أخنس	أخنس
٨٠	٨	الهوى	الهدى
٨٥	١٣	أعل	أعل
٨٩	١٤	ياطلهم	ياطاهم
١٠٩	١٠	عشر	عشرة
١١٣	٥	يهم	رشم
١١٣	٧	لهس	ليس
١١٣ه	٧	ورعا	درعا
١١٣ه	٣	س ١٨	٢١٨
١١٤	١٢	العود	العدو
١١٤	١٢	عزم الله رشده	عزم الله له رشده
١١٤	١٩	ولا أعلم عمل	ولا أعلم من عمل
١١٤	١٩	النفسى	النفس
١١٥	٣	لامرحباً ولا أهلا	لامرحبا بك ولا أهلا
١١٦	٢	كنبت	كتبت
١١٨	١	إذا	إذ
١١٨	٥	غز	غر
١٢١	٢١	النفس	النفسى
١٢٢	٣	الأنضار	الأنصار
١٢٤	١١	فقتله، رسول الله ينظر إليه	فقتله، ورسول الله ينظر إليه
١٢٦	٣	لايلفت	لايلتفت
١٢٩	١٤	وجد	وجدا
١٣٠	٧	أصويت	أصبت
١٣١	٨	فم مازن	فم بن مازن
١٣٢	١٤	على	علىّ
١٣٣	٧	داخلوا	داخلو
١٣٣	١٨	فسكن حزة	فسكن لحزة
١٣٨	٢١	كال	كان
١٤٠	ه١	عبادة	عبارة
١٤٠	٢٣	عزمه	عزمة
١٤٥	٢	فيها	منها
١٤٥	١٢	أما	أنا
١٤٥	١٨	ابن عمرو بن عمر بن خنيس	ابن عمرو بن خنيس
١٤٦	١٣	سلاما فاشيا	إسلاما فاشيا
١٤٦	١٩	الديثنة	الدثنة
١٤٨	١٤	يضاف بعد «قتل يوم بدر»	« واشترى زيداً صفوان ابن أمية بخمس فرائض ليقتله بأبيه ».
١٤٨	١٧	مثل رس الرجل	مثل رأس الرجل
١٥١	١٠	سهل بن ضيف	سهل بن حنيف
١٥١	١٨	وجعل يامين الرجل	وجعل يامين لرجل
١٥٢	١٤	اترعوا	اقترعوا
١٥٢	٢٤	عمرو خناس	عمرو بن خناس
١٥٤	١١	عمرو بن ضمرة	عمرو من بنى ضمرة
١٥٤	١٨	من حولهم العرب	من حولهم من العرب

ه = هامش

ص	س	الخطأ	الصواب
١٥٥	١١	تلقهم	تلقتهم
١٥٥	١٧	أملجت	أملحت
١٥٥	١٧	أملج	أملح
١٥٦	١٧	خمس عشر ليلة	خمس عشرة ليلة
١٥٩	٤	أحدهما طرح نفسه	أحدهما حتى طرح نفسه
١٦٠	٢١	بيتهما	بيتها
١٦٣	٢٠	وفي بطنها سخلة	وفي بطنها منك سخلة
١٧١	١٩	أو أراني إلا ميتا	ولا أراني إلا ميتا
١٧٢	٣	رجل من رسول الله	رجل من قوم رسول الله
١٧٤	٤	لسعد عبادة	لسعد بن عبادة
١٧٦	٥	هلال بن هلال بن أشجع	هلال بن خلادة بن أشجع
١٧٨	١١	التراب ثيابهما	التراب في ثيابهما
١٧٩	٩	نساء في الآطام والصبيان	النساء والصبيان في الآطام
١٨٢	١٦	أن الله الذي رد بني قريظة	أن الله رد بني قريظة
١٨٣	٢٠	مضيا	مضيقا
١٨٨	١١	وقد جاه	وقد جاءه
١٩١	١٠	وصفنا	وصفقنا
١٩١	١٣	أهل	أسل
١٩٥	٧	يوضأ	يوما
١٩٥	٨	أبروا	أبردوا
١٩٧	١٠	الله	لله
١٩٩	٤	أمناه	أقناه
٢٠٠	١٦	أربع عشر ليلة	أربع عشرة ليلة
٢٠٢	٢	حبلت	حليت
٢٠٩	١٦	ولقى	وقش
٢١١	٦	عزينة	عرينة
٢١١	١٢	عشرون	عشرين
٢٤٨	١٣	فقيل فقيل	فقيل
٢٦٤	١٠	فقد	فعقد
٢٦٤	٢٠	عمروا	عمرا
٢٦٥	١٣	الجذور	الجزور
٢٦٦	٨	وكبوا	وكبروا
٢٦٧	٦	فضربه شجه	فضربه فشجه
٢٧٧	٩	رخصة	وخصة
٢٧٧	٩	حادوها	حاذوها
٢٧٨	١٠	ذراع	دارع
٢٩٠	١٤	لا تسبوا خالد	لا تسبوا خالداً
٢٩٩	٨	تبعثة	تعبئته
٢٩٩	٨	وابس	ولبس

ص	س	الخطأ	الصواب
٣٠٠	٣	إذ حنث	إذا حنث
٣٠٠	٨	سوى ماذكرنا	سوى من ذكرنا
٣٠٢	١٦	أن لسكرنا عليه	أن يكرنا عليه
٣٠٣	٥	المنافقين	المنافقين
٣٠٤	١٨	وأحل لكم وراء ذلكم	وأحل لكم ماوراء ذلكم
٣١٠	٧	وفاء ورد	وفاء وبر
٣١٣	١٦	صرد أجشمي السعد	صرد الجشمي السعدي
٣١٤	١٣	السفو	العفو
٣١٩	١٤	الثابت	لثابت
٣٢٠	١٦	النفع عن أشياعهم	النفع في أشياعهم
٣٢٢	٢١	سمائهم	سهمائهم
٣٢٣	٢	إلى حارثة	إلى بني حارثة
٣٢٤	١٥	ذكر ذلك لرسول الله	فلما ذكر ذلك لرسول الله
٣٢٧	١٢	يستعملون	يستحملون
٣٢٩	١٨	ماخلاك	ماخلفك
٣٣٠	١٦	يضاف بعد : «أنحن شر من الحمير»	فقال له عمير — وكان يتيما في حجره — : فأنت شر من الحمير»
٣٣٠	١٩	فسلمهم	فسلموهم
٣٣٢	٢٠	يضاف بعد «أين ناقته»	«فقال رسول الله ﷺ : إن منافقا يقول يقول : إن محمداً يزعم أنه نبي ، وهو يخبركم بأمر السماء ولا يدري أين ناقته» .
٣٥٨	١٧	زيد بن لصيت	زيد بن اللصيت
٣٥٩	٢	وقعوا	وقفوا
٣٦٠	٧	براء	براءة
٣٦٢	٢	وعلى أن رسل رسول الله	وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله
٣٦٢	٨	وجعل ذراعها	وجعل ذراعا
٣٦٣	٢	في سهم منها ، فخرج	في سهم منها لله ، فخرج
٣٦٣	٢١	فإن معي فلا تحل	فإن معي الهدى فلا تحل
٣٦٣	٢٤	في فيهما	وفيهما
٣٦٤	١٥	عمر عصم	عمر بن عصم
٣٧٥	٨	قالون	قالوا
٣٧٨	١	لا ماما	لاماما
٣٨٧	١٤	هو مجنون	هو مجنوب
٣٩٠	٦	بعد ذكر يامعشر المهاجرين	بعد ذكر الشهداء يامعشر المهاجرين
٣٩٠	٧	هبى	هيبى